الصَّحِيحُ مِنَ الأَثَرِ في

خطب المنبر



اسم الكتاب: الصحيح من الأثر في خطب المنبر جـ ١

المؤلف: الشيخ فيصل الحاشدي

رقم الإيداع: ٢٠٢١/٢٠٨٩٩

نوع الطباعة: ٢ لون

عدد الصفحات: ٧١٢ صفحة

القياس: ١٧ x ٢٤

تجهيزات فنية:
مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية





دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع

١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

المبيعات



١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

E-mail
dar_aleman@hotmail.com

دار الإيمان المتحدة

أمام مستشفى الصوفي - أسفل مدارس اليمن الحديثة
مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة ذمار

جوال: ٧٧٥٣٠٩٩٣٥

الصَّحِيحُ مِنَ الأَثَرِ فِي

خُطَبِ المِنْبَرِ

الجزء الأول

تأليف أبي عبد الله

فيصل بن عبده قائد الحاشدي

عفا الله عنه







بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيِّئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدَقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْي هَدْيُ محمّد -ﷺ-، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ[(١)] .

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان رسولُ الله -ﷺ- يقولها بين يدي كلامه، وفي خطبته، وكان -ﷺ- يُعلمها أصحابَهُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم- في شأنهم كله، وقد زهد فيها كثير من خطباء هذا الزمان،وقد أشرت لتخريجها في كتابي «تحفة الخطيب» حاشية (ص٦) وللشيخ الألباني -رَحِمَهُ اللهُ- رسالةٌ مفردة ماتعة في تخريجها، اسمها «خطبة الحاجة» قال -رَحِمَهُ اللهُ- في خاتمتها ما نصُّه: «قد تبين لنا -من مجموع الأحاديث المتقدمة- أنَّ هذه الخطبةَ تفتح بها جميعُ الخطب، سواء كانت خطبة نكاح، أو خطبة جمعة،أو غيرها، فليست خاصةً بالنكاح كما يظن» .

وبَعْد، فقد يسَّر اللّهُ لي ـ ولله الحمدُ ـ كتابة شيءٍ من الخطب، لتُلْقَىٰ من قِبلَ بَعْضِ الطلاب في القُرىٰ، فكانت تنالُ استحسانَ الناس وارتياحهم، فرأيتُ من المصلحة القيام بتهذيبها وتشذيبها، والزيادة عليها، وإخراجها في كتابٍ، سمّيتُهُ «الصحيح من الأثر في خُطَبِ المنبرِ»؛ لتعمّ به الفائدةُ.

وقد حرصتُ ـ بتوفيق الله ـ عزّ وجلّ ـ أن أحشو سمع المستمع وقلبه بنصوص الوحيَيْن الشريفَيْنِ،فهذا ـ لَعَمْري ـ هو الغيثُ المبَارك.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا ﴾ [ق:٩].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩] . صَحِيْح، صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيّ فِي «صَحِيْح

وفِي «سُنن التِّرمذيِّ» بِسَنَد صَحِيْح، صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيّ فِي «صَحِيْح سُنن التِّرمذيِّ»[1] مِنْ حَدِيْث الْمِقْدَام بْن مَعْد يكَربَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- : « **أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ** » .

وقدْ يَظُنَّ مَنِ اعتاد الخُطَبَ التي تَزْخَرُ بالسَّجْع والترصيعاتِ البيانية ـ أن البلاغةَ لا توجد في غيرها، وليس كذلك، ومَن ظَنّ أنَّ البلاغة في غيرِ كتابِ اللّه، وسنة رسولِ الله -ﷺ- فما عَرَفَ البلاغة، وإنما عرف صَدَاها.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ ﴾ [الزمر: ٢٨].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء:٨٨].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ

(١) رواه الترمذي في «سُننه» (٤٦٠٤)، وصححه الألباني في «صحيح سُنن الترمذي» (٣٨٤٨).

﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر:٢٣] .

ولقدْ أودع اللّه ـ عزَّ وجلَّ ـ معانيَ كتابه في قوالبَ لفظيةٍ عربيَّةٍ، وزينّه بروعةِ الفصاحة، وكساه حُلَّةَ البلاغة وجلالَ الإعجاز، فدُهشَتْ به العربُ جمعيًا إذ سمعتْهُ، حتىٰ قال قائلهُم[1] : «إن له لَحَلاَوَةً، وَإِنَّ عَلَيْه لَطَلاوَةً[2]، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلاهُ ، مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلا ، وَأَنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ»[3] .

وخَرَّ بعضُهم سجَّدًا تعظيمًا عندما سمعه يُتْلَىٰ، وانجذبتْ إليه صناديدُ الكُفرِ والعناد، فكانوا يستمعون إليه تَلَذُّذًا وإعجابًا، بل انقادتْ إليه قلوبُ العَرَبِ والعَجَم عندما كشف السِّتار عن جماله، وحاكىٰ العُقول؛ لذلك خالطتْ محبّتُهُ بشاشة القُلوب، حتَّىٰ إنّ نَفَرًا من الجنِّ انقادوا إليه عندما سمعوه يُتلىٰ، ورَأَوا إِعْجَازَهُ، وأيقنوا بِسُلْطَانه.

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ علىٰ لسانهم: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن: ١ ـ ٢][4].

وبعث الله ـ عزَّ وجلَّ ـ نبيَّه بجوامع الكَلِم، واختصر له الحديث اختصارًا،

---

(١) هو الوليد بن المُغيرة المخزومي
(٢) طُلاوة ـ بضمِّ الطاء وفتحها ـ: الحُسن والبهجة.
(٣) هذه القصة أخرجها الحاكم في «المستدرك» مِنْ حَدِيْثِ عبد الرزاق عن معمر عن أيوب السختياني عن عكرمة عن ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم ـ،وقال: هذا حديث صحيح الإسناد علىٰ شرط البخاري، ولم يُخرجاه، ووافقه الذهبي (٢/ ٥٠٧) وأخرجها البيهقي في «دلائل النبوة» عن عبد الرزاق ـ أيضًا ـ كما أخرجها من طريق آخر (٢/ ١٩٨ ـ ٢٠٥).
(٤) انظر كتابي «فن الحوار» (ص٢٢، ٢٣).

وفاق العرب في فصاحته وبلاغته، هو القائل كما «في صحيح مسلم» [١] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- : «أُعْطِيْتُ جَوَامعَ الكَلِمِ».

وأسأل اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أن يجعلَ عملَنا خالصًا لوجهه الكريم ، وأن يجعلنا هُدَاةً مُهتدين .

وآخرُ دَعْوَانا أنِ الحمدُ للّهِ ربِّ العالمين

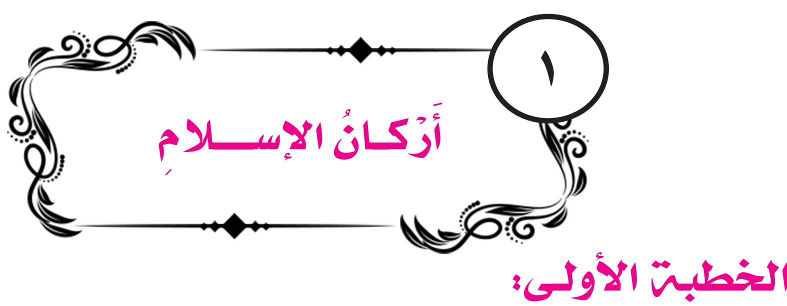
وَكتَبَه

أبو عبدالله فيصل بن عبده قائد الحاشدي

عفا الله عنه

---

(١) رواه مسلم (٥٢٣).



١ أَرْكانُ الإسلامِ

الخطبة الأولى:

١ـ الشَّهادتان:

أ ـ شهادة أن لا إلهَ إلَّا اللّهُ:

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيِّئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلل فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمَّا بعدُ فإنَّ أصدَقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْي هَدْيُ مُحَمَّد -ﷺ-، وشرَّ الأُمُور مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّار.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عن الرّكن الأول من أركان الإسلام، وهو شهادةُ «أنْ لا إلهَ إلاّ اللّهُ»، وشهادةُ «أن محمّدًا رسولُ الله».

فشهادة «أنْ لا إلهَ إلاّ اللّهُ» معناها: توحيدُ المَعبُودِ، وشهادةُ «أنّ محمدًا رسولُ الله» معناها: توحيدُ المتبوع.

وسوف أتحدَّث في هذه الخطبة عن شهادة «أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ».

أيُّها الناس، إنّ كلمة التوحيد «لا إله إلاّ اللهُ» هي أصل الإسلام وأساسُهُ، فهي الكلمة الفاصلةُ بَيْنَ الشِّركِ والتوحيد، بَيْنَ الحقِّ والباطلِ، ومعنىٰ كلمة «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» أي: لا مَعْبودَ بحقٍّ إلاّ اللّهُ.

وتشتملُ هذه الكلمةُ العظيمةُ علىٰ رُكْنين:

الرُّكْنُ الأوّل ـ: النفْيُ.

الرُّكْنُ الثاني ـ: الإثبات.

فالنفي هو قولنا: «لا إلهَ».

والإثبات هو قولنا: «إلاَّ اللّهُ».

فـ«لا إله»: نفْي جميع ما يُعبدُ من دون اللّه.

و«إلاّ الله»: إثبات جميع أنواع العبادةِ لله ربِّ العالمين وَحْدَهُ لا شريكَ له في عبادته، كما لا شريك له في مُلكه ورُبوبيَّتِه.

وقد جاء معنىٰ هذه الكلمة في آيات كثيرة من كتاب الله، فمنها:

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

فقولُهُ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ هو معنىٰ: «إلاَّ اللهُ».

وقوله تعالىٰ ـ:﴿ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ هو معنىٰ قوله تعالىٰ «لا إله».

والطاغوتُ ـ أيُّها الناسُ ـ: هو كُلُّ مَعْبود ـ أو مَتْبوعٍ ـ من دون الله.

ومن فوائد هذه الآية أنّ اللهَ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أخبر أنه ما من أُمَّةٍ متقدِّمة ـ أو متأخِّرةٍ ـ إلاّ بَعَثَ الله فيهم رسولاً ،وكلّهم متّفقون علىٰ كلمة التوحيد «لَا إِلَهَ إلاّ الله ».

وكذلك قولُهُ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وممّا يدلُّ علىٰ أنَّ شهادة « أَنْ لا إِلَهَ إلا الله ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله» ركن من أركان الإسلام ـ ما جاء في «الصحيحين»[١] مِنْ حَدِيْث ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: « بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَىٰ خَمْس: شَهَادَة أَنْ لا إِلَهَ إلا الله ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ، وَإِقَامِ الصَّلاة ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاة ، وَالحَجِّ، وَصَوْم رَمَضَانَ » .

ونظرًا لأهمية هذا الركن العظيم؛ فقد أمر اللهُ نبيَّه -ﷺ- بقتال مَنْ لم يشهد أنْ لا إلهَ إلاّ الله، وأنّ محمّدًا رسولُ الله.

فَفِي «الصَّحِيْحَيْن»[٢] مِنْ حَدِيْث ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ الله -ﷺ-قَالَ : «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَام، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ الله تَعَالَىٰ».

وفي «صحيح مسلم»[٣] مِنْ حَدِيْث أَنَس بْنِ مَالِك -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله -ﷺ- يُغِيرُ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ ، وَكَانَ يَسْتَمِعُ الْأَذَانَ فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ وَإِلَّا أَغَارَ ، فَسَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ : اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ ، فَقَالَ رَسُولُ الله -ﷺ- : «عَلَىٰ الْفِطْرَةِ » ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٨)، وَمُسْلِمٌ (٢١).
(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٥)، وَمُسْلِمٌ (٢٢).
(٣) رواه مسلم (٣٨٢).

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- : «خَرَجْتَ مِنَ النَّارِ » فَنَظَرُوا فَإِذَا هُوَ رَاعِي مِعْزىً .

وفضائل كلمة التوحيد «لَا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ» أكثرُ من أنْ تُحصَرَ.

فمنها: أنّ مَنْ شهدَ أنْ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ، وأنّ مُحَمَّدًا رسولُ الله -ﷺ- فهو معصومُ الدَّم والمالِ و العِرْضِ إلاّ بحقِّه.

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[١] مِنْ حَدِيْث عَنْ عَبْدِ اللهِ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- : «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَّا بِإِحْدَىٰ ثَلَاثٍ : الثَّيِّبُ الزَّانِي ، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ** ».

ومنها أنّها سببٌ للفوز والفلاح.

أخرج ابن خزيمة في «صحيحه» بسند صحيح، صحّحه الوادعي في «الصحيح المُسند»[٢] عَنْ طَارِقِ الْمُحَارِبِيِّ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- مَرَّ فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، وَهُوَ يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**».

ومن فضائل كلمة التوحيد «لا إله إلاّ اللّهُ» أنها أثقلُ شيءٍ في الميزان :

فقد أخرج التِّرمذي في «سُننه»، وابن ماجَهْ بسند صحيحٍ، صحّحه الوادعي في «الصحيح المُسند» [٣] مِنْ حَدِيْثِ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمرو بْنِ الْعَاصِ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، قال: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمرو بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: « **إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ فَيَقُولُ : لَا يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ : أَفَلَكَ عُذْرٌ ، فَيَقُولُ : لَا يَا**

(١) رواه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦).
(٢) «صحيح ابن خزيمة» (١٥٩)، وصححه الوادعي في «الصحيح المُسند» (١/ ٣٨١).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجَهْ (٤٣٠٠)، وصححه الوادعي في «الصحيح المُسند» (١/ ٥٣٥).

رَبِّ ، فَيَقُولُ : بَلَىٰ إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَيَقُولُ : احْضُرْ وَزْنَكَ ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ قَالَ : فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ ، فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ ».

ومن فضائلها أنه تُفتحُ لها أبواب السماء :

ففي «سُنن الترمذي» بسندٍ حسن، حسَّنه الوادعيُّ في «الصحيح المُسند»[١] مِنْ حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- :« مَا قَالَ عَبْدٌ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ قَطُّ مُخْلِصًا إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ حَتَّىٰ تُفْضِيَ إِلَىٰ الْعَرْشِ مَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ ».

ومن فضائلها أنها سبب في الخروج من النار بعْدَ دخوله .

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[٢] مِنْ حَدِيثِ عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ : « يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إلا اللهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إلا اللهُ ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إلا اللهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ ».

ومن فضائلها أنها سَبَبٌ للنجاة من النار:

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[٣] مِنْ حَدِيثِ أَبِي عَنْ قَتَادَةَ قال: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ نَبِيَّ اللهِ -ﷺ- وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَدِيفُهُ عَلَىٰ الرَّحْلِ قَالَ : يَا مُعَاذُ ، قَالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ ، قَالَ: يَا مُعَاذُ ، قَالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ

(١) أخرجه الترمذي بسندٍ حسن (٣٥٩٠)، وأخرجه شيخنا الوادعي في «الصحيح المُسند» (٢/ ٣٣٤).
(٢) أخرجه البخاري (٤٤)، ومسلم (١٩٣).
(٣) أخرجه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

وَسَعْدَيْكَ ، **قَالَ : يَا مُعَاذُ** ، قَالَ :لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ ، قَالَ : «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَىٰ النَّارِ** » ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أُخْبِرُ بِهَا النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا ، قَالَ : « **إِذًا يَتَّكِلُوا**» ، فَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا » (أي تحرُّجًا وخوفًا من الإثم في كَتْم العلم).

وفي «صحيح مسلم»[١]مِنْ حَدِيْثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، أَنَّهُ قَالَ : ـ وهُو فِي المَوْتِ ـ: وَاللهِ مَا مِنْ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- لَكُمْ فِيهِ خَيْرٌ إِلَّا حَدَّثْتُكُمُوهُ ، إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا وَسَوْفَ أُحَدِّثُكُمُوهُ الْيَوْمَ وَقَدْ أُحِيطَ بِنَفْسِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- يَقُولُ : « **مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ** ».

ومن فضائل كلمة التوحيد «لَا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ» أنها سببٌ في دخول الجنة.

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[٢] من عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنْ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- قَالَ : « **مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ** ».

وفي «صحيح مسلم»[٣] مِنْ حَدِيْثِ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: « **مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إلا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ** ».

وفي «الصحيحين»[٤] مِنْ حَدِيْثِ **أَبِي ذَرٍّ** -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ -ﷺ- وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ وَهُوَ نَائِمٌ ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدْ اسْتَيْقَظَ ، فَقَالَ: « **مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لَا إِلَهَ**

(١) أخرجه مسلم (٢٩).
(٢) أخرجه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).
(٣) رواه مسلم (٢٦).
(٤) رواه البخاري (٧٤٨٧)، ومسلم (٩٤).

إِلَّا الله ثُمَّ مَاتَ عَلَىٰ ذَلِك إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ » ، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَق ، قَالَ : « وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَق » ، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَق ، قَالَ: « وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَق» ، قُلْتُ : وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَق ، قَالَ : « وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَق عَلَىٰ رَغْم أَنْف أَبِي ذَرٍّ ».

ومن فضائل كلمة التوحيد «لا إِلَهَ إلا اللّه» أنهـا سبب لنيل شفاعة المصطفى -ﷺ- .

ففي «صحيح البخاري»[١] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ الله عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ: « يَا رَسُولَ الله مَنْ أَسْعَدُ النَّاس بِشَفَاعَتك يَوْمَ الْقِيَامَة ؟ قَالَ : لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَة أَنْ لا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيث أَحَدٌ أَوْلَىٰ مِنْك ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِك عَلَىٰ الْحَدِيث ، إِنَّ أَسْعَدَ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَة مَنْ قَالَ : لا إِلَهَ إِلا الله خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِه ».

ومن فضائل كلمة التوحيد «لا إله إلاَّ اللّه» أنها أعظم سبب لمغفرة الذنوب، وتكثير الأُجور:

فَفِي «الصَّحِيْحَيْن»[٢] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ الله عَنْهُ-أَنَّ رَسُولَ الله، قَالَ : « مَنْ قَالَ : لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيك لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْم مِائَةَ مَرَّة كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْر رِقَاب ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَة، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَة ، وَكَانَ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَان يَوْمَهُ حَتَّىٰ يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِه إِلا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ».

ومن فضائل كلمة التوحيد «لَا إِلَهَ إِلَّا اللّه» أنّ ذكر «لَا إِلَهَ إِلَّا اللّه»، خيرٌ من الدنيا وما فيها:

ففي «صحيح مسلم»[٣] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ- : « لأَنْ أَقُول : سُبْحَانَ الله وَالْحَمْدُ لِلَّه وَلا إِلَهَ إِلا الله وَالله أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْه الشَّمْسُ».

وأستغفرُ الله.

---

(١) رواه البخاري (٩٩).
(٢) رواه البخاري (٦٤٠٣)، ومسلم (٢٦٩١).
(٣) رواه مسلم (٢٦٩٥).

الخُطبة الثَّانية:
شروطُ «لَا إلَهَ إلَّا اللّهُ»

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ علىٰ أشرف المرسلينَ:

أمَّا بَعْدُ،

أيّها الناس، تقدم الحديث معكم عن معنىٰ كلمة التوحيد، وشيء من فضائلها، والآن حديثي معكم عن شروطها.

أيّها الناسُ، لكلمة التوحيد «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» ثمانيةُ شروط، ذكرها أهل العلم، وهي كلُّها مأخوذة من كتاب الله، وسُنَّةِ رسول الله -ﷺ-، وسوف أذكرها بأدلتها، فأعيروني أسماعكم.

الشرطُ الأوَّلُ: العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا:

والمراد بالعلم هنا العلمُ المنافي للجهل بالمعنىٰ الذي دلَّت عليه، ولذلك قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦].

إذْ لابُدَّ من علم، أمّا أنْ يقولهَا الشخصُ، وهو لا يدري، فإنه لا يكون بذلك ناجيًا، ولا يكون بذلك مُسلمًا، ولو أن شخصًا، أعجميًّا كافرًا نصرانيًّا أو يهوديًّا أو مجوسيًّا سمع رجلاً يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» بالعربية، فقالها ـ لم يكن بذلك مسلمًا، حتىٰ يعلم معناها، ويعتقد ويعمل بمقتضاها.

وقوله-تعالىٰ-: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ فسَّرها ابنُ عبَّاس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- بقوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ يعني بـ«لا إلهَ

إلاَّ اللهُ». وهم يعلمون أي: يعلمون ما دلَّت عليه[١] .

وفي «صحيح مسلم» [٢] منْ حَديْث عُثْمانَ -رَضيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- : «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَم أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخلَ الجَنَّة**».

والجهل بمعناها - أَيُّها الناسُ - هو الذي أوقع كثيرًا من الناس في الشرك، حيث جهلوا معنىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، فجهلوا معنىٰ الإله، وأنّ الإله هو المعبود، وجهلوا مدلولَ النفي، ومدلولَ الإثبات، بعكس المشركين السابقين حيث كانوا يعرفون معناها؛لأنهم أهل الفصاحة والبلاغة، فرفضوها لمَّا قالها لهمُ النبيُّ -ﷺ- ، قالوا له: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ ﴾ [ص:٥].

أَيُّها الناسُ، هؤلاء المشركون عرفوا معناها، فيا لله! كم من أناس في زماننا جهلوا معناها، فعبدوا القبور، وعَكَفَوا عليها، ونذروا لأهلها، وذبحوا لهم، ودعوهم من دون الله، فإنا لله، وإنا إليه راجعون!.

الشرط الثاني : اليقين

أي: أن يقولها الشخصُ بيقين، فيتيقَّنُ قلبُهُ بها، ويعتقد صحّة ما يقوله. وضدُّ اليقين الشَّك والرَّيبُ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ ﴾ [الحجرات:١٥].

وفي «صحيح مسلم»[٣] منْ حَديْث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- : « **أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لا يُلْقَىٰ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إلا دَخَلَ الْجَنَّةَ** ». فمن قالها وهو شاكٌّ في صحّتها - كان بذلك كافرًا.

الشرط الثالث: القبول

والقبول ينافي الرَّدَّ، فلا يَرُدُّ شيئًا من معانيها، وقد كان زُعماءُ المُشركين

(١) انظر رسالة بعنوان «فاعلم أنه لا إله إلا الله» لبشر البشر (ص٣٤، ٣٥).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) رواه مسلم (٢٧).

يعرفون معنىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»،ويعرفون صِدْقَ النبي -ﷺ- ، ومع ذلك استكبروا عن قبول الحقِّ والهُدَىٰ.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الصافات: ٣٥].

وفي «الصحيحين»[١] مِنْ حَدِيْث ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ : « **أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَام ، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ -عزَّ وجلَّ-** ».

الشرط الرابع: الانقياد والاستسلام

أي: ينقاد لها، ويستسلمُ ويُذْعِنُ.

قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ ﴾ [الزمر:٥٤].

الشرط الخامس: الصِّدقُ المُنافي للكذب:

فأمَّا مَنْ قالها كاذبًا، فإنها لا تنفعُهُ. قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [العنكبوت:٣].

وقد أخبر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أن المنافقين كانوا يقولون: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ولكنهم في باطن الأمر يكذبون ، فَقَالَ -تَعَالَىٰ- : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾ [المنافقون:١].

الشرط السادس: الإخلاص:

أن يقولها بإخلاص، وضدُّ الإخلاص الشِّرك، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ ﴾ [الزمر:٢، ٣].

---

(١) رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

وَفِي «صَحِيْح البُخَارِيّ»[١] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وقد سُئِلَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- : مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِك؟ فَقَالَ: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ».

الشرط السابع: من شروط «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه» المحبة:

فيقولها المسلمُ مُحبًّا لها.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وفي «الصحيحين»[٢] مِنْ حَدِيْث عَنْ أَنَس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنْ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ : « **ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ ، مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ** ».

الشرط الثامن: الكفر بالطواغيت:

وهي المعبودات من دون الله ، فمن قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثمَّ عَبَدَ غير الله بدعاء، أو ذَبْح، أو نَذْر ـ فهو مشركٌ بالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- الشرك الأكبر.

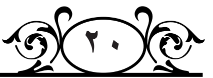
قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾ [البقرة:٢٥٦].

وفي «صحيح مسلم»[٣] مِنْ حَدِيْث طَارق بن أُشَيْم -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- : «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ حُرِّمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ** ».

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨].

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) رواه البخاري (٢١)، ومسلم (٤٣).
(٣) رواه مسلم (٢٣).





٢
ب - شهادةُ أنَّ محمّدًا رسولُ اللّه - ﷺ -

الخطبة الأولى:

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا، ومنْ سَيئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد -ﷺ- ، وشرَّ الأُمور مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّار.

أمّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عن شهادةِ «أنَّ محمَّدًا رسول الله»، والحديث عن هذه الكلمة العظيمة ذو شُجُونٍ.

أيُّها الناسُ، إنَّ معنىٰ هذه الكلمــة العظيمــة هو الاعتقــاد الجازم بأنَّ محمَّدًا رسولُ الله -ﷺ- مُرسلٌ من ربِّه، فنصدِّقه فيما أَخْبَرَ، ونطيعُهُ فيما أَمَرَ، ونترك ما نهىٰ عنه وزَجَرَ، ونَعْبدُ اللهَ بما شَرَعَ.

وقُرِنَتْ شهادة «أنَّ محمَّدًا رَسُولُ الله» بشهادة «أنَّ لَا إِلَهَ إلاَّ اللهُ» لِحِكَمٍ عظيمةٍ، ومعانٍ جليلةٍ تدلُّ عليها، ومنها:

الأمر الأوَّل ـ وُجوبُ محبّته -ﷺ-.

ومحبّتُهُ -ﷺ- أصل عظيمٌ من أصول الإيمان،فلا يكونُ المَرْءُ مُؤمنًا إلاَّ بها، ولا إيمانَ لمنْ لم يكنِ الرسول-ﷺ- أحبَّ إليه من ولدِهِ، ووالدِهِ، والناس أجمعين.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة:٢٤].

ومن أعظم مَنْ فسَّر هذه الآية القاضي عِياضٌ في كتابه الماتع «الشفاء بتعريف حقوق المصطفىٰ -ﷺ-»[١] .

قال -رَحِمَهُ اللهُ-: «فكفىٰ بهذا حضًّا وتنبيهًا ودلالة وحُجَّةً علىٰ إلزام محبَّته، ووجوب فرضها، وعِظَم خَطَرها، واستحقاقه لها-ﷺ-؛ إذْ قرَّع اللهُ مَنْ كان مالُهُ،وأهلُهُ، وولدُهُ أحبَّ إليه من الله ورسوله،وتوعَّدهم بقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ﴾، ثم فسَّقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممن أضلَّ،ولم يَهْدِهِ اللهُ».

وفي «الصحيحين»[٢] من حَديث عَنْ أَنَس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**».

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيّ»[٣] مِنْ حَدِيْث عَبْدَ اللهِ بْنَ هِشَامٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-

(١) «الشفاء» للقاضي عياض (ص١٨).
(٢) رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).
(٣) رواه البخاري (٦٦٣٢).

قَالَ :« كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ -ﷺ- وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: « **لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ** » ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ- « **الْآنَ يَا عُمَرُ** » .

قال الحافظ ابن حَجَر ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : «أي: الآن عرفت، فنطقت بما يجب»(١).

ومحبَّة النبي -ﷺ- أيُّها الناس هي موافقة لمُراد الله في محبَّته لنبيه -ﷺ- وتعظيمه له، فقد أقسم بحياتِه، فقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الحجر:٧٢].

كما أثنىٰ عليه، فقَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ- : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤].

واتخذه-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- خليلاً.

ففي «صحيح مسلم»(٢) مِنْ حَدِيْث عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- : « **لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا وَلَكِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَخِي وَصَاحِبِي ، وَلَقَدِ اتَّخَذَ اللهُ صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا** ».

أَلَا يا مُحِبَّ المُصْطفىٰ زِدْ صَبابَةً — وضَمِّخْ لسانَ الذِّكْرِ منك بِطِيْبِهِ

ولا تعْبَأَنَّ بالمُبطلين، فإنما — علامةُ حُبِّ اللهِ حُبُّ حَبِيْبِهِ

الأمر الثاني: طاعته -ﷺ-:

وهذا الأمر أَيُّهَا النَّاسُ ـ من أعظم لوازم محبّته والإيمان.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ

(١) «الفتح» (١١/ ٥٣٦).
(٢) رواه مسلم (٢٣٨٣).

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: ٣١، ٣٢].

وجاء أمر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- في وجوب طاعة الرسول -ﷺ-، فقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء:٨٠].

وأمر -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بالرَّد عند التنازع إلىٰ الله والرسول، فَقَالَ -تَعَالَىٰ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء:٥٩].

ومن اعتقد ـ أيُّها الناس ـ أنَّ أحدًا يَسَعُهُ الخروجُ عن طاعةِ الرسول -ﷺ-، أو الوصول إلىٰ الله من غير سلوكِ طريقته ـ فقد كفر.

قَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [النساء:٦٤].

فتبيَّن من ذلك ـ أيُّهَا النَّاسُ ـ أنَّ طاعةَ الرسول -ﷺ- هي دليلُ محبَّته، وكلَّما ازداد الحُبُّ زادت الطاعات؛ ولهذا قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ- : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران:٣١].

فالطاعة ثَمرةُ المحبَّة، وفي هذا يقول أحدُ الشُّعراء:

تَعْصِي الإلهَ وأنت تَزعُمُ حُبَّهُ ... ذاك لَعَمْري ـ في القياسِ بديعُ

لو كان حُبُّك صادِقًا لأَطَعْتَهُ ... إنَّ المُحبَّ لمَنْ أحبَّ مُطِيعُ

الأمر الثالث: تصديقه في كلِّ ما أخبرَ

وهذا الأمر ـ أيُّها الناسُ ـ أصل من أصول الإيمان بعصمة النبيِّ -ﷺ- من الكذب والبهتان، وتصديقه في كُلِّ ما أخبر من أمر الماضي، أو الحاضر، أو المستقبل.

قَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم: ٣، ٤].

وبهذا يُعْلَمُ ـ أيُّها الناسُ ـ أنَّه مَنْ ردَّ شيئًا ممَّا جاء به الرسول -ﷺ-، وكذَّبه فيه ـ فهو كافر، سواء كان ردُّهُ اتباعًا للهوىٰ، أو لشريعة منسوخة.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الزمر:٣٣].

وفي «صحيح مسلم»[(١)] من حَديْث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنْ رَسُول الله -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ: « **وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّد بِيَدِه، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذه الأُمَّة يَهُودِيٌّ وَلا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ؛ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ** ».

وأخرج الحاكمُ في «مستدركه» بسند صحيح، صحّحه الألبانيُّ لشواهده[(٢)] مِنْ حَدِيْث عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ:«لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ -ﷺ- إِلَىٰ الْمَسْجِد الأَقْصَىٰ أَصْبَحَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِذَلِك، فَارْتَدَّ نَاسٌ مِمَّنْ كَانُوا آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَسَعَوْا بِذَلِك إِلَىٰ أَبِي بَكْر-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، فَقَالُوا: هَلْ لَكَ فِي صَاحِبِكَ؟ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ فِي اللَّيْلِ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِس. قَالَ : أَوَ قَالَ ذلكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ ، قَالَ : لَئِنْ كَانَ قَالَ ذَلِك لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: وَتُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِس، وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟قَالَ : نَعَمْ ، إِنِّي لأُصَدِّقُهُ بِمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ : أُصَدِّقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ فِي غُدْوَةٍ أَوْ رَوْحَة ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَبو بَكْر الصِّدِّيقَ ».

وَفِي «صَحِيْح الْبُخَارِيّ»[(٣)] مِنْ حَدِيْث أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- يَقُولُ : « **بَيْنَمَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ عَدَا عَلَيْهِ الذِّئْبُ فَأَخَذَ**

---

(١) رواه مسلم (١٥٣).

(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٦٢)، وقال: صحيح الإسناد علىٰ شرط الشيخين،ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني لشواهده في «السلسلة الصحيحة» (٣٠٦).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٦٣).

مِنْهَا شَاةً فَطَلَبَهُ الرَّاعِي فَالْتَفتَ إِلَيْهِ الذِّئْبُ فقَالَ : مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ يَوْمَ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي وَبَيْنَمَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً قَدْ حَمَلَ عَلَيْهَا فَالْتَفتَتْ إِلَيْهِ فَكَلَّمَتْهُ فقَالَتْ : إِنِّي لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا وَلَكِنِّي خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ . قَالَ : النَّاسُ سُبْحَانَ الله ، قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ- : « فَإِنِّي أُومِنُ بِذَلِكَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- ».

الأمر الرابع ـ التحاكم إلى سنة النبي -ﷺ- :

وهذا الأمر ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أصل من أصول الإيمان، فلا إيمانَ لِمَنْ لم يحتكمْ إلىٰ شريعته، ويُسلِّم تسليمًا، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥].

وفي «الصحيحين»[1] مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- حَدَّثَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْ الأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- فِي شِرَاجِ الْحَرَّةِ الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: سَرِّحْ الْمَاءَ يَمُرُّ فَأَبَىٰ عَلَيْهِمْ .

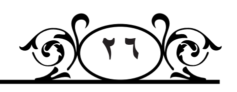
فَاخْتَصَمُوا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- لِلزُّبَيْرِ:« **اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسِلْ الْمَاءَ إِلَىٰ جَارِكَ** » فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ فقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ ، فَتَلَوَّنَ وَجْهُ نَبِيِّ اللهِ -ﷺ-، ثُمَّ قَالَ : «**يَا زُبَيْرُ اسْقِ ثُمَّ احْبِسْ الْمَاءَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَىٰ الْجَدْرِ**» .

فَقَالَ الزُّبَيْرُ : وَاللهِ إِنِّي لأَحْسِبُ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥].

وأستغفرُ اللهَ.

---

(١) رواه البخاري (٤٥٨٥)، ومسلم (٢٣٥٧) واللفظ له.



الخطبة الثانية:

الاتّــبــاع

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرف المرسلين، وعلى آله، وصحْبِهِ أجمعين.

أمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، تقدَّم الحديثُ معكمْ عن معنى شهادة «أنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ» فذكرت أربعة أُمورٍ، وهي:

وجوبُ محبَّته، وطاعتُه، وتصديقُهُ في كُلِّ ما أخبر، والتحاكمُ إلى سُنَّتِهِ.

وفيما يأتي الحديث عن الأمر الخامس، وهو: وجوب اتِّباعه.

واتِّباع النبيِّ -ﷺ- أحدُ ركائز دين الإسلام، بل إنَّ الإسلامَ يقوم على أصلين أساسيَّين، هما:

الإخلاص، والمتابعةُ:

فالإخلاصُ وإفرادُ الله بالعبادة هو حقيقةُ إيمان العبد وشهادته بأن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، والاتِّباعُ والتأسِّي برسول الله -ﷺ- هو حقيقة إيمان العبد وشهادته بأَنَّ محمَّدًا رسولُ الله.

فتبيَّن -أَيُّهَا النَّاسُ- أنَّه لا يتحقَّقُ إسلامُ عَبْدٍ، ولا يُقْبَلُ منه قولٌ، ولا عملٌ، ولا اعتقادٌ -إلَّا إذا حقق هذين الأصلين (الإخلاص، والاتِّباع)، وأتى بمقتضاهما.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

قال شارح الطحاويَّة: «فهما توحيدان، لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما:

توحيدُ المُرْسِلِ، وتوحيدُ متابعةِ الرَّسولِ»[1] .

ويُعرَّفُ الاتِّباعُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ بأنه: الاقتداء والتأسِّي بالنبيِّ -ﷺ- في الاعتقادات، والأقوال، والأفعال، والتروك ـ بعمل مثل عمله، علىٰ الوجه الذي عمله -ﷺ- من أجل أنه عمله.

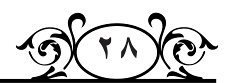
والاتِّباع ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ هو دليل محبة الله، ويدلُّ كذلك قولُ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّةَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «ممّا ينبغي التفطُّ له أنَّ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- قَالَ في كتابه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾، قَالَ طائفةٌ من السَّلف: ادَّعىٰ قومٌ علىٰ عَهْدِ رسولِ الله -ﷺ- أنهم يُحبُّون الله، فأنزل الله هذه الآية: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ فبيَّن ـ سُبْحَانَهُ ـ أنَّ محبَّته تُوجب اتباعَ الرسولِ -ﷺ-، وأنَّ اتِّباعَ الرسول -ﷺ- يُوجِبُ محبَّةَ اللهِ للعبد، وهذه محبَّةٌ امتحن اللهُ بها أهلَ دعوىٰ محبّة الله؛ فإنَّ هذا الباب تكثرُ فيه الدعاوىٰ والاشتباه»[2] .

ويقول ابن كثير: «هذه الآية حاكمة علىٰ كُلِّ مَن ادَّعىٰ محبَّةَ الله، وليس هو علىٰ الطريقة المحمَّديَّة، فإنَّه كاذبٌ في دَعْوَاهُ في نفس الأمر، حتىٰ يتبعَ الشَّرْعَ المحمَّديَّ، والدِّينَ المحمَّديَّ في جميع أقواله وأفعالِه»[3] .

وقال العلامة ابن القيم: «قال ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ إشارةً إلىٰ دليل المحبَّة، وثَمَرتها وفائدتها، فدليلها وعلامتها: اتِّباعُ الرسولِ، وفائدتها وثمرتُها:

(١) «شرح الطحاوية» (١/ ٢٢٨).
(٢)) «الفتاوىٰ لابن تيمية» (١٠/ ٨١).
(٣) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٣٥٨).



محبة المرسل لكم فما لم تحصل المتابعة فليست محبتكم له حاصلة، محبَّتُهُ لكم منتفية»(١) .

ويقول: «وثباتُها ـ أي محبَّة الله ـ في القلب إنَّما يكونُ بمتابعة الرسول في أعماله، وأقوالِهِ، وأخلاقِهِ، فبحسب هذا الاتِّباع يكونُ منشأُ هذه المحبَّةِ وثباتُها وقوَّتُها، وبحسب نُقْصانِهِ يكونُ نُقْصَانُها»(٢) .

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ حُبَّ اللهِ ليس كلماتٍ تُقال، ولا قصصًا تُرْوَىٰ، فكذلك محبَّة رسول الله -ﷺ- ليستْ دعوةً باللِّسان، ولا هيامًا بالوِجْدان وكفىٰ، بل لابُدَّ أنْ يُصاحبَ ذلك الاتِّباعُ لرسول الله -ﷺ-، والسَّيرُ علىٰ هُداه، فالمحبَّة ليستْ ترانيمَ تُغَنَّىٰ،ولا قصائدَ تُنْشَدُ، ولا كلماتٍ تُقالُ، ولكنها الاقتداءُ والتأسِّي به -ﷺ- ظاهرًا وباطنًا، فإنَّ الطرق إلىٰ الله كُلُّها مسدودةٌ إلاَّ طريقة ـ رسول الله -ﷺ-(٣) .

قال الجُنَيْدُ بْنُ محمَّد: «الطُّرقُ إلىٰ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- كُلُّها مسدودةٌ علىٰ الخلق إلا من اقتفىٰ أثرَ الرسول -ﷺ-، واتَّبع سنَّتَهُ، ولَزِمَ طريقَتَهُ؛ فإنَّ طُرقَ الخَيْرات كُلُّها مفتوحةٌ عليه، كما قَالَ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١](٤) .

اللّهُمَّ إنَّا نسألُك علمًا نافعًا ورزقًا طيبًا، وعملاً متقبَّلاً.
اللّهُمَّ مُصرِّفَ القُلوبِ صَرِّفْ قُلُوبنا علىٰ طاعتك.

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٢٢).
(٢) المرجع السابق (٣/ ٣٧).
(٣) انظر «دراسات تربوية في الأحاديث النبوية» لمحمد لقمان الأعظمي (ص٢٨، ٢٩) بتصرفٍ.
(٤) «الحلية» لأبي نعيم (١٠/ ٢٥٧)، «وتلبيس إبليس» لابن الجوزي (ص١٩).



٣ من مُعجزاتِ النبي -ﷺ-

الخطبة الأولى :

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيْئَاتِ أَعْمَالنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلا مُضلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْر الهَدْيِ هَدْيُ محمّد -ﷺ-، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها،وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ،وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ،وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، إنّ الله-سُبْحَانَهُ وَتعالَى- أيَّدَ أنبياءَهُ ورُسُلَهُ من المُعجزاتِ الباهراتِ، والدَّلائلِ القاطعات، والحُجَجِ الواضحات ـ ما يدُلُّ على صدْقِ دعواهُمْ أنَّهم رُسُلُ الله، فأعطى اللهُ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- كُلَّ نبيٍّ من الأنبياء ـ عليهم السلامُ ـ مُعْجزةً خاصَّةً به، لم يُعْطِهَا غَيْرَهُ تحدَّى بها قَوْمَهُ، وكانت مُعْجزةُ كلِّ نبيٍّ تقعُ مُناسبةً لِحالِ قومِهِ، وأهل زمانه.

فالغالب علىٰ زمان مُوسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلَام السِّحْرُ، فبعثه الله بمعجزةٍ بَهَرَتِ الأبصارَ، وحيَّرَت كُلَّ سَحَّارٍ.

والغالبُ علىٰ زمان عيسىٰ -عَلَيْهِ السَّلَام- الأطباءُ، فجاءهم من الآيات البيِّنات بما لا قِبَلَ لهم به،ولا سبيل لأحدٍ عليه، وهو شفاءُ الأمراضِ المُسْتعصية: كالأكْمَهِ، والأَبْرَصِ، بل وإحياء الموتىٰ بإذْنِ الله.

وأمَّا نبيُّنا محمَّدٌ -ﷺ- فقد بُعِثَ في زمانِ الفصَحَاءِ والبُلَغاءِ، وتجاريد الشعراءِ ـ فأتاهم بكتابٍ من عند الله-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، فتحدَّاهم ودعاهم أن يُعَارِضُوهُ، ويَأْتوا بمثله، وليستعينوا بمن شاءوا، وهَيْهات!.

قَالَ اللهُ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-:﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الطور:٣٣ - ٣٤].

أَيُّهَا النَّاسُ ، لقد كان ادِّعاء هؤلاء الفُصَحاء أنَّ القُرآنَ مَحْضُ افتراء، فتحدَّاهم اللهُ أنْ يأتوا بمثله، فعجزوا عن ذلك، فتقاصر معهم إلىٰ عَشْرِ سُورٍ منه، ثمَّ أعاد التحدِّي إلىٰ سورةٍ واحدةٍ، فعجزوا أن يأتوا بآيةٍ واحدةٍ!.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [هود: ١٣].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [يونس: ٣٨].

وكما أعاد الله-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- التحدِّي في سورةِ يُونُسَ وهي مكيّة، أعاد التحدِّي في سورة البقرة، وهي مدنيَّة، وأخبر-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَإِن كُنتُمۡ

فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [٢٣ - ٢٤].

وفي هذا المعنىٰ يقول الحافظ ابن كثير ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «بيَّن ـ تعالىٰ ـ أنَّ الخلق عاجزُونَ عن معارضَةِ هذا القرآن، بل عن عَشْرِ سُور مثله، بل عن سورةٍ منْه، وأنَّهم لا يستطيعون ذلك أبدًا كما قال تعالىٰ: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ﴾ أي فإن لم تفعلوا في الماضي، ولن تستطيعوا ذلك في المستقبل، وهذا تحدٍّ ثانٍ، وهو أنَّه لا يُمْكِنُ معارضَتُهُمْ لهُ لا في الحال، ولا في المآل، ومِثْلُ هذا التَّحدي إنَّما يَصْدُرُ عن واثق بأنَّ ما جاء به لا يمكنُ للبشر مُعارضَتُهُ، ولا الإتيانُ بمثلِه، ولو كان من متقوِّلٍ من عند نفسه لخاف أن يُعارضَ فيفتضحَ، ويعودَ عليه نقيضُ ما قَصَدَ من متابعةِ النَّاسِ لَهُ.

ومعلومٌ لكل ذي لُبٍّ أنَّ محمَّدًا -ﷺ- من أعْقَلِ خَلْق الله، بل أعْقَلُهُمْ وأكْمَلُهُمْ علىٰ الإطلاق في نفس الأمر، فما كان لِيُقْدِمَ علىٰ هذا الأمر إلا وهو عالمٌ بأنَّه لا يمكن معارضَتُهُ، وهكذا وقَعَ؛ فإنَّهُ من لَدُن رسُولِ الله -ﷺ-، وإلىٰ زماننا هذا لم يستطع أحدٌ أن يأتي بنظيره، ولا نظير سُورةٍ منه، وهذا لا سبيلَ إليه أبدًا؛ فإنه كلامُ ربِّ العالمين الذي لا يُشْبِهُهُ شيءٌ من خلقه: لا في ذاتِهِ، ولا في صفاتِه، ولا في أفعالِه، فأنَّىٰ يُشْبهُ كلامُ المخلوقين كلامَ الخالق؟!»[1].

أيُّهَا النَّاسُ، إنَّ المُعجزَاتِ لنبيِّنا -ﷺ- كثيرة، لكنَّ أجلَّها وأعظمها القرآن الكريمُ، وفيه الكفاية لمن أراد الله له الهداية إلىٰ الصراط المستقيم، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [العنكبوت: ٥١].

(١) «البداية والنهاية» (٦/ ٦٥، ٦٦).

وفي «الصحيحين»[1]: مِنْ حَدِيْث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: «**مَا مِنْ الْأَنْبِيَاء نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

والمعنىٰ: أنَّ المُعجزات التي أُوتيها الأنبياء قد انتهت بانتهاء وقتِها، أمَّا مُعجزة القرآن فباقيةٌ مستمرةٌ إلىٰ يوم القيامة.

قال الحافظ ابن حجر ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «وقد جَمعَ بَعْضُهم إعجازَ القرآنِ في أربعة أشياء:

أحدها: حُسْنُ سياقِه والتئام كَلِمِه مع الإيجاز والبلاَغَة.

ثانيها: صُورةُ سِياقِه وأُسلُوبِه المخَالِفِ لأساليب أهل البلاغةِ من الرب نظمًا ونثرًا، حتّىٰ صارتْ فيه عُقُولُهم، ولم يهتدوا إلىٰ الإتيان بشيءٍ مثله مع توفُّرِ دواعيهم علىٰ تحصيل ذلك، وتَقْرِيعِه لهم علىٰ العَجزِ عنه.

ثالثها: ما اشْتمَلَ عليه من الإخبْار عمّا مضىٰ من أحوالِ الأُمم السَّالِفَةِ والشرائعِ الداثِرةِ، ممّا كان لا يَعْلمُ منهُ بَعْضَهُ إلاّ النَّادِرِ من أهلِ الكتاب.

رابعها: الإخبارُ عمّا سيأتي من الكوائنِ التي وقع بعضُها في العصر النبويِّ، وبعضُهَا بَعْدَهُ.

ومن غير هذه الأربعة آياتٌ وردت بتعجيز قوم في قضايا أنَّهم لا يفعلونها، وعجزوا عنها مع توفر دواعيهم علىٰ تكذيبه: كتمنِّي اليهودِ الموتَ، ومنها الرَّوعَةُ التي تَحْصُلُ لسامعيه، وفيها أنَّ قارئهُ لا يَمَلُّ من تَرْداده، وسامعَهُ لا يَمُجُّهُ، ولا يزداد بكْثرةِ التكرار إلا طراوةً ولذاذةً. ومنها أنه آيةٌ باقيةٌ ما بَقِيَتِ الدُّنيا، ومنها جمْعُه لعُلوُم ومعارفَ لا تنقضي عجائبُها، ولا تَنْتَهي فوائدُها»[2].

(١) «صحيح البخاري» (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢).
(٢) انظر «فتح الباري» (٨/ ٦٢٣، ٦٢٤)، وقد لخَّص الحافظ ذلك من كلام عِياض وغيره.

أَيُّهَا النَّاسُ ، ومن مُعجزات النبي -ﷺ- مُعجزة الإسراء والمعراج :

والحديث عن معجزة الإسراء والمعراج ذو شُجُونٍ، بل يحتاج إلىٰ خطبةٍ كاملة، ولكن شُهْرتها تغني عن سردها، فهي صحيحة رواها الإمام مسلم[١] مِنْ حَدِيْث أَنَس بْن مَالك -رَضيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ الله -ﷺ- قَالَ : « **أُتيتُ بِالْبُرَاق، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَىٰ طَرْفِه ، قَالَ : فَرَكِبْتُهُ حَتَّىٰ أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِس ، قَالَ: فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَة الَّتِي يَرْبِطُ بِه الْأَنْبِيَاءُ ، قَالَ : ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيه رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ -عَلَيْهِ السَّلَام- بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ ، فَقَالَ جِبْرِيلُ -ﷺ- : اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ ـ وفيه ـ ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَىٰ السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَة ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَال ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ الله مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ الله يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا ، فَأَوْحَىٰ اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَىٰ** ».

أَيُّهَا النَّاسُ ، هذه مُعجزة الإسراء والمعراج التي أَيَّدَ اللهُ بها نبيّنا ـ محمّدًا -ﷺ-، اضطررتُ لاختصارها لشهرتها؛ ولأن في سردها تحتاج إلىٰ خطبة كاملة.

ومن معجزات النبي -ﷺ- رَفعُ بيت المقدس؛ حتى يَراهُ وهو بمكة ـ:

ففي «صحيح مسلم»[٢] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ- : « **لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَأَنَا فِي الْحِجْرِ ، وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلُونِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْت الْمَقْدِس لَمْ أُثْبِتْهَا ، فَكُرِبْتُ كَرْبًا مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ ، فَرَفَعَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ** ».

ومن معجزات النبيِّ -ﷺ- انشقاق القمر:

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[٣] مِنْ حَدِيْثِ أَنَس بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ أَهْلَ

(١) رواه مسلم (١٦٢).
(٢) رواه مسلم (١٧٢).
(٣) رواه البخاري (٣٨٦٨)، ومسلم (٢٨٠٢).

مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ -ﷺ- أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً ، «**فَأَرَاهُمُ الْقَمَرَ شِقَّتَيْنِ حَتَّىٰ رَأَوْا حِرَاءً بَيْنَهُمَا** ».

وقد ذكر الله -عزَّ وَجَلَّ- هذه المُعجزة في كتابه العزيز، فقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥﴾ [القمر:١-٥].

أَيُّهَا النَّاسُ ، إنَّه مع عِظم هذه المعجزة، فإنَّ أهل مكّة استمرُّوا علىٰ كُفرهم وإعراضهم، وقالوا: سَحَرنَا محمّدٌ، لكن العقلاء منهم قالوا: لئن كان سَحَرنا ما يستطيع أنْ يَسْحَرَ النّاس كُلَّهم، فسألوا مَنْ قَدِمَ عليهم من المسافرين، فأخبروهم بنظير ما شاهدوه، فعلموا صحَّة ذلك.

ومن معجزات النبيِّ -ﷺ- تكثيرُهُ الماء، ونبعُهُ مِنْ بَيْنِ أصابعه الشريفة -ﷺ-:

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[(١)] مِنْ حَدِيْث جَابِر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَة وَرَسُولُ الله -ﷺ- بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ (أي: إناءٌ صغيرٌ من جلْدٍ يشربُ منه الماءَ) فَتَوَضَّأَ مِنْهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ النَّاسُ نَحْوَهُ (أي: فَزِعُوا إليه من شدَّة العَطَش) فَقَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: « **مَا لَكُمْ** » قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ بِهِ وَلَا نَشْرَبُ إِلَّا مَا فِي رَكْوَتِكَ، قَالَ: فَوَضَعَ النَّبِيُّ -ﷺ- يَدَهُ فِي الرَّكْوَة فَجَعَلَ الْمَاءُ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِه كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ ، قَالَ: فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا، فَقُلْتُ لِجَابِرٍ: كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ ؟ ، قَالَ: لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً ».

ومن معجزات النبي -ﷺ- تكثيرُهُ الطَّعامَ والشَّرابَ:

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[(٢)] مِنْ حَدِيثِ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- يَقُولُ

(١) رواه البخاري (٣٥٧٦)، ومسلم (١٨٥٦).
(٢) رواه البخاري (٤١٠٣)، ومسلم (٢٠٣٩) واللفظ له.

لَمَّا حُفِرَ الْخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِرَسُولِ الله -ﷺ- (أي جوعًا)، فَانْكَفَأْتُ (أي رَجعْتُ) إِلَىٰ امْرَأَتِي فَقُلْتُ لَهَا هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ الله -ﷺ- خَمَصًا شَدِيدًا فَأَخْرَجَتْ لِي جِرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ قَالَ فَذَبَحْتُهَا وَطَحَنَتْ فَفَرَغَتْ إِلَىٰ فَرَاغِي فَقَطَّعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَىٰ رَسُولِ الله -ﷺ- فَقَالَتْ لَا تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ الله -ﷺ- وَمَنْ مَعَهُ قَالَ فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله إِنَّا قَدْ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا وَطَحَنَتْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنَا فَتَعَالَ أَنْتَ فِي نَفَرٍ مَعَكَ فَصَاحَ رَسُولُ الله -ﷺ- وَقَالَيَا أَهْلَ الْخَنْدَقِ إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ لَكُمْ سُورًا فَحَيَّ هَلًا بِكُمْ «أي الطعام الذي يُدعىٰ إليه» فَحَيَّهَلاَ بكم».

وَقَالَ رَسُولُ الله -ﷺ- لَا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ وَلَا تَخْبِزُنَّ عَجِينَتَكُمْ حَتَّىٰ أَجِيءَ فَجِئْتُ وَجَاءَ رَسُولُ الله -ﷺ- يَقْدَمُ النَّاسَ حَتَّىٰ جِئْتُ امْرَأَتِي فَقَالَتْ بِكَ وَبِكَ (قال أهل العلم: أي: ذَمَّتْهُ وَدعَتْ عليه، ومعناه: بك تَلْحَقُ الفضيحةُ، ويتعلق الذَّمُّ. وقيل: معناه جرىٰ هذا برأيك، وسُوءِ نَظَرِك؛ إذ كيف تدعو أهلَ الخندق كُلَّهم إلىٰ صاع من شعير وبُهَيمة ـ وهي الصغيرة من أولاد الضَّأنِ ـ ؟).

فَقُلْتُ قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتِ لِي (أي أنه أخبر النبيَّ -ﷺ- بما عنده من طعام وهو أعلمُ بالمصلحة) فَأَخْرَجْتُ لَهُ عَجِينَتَنَا فَبَصَقَ فِيهَا وَبَارَكَ ثُمَّ عَمَدَ إِلَىٰ بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ فِيهَا وَبَارَكَ ثُمَّ قَالَ ادْعِي خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعَكِ وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلَا تُنْزِلُوهَا » (أي اغرفي من الطعام وهو في مكانه) وَهُمْ أَلْفٌ فَأُقْسِمُ بِالله لَأَكَلُوا حَتَّىٰ تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا (أي شَبِعُوا وانصرفوا)، وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ (أي تَغْلي ويُسمعُ غَلَيانُها) وَإِنَّ عَجِينَتَنَا أَوْ كَمَا قَالَ الضَّحَّاكُ لَتُخْبَزُ كَمَا هُوَ!» (أي كما هو: يعودُ إلىٰ العجين).

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية:

من معجزات النبي -ﷺ-

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلام علىٰ رسول الله -ﷺ- وعلىٰ آلِه وصَحْبه أجمعين،والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا النَّاسُ، سبق بيانُ شيءٍ من معجزات نبيّنا -ﷺ-، وفيما يأتي ذِكْرُ بعضِها.

فمن ذلك تسليمُ الحَجَر عليه -ﷺ-:

ففي «صحيح مسلم»[1]، منْ حَديْث جَابر بْن سَمُرَةَ-رَضيَ الله عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله-ﷺ-: «**إِنِّي لأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لأَعْرِفُهُ الآنَ**».

قال الإمام النووي[2]- رَحِمَهُ اللهُ - مُعلِّقًا علىٰ هذا الحديث: «فيه معجزةٌ له -ﷺ- وفي هذا إثباتُ التمييز في بعض الجمادات، وَهُوَ مُوافِقٌ لِقَوْلِه -تَعَالَىٰ- في الحجارة: ﴿وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة: ٧٤]. وقَوْله-تَعَالَىٰ-: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ﴾ [الإسراء:٤٤].

ومن معجزاته -ﷺ- تَسبِيحُ الطَّعام بَحضْرته -ﷺ-:

ففي «صحيح البخاري»[3] منْ حَديْث عَبْدُ الله بْن مَسْعُودٍ -رَضيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ الآيَاتِ بَرَكَةً، وَأَنْتُمْ تَعُدُّونَهَا تَخْوِيفًا، كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ -ﷺ-

(١) رواه مسلم (٢٢٧٧).
(٢) شرح النووي علىٰ مسلم (١٥/ ٣٦، ٣٧).
(٣) «صحيح البخاري» (٣٥٧٩).

فِي سَفَرٍ ، فَقَلَّ الْمَاءُ ، فَقَالَ : « **اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ** ». فَجَاءُوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ ، ثُمَّ قَالَ : « **حَيِّ عَلَىٰ الطَّهُورِ الْمُبَارَكِ ، وَالْبَرَكَةُ مِنَ اللهِ** » .

فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ .

ومن معجزاته -ﷺ- إخبارُهُ بأمورٍ وقعت بَعيدًا عنه وقتَ وقوعها:

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : « نَعَىٰ النَّبِيُّ -ﷺ- النَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ، خَرَجَ بِهِمْ إِلَىٰ الْمُصَلَّىٰ ، فَصَفَّ بِهِمْ، وَكَبَّرَ أَرْبَعًا » .

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»[2] مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- نَعَىٰ زَيْدًا ، وَجَعْفَرًا ، وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ ، فَقَالَ : « **أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ** ، (أي قُتل وذلك يَوْمَ مؤته) **ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ ، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ حَتَّىٰ أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ حَتَّىٰ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ** ».

ومن معجزاته -ﷺ- إخبارُهُ عن أُمورٍ لم تكن حدثتْ فحدثت بعد ذلك:

فأخبر -ﷺ- أنَّ كِسرىٰ سَيَهْلِكُ، ولن يكون هناك كِسرىٰ بَعْدَهُ، وكذلك قَيْصرُ، فوقع الأمرُ كما أخبر -ﷺ-.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[3] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: « **إِذَا هَلَكَ كِسْرَىٰ فَلَا كِسْرَىٰ بَعْدَهُ وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتُنْفِقُنَّ كُنُوزَهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ** » .

(١) رواه البخاري (١٣٢٧)، ومسلم (٩٥١).
(٢) رواه البخاري (١٢٤٦).
(٣) رواه البخاري (٦٢٢٩)، ومسلم (٢٩١٩).

ومن معجزاته -ﷺ- حَنِينُ الجِذْعِ إليه:

ففي «صحيح البخاري»[(١)] مِنْ حَدِيْث جَابِر بْن عَبْد الله -رَضِيَ الله عَنْهُمَا- أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَىٰ شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ من الْأَنْصَارِ أَوْ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله أَلَا نَجْعَلُ لَكَ مِنْبَرًا قَالَ: «**إِنْ شِئْتُمْ**» فَجَعَلُوا لَهُ مِنْبَرًا فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ دُفِعَ إِلَىٰ الْمِنْبَرِ فَصَاحَتْ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ -ﷺ- فَضَمَّهُ إِلَيْهِ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّنُ، قَالَ: «**كَانَتْ تَبْكِي عَلَىٰ مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنْ الذِّكْرِ عِنْدَهَا**».

أَيُّهَا النَّاسُ، لا شكَّ أنَّ مُعجزاتِ النَّبيِّ -ﷺ- أكثرُ من أنْ تتضمَّنها خُطبةٌ، بل أكبرُ من أن يَتَضمَّنَها كتابٌ، ومَنْ أراد التوسُّع في ذلك فعليه بكتب دلائل النُّبوَّةِ، وخاصَّةً كتاب «دلائل النَّبوَّةِ» لمحدِّثِ اليَمَنِ الشيخ مُقْبِلِ بن هادي الوادعيِّ ــ رَحِمَهُ الله ـ فهو كتابٌ مفيدٌ في بابه.

أَيُّهَا النَّاسُ، إن شَأن المُؤمنِ أمام هذه المُعجزات أنَّه يَزْدَادُ إيمانًا مع إيمانه، ولا يَسَعُهُ إلاَّ التَّصديقُ، وإذا ازداد المؤمنُ مَعْرفةً بالمعجزات، فإنّما يكون ذلك طَلَبًا لزيادة الطُّمأنينة لقلبه كما قال الخليل إبراهيم -ﷺ-: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

أيُّها الناسُ، إنَّه متىٰ عرف المؤمن شيئًا من الآيات البيِّنات، والمعجزات الباهرات، ازداد إيمانًا إلىٰ إيمانه، كما قَالَ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التوبة: ١٢٤].

---

(١) رواه البخاري (٣٥٨٤).

وذكر الله حالَ الكُفَّار حِيالَ المُعجزاتِ، فقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٥].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [يونس: ٩٦ـ٩٧].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجر: ١٤ـ١٥].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٣٢].

اللّهُمَّ زدنا معرفةً بمعجزات نبيك ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وزِدْنا بها طُمَأنينةً لقلوبنا، وإيمانًا إلىٰ إيماننا، ياربَّ العالمين.



٤

خصائصُ النبي -ﷺ-

الخطبة الأولى

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنا، ومنْ سَيِّئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْيِ هَدْيُ محمّد -ﷺ-، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعدُ أيُّها النَّاس، حديثي معكمُ اليومَ عنْ خصائص النبيِّ -ﷺ- والخصائص ـ أيُّها الناسُ ـ هي ما اختصَّ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- نبيَّه وفضَّله به علىٰ سائر الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وكذلك سائر البشر.

ومعرفتها تجعلنا نزداد إيمانًا ومحبَّةً وتبجيلاً لنبينا -ﷺ-.

وممَّا اختصَّ به نبيّنا -ﷺ- من خصائص في الدنيا أنَّ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أخذ العهد والميثاق علىٰ جميع الأنبياء والمرسلين ليؤمننَّ به، كما أمرهم أن يأخذوا هذا الميثاق علىٰ أُمَمِهم.

فقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١].

وفي «مُسند أحمد» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «المشكاة»[١] مِنْ حَدِيْث عَنْ جَابر بْن عَبْد الله -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَتَىٰ النَّبِيَّ -ﷺ- بِكِتَاب أَصَابَهُ مِنْ بَعْض أَهْلِ الْكُتُب، فَقَرَأَهُ عَلَىٰ النَّبِيِّ -ﷺ- ، فَغَضِبَ ، وَقَالَ : « **أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّاب ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً ، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِه ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِه ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه ، لَوْ أَنَّ مُوسَىٰ كَانَ حَيًّا ، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي** » ومعنىٰ مُتَهَوِّكون: أي: مُتَحيِّرون.

ومن خصائصه -ﷺ- أن رسالته رسالةٌ عامَّةٌ:

قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨].

وفي «الصحيحين»[٢] مِنْ حَدِيْث عَنْ جَابر بْن عَبْد الله -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- قَالَ : « **أُعْطِيتُ خَمْسًا ، لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاء قَبْلِي : نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ**

(١) رواه الإمام أحمد (٣/ ٣٨٧)، وحسنه الألباني لشواهده في «الإرواء» (١٥٨٩)، وانظر «المشكاة» (١/ ٦٣).

(٢) رواه البخاري واللفظ له ـ انظر «الفتح» (١/ ٥٥٣)، ومسلم (٥٢١).

أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ ، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ ، وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَىٰ النَّاسِ عَامَّةً ».

ومن خصائصه -ﷺ- أنَّ الله -سُبْحَانَهُ وتَعَالَى- ختم به النُّبوة:

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ- : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وفي «صحيح مسلم»[١] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- ، قَالَ :« فُضِّلْتُ عَلَىٰ الأَنْبِيَاءِ بِستٍّ : أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا ، وَأُرْسِلْتُ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً ، وَخُتِمَ بِيَ الأَنْبِيَاءُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِمْ -».

ومن خصائصه -ﷺ- أن الله -سُبْحَانَهُ وتَعَالَى- أرسله رحمةً للعالمين:

قَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

قال بعضُ العلماء في قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾: لجميع الخلق: للمؤمن رحمةً بالهداية، ورحمةً للمنافق بالأمان من القتل، وللكافر بتأخير العذاب»[٢] .

وفي «صحيح مسلم»[٣] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ قَالَ:«إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا ، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً ».

ومن خصائصه -ﷺ- أنَّ الله -سُبْحَانَهُ وتَعَالَى- أقسم بحياته :

ولم يقسم بحياة أحدٍ من البشر غيره، وهذا يدلُّ علىٰ شرف حياته عند الْمُقْسِمِ بها، قَالَ اللهُ -وَتَعَالَىٰ- : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الحجر:٧٢] .

(١) رواه مسلم (٥٢٣).
(٢) انظر «الشفاء» للقاضي عياض (١/ ٥٧).
(٣) رواه مسلم (٢٥٩٩).

ومن خصائصه -ﷺ- أن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- خاطبه بالنبوة:

والرسالة: زيادةً في التشريف دون سائر الأنبياء والمرسلين.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ ﴾ [المائدة:٤١].

وقَالَ اللهُ -عزَّ وَجلَّ-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال:٦٤].

ومن خصائصه -ﷺ- أنَّ الله-تعَالَى- نهى المؤمنين عن مُناداته باسمه:

بل يخاطبونه يا رسولَ الله، يا نبيَّ الله.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ ﴾ [النور:٦٣].

ومن خصائصه -ﷺ- أنَّه أُوتي جَوامعَ الكَلم،واخْتُصِرَ له الحديث اختصارًا، ونُصِرَ بالرُّعبِ مسيرةَ شَهْرٍ، وجُعِلَتْ له الأرضُ مسجدًا وطهورًا:

ففي «صحيح مسلم»[1] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ-، قَالَ: «**فُضِّلْتُ عَلَىٰ الْأَنْبِيَاءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ الْأَنْبِيَاءُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِمْ-**».

ومن خصائصه -ﷺ- أنَّ مفاتيحَ خزائنِ الأرض بيدِه:

وهي ما سهَّلَ الله-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- له ولأمَّته من بَعْدِه.

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[2] مِنْ حَدِيْث عَنْ عُقْبَةَ بْن عَامِر-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَىٰ أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَىٰ الْمَيِّتِ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَىٰ

(١) تقدم تخريجه.
(٢) رواه البخاري (٦٥٩٠)، ومسلم (٢٢٩٦).

الْمنبَر فقَالَ: «إنِّي فرَطُكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ إنِّي وَاللهِ لَأَنْظُرُ إلَىٰ حَوْضِي الْآنَ، وَإنِّي قَدْ أُعْطِيتُ خَزَائِنَ مَفَاتِيحِ الْأَرْضِ، وَإنِّي وَاللهِ مَا أَخَافُ بَعْدِي أَنْ تُشْرِكُوا، وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا».

ومن خصائصه -ﷺ- أنَّ الله غفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّرَ:

قال الله -سُبْحَانَهُ وتَعالَىٰ-: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:١، ٢].

قال ابن كثير ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «هذا من خصائصه -ﷺ- التي لا يشاركه فيها غَيْرُهُ وليس في حديث صحيح في ثواب الأعمال لغيره: غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه، وما تأخَّرَ، وهذا فيه تشريف لرسول الله -ﷺ-»[1].

ومن خصائصه -ﷺ- أنَّ مُعجزة كُلِّ نبيٍّ تصرَّمَتْ وانقرضت، ومعجزاتُه محفوظةٌ بحفظ الله:

قال الله -تعالىٰ-: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾[الحجر:٩].

ومن خصائصه -ﷺ- مُعجزة الإسراء والمعراج:

فقد أُسْرِيَ به -ﷺ- ببدنه وروحه يقظة من المسجدِ الحرام بمكّةَ إلىٰ المسجدِ الأقصىٰ وهو ببيت المقدس في جُنْحِ الليل، ثمَّ عُرِجَ به إلىٰ سِدْرَةِ المُنْتهىٰ، ثمَّ إلىٰ حيثُ شاء الله-سُبْحَانَهُ وتَعالَىٰ-، ورَجَعَ مكَّةَ منْ لَيْلتِهِ.

قَالَ الله -سُبْحَانَهُ وتَعالَىٰ-: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾ [الإسراء:١].

أَيُّهَا النَّاسُ، تلك بعض خصائص نبيِّنا محمَّدٍ -ﷺ- في ا لدنيا.

---

(١) انظر «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٩٨).

وقد اختصَّ رسول الله -ﷺ- بخصائص في الآخرة، ولم يُعْطَهَا غَيْرُهُ من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ممَّا يدلُّ علىٰ منزلته وعظيم قدره عند ربِّه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، ومن ذلك الوسيلة والفضيلة، والمقام المحمود، والحوض، والكوثر، واللِّواء، وغيرُ ذلك.

فمن خصائصه -ﷺ- في الآخرة أنَّ الله -عزَّ وجلَّ- يُعطيه الوسيلة والفضيلة:

وهي أعلىٰ دَرَجةٍ في الجنَّة، لا ينالُها إلا عبدٌ واحدٌ من عباد الله، وهو رسولنا -ﷺ-.

ففي «صحيح البخاري»[1] مِنْ حَدِيْث جَابِر بْن عَبْدِ الله -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ- «**مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

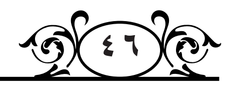
ومن خصائصه -ﷺ- في الآخرة المقام المحمودُ:

ومن ذلك المقام المحمود ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الذي يَقُومُهُ -ﷺ- فَيَحْمَدُهُ الخالقُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، والخلائقُ من بعده، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾[الإسراء: ٧٩].

والمراد بالمقام المحمود ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ: هو الشفاعة، قال ابن عباسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: «المَقَامُ المَحْمُودُ: مَقَامُ الشَّفَاعَةُ»[2].

قال ابن بطال ــ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «والجمهور علىٰ أنَّ المُراد بالمقام المحمود الشفاعة، وبالغ الواحدي فنقل فيه الإجماع»[3].

(١) رواه البخاري (٦١٤).
(٢) رواه ابن جريرٍ انظر «التفسير» (١٥/ ٩٧)، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٨).
(٣) «فتح الباري» (١١/ ٤٣٤).



ومن خصائصه ﷺ في الآخرة، أنَّ اللّه -تَعَالَى- أعطاه دعوةً مستجابةً؛

فجعلها للمُذْنبين من أُمَّته لكونهم أحوجَ إليها من الطائعين، وهذا من كمال شفقته علىٰ أُمَّته، ورَأفَتِه بهم.

فَفِي «الصَّحِيْحَيْن»[1] مِنْ حَدِيْث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- : « **لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ ، مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا** » .

وأستغفر الله.

---

(١) رواه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (١٩٩) واللفظ له.

الخطبة الثانية :

خصائصُ النبي -ﷺ- دون أمته

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين، وعلىٰ آله، وصَحْبِهِ أجمعين.

أمَّا بَعْدُ،

أَيُّهَا النَّاسُ، تقدَّم الحديثُ حَوْلَ ما اختصَّ به نبيُّنا محمَّدٌ -ﷺ- عن إخوانه من الأنبياء والمرسلين.

والآن حديثي معكمْ حولَ ما اختصَّ به -ﷺ- دُوْنَ أُمَّتِهِ، وقد شاركه في بعضها إخوانُهُ الأنبياء.

فمن خصائصه -ﷺ- دُونَ أمَّتِه الوِصَالُ في الصِّيام.

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[(١)] مِنْ حَدِيْثِ قَتَادَةُ عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنْ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ : « **لَا تُوَاصِلُوا** » قَالُوا : إِنَّكَ تُوَاصِلُ قَالَ : « **لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنْكُمْ إِنِّي أُطْعَمُ وَأُسْقَىٰ أَوْ إِنِّي أَبِيتُ أُطْعَمُ وَأُسْقَىٰ** ».

قال النووي: «قال الخطَّابيُّ وغيرُهُ من أصحابنا: الوِصَالُ من الخصائص التي أُبيحتْ لرسول الله -ﷺ- وَحُرِّمَتْ علىٰ الأمَّةِ»[(٢)] .

ومن خصائصه -ﷺ- دون أمَّته الزواجُ من غير وليٍّ ولا شُهُود:

لقد انفرد رسول الله -ﷺ- عن أمَّته في هذين الحُكمين، فأباح الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- له الزواج بغير وليٍّ ولا شُهودٍ تشريفًا وتكريمًا لعدم الحاجة إلىٰ ذلك

---

(١) رواه البخاري (١٩٦١)، ومسلم (١١٠٢).
(٢) انظر «شرح صحيح مسلم» للنووي (٧/ ٢١٢).

في حقِّه -ﷺ-.

قال العلماء: «إنما اعتبرَ الوليُّ في نكاح الأمة للمحافظة علىٰ الكفاءة، وهو -ﷺ- فوق الأكْفَاءِ، وإنما اعْتُبِرَ الشُّهود لأمْنِ الجُحُودِ، وهو -ﷺ- لا يَجْحَدُ»[1].

وبُرهان هذا الحكم في حقِّه ما جاء في «صحيح البخاري»[2] مِنْ حَدِيْثِ زَيْنبَ بِنْتِ جَحْشٍ -رَضِي اللهُ عَنْهَا- أنها كانت تَفْخَرُ علىٰ أزواج النبيِّ -ﷺ- وتقول: «زوَّجكُنَّ أهاليكُنَّ، وزوَّجني اللهُ - تعالىٰ - مِنْ فَوْقِ سَبْع سَمَوَاتٍ».

ومن خصائصه - ﷺ - دُونَ أمَّته الجمعُ بَيْنَ أكثر من أربع نِسْوة.

قال الشافعي - رَحِمَهُ الله -: «دلَّتْ سُنَّةُ رسول الله -ﷺ- المُبيِّنَةُ عن الله أنَّه لا يجوزُ لأحدٍ غَيْر رسول اللهِ -ﷺ- أنْ يجمعَ بَيْنَ أكثرِ من أربع نِسْوَةٍ».

قال الحافظ ابن كثير - رَحِمَهُ الله -: «وهذا الذي قاله الشافعيُّ مجمعٌ عليه بَيْنَ العلماء»[3].

ومن خصائصه - ﷺ - أن أزواجه أمَّهاتُ المؤمنين إكرامًا وإجلالاً لعبده ورسوله - ﷺ -.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾ [الأحزاب: ٦].

ومن خصائصه - ﷺ - دُونَ أمَّته أن رُؤيتهُ في المنام حقٌّ، فمن رآه في المنام كمن رآه في اليقظة.

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[4] مِنْ حَدِيْثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِي اللهُ عَنْهُ- عَنِ

(١) انظر «موسوعة نظرة النعيم» (١/ ٥٠٨).
(٢) رواه البخاري (٧٤٢٠).
(٣) انظر «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٦٠).
(٤) رواه البخاري (٦٩٩٤)، ومسلم (٢٢٦٦).

النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « ... وَمَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِي».

قال العلماء: إنَّ هذه الرُّؤيا مشروطة بأن يراهُ الرَّائي علىٰ صُورته التي كان عليها في الحياة الدنيا، والتي جاءت مفصَّلة في الأحاديث.

قال الحافظ ابن كثير: «واتفق علىٰ أنَّ من نقل عنه حديثًا في المنام أنَّه لا يُعملُ به لعدم الضَّبْط في رواية الرَّائي؛ فإنَّ المنام محلٌّ تضعفُ فيه الرُّوحُ وضبطُهَا»[١].

ومن خصائصه -ﷺ- دون أمَّته أنه مَن استهان به، أو سَبَّه فقد خَلَعَ رِبْقَةَ الإسلام من عُنُقِه، وقد أجمعت الأُمَّةُ على قتل منتقصِه وسابِّه.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٧].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة:٦١].

فكلُّ مَن استهان برسول الله -ﷺ-، أو سبَّهُ، أو عابَهُ، أو ألحق به نقصًا في نفسِهِ، أو نسبِهِ، أو دينِهِ، أو خَصْلةٍ من خصالِهِ، أو عرَّض به، أو شبَّهَهُ بشيءٍ علىٰ طريق السَّبِّ لهُ، أو الإزراء عليه، أو التصغير لشأنه، أو الغَضِّ مِنْهُ والعيبِ لَهُ ـ فإنَّهُ يُقتل كُفرًا[٢].

ففي «سُنن أبي داود» بسندٍ صحيح صححه الألباني في «صحيح سُنن أبي داود»[٣] مِنْ حَدِيْثِ ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ أَعْمَىٰ كَانَتْ لَهُ أُمُّ وَلَدٍ

(١) انظر «الفصول في سيرة الرسول» لابن كثير (ص٢٩٨، ٢٩٩).
(٢) انظر «نظرة النعيم» (١/ ٥١٢). وهذا الكتاب استفدت منه في هذه الخطبة، وأنصح باقتنائه فهو كتاب مفيد للخطيب والواعظ، بل من أحسن ما أُلِّف في هذا الباب.
(٣) أخرجه أبو داود في «سُننه» (٤٣٦١)، وصححه الألباني في «سُنن أبي داود» (٣٦٦٦).

تَشْتُمُ النَّبِيَّ -ﷺ- وَتَقَعُ فِيهِ فَيَنْهَاهَا فَلَا تَنْتَهِي وَيَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجِرُ قَالَ فَلَمَّا كَانَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ جَعَلَتْ تَقَعُ فِي النَّبِيِّ -ﷺ- وَتَشْتُمُهُ فَأَخَذَ الْمِغْوَلَ فَوَضَعَهُ (وهو سيفٌ قصيرٌ يشتملُ به الرجلُ تحتَ ثيابِهِ) فِي بَطْنِهَا وَاتَّكَأَ عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا فَوَقَعَ بَيْنَ رِجْلَيْهَا طِفْلٌ فَلَطَّخَتْ مَا هُنَاكَ بِالدَّمِ فَلَمَّا أَصْبَحَ ذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ -ﷺ- فَجَمَعَ النَّاسَ فَقَالَ: «**أَنْشُدُ اللهَ رَجُلًا فَعَلَ مَا فَعَلَ لِي عَلَيْهِ حَقٌّ إِلَّا قَامَ**»، فَقَامَ الْأَعْمَى يَتَخَطَّى النَّاسَ وَهُوَ يَتَزَلْزَلُ حَتَّى قَعَدَ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ -ﷺ- فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا صَاحِبُهَا كَانَتْ تَشْتُمُكَ وَتَقَعُ فِيكَ فَأَنْهَاهَا فَلَا تَنْتَهِي وَأَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجِرُ وَلِي مِنْهَا ابْنَانِ مِثْلُ اللُّؤْلُؤَتَيْنِ، وَكَانَتْ بِي رَفِيقَةً فَلَمَّا كَانَ الْبَارِحَةَ جَعَلَتْ تَشْتُمُكَ وَتَقَعُ فِيكَ فَأَخَذْتُ الْمِغْوَلَ فَوَضَعْتُهُ فِي بَطْنِهَا وَاتَّكَأْتُ عَلَيْهَا حَتَّى قَتَلْتُهَا،فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: «**أَلَا اشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَدَرٌ**».

وقد أجمعتِ الأُمَّةُ ـ أيُّها الناسُ ـ على قتل من سبَّ النبي ـ ﷺ ـ، أو انتقصه بأيِّ وجهٍ من الوُجُوهِ.

قال ابن المنذر ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : «أجمع عوام أهل العلم على أنَّ مَنْ سبَّ النبيَّ -ﷺ- يُقْتَلُ»[1] .

وقال محمَّد بن سحنون ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : «أجمع العلماءُ أن شاتمَ النبيِّ -ﷺ- المُنتَقِصَ له كافرٌ، والوعيد جارٍ عليه بعذاب الله، وحُكْمُهُ عند الأُمَّة القَتْلُ»[2] .

اللهُمَّ احفظنا بالإسلام قائمين، واحفظنا بالإسلام قاعدين،واحفظنا بالإسلام راقدين، ولاتُشْمتْ بنا عُدوًّا ولا حاسدًا.

اللهُمَّ إنّا نسألُك كُل خيرٍ خزائنُهُ بيدِك، ونعوذ بك من كُلِّ شرٍّ خزائنُهُ بيدِك.

---

(١) «الشفاء» للقاضي عياض (٢/ ٤٧٤).
(٢) المرجع السابق (٢/ ٤٧٦).



٥
حبُّ النبيّ -ﷺ-

الخطبة الأولى:

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا، ومنْ سَيْئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلل فَلَا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد -ﷺ-، وشرَّ الأُمُور مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّار.

أمَّا بَعْدُ،

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ الله -سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ- وَهَبَ نبيَّنا محمَّدًا -ﷺ- من الخصال الحميدة، والصفات العليَّة، والأخلاق المَرْضِيَّةِ - وكان داعيًا لكُلِّ مسلم أن يُجلَّه ويُعظِّمَهُ بقلبه ولسانه وجوارحه، فحقه علينا محبَّتُهُ، وطاعَتُهُ واتِّباعُهُ،

وتوقيرُهُ واحترامُهُ من غير غُلُوٍّ ولا تفريط.

فحبُّ النبيِّ -ﷺ- من الإيمان

فقد أخرج البخاريُّ في «صحيحه»[١] مِنْ حَدِيْثِ عَبْدَ اللهِ بْنَ هِشَام، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ -ﷺ-، وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: «**لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**»، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: «**الْآنَ يَا عُمَرُ**».

يقول العلامة العينيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- في شرح قوله -ﷺ-: «**الْآنَ يَا عُمَرُ**»: «أي الآن كَمُلَ إيمانُكَ»[٢].

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّه يجبُ أن تكونَ محبَّتُنا لنبيِّنا -ﷺ- فوقَ محبَّة الوالدِ والولدِ، بل فوقَ محبَّة الأهل، والمال، والناس أجمعين.

فقد أخرج البخاري في «صحيحه»[٣] مِنْ حَدِيْثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ: «**فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ**».

وفي «الصحيحين»[٤] مِنْ حَدِيْثِ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**».

أَيُّهَا النَّاسُ، إنّه لَيَبْلُغُ التشريفُ لمنْ قصد المحبَّة مَبْلَغَهُ كما في «الصحيحين»[٥]

(١) رواه البخاري (٣٦٩٤).
(٢) «عمدة القارئ» (٢٣/ ١٦٩).
(٣) رواه البخاري (١٤).
(٤) رواه البخاري (١٥) ومسلم (٦٩).
(٥) البخاري (٣٥٨٩)، ومسلم (٢٨٣٢) واللفظ له.

مِنْ حَدِيْثِ نْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ : « مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا ، نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي ، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ ».

ألاَ يا مُحِبَّ المُصْطفىٰ زِدْ صَبَابةً ... وضَمِّخْ لسانَ الذِّكْر منك بطِيْبِهِ

ولا تعْبَأَنَّ بالمُبطلين، فإنما ... علامةُ حُبِّ اللهِ حُبُّ حَبِيْبِهِ

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ محبَّة رسول الله -ﷺ- ليستْ دعوةً باللسان، ولا هيامًا بالوِجْدانِ، وليستْ ترانيم تُغنَّىٰ، ولا قصائدَ تُنْشَدُ.

فمحبَّتُهُ - ﷺ - تكون في اتِّباعِه، والسَّيرِ على هُداه، وعَمَلٍ بمنهج الله الذي يحمله الرسول - ﷺ - وهذه هي المحبَّة الحقيقية، وإلىٰ ذلك أرشدنا الله-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- فَقَالَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : لنبيِّنا أن يُوَجِّهَ الخطابَ إلىٰ أُمَّته: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران:٣١].

أَيُّهَا النَّاسُ، لا يختلف اثنانِ في أنَّ المُحبَّ لمن يُحبُّ مُطيعٌ، فكذلك مَنْ أحبَّ الحبيب المُصطفىٰ -ﷺ- يحرصُ - أشدَّ الحرص - علىٰ اتِّباعه، ويُسارعُ إلىٰ تنفيذ أوامره، ويبادر إلىٰ اجتناب نواهيه، فالعملُ طَوْعُ المحبَّة الصادقة، كما قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ .

وقد قسم العلامة ابن القيم المُحبِّين إلى أقسام ثلاثة. كما في كتابه «روضة المُحبِّين»[1] : منهم مَنْ يُريد مِنْ المحبوب، ومنهم مَنْ يُريد المحبوب، ومنهم مَنْ يُريد مُراد المحبوبِ مع إرادتِهِ للمحبوب، وهذا أعلىٰ أقسام المُحبِّين.

تَعْصي الإلهَ وأنت تزعُمُ حُبَّهُ ... ذاك لَعَمْري - في القياسِ بديعُ

(١) روضة المحبين (ص٢٧٣)

لوكان حُبُّك صادِقًا لأطَعْتَهُ إنَّ المُحبَّ لِمَنْ أحبَّ مُطِيعُ

أَيُّهَا النَّاسُ، كم من مواقف رائعةٍ للصحابة البَرَرةِ المُحبِّين الصادقين لنبيِّهم -ﷺ- تؤكِّد أنهم فهموا الحُبَّ الحقيقيَّ في طاعة نبيِّهم في كُلِّ ما أمرَ، والانتهاء عمَّا نهىٰ عنه وزَجَرَ، وبذلك كُمُلَ إيمانُهم.

أَيُّهَا النَّاسُ، أذكرُ بعضًا من امتثال الصحابة ـ رَضِيَ اللّٰهُ عَنهُم ـ لأوامره ـ ﷺ ـ واجتناب نواهيه:

روىٰ البخاري في «صحيحه»[1] عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ :كَانَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- صَلَّىٰ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا وَكَانَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- يُحِبُّ أَنْ يُوَجَّهَ إِلَىٰ الْكَعْبَةِ فَأَنْزَلَ اللهُ ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ ﴾ [البقرة: ١٤٤].

فَتَوَجَّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ، وصلَّىٰ معه رجلٌ العَصْرَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَمَرَّ عَلَىٰ قَوْمٍ مِنْ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ هُوَ يَشْهَدُ أَنَّهُ صَلَّىٰ مَعَ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- وَأَنَّهُ تَوَجَّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ، فانحرفوا وهم رُكُوعٌ في صلاةِ العَصْرِ».

الله أكبر، ما أَسْرَعَ تأسيهُم بالحبيب الكريم -ﷺ-! إنَّهم لم ينتظروا حتىٰ ترفع رءوسُهم من الركوع، بل بادروا بالتوجُّه إلىٰ حيثُ توجَّه نبيُّهم وهُم ركوعٌ!

ومن مبادرة الصحابة إلى طاعة الحبيب ـ ﷺ ـ ما رَوَىٰ البخاريُّ في «صحيحه»[2] مِنْ حَدِيْثِ عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: « كُنْتُ سَاقِيَ الْقَوْمِ فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ وَكَانَ خَمْرُهُمْ يَوْمَئِذٍ الْفَضِيخَ ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- مُنَادِيًا يُنَادِي أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ قَالَ: فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ : اخْرُجْ فَأَهْرِقْهَا فَخَرَجْتُ فَهَرَقْتُهَا فَجَرَتْ فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ ».

(١) «صحيح البخاري» (٧٢٥٢).
(٢) رواه البخاري (٢٤٦٤).

وفي هذا يقول الحافظ ابن حجر ـ كما في «الفتح»[١] ـ:«وفيه إشارة إلىٰ توارد مَنْ كانت عنده من المسلمين علىٰ إراقتها، حتىٰ جرت في الأزِقَّة، من كثرتها».

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ الحبَّ الصادقَ يُولِّدُ الاستسلامَ المُطلقَ، والانقياد الكامل، فالصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ لم يحتجوا لعصيان رسول الله -ﷺ- بالعادة والتعوُّد، كما يفعله كثيرٌ من مسلمي زماننا، بل إنَّهم لم يُراجعوا نبيهم بعد خبر الرجل، إنَّ هؤلاء الصادقين في حبِّهم لينطبقُ عليهم قولُ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٥١﴾ [النور: ٥١].

ومن الأدلَّة الدَّالَّة على حبِّهم لنبيهم أنهم لم يقفوا عند امتثال أمره، واجتناب نواهيه، بل كانوا يتابعون أفعالهُ، ويُلاحظون تصرُّفاته بحبٍّ وتقديرٍ، وشوقٍ حرصًا علىٰ الاقتداءِ به، فإذا وجدوه يفعلُ شيئًا سارعوا إلىٰ فعله، وإذا رَأَوْهُ ترك شيئًا بادروا إلىٰ الابتعاد عنه.

ومن الشواهد الرائعة الدالَّة على ذلك: ما رواه الإمام أبو داود[٢] عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ -ﷺ- يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ إِذْ خَلَعَ نَعْلَيْهِ فَوَضَعَهُمَا عَنْ يَسَارِهِ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْقَوْمُ أَلْقَوْا نِعَالَهُمْ، فَلَمَّا قَضَىٰ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- صَلَاتَهُ قَالَ: «**مَا حَمَلَكُمْ عَلَىٰ إِلْقَاءِ نِعَالِكُمْ**».

قَالُوا: رَأَيْنَاكَ أَلْقَيْتَ نَعْلَيْكَ فَأَلْقَيْنَا نِعَالَنَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**إِنَّ جِبْرِيلَ -ﷺ- أَتَانِي فَأَخْبَرَنِي أَنَّ فِيهِمَا قَذَرًا -أَوْ قَالَ أَذًى- وَقَالَ: إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ فَلْيَنْظُرْ فَإِنْ رَأَىٰ فِي نَعْلَيْهِ قَذَرًا أَوْ أَذًىٰ فَلْيَمْسَحْهُ وَلْيُصَلِّ فِيهِمَا**».

---

(١) «فتح الباري» (١٠/ ٣٩).
(٢) «صحيح سُنن أبي داود» (٦٠٥).

كيفَ انْطَوَتْ أَيَّامُهُمْ وهُمُ الأُلَىٰ ... نشروا الهُدىٰ، وعَلَوْا مكانَ الفَرْقدِ؟!

هَجَرُوا الدِّيارَ، فأين أَزْمَعَ رَكْبُهُم ... مَنْ يَهْتدي للقومِ، أو مَنْ يقتــــدي؟

يا قَلبُ، حَسْبُكَ لَنْ تَلُمَّ بطَيْفِهِم ... إلا علىٰ مِصْباحِ وَجْهِ مُحمَّـــــدِ

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّه كما عرف الصحابة الحبَّ الصادق، فكان هذا الحبُّ من المؤمنات الصادقات.

ومن الشواهد الدّالَّة على ذلك: ما رواه الإمام أبو داود [1] عن عبد الله بن عمرو -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قال: أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- وَمَعَهَا ابْنَةٌ لَهَا وَفِي يَدِ ابْنَتِهَا مَسَكَتَانِ غَلِيظَتَانِ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ: « **لَهَا أَتُعْطِينَ زَكَاةَ هَذَا**». قَالَتْ: لَا ، قَالَ : « **أَيَسُرُّكِ أَنْ يُسَوِّرَكِ اللهُ بِهِمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سِوَارَيْنِ مِنْ نَارٍ**»، قَالَ فَخَلَعَتْهُمَا فَأَلْقَتْهُمَا إِلَىٰ النَّبِيِّ -ﷺ- وَقَالَتْ : هُمَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ ».

ومن ذلك التصاق النساء بالجدار تنفيذًا لأمره -ﷺ- لهنَّ بالمشي في حافات الطريق.

فقد روىٰ الإمام أبو داود[2] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي أُسَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- يَقُولُ وَهُوَ خَارِجٌ مِنَ الْمَسْجِدِ ، فَاخْتَلَطَ الرِّجَالُ مَعَ النِّسَاءِ فِي الطَّرِيقِ ، فَقَالَ لِلنِّسَاءِ :« **اسْتَأْخِرْنَ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تُحْقِقْنَ الطَّرِيقَ [أي تَرْكبْنَ حقَّها: وهو وَسَطُها] عَلَيْكُنَّ بِحَافَاتِ الطَّرِيقِ** » . **فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَلْصَقُ بِالْجِدَارِ حَتَّىٰ إِنَّ ثَوْبَهَا لَيَتَعَلَّقُ بِالْجِدَارِ** .

أيها النّاسُ، إنَّ الناظر في سيرة الصحابيات لَيتعلم أنَّ المسارعة في امتثال أمر نبيِّهن كان هو السائدَ فيهنَّ.

(١) «صحيح سُنن أبي داود» (١٣٨٢) بإسنادٍ حسن.
(٢) «صحيح سُنن أبي داود» (٤٣٩٢).

يا مدَّعيَ حُـبِّ طَـهَ، لا تُخالِفْهُ الخُلْفُ يَحْرُمُ في دُنْيا المُحبِّينا

أَرَاكَ تـأْخُـذ شيئًا من شريعتِه وتتركُ البَعْضَ تدوينًا وتهـــوينًا

خُذْها جميعًا تجِد خيرًا تفوزُ بهِ أو فاطَّرِحْها، وخُذْ رِجْسَ الشياطينا

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ أصل المحبة ـ الذي يعني الطاعة والانقياد والتسليم ـ لا يشكُّ مسلمٌ في فرضيته، كما قال ربنا-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥].

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية:

حُكمُ الاحتفالِ بالمولدِ

الحمدُ لله الذي أتمَّ الدِّين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين.

أمَّا بعد: أَيُّهَا النَّاسُ، لا شك أنَّ محبة النبي -ﷺ- إنما تكون بتعظيمه وطاعته، وامتثال أمره، واجتناب نهيه.

وليست محبَّته -ﷺ- بالبدع والخرافات، والمعاصي، والاحتفال بذكرى المولد من هذا القبيل المذموم، فهو معصية.

لأنَّ الحبيبَ -ﷺ- لم يفعله، ولا خلفاؤه الراشدون، ولا غيرهم من الصحابة - رضوان الله علىٰ الجميع- ولا التابعون لهم بإحسان في القرون المفضَّلة، وهم أعلم الناس بالسُّنَّة وأكملُ حُبًّا لرسول الله -ﷺ-، كما قال عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيِّ، كما في «صحيح البخاري»[(١)]: «أَيْ قَوْمِ،وَاللهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَىٰ الْمُلُوكِ، وَفَدْتُ عَلَىٰ قَيْصَرَ، وَكِسْرَىٰ، وَالنَّجَاشِيِّ وَاللهِ، إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ تَعْظِيمَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، وَاللهِ، إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً، إلا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، فَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَىٰ وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمُوا خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ».

ومع هذا التعظيم وهذه المحبَّة، ما جعلوا يوم مولده عيدًا واحتفالاً، ولو كان مشروعًا ما تركوه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -يرحمه الله- عن المولد: «لم يفعله السَّلفُ مع

(١) «صحيح البخاري» (٢٧٣١).

قيام المقتضي له، وعدم المانع منه» انظر «اقتضاء الصراط المستقيم».

وقال ـ أيضًا ـ: «لو كان هذا خيرًا محضًا ـ أو راجحًا ـ لكان السلف ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم ـ أحقَّ به منَّا، فإنهم كانوا أشدَّ محبَّة لرسول الله -ﷺ- وتعظيمًا له، وهم علىٰ الخير أحرص».

وقال الفاكهانيُّ في رسالته «المورد في الكلام على عمل المولد»:

«لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتابٍ ولا سُنةٍ، ولا ينقل عمله عن أحدٍ من علماء الأمة، الذين هم القدوة في الدين، والمتمسِّكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطَّالون، وشهوة نفسٍ اعتنىٰ بها الأكَّالون».

أَيُّهَا النَّاسُ ، القاعدة الشرعية هي ردُّ ما تنازع فيه الناس إلى كتاب اللّه، وسنة رسوله ـ ﷺ ـ كما قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء:٥٩].

والرَّدُّ إلىٰ الله: هو الرجوع إلىٰ كتاب الكريم والرَّدُ إلىٰ الرسول -ﷺ-: «هو الرجوع إلىٰ سنَّته بعد وفاته، فالكتاب والسنة هما المرجع عند التنازع، فأين في الكتاب والسُّنَّة ما يدلُّ علىٰ مشروعيَّة الاحتفال بالمولد النبوي؟!!.

وقد ثبت في «الصحيحين» [١] مِنْ حَدِيْثِ أمِّ المؤمنين عائشة -رَضِي اللهُ عَنْهَا- قالت: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- : « **مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرِنا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ**» أي مردودٌ عليه.

وفي «مُسند أحمد، وسُنن الترمذي» [٢] مِنْ حَدِيْثِ الْعِرْبَاضِ بْنَ سَارِيَةَ -رَضِي اللهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- : « **مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَىٰ**

---

(١) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦)، والترمذي (٢٦٧٦).

اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » .

فبيَّن لنا ـ نبينا -ﷺ- في هذا الحديث بمن نقتدي بهم عند الاختلاف، كما بيَّن أنّ ما خالف السنَّة من الأقوال والأفعال فهو بدعة، وكُلُّ بدعةٍ ضلالةٌ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ إحداثَ هذه الموالد يُفْهِمُ منه أن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، لم يكمل الدِّينَ لهذه الأُمَّة، وهذا خطرٌ عظيم، فأين هذا من قول الله-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة:٣]؟!.

بل ويفهم من ذلك أنَّ الرسول -ﷺ- خانَ الرِّسالة، ولم يُبَلِّغ البلاغ المبين.

كيف ذلك والرَّسولُ -ﷺ- لم يترك طريقًا يُوصِلُ إلىٰ الجنَّة، ويُباعد عن النار ـ إلا بيَّنه للأمّة كما في «صحيح مسلم»[(١)] مِنْ حَدِيْثِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو ابْنِ الْعَاصِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- : «**نَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَىٰ خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ** ».

وفي «صحيح مسلم»[(٢)] مِنْ حَدِيْثِ سَلْمَانَ الفارسي-رَضِي اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رجلاً من المشركين قال له: قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّىٰ الْخِرَاءَةَ ، فَقَالَ سَلْمَانُ : « **أَجَلْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ بِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ وَأَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ يَسْتَنْجِيَ أَحَدُنَا بِأَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ**».

أَيُّهَا النَّاسُ، لا شك أنَّ العواطف هي التي حَدَت بأولئك الجهلة أن يبتدعوا

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم (٢٦٢).

ولا يتَّبعوا، ولكن كيف نجمع بين حبِّ النبيِّ -ﷺ- مع مخالفة أمره في النَّهي عن الإحداث في الدِّين، والضِّدان لا يجتمعان؟! .

وقد جعل اللّه ميزان محبَّته ودليلها اتِّباعَ رسول اللّه - ﷺ -. فقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١ ﴾ [آل عمران: ٣١].

اللهمَّ إنا نسألُك حبَّ نبيِّك -ﷺ- والعملَ الذي يُبلِّغُنا حُبَّه من غير ابتداعٍ، وأن تجعل حبَّه أحبَّ إلينا من أنفسنا وأهلينا.



٦ النبيُّ ـ ﷺ ـ كأنَّك تَراهُ

الخطبة الأولى:

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إلاَّ الله وَحْدَهُ لَا شَريْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدَقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ مُحمّد -ﷺ-، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمّا بَعدُ،

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ الأنبياء والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ يُمثلونَ الكمال الإنسانيَّ في أرقىٰ صُوَرِهِ، فهم في غاية الكمال في خَلْقِهِمْ وخُلُقِهِمْ.

وكان نبيُّنا ـ ﷺ ـ في قمة الكمال والجمال في خُلُقه وخَلْقه، فكان أجمل الناس، وأحسن الناس، لم يَصِفْهُ واصفٌ قطُّ إلا شَبَّههُ بالقمر ليلة البدر.

ففي «سُنن الترمذي» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «مختصر الشمائل المحمَّدية» للترمذي[1] مِنْ حَدِيْثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- ، فِي لَيْلَةٍ إِضْحِيَانٍ (أي: مُضيئةٍ مُقمرةٍ) وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَإِلَىٰ الْقَمَرِ ، فَلَهُوَ عِنْدِي أَحْسَنُ مِنَ الْقَمَرِ».

وفي «صحيح البخاريِّ»[2] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي إِسْحَاقَ ، قَالَ : سَأَلَ رَجُلٌ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- : أَكَانَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- مثل السَّيْفِ ؟ قال: «**لا، بل مِثْلَ القَمَرِ**».

قال الحافظ -رَحِمَهُ اللهُ-: «كَأَنَّ السَّائِلَ أَرَادَ أَنَّهُ مِثْلُ السَّيْفِ فِي الطُّولِ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ الْبَرَاءُ فَقَالَ : « بَلْ مِثْلُ الْقَمَرِ » أَيْ فِي التَّدْوِيرِ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ مِثْلَ السَّيْفِ فِي اللَّمَعَانِ وَالصِّقَالِ فَقَالَ : بَلْ فَوْقَ ذَلِكَ ، وَعَدَلَ إِلَىٰ الْقَمَرِ لِجَمْعِهِ الصِّفَتَيْنِ مِنَ التَّدْوِيرِ وَاللَّمَعَانِ »[3].

أَيُّهَا النَّاسُ، إن شاء الله أصف لكمُ الحبيب -ﷺ- وكأنه ماثلٌ أمامكم، وكأنكم تَرَوْنَه.

أَيُّهَا النَّاسُ، فمن ناحية لون رسول الله -ﷺ- فقد كان أَزْهَرَ اللَّونِ: وهو الأبيض المستنيرُ الناصِعُ البياض.

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[4] مِنْ حَدِيْثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يَصِفُ النَّبِيَّ -ﷺ- قَالَ : « **كَانَ رَبْعَةً مِنَ الْقَوْمِ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ أَزْهَرَ اللَّوْنِ لَيْسَ بِأَبْيَضَ أَمْهَقَ ، وَلَا آدَمَ لَيْسَ بِجَعْدٍ قَطَطٍ وَلَا سَبْطٍ** ».

---

(١) أخرجه الترمذي في «سُننه» (٢٨١٢)، وصححه الألباني في «مختصر الشمائل المحمدية» (ص٢٧).
(٢) رواه البخاري (٣٥٥٢).
(٣) «فتح الباري» (٦/ ٦٦٢).
(٤) رواه البخاري (٣٥٤٧)، ومسلم (٢٣٤٧).

وفي «صحيح مسلم»[١] عن الجُريريِّ عَنْ أَبِي الطُّفَيْل -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- وَمَا عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ رَجُلٌ رَآهُ غَيْرِي قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : فَكَيْفَ رَأَيْتَهُ قَالَ : كَانَ أَبْيَضَ مَلِيحًا مُقَصَّدًا ».

وفي «سُنن الترمذي» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[٢] مِنْ حَدِيْثِ علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- أبيض مُشْرَبًا بياضُهُ بحُمْرَةٍ**».

وأخرج الترمذي في كتابه «الشمائل المحمدية» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»[٣] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- أبيض، صِيغَ مِنْ فِضَّةٍ**».

وأخرج أبو داود في «سُننه» بسند صحيح، صححه العلامة الألباني في «صحيح سُنن أبي داود»[٤] مِنْ حَدِيْثِ مُحرَّشٍ الكَعْبيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: «إنَّ النبيَّ -ﷺ- خَرَجَ من الجعرَّانةِ ليْلاً، فاعْتَمَر، ثمَّ رجَعَ، فأصْبَحَ بها كبائتٍ، فنظرتُ إلىٰ ظَهْرِهِ كأنَّه سبيكةُ فِضَّةٍ».

وممَّا جاء في وصف وجه رسول الله-ﷺ-أنه كان أحسن الناس وجهًا، فكان وجهُهُ كالقمر والشمس مستديرًا، عظيم العينين، أَهْدَبَ الأشفار، مشرَبَ العينين حُمْرَةً، أشكلَ العين، أسودَ الحَدَقَةِ أَوْعَجَ، أكحَلَ العَينين، دقيق الحاجبين سابهما، أَزَج، أَقْرَنَ أَبْلَجَ، واسعَ الجبين، أَغَرَّ، أجْلىٰ، كأنَّه يتلألأ، وكأنَّ العَرَقَ في وجهه كاللؤلؤ، وكان أسيلَ الخدَّين سَهْلَهُمَا، أقنىٰ الأنف ـ والقنا في الأنف: طُولُهُ ورقَّةُ أَرْنَبَتِهِ مع حَدَبٍ في وسطه ـ ضَليعَ الفَمِ، حَسَنَ

(١) مسلم (٢٣٤٠)
(٢) رواه الترمذي (٣٦٣٨)، وانظر «صحيح الجامع» (٤٤٩٧).
(٣) أخرجه الترمذي في «الشمائل» (ص٢٧)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٩٥).
(٤) أخرجه أبو داود (١٩٩٦)، وصححه الألباني في «صحيح سُنن أبي داود» (١٧٥٨).

الثَّغْرِ، برَّاق الثنايا، إذا ضَحِكَ كادَ يتلألأ.

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[٥] مِنْ حَدِيْثِ الْبَرَاءَ بْن عَازِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يَقُولُ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- ، أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا ، وَأَحْسَنَهُ خَلْقًا ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الذَّاهِبِ ، وَلَا بِالْقَصِيرِ**».

وروى الإمام أحمد في «مُسنده» بسند صحيح، صححه أحمد شاكر في ترتيب «المُسند»[٦] مِنْ حَدِيْثِ علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- أبيض عَظِيمَ الْعَيْنَيْنِ أَهْدَبَ الْأَشْفَارِ، مُشَرَّبًا بِحُمْرَةٍ**» ومعنى **أَهْدَبَ الْأَشْفَارِ** - أي: أشفار العين - هو الذي أجفانُهُ كثير مستطيل.

وفي «صحيح مسلم» [٧] مِنْ حَدِيْثِ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- ضَلِيعَ الْفَمِ أَشْكَلَ الْعَيْنِ مَنْهُوسَ الْعَقِبَيْنِ ، قَالَ: قُلْتُ لِسِمَاكٍ :مَا ضَلِيعُ الْفَمِ ؟ ، قَالَ: عَظِيمُ الْفَمِ ، قَالَ : قُلْتُ : مَا أَشْكَلُ الْعَيْنِ ؟ ، قَالَ: طَوِيلُ شَقِّ الْعَيْنِ قَالَ : قُلْتُ: مَا مَنْهُوسُ الْعَقِبِ قَالَ قَلِيلُ لَحْمِ الْعَقِبِ**».

وممَّا جاء في وصف رأس رسول الله -ﷺ-، وصفة لحيته. فقد أخبر واصفوه أنه كان عظيمَ الرَّأسِ ذا لحيةٍ عظيمة، حسنةٍ كثيرةِ الشعرِ سوداء، كادت تملأ نحرهُ، إذا تكلمَ في نفسِهِ عَرف ذلك مَن خَلْفهُ باضطرابها لعَظَمَتِها.

فقد أخرج الترمذي في «سُننه» بسند صحيح، صححه الألباني في «مختصر الشمائل المحمدية»[٨] مِنْ حَدِيْثِ عَلِيٍّ بْن أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ:

---

(٥) رواه البخاري (٣٥٤٩)، ومسلم (٢٣٣٧).

(٦) رواه أحمد في «مُسنده» (١/ ٨٩)، وقال عنه أحمد شاكر: إسناده صحيح، انظر ترتيب المُسند (٢/ ٨٠، ٨١).

(٧) رواه مسلم (٢٣٣٩).

(٨) أخرجه الترمذي في «سُننه» (٣٦٤١)،وصححه الألباني في «مختصر الشمائل المحمدية» (ص١٥).

«**لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ شَثْنَ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ** (أي غَليظُ الأصابع والراحة) **ضَخْمَ الرَّأْسِ ضَخْمَ الْكَرَادِيسِ** (أي: رءوسُ العظام) **طَوِيلَ الْمَسْرُبَةِ** (أي أنه طويلُ الشَّعْرِ الذي يبدأُ من الصَّدر، وينتهي بالسُّرَّة) **إِذَا مَشَىٰ تَكَفَّأَ تَكَفُّؤًا كَأَنَّمَا انْحَطَّ مِنْ صَبَبٍ لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ -ﷺ-**».

ومعنىٰ قوله: «**إِذَا مَشَىٰ تَكَفَّأَ**» أي: يتمايل إلىٰ قدَّام، وقيل:أن يرفع القدم من الأرض، ثمَّ يضعها، ولا يمسح قَدَمهُ علىٰ الأرض كمشي المتبختر «**كَأَنَّمَا انْحَطَّ مِنْ صَبَبٍ**»: أي يرفعُ رِجْلَهُ من قوةٍ وجلادةٍ والأشبه أن يتكفأ بمعنىٰ صبّ الشيء دفعةً، قاله المباركفوري ــ رَحِمَهُ اللهُ ـ [1] .

في «صحيح مسلم»[2] مِنْ حَدِيْثِ جابر بن سَمُرةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قال: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- ... كَثِيرَ شَعْرِ اللِّحْيَةِ** ».

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ»[3] مِنْ حَدِيْثِ أبي مَعْمَرٍ قال: «قُلْتُ لِخَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ : أَكَانَ النَّبِيُّ -ﷺ- يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ وَالعَصْرِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : قُلْتُ: بِأَيِّ شَيْءٍ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ قِرَاءَتَهُ ؟ قَالَ : بِاضْطِرَابِ لِحْيَتِهِ».

وممَّا جاء في صفة رأس رسول الله -ﷺ-.

وَكَانَ -ﷺ- رَجِلَ الشَّعْرِ حَسَنًا لَيْسَ بالسَّبْط وَلا الْجَعْد الْقَطَط ، كَانَ إِذَا مُشِّطَ بِالْمُشْط كَأَنَّهُ حُبُكُ الرَّمْلِ ، أَوْ كَأَنَّهُ الْمُتُونُ الَّتِي تَكُونُ فِي الْغُدُرِ إِذَا سَفَتْهَا الرِّيَاحُ ، فَإِذَا مَكَثَ فِي الْمِرْجَلِ أَخَذَ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَتَحَلَّقَ حَتَّىٰ يَكُونَ مُتَحَلِّقًا كَالْخَوَاتِيم . ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ أَمْرِهِ قَدْ سَدَلَ نَاصِيَتَهُ بَيْنَ عَيْنَيْه، كَمَا تُسْدَلُ نَوَاصِي الْخَيْلِ ، ثُمَّ جَاءَهُ جِبْرِيلُ ، عَلَيْهِ السَّلامُ بِالْفَرْقِ فَفَرَقَ . كَانَ شَعْرُهُ فَوْقَ حَاجِبَيْهِ .

---

(١) «تحفة الأحوذي» للمباركفوري (٥/ ٤٤٣).
(٢) رواه مسلم (٢٣٤٤).
(٣) رواه البخاري (٧٦١).

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : كَانَ يَضْرِبُ شَعْرُهُ مَنْكِبَيْه ، وَأَكْثَرُ ذَلِكَ إِذَا كَانَ إِلَىٰ شَحْمَةِ أُذُنِه. وَكَانَ -ﷺ- رُبَّمَا جَعَلَهُ غَدَائِرَ أَرْبَعًا ، تَخْرُجُ الأُذُنُ الْيُمْنَىٰ مِنْ بَيْنِ غَدِيرَتَيْنِ يَكْتَنِفَانِهَا ، وَتَخْرُجُ الأُذُنَ الْيُسْرَىٰ مِنْ بَيْنِ غَدِيرَتَيْنِ يَكْتَنِفَانِهَا ، وَتَخْرُجُ الأُذُنَانِ بِبَيَاضِهِمَا مِنْ بَيْنِ تِلْكَ الْغَدَائِرِ كَأَنَّهُمَا تَوَقُّدُ الْكَوَاكِبِ الدُّرِّيَّةِ مِنْ سَوَادِ شَعْرِه [١] .

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[٢] مِنْ حَدِيْثِ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ، -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يَقُولُ : «**كَانَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- رَجْلَ الشَّعَرِ لَيْسَ بِالسَّبْطِ وَلا الْجَعْدِ الْقَطِطِ** ».

ومعنىٰ «**رَجْلَ الشَّعَرِ** »: أي الذي ليس شديد الجُعُودةِ، ولا شديد السُّبوطة، بل بينهما.

وفي «صحيح مسلم»[٣] مِنْ حَدِيْثِ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ، -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يَقُولُ : «**كَانَ شُعْر رَسُولُ اللهِ -ﷺ- إِلىٰ أَنْصَاف أُذُنَيْهِ**».

وفي «الصحيحين»[٤] مِنْ حَدِيْثِ الْبَرَاءِ بْن عَازِبْ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- رَجُلًا مَرْبُوعًا، لَه شَعرٌ يبلُغُ شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ (أي:إلىٰ معلقِ القرط منها) عَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ -ﷺ-».

وفي لفظ البخاري: «**لَه شَعرٌ يبلُغُ شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ إِلىٰ مَنْكِبَيْهِ**».

وفي «الصحيحين»[٥] - أيضًا - مِنْ حَدِيْثِ الْبَرَاءِ بْن عَازِبْ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قال: «**مَا رَأَيْتُ مِنْ ذِي لِمَّةٍ أَحْسَنَ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ مِنْ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- شَعْرُهُ يَضْرِبُ مَنْكِبَيْهِ**» ولفظ البخاريِّ: «إِنَّ جُمَّتَهُ لتضربُ قريبًا من منكبيهِ».

---

(١) انظر «نظرة النعيم» (١/ ٤٣٠).
(٢) رواه البخاري (٣٥٤٧)، ومسلم (٢٣٤٧).
(٣) رواه مسلم (٢٣٣٨).
(٤) رواه البخاري (٣٥٥١)، ومسلم (٢٣٣٧).
(٥) رواه البخاري (٥٩٠١)، ومسلم (٢٣٣٧).

واللِّمَّةُ: هي الشعر الذي ألمَّ بالمنكبين (أي قاربهما) قاله ابن الأثير[١] .

وفي «الصحيحين»[٢] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قال: «وَكَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَسْدِلُونَ أَشْعَارَهُمْ (أي إرساله على الجبين، واتِّخاذه كالقصة) وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْرُقُونَ رُءُوسَهُمْ (أي يجعلونه فرقتين من وسطه) كَانَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ، فَسَدَلَ النَّبِيُّ -ﷺ- نَاصِيَتَه (والناصية: هي شعرُ مقدَّمِ الرأسِ) ثُمَّ فَرَقَ بَعْدُ».

وأخرج أبو داود في «سُننه» بسند صحيح، صححه الألباني في «مختصر الشمائل المحمدية»[٣] مِنْ حَدِيْثِ أُمِّ هَانِئٍ بنت أبي طالب-رَضِي اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ قَدِمَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- مَكَّةَ (أي يوم فتح مكة) وَلَهُ أَرْبَعُ غَدَائِرَ - وفي رواية: ضفَائِر ».

وفي «سُنن ابن ماجَهْ» بسند صحيح، صححه الألباني في «مختصر الشمائل المحمَّدية»[٤] مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ -رَضِي اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ : « **كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَرَسُولُ اللهِ -ﷺ- مِنْ إِنَاءٍ ، وَاحِدٍ وَكَانَ لَهُ شَعْرٌ فَوْقَ الْجُمَّةِ وَدُونَ الْوَفْرَةِ** ».

ومما جاء في وصف منكب رسول الله -ﷺ- أنه كان عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين.

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[٥] مِنْ حَدِيْثِ الْبَرَاءِ بْن عَازِبٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ».

---

(١) «جامع الأصول» لابن الأثير (١١/ ٢٣٣).
(٢) رواه البخاري (٣٥٥٨)، ومسلم (٢٣٣٦).
(٣)رواه أبو داود في «سُننه» (٤١٩١)، وصححه الألباني في «مختصر الشمائل المحمدية» (ص٣٥).
(٤) أخرجه ابن ماجَهْ في «سُننه» (٣٧٦)، وصححه الألباني في «مختصر الشمائل المحمدية» (ص٣٤، ٣٥).
(٥) رواه البخاري (٣٥٥١)، ومسلم (٢٣٣٧).

ومما جاء في وصف ذراعي رسول الله -ﷺ- أنَّه كَانَ شَبْحَ الذِّراعيْنِ - أي طويلَهُما، وقيل: عريضهما -.

ففي «مُسند الإمام أحمد» بسند حسن[١] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة - -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في نعت رسول الله -ﷺ- قال: «كَانَ شَبْحَ الذِّراعيْنِ».

وممَّا جاء في وصف كفَّي رسول الله -ﷺ- أنه كان ضخم اليدين، بسطَ الكفَّين، والبسطُ: هو الزيادة في السعةِ.

ففي «صحيح البخاري»[٢] مِنْ حَدِيْثِ عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، قَالَ : « كَانَ النَّبِيُّ -ﷺ- ضَخْمَ الْيَدَيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ حَسَنَ الْوَجْهِ لَمْ أَرَ بَعْدَهُ وَلَا قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَكَانَ بَسِطَ الْكَفَّيْنِ».

وفي «الصحيحين»[٣] مِنْ حَدِيْثِ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، قَالَ : «**كَانَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- أَزْهَرَ اللَّوْنِ كَأَنَّ عَرَقَهُ اللُّؤْلُؤُ** (أي في الصفاء والبياض)، **إِذَا مَشَىٰ تَكَفَّأَ ، وَمَا مَسِسْتُ حَرِيرَةً وَلَا دِيبَاجَةً أَلْيَنَ مِنْ كَفِّهِ ، وَلَا شَمِمْتُ رَائِحَةً قَطُّ أَطْيَبُ مِنْ رَائِحَةِ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-** ».

وممَّا جاء في وصف الساقين والقدمين لرسول الله -ﷺ- أنه دقيق الساقين، وكان في ساقيه حُمُوشةٌ - أي دقَّةٌ - وكان ضخم القدمين، قليل لحم العقبين.

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[٤] مِنْ حَدِيْثِ أبي جُحَيْفة - -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال:« دُفِعْتُ إِلَىٰ النَّبِيِّ -ﷺ- وَهْوَ بِالأَبْطَحِ فِي قُبَّةٍ كَانَ بِالْهَاجِرَةِ، - وَفِيْهِ - وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ وَبِيصِ سَاقَيْهِ ».

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢/ ٢٢٨).
(٢) رواه البخاري (٥٩٠٧).
(٣) رواه البخاري (٣٥٦١)، ومسلم (٢٣٣٠)، واللفظ له.
(٤) رواه البخاري (٣٥٦٦)، ومسلم (٥٠٣).

قال ابن الأثير ــ رَحِمَهُ اللهُ ـ : «الوَبِيْصُ: البَرِيْقُ».

وأخرج الإمام الترمذي في «سُننه» بسند صحيح[١] مِنْ حَدِيْثِ جابر بن سَمُرةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قال: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- لَا يَضْحَكُ إِلَّا تَبَسُّمًا، وكان في ساقَيهِ حُمُوشةٌ**».

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيّ»[٢] مِنْ حَدِيْثِ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، قَالَ : «**كَانَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- ضَخمَ القَدَمَيْنِ**».

وفي «صحيح مسلم»[٣] مِنْ حَدِيْثِ جابر بن سمرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- مَنْهُوس العَقِبَيْنِ**» : أي قليل لحمِ العقبين، والعقب: هو مُؤخَّر القدم.

وأستغفر الله.

(١) رواه الترمذي (٣٦٤٥).
(٢) رواه البخاري (٥٩٠٧).
(٣) رواه مسلم (٢٣٣٩).

الخُطبة الثانية :

بعض صفة النبي - ﷺ -

الحمد لله ربِّ العالمين، وأُصلِّي وأُسلِّم علىٰ أشرف المرسلين سيدنا محمَّدٍ -ﷺ- وعلىٰ آله وصَحْبِهِ أجمعين، والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدِّين.

أمَّا بعد:

أَيُّهَا النَّاسُ إنَّ الحديث عن صفة الحبيب -ﷺ- ذو شُجُونٍ، وقد سبق بيانُ بعض تلك الصفاتِ، وفيما يأتي ذكر بعضها ليكتملَ العِقْدُ - إن شاء الله -.

وممَّا جاء في وصف شَيْبِ رسول اللّه - ﷺ - أنه كان في رأسه ولحيتِهِ قليلٌ من الشَّيْبِ، وكان أكثرُ شيبِ رأسه في فَودَيْ رأْسِهِ - والفوْدَان: حَرْفا الفَرْقِ - وأكثرُ شَيْب لحيته في عَنْفَقتِهِ فوقَ الذقنِ - العَنْفَقةُ: الشَّعْر الذي في الشَّفةِ السُّفلىٰ - وكان شيْبُهُ كأنه خُيوطُ الفِضَّة، يتلألأ بَيْنَ ظَهري سوادِ الشَّعرِ الذي معه.

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»(١) مِنْ حَدِيْثِ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: «تُوفِّي رَسُولُ اللهِ -ﷺ- وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعَرَةً بَيْضَاءَ قَالَ رَبِيعَةُ: فَرَأَيْتُ شَعَرًا مِنْ شَعَرِهِ فَإِذَا هُوَ أَحْمَرُ فَسَأَلْتُ فَقِيلَ احْمَرَّ مِنْ الطِّيبِ».

وفي «الصحيحين»(٢) عن محمَّد بن سيرين قال: سألت أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، أَخَضَب رسول الله -ﷺ-: (أي استعملَ الخِضابَ: وهو ما يُخْتَضَبُ به من حِنَّاءٍ، وكَتَمٍ، ونَحوِهِ، قال: «إنه لم ير من الشَّيبِ إلا قليلاً».

---

(١) رواه البخاري (٣٥١٧)، ومسلم (٢٣٤٧).

(٢) رواه البخاري (٥٨٩٤)، ومسلم (٢٣٤١)، واللفظ له.

في «صحيح مسلم»[١] مِنْ حَدِيْثِ جابر بن سمرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قال: «كان رسول الله -ﷺ- قد شمِطَ (أي ابتدأ الشيب فيه) مقدمُ رأسهِ ولحيتهِ، وكان إذا ادَّهَنَ ومَشَطَ لم يَتبيَّن، وإذا شعِثَ رأسُهُ تبيَّن».

ومعنىٰ شَعِثَ: أي بُعْدُ العهد بالغُسْل، وتسريح الشعر، قاله ابن الأثير.

ومـمَّا جاء في وصف خاتمِ النُّبُوَّةِ، أنَّه كان علىٰ كتِفِهِ اليُسرىٰ مثل بيضةِ الحمامةِ، وهي بيضتها المعروفة.

ففي «صحيح مسلم»[٢] مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَرْجِسَ -رَضِي اللهُ عَنْهُ- قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ، فَدُرْتُ مِنْ خَلْفِهِ فَعَرَفَ الَّذِي أُرِيدُهُ، فَأَلْقَىٰ الرِّدَاءَ عَنْ ظَهْرِهِ، فَرَأَيْتُ مَوْضِعَ الْخَاتَمِ عَلَىٰ نَغْضِ كَتِفِهِ مِثْلَ الْجُمَّعِ حَوْلَهُ خِيلانٌ كَأَنَّهَا الثَّآلِيلُ، فَرَجَعْتُ حَتَّىٰ اسْتَقْبَلْتُهُ، فَقُلْتُ: غَفَرَ اللهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: « **وَلَكَ** ».

فَقَالَ الْقَوْمُ: اسْتَغْفَرَ لَكَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-؟ قَالَ: نَعَمْ وَلَكُمْ،ثُمَّ تَلا الآيَةَ ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [محمد:١٩].

وفي «صحيح مسلم»[٣] مِنْ حَدِيْثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: «كَانَ وَجه رَسُولُ اللهِ -ﷺ- مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ مُسْتَدِيرًا، وَرَأَيْتُ الْخَاتَمَ عِنْدَ كَتِفِهِ مِثْلَ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ يُشْبِهُ جَسَدَهُ».

وفي «مُسند أحمـــد» بسند صحيح، صححه الألباني في «مختصر الشمائل»[٤] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي زَيْدِ بْنُ أَخْطَبَ الأَنْصَارِيُّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ

(١) رواه مسلم (٢٣٤٤).
(٢) رواه مسلم (٢٣٤٦).
(٣) رواه مسلم (٢٣٤٤).
(٤)رواه أحمد في «مُسنده» (٥/ ٧٧)، وصححه الألباني في «مختصر الشمائل» (ص٣١).

اللهِ،صَلَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **يَا أَبَا زَيْدٍ،ادْنُ مِنِّي فَامْسَحْ ظَهْرِي**» فَمَسَحْتُ ظَهْرَهُ فَوَقَعَتْ أَصَابِعِي عَلَىٰ الْخَاتَمِ . قُلْتُ : وَمَا الْخَاتَمُ ؟ ، قَالَ : شَعَرَاتٌ مُجْتَمِعَاتٌ ».

ومِمَّا جاء في لباس رسول الله - ﷺ - أنه كان أحبَّ الثِّيابِ إليه القَمِيْصُ، وكان يحبُّ البياضَ.

فقد أخرج أبو داود في «سُننه» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «مختصر الشمائل» للترمذي[١] مِنْ حَدِيْثِ أمِّ سلمة-رَضِي اللهُ عَنْهَا- قالت: «كَانَ أَحَبُّ الثِّيَابِ إِلَىٰ النَّبِيِّ -ﷺ- أَنْ يَلْبَسَهُ القَمِيْصُ».

وأخرج أبو داود ـ أيضًا ـ بسند صحيح، صححه الألباني في «مختصر الشمائل»[٢] مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- : « **عَلَيْكُمْ بِالْبَيَاضِ مِنَ الثِّيَابِ،لِيَلْبَسْهَا أَحْيَاؤُكُمْ ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ، فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ** ».

ومِمَّا جاء في وصف عِمامتِه - ﷺ - كان يلبس العِمامة، يَسْدُلُها بين كتفيه، ففي «سُنن الترمذي» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «مختصر الشمائل»[٣] مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-قَالَ : « **كَانَ النَّبِيُّ -ﷺ- إِذَا اعْتَمَّ سَدَلَ عِمَامَتَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ**».

ومِمَّا جاء في وصف نَعل رسول الله - ﷺ - أنه له قبلانِ، والقبلانِ: السَّيْرُ الذي فيه الشِّسع، الذي يكون بَيْنَ إصبعَيْ الرِّجْلِ.

---

(١) رواه أبو داود (٤٠٢٥)، وصححه الألباني في «مختصر الشمائل» (ص٤٦).
(٢) رواه أبو داود (٤٠٦١)، وصححه الألباني في «مختصر الشمائل» (ص٥٠).
(٣) أخرجه الترمذي في «سُننه»(١٧٣٦)،وصححه الألباني في«مختصر الشمائل» (ص٦٨).

ففي «سُنن الترمذي» بسند صحيح، صححه الألباني في «مختصر الشمائل»[1] مِنْ حَدِيْثِ قَتَادَةَ قَالَ: قُلْتُ لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: كَيْفَ كَانَ نَعْلُ رَسُولِ اللهِ -ﷺ-؟، قَالَ: «لَهُمَا قِبَالَانِ».

أَيُّهَا النَّاسُ، تلك صفة الحبيب. ﷺ وقد كان لها أثرُها العظيمُ في الدَّعوة والاستجابة لها، فكم من رجل دخل الإسلام بمجرد رؤيته -ﷺ- ومشاهدة نور وَجْهِهِ، فهذا عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلامٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- حبرُ اليهودِ وأَعْلمُهُمْ بالتَّوراة - يقولُ - كما عند الترمذي بسندٍ حسن صحيح[2] قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- المَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، (ومعنىٰ انْجَفَلَ: أي أسرع)،وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- ثلاثَ مراتٍ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فلمَّا تأملتُ وجهَهُ، واستثبتُّهُ (أي تحقَّقْتُهُ)، عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ».

هذا ونسأل الله أن يُوزعنا شكر نعمته، وأن يُوفِّقَنا لأداء حقِّه، وحقِّ نبيِّه -ﷺ-.

---

(١) أخرجه الترمذي في «سُننه» (١٨٤٧)، وصححه الألباني في «مختصر الشمائل» (ص٥٣).
(٢) رواه الترمذي في «سُننه» (٢٤٨٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجَهْ (١٣٣٤) والدارمي (١٤٦٠٨)، والحاكم (٣/ ١٣)،وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.



الخطبة الأولى

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضلَّ لَه ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ؛ فإنّ أصدَقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّد -ﷺ-، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها،وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ،وكُلَّ ضلالةٍ في النّار.

أَمَّا بَعْدُ،

أَيُّهَا النَّاسُ، إن من أعظم نعم الله علىٰ عباده أن بعث فيهم رسوله محمَّدًا -ﷺ-؛ ليخرجهم من الظلمات إلىٰ النور بإذنه، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-:

﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ

﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وللنبيِّ -ﷺ- علينا حقوق كثيرة، منها الصلاة والسلام عليه -ﷺ-، فالصلاة والسلام عليه -ﷺ- من أجلِّ العبادات، وأفضل الطاعات التي نتقرَّب بها إلىٰ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-.

وللصلاة والسلام على رسول الله -ﷺ- فضائل كثيرة:

فمنها: أنها امتثال لأمر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- القائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦].

ومنها: أن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يصلي على من صلى عليه:

ففي «صحيح مسلم»[١] مِنْ حَدِيْثِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلاةً وَاحِدَةً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا**».

وروىٰ النسائيُ بإسناد صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[٢]، مِنْ حَدِيْث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ: «**مَنْ ذُكِّرْتُ عندهُ فلْيُصل عليَّ، ومَنْ صَلَّىٰ عليَّ مرَّةً صلَّىٰ الله عَلَيْهِ عَشْرًا**».

وفي «مُسند أحمد» بسند حسن، حسَّنه الألباني في «صحيح الجامع»[٣] مِنْ حَدِيْث عَنْ عَبْد الله بْن عَامر بْن رَبيعَةَ، عَنْ أَبيه -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ -ﷺ- يَقُولُ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يُصَلِّي عَلَيَّ إِلَّا صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مَا صَلَّىٰ عَلَيَّ، فَلْيُقِلَّ مِنْ ذَلِك أَوْ لِيُكْثِرْ**».

---

(١) رواه مسلم (٤٠٨).
(٢) رواه النسائي (ص٦٠)، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٥٧).
(٣) «المُسند» (٣/ ٤٤٥)، وانظر «صحيح الجامع» (٥٦٢٠).

ومنها: أنَّ الصلاة والسلام عليه -ﷺ- ترفع الدَّرجات، وتَحُطُّ السِّيئاتِ.

ففي «مُسند أحمد» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[١] مِنْ حَدِيْثِ أبي طلحة الأنصاري -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: أَصْبَحَ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- يومًا طيِّبَ النَّفْسِ يُرَىٰ في وَجْهِهِ البِشْر، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَصْبَحْتَ الْيَوْمَ طَيِّبَ النَّفْسِ يُرَىٰ فِي وَجْهِكَ الْبِشْرُ، قَالَ: «**أَجَلْ، أتاني آت مِنْ عِنْدِ ربِّي - عزَّ وجلَّ - فقال: مَنْ صَلَّىٰ عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِكَ صَلَاةً كَتَبَ اللهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَهَا**».

وروىٰ الإمام أحمد في «مُسنده»، والنسائيُّ في «سُننه» - واللفظ له - بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[٢] مِنْ حَدِيْثِ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ**».

ومنها :أن الصلاة والسلام عليه -ﷺ- كفاية الهموم، ومغفرة الذنوب:

أخرج الإمام أحمد في «مُسنده»، والترمذي في «سُننه»، بسندٍ حسن صحيح كما قال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[٣] : مِنْ حَدِيْثِ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاتِي؟.

قَالَ -ﷺ- : « **مَا شِئْتَ** » . قُلْتُ : الرُّبُعَ .

قَالَ : « **مَا شِئْتَ ، وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ** » . قُلْتُ : الثُّلُثَ .

قَالَ : « **مَا شِئْتَ ، وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ** » . قُلْتُ : النِّصْفَ .

(١) «المُسند» (٤/ ٢٩)، وانظر «صحيح الجامع» (٥٧).
(٢) «المُسند» (٣/ ١٠٢)، و انظر «صحيح الجامع» (٦٢٣٥).
(٣) رواه الإمام أحمد (٥/ ١٣٦)، والترمذي (٢٤٥٧)، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٧٠).

قَالَ : « مَا شِئْتَ ، وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » . قُلْتُ : الثُّلُثَيْنِ .

قَالَ : « مَا شِئْتَ ، وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » . قُلْتُ : أَجْعَلُ صَلاتِي كُلَّهَا .

قَالَ : « تُكْفَىٰ هَمَّكَ ، وَيُغْفَرُ ذَنْبُكَ » .

قال المنذري ــ رَحِمَهُ اللهُ ـ قوله: «أُكْثِرُ الصَّلاةَ عَلَيْكَ ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاتِي ؟ » . معناه: أُكثِر الدعاء، فكم أجعلُ لك من دعائي صلاةً عليك[١] .

ومنها: أنَّ الصلاة والسلام عليه ـ ﷺ ـ سببٌ لِنَيل شَفَاعتهِ:

ففي «صحيح مسلم»[٢] مِنْ حَدِيْثِ عبدِ اللهِ بْنِ عَمرِو بْنِ العاصِ رضِيَ الله عنْهُما أنه سَمِع رسُولَ اللهِ صَلّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم يقُولُ : «**إِذَا سَمِعْتُم الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**» .

ومنها: أنها سببٌ لعرضِ اسْم المُصلّي على رسول الله ـ ﷺ ـ:

فقد أخرج الديلميُّ في «مُسند الفِردوس» بسندٍ حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»[٣] ، مِنْ حَدِيْثِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**أَكْثِرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ، فَإِنَّ اللهَ وَكَّلَ بِي مَلَكًا عِنْدَ قَبْرِي، فَإِذَا صَلَّىٰ عَلَيَّ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي، قَالَ لِي ذَلِكَ الْمَلَكُ: يَا مُحَمَّد! إِنَّ فُلَانَ ابْنَ فُلَانٍ صَلَّىٰ عَلَيْكَ السَّاعَةَ**» .

وروىٰ البزار بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»[٤] مِنْ حَدِيْثِ عمَّار ابن ياسرٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**إِنَّ لِلهِ ـ تعالىٰ**

(١) «الترغيب والترهيب» (٢/ ٥٠١).
(٢) «رواه مسلم (٣٨٤).
(٣) الديلمي في «مُسند الفردوس» (١/ ٩٣)، وانظر «صحيح الجامع» (١٢١٨).
(٤) رواه البزار (٣٠٦)، «صحيح الجامع» (٢١٧٦).

ـ مَلكًا، أعطاهُ سَمْعَ العباد، فليس من أحد يُصلِّي عليَّ إلاَّ أبلغنيها، وإني سألتُ ربي ألاَّ يُصَلِّي عليَّ عبدٌ صلاةً إلَّا صلَّىٰ عَلَيْهِ عَشْرَ أمثالِها».

و في «مُسند الإمام أحمد» بسندٍ صحيح، صححه الألباني[1] مِنْ حَدِيْثِ عَنْ عَبْدِ اللهِ ابْنَ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- : «إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِيَ السَّلامَ» .

ومنها: أنَّ الصلاة والسلام ـ على رسول اللّه -ﷺ- طهارةٌ من لَغو المجلس:

ففي «مُسند الإمام أحمد» بسند صحيح[2] ، صححه الألباني في «صحيح الجامع» مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا، لَا يَذْكُرونَ اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ ولا يُصلُّون علىٰ النَّبِيِّ -ﷺ- إِلَّا كَانَ عَلَيْهِم حَسْرَةً يَوْمَ القِيَامَةِ، وَإِنْ دَخَلُوا الجَنَّة للثَّوَاب».

ومنها: أن الصلاة والسلام على رسول اللّه -ﷺ- سببٌ في إجابة الدُّعاء:

فقد أخرج ابن مخلد في «المنتقىٰ» بسند حسن، حسَّنه الألباني في «صحيح الجامع»[3] عَنْ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- : « كُلُّ دُعَاءٍ مَحْجُوبٌ حَتَّىٰ يُصَلَّىٰ عَلَىٰ النَّبِيِّ -ﷺ- ».

ومنها: أنَّ الصلاة والسلام على رسول اللّه سبب لانتفاء البخل عن الشخص:

ففي «سُنن الترمذي» بسندٍ حسن[4] مِنْ حَدِيْثِ الحسين بن عَلِيٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ» .

---

(١) «المُسند» (١/ ٣٨٧)، وانظر «صحيح الجامع» (٢١٧٠).
(٢) «المُسند» (٢/ ٤٦٣)،وانظر «صحيح الجامع» (٧٥٠٠).
(٣) رواه ابن مخلد في «المنتقىٰ» (١/ ٧٦)، وانظر «صحيح الجامع» (٤٣٩٩).
(٤) رواه الترمذي (١٤٥٦).

ومنها: أنها سبب للوقاية من النار:

ففي «صحيح ابن حبان» بسند صحيح لغيره[١] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- صَعِدَ الْمِنْبَرَ ، فَقَالَ : آمِينَ . آمِينَ. آمِينَ. فَلَمَّا نَزَلَ قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّكَ حِينَ صَعِدْتَ الْمِنْبَرَ، قُلْتُ : آمِينَ . آمِينَ. آمِينَ . قَالَ : «**إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَانِي ، فَقَالَ : مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ، فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ ، فَمَاتَ ، فَدَخَلَ النَّارَ ، فَأَبْعَدَهُ اللهُ ، قُلْ : آمِينَ . فَقُلْتُ: آمِينَ. قَالَ : وَمَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ ، أَوْ أَحَدَهُمَا ، فَلَمْ يَبَرَّهُمَا ، فَمَاتَ ، فَدَخَلَ النَّارَ ، فَأَبْعَدَهُ اللهُ ، قُلْ : آمِينَ . فَقُلْتُ : آمِينَ . قَالَ : وَمَنْ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ ، فَمَاتَ ، فَدَخَلَ النَّارَ ، فَأَبْعَدَهُ اللهُ . قُلْ : آمِينَ . فَقُلْتُ : آمِينَ** » .

أَيُّهَا النَّاسُ ، تلك بعض فضائل الصلاة والسلام على رسول الله ـ ﷺ ـ، لكن كيف نصلِّي عليه؟

أَيُّهَا النَّاسُ ، لكي تكونَ أعمالنا مقبولة عند الله؛ فلابُدَّ من تحقيق أمرين متلازمين، لا ينفكُّ أحدُهما عن الآخر .

الأول: إخلاص العمل لله.

والثاني: أن يكون هذا العمل موافقًا لما جاء به رسول الله.

وها هو رسول الله ـ ﷺ ـ يُعلِّمنا كيف نصلِّي عليه:

ففي «صحيح البخاري»[٢] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّهُمْ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ ؟ قَالَ :« **قُولُوا اللهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ، وَعَلَىٰ أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ ، وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**».

---

(١) رواه ابن حبان (٢٣٨٦)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٧٩).
(٢) رواه البخاري (٣٣٦٩).

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيّ»[١] أيضًا ـ مِنْ حَدِيْثِ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قلنا: يا رسول الله، هَذَا السَّلَامُ عَلَيْك، فَكَيْفَ نُصلِّي؟ قال: « **اللهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وعَلَىٰ آلِ محمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وآلِ إِبْرَاهِيم** ».

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيّ»[٢] مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَىٰ ، قَالَ : لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ ، فَقَالَ : أَلَا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ -ﷺ- فَقُلْتُ : بَلَىٰ ، فَأَهْدِهَا لِي ، فقَالَ : سَأَلْنَا رَسُولَ اللهِ -ﷺ- فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ؟ فَإِنَّ اللهَ قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْك ، قَالَ: « **قُولُوا : اللهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيم وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حُمَيْدٌ مَجِيدٌ** ».

وفي «صحيح مسلم»[٣] مِنْ حَدِيْثِ عنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللهِ -ﷺ-، وَنَحْنُ فِي مَجْلِسِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ: أَمَرَنَا اللهُ تَعَالَىٰ، أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-، حَتَّىٰ تَمَنَّيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: قُولُوا: «**اللهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ** ».

وأستغفر الله .

---

(١) رواه البخاري (٦٣٥٨).
(٢) رواه البخاري (٣٣٧٠).
(٣) رواه مسلم (٤/ ١٢٣) مع شرح النووي.

الخطبة الثانية :

الصلاة على النبي -ﷺ-

الحمد للهِ حق حمدِهِ، كما ينبغي لجلالِ وَجهِهِ، وعظيم سُلطانِهِ، والصلاةُ والسلامُ علىٰ رسول الله -ﷺ-، وعلىٰ آله، وصَحبِهِ أجمعين.

أمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ ، سبق الحديث عن فضل الصلاة والسلام علىٰ رسول الله -ﷺ-، مع ذِكْرِ كيفية الصلاةِ عليه -ﷺ- كما شرع الله علىٰ لسان نبيِّه، لا ما أحدثه الناس من الصلوات التي ليس لها ذكرٌ صحيحٌ عن رسول الله -ﷺ-.

أَيُّهَا النَّاسُ، حديثي معكم الآن حول مَواطِنَ تُشْرَعُ فيها الصلاةُ على رسُول اللّه -ﷺ-:

فمنها: في آخرِ التَّشَهُّدِ، وقد أجمع المسلمون علىٰ مَشْروعيته، وهي واجبةٌ علىٰ الصحيح من أقوالِ أهل العلم.

لما في «صحيح مسلم»[1] حَدِيثِ عنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللهِ -ﷺ-، وَنَحْنُ فِي مَجْلِسِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ: أَمَرَنَا اللهُ تَعَالَىٰ، أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟. قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-:قُولُوا: «**اللهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ**».

---

(١) تقدم تخريجه.

وفي «مُسند الإمام أحمد» بسند حسن،[١] مِنْ حَدِيْث فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْد -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يَقُولُ: سَمِعَ رَسُولُ الله -ﷺ- رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِه لَمْ يُمَجِّدْ الله تَعَالَىٰ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَىٰ النَّبِيِّ -ﷺ- فَقَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: «**عَجِلَ هَذَا**» ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ أَوْ لِغَيْرِه: «**إِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَمْجِيدِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَزَّ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصَلِّي عَلَىٰ النَّبِيِّ -ﷺ- ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ**».

ومن مواطن الصلاة عليه -ﷺ- في صلاة الجِنازة بعد التكبيرة الثانية:

فقد أخرج إسماعيلُ بن إسحاق القاضي في كتابه «فضل الصلاة علىٰ النبي-ﷺ- »، وصححه الألباني في تعليقه علىٰ الكتاب[٢] عن سعيد بن المُسَيِّب أنَّه قال: «السُّنَّةُ فِي الصَّلَاةِ عَلَىٰ الْجِنَازَةِ أَنْ يُكَبِّرَ ثُمَّ يَقْرَأَ بفاتحةِ الكتاب، ويُصَلِّيَ عَلَىٰ النَّبِيِّ -ﷺ- ثُمَّ يُخْلِصُ الدُّعَاءَ لِلْمَيِّتِ حتىٰ يَفرُغَ، ولا يقرأ إلا مرَّةً واحدةً، ثمَّ يُسلِّمُ في نَفْسِهِ».

ومن مواطن الصلاة على رسول الله -ﷺ- بعد الأذان:

ففي «صحيح مسلم»[٣] مِنْ حَدِيْثِ عبد الله بن عمرو-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّه سَمِعَ رَسُولُ الله -ﷺ- يقول: «**إِذَا سَمِعْتُم الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**».

---

(١) رواه أحمد (٦/ ١٨).
(٢) «فضل الصلاة علىٰ النبي -ﷺ-» (ص٧٩) بتحقيق الألباني -رحمهُ الله-.
(٣) رواه مسلم (٣٨٤).

ومن مواطن الصلاة عليه -ﷺ- عندَ الدُّعاء:

فقد أخرج الإمام الترمذي في «سُننه» بسند صحيح(١) مِنْ حَدِيْثِ عَبْدُ اللهِ بْن مَسْعُود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي وَالنَّبِيُّ -ﷺ- وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ مَعَهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَدَأْتُ بِالثَّنَاءِ عَلَىٰ اللهِ ثُمَّ الصَّلاةِ عَلَىٰ النَّبِيِّ -ﷺ- ثُمَّ دَعَوْتُ لِنَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: «**سَلْ تُعْطَهْ سَلْ تُعْطَهْ**».

ومن مواطن الصلاة عليه -ﷺ- عند دخول المسجد، والخروج منه:

فقد أخرج ابن خزيمة بسند صحيح(٢) مِنْ حَدِيْثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَىٰ النَّبِيِّ -ﷺ- وَلِيَقُلِ: اللهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِك، وَإِذَا خَرَجَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَىٰ النَّبِيِّ -ﷺ- وَلْيَقُلِ: اللهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**».

ومن مواطن الصلاة عليه -ﷺ- عند ذكره -ﷺ-:

فقد روىٰ النَّسائيُّ بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»(٣) مِنْ حَدِيْثِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلْيُصَلِّ عَلَيَّ؛ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا**».

ومن مواطن الصلاة عليه -ﷺ- عند طَرَفَي النَّهار:

فقد أخرج الهيثمي في «مجمع الزوائد» بسند حسن، حسَّنه الألباني في «صحيح الجامع»(٤) مِنْ حَدِيْثِ أبي الدَّرداء -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ

---

(١) رواه الإمام الترمذي في «سُننه» (٥٩٣)، وقال: حديثٌ حسن صحيح، وقال محقق «جامع الأصول» (٤/ ١٥٦): حسن.

(٢) أخرجه ابن خزيمة (٤٥٢).

(٣) رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (ص٦٠)، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٥٧).

(٤) «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٢٠)، وانظر «صحيح الجامع» (٦٢٣٣).

اللهِ -ﷺ-: «مَنْ صَلَّىٰ عليَّ حِيْنَ يُصْبِحُ -وحين يُمْسِي- عَشْرًا، أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

ومن مواطن الصلاة عليه -ﷺ- يوم الجُمُعة وليلتُها:

فقد أخرج أبو داود بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[1] مِنْ حَدِيْثِ عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ عَنْ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ: « **إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَام وَفِيهِ قُبِضَ وَفِيهِ النَّفْخَةُ وَفِيهِ الصَّعْقَةُ فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنْ الصَّلَاةِ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ** » ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ أَيْ يَقُولُونَ قَدْ بَلِيتَ قَالَ: « **إِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- قَدْ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ -عَلَيْهِمْ السَّلَام-** ».

وروىٰ البيهقي في «سُننه» بإسناد حسن، حسَّنه الألباني في «صحيح الجامع»[2] مِنْ حَدِيْثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- : « **أَكْثِرُوا مِنَ الصَّلاةِ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ،فَإِنَّهُ لَيْسَ يُصَلِّي عَلَيَّ أَحَدٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلا عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلاتُهُ** ».

وروىٰ الحاكم في «مستدركه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[3] مِنْ حَدِيْثِ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ،-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-،عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ : « **أَكْثِرُوا الصَّلاةَ عَلَيَّ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ،فَإِنَّهُ لَيْسَ يُصَلِّي عَلَيَّ أَحَدٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلا عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلاتُهُ** ».

أَيُّهَا النَّاسُ، تلك جُملةُ مواطنَ تُشرعُ فيها الصلاةُ عليه -ﷺ-.

وليستْ تلك المواطن هي التي تُشرعُ فيها الصلاةُ عليه -ﷺ- فقط، كلا بل تُشْرعُ الصلاةُ عليه -ﷺ- عند ذكرِهِ - وقد تقدَّم الدليل علىٰ ذلك - وتُشرعُ

(١) رواه أبو داود (١٠٤٧)، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٧٤).
(٢) رواه البيهقي (٣/ ٢٤٩)،وانظر «صحيح الجامع» (١٢٣٠).
(٣) رواه الحاكم (٢/ ٤٢١)، وانظر «صحيح الجامع» (١٢١٦).

الصلاةُ عليه في كلِّ زمانٍ ومكانٍ عدا الأماكن التي لا يُشرعُ فيها ذِكرُ الله: كالحمَّام.

فقد أخرج الإمام أبو داود في «سُننه» بسند حسن[1] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: « **لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا ، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا ، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ** ».

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

---

(١) «مُسند أحمد» (٢/ ٣٦٧).



٨
٢ـ أهمية الصلاة

الخطبة الأولى

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّد -ﷺ-، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بعدُ،

أَيُّها النَّاسُ، حديثي معكمُ اليومَ عن أهمّيةِ الصلاة، فهي أفضلُ الأعمال بعد الشهادتين، بل إنها حياةُ القلوب، وبُرهانٌ علىٰ شُكرِ المُحسن، والاعتراف بالجميل، **وهي (أي الصلاة) واجبة ـ بالكتاب، والسنة، وإجماع الأمَّة ـ على كلِّ مسلمٍ بالغ عاقل.**

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة:٥].

وفي «الصحيحين»[١] مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- ، أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- بَعَثَ مُعَاذًا -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- إِلَىٰ الْيَمَنِ،فَقَالَ : « **ادْعُهُمْ إِلَىٰ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ** ».

وفي «الصحيحين»[٢] مِنْ حَدِيْثِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- : « **بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَىٰ خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَصَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَحَجِّ الْبَيْتِ** ».

والأدلة من الكتاب والسُّنَّة في فرضية الصلاة كثيرة، وقد نقل الإمام ابن قدامة في كتابه «الُمغْنِي» [٣] إجماع الأُمَّة علىٰ وجوب خمس صلواتٍ في اليوم واللَّيلة.

وأمَّا أهمِّية الصلاة ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ فإنَّ ذلك لا يكاد يُحصر، فمنها: أنَّ الصلاة عِمادُ الدِّين الذي لا يقوم إلاَّ به، وإذا سقط العمود سقط ما بُنِيَ عليه.

ففي «مُسند الإمام أحمد»، و«سُنن الترمذي» بسند حسن،حسَّنه الألباني في «إرواء الغليل»[٤] مِنْ حَدِيْثِ مُعاذ بن جبلٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النبيَّ -ﷺ-

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥)،ومسلم (١/ ٥٠).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) «المغني» لابن قدامة (٣/ ٦).
(٤) «المُسند» (٥/ ٢٣١)، و«سُنن الترمذي» (٢٦١٦)، وحسنه الألباني في «الإرواء» (٢/ ١٣٨).

قال: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامُ، وعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وذِرْوَةُ سِنَامِهِ الجِهَادُ».

ومِمَّا يدلُّ على أهميتها ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أنها أوَّل ما يُحاسبُ عليه العبدُ من عمله، فصلاحُ عمله وفسادُهُ بصلاح صلاته وفسادها.

فقد أخرج الطبراني في «الأوسط» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيحة»[1] مِنْ حَدِيْثِ أنس بن مالكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عن النبيِّ -ﷺ- أنه قال: «**أَوَّلُ ما يُحَاسَبُ بِهِ العبدُ يومَ القيامةِ الصلاة، فإِنْ صَلحَتْ صَلحَ لَهُ سَائِرُ عَمَلِهِ، وإِنْ فسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ**».

وفي رواية: «**أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ فَإِنْ صَلُحَتْ**[وفي رواية: **وَأَنْجَحَ**]، **وإِنْ فسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ**».

ومِمَّا يدل على أهميتها أنَّها آخرُ ما يُفْقدُ من الدِّين، فإذا ذهب آخر الدِّين لم يبق شيءٌ منه.

ففي «مُسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[2] مِنْ حَدِيْثِ أبي أُمامة ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**لَتُنتقضنَّ عُرىٰ الإسلام عُرْوةً عُرْوةً، فكلَّما انتقضت عُروةٌ تَشَبَّثَ الناسُ بالتي تليها، فأَوَّلهُنَّ نقضًا الحكمُ، وآخرهُنَّ الصلاةُ**».

أَيُّهَا النَّاسُ ، تلك بعض الأدلة التي تدلُّ علىٰ أهمية الصلاة، وأما فضائلها فأكثرُ من أن تُحصَرُ، **فمن فضائلها أنَّها تغسلُ خطايا بني آدم:**

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[3] مِنْ حَدِيْثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- ، يَقُولُ :« **أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ**

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١/ ٤٠٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣/ ٣٤٦).
(٢) «المُسند» (٥/ ٢٥١)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٢٢٩).
(٣) رواه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧).

خَمْسَ مَرَّاتٍ ، هَلْ يَبْقَىٰ مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ ؟ قَالُوا : لَا يَبْقَىٰ مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ ، قَالَ: فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ، يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا».

والدَّرنُ: هو الوسخ.

قال الإمام ابن العربيِّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : «وَجْهُ التمثيل أنَّ المرءَ يتدنسُ بالأقذار المحسوسة في بدنه وثوبه، ويُطهرُهُ الماءُ الكثير، فكذلك الصلواتُ تطهِّرُ العبد مِنْ أقذارِ الذُّنوب، حتىٰ لا تبقي له ذنبًا إلاَّ اسقطتهُ وكفَّرته، والله أعلم»[1] .

ومن فضائلها أنها تكفِّر السيئات:

ففي «صحيح مسلم»[2] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ : «**الصلواتُ الخَمْسُ، والجُمُعةُ إلىٰ الجُمُعةِ، ورَمَضان إلىٰ رَمَضانَ مُكَفِّرات لما بَيْنهنَّ، إذا اجتُنِبت الكبائرُ**».

أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- جَلَسَ عَلَىٰ الْمَقَاعِدِ فَجَاءَ الْمُؤَذِّنُ فَآذَنَهُ بِصَلَاةِ الْعَصْرِ، فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ قَالَ : وَاللهِ لَأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثًا لَوْلَا أَنَّهُ فِي كِتَابِ اللهِ مَا حَدَّثْتُكُمُوهُ ، ثُمَّ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- يَقُولُ : «**مَا مِن امْرِئٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وَضوْءَهُ ، ثُمَّ يُصَلِّي الصَّلَاةَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ الْأُخْرَىٰ حَتَّىٰ يُصَلِّيَهَا**».

وفي «الصحيحين»[3] مِنْ حَدِيْثِ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- يَقُولُ : «**لَا يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ يُحْسِنُ وُضُوءَهُ وَيُصَلِّي الصَّلَاةَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ حَتَّىٰ يُصَلِّيَهَا ...**».

---

(١) «حاشية صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٢٦٣).
(٢) رواه مسلم (٢٣٣).
(٣) رواه البخاري (١٦٠)، ومسلم (٢٢٧).

ومن فضائلها أنها أفضل الأعمال بعد الشهادتين:

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[١] مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ -ﷺ- : أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ؟ **قَالَ** :« **الصَّلاةُ عَلَىٰ وَقْتِهَا** » ، قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ **قَالَ** : « **بِرُّ الْوَالِدَيْنِ** » ، قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ **قَالَ** : « **الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ** »، قَالَ : حَدَّثَنِي بِهِنَّ وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي ».

وفي «مُسند أحمد» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[٢] مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ، أَنَّ رَجُلا جَاءَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَفْضَلِ الأَعْمَالِ ، قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- :« **الصَّلاةُ** ». قَالَ : ثُمَّ مَهْ ؟ قَالَ : « **ثُمَّ الصَّلاةُ** » . قَالَ : ثُمَّ مَهْ ؟ قَالَ : « **ثُمَّ الصَّلاةُ** » ثَلاثَ مَرَّاتٍ . قَالَ : ثُمَّ مَهْ ؟ قَالَ : « **ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ** ».

وأخرج الحاكم في «مستدركه» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[٣] مِنْ حَدِيْثِ عَنْ ثَوْبَانَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- :« **اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلاةُ، وَلا يُحَافِظُ عَلَىٰ الطُّهُورِ إِلا مُؤْمِنٌ** ».

ومن فضائلها أنها سببٌ لدخول الجنَّة، والنجاة من النار:

ففي «مُسند أحمد» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[٤] مِنْ حَدِيْثِ عَنْ حَنْظَلَةَ الْكَاتِبِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : سَمِعْتُ

---

(١) رواه البخاري (٥٩٧٠)، ومسلم (٨٥).
(٢) أخرجه أحمد في «مُسنده» (٢/ ١٣٢)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧٨).
(٣) أخرجه الحاكم في «مستدركه» (١/ ١٣٠)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧٩).
(٤) رواه أحمد في «مُسنده»، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٨١).

رَسُولَ اللهِ -ﷺ- يَقُولُ :« **مَنْ حَافَظَ عَلَىٰ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ: رُكُوعِهِنَّ، وَسُجُودِهِن ، وَوُضُوئِهِنَّ ، وَمَوَاقِيتِهِنَّ ، وَعَلِمَ أَنَّهُنَّ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، دَخَلَ الْجَنَّةَ** » أَوْ قَالَ :« **وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ** »، أَوْ قَالَ: «**حرُمَ عَلىٰ النَّار** ».

ومنها أنها سببٌ لرفع الدرجات:

ففي «مُسند أحمد» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[1] مِنْ حَدِيْثِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ ، عَنْ مُطَرِّفٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَعَدْتُ إِلَىٰ نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَجَعَلَ يُصَلِّي يَرْكَعُ وَيَسْجُدُ ثُمَّ يَقُومُ ، ثُمَّ يَرْكَعُ وَيَسْجُدُ لَا يَقْعُدُ ، فَقُلْتُ وَاللهِ مَا أَرَىٰ هَذَا يَدْرِي يَنْصَرِفُ عَلَىٰ شَفْعٍ أَوْ وِتْرٍ ، فَقَالُوا : أَلَا تَقُومُ إِلَيْهِ فَتَقُولَ لَهُ ؟ ! . قَالَ : فَقُمْتُ ، فَقُلْتُ : يَا عَبْدَ اللهِ ، مَا أَرَاكَ تَدْرِي تَنْصَرِفُ عَلَىٰ شَفْعٍ أَوْ عَلَىٰ وَتْرٍ .

قَالَ : وَلَكِنَّ اللهَ يَدْرِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- ، يَقُولُ : « **مَنْ سَجَدَ لِلَّهِ سَجْدَةً ، كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً ، وَحَطَّ بِهَا عَنْهُ خَطِيئَةً ، وَرَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً** »، فَقُلْتُ : مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : فَرَجَعْتُ إِلَىٰ أَصْحَابِي ، فَقُلْتُ : جَزَاكُمْ اللهُ مِنْ جُلَسَاءَ شَرًّا ، أَمَرْتُمُونِي أَنْ أُعَلِّمَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- .

وأخرج الإمام الترمذي بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[2] مِنْ حَدِيْثِ ثوبان مولىٰ رسول الله-ﷺ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- ، يَقُولُ : «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْجُدُ لله سَجْدَةً إلاَّ كَتَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِهَا حَسَنَةً ، وَمَحَا عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً ، وَرَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً ، فاسْتَكْثِرُوا مِنَ السُّجود** » .

---

(١) رواه أحمد (٥/ ١٦٤)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٩٢).
(٢) أخرجه الترمذي في «سُننه» (٣٨٩)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٨٦).

ومن «مُسند أحمد» بسند صحيح: صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[(١)] مِنْ حَدِيْثِ عَنْ رَبِيعَةَ بن كَعْبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: كُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- نَهَارِي، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ أَوَيْتُ إِلَىٰ بَابِ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- فَبِتُّ عِنْدَهُ، فَلا أَزَالُ أَسْمَعُهُ يَقُولُ: «**سُبْحَانَ اللهِ سُبْحَانَ رَبِّي** » حَتَّىٰ أَمَلَّ أَوْ تَغْلِبَنِي عَيْنِي فَأَنَامُ، فَقَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: **يَا رَبِيعَةُ سَلْنِي فَأُعْطِيَكَ** .

قُلْتُ: أَنْظِرْنِي حَتَّىٰ أَنْظُرَ، وتَذَكَّرْتُ أَنَّ الدُّنْيَا فَانِيَةٌ مُنْقَطِعَةٌ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَدْعُوَ اللهَ أَنْ يُجَنِّبَنِي مِنَ النَّارِ وَيُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ .

فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-، ثُمَّ قَالَ: « **مَنْ أَمَرَكَ بِهَذَا؟**» قُلْتُ: مَا أَمَرَنِي بِهِ أَحَدٌ، وَلَكِنِّي عَلِمْتُ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ فَانِيَةٌ، وَأَنْتَ مِنَ اللهِ بِالْمَكَانِ الَّذِي أَنْتَ بِهِ أَحْبَبْتُ أَنْ تَدْعُوَ اللهَ، قَالَ: « **إِنِّي فَاعِلٌ، فَأَعِنِّي بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**» .

وأخرج ابنُ حبان في «صحيحه» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[(٢)] مِنْ حَدِيْثِ عَمْرِو بْنَ مُرَّةَ الْجُهَنِيِّ ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ -ﷺ- ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ شَهِدْتُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ ، وَصَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ ، وَأَدَّيْتُ الزَّكَاةَ ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ ، وَقُمْتُهُ ، فمِمَّنْ أَنَا ؟ قَالَ : « **أَنْتَ مِنَ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ** ».

ومن فضائلها أنها سبب للنجاة من النار:

فقد أخرج الطبراني في «الكبير» بسندٍ حسن، حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[(٣)] مِنْ حَدِيْثِ عبد اللهِ بن مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عن

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٥٩)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٨٨).
(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١/ ١٠٤)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦١).
(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣/ ٦٩)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥٩).

رسول الله -ﷺ- أنه قال: «يُبْعَثُ مُنَادٍ عِنْدَ حَضْرَةِ كُلِّ صَلاةٍ؛ فَيَقُولُ: يَا بَنِي آدَمَ، قُومُوا فَأَطْفِئُوا عَنْكُمْ مَا أَوْقَدْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، فَيَقُومُونَ فَيَتَطَهَّرُونَ وَتَسْقُطُ خَطَايَاهُمْ مِنْ أَعْيُنِهِمْ، وَيُصَلُّونَ فَيُغْفَرُ لَهُمْ مَا بَيْنَهُمَا، ثُمَّ يُوقِدُونَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَ صَلاةِ الأُولَىٰ نَادَىٰ: يَا بَنِي آدَمَ، قُومُوا فَأَطْفِئُوا مَا أَوْقَدْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، فَيَقُومُونَ فَيَتَطَهَّرُونَ وَيُصَلُّونَ فَيُغْفَرُ لَهُمْ مَا بَيْنَهُمَا، فَإِذَا حَضَرَتِ الْعَصْرُ فَمِثْلُ ذَلِكَ، فَإِذَا حَضَرَتِ الْمَغْرِبُ فَمِثْلُ ذَلِكَ، فَإِذَا حَضَرَتِ الْعَتَمَةُ فَمِثْلُ ذَلِكَ، فَيَنَامُونَ وَقَدْ غُفِرَ لَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **فَمُدْلِجٌ فِي خَيْرٍ، وَمُدْلِجٌ فِي شَرٍّ** » .

أَيُّهَا النَّاسُ، تلك بعض فضائل الصلاة، فحافظوا عليها.

فإنها آخِرُ وصيةٍ أوصى بها النبيُّ -ﷺ- أمَّتهُ:

ففي «مُسند أحمد» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «إرواء الغليل»[1] مِنْ حَدِيْثِ أُمِّ سَلَمَةَ -رَضِي اللهُ عَنْهَا- أنها قالت: كان آخرُ وصيَّةِ رسول الله -ﷺ-: «**الصَّلاَةَ الصَّلاَةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**» حتىٰ جعل نبيُّ اللهِ -ﷺ- يُجلجِلُها في صدْرِهِ، وما يفيضُ بها لسانُهُ.

وأستغفر الله.

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٢٩٠)، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (٧/ ٢٣٨).

الخطبة الثانية

حُكمُ تاركِ الصَّلاة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلىٰ آله وصحبِهِ أجمعين.

أمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، تقدَّم الحديث معكم عن بعض أهمِّيَّة الصلاةِ، مع ذكر شيء من فضائلها، والآن حديثي معكم عن حكم تاركها.

أَيُّهَا النَّاسُ، لا شكَّ أنَّ تَرْكَ الصلاةِ المفروضة كُفْرٌ، فمن تركها جاحدًا لوجوبها كفر كُفرًا أكبر بإجماع أهل العلم، ولوصلَّىٰ[1] ، أمّا من ترك الصلاة بالكُلِّيَّة ـ وهو معتقدٌ وجوبها ولا يَجْحَدُها ـ فإنه يكفرُ، والصحيح من أقوال أهل العلم أنَّ كُفْره أكبرُ، يُخرجُ من الإسلام ، **لأدلَّة منها:**

أولاً: الأدلَّة من الكتابِ العزيْز:

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [القلم: ٤٢، ٤٣].

قال ابن القيم ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : «فوجه الدِّلالة من الآية: أنه ـ سبحانه ـ أخبر أنه لا يجعل المسلمين كالمجرمين، وأن هذا الأمر لا يليق بحكمته ولا بحُكمه، ثمَّ ذكر أحوال المجرمين الذين هم ضد المسلمين، فقال: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾ وأنهم يُدْعون إلىٰ السجود لربِّهم ـ تبارك وتعالىٰ ـ، فيُحالُ بَيْنَهُم وبَيْنَهُ، فلا

(١) انظر «تحفة الإخوان بأجوبة تتعلق بأركان الإسلام» لسماحة الشيخ بن باز (ص٧٣).

يستطيعون السجود مع المسلمين عقوبة لهم علىٰ ترك السجود له مع المُصلِّين في دار الدنيا، وهذا يدلُّ علىٰ أنهم مع الكفار والمنافقين، الذين تبقىٰ ظهورهم إذا سجد المسلمون ـ كميامن من البقر، ولو كانوا من المسلمين، لأُذِنَ لهم بالسجودِ كما أُذِنَ للمسلمين»[١] .

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم:٥٩].

قال ابن القيم ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : «ووجه الدلالة أنَّ الله ـ سبحانه ـ جعل هذا المكان من النار لمن أضاع الصلاة،واتَّبع الشهوات، ولو كان من عُصاة المسلمين، لكانوا في الطبقة العُليا من طبقات النار، ولم يكونوا في هذا المكان الذي هو أسفلها، فإن هذا ليس من أمكنة أهل الإسلام، بل من أمكنة الكفَّار»[٢] .

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-:﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ﴾ [القيامة: ٣١، ٣٢].

قال ابن القيم ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : «فلمَّا كان الإسلام تصديق الخبر، والانقياد للأمر، جعل ـ سبحانه ـ له ضدَّين: عدم التصديق، وعدم الصلاة، وقابل التصديقَ بالتكذيب، والصلاة بالتولي، فقال: ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ﴾ فكما أنَّ المُكذِّب كافرٌ، فالمتولي عن الصلاة كافر، فكما يزولُ الإسلامُ بالتكذيب يزول بالتولي عن الصلاة»[٣] .

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الروم:٣١].

---

(١) «الصلاة» لابن القيم (ص٥٣).
(٢) المرجع السابق (ص٥٧ ـ ٥٨).
(٣) المرجع السابق (ص٥٨).

قال المروزيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «فبيَّن أنَّ علامة أن يكون من المشركين تركُ الصلاة»[١].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [التوبة:١١].

قال ابن القيم ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : «فعلَّق أُخوَّتهم للمؤمنين بفعل الصلاة، فإذا لم يفعلوا، لم يكونوا إخوة للمؤمنين، فلا يكونوا مؤمنين لقوله تعالىٰ :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[الحجرات: ١٠][٢] .

ثانيًا: الأدلة من السنة النبوية:

ففي «صحيح مسلم»[٣] مِنْ حَدِيْثِ جابر بن عبد الله -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-:«**إنَّ بينَ الرَّجُلِ، وبَيْنَ الشِّرْكِ والكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاةِ**».

وأخرج الإمام النَّسائي،والترمذي، وابن ماجَهْ [٤] بسند صحيح، عن بريدة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**العَهْدُ الذي بَيْنَنَا وبَيْنَهُمُ الصلاةُ، فمَنْ تَركَهَا فقدْ كفَرَ**».

وهذا الحديث أَيُّهَا النَّاسُ، وما قبلهُ ظاهرُ الدلالة جدًّا علىٰ كُفرِ تاركِ الصلاةِ.

وفي «الصحيحين»[٥] مِنْ حَدِيْثِ عَنْ أَنَسٍ -رَضِي اللهُ عَنْهُ- قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- يُغيِّرُ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرَ ، وَكَانَ يَسْتَمِعُ الْأَذَانَ ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ وَإِلَّا أَغَارَ ».

---

(١) «الصلاة» لمحمد بن نصر المروزي (٢/ ١٠٠٥، ١٠٠٦).
(٢) «الصلاة» لابن القيم (ص٥٨).
(٣) أخرجه مسلم (٨٢).
(٤) أخرجه النسائي (٤٦٣)، والترمذي (٢٦٢٣)، وابن ماجَهْ (١٠٧٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤١٤٣).
(٥) أخرجه البخاري (٦١٠)، ومسلم (٣٨٢).

ووجه الدلالة أنَّ عدمَ الأذان دليلٌ علىٰ عدم الصلاة، وأنَّ عدم الصلاة دليلٌ علىٰ أنَّ القريةَ مشركةٌ بالله عزَّ وجلَّ، وظاهر هذا في الإغارة علىٰ المشركين.

وفي «الصحيحين»[1] مِنْ حَدِيْثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ- رَضِي اللهُ عَنْهُ -قَالَ: «**دَعَانَا رَسُولُ اللهِ -ﷺ- ، فَبَايَعْنَاهُ ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا ، أَنْ بَايَعَنَا عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا ، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا ، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ ، قَالَ : إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ** ».

وفي «صحيح مسلم»[2] مِنْ حَدِيْثِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ -رَضِي اللهُ عَنْهَا- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ : «**سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ ، قَالُوا أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ ، قَالَ : «لَا مَا صَلَّوْا** ».

ووجه الدلالة أن حديث عُبادةَ حرَّم مُنازعةَ وُلاةِ الأمور، إلا إذا أَتَوْا بكفرٍ بَوَاحٍ، فيه بيِّنةٌ وبُرهْانٌ من عند الله-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- علىٰ أنَّه كُفْرٌ بَوَاحٌ.

وفي حديث أمِّ سَلَمَةَ -رَضِي اللهُ عَنْهَا- حرَّمَ النبيُّ -ﷺ- مقاتلة الأُمراءِ، إلاَّ إذا تركوا الصلاة لقوله: «**لَا مَا صَلَّوْا** » .

فدلَّ مجموع الحديثين علىٰ أنَّ تاركَ الصلاة وقع في الكُفرِ البَوَاحِ، الذي قامت الأدلةُ علىٰ أنَّه كفرٌ صريحٌ، وهذا من أقوىٰ الأدلة،والله أعلم.

ثالثًا ـ إجماع الصحابة على كُفر تارك الصلاة:

وقد حكىٰ إجماع الصحابة علىٰ كُفرِ تارك الصلاة غيرُ واحدٍ من أهل العلم.

فقد أخرج الترمذي في «سُننه»[3] عن عبد الله بن شقيق-رَضِي اللهُ عَنْهُ- قال: «كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ -ﷺ- لَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنْ الْأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ».

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩).
(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٤).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٢١).

أَيُّهَا النَّاسُ، ذكرتُ لكم القولَ الراجح من أقوال أهل العلم.

وأمَّا من قال بَعَدمِ كُفْرِ تاركِ الصلاةِ فقولُهُ إنَّما يلتقي مع القول الراجح في أنَّ تَرْكَها من أعظم الأسباب المُوصلة إلىٰ الكفر، فقد قال الإمام ابن الخراط وهو ممن يُرجِّح عدم كفر تاركِ الصلاة: «واعلم رحمك اللهُ ـ أنَّ تَركَ الصلاة، وإنْ لم يكن كُفرًا كما قال أولئك رضوان الله عليهم ـ فإنه أعظمُ الأسبابِ المُوصلةِ إلىٰ الكفر، الداعية إلىٰ شُؤْمِ العاقبةِ، وسوء الخاتمةِ»[1] .

وأخيرًا أسألُ اللهَ العظيمَ الحليمَ العليمَ، أنْ يُفقِّهنا في الدِّين، ويجعلنا هُداةً مُهْتدين.

(١) «الصلاة والتهجد» لابن الخراط (ص٩٦).



٩

صلاة الجماعة

الخطبة الأولى

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيْئَاتِ أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد -ﷺ-، وشرَّ الأُمور مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثة بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَة ضلالةٌ، وكُلّ ضلالة في النّار.

أمّا بعدُ، أيُّهَا النَّاسُ حديثي معكمُ اليومَ حولَ صلاةِ الجماعةِ في المساجد، التي هي أفضلُ البِقاعِ وأطهرُها على وَجْهِ الأرضِ.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا

﴿عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [النور: ٣٦ ـ ٣٨].

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ صلاة الجماعة فرض عينٍ، وهذا هو المنصوص عن أئمة السَّلفِ وعلماءِ الحديث، لكنها ليستْ بشرطٍ لصحة الصلاة، فلو تركها المسلم بدون عُذرٍ يأثمُ، وصلاتُهُ صحيحةٌ.

والأدلَّة على وجوب صلاة الجماعة كثيرةٌ، فمنها:

قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢].

ووجه الدلالة ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أنَّ الله-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أمرهم بالصلاة مع الجماعة، ثمَّ أعاد الأمرَ ثانية في حقِّ الطائفة الثانية بقوله: ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟﴾ وفي هذا دليل علىٰ أنَّ الجماعة فرضٌ علىٰ الأعيان، إذ لم يُسقطها -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- عن الطائفة الثانيةِ بفعل الأولىٰ،وهذا في حال الحرب والخوف، فكيف بحال السِّلْم والأمن؟!.

لا شكَّ أنه أولىٰ وآكد، ولو كان أحدٌ يُسامحُ في ترك الصلاة مع الجماعة، لكان المُصافون للعدوِّ، المُهددون بهجُومِهِ عليهم أولىٰ بأنْ يُسْمَح لهم في ترك الجماعة، فلمَّا لم يقعْ ذلك عُلِمَ أنَّ أداءَ الصلاةِ مع الجماعة من أهمِّ الواجبات، وأنه لا يجوز التخلُّفُ عن ذلك[1] .

ومن الأدلة ـ أيضًا ـ قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة: ٤٣].

---

(١) انظر «وجوب الصلاة مع الجماعة» لمحمد الحربي (ص١٣، ١٤).

فهذا أمر، والأمر يقتضي الوجوب.

قال العلامة ابن باز ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : «وهذه الآية نصٌّ في وجوب الصلاة مع الجماعة، والمشاركة للمصلِّين في صلاتهم، ولو كان المقصود إقامتها فقط، لم تظهر مناسبةٌ واضحةٌ في ختم الآية بقوله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- :﴿ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾لكونه قد أمر بإقامتها في أول الآية»[1] .

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ [الأعراف: ٢٩]، فالأمر يقتضي الوجوب.

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [القلم:٤٢، ٤٣].

قال ابن القيم ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ عند هذه الآية: «ووجه الاستدلال بها أنه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- عاقبهم يومَ القيامة بأن حَالَ بَيْنَهم وبَيْنَ السجودِ، لما دعاهم إلىٰ السُّجودِ في الدنيا، فأبوا أن يُجيبوا الداعيَ، إذا ثبت هذا فإجابة الداعي إتيان المسجد بحضور الجماعة، لا فعلُها في بيته وَحْدَهُ، فهكذا فسَّر النبيُّ -ﷺ-الإجابةَ، وقد قال غير واحدٍ من السلف في قوله تعالىٰ: ﴿ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ قال: هو قول المؤذِّن: حيَّ علىٰ الصلاة، حيَّ علىٰ الفلاح، وحيَّ هنا اسم فعل أمر، معناه: أَقْبِلْ وأَجِبْ، وهو صريح في أنَّ إجابةَ هذا الأمر بحضور الجماعةِ، وأنَّ المُتخلِّفَ عنها لم يُجِبْهُ»[2] .

---

(١) انظر «ثلاث رسائل في الصلاة» للشيخ ابن باز (ص١٦).
(٢) «كتاب الصلاة» لابن القيم (ص٤٦٠، ٤٧٥).

وأمَّا الأدلة من السُّنَّة ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ فأكثرُ من أنْ تُحْصَر، فمنها:

ما رواه البخاري في «صحيحه»[١] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِي اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ: « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ فَيُحْطَبَ، ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلَاةِ فَيُؤَذَّنُ لَهَا، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيَؤُمَّ النَّاسَ ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَىٰ رِجَالٍ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَظْمًا سَمِينًا أَوْ مِرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ لَشَهِدَ الْعِشَاءَ** ».

قال الحافظ ابن حجر ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ **في «الفتح»:** «وأمَّا حديثُ الباب فظاهرٌ في كونها فرضَ عينٍ؛ لأنَّها لو كانت سنّةً، لم يُهدِّدْ تاركَها بالتحريق المذكور، ولا يمكنُ أنْ يقع في حقِّ تاركي فَرضِ الكفاية كمشروعة قتالِ تاركي فرض الكفاية، وفيه نظرٌ؛ لأنَّ الذي قد يُفضي إلىٰ القتل أخصُّ من المقاتلة، ولأنَّ المقاتلة إنّما تُشرعُ فيما إذا تمالأ الجميعُ علىٰ التركِ»[٢] .

وقال الإمام ابن دقيق العيد ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ **:** «فمن قال بأنها واجبة علي الأعيان قد يحتج بهذا الحديث، فإنَّه إن قيل بأنها كفايةٌ، فقد كان هذا الفرضُ قائمًا بفعل رسول الله -ﷺ- ومن معه، وإن قيل إنَّها سنَّةٌ فلا يُقتلُ تاركُ السُنن؛ فتعيَّن كونُها فرضًا علىٰ الأعيان»[٣] .

وقال الإمام ابن المنذر ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ **:** «وفي اهتمامه -ﷺ- بأن يُحرِّقَ علىٰ قوم تخلَّفوا عن الصلاة في المساجد أَبْيَنُ البيان علىٰ وجوب فرضِ الجماعة؛ إذ غيرُ جائزٍ أنْ يتهدد رسولُ الله -ﷺ- من تخلَّفَ عن ندبٍ، وعمَّا ليس بفرضٍ قال: «ويُؤَيِّدُهُ حديثُ أبي هُرَيْرَةَ- رَضِي اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رجلاً خرج من المسجد بَعدَما أَذَّن المُؤذنُ، فقال: «أَمَّا هَذَا فَقَدْ عَصَىٰ أَبَا الْقَاسِمِ -ﷺ-» رواه مسلمٌ في «صحيحه».

---

(١) رواه البخاري (٦٤٤).
(٢) «فتح الباري» (٢/ ١٢٥).
(٣) «إحكام الأحكام» (١/ ١٦٤).

ولو كان المرءُ مُخيرًا في ترك الجماعة وإتيانها لم يجزْ أنْ يُعصَّىٰ مَن تخلَّف عمَّا لا يجب عليه أن يحضره، وإنما لمَّا أمر الله ـ جلَّ ذكره ـ بالجماعة في حال الخوف، دلَّ علىٰ أنَّ ذلك في حال الأَمْنِ أَوْجبُ، والأخبارُ المذكورةُ في أبوابِ الرُّخصة لأصحاب الأعذارِ تدلُّ علىٰ فرضِ الجماعة علىٰ مَنْ لا عُذْرَ له».
اهـ[١].

وأخرج الإمام مسلم في «صحيحه»[٢] مِنْ حَدِيْثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِي اللهُ عَنْهُ - قَالَ أَتَىٰ النَّبِيَّ - ﷺ - رَجُلٌ أَعْمَىٰ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَىٰ الْمَسْجِدِ فَسَأَلَ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ، فَرَخَّصَ لَهُ فَلَمَّا وَلَّىٰ دَعَاهُ فَقَالَ: « **هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ** » قَالَ نَعَمْ قَالَ: « **فَأَجِبْ** ».

قال الإمام ابن قدامة ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في «المغني»:

«وإذا لم يُرخِّص للأعمىٰ الذي لم يجدْ قائدًا، فغيرُهُ أَولىٰ»[٣] .

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ النبي - ﷺ - لم يُرخِّص للأعمىٰ في ترك صلاة الجماعة في المسجد، مع ما أبداه من الأعذار، مع كونِهِ كفيفَ البصر، وليس له قائدٌ يُلازمُهُ، ومع كون دارِهِ بعيدة، وأنَّ بَيْنَهُ وبين المسجد واديًا، ومع أنَّ المدينة كثيرةُ الهوامِّ والسِّباع، ورغم هذه الاعتبارات كُلِّها لم يُرَخِّص له النبيُّ - ﷺ -، بل قال: «**هل تسمعُ النداءَ؟**» قال: نعم، قال: «**فأجب**»[٤].

أخرج الإمام أبو داود بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[٥] مِنْ حَدِيْثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِي اللهُ عَنْهُ - قَالَ : جَاءَ إِلَىٰ رَسُولِ

(١) «كتاب الصلاة» لابن القيم (ص٨٦).
(٢) رواه مسلم (٦٥٣).
(٣) «المغني» (٢/ ١٣٠).
(٤) انظر «صلاة الجماعة» للسدلان (ص٦٣).
(٥) أخرجه أبو داود (١/ ١٥١)، والنسائي (٢/ ١٠٩)، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» بسند صحيح (٤٢٩).

اللهِ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ- رَضِي اللهُ عَنْهُ -، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنِّي ضَرِيرُ الْبَصَرِ شَاسِعُ الدَّارِ ، وَلَيْسَ لِي قَائِدٌ يُلازِمُنِي ، فَهَلْ تَجِدُ لِي رُخْصَةً ؟ ، قَالَ : « **أَيَبْلُغُكَ النِّدَاءُ؟** » قُلْتُ : نَعَمْ قَالَ : « **مَا أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً** ».

قال ابن المنذر ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ :

«ذِكْرُ حضور الجماعة علىٰ العُميان وإن بَعدتْ منازلهم عن المسجد يدلُّ ذلك علىٰ أنَّ شهود الجماعة فرض لا ندبٌ، وإذا قال لابن أمِّ مكتوم -رَضِي اللهُ عَنْهُ -وهو ضرير: « **مَا أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً** » فالبصيرُ أولىٰ ألاَّ تكونَ له رخصةٌ»[1] .

وقال الإمام الخطَّابي في «معالم السُنن» : [2]

«وفي هذا دليل علىٰ أنَّ حضور الجماعة واجب، ولو كان ذلك ندبًا لكان أولىٰ منْ يَسَعُهُ التخلفُ عنها أهلُ العذرِ والضّعفِ، ومن كان في مثل حال ابن أمِّ مَكتُوم».

قال الإمام ابن القيِّم ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : «فهذا الدليل مبنيٌّ علىٰ مقدِّمتين:

إحداهما : أنَّ هذه الإجابة واجبة.

والثانية : لا تَحصُلُ إلاَّ بحضور الجماعة، وهذا هو الذي فهمه أعلم الأمَّة وأفقههم من الإجابة، وهم الصحابة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم ـ، فقال ابن المُنذر في كتابه «الأوسط»: روينا عن ابن مسعود وأبي موسىٰ أنهما قالا: مَنْ سَمِعَ النِّداء، ثمَّ لم يُجِبْ، فإنه لا تجاوز صلاتُهُ رأسَهُ إلاَّ من عُذْرٍ»[3] .

قال: وروي عن عائشة-رَضِي اللهُ عَنْهَا- أنها قالت: «مَن سمِعَ النِّداء، فلم يُجِبْ، لم يُرِد خيرًا، ولم يُرِدْ به»[4] .

(١) «كتاب الصلاة» لابن القيم (٤٦١).
(٢) «معالم السُنن» (١/ ١٦٠، ١٦١).
(٣) «مجمع الزوائد» (٢/ ٤٢).
(٤) «سُنن البيهقي» (٣٦/ ٥٧) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِي اللهُ عَنْهُ -أَنَّهُ قَالَ : «**لأَنْ تَمْتَلِئَ أُذُنُ ابن آدمَ رَصَاصًا مُذَابًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ الأَذَانَ ثُمَّ لا يُجِيبهُ**».

فهذا وغيره يدلُّ أنَّ الإجابة عند الصحابة هي حضور الجماعة، وأنَّ المُتخلِّفَ عنها غيرُ مجيبٍ، فيكون عاصيًا»[١] .

وفي «سُنن أبي داود» بسند صحيحٍ، صححه الألباني في «صحيح الجامع»، و«صحيح سُنن أبي داود»[٢] مِنْ حَدِيْثِ ابن عباسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ، فَلَمْ يُجِب، فلَا صَلاةَ لَهُ إلَّا مِنْ عُذْرٍ**».

وأخرج الحاكم في «مستدركه» بسندٍ حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»[٣] مِنْ حَدِيْثِ معدان بن أبي طلحة اليعمريِّ قال: قال لي أبو الدَّرداء: أين مسكنك؟ فقلت: في قريةٍ دون حِمص.

فقال أَبو الدَّرْدَاءِ- رَضِي اللهُ عَنْهُ -: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- يَقُولُ: «**مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ، لَا تُقَامُ فِيهِمْ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمْ الشَّيْطَانُ ،فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ**».

قال الإمام ابن القيم ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : «فوجه الاستدلال أنه أخذ باستحواذ الشيطان عليهم بترك الجماعة، التي شعارها الأذان وإقامة الصلاة، ولو كانت الجماعة ندبًا ـ يُخيَّرُ الرجلُ بين فعلها وتركها ـ لما استحوذ الشيطان علىٰ تاركها، وتارك شعارِها»[٤] .

---

(١) «كتاب الصلاة» (ص٨٨).
(٢) أخرجه أبو داود (٥٥١)، وصححه الألباني في «صحيح سُنن أبي داود» (٥١٥)، و«صحيح الجامع» (٦٣٠٠).
(٣) «المستدرك» (٢/ ٤٧٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٠١).
(٤) «كتاب الصلاة» لابن القيم (ص٤٦١).

فدلت هذه النصوصُ ـ السالفةُ الذِّكر من القرآن الكريم والسنة النبوية ـ على وجوب صلاة الجماعة، وأنه لا يجوز التخلف عنها إلا لعذر، كالمرض، أو الخوف، وبهذا قال جمهور العلماء من الصحابة والتابعين، وهو ظاهر مذهب الإمام أحمد، وبه قال الشافعيُّ، وقد أُثر عنه أنه قال: «وأمَّا الجماعة فلا أُرخِّصُ في تركها إلا من عذرٍ» نقل ذلك عنه المزنيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ ، ويتبين مما تقدَّم أنَّ الأئمة الأربعة ـ رحمهم الله ـ اتفقوا علىٰ وجوب صلاة الجماعة، وأنَّ تاركها بدون عذر آثمٌ، وإن اختلفت عباراتهم، ويشهد لذلك كلامُ الله- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، وسنة رسوله -ﷺ-، ولا كلام لأحدٍ مع كلام الله، وسنَّة رسوله -ﷺ- الثابتة عنه

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية

فضل صلاة الجماعة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين، نبينا محمَّدٍ، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعدُ، أَيُّهَا النَّاسُ سبق الحديث معكم في وجوب صلاة الجماعة، **وفيما يأتي بيانُ فضلها.**

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[1] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِي اللهُ عَنْهُ- أنَّ النبيَّ -ﷺ- قَالَ: «**مَنْ غَدَا إلىٰ المسجدِ أو رَاحَ، أعدَّ اللهُ لهُ في الجنَّةِ نُزُلاً، كُلَّما غدَا أو رَاحَ**». والنزُلُ: هو ما يُهيَّأُ للضيف من كرامةٍ عند قُدُومِهِ.

وفي «صحيح مسلم»[2] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِي اللهُ عَنْهُ -أنَّ النبيَّ -ﷺ- قَالَ: «**مَنْ تطَهَّرَ في بَيْتِهِ، ثُمَّ مَضَىٰ إلىٰ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، لِيَقْضِي فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللهِ، كَانَتْ خُطُواتُهُ، إحْدَاهَا تَحُطُّ خَطِيئَةً، وَالأُخْرَىٰ تَرْفَعُ دَرَجَةً**».

وفي «صحيح مسلم»[3] مِنْ حَدِيْثِ أُبيِّ بْن كَعْبٍ - رَضِي اللهُ عَنْهُ - قال: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ لا أَعْلَمُ أَحَدًا أبْعَدَ مِنَ المَسْجِدِ مِنْهُ، وَكَانَتْ لا تُخْطِئُهُ صَلاَةٌ، فَقيلَ لَهُ: لَوْ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا تَرْكَبُهُ في الظَّلْمَاءِ وَفِي الرَّمْضَاءِ، قَالَ: مَا يَسُرُّنِي أنَّ مَنْزِلِي إلىٰ جَنْبِ المَسْجِدِ، إنِّي أُرِيدُ أنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إلىٰ المَسْجِدِ، وَرُجُوعِي إذَا رَجَعْتُ إلىٰ أهْلِي.

---

(١) رواه البخاري (٢/ ١٢٤)، ومسلم (٦٦٩).
(٢) رواه مسلم (٦٦٦).
(٣) رواه مسلم (٦٦٣).

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**قَدْ جَمَعَ اللهُ لكَ ذَلِكَ كُلَّه**».

وفي «صحيح مسلم»[١] مِنْ حَدِيْثِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ، قَالَ : خَلَتِ الْبِقَاعُ حَوْلَ الْمَسْجِدِ ، فَأَرَادَ بَنُو سَلِمَةَ ، أَنْ يَنْتَقِلُوا إِلَىٰ قُرْبِ الْمَسْجِدِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- ، فَقَالَ لَهُمْ : « **إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ** ؟ قَالُوا : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ ، فَقَالَ : **يَا بَنِي سَلِمَةَ ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ** » فقالوا: ما يسرنا أنّا كنا تحولنا.

وفي «الصحيحين»[٢] مِنْ حَدِيْثِعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- قَالَ : « **إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلاةِ أَبْعَدُهُمْ إِلَيْهَا مَمْشًىٰ** ».

وأخرج أبو داود، والترمذي بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[٣] مِنْ حَدِيْثِ بُريدةَ- رَضِي اللهُ عَنْهُ - ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: « **بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ إِلَىٰ الْمَسَاجِدِ فِي الظُّلَمِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ».

وفي «صحيح مسلم»[٤] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ : « **أَلا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا ، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ**؟، قَالُوا : بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ ، **قَالَ : إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَىٰ الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَىٰ الْمَسَاجِدِ ، وَانْتِظَارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ**».

وفي «الصحيحين»[٥] مِنْ حَدِيْثِ ابن عمر-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ : «**صلاةُ الجماعةِ أفضلُ من صلاةِ الفذِّ** (أي: الواحد) **بسبعٍ وعشرين درجةً**».

---

(١) رواه مسلم (٦٦٥).
(٢) رواه البخاري (٢/ ١١٦)، ومسلم (٦٦٢).
(٣) رواه أبو داود (٥٦١)، والترمذي (٢٢٣)،وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٨٢٣).
(٤) رواه مسلم (٢٥١).
(٥) رواه البخاري (٦٤٥)، ومسلم (٦).

وفي «الصحيحين» - أيضًا -[١] مِنْ حَدِيْثِ أبي هُرَيْرَةَ- رَضِي اللهُ عَنْهُ -قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- : : **صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَىٰ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ فَإِذَا صَلَّىٰ لَمْ تَزَلْ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ اللهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ اللهُمَّ ارْحَمْهُ وَلَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلَاةَ** ».

وفي «صحيح مسلم»[٢] مِنْ حَدِيْثِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ - رَضِي اللهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- يَقُولُ :« **مَنْ صَلَّىٰ الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ وَمَنْ صَلَّىٰ الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّىٰ اللَّيْلَ كُلَّهُ** ».

وفي «الصحيحين»[٣] مِنْ حَدِيْثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِي اللهُ عَنْهُ -أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ : « **وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا** ».

وأخرج الإمام أحمدُ في «مُسنده» بإسناد حسن، حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[٤]مِنْ حَدِيْثِ عبد الله بن عمر-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «**إنَّ اللهَ -تبارَكَ وتَعالَىٰ- لَيَعْجَبُ من الصَّلاةِ في الجَمْعِ**».

وروىٰ ابن خزيمة في «صحيحه» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[٥]مِنْ حَدِيْثِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ-رَضِي اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- يَقُولُ: «**مَنْ تَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ مَشَىٰ إِلَىٰ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، فَصَلَّاهَا مَعَ النَّاسِ أَوْ مَعَ الْجَمَاعَةِ أَوْ فِي الْمَسْجِدِ غَفَرَ اللهُ**

(١) رواه البخاري (٢/ ١١٢)، ومسلم (٦٤٩).
(٢) رواه مسلم (٦٥٦).
(٣) رواه البخاري (٢/ ١١٦)، ومسلم (٤٣٧).
(٤) أخرجه أحمد في «مُسنده» ، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٤٠٦).
(٥) أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٤٠٧).

لَهُ ذُنُوبَهُ».

وأخرج الإمام الترمذي في «سُننه» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»(٦) مِنْ حَدِيْثِ أنس بن مالكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: **«مَنْ صَلَّىٰ لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِىٰ جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الأُولَىٰ كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ»**.

وأخرج الإمام الترمذي ـ أيضًا ـ في «سُننه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»(٧) مِنْ حَدِيْثِ ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- : **«أتاني الليلةَ ربِّي (أي في المنام) (وفي روايةٍ: رأيتُ ربِّي في أحسنِ صورةٍ) فَقَالَ لي: يا مُحمَّدُ قلتُ: لبَّيكَ ـ ربِّ ـ وسعديك، قال: هل تدري فيمَ يختصمُ الملأ الأعْلَىٰ؟ قلتُ: لا أعلمُ. فوضعَ يَدَهُ بينَ كتفيَّ، حتىٰ وجدتُ بَردَها بَيْنَ ثَدْيَيَّ- أو قال: في نحري- فعلمتُ ما في السموات وما في الأرض- أو قال: ما بين المشرق والمغرب- قال: يا محمَّدُ، أتدري فيم يختصمُ الملأ الأعلىٰ؟ قلتُ: نعم، في الدرجات، والكفارات،وَنَقْلُ الأَقْدَام إِلَىٰ الْجَمَاعَاتِ ، وإِسْبَاغُ الوُضُوء في السَّبراتِ (أي شدة البرد)، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، ومن حافظ عليهِنَّ عاش بخير، ومات بخير، وكان من ذنوبه كيوم ولَدَتْهُ أُمُّهُ. قال: يا محمّد قلت: لبَّيك وسعديك. فقال: إذا صلَّيت قُلْ: اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ فِعْلَ الخيراتِ وتركَ المنكرات وحبَّ المسَاكينِ، وإذا أردتَ بعبادكَ فتْنَةً فاقبضْني إليكَ غيرَ مفتونٍ قَالَ والدَّرجَاتُ إفشَاءُ السَّلاَمِ وإطعامُ الطعام والصلاةُ بالليلِ والناسُ نيامٌ»**.

وأخيرًا أسأل الله-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-أن يفقهنا في الدين، ويستعملنا في طاعتِهِ.

---

(٦) رواه الترمذي (٢٤١)، وهو في «صحيح الترغيب» (٤٠٩).
(٧) رواه الترمذي (، وهو في «صحيح الترغيب» (٤٠٨).



١٠

من أخطاء الناس في الصَّلاةِ

الخطبة الأولى

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيِّئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد -ﷺ-، وشرَّ الأُمور مُحْدَثاتُها، وكلّ مُحْدَثة بدعةٌ، وكلّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّار.

أمّا بعدُ، أيها النَّاسُ، حديثي معكم اليوم عن بعض أخطاءِ الناس في الصلاة.

أَيُّهَا النَّاسُ، الصلاةُ أمرُها عظيمٌ، فهي عمود الدِّين، وأهمُّ الواجبات بعد التوحيد، بصلاحها يصلحُ عملُ المسلم كُله، ومتىٰ فسدَتْ فَسَدَ العملُ كُلُّهُ.

فعلينا الانتباه لبعض الأخطاء، وذلك بعرض صلاتنا كُلِّها علىٰ الكتاب

والسُنَّة الصحيحة، فمن الأخطاء ما تكون سببًا لنقص أجرها ومن الأخطاء ما تكون سببًا لعدم قبولها ومن الأخطاء ما تكون سببًا للوِزْرِ والإثم.

فمن الأخطاء ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أنْ يُصلِّيَ الرجلُ مُسبِلَ الإزار، وهذ خطأ، فقد ورد النَّهيُ الشديدُ عن ذلك.

ففي «مُسند أحمد»، وسُنن النَّسائيِّ، وسُنن أبي داود بسند صحيح[1] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، قَالَ : بَيْنَمَا رَجُلٌ يُصَلِّي مُسْبِلَ إِزَارِهِ ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- : «**اذْهَبْ فَتَوَضَّأْ**» .

فَذَهَبَ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ ! مَا لَكَ أَمَرْتَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ؟ قَالَ: «**إِنَّهُ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ مُسْبِلٌ إِزَارَهُ، وَإِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ صَلَاةَ رَجُلٍ مُسْبِلٍ إِزَارَهُ**».

قال الإمام ابن القيم ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : «ووجه هذا الحديث واللهُ أعلم ـ أَنَّ إسبال الإزار معصيةٌ، وكلُّ من وقع في معصية، فإنه يُؤمَرُ بالوضوء؛ فإنَّ الوضوء يطفئ حريق المعصية»[2] .

وأخرج أبو داود في «سُننه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[3] مِنْ حَدِيْثِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- يَقُولُ: «**مَنْ أَسْبَلَ إِزَارَهُ فِي صَلَاتِهِ خُيَلَاءَ فَلَيْسَ مِنْ اللهِ فِي حِلٍّ وَلَا حَرَامٍ**». أي: لا ينفع للحلال، ولا للحرام، فهو ساقط من الأعين، ولا يُلتفتُ إليه، ولا عبرة به، ولا بأفعاله[4] .

وقد يسبقُ إلىٰ الذِّهنِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أنَّ الإسبال يكونُ في الإزار فقط، وهذا غلط؛ فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : «الإسبالُ يكون في

(١) «المُسند» (٤/ ٦٧)، والنسائي «كتاب الزينة» كما في «تحفة الأشراف» (١١/ ١٨٨).
(٢) «تهذيب سُنن أبي داود» لابن القيم (٦/ ٥٠).
(٣) أخرجه أبو داود (٦٣٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٠١٢).
(٤) «انظر فيض القدير» للمناوي (٦/ ٥٢).

السراويل [أي البنطلون]، والإزار، والقميص»[١] .

وقال ابن باز ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في الإسبال بالبنطلون: «الأحاديث الصحيحة المانعة من الإسبال تَعُمُّهُ بمنطوقها، وبمعناها، وبمقاصدها»[٢] .

ومن أخطاء الناس في الصلاة تخصيص مكانٍ للصلاة في المسجد:

وهذا العمل منهي عنه، فقد أخرج أحمد في «مُسنده»، والدَّارمي في «سُننه»، وابن حبان في «صحيحه»[٣] بسندٍ صحيح مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِبْلٍ قَالَ: **« نَهَىٰ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- عَنْ نَقْرَةِ الْغُرَابِ ، وَافْتِرَاشِ السَّبُعِ ، وَأَنْ يُوَطِّنَ الرَّجُلُ الْمَكَانَ فِي الْمَسْجِدِ كَمَا يُوَطِّنُ الْبَعِيرُ »**.

قال الإمام ابن القيم ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : «لا ينبغي للرجل أنْ يتَّخذَ لنفسِهِ مكانًا خاصًا في المسجد، لا يُصلي إلا فيه، كالبعير لا يَبْرُكُ إلاَّ في مبركٍ اعتادهُ»[٤] .

ومن أخطاء الناس في الصلاة عدمُ الصلاة إلى السُّترة:

والسُّتْرةُ واجبةٌ علىٰ الصحيح من أقوال أهل العلم لأدلةٍ، منها:

ما رواه مسلم[٥] مِنْ حَدِيْثِ صَدَقَةُ بْنُ يَسَارٍ قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- : **« لَا تُصَلِّ إِلَّا إِلَىٰ سُتْرَةٍ، وَلَا تَدَعْ أَحَدًا يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَإِنْ أَبَىٰ فَلْتُقَاتِلْهُ ، فَإِنَّ مَعَهُ الْقَرِينَ »**.

وفي صحيح البخاري[٦] عَنْ قُرَّةَ بن إياس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : **« رَآنِي عُمَرُ وَأَنَا أُصَلِّي بَيْنَ أُسْطُوَانَتَيْنِ فَأَخَذَ بِقَفَائِي فَأَدْنَانِي إِلَىٰ سُتْرَةٍ، فَقَالَ: «صَلِّ إِلَيْهَا»**.

(١) «مجموع الفتاوىٰ» لابن تيمية (٢٢/ ١٤٤).
(٢) «فتاوىٰ ابن باز» (ص٢١٩).
(٣) «المُسند» (٣/ ٤٢٨، ٤٤٤)، و«سُنن الدارمي» (١/ ٣٠٣)، و«صحيح ابن حبان» (٤٧٦).
(٤) انظر «تهذيب سُنن أبي داود» (١/ ٤٠٨) لابن القيم.
(٥) أخرجه مسلم (٢٦٠).
(٦) أخرجه البخاري (١/ ٥٧٧ مع الفتح).

قال الحافظ ابن حجر: «أراد عمر بذلك أن تكون صلاتُهُ إلىٰ سُتْرةٍ»(١) .

وَفِي «صَحِيْح البُخَارِيّ»(٢) مِنْ حَدِيْثِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : « **لَقَدْ رَأَيْتُ كِبَارَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -ﷺ- يَبْتَدِرُونَ السَّوَارِيَ عِنْدَ الْمَغْرِبِ، حَتَّىٰ يَخْرُجَ النَّبِيُّ -ﷺ-** ».

وفي رواية عند البخاري(٣) -أيضًا- «**وَهُمْ كَذَلِكَ يُصَلُّونَ الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْمَغْرِبِ**».

وطولُ السُّترةِ المُجزئةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ طولُ مُؤخرةِ الرَّحلِ: أي شِبْرانِ علىٰ الصحيح من أقوال أهل العلم لأدلة منها:

أخرج الإمام مسلم(٤) في «صحيحه» مِنْ حَدِيْثِ طَلْحَة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- : «**إذا وضع أحدُكم بَيْنَ يديْهِ مِثْل مُؤخّرةِ الرَّحلِ فليُصَلِّ، ولا يُبالي مَنْ مَرَّ وراء ذلك**».

وأخرج الإمام مسلم(٥) في «صحيحه» مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قالت: سُئِلَ رسول الله -ﷺ- فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ عَنْ سُتْرَةِ الْمُصَلِّي، فَقَالَ : «**كَمُؤْخِرَةِ الرَّحْلِ**».

وهنا تنبيهٌ مُهمٌّ: وهو أنَّ حديث اتخاذ الخطِّ سُتْرةً ضعيفٌ، وعليه فلا يُجزئ الخطُّ عن السُّترةِ.

وهنا تنبيه آخر: وهو أنَّ المأمومَ لا تجبُ عليه السُّتْرةُ، والسُّتْرةُ في صلاةِ الجماعة من مسئولية الإمام.

---

(١) «الفتح» (١/ ٥٧٧).
(٢) أخرجه البخاري (٥٠٣).
(٣) أخرجه البخاري (٦٢٥).
(٤) أخرجه مسلم (٤٩٩).
(٥) أخرجه مسلم (٥٠٠).

ومن أخطاء الناس في الصلاة كثرة الحركة والعبث في الصلاة:

وقد رأىٰ النبي -ﷺ- أقوامًا يعبثون بأيديهم في الصلاة، ويُحرِّكُونها من غير حاجة، فقال ـ كما في «صحيح مسلم»[١] مِنْ حَدِيْثِ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ -ﷺ- فَقَالَ : « **مَا لِي أَرَاكُمْ رَافِعِي أَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ اسْكُنُوا فِي الصَّلَاةِ**».

ومعنىٰ **شُمْسٍ**: هي التي لا تستقرُّ، بل تضطرب وتتحرَّك بأذنابها وأرجلها، ففي هذا الحديث الأمر بالسكون في الصلاة، والخشوعِ فيها، والإقبالِ عليها.

ومن أخطاء الناس في الصلاة أكل الثُّوم والبَصَلِ، وكلِّ ما يُؤذي المُصلِّين قبْلَ الحضور للجماعة، وقد ورد النَّهيُ الشديدُ عن ذلك.

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[٢] مِنْ حَدِيْثِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ : «**مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ- يَعْنِي الثُّومَ- فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا** ».

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ»[٣] مِنْ حَدِيْثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّ النبيَّ -ﷺ- قَالَ: «**مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا ، فَلْيَعْتَزِلْنَا ، أَوْ قَالَ: فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا ، وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ** ».

وفي رواية عند مسلم[٤] : **قَالَ رَسُولُ اللهِ** -ﷺ- : « **مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْمُنْتِنَةِ فَلا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا ، فَإِنَّ الْمَلائِكَةَ تَتَأَذَّىٰ مِمَّا يَتَأَذَّىٰ مِنْهُ الإِنْسُ** ».

ففي هذه الأحاديث وغيرها كراهيةُ أكلِ الثُّوم والبَصَلِ، فيلحقُ بذلك كُلُّ ما له رائحةٌ كريهةٌ من المأكولاتِ وغيرها.

(١) أخرجه مسلم (٤٣٠).
(٢) أخرجه البخاري (٨٥٣)، ومسلم (٥٦١).
(٣) أخرجه البخاري (٨٥٤).
(٤) أخرجه مسلم (٥٦٤).

قال العلامة ابن باز ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «هذا الحديث ـ وما في معناه من الأحاديث الصحيحة ـ يدلُّ علىٰ أنَّ كراهةَ حضور المسلم لصلاة الجماعة ما دامت الرائحةُ توجدُ منه ظاهرة، تُؤذي مَنْ حَولهُ، سواء كان ذلك من أكل الثُّوم، أو البَصَل، أو الكُرَّاث، أو غيرها من الأشياء المكروهة الرائحة: كالدخان، حتىٰ تذهبَ الرائحةُ... مع العلم بأنَّ الدُّخانَ معَ قبح رائحته هو مُحرَّم لأضرارِهِ الكثيرة، وخُبثِهِ المعروف، وهو داخل في قوله سبحانه عن نبيه -ﷺ- في سورة الأعراف: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. ويدلُّ علىٰ ذلك ـ أيضًا ـ قولهُ ـ سبحانه ـ في سورة المائدة: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾ [المائدة: ٤].

ومعلوم أن الدخان ليس من الطيبات، فعُلِمَ بذلك أنه من المحرمات علىٰ الأمة»[١].

قال الشيخ مشهور بن حسن ـ حفظه الله ـ: «والأقبح من جميع ما ذُكِرَ رائحةُ الجوارب، التي تنبعث من بعض المصلين، فهي أسوأ رائحةً من رائحة الثُّوم والبصل. وإنَّ من قلَّة الذوق، ومن مخالفةِ قوله -ﷺ-: «**فإنَّ اللهَ أحقُّ أنْ يُتزَيَّن لهُ**».أنْ يأتي المصلِّي، وثيابُهُ مُتَّسخةٌ، فلا يُنظِّفها قبل أن يدخلَ المسجدَ، ثمَّ يُزاحم الآخرين بهذه الثياب القَذِرةِ، التي رُبَّما تنبعث منها الرائحةُ الكريهةُ»[٢].

ومن أخطاء الناس في الصلاة عدم إتمام الصفوف.

ففي «صحيح مسلم»[٣]. مِنْ حَدِيْثِ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ -ﷺ- فَقَالَ: «**أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ**

(١) «فتاوىٰ ابن باز» (١/ ٨٢).
(٢) «القول المبين في أخطاء المصلين» لمشهور بن حسن (ص٢٠٠).
(٣) أخرجه مسلم (٤٣٠).

رَبِّهَا ؟» فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا ؟ قَالَ : «**يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُوَلَ فالأَوَّلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ**».

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيّ»[١] مِنْ حَدِيْثِ عَنْ بُشَيْرِ بْنِ يَسَارٍ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّهُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَقِيلَ لَهُ مَا أَنْكَرْتَ مِنَّا مُنْذُ يَوْم عَهِدْتَ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ :«**مَا أَنْكَرْتُ شَيْئًا إِلَّا أَنَّكُمْ لا تُقِيمُونَ الصُّفُوفَ** ».

وأخرج أبو داود في «سُننه»، وابن حبان في «صحيحه» بسند صحيح[٢] عَنْ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِير -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، يَقُولُ : أَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- عَلَىٰ النَّاسِ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ : « **أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ ثَلَاثًا ، وَاللهِ لَتُقِيمُنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ**».

قَالَ : فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يَلْزَقُ مَنْكِبَهُ بِمَنْكِبِ صَاحِبِهِ وَرُكْبَتَهُ بِرُكْبَةِ صَاحِبِهِ وَكَعْبَهُ بِكَعْبِهِ .

قال الألباني ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : «وفي هذين الحديثين فوائدُ هامةٌ:

الأولى: وجوبُ إقامةِ الصُّفوف وتسويتها والتراصِّ فيها للأمر بذلك، والأصلُ فيه الوجوب»[٣] .

وقد جاء الترهيب من قطع الصفِّ :

فقد أخرج أبو داود في «سُننه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[٤] مِنْ حَدِيْثِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- ، قَالَ:«**أَقِيمُوا الصُّفُوفَ، وَحَاذُوا بَيْنَ الْمَنَاكِبِ، وَسُدُّوا الْخَلَلَ ، وَلِينُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ ، وَلا تَذَرُوا فُرُجَاتٍ لِلشَّيْطَانِ ، وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا**

(١) أخرجه البخاري (٧٢٤).
(٢) أخرجه أبو داود (٦٦٢)، وابن حبان (٣٩٦).
(٣) «السلسلة الضعيفة» (١/ ٤٠، ٤١).
(٤) أخرجه أبو داود (٦٦٦)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٤٩٥).

وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - ».

والفُرُجَات: هي المكان الخالي بين الاثنين. والخللُ: هو ما يكونُ بينَ الاثنين من اتساع عندَ عدمَ التَّراصِّ.

ومن أخطاء الناس في الصلاة القُنُوتُ الراتبُ في صلاة الفجر وتركُهُ عند النوازل:

وقد اعتمد القائلون بمشروعية القُنوت في صلاة الفجر علىٰ حديث أنس بن مالكٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: «ما زال رسول الله - ﷺ - يَقنتُ في الصبح، حتىٰ فارق الدنيا».

وهذا الحديث - أَيُّهَا النَّاسُ - لم يصح عن رسول الله - ﷺ -؛ لأنَّ مدارهُ علىٰ أبي جعفر الرازي، وأبوجعفر الرازي ضعيف الحديث عند أهل العلم، قال عنه المحدِّث ابن المديني: «كان يخلطُ» وقال أبو زرعة: «كان يهمُ كثيرًا» وقال ابن حبَّان: «كان ينفرد بالمناكير عن المشاهير»[1].

أَيُّهَا النَّاسُ، هذا الحديث جاء عن أنس بن مالكٍ، فهو يُناقضُ ما جاء في «صحيح مسلم»[2] مِنْ حَدِيْثِ أنس بن مالكٍ - أيضًا - قال: «**فَقَنَتَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - شَهْرًا يَدْعُو عَلَىٰ أَحْيَاءٍ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ ثمَّ تركَهُ**».

فانظره - يا عبد الله - إلىٰ قوله في الحديث الصحيح: «ثمَّ تركه»، فعلامَ نترك الحديث الصحيح، ونعمل بالحديث الذي لم يصح عن رسول الله - ﷺ - ألبتَّةَ؟! ... ألاَ يَسَعُنا ما وسِع - رسول الله - ﷺ - وأصحابهُ؟!.

ومن أخطاء المصلين - أَيُّهَا النَّاسُ، أن يكبِّرَ تكبيرة الإحرام وهو راكع، وهذا خطأ فالأصل أنَّ تكبيرة الإحرام تُفعلُ من قيام، ثمَّ يركع بعدها، وإذا جاء المصلِّي، ووجد الإمام راكعًا فإنه يكبِّر تكبيرة الإحرام قائمًا، ثمَّ يركعُ معه

(١) انظر «ميزان الاعتدال» (٣/ ٣٢٠)، و«الضعيفة» (١٢٣٨).
(٢) أخرجه مسلم (٣٠٤).

بتكبيرةٍ ثانيةٍ، وإن اقتصرَ علىٰ تكبيرة الإحرام، أجزأته صلاتُهُ.

ومن أخطاء الناس في الصلاة إذا جاء المأموم والإمام ساجدٌ،فإنه ينتظره حتى يقوم، أو يجلس، وهذا خطأ، والأصل إذا وجد المسبوق الإمام علىٰ أيِّ حالٍ من الصلاة دخل معه؛ لما في «سُنن أبي داود» بسند صحيح، صححه الألباني في «الإرواء»[1] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**إِذَا جِئْتُمْ إِلَىٰ الصَّلاةِ وَنَحْنُ سُجُودٌ فَاسْجُدُوا، وَلا تَعُدُّوهَا شَيْئًا**».

وأستغفر الله.

---

(١) رواه أبو داود (٨٩٣)، وصححه الألباني في «الإرواء» (٤٩٦).

الخطبة الثانية

أخطاء الناس في صلاة الجمعة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلىٰ آله وصحبِهِ أجمعين.

أمَّا بعدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، تقدَّم الحديثُ معكم عن بعض أخطاء الناسِ في الصلاة، وفيما يأتي ذِكْرُ بعض أخطاء الناس في صلاة الجُمُعة.

فمن أخطاء الناس في صلاة الجمعة التهاون عن الحضور للجُمُعة، وهذا أمر خطير، ألاَ يخشىٰ هذا المُتخلِّفُ من أن يطبعَ اللهُ علىٰ قلبه.

فقد أخرج أبو يعلىٰ في «التلخيص الحبير» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[1] مِنْ حَدِيْثِ مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن زرارة قال: سمعتُ عمِّي يقول: **قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: « مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ يَوْمَ الجُمُعَةِ فَلَمْ يَأْتِهَا، ثُمَّ سَمِعَهُ فَلَمْ يَأْتِهَا، ثُمَّ سَمِعَهُ فَلَمْ يَأْتِهَا، طَبَعَ اللهُ عَلَىٰ قَلْبِهِ، وَجَعَلَ قَلْبَهُ قَلْبَ مُنَافِقٍ »**.

أخرج الترمذي، وأبو داود، وابن ماجَهْ بسندٍ صحيح[2] مِنْ حَدِيْثِ أبي الجعد الضَّمْريِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنْ النَّبِيِّ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ : **«مَنْ تَرَكَ ثَلاَثَ جُمَعٍ تَهَاوُنًا بِهَا، طَبَعَ اللهُ عَلَىٰ قَلْبِهِ»**.

---

(١) رواه أبو يعلىٰ في «التلخيص الحبير» (٢/ ٥٣)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٧٣٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٥٠٠)، وأبو داود (١٠٥٢)، وابن ماجَهْ (١١٢٥).

ومن أخطاء الناس في صلاة الجُمعة ترك التبكير لصلاة الجُمعة:

ففي «مُسند أحمد»، و«سُنن أبي داود» بسندٍ صحيح[1] مِنْ حَدِيْثِ أَوْسُ بْنُ أَوْسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنْ أَبِيهِ - عَنْ النَّبِيِّ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ : «**مَنْ غَسَّلَ وَاغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَبَكَّرَ وَابْتَكَرَ ، وَمَشَىٰ وَلَمْ يَرْكَبْ ، وَدَنَا مِنَ الْإِمَامِ وَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ أَجْرُ عَمَلِ سَنَةٍ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا**».

وفي «الصحيحين»[2] مِنْ حَدِيْثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ- : «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَقَفَتْ الْمَلَائِكَةُ عَلَىٰ بَابِ الْمَسْجِدِ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ وَمَثَلُ الْمُهَجِّرِ كَمَثَلِ الَّذِي يُهْدِي بَدَنَةً ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي بَقَرَةً ثُمَّ كَبْشًا ثُمَّ دَجَاجَةً ثُمَّ بَيْضَةً فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ طَوَوْا صُحُفَهُمْ وَيَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ**».

ومن أخطاء المصلين في صلاة الجُمعة ترك الاغتسال، والتزيُّن والتطيب، والتسوُّك لصلاة الجُمعة، وهذا مخالف لهدي النبيِّ -ﷺ-:

ففي «صحيح مسلم»[3] عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ : «**الْغُسْلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَىٰ كُلِّ مُحْتَلِمٍ وَالسِّوَاكُ وَيَمَسُّ مِنْ الطِّيبِ مَا قُدِّرَ لَهُ**». وغُسل يوم الجُمعة ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ واجِبٌ علىٰ الصحيح من أقوال أهل العلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : «ويستحب الغُسلُ في ذلك اليوم ـ أي الجمعة ـ وعند جماعة يجبُ، ودليلُ وجوبِهِ أقوىٰ من دليل وجوبِ الوترِ»[4].

---

(١) أخرجه أحمد في «مُسنده» (٤/ ١٠٤)، وأبو داود في «سُننه» (٣٤٥).
(٢) البخاري (٩٢٩)، ومسلم (٨٥٠).
(٣) رواه مسلم (٨٤٦).
(٤) «زاد المعاد» (١/ ٣٧٦).

ومن أخطاء الناس في صلاة الجُمعة تركُ التزين بأحسن ما يجدُ من الثياب:

فقد أخرج أبو داود في «سُننه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[١] مِنْ حَدِيْثِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلاَمٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- : «**خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ -ﷺ- يَوْمَ جُمُعَةٍ فَقَالَ : وَمَا عَلَىٰ أَحَدِكُمْ لَوِ اشْتَرَىٰ ثَوْبَيْنِ لَجُمُعَتِهِ سِوَىٰ ثَوْبَيْ مِهْنَتِهِ**».

أَيُّهَا النَّاسُ ، علينا أن نحذر من اللِّباس الذي هو من خصائص الكفَّار.

ففي «صحيح مسلم»[٢] مِنْ حَدِيْثِ عبد الله بن عمرو-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- حينما رأىٰ رسول الله -ﷺ- عليه ثوبين مُعصفَرَينِ (أي مَصْبُوغين بالعُصْفُر) قال: «**إنَّ هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها**».

ومن اللباس الذي هو من خصائص الكفار اليومَ وشعارِهمُ البنطلون.

قال الإمام الألباني ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ والبنطلون فيه مُصيبتان:

المصيبة الأولى: هي أنَّ لابسهُ يتشبهُ بالكفَّار؛ فما عرف المسلمون «البنطلون» إلاَّ حينما استُعمِروا،ثمَّ لمَّا انسحب المُستعمرون، تركوا آثارهمُ السِّيئة، تبنّاها المسلمون بغباوتهم وجهالتهم.

والمصيبة الثانية: هي أنَّ «البنطلون» يُحجِّم العورة، وعورة الرَّجلِ من الركبة إلىٰ السُّرةِ، والمُصلِّي يُفْترضُ عليه أن يكون أبعد ما يكونُ عن أن يعصيَ الله، وهو له ساجدٌ، فترىٰ إليَتَيْهِ مُجسمتين، بل وترىٰ ما بَيْنهما مُحجمًا، فكيف يُصلِّي هذا الإنسان ويقف بين يدي ربِّ العالمين؟!»[٣] .

ومن التشبُّه ما يفعلهُ بعض الناس من التزيُّن بحلق اللِّحية، فهو معصية،

---

(١) رواه أبو داود (١٠٧٨)، وصححه الألباني في «صحيح سُنن أبي داود» (٩٨٩)، و«صحيح الجامع» (٥٦٣٥).
(٢) رواه مسلم (٢٠٧٧).
(٣) «القول المبين في أخطاء المصلين» لمشهور بن حسن (ص٢٠، ٢١).

ومخالفةٌ للأدلةِ التي أَمرَتْ بإطلاقها، كما أَنَّ التزيُّن بحلقِ اللِّحية من خصائص الكفَّار الذي أمرنا نبيُّنا -ﷺ- بمخالفتهم.

ففي «صحيح مسلم»[١] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- : « **جُزُّوا الشَّوَارِبَ وَأَرْخُوا اللِّحَىٰ خَالِفُوا الْمَجُوسَ** ».

ومن أخطاء الناس في صلاة الجُمعةِ تخطِّي الرِّقاب:

ففي «سُنن النسائي» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[٢] مِنْ حَدِيْثِ عن عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: جَاءَ رَجُلٌ يَتَخَطَّىٰ رِقَابَ النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالنَّبِيُّ -ﷺ- يَخْطُبُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ -ﷺ- : «**اجْلِسْ، فَقَدْ آذَيْتَ وَآنَيْتَ**».

ومعنىٰ آنيت: أي تأخَّرتَ.

فهذا الحديث دليل علىٰ حرمة تخطِّي الرِّقاب يوم الجُمعةِ، وظاهر التقييد بيوم الجُمعةِ أنَّ الحُرمة مختصةٌ به[٣].

ومن أخطاء الناس في الجمعة تركُ السنَّة القبلية:

ففي «سُنن ابن ماجة بسند صحيح»[٤] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة وجابر قالا: جاء سُلَيْكٌ الغَطَفَانيُّ، ورسول الله -ﷺ- يَخطبُ، فقال له النبيُّ -ﷺ-: «**أصلَّيتَ ركعتين قبل أن تجيء؟**» قال: لا، قال: **فصلِّ ركعتين، وتجوز فيهما**».

قال أبو شامة: «قال بعض من صنف في عصرِنا: قوله: «قبل أنْ تجيء» يدلُّ علىٰ أنَّ هاتين الركعتين سُنَّةٌ للجُمعةِ قبلها وليستا تحيةً للمسجد»[٥].

---

(١) رواه مسلم (٢٦٠).
(٢) النسائي (٢٠٧١)، و«صحيح الجامع» (١٥٥).
(٣) «القول المبين» (ص٣٥٠).
(٤) «سُنن ابن ماجَهْ» (١١١٤).
(٥) «زاد المعاد» (١/ ٤٣٤).

ومن أخطاء الناس في سُنَّةِ الجُمعةِ البعدية تركُ السنَّةِ البعدية، ولعلَّ الأفضل والأكمل صلاتُها في البيت كما كان -ﷺ- يفعل، لما في «الصحيحين»[1] مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- في وصف تطوُّعِ النبيِّ -ﷺ-، قَالَ: «**كَانَ لَا يُصَلِّي بَعْدَ الْجُمُعَةِ حَتَّىٰ يَنْصَرِفَ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ**».

اللهمَّ إنَّا نسألك فِعلَ الخيرات، وترك المُنكرات، وحُبَّ المساكين.

(١) البخاري (٩٣٧)، ومسلم (٨٨٢).



الخطبة الأولى

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد -ﷺ-، وشرَّ الأُمور مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّار.

أمّا بعدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، حديثي معكمُ اليومَ عن فريضةِ الزَّكاةِ، إحدىٰ فرائضِ الإسلام، وقواعده العِظام.

وهي الركن الثالثُ من أركان الإسلام وقد قُرِنَت بالصلاةِ في اثنين وثمانين آية من كتاب الله، وفرضيَّتُها ثابتةٌ بالكتاب والسُّنَّةِ، وإجماع الأمَّة.

ففي الكتاب العزيز قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ

﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ١١٠].

وأمَّا الأدلة من السُّنة فأكثر من أنْ تُحصَرَ، فمنها:

ما جاء في «الصحيحين»(١) مِنْ حَدِيْثِ ابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-:«**بُنِيَ الإسلام علىٰ خمسةٍ: علىٰ أن يُوحَّدَ اللهُ، وإقام الصلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ، وصيام رَمضانَ، والحَجِّ**».

وفي «الصحيحين»(٢) مِنْ حَدِيْثِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ**».

وفي «الصحيحين»(٣) مِنْ حَدِيْثِ وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ:«**بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- عَلَىٰ إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**».

وفي «الصحيحين»(٤) مِنْ حَدِيْث ابن عباسٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قال: أخبرني أبو سفيان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وذكر حديثه مع هِرقلَ عظيم الروم، فقال له:«بم يأمُركم؟» فقال أبو سفيان: «وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالصِّلَةِ (أي صلةِ الرحم) وَالْعَفَافِ».

وفي «الصحيحين»(٥) مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- «**أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- بَعَثَ مُعَاذًا -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- إِلَىٰ الْيَمَنِ، فَقَالَ: ادْعُهُمْ إِلَىٰ شَهَادَةِ أَنْ**

(١) رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦) واللفظ له.
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) رواه البخاري (١٤٠١)، ومسلم (٥٦) واللفظ له.
(٤) رواه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣)، واللفظ له.
(٥) رواه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ » .

أَيُّهَا النَّاسُ: تلك منزلة الزكاة في الإسلام، ومَنْ مَنَعها إنكارًا وجُحودًا فهو كافر، خارجٌ عن الإسلام، ويُقتل كُفْرًا،ومن منعها بُخلاً – مع إقراره بوجوبها– فهو فاسقٌ بامتناعه، ولا يخرجه ذلك عن الإسلام، وتُؤخذُ منه قهرًا مع التعزير، ومتى أُخذتْ قهرًا فهي مقبولة، وإن قاتل دونها قُتِلَ حتى يخضعَ لأمر الله، ويُؤدِّي الزكاة، ودليلُ ذلك قولُ الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى–: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ ﴾ [التوبة:١١].

وفي «الصحيحين»[(١)] مِنْ حَدِيْثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–، قَالَ : لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ –ﷺ– ، وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ ، قَالَ عُمَرُ لأَبِي بَكْرٍ : كَيْفَ نُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ –ﷺ– : **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إِلَهَ إلا اللهُ فَمَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إلا اللهُ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلا بِحَقِّهِ ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ »**.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ –: وَاللهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ ، وَاللهِ إِنْ مَنَعُونِي عِقَالا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ –ﷺ– لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ .

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ –: فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلا أَنْ رَأَيْتُ اللهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ

ومن مقاصد الزكاة ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أنها تطهير للمال، وتنميته، ووقايته من الآفات ببركة طاعة الله وتعظيم أمره ـ أنّها تطهير للنفس البشرية من رذيلة

(١) رواه البخاري (٧٢٨٤)، ومسلم (٢٠).

البُخل والشحِّ والشَّرهِ والطَّمعِ مواساةٌ للفقراء، وسدُّ حاجة المُعوِزين والبُؤساء والمَحْرُومين.

أنها سببٌ لجمع القلوب المشتَّتة علىٰ الإيمان والإسلام، والانتقال بها من الشكوك له وضعف الإيمان إلىٰ الإيمان والراسخ واليقين التامِّ.

أنها سببٌ لإقامة المصالح العامة، التي تتوقف عليها حياةُ الأمَّة وسعادتها[1].

وتجب الزكاة - أَيُّهَا النَّاسُ - على من توافرت فيه الشروط الآتية:

الأول: الإسلام.

الثاني: الحُرية.

الثالث: مَن ملكَ النِّصاب، وأن يكون هذا النِّصابُ فاضلاً عن الحاجات الضرورية؛ لأنه لا غنىٰ للمرء عنها: كالمطعم، والملبس، والمسكن، والمركب، وآلات الحِرفةِ.

الرابع: مرور حول كامل علىٰ المال، أي أنواع المال الذي بلغ النِّصاب إلا في الزُّروع والثِّمار، فإنه لا يُشترطُ فيها مرور الحولِ لقول الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ [الأنعام: ١٤١].

الخامس: فراغ مالِ الزكاة من دينٍ يُحيطُ به كُلِّهِ أو مُعظمِهِ، ولم يكن وراءهُ مِنْ يطالبُهُ به من الناس[2].

والأجناس التي تجب فيها الزكاةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - الذَّهب والفضَّةُ.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ [التوبة: ٣٤].

---

(١) «مختصر شرح أركان الإسلام» لبعض طلبة العلم (ص٩٨، ٩٩).

(٢) المرجع السابق (١٠٢).

وفي «صحيح مسلم»[١] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- : «**مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَىٰ بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَ الْعِبَادِ**».

ونصاب الذهب ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عشرون دينارًا، فإذا بلغ الذَّهبُ هذا المِقدار، وحال عليه الحَولُ، ففيه رُبْعُ العُشْرِ ـ يعني نِصْفُ دينارٍ، وما زاد علىٰ ذلك فبحسابه بأن يأخذ من هذه الزيادة ـ أيضًا ـ ربعَ العُشْرِ. وتُقدَّر العشرون مثقالاً من الذهب بخمسةٍ وثمانين جرامًا.

وأمَّا نصاب الفضة - أَيُّهَا النَّاسُ- فهو مائتا درهم، وقيمة الزكاة فيها ربع العُشر، والزِّيادة بحسابها. وتُقدَّرُ المائتا درهم من الفضة بخمسمائة وخمسة وتسعين جرامًا والأكملُ والأفضلُ-أَيُّهَا النَّاسُ- أن تُقدَّر الأوراق البنكية بنصاب الذهب أو الفضة، فإذا كان عندَهُ ما يُقدَّر قيمتُهُ بنصاب الذهب أو الفضة، فإنه يدفع ربع العُشرِ زكاةً لماله.

ويَرىٰ بعض أهل العلم أن تُقدّرَ الأوراق النَّقديَّةُ بنصاب الفضَّة، وكلُّ ذلك جائزٌ ـ إن شاء الله ـ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لقد اختلف أهل العلم في حُليِّ المرأةِ من الذهب أو الفضة، إذا كانت تلبسُهُ أو تُعيرُهُ، هل تجبُ فيه الزَّكاةُ أو لا؟.

والصواب مع العلماء الذين قالوا بوجوب الزكاة فيه لأدلة، منها:

ما جاء في «سُنن أبي داود» بسندٍ حسن، حسنه الألباني في «صحيح سُنن أبي

---

(١) رواه مسلم (٩٨٧).

داود»[١] مِنْ حَدِيْثِ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- وَمَعَهَا ابْنَةٌ لَهَا، وَفِي يَدِ ابْنَتِهَا مَسَكَتَانِ غَلِيظَتَانِ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ لَهَا: «**أَتُعْطِينَ زَكَاةَ هَذَا؟**» قَالَتْ: لَا، **قَالَ**: «**أَيَسُرُّكِ أَنْ يُسَوِّرَكِ اللهُ بِهِمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سِوَارَيْنِ مِنْ نَارٍ؟**» قَالَ: فَخَلَعَتْهُمَا فَأَلْقَتْهُمَا إِلَىٰ النَّبِيِّ -ﷺ- وَقَالَتْ: هُمَا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ.

وأخرج أبو داود في «سُننه» بسندٍ حسن، حسنه الألباني في «سُنن أبي داود»[٢] مِنْ حَدِيْثِ أم سلمة-رَضِي اللهُ عَنْهَا- قالت: كنتُ أَلبسُ أوضاحًا من ذهبٍ (أي خلخالاً)، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، أكنزٌ هو؟. فقال: «**ما بَلَغَ أنْ تُؤَدِّي زكاتَهُ فزكِّي، فليس بكنزٍ**».

وأخرج أبو داود -أيضًا- في «سُننه» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح سُنن أبي داود»[٣] مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ-رَضِي اللهُ عَنْهَا- زَوْجِ النَّبِيِّ -ﷺ-، فَقَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- فَرَأَىٰ فِي يَدَيَّ فَتَخَاتٍ مِنْ وَرِقٍ، فَقَالَ: «**مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟**» فَقُلْتُ: صَنَعْتُهُنَّ أَتَزَيَّنُ لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**أَتُؤَدِّينَ زَكَاتَهُنَّ؟**» قُلْتُ: لَا، أَوْ مَا شَاءَ اللهُ، قَالَ: «**هُوَ حَسْبُكِ مِنَ النَّارِ**».

أيها المسلمون، هذه الأحاديث تدلُّ علىٰ أنَّ هذا الحُليَّ كان للزِّينة، ومع هذا فقد أمرهُنَّ النبيُّ -ﷺ- بإخراج الزكاة وليس مع المخالفين دليل صحيح يُعتمد عليه. وهناك أَيُّهَا النَّاسُ ـ أدلةٌ عامَّةٌ في وجوب زكاة الذهب والفضة، ولم يُفرَّق بين كونه نقودًا، أو سبائك، أو حليًّا، أو أُعدَّ للزينة، أو للادِّخار، أو غير ذلك.

ومتىٰ حال الحول، ولم تجدِ المرأة مالاً تؤدِّي به زكاتها، وجب عليها أن تبيع من حُليها بقدر زكاتها؛ لتُؤدِّي ما عليها، إلاَّ أن يُعينها أحدٌ في أداء الزكاة:

(١) رواه أبو داود (١٥٦٣)، وحسنه الألباني في «صحيح «سُنن أبي داود» (١٣٨٢).
(٢) رواه أبو داود (١٥٦٤)، وحسنه الألباني في «صحيح سُنن أبي داود» (١٣٨٣).
(٣) رواه أبو داود (١٥٦٥)، وصححه الألباني في «صحيح سُنن أبي داود» (١٣٨٤).

كزوج، أو قريب[١] .

أَيُّهَا النَّاسُ :

لقد ذكر العلامة ابن عثيمين ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ **خلاصة الزكاة، فقال:** ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ :«إنَّ ممَّا تجبُ به الزكاةُ عُرُوض التجارة، وهو ما أعده الإنسان للبيع والاتِّجار به: من حيوانٍ، وعقارٍ، وأثاث، ومتاع، وأوانٍ، وغيرِ ذلك، كل شيء عندك للتجارة، فهو عُرُوضُ تجارةٍ، إذا حال عليه الحولُ، فقوِّمهُ كم يساوي؟ ثمَّ أخرج رُبع العشر قيمته، ومن عُروض التجارة أيضًا ـ عند الفلاَّحين: من الإبل، والبقر، والغنم التي يُربُّونها للبيع، فأمّا العقاراتُ التي أعدَّها الإنسانُ له، ولا يُريدُ بيعها، وإنَّما يُريدُ أنْ يسكنها أو يُؤجرَها، فهذه ليس فيها زكاةٌ، ولا زكاة فيما أعدَّه الإنسانُ لبيتِهِ من الأواني، والفراش، ونَحْوِها، ولا فيما أعدَّه الفلاحُ لحاجةِ الفِلاحة من المكائنِ، وآلاتِ الحَرْثِ، ونحوِهَا.

وخُلاصة ذلك:

أن كُلَّ شيءٍ تُعدهُ لحاجتك، أو للاستغلال ـ سوىٰ الذَّهب والفضة ـ فلا زكاة فيه، وما أعددتهُ للاتِّجار والتكسُّب ففيه الزَّكاة، وأمَّا الديونُ التي عند الناس، فلا يجبُ عليك إخراجُ زكاتها حتىٰ تقبضها، فإذا قبضتها: فإن كان علىٰ مليءٍ، وجب أن تُخرجَ عنه زكاةَ كُلِّ السنوات الماضيةِ، وإن كان علىٰ فقير، لم يجب أن تُخرج إلا عن سنةٍ واحدةٍ فقط، وإنْ أخرجتَ زكاة الدَّينِ قَبْلَ قبضِهِ فلا بأْسَ»[٢] .

وأستغفر الله.

---

(١) انظر «كتاب الزكاة» لعادل يوسف العزازي (ص٢٤).
(٢) انظر «المجموع الثمين في خطب ابن عثيمين» (ص١٤٦).

الخطبة الثانية

زكاة الفطر

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ علىٰ أشرفِ المرسلين، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

أمَّا بعدُ، أيَّها الناسُ، تقدَّم الحديثُ حولَ الزكاة، والآن حديثي معكم حول زكاة الفطر .

وزكاةُ الفطر-أَيُّهَا النَّاسُ -واجبةٌ على كلِّ فردٍ من المسلمين، صغيرًا كان أو كبيرًا، ذكرًا أو أنثىٰ، حُرًّا أو عبدًا.

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[(١)] مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : « **فَرَضَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَىٰ الْعَبْدِ وَالْحُرِّ وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَىٰ وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ** ».

وشُرعتْ زكاة الفطر-أَيُّهَا النَّاسُ-طهارةً للصائم من اللَّغوِ والرفثِ، وطُعمةً للمساكين، ومواساةً لهم.

ففي «سُنن أبي داود» بسندٍ حسن، حسنه الألباني في «صحيح سُنن أبي داود»[(٢)] مِنْ حَدِيْثِ عَنِ ابْنِ عَبَّاس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: « **زَكَاةُ الْفِطْرِ طُهْرَةٌ لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ ، وَطُعْمَةٌ لِلْمَسَاكِينِ ، مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ** ».

(١) رواه البخاري (١٥٠٤)، ومسلم (٩٨٤).
(٢) رواه أبو داود (١٦٠٩)، وحسنه الألباني في «صحيح سُنن أبي داود» (١٤٢٠).

وزكاةُ الفِطْر ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ لا يُشترط لها نصابٌ، وإنما اشترط لوجوبها جمهورُ أهلِ العلم الإسلامَ أولاً، وثانيًا: أنْ يكون مقدارُ هذه الزَّكاة الواجبةِ فاضلاً عن قُوتِهِ، وقُوتِ مَنْ تَلزمهُ نفقتهُ يوم العيد وليلتهِ، وحاجتهِ الأصليةِ.

والواجب في زكاة الفطرِ صاعٌ من أقواتِ البلدِ.

لما في «صحيح البخاري»[1] مِنْ حَدِيْثِ أبي سعيد الخدري -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: «كُنَّا نُخرجُ في عهد رسول الله -ﷺ- يَوْمَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ طَعَامٍ» وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ :«**وَكَانَ طَعَامَنَا الشَّعِيرُ وَالزَّبِيبُ وَالْأَقِطُ وَالتَّمْرُ**».

فدلَّ هذا الحديثُ علىٰ أنَّ المُعتبر طعامُ أهل البلد المقتات عندهم: كالأرزِّ، والذُّرةِ، والقمح، وغير ذلك، وإن لم ينصَّ عليها الحديثُ.

ومقدار الصَّاع ـ أيّها الناسُ ـ أربعةُ أمدادٍ بكفِّ الرجل المُعتدل، ويُقدَّرُ بالوزن كيلوان وأربعون جرامًا.

وإخراجُ القيمة لم يُجزهُ الأئمة الثلاثة: مالك، والشافعي، وأحمد.

وذهب أبو حنيفة إلىٰ جواز إخراج القيمة، والأرجح ما ذهب إليه الجمهور؛ لأنَّ النصوصَ الواردة بأنها من طعامٍ، والزكاة عبادةٌ لا تبرأُ الذِّمةُ إلا بأدائها علىٰ الوجه المأمور به[2] .

وتجبُ زكاةُ الفطر بغروب شمسِ آخرِ يومٍ من رَمضان، وآخر وقتُ الوجوب هو حلول وقت صلاة العيد لحديث ابن عباسٍ السابق: «**مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ** »[3] .

ويجوز تقديمُها بيومٍ أو يومين.

---

(١) رواه البخاري (١٥١٠).
(٢) انظر «كتاب الزكاة» للعزازي (ص٩٠).
(٣) تقدم تخريجه.

لما في «صحيح البخاري»[(١)] مِنْ حَدِيْثِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: « وَكَانُوا يُعْطُونَ قَبْلَ الْفِطْرِ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ».

ومصارفُ الزكاة - أَيُّهَا النَّاسُ - سواءٌ كانت الزكاةَ الواجبة أم زكاةَ الفطرِ في ثمانية أصناف: حصرها اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- في قوله: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٠].

وإيضاح ذلك:

أولاً - الفقير: وهو مَنْ لم يكن لديه من المال ما يسدُّ حاجته، وحاجةَ منْ يعولُ.

ثانيًا - المسكين: وهو الذي لا يوجد عنده ما يكفيه للأكل والشُّرب، والسَّكن.

ثالثًا - العاملون عليها: هم الذين يُوليهم الإمام - أو نائبه - عملاً من أعمال الزكاة، من جمع، أو حفظ، أو تفريق.

رابعًا - المُؤلَّفة قُلوبُهم: المؤلَّف هو الرجل المسلم يُكون ضعيفَ الإيمان، وتكونُ له الكلمةُ النافذةُ في قومه، فيُعطىٰ من الزكاة تأليفًا لقلبه.

خامسًا - الرقاب: والمراد من هذا المصرَفِ هو أنْ يكونَ المُسلمُ رقيقًا، فيُشْترىٰ من الزكاةِ ويُعتقُ.

سادسًا - الغارمون: والغارم: هو المدِينُ الذي تحمَّل دينًا في غير معصيةِ الله.

سابعًا - في سبيل الله: والمراد هنا الغزوُ، فيُعطىٰ المتطوِّعون من الغُزاةِ الذين ليس لهم راتبٌ من الدَّولة، سواء كانوا أغنياء أم فقراء.

ثامنًا - ابن السبيل: هو المُسافر المُنقطع عن بلدِهِ، وعرضَ له عارضُ فقر حالَ سفرِهِ، وانقطاعِهِ، فيُعطىٰ من الزَّكاةِ ما يَسدُّ حاجتهُ في غُربتِهِ، ويواصلهُ إلىٰ بلدِهِ، وإن كان غنيًّا في بلده، وهذا إذا لم يجد مَنْ يُقرضُهُ في حالتِهِ هذه، فإذا

(١) رواه البخاري (١٥١١).

وجَدَ من يُقرِضُهُ، وجب عليه أنْ يقترضَ[١] .

اللهمَّ إنَّا نسألُك الهدىٰ، والتُّقىٰ، والعفاف، والغِنىٰ، اللهمَّ إنا نعوذُ بك من زوال نعمتِك، وتَحَوُّلَ عافيتك، وفجاءةِ نقمتك، وجميعِ سخطك.

(١) انظر «مختصر شرح أركان الإسلام» لبعض طلبة العلم (ص١١٣، ١١٤).



١٢

٤ـ صيام رمَضانَ

الخطبة الأولى

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيْئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْي هَدْيُ محمّد -ﷺ-، وشرَّ الأُمور مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثَة بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمّا بعد، أَيُّهَا النَّاسُ، حديثي معكمُ اليوم عن صوم رمضانَ.

وصومُ رمضانَ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ هو الركن الرابع من أركانِ الإسلامِ، وأحدُ مبانيه العِظامِ، لا يتمُّ إسلامُ المرء إلا به.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ

مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٥].

وفي «الصحيحين»[١] مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- يَقُولُ: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**».

أَيُّهَا النَّاسُ، لقد أجمع المسلمون كافَّةً علىٰ وجوب صيام شهر رمضانَ، كما قال صاحب «المُغني»[٢].

ومن أنكره جاحدًا لوجوبه فهو كافرٌ مرتد، إلا أن يكون جاهلاً، أو حديث عهدٍ بالإسلام، فحينئذ يُعلَّم ويُبيَّن له الحقُّ، فإن أصرَّ وكابرَ فهو كافرٌ، يُقتل رِدَّةً وكفرًا والعياذ بالله! لأنَّه مُكذِّبٌ للقرآن والأحاديث الصحيحة.

وفضائل صوم شهر رمضانَ لا تكادُ تُحصرُ، فمنها:

ما جاء في «الصحيحين»[٣] مِنْ حَدِيْثِ عن أبي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- قَالَ اللهُ كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ (أي له أجرٌ محدودٌ إلاَّ الصومَ، فأجرُهُ بغير حساب)؛ **فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ**

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) «المغني» لابن قدامة (٤/ ٣٢٣).
(٣) رواه البخاري (١٩٠٤)، واللفظ له، ومسلم (١١٥١).

(أي يقي صاحبهُ ما يُؤذيه مِن الشهوات) **وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ**».

وفي «مُسند أحمد» بسندٍ حسن، حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[1] مِنْ حَدِيْثِ أبي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- يَقُولُ: «**الصيامُ جُنَّةٌ، وحِصنٌ حَصينٌ مِنَ النَّارِ**».

وفي «الصحيحين»[2] مِنْ حَدِيْثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**».

ولشهر رمَضَانَ من الفضائلِ ما ليستْ لغيرِه من الشهور.

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[3] مِنْ حَدِيْثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ: «**إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتْ الشَّيَاطِينُ**».

وفي هذا الشهر المبارك -أَيُّهَا النَّاسُ- ليلةٌ واحدةٌ خيرٌ من ألف شهرٍ، وألفُ شهرٍ إذا حُسبت بالسِّنين تزيدُ علىٰ ثمانين عامًا، فهذه اللَّيلةُ تعادلُ ثمانين عامًا وزيادةَ أشهرٍ، كُلها في طاعةِ الله، وهذا فضلٌ عظيمٌ.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [القدر:١-٥].

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢/ ٤٠٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٩٨٠).
(٢) رواه البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٦٠)، واللفظ له.
(٣) رواه البخاري (٣٢٧٧)، ومسلم (١٠٧٩).

وقَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- : ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾[البقرة:١٨٥].

ومعنىٰ:﴿ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾ يعني: ابتدأ نزولهُ، ثمَّ تتابعَ بعد ذلك، ينزلُ علىٰ رسول الله -ﷺ- إلىٰ آخر حياتِهِ ـ عليه الصلاةُ والسلام ـ[1] .

والصَّومُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ له شروط:

فيُشْتَرَطُ في وجوب الصَّومِ علىٰ المسلم أن يكون عاقلاً بالغًا.

ففي «سُنن أبي داود» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح سُنن أبي داود»[2] مِنْ حَدِيْثِ عليٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**رُفِعَ القَلَمُ عنْ ثَلاَثَةٍ، عنْ النَّائِمِ حتّىٰ يَسْتَيقِظَ، وعنْ الصّبيّ حَتّىٰ يَشِبّ، وعنْ المَجْنُون حتّىٰ يَعْقِلَ**».

وأن يكون المسلمُ صحيحًا غيرَ مريضٍ، مُقيمًا غير مُسافرٍ، قادرًا عليه من غير مشقةٍ بالغة،ويجبُ أن تكون المرأةُ طاهرة من الحيضِ والنِّفاسِ.

ففي «صحيح البخاري»[3] مِنْ حَدِيْث أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: «**أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ فَذَلِكَ نُقْصَانُ دِينِهَا**».

وللصيام ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ ثلاثةُ أركانٍ:

الركن الأول ـ الإمساك: وهو الكفُّ عن المُفطراتِ: من أكلٍ، وشُرْبٍ، وجماعٍ، وغيرها.

الركن الثاني ـ النِّيَّةُ: وهي عزمُ القلبِ علىٰ الصَّومِ امتثالاً لأمر الله-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-القائل: ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ [الكهف:١١٠].

---

(١) «مجالس شهر رمضان» للفوزان (ص١٠).
(٢) رواه أبو داود (٤٤٠٤)، وصححه الألباني في «صحيح سُنن أبي داود» (٣٧٠٣).
(٣) رواه البخاري (١٩٥١).

وفي «الصحيحين»[1] مِنْ حَدِيْثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ-ﷺ- يَقُولُ:«**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ**».

فإن كان الصومُ فرضًا، فالنِّيَّةُ تجبُ بليلٍ قبلَ الفجرِ ، لما في «سُنن أبي داود» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح سُنن أبي داود»[2] مِنْ حَدِيْثِ حَفْصَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- عَنْ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ : «**مَنْ لَمْ يُجْمِعْ الصِّيَامَ قَبْلَ الْفَجْرِ فَلَا صِيَامَ لَهُ** ».

وإن كان الصومُ نفلاً، صحَّتِ النِّيَّةُ ولو بعد طلوعِ الفجر وارتفاع النهارِ، بشرط ألاَّ يكون قد طَعِمَ شيئًا .

لما في «صحيح مسلم»[3] مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ : دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ -ﷺ- ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ :« **هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ** » ؟ قُلْنَا : لَا . قَالَ : **فَإِنِّي إِذَنْ صَائِمٌ** ».

الركنُ الثالث ـ الزَّمانُ:

والزمانُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ هو الركنُ الثالثُ من أركان الصيام، والمقصودُ بالزمانِ هو نهارُ رمضان من طلوع الفجرِ إلىٰ غُروب الشمس لقول الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ–: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ويُرخَّصُ الفِطرُ للمريضِ والمُسافرِ مع وجوب القضاء، وخاصَّة المريضَ الذي يُرجىٰ بُرؤُهُ، فإنه يُباحُ له الفِطرُ، ثمَّ يقضي بعد ذلكَ ما أفطر من أيَّام، وإذا استطاع المريضُ الصِّيامَ بلا مشقَّةٍ صامَ.

---

(١) رواه البخاري (٥٤)، ومسلم (١٩٠٧).
(٢) رواه أبو داود (٢٤٥٤)،وصححه الألباني في «صحيح سُنن أبي داود» (٢١٤٣).
(٣) رواه مسلم (١١١٦).

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

وأمَّا المسافر ـ إذا سافر المسلمُ مسافةً تُقصرُ فيها الصَّلاةُ ـ فيباحُ له الفِطرُ، ويقضي ما أفطره من أيَّامٍ عند حضورِهِ، فإذا كان الصومُ في السفر لا يشُقُّ عليه فصام، كان ذلك حسنًا، وإن كان يشقُّ عليه فأفطر، كان ذلك حسنًا.

لما في «صحيح مسلم»[1] مِنْ حَدِيْثِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، قَالَ : « **كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- فِي رَمَضَانَ ، فَمِنَّا الصَّائِمُ وَمِنَّا الْمُفْطِرُ ، فَلَا يَجِدُ الصَّائِمُ عَلَىٰ الْمُفْطِرِ ، (أَيْ لَا يَعِيْبُ عَلَيْهِ)، وَلَا الْمُفْطِرُ عَلَىٰ الصَّائِمِ ، يَرَوْنَ أَنَّ مَنْ وَجَدَ قُوَّةً فَصَامَ فَإِنَّ ذَلِكَ حَسَنٌ ، وَيَرَوْنَ أَنَّ مَنْ وَجَدَ ضَعْفًا فَأَفْطَرَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ حَسَنٌ** ».

أَيُّهَا النَّاسُ ، اعلموا ـ علَّمني اللّهُ وإيَّاكم ـ أنَّه يُباحُ الفطرُ للمرأة المسلمة إذا كانتْ حاملاً أو مُرضعًا، إذا خافت كل منهما علىٰ نفسِها، أو علىٰ ولدِها فقط، أو علىٰ نفسها وولدها لما في «سُنن أبي داود» بسندٍ حسنٍ صحيحٍ، قاله الألباني في «صحيح سُنن أبي داود»[2] مِنْ حَدِيْثِ أنس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**إنَّ اللهَ وَضعَ شَطرَ الصَّلاةِ والصَّومِ عنِ المُسافر، وعنِ المُرضِعِ ـ أو الْحُبْلَىٰ ـ الصَّومَ**».

وإذا كان خوفُ المرأةِ علىٰ الولد فقط، فإنها تزيدُ ـ علىٰ القضاءِ ـ الفِديةَ، والفِديةُ أنْ تتصدَّق عن كُلِّ يومٍ تَصومُهُ بمدٍّ من قمح.

وهناك ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ من يُرخَّصُ لهم في الفِطرِ، ولا يجبُ عليهمُ القضاءُ، إنما تجبُ عليهم الفديةُ فقط:

(١) رواه مسلم (١١١٦).
(٢) رواه أبو داود (٢٤٠٨)، وحسنه الألباني في «صحيح سُنن أبي داود» (٢١٠٧).

وهمُ: الشيخ الكبير، والمرأةُ العجوز، والمريض الذي لا يُرجىٰ بُرؤُهُ، ومن في حُكْمِ هؤلاءِ ممَّن يُجهِدُهُ الصَّومُ، ويشقُّ عليه مشقَّةً شديدةً، فهؤلاء جميعًا يُرخَّصُ لهم في الفطرِ، وأن يُطعموا عن كلِّ يومٍ مسكينًا مُدًّا من طعام، ولا قضاءَ عليهم لقول ابن عباسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - كما في «صحيح البخاريِّ»[1] «**الشَّيْخُ الكَبِيرُ، وَالمَرْأَةُ الكَبِيرَةُ لاَ يَسْتَطِيعَانِ أَنْ يَصُومَا، فَيُطْعِمَانِ مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا**» .

وأستغفر الله.

(١) رواه البخاري (٤٥٠٥).

الخطبة الثانية

مبطـــلات الصيـــام

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، تقدم الحديث عن الصيام والآن حديثي معكم عن مُبطلات الصيام ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ هناك ما يُبطلُ الصومَ، ويُوجبُ القضاء فقط، وهناك ما يُبطِلُهُ، ويُوجبُ القضاء والكفَّارةَ.

فأمَّا ما يُبطلُ الصَّومَ، ويُوجبُ القضاءِ فقط، فهو ما يأتي:

أولاً. الأكلُ والشُّربُ عمدًا، أمَّا إذا كان ناسيًا أو مُكرهًا، فلا قضاء عليه.

لما في «الصحيحين»[1] مِنْ حَدِيْثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -عَنْ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ : « **مَنْ نَسِيَ وَهُوَ صَائِمٌ . فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ ، فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ . فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللهُ وَسَقَاهُ** ». وهذا من لُطفِ اللهِ وتيسيرِهِ علىٰ عباده فقوله: «**فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ**» دليلٌ علىٰ أنَّ صيامَهُ صحيحٌ.

ثانيًا. من أكلَ أو شربَ، أو جامعَ ظانًّا غروب الشمس، ثمَّ تبيَّن له خِلاف ذلك، أي بقاء النهار.

ثالثًا. ما وصلَ إلىٰ الجوفِ بالمُبالغةِ في المضمضة والاستنشاق، إذا بالغ في ذلك ذاكرًا لصومه، وأيضًا إيصال الأغذية إلىٰ الجوف، ومن ذلك الإبرُ المُغذية، التي يحصلُ بها إنعاشٌ للبدن وتغذيته.

---

(١) رواه البخاري (١٩٣٣)، ومسلم (١١٥٥).

أَمَّا إذا طار إلىٰ حلقهِ غبارٌ أو ذبابٌ، لم يُؤثِّر علىٰ صيامِهِ لعدمِ إمكان التحرُّزِ من ذلك.

رابعًا- إنزالُ المنيِّ في اليقظة باستمناءٍ، أو مباشرةٍ، أو تقبيلٍ، أو إدامةِ نظر، ونحو ذلك باختيارهِ، وأمَّا الإنزال بالاحتلام فإنَّه لا يُفْطِرُ؛ لأنَّه بغير اختيار الصائمِ.

خامسًا- التقيُّؤُ عمدًا، والتقيؤُ: هو استخراج ما في المعدة من طعام أو شرابٍ عن طريق الفمِ مُتعمدًا، أمَّا منْ غَلَبَهُ القيءُ، فقاء بدونِ اختيارهِ فلا يفسدُ صومهُ.

لما في «سُنن أبي داود» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح سُنن أبي داود»[١] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة - -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**مَنْ ذَرَعَهُ قَيْءٌ - وهو صائم - فليس عليه قضاءٌ، وإنِ استقاء فَلْيقضِ**».

ومعنىٰ ذَرَعَهُ القَيْءُ: أي غَلَبَهُ.

سادسًا- نقضُ ورفْضُ نيَّةِ الصَّومِ، فمن نوىٰ الفطرَ - وهو صائمٌ بطَلَ صومُهُ، وإن لم يتناول مُفطرًا، ولهذا قال أهل العلم: إذا غربت الشمسُ، وليس عندك ما تُفطِرُ عليه، فتكفيك النِّيَّةُ.

سابعًا- الرِّدَّةُ عن الإسلام، إن رجع إليه لقول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر:٦٥].

الأمر الثاني - أَيُّهَا النَّاسُ - ما يُبطلُ الصوم، ويُوجبُ القضاءَ والكفارةَ، وهو الجماعُ العمد من غير إكراه.

لما في «الصحيحين»[٢] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: جاء رجلٌ إلىٰ النبيِّ -ﷺ- فقال: هلكتُ، يا رسول الله قال: «**ما أَهْلَكَكَ؟**». قال: وقعتُ علىٰ امرأتي في رمضان، فقال: «**هل تجدُ ما تُعتِقُ رقبةً؟**» قال: لا. قال:

(١) أخرجه أبو داود (٢٣٨٠)، وصححه الألباني في «صحيح سُنن أبي داود» (٢٠٨٤).
(٢) رواه البخاري (١٩٣٦)، ومسلم (١١١١).

«فهل تستطيعُ أن تصومَ شهرين مُتَتَابِعَيْنِ؟» قال:لا. قال: **«فهل تجدُ ما تُطْعِمُ ستِّين مسكينًا؟»**. قال: لا. ثمَّ جلس، فأُتِيَ النبيُّ -ﷺ- بعَرَقٍ فيه تمر (والعَرَقُ: هو مكيالٌ يَسَعُ خمسةَ عَشَرَ صاعًا) فقال: **«خُذ تصدَّق بهذا»** قال: فهل علىٰ أفقر منَّا؟ فواللهِ ما بين لَابَتَيْهَا أهلُ بيت أَحْوجُ إليه منَّا (أي ما بين أطراف المدينة أفقرُ منّا) فضحك النبيُّ -ﷺ حتىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وقال: **«اذهب فأَطْعِمْهُ أَهَلَكَ»**.

أَيُّهَا النَّاسُ ، لابد أن نأتِي بالكفارة علىٰ الترتيب وهي عِتقُ رقبةٍ مُؤمنةٍ، فإن عجز أطعم ستِّين مسكينًا من أوسط ما يُطعِمُ منه أهلهُ، كما لا يصح الانتقال من حالة إلىٰ حالةٍ إلا إذا عجز منها. والإطعام ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ يكونُ لكُلِّ مسكينٍ مُدٌّ مِنْ بُرٍّ، أو شعيرٍ، أو تمرٍ بحسب الاستطاعة.

وتتعدَّدُ الكفَّارةُ بتعدُّدِ المُخالفة، فمن جامع مُتعمدًا في يوم ولم يُكفِّر، ثمَّ جامع في يومٍ آخر من الشهر فقد ذهب بعض أهلِ العلم إلىٰ أنَّه عليه كفَّارتانِ، والصوابُ الاكتفاء بواحدةٍ.

أَيُّهَا النَّاسُ، هنا تنبيهٌ مهم: وهو هل على المرأة كفَّارة كالرَّجل تمامًا؟

ذهب أهلُ العلم إلىٰ أنَّه متىٰ كانت المرأةُ راضيةً، فعليها كفَّارةٌ، وإن كانتْ مُكرهةً، فعليها القضاءُ ولا كفارة عليها.

قال ابن عثيمين ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : «مَن جامع في نهارِ شهر الصومِ، فإنه يلزمُهُ القضاء والكفارة، وامرأته مثله إن كانت مُطاوعةً له، سواء حصل الإنزال أم لم يحصل»[١] .

اللهمَّ إنَّا نسألك علمًا نافعًا، ورزقًا طيِّبًا، وعمَلاً متقبَّلاً.

وسبحانك اللهمَّ وبحمدِك،أشهد أن لا إله إلا أنت،أستغفرك وأتوب إليك.

---

(١) «فقه العبادات» لابن عثيمين (ص١٩٤).



١٣
٢ـ فضل تلاوة القرآن

الخطبة الأولى

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيِّئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إلاَّ الله وَحْدَهُ لَا شَريْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيرَ الهَدْي هَدْيُ محمّد -ﷺ-، وشرَّ الأُمُور مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثة بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّارِ

أمَّا بعدُ، أيُّهَا النَّاسُ، حديثي معكمُ اليومَ عن فضل تلاوة القُرآن العَظيْم.

أيها الناس ؛ إن هذا القُرآن الذي بين أَيدينا نتلوه ونسمعه ونحفظه ، هو كلام ربنا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ، تكلم به حقيقةً علىٰ الوصف الذي يليق بجلاله وعظمته، ووصفه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بأوصاف عظيمة ؛ لنعظمه في نفوسنا

وتحترمه قلوبنا .

فوصفه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بأنه موعظة وشفاء وهدى :

قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾[يونس:٥٧] .

ووصفه بأنه روح تحيا به القلوب ، وأنه هدى الله يهدي به من يشاء:

قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾[الشورى:٥٢] ، وقال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-:﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾[الزمر:٢٣] .

ووصفه بأنه يهدي للطريق المستقيم :

قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-:﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾[الإسراء:٩-١٠] .

ووصفه بأنه كريم:أي كثير الخير،غزير العلم فكل خير وعلم إنما يستفاد منه :

قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾[الواقعة : ٧٥-٨٠] .

وأخبر -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أن هذا القرآن -لكمال تأثيره في القلوب والنفوس- لو أنزله على جبل لرأيته خاشعًا متصدعًا من خشية الله، قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحشر:٢١].

وفي «صحيح البُخاري» (١)، من حديث عُثْمان بن عفان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أن النبي -ﷺ- قال: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**».

وفي «الصحيحين» (٢)، من حديث عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْها- أن النبي -ﷺ- قال: «**الْماهِرُ بِالقُرْآنِ مع السَّفَرَةِ الكِرامِ البَرَرَةِ، والذي يَقْرَأُ القُرْآنَ ويَتَتَعْتَعُ فِيه، وهو عليه شاقٌّ، له أجْرانِ**».

والأجران؛ أحدهما: على التلاوة، والثاني: على مشقتها على القارئ.

وفي «الصحيحين» (٣)، من حديث أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أن النبي -ﷺ- قال: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ؛ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ**».

وفي «صحيح مُسلم» (٤)، من حديث أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أن النبي -ﷺ- قال: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ ...**».

وفي «صحيح مُسلم» أيضًا (٥)، من حديث عُقْبَة بْن عَامر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أن النبي -ﷺ- قال: «**أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ**

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٧).
(٢) أخرجه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٢).
(٣) أخرجه البخاري (٥٠٢٠)، ومسلم (٧٩٧).
(٤) أخرجه مسلم (٨٠٤).
(٥) أخرجه مسلم (٨٠٣).

كتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ! وَثَلَاثٌ؛ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ! وَأَرْبَعٌ؛ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ! وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ» .

وفي «صحيح مُسلم» أيضًا [١]، من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أن النبي -ﷺ- قال: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» .

وفي «الصحيحين» [٢]، من حديث أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَري-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، أن النبي -ﷺ- قال: «تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الإِبلِ فِي عُقُلِهَا» .

وفي «الصحيحين» [٣]، من حديث عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، أن النبي -ﷺ- قال: «لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ بَلْ هُوَ نُسِّيَ» .

تلك -أيها الناس- بعض فضائل القرآن الكريم ، وقد رتب الله الأجر العظيم والثواب الجزيل ، لمن تعلم القرآن وعلمه ، وجعلهم خير هذه الأمة.

قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فاطر: ٢٩ -٣٠] .

وفي «الصحيحين» من حديث عُثْمان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، أن النبي -ﷺ- قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» .

وفي «سُنن الترمذي» بسند صحيح - صححه الألباني في «المشكاة» من

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).
(٢) أخرجه البخاري (٥٠٣٣)، ومسلم (٧٩١).
(٣) أخرجه البخاري (٥٠٣٢)، ومسلم (٧٩٠).

حديث عَبْد الله بْن مَسْعُود، قال: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ- : « **مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ الله فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ** » .

وتلاوة كتاب الله أيها الناس ، كما قال بعض أهل العلم على نوعين :

النوع الأول: تلاوة لفظية : وهي قراءته ، وقد جاءت النصوص الكثيرة في فضلها ، إما في جميع القرآن وإما في سورٍ أو آياتٍ معينةٍ منه .

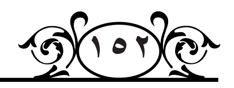
النوع الثاني: تلاوة حكيمة : وهي تصديق أخباره ، وتنفيذ أحكامه بفعل أوامره واجتناب نواهيه، وهذا النوع من الغاية الكبرىٰ من إنزال القرآن ، كما قال ربنا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص : ٢٩].

ولهذا درج السلف الصالح -رضيَ اللهُ عنهم- علىٰ ذلك يتعلمون القرآن، ويصدِّقون به ، ويطيعون أحكامه تطبيقًا إيجابيًا عن عقيدة راسخةٍ .

قال أبو عبد الرحمن السُّلمي -رحمهُ الله- : حدثنا الذين كانوا يُقْرِئوننا القرآن - عُثمان وعبد الله بنُ مسعود ، وغيرهما - أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي-ﷺ- عشْرَ آياتٍ لم يتجاوزوها حتىٰ يتعلموها ، وما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلمَ والعملَ جميعًا .

وهذا النوعُ من التلاوة هو الذي عليه مَدار السعادةِ والشقاوة .

قال الله-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۢ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ



﴿نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه : ١٢٧-١٣٣].

فبين الله في هذه الآيات الكريمة ثواب المتبعين لهاه الذي أَوْحاهُ إلىٰ رسله، وأعظمه هذا القرآن العظيم ، وبين عقاب المُعرضين عنه ، أما ثواب المتبعين له فلا يضلون ، ولا يشقون ، ونفي الضلال ولاشقاءِ عنهم ، يتضمن كمال الهداية والسعادة في الدنيا والآخرة .

وأما عقابُ المُعرضين عنه المتكبرين عن العمل به ، فهو الشقاءُ والضلالُ في الدنيا والآخرة ، فإن له معيشةً ضنكًا ، فهو في دنياه في همٍّ وقلق نفس ، ليس له عقيدة صحيحةً ولا عمل صالح ، قال -تعالىٰ-: ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف:١٧٩] .

وهو في قبره فيي ضيق وضنكٍ ، قد ضُيْقَ عليه قبرهُ حتىٰ تختلف أضلاعُه، وهو في حشره أعمىٰ لا يُبصر ، ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء:٩٧] .

فهم كما عموا في الدنيا عن رؤية الحقِّ ، وصمُّوا عن سماعِهِ ، وأمسكوا عن النطق به ، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾[فصلت:٥] .

جزاهم الله في الآخرة بمثل ما كانوا عليه في الدنيا ، وأضاعهم كما أضاعوا شريعته ، ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾[طه:١٢٥-١٢٦] .

وفي صحيح مسلم من حديث أَبِي مَالك الْأَشْعَرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أن النبي -ﷺ- قال: « **وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَك أَوْ عَلَيْك** ».

أيها الناس : علينا أن نجعل القرآن حُجةً لنا لا علينا ، وذلك بتلاوته حق

تلاوته، والعمل به، وذلك بتصديق أخباره ، واتباع أحكامه ، فعلاً للمأمورات، وتركًا للمنهيات، ومن كان هذا حاله فإن القرآن يُكرمه حين ينشق عنه قبره يوم القيامة بإذن الله .

ففي «مُسند أحمد » بسند حسن من حديث عَبْدُ اللهِ بْنُ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -قَالَ: قال رسول الله -ﷺ-: « **إِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَىٰ صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ، فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ، فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ، فَيَقُولُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الْهَوَاجِرِ وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ، فَيُعْطَىٰ الْمُلْكَ بِيَمِينِهِ وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَىٰ رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَىٰ وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لا يُقَوَّمُ لَهُمَا أَهْلُ الدُّنْيَا، فَيَقُولانِ: بِمَ كُسِينَا هَذِهِ؟، فَيُقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَاصْعَدْ فِي دَرَجَةِ الْجَنَّةِ وَغُرَفِهَا، فَهُوَ فِي صُعُودٍ مَا دَامَ يَقْرَأُ هَذًّا كَانَ أَوْ تَرْتِيلًا** » .

الخطبة الثانية

آداب تلاوة القرآن

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، تقدم الحديث عن فضل تلاوة القرآن العظيم، والآن حديثي معكم عن (آداب تلاوته)،وهي كثيرة ، وسوف أقتصر علىٰ بعض منها.

فمن آداب تلاوة القرآن الكريم: إخلاص النية لله تعالىٰ فيها ؛ لأن تلاوة القرآن عبادة عظيمة ، والإخلاص شرط في قبولها، فتلاوة بلا إخلاص رَعْدٌ بلا مطرٍ.

قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-:﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة :٥]، وفي «مُسند أحمد» بسندٍ صحيح - صححه الألباني في «صحيح أبي داود»[(١)]، من حديث جابر بن عبد الله -رضيَ الله عَنْهُما-قال: دَخَلَ النَّبيُّ -ﷺ- المسجدَ، فإذا فيه قومٌ يَقرَؤون القُرآنَ، قال: «**اقْرَؤوا القُرآنَ، وابْتَغوا به اللهَ، مِن قَبلِ أنْ يَأتيَ قَومٌ يُقيمونَه إقامةَ القِدْحِ، يتَعَجَّلونه، ولا يَتَأجَّلونَه** » .

ومن آداب تلاوة القرآن : أن نقرأ بقلبٍ حاضر، ونتدبر ما نقرأ ونفهم معانيه، وتخشع عند ذلك قلوبنا ، ونستحضر بأن الله -سبحانه وتعالىٰ- يخاطبنا في هذا القرآن، فإنه خطاب من الله لنا علىٰ لسان رسوله -ﷺ- ، قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ق :٣٧] .

(١) صحيح : أخرجه أحمد (٦/ ١٤٩) وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٨٣٠).

وعن الحسن -رحمه الله- قال: «إن مَن كان قبلكم رأوا القرآن رسائِلَ من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار» .

ومن آداب تلاوة القرآن : أن يُقرأ علىٰ طهارةٍ ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلاً .

ومن آداب تلاوة القرآن : أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم عند إرادة القراءة، لقول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [النحل :٩٨] . ولئلا يصُدَّه الشيطان عن القراءة أو كمالها .

وأما البسملة : فإن كان ابتداءُ قراءته من أثناء السور فلا يُبَسْمِلُ، وإن كان من أول السورة فليُبَسْمل إلا في سورة «التوبة» فإنه ليس في أولها بسملة ؛ لأن الصحابة -رضيَ الله عَنْهُم- أشكل عليهم حين كتابة المصحف: هل هي سورة مستقلة أو بقية الأنفال؟ ، ففصلوا بينهما بدون بسملة .

ومن آداب تلاوة القرآن : أن يُقرأ بتدبر وخشوع ؛ لأن ذلك هو المقصود والمطلوب وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب ، قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء :٨٢] ، وقال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [ص :٢٩] .

ومن آداب تلاوة القرآن : أن يُحسِّنَ القارئُ صوته بالقرآن ويترنم به ؛ ففي «الصحيحين» [(١)]، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ الله عَنْهُ- أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله -ﷺ- يَقُولُ : «**مَا أَذِنَ الله لِشَيْءٍ** (أي: ما استمعَ لشيْءٍ) **مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّىٰ بِالْقُرْآنِ ، يَجْهَرُ بِهِ**» .

ففي «الصحيحين» [(٢)]، من حديث جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ -رَضِيَ الله عَنْهُ- قَال :

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٣)، ومسلم (٧٩٢).
(٢) أخرجه البخاري (٧٦٥)، ومسلم (٤٦٣).

«سَمِعْتُ النَّبِيَّ -ﷺ- يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ ، فَمَا سَمِعْتُ أحدًا أحسن صوتًا أو قراءَةً منه -ﷺ- » .

لكن إن كان حوْلَ القارئ أحدٌ يتأذىٰ بجهره في قراءته كالنائم والمصلي ونحوهما ، فإنه لا يجهر جهرًا يشوش عليه أو يؤذيه ؛ لأن النبي خرج علىٰ الناس وهم ويصلون ويجهرون بالقراءة ، قال كما في «الموطأ» بسندٍ صحيح[1]، من حديث البياض:أن رسول الله-ﷺ-خرج علىٰ الناس وهم يصلون وقد علت أصواتهم فقال: « **كُلُّكُمْ مُنَاجٍ رَبَّهُ فَلَا يَجْهَرْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ بِالْقِرَاءَةِ** » .

ومن آداب تلاوة القرآن : أن يُرتل القرآن ترتيلاً ؛ لقول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-:﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ [المزمل :٤] .

وفي «صحيح البخاري» [2]، عن أنس بن مالك -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-أنه سُئِلَ عَن قِرَاءَةُ النَّبِيِّ -ﷺ-؟ فَقَالَ:«**كَانَتْ مَدًّا**»، ثُمَّ قَرَأَ:﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ **يَمُدُّ بِبِسْمِ اللهِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحْمَنِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحِيمِ**» .

وفي «مُسند أحمد» ، و«سُنن الترمذي» بسند صحيح - صححه الألباني في «صحيح الترمذي» من حديث أُمِّ سَلَمَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -أَنَّها سُئلت عَن قِرَاءَة النَّبِيِّ -ﷺ-؟ فقالَتْ: « كَانَ يُقَطِّعُ قراءَته آيةً آية ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ آيَةً، ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ آيَةً، ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ ﴾ آيَةً، ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ آيَةً » .

اللهم اجعل القرآن الكريم حُجة لنا لا علينا،وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار ، ووفقنا لتدبر معانيه وتطبيق أحكامه ، وحفظ حدوده ، ورعاية حرمته .

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (ص ٩٠)، رقم (١٧٤).
(٢) أخرجه البخاري (٥٠٤٥) .



الخطبة الأولى :

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيِّئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد -ﷺ-، وشرَّ الأُمور مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثة بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّار

أمَّا بعدُ، أَيُّها النَّاسُ، حديثي معكمُ اليومَ عن أخطاء يقع فيها بعض الصائمين، وهي كثيرة ، والقصد من بيان بعض أخطاء الصائمين هو إعانة من وقع في شيء منها علىٰ اجتنابها .

فمن أخطاء بعض الصائمين: التلفظ بالنية عند الإفطار وعند السحور :

والنية أيها الناس محلها القلب ، والتلفظ بالنية لم يفعلها النبي -ﷺ- ولا

الصحابة، ولا التابعين ، ولا الأئمة الأربعة ، لا في صلاة ولا في طهارة ولا صيام ولا حج.

والعبادة تُقدَّمُ علىٰ الإخلاص في المتابعة للنبي -ﷺ- فأي عبادة لم يفعلها رسول الله -ﷺ- فهي مردودة ع لىٰ صاحبها ، ففي «الصحيحين» [١] ، من حديث عَائشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»، وفي رواية لمسلم [٢] :« **مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**».

فمن أخطاء بعض الصائمين :الصلاة في رمضان فقط أو من الجمعة إلى الجمعة :

وهذا غاية في الشَّيْن، فإن بعض أهل العلم يذهبون إلىٰ بُطلان صيام من يصوم ولا يصلي، وذلك لأن الصلاة عمود الدين ، فهي الأساس الذي يقوم عليه البناء ، فإذا لم يجد الأساس فالبناء آيلٌ للسقوط لا محالة.

ففي « سُنن الترمذي» بسندٍ حسن -حسنه الألباني في «الإرواء» [٣]، من حديث عن معاذ بن جَبَل -رَضِي اللهُ عَنْهُ- أن النبي -ﷺ- قال : « **رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ** » .

وفي «صحيح مسلم» [٤] من حديث عن جَابر بن عبد الله -رَضِي اللهُ عَنْهُما- أن النبي -ﷺ- قال : « **إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاة**» .

وقد كان الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفرٌ غير الصلاة .

---

(١) رواهُ البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).
(٢) رواهُ مسلم (١٧١٨).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٦١٦) وحسنه الألباني في «الإرواء» (٨/ ١٣٩) .
(٤) رواهُ مسلم (٧٦).

ففي «سُنن الترمذي» بسندٍ صحيح - صححه الألباني في «صحيح الترغيب»[١]، من حديث عبدِ الله بن بريدة -رَضِي الله عَنْهُ- قَالَ: « كانَ أَصْحابُ مُحَمَّدٍ -ﷺ- لا يرونَ شَيْئًا مِنَ الأَعْمالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلاةِ » .

بل قد نقل ابن حزم وغيره من أهل العلم إجماعة الصحابة علىٰ كفر تارك الصلاة[٢].

فمن أخطاء بعض الصائمين: كثرة النوم في نهار رمضان :

فقد أخرج البخاري في «الأدب المفرد» بسندٍ صحيح - صححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» [٣]، من حديث خَوَّات بْن جُبَيْر -رَضِي الله عَنْهُ-قَالَ : «نَوْمُ أَوَّلِ النَّهَارِ خُرْقٌ ، وَأَوْسَطُهُ خُلْقٌ ، وَآخِرُهُ حُمْقٌ» .

فقوله : (خُرْقٌ) أي جهل ، فإن وقت أول النهار وقت غنيمة ، فإنه القسمُ وحلول البركة في الأعمال والأرزاق .

ففي«سُنن الترمذي» بسند صحيح-صححه الألباني في«صحيح ابن ماجَهْ»[٤] من حديث صَخْرِ الْغَامديِّ -رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: **«اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا»** .

قال صخر : وكان إذا بعث سرية أو جيشًا بعثهم أول النهار، وكان صخرُ تاجرًا، وكان إذا بعث تجارة بعثها أول النهار، فأُثريَ وكثُر مالُه .

---

(١) صحيح : أخرجه الترمذي (٢٧٧٠) ، وصححه الألباني في«التغريب» (١/ ٢٧٧) (٦٤).
(٢) انظر : المحلىٰ (٢/ ٢٤٢) ، وكتاب الصلاة لابن القيم (ص٢٦) ، والشرح الممتع لابن عثيمين (٢/ ٢٨) .
(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٢٤٢) ، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (ص٤٥٦) .
(٤) صحيح : أخرجه الترمذي في «سُننه» (١٢٣٥) ، وصححه الألباني في«صحيح ابن ماجَهْ» (٢٢٣٦).

وليس مقصودنا أن النائم لا يُرزق ، بل إن الله يرزق البَرَّ والفاجر، والمؤمن والكافر ، لكن البركة كنز لا يناله إلا المستيقظون في هذا الوقت المبارك .

وقوله : (خُلُقٌ) : أي أن نوم وسط النهار خُلُق رسول الله -ﷺ- ، وهو نومة الهاجرة؛ أي قبل صلاة الظهر بساعة إلا يوم الجمعة ، فإن النبي -ﷺ- كان ينام فيه بعد الظهر .

وقوله : (نوم وسط النهار) : فيه إشارة إلىٰ ما أخرجه أبو نعيم في «الطب» بسند حسن - حسنه الألباني في «الصحيحة» »[1] ، من حديث أنس بن مالك -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: « **قِيلُوا؛ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَا تَقِيلُ** ».

وقوله : (حقٌ) : أي وضع الشيء في غير موضعه .

وأعدل النوم أيها الناس - كما يقول ابن القيم -رحمه الله- : « نوم نصف الليل الأول ، وسُدسه الأخير ، وهو مقدار ثمان ساعات وهذا أعدل النوم عند الأطباء » .

ومن أخطاء بعض الصائمين: الإكثار في المأكل والمشرب في رمضان :

وتكلف شراء بعض المأكولات التي لا يأخذها في غير رمضان، وكثرة الأكل يدعو إلىٰ الغفلة، كما أن قلة الأكل توجب رقة القلب، وانكسار النفس، وضعف الهوىٰ .

فينبغي التوسط في كل شيء ، فلا يضيِّق الإنسان علىٰ نفسه ولا يفرِّط في الأكل، وخير الأمور أوسطها ، والتوسط أيضًا من أعظم أسباب حفظ الصحة، فإن الله - سبحانه وتعالىٰ- جمع الطب كله في نصف آية ، فقال- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾ [الأعراف :٣١] .

(١) حسن : أخرجه أبو نعيم في «الطب» (١٢/ ٨) ، وحسنه الألباني في«الصحيحة» (١٦٤٧).

قال بعض العلماء: « جمع الله بهذه الكلمات الطبَّ كله »[١].

وفي «مُسند أحمد» بسندٍ صحيح - صححه الألباني في الصحيحة»[٢]، من حديث المِقْدام بن مَعْديكَرِب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قالَ: سمعتُ رَسُولَ الله- ﷺ- يقولُ: « **مَا ملأَ آدميٌّ وعَاءً شَرًّا مِنْ بَطن، بِحَسْب ابن آدمَ أُكُلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَه، فإنْ كَانَ لا مَحالَةَ فَثلُثٌ لطَعَامه، وثُلُثٌ لِشرابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفسِه**».

وقد كان السف -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- ينفرون ممن عُرف بكثرة الأكل، ففي «الصحيحين»[٣]، من حديث نَافع، قَالَ: رَأَىٰ ابنُ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- مِسْكِينًا فَجَعَلَ يَضَعُ بيْنَ يَدَيْه، وَيَضَعُ بيْنَ يَدَيْه، قالَ: فَجَعَلَ يَأْكُلُ أَكْلًا كَثِيرًا، قَالَ: فَقَالَ: لا يُدْخَلَنَّ هذا عَلَيَّ، فإنِّي سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ - ﷺ- يقولُ: « **إنَّ الكَافِرَ يَأْكُلُ في سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ**».

ومن أخطاء بعض الصائمين: أكل الثوم والبصل والكرات وكل ماله رائحة مؤذية:

كالفجل والدخان، وذلك عند الفطر وقبل الذهاب إلىٰ المسجد، وقد نهي النبي - ﷺ- عن حضور المساجد لمن أكلها، ففي «الصحيحين»[٤]، من حديث جابر بن عبد الله -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قالَ:قالَ رَسُولُ الله - ﷺ-: « **مَنْ أَكَلَ الثُّوم وَالْبَصَلِ وَالْكُرَّاثِ، فَلا يَقْرَبْنَا فِي مَسَاجِدِنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّىٰ مِمَّا يَتَأَذَّىٰ مِنْهُ بَنُو آدَمَ**».

قال الإمام النووي -رحمه الله- : قال بعض العلماء: ويلحق بالثوم والبصل والكرات كل ما له رائحة كريهة من المأكولات وغيرها.

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ١٨٦).
(٢) صحيح: أخرجه أحمد في «المُسند»(٤/ ١٣٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٢٦٥).
(٣) رواهُ البخاري (٥٣٩٣)، ومسلم (٢٠٦٠).
(٤) رواهُ البخاري (٨٥٤)، ومسلم (٥٦٤).

قال القاضي : ويلحق من أكل فجلاً وكان يتجشأ .

وقال ابن الرابط : ويلحق به من به بَخْرٌ في فيه ، أو به جرح له رائحة .

قال القضي: « وقاس العلماء علىٰ هذا مجامع الصلاة غير المسجد ؛ كمصلىٰ العيد والجنائز ونحوها من مجامع العبادات ، وكذا مجامع العلم والذكر والولائم ونحوها ، ولا يلتحق بها الأسواق ونحوها » [١] .

ومن أخطاء بعض الصائمين :تتبع الصوت الحسن في المساجد عند القيام وغيره:

وقد نهي النبي - ﷺ- أن يتخطىٰ الرجل مسجده إلىٰ غيره من المساجد، فقد أخرج الطبراني في «الأوسط» بإسناد جيد قاله الألباني في «الصحيحة» من حديث ابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قالَ:قالَ رَسُولُ الله - ﷺ- : «**لِيُصَلِّ الرَّجُلُ فِي المَسْجِدِ الَّذِي يَلِيهِ، وَلاَ يَتَّبِعْ المَسَاجِدَ**» .

قال ابن القيم -رحمه الله- : « وما ذاك إلا لأنه ذريعةٌ لهجر المسجد الذي يليه، وإيجاش في صدر الإمام ، وإن كان الإمام لا يُتم الصلاة ، أو يرمىٰ ببدعة أو يعلن فجوره ، فلا بأس بتخطِّيه إلىٰ غيره » [٢].

ومن أخطاء بعض الصائمين : الإفطار على سجائر:

وهذا مخالف لهدي النبي -ﷺ- ، فإن النبي - ﷺ- كان يفطر علىٰ الرُّطب أو التمر -إن تيسر- أو الماء، لما في «سُنن أبي داود» بسند حسن - حسنه الألباني في الإرواء [٣] ، من حديث أَنَس بْن مَالك -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: «**كَانَ رَسُولُ الله -ﷺ- يُفْطِرُ عَلَى رُطَبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَإِنْ لَمْ تكُنْ رُطَبَاتٌ فَعَلَىٰ تَمَرَاتٍ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ**» .

---

(١) شرح النووي علىٰ مسلم (ص ٤٢٠).
(٢) إعلام الموقعين (٣/ ١٦٠).
(٣) حسن : أخرجه أبو داود (٢٣٦٥) ، وحسنه الألباني في«الإرواء» (٩٢٢).

وهذا مع ما في السجائر من أضرار بالغة للصحة ، فنقول لمن ابتلىٰ بالدخان: يا أخي ، اتق الله في نفسك ؛ فإنها أمانة ، وهي ملك لخالقها ورازقها ، فلا تُهلكها بالدخان ، واجعل قصدك في تركها وجه الله ، يخلصك الله منها .

ومن أخطاء بعض الصائمين: التخفيف المفرط في صلاة التراويح:

فإذا كان الإمام لا يُتم الركوع ولا يتم السُجود ؛ فوجب علىٰ الناس أن ينصحوا له بالتي هي أحسن للتي هي أقوم ، فإن أبىٰ فالصلاة وراءه لا تصح، ولا يصح الاقتداء به ، ويجب إعادة الصلاة لما في «الصحيحين» [1] ، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ - ﷺ- دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّىٰ، فَسَلَّمَ عَلَىٰ النَّبِيِّ - ﷺ-، فَرَدَّ، وَقَالَ: «**ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ**» .

فَرَجَعَ يُصَلِّي كَمَا صَلَّىٰ، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَىٰ النَّبِيِّ - ﷺ-، فَقَالَ : « **ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ**» (ثَلَاثًا) ، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ، فَعَلِّمْنِي، فَقَالَ: « **إِذَا قُمْتَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنْ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّىٰ تَعْدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا**» .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « فكل من لم يتم ركوعه أو سجوده أو غير ذلك مما هو مأمور ، فعليه بالإعادة » [2].

وأستغفر الله .

---

(١) رواهُ البخاري (٧٥٧)، ومسلم (٣٩٧).
(٢) الفتح (١/ ٣٤٨).

الخطبة الثانية:

من أخطاء بعض الصائمين

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعدُ، أَيُّهَا النَّاسُ،تقدم الحديث معكم عن أخطاء بعض الصائمين، وحديثي معكم هو تكملة لما سبق، فإن أخطاء بعض الصائمين أكثر من أن تُحصر.

ومن أخطاء بعض الصائمين: سُوء الخُلق:

فبعض الصائمين يكون سيء الخُلق ؛ بسبب امتناعه عن الأكل والشرب، فتراه قاسيًا فظًّا غليظًا علىٰ أهله وعلىٰ الناس الذين يعاملهم ويحتك بهم ، وهذا خلاف ما يجب أن يكون عليه الصائم من حُسن الخُلق .

ففي «الصحيحين» [١] ، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ - ﷺ- قَالَ: «**وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ -فَلَا يَجْهَلْ- وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ : إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ** » .

ومعنىٰ : (**جُنَّةٌ**) : أي وقاية وستر . ومعنىٰ (**فَلَا يَرْفُثْ**) : المراد هنا الكلام الفاحش، وهو يطلق علىٰ هذا كما يطلق علىٰ الجماع ، كما قال الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة :١٨٧] .

ومعنىٰ : (**يَجْهَلْ**) : أي لا يفعل شيئًا من أفعال الجاهلية ، فإن سبَّهُ أحد أو قاتله أو شاتمه فلا يرد عليه بالمثل، بل يقول: إني صائم ، إني صائم .

(١) رواهُ البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١).

وفي هذا الحديث الحث علىٰ التمسك بالأخلاق الحسنة ، فالصائم في عبادة طول يومه ، فلا ينبغي أن يشين عبادته وينقص أجرها .

ولعل الدافع لسُوء الخُلق في رمضان الغضبُ .

قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله- [(١)]: « والغضب وسوء الخُلق في رمضان يكثر لضعف الإيمان، فمن الناس من تراه كثير الغضب سيء الخُلق مع الناس، ومعه أهله، ومع الجيران، وحجته أنه جوعان، وهذا ينافي آداب الصيام، فالصيام من أعظم العون علىٰ محاربة الهوىٰ وقمع الشهوات وتزكية النفوس، فيحبس اللسان عن اللغو والسباب والهذيان ، ولا يخفي أن سوء الخُلق من نَزغات الشيطان، والله - عزَّ وجَلَّ- يقول: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [الأعراف:٢٠٠] .

وكثرة الغضب لا تدل علىٰ القوة ولا علىٰ رزانة العقل ؛ ففي «الصحيحين»[(٢)]، من حديث أَبي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله - ﷺ- : «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ؛ إِنَّمَا الشَدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**» .

ومن أخطاء بعض الصائمين : الغيبة والنميمة والكذب وقول الزور :

كل ذلك وغيرها تنقص أجر الصائم لا محالة ؛ ففي«صحيح البخاري»[(٣)]، من حديث عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ:قَالَ رَسُولُ الله-ﷺ-:«**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، وَالْجَهْل فَلَيْسَ لِلَّه حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**» .

وأخرج التبريزي في «مشكاة المصابيح» بسند صحيح - صححه الألباني في «صحيح الجامع» [(٤)]، من حديث عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ:قَالَ

---

(١) جامع العُلوم والحكم (١٤٦).
(٢) رواهُ البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).
(٣) رواهُ البخاري (٦٠٥٧) .
(٤) صحيح:أخرجه التبريزي في«المشكاة»(٢٠١٤) ،وصححه الألباني في «صحيح الجامع»(٣٤٨٨) .

رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: « **رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ** » .

ومن أخطاء بعض الصائمين: استغلال شهر رمضان للمسألة :

فمن المعلوم أن شهر رمضان هو شهر الجُود والإحسان ، فعلىٰ أهل الخير أن يتحرَّوا بصدقاتهم المحتاجين الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، وينظروا للأراملَ والأيتام ا الذين لا عائل لهم .

ومن الخير أن يعطوهم الصدقة يدًا بيد إن أمكن ذلك ، وأما الذين ينتقلون من مسجد إلىٰ مسجد فلا يسلم الإمام إلا وهم في القِبلة يسألون الناس لأنفسهم ولغيرهم ؛ فهؤلاء منهم من يكون محتاجًا ومنهم أصحاب حِيَل .

فإلىٰ هؤلاء جميعـًا أذكرهم بما جاء في «مُسند أحمد» بسند صحيح من حديث حبيش بن جناده -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ-ﷺ-: « **مَنْ سَأَلَ مِنْ غَيْرِ فَقْرٍ ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الْجَمْرَ** » .

وفي «سُنن أبي داود» بسند صحيح - صححه الألباني في «صحيح سُنن أبي داود» من حديث سَهْلِ بْنِ الْحَنْظَلِيَّةِ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَن سَأَلَ شَيْئًا وعِنْدَهُ ما يُغْنيهِ فَإِنَّما يَسْتَكْثِرُ مِن جَمْرِ جَهَنَّمَ**» . قالُوا: يا رَسُولَ اللهِ، وما يُغْنِيهِ؟ قالَ: « **ما يُغَدِّيهِ أَوْ يُعَشِّيهِ** » .

وفي «الصحيحين»من حديث ابْنِ عُمَرَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: « **ما يَزالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ، حتَّىٰ يَأْتِيَ يومَ القِيامَةِ ليسَ في وجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ**».

وأسأل الله أن يفقهنا في الدين ولا يحوجنا إلىٰ أحد من خلقه .



١٥ العشر الأواخر من رمضان

الخطبة الأولى :

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيِئَاتِ أَعْمَالنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أَمَّا بعدُ ؛ فإنّ أصدَقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد -ﷺ-، وشرَّ الأُمُور مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّارِ

أمّا بعدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، حديثي معكمُ اليومَ عن العشر الأواخر من رمضان .

أيها الناس ؛ إن العشر الأواخر من رمضان فيها من الأجر العظيم والمزايا ما ليس لغيرها من أيام رمضان ولياليها ، وقد كان النبي يخصها بالاجتهاد في العبادات ، ويجتهد بالعمل فيها أكثر من غيرها .

ففي «صحيح مسلم» [١]، من حديث عائِشَةَ -رَضِيَ الله عنْهَا- أن النبي -ﷺ- قال : « **كَانَ يَجْتَهِدُ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ منْه مَالا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ** » .

ففي «الصحيحين» [٢]، من حديث عائِشَةَ -رَضِيَ الله عنْهَا- قَالَت: «**كَانَ النَّبِيُّ** - ﷺ- **إذا دخلَ العَشرُ الأواخرُ شدَّ مِئزَرَهُ ، وأحْيَا لَيْلَهُ ، وأيقظَ أهْلَهُ** ».

وفي رواية: «**أَحْيَا اللَّيْلَ وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ**» .

ومعنىٰ (**وَشَدَّ الْمِئْزَرَ**) : هو كناية عن اعتزال النساء ليتفرغ للصلاة والذِّكْر .

والمراد بـ (**أَحْيَا اللَّيْلَ**) : إحياءُ غالبه ، ويؤيده ما في «صحيح مسلم» [٣]، من حديث عائِشَةَ -رَضِيَ الله عنْهَا- قَالَت: « **مَا أَعْلَمُهُ -ﷺ- قَامَ لَيْلَةً حَتَّىٰ الصَّباح**».

ومما يدل علىٰ مَيْزَةِ العشر الأواخر علىٰ غيرها أن النبي -ﷺ- كان يعتكفُ فيها ، واعتكف أصحابه معه وبعده ، واعتكف أزواجه من بعده -ﷺ- .

ففي «الصحيحين»[٤]،من حديث أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله-ﷺ- اعْتَكَفَ الْعَشْرَ الأَوَّلَ مِنْ رَمَضَانَ ثُمَّ اعْتَكَفَ الْعَشْرَ الأَوْسَطَ ، ثُم قَالَ: «**إِنِّي اعْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الأَوَّلَ أَلْتَمِسُ هَذه اللَّيْلَةَ ، ثُمَّ اعْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الأَوْسَطَ، فَقِيلَ لِي : إِنَّهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَعْتَكِفَ فَلْيَعْتَكِفْ** » .

ففي «الصحيحين»[٥]،من حديث عائِشَةَ-رَضِيَ الله عنْهَا-قَالَت: «**أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- كَانَ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِن رَمَضَانَ، حتَّىٰ تَوَفَّاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِن بَعْدِهِ**».

---

(١) رواهُ مسلم (١١٧٥).
(٢) رواهُ البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤).
(٣) رواهُ مسلم (٧٤٦).
(٤) رواهُ البخاري (٦٦٩)، ومسلم (١١٦٧).
(٥) رواهُ البخاري (٢٠٢٦)، ومسلم (١١٧٢).

أيها الناس ؛ تقدم أن النبي -ﷺ- كان يعتكف في المسجد وخاصة في العَشر الأواخر ، وكذلك اعتكف أصحابه معه ومن بعده ، وكذلك نساؤه من بعده .

والاعتكاف -شرعًا- : هو الإقامة في المسجد بنية التقرب إلىٰ الله -عزَّ وَجَلَّ- وهو ثابت بالكتاب والسُّنَّة والإجماع :

فأما الكتاب : فقول الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة :١٨٧] .

وأما السُّنَّة ففي «الصحيحين»[١]،من حديث عائشَةَ-رَضِيَ الله عنْهَا-قَالَت: «**أَنَّ النَّبيَّ -ﷺ- كَانَ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِن رَمَضَانَ، حتَّىٰ تَوَفَّاهُ الله ، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِن بَعْدِهِ**».

وأما الإجماع: فقد قال ابن المنذر في كتابه «الإجماع» : «وأجمعوا علىٰ أن الاعتكاف جائز » .

والاعتكاف أيها الناس سُنَّة مُستحبة في حق الرجال والنساء سواء، وهو واجب بالنذر .

قال النووي -رحمه الله- : « قد أجمع المسلمون علىٰ استحبابه وأنه ليس بواجب »[٢].

وقال أيضًا : الاعتكاف سُنَّة بالإجماع ، ولا يجب إلا بالنذر بالإجماع [٣].

والاعتكاف - أيها الناس- يجوز في سائر أيام السَنة ، وهو في رمضان آكدُ، وفي العُشْر الآخير منه أفضل .

(١) الإجماع (١٣٦).
(٢) شرحه علىٰ مسلم (٨/ ٩٥).
(٣) المجموع (٦/ ٥٠١).

لما في «الصحيحين»[١]، من حديث عائِشَةَ-رَضِيَ الله عنْهَا-قَالَت: «**كَانَ النبيُّ -ﷺ- يَعْتِكَفُ فِي العَشْرِ الأواخرِ مِن رمضانَ، وكنتُ أضربُ له خِبَاءً، فيصلِّي الصبحَ ثم يدخلُه، فاستأذَنَتْ حفصةُ عائشةَ أن تَضْرَبَ خِباءً فأذِنَتْ لها، فضرَبَتْ خِباءً، فلما رأَتْه زينبُ بنتُ جَحْش ضربَتْ خِباءً آخرَ، فلما أصبح رَسُولُ الله -ﷺ- رأىٰ الأَخْبِيَةَ، فقال: ما هذًا ؟ فأُخْبِرَ، فقال: آلْبِرَّ تُرِدْنَ بهنَّ! فتركَ الاعتكافَ ذلك الشهرَ، ثم اعتكَفَ عشْرًا مِن شوالٍ** ».

ويبدأ وقت الاعتكاف من بعد صلاة الفجر ؛ لما لما في «الصحيحين»[٢]، من حديث عائِشَةَ-رَضِيَ الله عنْهَا-قَالَت: « **كَانَ رَسُولُ الله -ﷺ- يَعْتَكِفُ فِي كُلِّ رَمَضَانٍ، فإِذَا صَلَّىٰ الغَدَاةَ دَخَلَ مَكَانَهُ الَّذِي اعْتَكَفَ فِيهِ**» .

وبوب له النووي-رحمه الله-باب: «متىٰ يدخل من أراد الاعتكافَ في مُعتكَفه»[٣].

وأما وقت خروج المعتكف من معتكَفه ، فصبيحة يوم العيد ؛ لما في «صحيح البخاري»[٤]، من حديث أَبِي سَعِيدِ الخُدْرِي-رَضِيَ الله عنْهُ- قَالَ : «عْتَكَفْنَا مع رَسولِ الله-ﷺ-، العَشْرَ الأَوْسَطَ، فَلَمَّا كانَ صَبِيحَةَ عِشْرِينَ نَقَلْنَا مَتَاعَنَا » .

قال الحافظ : « أُستُدِلَّ بهذا علىٰ أن مبدأ الاعتكافِ من أولِ النهارِ » .

شروط الاعتكاف:

وللاعتكاف - أيها الناس- شروط ، وشروطه ما ذكرته أم المؤمنين عائشَةَ -رَضِيَ الله عنْهَا- ففي«سُنن أبي داود» [٥]،أَنَّهَا قَالَت: « **السُّنَّةُ عَلَىٰ الْمُعْتَكِفِ أَنْ لا يَعُودَ مَرِيضًا ، وَلا يَشْهَدَ جَنَازَةً ، وَلا يَمَسَّ امْرَأَةً وَلا يُبَاشِرَهَا ، وَلا يَخْرُجَ لِحَاجَةٍ**

(١) رواهُ البخاري (٢٠٣٣)، ومسلم (١١٧٢).
(٢) رواهُ البخاري (٢٠٤١)، ومسلم (١١٧٢).
(٣) شرحه علىٰ مسلم (٨/ ٩٨) .
(٤)رواهُ البخاري (٢٠٤٠) .
(٥) أخرجه أبو داود ي «سُننه» بسند حسن ،حسنه الألباني في «صحيح أبي داود» (٢١٦٠) .

إلا لِمَا لا بُدَّ مِنْهُ،وَلَا اعْتِكَافَ إِلَّا بِصومٍ،وَلَا اعْتِكَافَ إِلَّا فِي مَسْجِدٍ جَامِعٍ».

فقولها -رَضِيَ اللَّه عنْهَا- : « لا يَعُودَ مَرِيضًا » :

أي لا يزوره، ولكن للمعتكف أن يسأل عن المريض؛ لما في «الموطأ» »[٦]، بسند صحيح من حديث عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَن : « **أَنَّ عَائِشَةَ -رَضِيَ الله عنْهَا-كَانَتْ إِذَا اعْتَكَفَتْ، لاَ تَسْأَلُ عَنِ الْمَرِيضِ إِلاَّ وَهِيَ تَمْشِي، لاَ تَقِفُ**» .

فقولها -رَضِيَ اللَّه عنْهَا- : « وَلا يَمَسّ امْرَأَةً وَلا يُبَاشِرَهَا » :

وذلك لأن الوطء في الاعتكاف محرم بالإجماع ؛ لقول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾ [البقرة :١٨٧] .

وكذلك يحرم علىٰ المعتكف أن يُقبِّل زوجته بإجماع العلماء .

قال ابن عبد البر -رحمه الله-:«أجمع العلماء أن المعتكف لا يُباشر ولا يُقبِّل».

وأما إذا وقع المعتكف علىٰ امرأته فإن اعتكافه فسد ويُستأنف[٧].

وقولها -رَضِيَ اللَّه عنْهَا- : « وَلا يَخرُجَ لِحَاجَةٍ إلا لِمَا لا بُدَّ مِنْهُ » :

والحاجة التي لابُد منها هي : الطعام والشراب إذا لم يجد من يحضرهما له، وكذلك البول والغائط ، وكذلك غُسل الجنابة والجمعة، وكذلك إقلاب الزوجة وغيرها .

قال الإمام ابن العربي -رحمه الله- : « رُخِّصَ للمُعتكف في حاجة الإنسان الضرورية الداعية، وبقيَ سائر أفعال الاعتكاف كلها علىٰ أصل المنع» .

وقولها -رَضِيَ اللَّه عنْهَا- : « وَلا اعْتِكَافَ إِلَّا بِصَومٍ » :

قال ابن حجر -رحمه الله- : « ولم يُنقل عن النبي -ﷺ- أنه اعتكف مفطرًا

(٦) الموطأ (١/ ٣١٢) .
(٧) التمهيد (٨/ ٣٢) .

قطُّ ، ولم يذكر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- الاعتكاف إلا مع الصوم ، ولا فعله رسولُ الله -ﷺ- إلا مع الصوم، فالقول الراجح في الدليل الذي عليه جمهور السلف : أن الصوم شرط في الاعتكاف، وهو الذي كان يرجحه شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية »[١].

وقولها -رَضِيَ اللَّه عنْهَا- : « وَلَا اعْتِكَافَ إِلَّا فِي مَسْجِدٍ جَامِعٍ » :

قولها : إنما هو عام في أي مسجد، وهذا الذي عليه جمهور أهل العلم .

أيها الناس : ذلك بعضُ هَدْي النبي -ﷺ- في العشر الأواخر ، فلا يفوتكم ذلك الخير، بل لعل بعضنا قد لا يدركه رمضانُ القادم ، والموت غيب ولا يدري أحدنا متىٰ الموعد .

وأستغفر الله .

---

(١) فتح الباري (١/ ٣٢٢) .

الخطبة الثانية:

ليلة القدر

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعدُ، أيُّهَا النَّاسُ،تقدم الحديث معكم عن بعض هدي النبي -ﷺ- في العشر الأواخر من رمضان ، وحديثي معكم الآن عن ليلة القدر ، التي شرفها الله علىٰ غيرها ، ومَنَّ علىٰ هذه الأُمةِ بجزيل فضلها ، وعظيم خيرها، وعميم بركتها.

ومن بركتها : أن هذا القرآن العظيم أُنزل فيها :

قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾[القدر :١٨٧] .

﴿ٱلْقَدْرِ﴾: بمعنىٰ الشرف والتعظيم،أو بمعنىٰ التقدير والقضاء،لأن ليلة القدر شريفة عظيمة ، يُقدِّر الله فيها ما يكون في السَنة ويقضيه من أموره الحكيمة.

﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾: يعني في الفضل والشرف وكثرة الثواب والأجر، ولذلك كان من قامها إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه .

﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: عبادٌ من عباد الله ، قائمون بعبادته ليلاً ونهارًا ، ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾: [الأنبياء:١٩-٢٠] . ينزلون في ليلة القدر إلىٰ لأرض بالخير والبركة والرحمة.

﴿وَٱلرُّوحُ﴾: هو جبريل – عليه السلام– خصَّه بالذِّكْر لشرفه وفضله .

﴿سَلَٰمٌ﴾: يعني أن ليلة القدر ليلة سلام للمؤمنين من كل مَخُوفٍ ، لكثير من يُعتق فيها من النار ، ويَسلم من عذابها .

﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾: يعني أن ليلة القدر تنتهي بطلوع الفجر،لانتهاء عمل الليل به [١].

وقال الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ–: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾[الدخان :٣–٨] .

وصفها الله –سبحانه وتعالىٰ بأنها مباركة لكثرة خيرها وبركتها وفضلها، ومن بركتها أن هذا القرآن العظيم أُنزل فيها .

ووصفها –سبحانه وتعالىٰ– : «بأنه يفرق كل أمر حكيم ؛ يعني : يُفصلُ من اللوح المحفوظ إلىٰ الكَتَبَةِ ما هو كائن من أمر الله –سبحانه وتعالىٰ– في تلك السَنَة من الأرزاق والآجال والخير والشر، وغير ذلك من كل أمر حكيم من أوامر الله المحكمة المتقنة التي ليس فيها خَلَلٌ ، ولا نقصٌ ولا شفَةٌ ولا باطِلٌ، ذلك تقدير العزيز العليم » [٢].

وفي «الصحيحين»[٣]، من حديث أَبي هُريرةَ –رَضيَ الله عنْهُ– أَنَّ النبيّ ﷺ قالَ : « **منْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمانًا واحْتِسابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِه**» .

---

(١) مجالس شهر رمضان ، لابن عثيمين (ص١٢٩) .
(٢) المرجع السابق (ص١٢٩) .
(٣) رواهُ البخاري (٢٠١٧)، ومسلم (١١٦٩).

وليلة القدر أيها الناس تكون في العشر الأواخـر من رمضان ، ففي «الصحيحين»[١]،من حديث عائِشَةَ -رَضِيَ الله عنْهَا-أَنَّ النبيّ -ﷺ- قالَ: «**تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي الوِتْرِ ، مِنَ العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ**» .

وتكون في الأوتار من العشر الأواخر بالذات ، أي ليالي : إحدىٰ وعشرين، وثلاث وعشرين ، وخمس وعشرين ، وسبع وعشرين ، وتسع وعشرين، ففي «صحيح البخاري» [٢] ، من حديث ابْنِ عَبَّاس -رَضِيَ الله عنْهُمَا-: أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- قَالَ: « **الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَىٰ، فِي سَابِعَةٍ تَبْقَىٰ، فِي خَامِسَةٍ تَبْقَىٰ** » .

وهي في السبع الأواخر أرجىٰ ، في «الصحيحين»[٣]، من حديث ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ الله عنْهُمَا- : أَنَّ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أُرُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْمَنَامِ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « **أَرَىٰ رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ (يعني اتفقت) فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيًا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ** » .

وأرجىٰ مام تكون ليلة القدر في ليلة سبع وعشرين ، ففي «صحيح مسلم»، و«مُسند أحمد» ، و«سُنن أبي داود» [٤]، من حديث أُبيٍّ بنُ كَعب ومُعاويَة -رَضِيَ الله عنْهُمَا- أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- قَالَ: «**لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ** » .

أيها الناس : قد ذكر أهل العلم أن ليلة القدر تكون في تر العشر الأواخر وأنها تنتقل .

---

(١) رواهُ البخاري (٢٠١٧)، ومسلم (١١٦٩).
(٢) رواهُ البخاري (٢٠٢١) .
(٣) رواهُ البخاري (١١٥٨)، ومسلم (١١٦٥).
(٤) رواهُ مسلم (٧٦٢) وأحمد (٥/ ١٣٢) ، عن أُبي بن كعب موقوفًا ، وأبو داود (١٣٨٦).

قال الحافظ ابن رجب-رحمه الله- : « أرجح الأقوال أنها في وتر من العشر الأواخر ، وأنها تتنقل » .

وقال العلامة ابن عثيمين -رحمه الله - : « ولا تختص ليلة القدر بلَيْلة معينة في جميع الأعوام ، بل تنتقل فتكون في عام ليلة سبع وعشرين مثلاً ، وفي عام آخر تكون ليلة خمس وعشرين ، تبعًا لمشيئة الله وحكمته ، ويدُل علىٰ ذلك قوله -ﷺ- : « **الْتَمِسُوهَا فِي سَابِعَةٍ تَبْقَىٰ، فِي خَامِسَةٍ تَبْقَىٰ** » (١).

أيها الناس : علينا أن نجتهد في تلك الأيام الفاضلة بالعبادة ؛ كالصلاة وقراءة القرآن ، والإكثار من الدعاء لا سيما الدعاء الذي علمه النبي -ﷺ- عائشة -رَضِيَ الله عنْهَا-، ففي « سُنن الترمذي » بسند صحيح - صححه الألباني في «صحيح سُنن ابن ماجَهْ »، من حديث عائشَةَ -رَضِيَ الله عنْهَا-قالت: « قلتُ: يا رسولَ الله، أرأيتَ إنْ علمتُ أيَّ ليلة ليلةُ القدْر؛ ما أقول فيها؟ قَالَ: «**قُولي: اللَّهُمَّ إنَّك عفُوٌّ تحبُّ العفوَ، فاعفُ عنِّي**» (٢).

---

(١) رواهُ البخاري (٢٠٢١) .

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٧٦٠) وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجَهْ » (٣٨٥٠) .



الخطبة الأولى :

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيِّئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدَقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد -ﷺ-، وشرَّ الأُمُور مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثة بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّار

أمّا بعدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، حديثي معكمُ اليومَ عن الحجِّ أحدِ أركانِ الإسلام، ومبانيه العِظامِ، فهو الركنُ الخامسُ من أركانِ الإسلامِ، فهو ختامُ الأمرِ، وتمامُ الإسلامِ، وكمالُ الدِّينِ.

ومن أنكر فرضيَّةَ الحجِّ، فهو كافرٌ مرتد عن الإسلام، إلا أن يكون جاهلاً بذلك، كحديث عهدٍ بإسلامٍ، أو ناشئٍ في بادية بعيدة، لا يعرفُ من أحكام

الإسلام شيئًا، فهذا يُعذرُ بجهله، ويُعرفُ ويُبَيَّنُ له الحكمُ، فإن أَصرَّ علىٰ إنكارِهِ فهو كافرٌ، وأمَّا مَنْ تركه تهاونًا مع اعترافه بفرضيتِهِ فهذا لا يكفَّرُ، ولكنه علىٰ خطرٍ عظيم، وقد قال بعض أهل العلم بكفرِهِ.

وأمَّا العُمرةُ فالصحيح من أقوال أهل العلم أنها واجبةٌ، لكن وُجوبَها أدنىٰ من وجُوب الحجِّ[١].

والحج لا يجب إلا مرةً واحدةً في العُمرِ، وكذلك العُمرةُ.

ومن أدلة فرضية الحجِّ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ ما يأتي:

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وفي «الصحيحين»[٢] مِنْ حَدِيْثِ عبد الله بن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قال: سمعتُ رسولَ الله -ﷺ- يقول: «**بُني الإسلام علىٰ خمسٍ: شهادة أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأنَّ محمَّدًا رسولُ الله، وإقام الصلاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ، والحجِّ، وصومِ رمضان**».

وفي «الصحيحين»[٣] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: خطبنا رسولُ الله -ﷺ- فقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ، قدْ فَرَضَ اللهُ عليكمُ الحَجَّ؛ فحُجُّوا**».

فقال رجلٌ: أكلَّ عام يا رسول الله. فسكتَ حتىٰ قالها ثلاثًا. فقال رسول الله -ﷺ-: «**لو قلتُ نعم لَوجبت، ولما استطعتم**».

ثمَّ قال: «**ذروني ما تركْتُكُم، فإنما هلكَ منْ كان قبلكم بكثرةِ سُؤالِهم، واختلافهم علىٰ أنبيائِهم، فإذا أمرتُكم بشيءٍ، فأتوا مِنه ما استطعتم، وإن**

---

(١) انظر «دروس وفتاوىٰ في الحرم المكي» لابن عثيمين (ص١٦٤) بتصرف.
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧)، واللفظ له.

نهيتكم عن شيءٍ فَدَعُوهُ».

وفضائل الحجِّ - أَيُّهَا النَّاسُ - لا تكاد تُحْصرُ، فمنها:

ما جاء في «الصحيحين»[1] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة - -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: سُئلَ رسول الله -ﷺ-: أيُّ الأعمالِ أفضلُ؟ قال: «**إيمانٌ باللهِ ورسولهِ**».

قيل: ثمَّ ماذا؟ قال: «**حج مَبْرورٌ**».

والحج المبرور أَيُّهَا النَّاسُ: هو الذي لا يرتكب صاحبُهُ فيه معصيةً.

وفي «الصحيحين»[2] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة - -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «**مَنْ حجَّ، فلم يَرْفُثْ، ولم يَفْسقْ رَجَعَ من ذُنُوبِهِ كيومِ ولَدَتْهُ أُمُّهُ**».

والرَّفثُ - أيّها الناس: كلمةٌ جامعةٌ لكُلِّ ما يريدُهُ الرجلُ من المرأة.

وفي «الصحيحين»[3] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة - -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنَّ رسولَ الله -ﷺ- قال: «**العُمرةُ إلىٰ العُمرةِ كفّارةٌ لما بَيْنَهما، والحجُّ المبرور ليس له جزاءٌ إلاَّ الجنةُ**».

وَفِي «صَحِيْح البُخَارِيّ»[4] مِنْ حَدِيْثِ عائشة -رَضِي اللهُ عَنْهَا- قالت: قلتُ: يا رسولَ اللهِ، ألَا نغزوا أو نُجَاهِدُ معكم؟ قال: «**لكن أحسنُ الجهَادِ وأجْمَلُهُ الحجُّ، حجٌّ مبرورٌ**» قالت عائشة: فلا أدعُ الحجَّ بعد إذ سمعتُ هذا من رسول الله -ﷺ-.

---

(١) رواه البخاري (١٥١٩)، ومسلم (٨٣).
(٢) رواه البخاري (١٨٢٠)، ومسلم (١٣٥٠).
(٣) رواه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩).
(٤) رواه البخاري (١٨٦١).

وفي «صحيح مسلم»[١] مِنْ حَدِيْثِ عمرو بن العاص -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: أتيتُ النبيَّ -ﷺ- فقلتُ: ابسُطْ يَمينَكَ فلأُبايعْك، فبسط يمينه، فقبضتُ يدي، فقال: «مالك يا عمرو؟» قلتُ: أردتُ أنْ أشترط قال: «تشترطُ ماذا؟» قلتُ: أن يُغفر لي. قال: «**أَمَا عَلِمتَ أنَّ الإسلامَ يَهْدِمُ ما كان قَبْلَهُ، وأنَّ الهِجْرةَ تَهْدِمُ ما كان قَبْلَها، وأنَّ الحجَّ يَهْدِمُ ما كان قَبْلَهُ؟!**».

وروىٰ الطبراني في «جامعه» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»[٢] مِنْ حَدِيْثِ ابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**أمَّا خُروجك من بيتِكَ تؤمُّ البيتَ الحرامَ، فإنَّ لك بُكلِّ وطأةٍ تَطَؤُها راحِلتُك، يكتُبُ اللهُ لك بها حسنةً، ويمحو عنك بها سيِّئةً.**

وأمَّا وُقُوفُك بَعرفةَ، فإنَّ اللهَ ـ عز وجل ـ ينزلُ إلىٰ السماءِ الدُّنيا، فيُباهي بهمُ الملائكةَ فيقولُ: هؤلاء عبادي، جاءُوني شُعْثًا غُبْرًا مِنْ كُلِّ فجٍّ عميق، يَرْجُونَ رحمتي، ويَخافون عذابي، ولم يروني، فكيف لو رأَوْني؟!

فلو كان عليك مثلُ رَملِ عَالجٍ (أي ما تراكم من الرَّملِ، ودخلَ بعضُه في بعضٍ) **أو مِثلُ أيَّامِ الدُّنيا، أو مِثلُ قطرِ السماء ذُنوبًا، غسلَهَا اللهُ عنك.**

وأمَّا رميُكَ الجِمارَ، فإنَّه مَدخُورٌ لك. وأمَّا حلْقُكَ رأسكَ، فإنَّ لك بكُلِّ شعرةٍ تسقطُ حسنةً، فإذا طُفْتَ بالبيتِ خَرجتَ من ذُنُوبِكَ كيومِ ولدتْكَ أُمكَ».

ومن فضائل الحجِّ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أنَّه طريقُ الغنى، وأَمانٌ من الفقرِ:

ففي «سُنن الترمذي» بسندٍ حسنٍ صحيح، قاله الألباني في «صحيح سُنن الترمذيِّ»[٣] مِنْ حَدِيْثِ عبد الله بن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ

(١) رواه مسلم (١٢١).
(٢) رواه الطبراني في «جامعه» (٥٩٣)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٣٦٠).
(٣) رواه الترمذي في «سُننه» (٨١٤)، وحسنه الألباني في «صحيح سُنن الترمذي» (٦٥٠).

الله -ﷺ-: «تابِعوا بيْنَ الحَجِّ والعُمرةِ؛ فإنهمُا يَنْفيانِ الفقْر، والذُّنُوبَ، كما يَنْفي الكيرُ خَبَثَ الحديد، والذهب والفضةِ، وليس للحَجَّةِ المبْرورة ثوابٌ إلاَّ الجنَّةَ».

وفي «سُنن الترمذي» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح سُنن الترمذي»[1] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «مَنْ حج، فلم يَرْفُثْ، ولم يَفْسُق غُفِرَ له ما تقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

وللحجِّ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ شروطٌ، فمنها:

أولاً الإسلام، فلا يصحُّ الحجُّ من كافر.

ثانيًا ـ البُلُوغُ، فلا يجبُ الحجُّ علىٰ الصبيِّ.

ثالثًا ـ العقلُ، فلا يجبُ الحجُّ علىٰ مجنونٍ.

رابعًا ـ الحُريَّةُ، فلا يجب الحج علىٰ العبدِ.

خامسًا ـ الاستطاعة لقول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

وللحجِّ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أربعةُ أركانٍ، وهي:

أولاً ـ الإحرام: وهو نيَّةُ الدُّخولِ في النسُكِ.

ثانيًا ـ الوُقُوفُ بعرفة.

ثالثًا ـ طوافُ الإفاضة.

رابعًا ـ السَّعيُ بَيْنَ الصَّفا والمَروةِ.

ومَن ترك شيئًا من هذه الأركانِ، لم يصحَّ حجُّه، حتَّىٰ يأتيَ به.

وواجبات الحج ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ سبعةٌ، وهي:

أولاً ـ الإحرامُ من المِيقاتِ.

(١) رواه الترمذي في «سُننه» (٨١٥)، وصححه الألباني في « صحيح سُنن أبي داود» (٦٥١).

ثانيًا ـ الوقوفُ بعَرفةَ إلىٰ اللَّيل.

ثالثًا ـ المبيتُ بمُزدلِفةَ ليلةَ النحرِ.

رابعًا ـ المبيتُ بمنىٰ أيَّام التشريق.

خامسًا ـ رميُ الجِمار.

سادسًا ـ الحلقُ أو التقصير.

سابعًا ـ طواف الوداعِ.

ومن ترك واجبًا من هذه الواجبات، فعليه بَدَلهُ فِديةٌ، يذبحها في مكَّة، ويُوزِّعُها علىٰ مساكين الحرمِ، ولا يأكل منها شيئًا.

وأيام الحج ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ نُجملُها فيما يأتي:

أولاً يومُ الثامن من ذي الحجة، ويُسمَّىٰ يومَ التَّروِيَةِ.

يُستحبُّ له أن يغتسل، ويتطيبَ، ويلبسَ الإحرامَ، فيُحرم بالحجِّ، ويشترط إن كان خائفًا، ويبيت بمنىٰ ليلةَ التاسع، ويُكْثر من التلبية، ويَقْصُر الصلاة الرُّباعيَّة.

ثانيًا ـ اليومُ التاسعُ ،ويُسمّى يومَ عرفة.

يسيرُ إليها بعد طُلوعِ الشمس، ويُصلِّي الظُّهْرَ والعَصر جمعًا وقصْرًا (جَمعَ تقديمٍ)، ويجتهدُ في الدعاء وقول: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وحدهُ لا شريك لهُ، له المُلكُ، وله الحمد، وهو علىٰ كُلِّ شيءٍ قديرٌ.

ثالثًا ـ ليلةُ مُزْدَلِفَة (ليلةُ العيد).

يدفعُ إليها بعد مغيب الشمسِ بسكينةٍ ووقارٍ، ويصلِّي بها المغرب والعشاء ـ متىٰ وصلَ ـ جمعًا بأذان واحدٍ وإقامتين، قبلَ حطِّ رحالِهِ، وينام، ولا ينشغل بصلاةٍ سوىٰ الوِتْر، ويبقىٰ ويُصلي الفجر بها، ويقصدُ المَشعَرَ الحرامَ إن تيسَّر، ويدعو اللهَ حتىٰ يُسفر جدًّا.

رابعًا ـ يومُ العيد:

يُكثِرُ من التلبية، حتىٰ يرميَ جَمْرةَ العَقَبةِ بسبعِ حصياتٍ، فيقطعُها، ويُكبِّرُ اللهَ مع كلِّ حصاةٍ، ويذبحُ هديهُ في هذا اليومِ، ويحلِقُ شعرهُ أو يُقصِّرُهُ، والحَلْقُ أفضل لغيرِ النساءِ، بلِ المرأةُ تُقصِّرُ قدرَ أنملةٍ من كُلِّ ضفيرةٍ، ويطوفُ ويسعىٰ حسب النسكِ، ويخلَعُ إحرامَهُ بالتحلُّل الأوَّلِ.

خامسًا ـ أيام التشريق:

يرمي الجمراتِ الثلاثَ بعد الزَّوال، يبدأُ بالصُّغرىٰ، ثمَّ الوسطىٰ، ثمَّ العقبةِ الكُبرىٰ بسبع حصياتٍ لكُل جَمرةٍ، يُكبِّرُ عند كلِّ حصاةٍ، ويُسنُّ له بَعدَ الرَّمي عند الصغرىٰ والوسطىٰ أن يدعُوَ عندَهما طويلاً حسب اللَّوحاتِ الإرشاديةِ هناك، رافعًا يَدَيْهِ، ويبيتُ بمنىٰ هناك وجوبًا؛ ليختم آخر أعمال الحجِّ بطوافِ الوداع، وبذلك يتمُّ حجُّهُ.

وأستغفر الله.



الخطبـة الثانيـة :

العُمـــــرةُ

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين، وعلىٰ آله وصحبهِ أجمعين.

أمَّا بعدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، تقدَّم الحديثُ عن الحجِّ، والآنَ حديثي معكم عن العُمرةِ.

والعُمرةُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ واجبةٌ على الصحيح من أقوال أهل العلم لأدلة، منها:

أنَّ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- قَرَنَ بينَ الحجِّ والعُمرةِ بقوله : ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ﴾ [البقرة:١٩٦].

وفي «صحيح البخاريِّ» مُعلقًا»[1] مِنْ حَدِيْثِ ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أنه قال: «إنَّها لقرينتها في كتاب الله» ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ﴾.

وأخرج البخاري ـ أيضًا ـ مُعلَّقًا[2] مِنْ حَدِيْثِ عبد الله بن عمر-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أنه قال: «**ليس أحدٌ إلا وعليه حجةٌ وعُمرةٌ**».

وفي «مُسند أحمد» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «الإرواء»[3] ، مِنْ حَدِيْثِ عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قالتْ: يا رسول اللهِ، هل علىٰ النساء من

(١) رواه البخاري (٣/ ٥٩٧ ـ الفتح)، ووصله الشافعي كما قال ابن حجر.
(٢) رواه البخاري بصيغة الجزم (٣/ ٥٩٧ ـ الفتح)، ووصله ابن خزيمة، والدارقطني، والحاكم، كما قال ابن حجر.
(٣) أخرجه أحمد في «مُسنده» (٦/ ١٦٥)، وقال الألباني في «الإرواء» (٤/ ١٥١): إسنادهُ صحيح.

جهادٍ؟ ، قال: «**عليهِنَّ جهادٌ لا قِتالَ فيه: الحجُّ والعُمرةُ**».

قال ابن خزيمة ــ رَحِمَهُ اللهُ ـ في قوله ـ ﷺ ـ: «**عليهنَّ جهادٌ لا قتالَ فيه**»: «وإعلامُهُ أنَّ الجهاد الذي عليهنَّ الحجُّ والعُمرة بيانُ أنَّ العُمرةَ واجبةٌ كالحجِّ؛ إذ ظاهر قوله: «**عليهنَّ**» أنَّه واجبٌ، إذ غيرُ جائزٍ أنْ يُقال: علىٰ المرءِ ما هو تطوُّعٌ غير واجب»[1].

وأخرج الإمام أبو داود في «سُننه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح سُنن أبي داود»[2] مِنْ حَدِيْثِ الصُّبَيِّ بن معبدٍ قال: «أتيت عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فقلتُ: يا أمير المؤمنين، إني أسلمتُ، وأنا حريصٌ علىٰ الجهاد، وإني وجدتُ الحجَّ والعُمرة مكتوبين عليَّ، فأتيت رجلاً من قومي، فقال: اجمعهما واذبح ما استيسر من الهدي، وإنِّي أهللتُ بهما معًا فقال عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- : هُديتَ لسُنَّةِ نبيّكَ -ﷺ-».

وأخرج البخاري[3] مِنْ حَدِيْثِ عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه سمع رسول الله -ﷺ- يقول: «**أتاني الليلة آتٍ مِنْ ربِّي ـ وهو بالعقيق ـ: أنْ صلِّ في هذا الوادي المُبارك، وقُل: عُمرةٌ في حجةٍ**».

قال النووي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ[4] :«وهي واجبةٌ علىٰ المذهب الصحيح، ولا تجبُ هي ولا الحجُّ في العُمر إلا مرةً واحدة».

وفضائل العمرة ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ كثيرةٌ، فمنها:

ما جاء في «الصحيحين» مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنَّ النبي -ﷺ- قال: «**العُمرةُ إلىٰ العُمرةِ كفَّارةٌ لِمَا بَيْنَهُما، والحجُّ المبرور ليس له**

(١) انظر «صفة العمرة» لأشرف بن عبد المقصود (ص١٤).
(٢) رواه أبو داود (١٧٩٨)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٥٨٢).
(٣) رواه البخاري (٧٣٤٣).
(٤) «الإيجاز في المناسك» (ص٤٠).

جزاءٌ إلاَّ الجنَّةُ».

وفي «سُنن ابن ماجَهْ» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح سُنن ابن ماجَهْ»(١) مِنْ حَدِيْثِ عمر بن الخطاب ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عن النبي -ﷺ- قال: «**تابِعُوا بَيْنَ الحجِّ والعُمْرةِ؛ فإنَّ المتابعة بَيْنَهُما تَنفي الفَقْرَ والذُّنوبَ، كما ينفي الكيرُ خَبَثَ الحديد**».

وفي «الصحيحين»(٢) مِنْ حَدِيْثِ ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**عمرةٌ في رمضان تَعْدِلُ حَجَّةً معي**».

قال الإمام ابن الأعرابي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : «حديث العُمرة هذا صحيح، وهو فضلٌ من الله ونعمةٌ، فقد أدركتِ العُمرةُ منزلةَ الحجِّ بانضمام رَمَضَانَ إليها»(٣) .

والمُعتمرُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ مِنْ وفد اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-:

ففي «سُنن ابن ماجَهْ» بسندٍ حسن، حسنه الألباني في «صحيح سُنن ابن ماجَهْ»(٤) مِنْ حَدِيْثِ ابن عمر-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- عن النبيِّ -ﷺ- قال: «**الغازي في سبيل الله عزَّ وجلَّ، والحاجُّ، والمُعْتَمِرُ وفدُ الله، دَعَاهم فأَجَابُوهُ، وسألُوهُ فأعطَاهُم**».

اللهمَّ اغفر لنا ما قدَّمنا وما أخَّرنا، وما أسررنا وما أعلنَّا، وما أنت أعلمُ به منَّا، إنك أنت المُقدِّمُ والمُوخِّرُ، لا إله إلا أنت.

---

(١) أخرجه ابن ماجَهْ في «سُننه» (٢٨٨٧)، وصححه الألباني في «صحيح سُنن ابن ماجَهْ» (٢٣٣٤).
(٢) رواه البخاري (١٧٧٢)، ومسلم (١٢٥٦).
(٣) نقله عنه ابن ماجَهْ في «سُننه» (٣/ ٦٨).
(٤) رواه ابن ماجَهْ في «سُننه» (٢٨٩٣)، وحسنه الألباني في «صحيح سُنن ابن ماجَهْ» (٢٣٣٩).



١٧ أركـــان الإيمـــان

الخطبة الأولى:

١ـ الإيمانُ بالله

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا، ومنْ سَيْئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلل فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ -ﷺ- ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمّا بعدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، حديثي معكم حول أصل من أصولِ الإيمان، بل أصلُ الأصول، والطريقُ للوصول، ألا وهو الإيمان بالله.

والإيمانُ بالله ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ يتضمَّنُ أربعة أمورٍ:

١ ـ الإيمان بوجود الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- .

٢ـ الإيمان بربوبيته.

٣ ـ الإيمان بألوهيته.

٤ ـ الإيمان بأسمائه وصفاته.

الأول ـ الإيمان بوجود الله:

وقد دلَّ على وجُوده -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- الفِطْرَةُ، والعَقْلُ، والشَّرعُ، والحِسُّ.

أمَّا الفطرةُ: فإن كلَّ مخلوقٍ قد فُطِرَ علىٰ الإيمان بخالقِهِ،

ففي «صحيح البخاري»[1] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قال رسولُ الله -ﷺ-: **«ما مِنْ مولودٍ إلاَّ ويُوْلَدُ علىٰ الفِطرةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدانِهِ، أو يُنَصِّرانِهِ، أو يُمَجِّسَانِهِ»**.

وأمَّا العقلُ: فإنَّ هذه المخلوقات سابقها ولاحقها ـ لابُدَّ لها من خالقٍ أوجدها؛ إذ لا يُمكنُ أن توجِدَ نَفْسَها بنفسِها.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥ ﴾ [الطور:٣٥].

يعني: أنهم لم يُخلقوا من غير خالقٍ، ولا هم الذين خَلَقُوا أنفسهم، فتعيَّن أن يكونَ خالقُهم هو الله[2] -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-[3] .

(١) رواه البخاري (١٣٨٥).
(٢) يجوز في لفظ الجلالة الجملة السابقة الأمران : النصب والرفع ، والنصب أحسن ، فالنصب باعتبار ضمير الفصل (هو) حرفًا أو اسمًا مُهملاً (أي : لا يعمل ولا محل له من الإعراب) فلفظ الجلالة بعده خبر للفعل الناس (يكون) والرفع باعتبار ضمير الفصل مبتدأ مبنيًا علىٰ الفتح في محل رفع وخبره لفظ الجلالة ، والجملة من المبتدأ والخبر في محل نصب خبر لـ (يكون) .
(٣) «شرح أصول الإيمان» (ص١٥، ١٦).

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيّ»[1] مِنْ حَدِيْثِ جُبَيْر بن مُطْعِم -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه سمع رسول الله -ﷺ- يقرأ سُورةَ الطور، فبلغ هذه الآيات: ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الطور: ٣٥ - ٣٧].

وكان جُبيرٌ يومَئذ مشركًا، قال: «كاد قلبي أن يطير، وذلك أولُ ما وقر الإيمان في قلبي».

وأمَّا أدلة الشرع على وجود الله: فإنَّ الكُتب السماوية كُلها تنطقُ بذلك.

وأمَّا أدلة الحِس: فذلك واضحٌ من إجابة الداعين، وغوثِ المكروبين، ما يدلُّ دلالةً قاطعةً علىٰ وجود الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، ومن ذلك مُعجزات الأنبياء التي شاهدها الناسُ، ونُقِلَتْ إلينا نقلاً صحيحًا.

الثاني - الإيمان بربوبيتهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: أي أنه وَحْدَهُ الرب لا شريكَ له ولا مُعِينَ والرَّبُّ: مَنْ له الخلقُ، والمُلكُ، والأمرُ، فلا خالقَ إلاَّ اللهُ، ولا مَلِكَ إلاَّ هو، ولا أَمْرَ إلاَّ له.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [فاطر:١٣].

أَيُّهَا النَّاسُ ، إنَّ ربوبيةَ اللهِ لخلقِهِ **على نوعين:**

النوعُ الأولُ - ربوبية عامَّة، شاملة لجميع المخلوقات، وهي أنَّ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- هو المتفرِّدُ بخلقِها، ورزقِها، وتدبيرها.

النوع الثاني - ربوبية خاصَّة، وهي خاصَّة بأولياء اللهِ وأصفيائِهِ،وهي تربيته لهم بهدايتهم للدِّين والإيمانِ.

(١) رواه البخاري (٤٨٥٤).

قال ابن سعدي - رَحِمَهُ اللهُ - في تفسيره:

«وتربيتُهُ - تعالىٰ - لخلقه نوعان: عامَّةٌ وخاصَّةٌ.

فالعامَّة: هي خَلْقُهُ للمخلوقين،ورزقُهم، وهدايتُهم لما فيه مصالِحُهم، التي فيها بقاؤُهم في الدُّنيا.

والخاصَّةُ: تربيتُهُ لأوليائِهِ، فيربّيهم بالإيمان، ويُوفِّقُهم له، ويُكمِّلُهُ لهم، ويدفعُ عنهمُ الصَّوارفَ والعوائق الحائلة بينهم وبينهُ.

وحقيقتُها: تربيةُ التوفيق لكُلِّ خيرٍ، والعِصمةِ من كُلِّ شرٍّ.

ولعلَّ هذا المعنىٰ هو السرُّ في كونِ أكثرِ أدعيةِ الأنبياء بلفظ الربِّ، فإنَّ مطالبَهُم كُلَّها داخلةٌ تحت ربوبيَّتِهِ الخاصَّةِ»[١] .

أَيُّهَا النَّاسُ، هنا سؤال يفرضُ نفسهُ هو:

هل توحيدُ الرُّبوبية يكفي العبد في حصول الإسلام؟

الجواب: لا، فهذا التوحيدُ لا يكفي العَبدَ في حصول الإسلام، بلْ لابُدَّ أنْ يأتي مع ذلك بلازمِهِ من توحيد الألوهيَّة؛ لأنَّ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أخبر في كتابه الكريم عن المشركين أنهم مُقرُّون بهذا التوحيد وحدهُ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزخرف:٨٧].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس:٣١].

---

(١) «تفسير ابن سعدي» (ص٣٩).

ومع هذا كلِّه من إقرار المشركين بأنَّ الله هو الخالقُ الرزاق المُدَبِّرُ، لم ينفعهم ذلك،ولم يُدخلهم في الإسلام؛ لأنَّهم اتخذوا من دون الله آلهة أُخرىٰ، وزعَمُوا أنَّها تُقرِّبُهم إلىٰ الله زُلفَىٰ.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨]

فتبيَّن لكم ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أنَّ الكفار يعرفون اللهَ ويعرفون رُبُوبيَّتَهُ،ويعرفون مُلكهُ ويعرفون قَهْرَهُ، ولم تُدخلهم تلك المعرفة في الإسلام.

أَيُّهَا النَّاسُ ، لابُدَّ أنَّكم قد عرفتُم توحيد الربوبيَّةِ، وأنَّه لا يكفي العبدَ في حصول الإسلام؛ لأنَّه لابد أنْ يأتي بلازِمِهِ، وهو توحيد الأُلوهيةِ.

وفيما يأتي الحديث عن توحيد الألوهية:

وتوحيد الأُلوهية ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ هو إفراد اللهِ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بالعبادة كُلِّها، فلا يُعبَدُ غَيْرُهُ، ولا يُدْعَىٰ سِواهُ، ولا يُستغاثُ ولا يُستعانُ إلا به، ولا يُنْذَرُ ولا يُنْحَرُ إلا له.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣].

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ توحيد الأُلوهيَّةِ هوالذي أنكره المُشركون،واستعظموه؛ لأن مِنْ لوازمِهِ بُطلان عبادةِ آلهتهم ووسائطهم.

فهو أوَّل الدين وآخرهُ، وباطنهُ وظاهرهُ، وهو أوَّلُ دعوةِ الرُّسل وآخرها،

وهو معنىٰ قوله: لا إله إلاَّ اللهُ؛ ولأجل هذا التوحيد خُلقتِ الخليقةُ، وأرسلتِ الرسلُ وأنزلت الكتبُ، وفيه افترق الناسُ إلىٰ مؤمنين وكفَّارٍ، وسُعداءَ أهل جنَّةٍ وأشقيــاء أهل النار[1] .

وأدلة توحيد الألوهية كثيرةٌ، لا تكاد تُحصرُ، منها:

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة:١٦٣].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران:١٨].

«وكُلُّ ما اتُّخذَ إلهًا مع الله، يُعبدُ من دونه، فألوهيَّتُهُ باطلةٌ.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحجُّ: ٦٢].

وتسميتُها آلهة لا يُعطيها حقَّ الأُلوهية. قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : في اللاَّتِ، والعُزَّىٰ، ومَنَاة: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ ﴾ [النجم: ٢٣].

وقَالَ اللهُ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-عن يُوسُفَ أنه قال لصاحبي السِّجن: ﴿ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يوسف: ٣٩ ـ ٤٠].

ولذلك كانت الرسلُ ـ عليهم السلام ـ يقولون لأقوامهم: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ ﴾ [الأعراف: ٦٥]. ولكن أبىٰ ذلك المشركون، واتخذوا من دون

---

(١) «تيسير العزيز الحميد» (ص٣٦).

الله آلهةً، يعبدونهم مع الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، ويَستنصرون بهم، ويستغيثون.

وقد أبطل اللّه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- اتِّخاذ المُشركين هذه الألهة ببرهانين عَقليَّين:

الأول - أنه ليس في هذه الآلهة التي اتخذوها شيءٌ من خصائص الأُلوهية، فهي مخلوقةٌ، لا تخلقُ، ولا تجلبُ نَفْعًا لعابديها، ولا تدفع عنهم ضررًا، ولا تملِكُ لهم حياةً ولا موتًا، ولا يملكون شيئًا من السموات، ولا يُشاركون فيه.

قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان:٣].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢ - ٢٣].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾ [الأعراف: ١٩١ - ١٩٢].

وإذا كانت هذه حال تلك الآلهة، فإنَّ اتِّخاذها آلهة من أَسْفَهِ السَّفَهِ، وأبطل الباطل.

والثاني - أنَّ هؤلاء المُشركين كانوا يُقرون بأنَّ اللهَ - تعالىٰ - وَحْدَهُ الربُّ الخالق الذي بيده ملكوتُ كلِّ شيءٍ، وهو يُجيرُ ولا يُجارُ عليه، وهذا يستلزمُ أن يُوحِّدوه بالأُلوهية، كما وحَّدوه بالرُّبُوبية، كما قال تعالىٰ -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢].

وقال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الزخرف:٨٧].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس: ٣١ ـ ٣٢]» [(١)] .

وأستغفر الله.

---

(١) «شرح أصول الإيمان» لابن عثيمين (٢١، ٢٣).

الخطبة الثانية:

الإيمان بأسماء اللّه وصفاته

الحمد لله ربِّ العالمين، وأُصلي وأُسلم علىٰ رسوله الأمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد، أَيُّهَا النَّاسُ، تقدَّم الحديث معكم عن الإيمان بوجود الله، والإيمان بربوبيَّتِهِ،والإيمانِ بأُلوهيَّتِهِ،والآن حديثي معكم حولَ الإيمانِ بأسمائِهِ وصفاتِهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ الإيمان بأسماء اللّهِ وصفاتِهِ: هو إثباتُ ما أثبتَهُ اللّهُ لنفسه في كتابه، وسُنَّةِ رسوله ﷺ من الأسماء والصفاتِ علىٰ الوجهِ اللائقِ به، من غير تحريفٍ (أي تفسير النصوص بالمعاني الباطلة)، ولا تعطيل (أي نفي للمعنىٰ الحقِّ الذي دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّةُ)، ولا تكييفٍ (أي أنْ يُعتقدَ أنَّ صفة اللهِ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- علىٰ كيفية كذا، أو يُسْأَلَ عنها بكيف؟)، ولا تمثيل (أي اعتقاد أنَّ صفات الله-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- مثلُ صفات المخلوقين).

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠].

قال ابن سَعديٍّ - رَحِمَهُ اللهُ - في تفسيره هذه الآية: «هذا بيانٌ لعظيم جلالِهِ، وسَعَة أوصافِهِ، بأنَّ له الأسماء الحسنىٰ: أي له كُلُّ اسم حسنٍ، وضابطُهُ: أنَّه كلُّ اسم دالٍّ علىٰ صفة كمالٍ عظيمة،وبذلك كانتْ حُسنىٰ، فإنَّها لو دلَّتْ علىٰ غير صفةٍ، بل كانتْ علمًا محضًا، لم تكن حُسنىٰ،وكذلك لو دلتْ علىٰ صفةٍ ليستْ بصفة كمال، بل إمَّا صفة نقصٍ، أو صفة منقسمة إلىٰ المدحِ والقدحِ

لم تكن حسنىٰ، فكلُّ اسمٍ من أسمائه دالٌّ علىٰ جميع الصِّفة التي اشتُقَّ منها، مُسْتغرقٌ لجميع معناها.

وذلك نحو «العليم» الدالِّ علىٰ أنَّ له عِلمًا مُحيطًا عامًّا لجميع الأشياء، فلا يخرجُ عن علمِهِ مثقالُ ذرَّةٍ في الأرض ولا في السماء.

وكـ «الرحيم» الدالِّ علىٰ أنَّ له رحمةً عظيمةً واسعةً لكُلِّ شيء.

وكـ «القدير» الدالِّ علىٰ أنَّ له قُدرةً عامَّةً، لا يُعجِزُها شيءٌ، ونحو ذلك.

ومن تمام كونِها «حُسنىٰ» أنَّه لا يُدعىٰ إلا بها؛ ولذلك قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾.

وهذا شاملٌ لدعاء العبادة، ودعاء المسألة، فيُدْعىٰ في كلِّ مطلوبٍ بما يُناسِبُ ذلك المطلوب، فيقول الداعي ـ مثلاً ـ: اللهمَّ اغفر لي وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم، وتُبْ عليَّ يا توَّابُ،وارزُقني يا رزَّاقُ، والْطُفْ بي يا لطيفُ:ونحو ذلك.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]: أي عقوبة وعذابًا علىٰ إلحادهم في أسمائه، وحقيقةُ الإلحاد: المَيلُ بها عمَّا جُعِلَتْ له: إمَّا بأنْ يُسمَّىٰ بها مَنْ لا يستحقُّها ـ كتسمية المشركين بها لآلهتهم ـ، وإمَّا بنفي معانيها وتحريفها، وأن يجعل لها معنىٰ ما أراده اللهُ ولا رسولهُ، وإمَّا أنْ يشبَّهَ بها غيرُها، فالواجب أن يُحذر الإلحادُ فيها، ويُحذَّرَ المُلحدون فيها»[١].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١].

(١) «تفسير ابن سعدي» (ص٣٠٩).

قال ابن سعديٍّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : «أي:ليس يُشْبهُه ـ تعالىٰ ـ ولا يُماثله شيءٌ من مخلوقاتِهِ: لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاتِهِ، ولا في أفعالِهِ؛ لأنَّ أسماءهُ كُلها حُسنىٰ، وصفاتهُ صفاتُ كمالٍ وعَظَمةٍ،وأفعالهُ ـ تعالىٰ ـ أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشاركٍ، فليس كمثلِهِ شيءٌ لانفرادِهِ وتوحُّدِهِ بالكمال من كُلِّ وجه ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لجميع الأصوات، باختلافِ اللغاتِ، علىٰ تفنُّن الحاجات ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ يرىٰ دَبيبَ النَّملة السَّوداء في الليلة الظلماء، علىٰ الصَّخرةِ الصمّاءِ، ويرىٰ سريان القُوتِ في أعضاء الحيوانات الصغيرةِ جدًّا، وسَرَيانَ الماءِ في الأغصانِ الدقيقة.

وهذه الآيةُ ـ ونحوها ـ دليلٌ لمذهب أهل السنَّة والجماعةِ في إثبات الصِّفاتِ ونفي مماثلةِ المخلوقاتِ، وفيها ردٌّ علىٰ المُشبِّهةِ في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، وعلىٰ المُعطلة في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾»[١] .

وفي «الصحيحين»[٢] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عن النبيِّ -ﷺ- أنه قال: «**إنَّ للهِ تسعةً وتسعين اسمًا ـ مائةً إلا واحدًا ـ مَنْ أحْصاها دَخل الجنَّة**».

ومعنىٰ أحصاها ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ: أي حفِظَها، وفَهِمَ معانيها ومدلوها، وأثنىٰ علىٰ الله بها،وسأله بها ، واعتقدها.

والجنَّة ـ أيُّها النّاسُ ـ لا يَدخلها إلا المؤمنون، فَعُلِمَ أنَّ ذلك أعظمُ ينبوعٍ ومادةٍ لحصول الإيمان وقوتِهِ وثباتِهِ، ومعرفةُ الأسماء الحسنىٰ بمراتبها الثلاث: إحصاءِ ألفاظها وعددها، وفهم معانيها ومدولها، ودعاء الله بها دعاء الثناء والعبادة ودعاء المسألة ـ هي أصلُ الإيمان، والإيمانُ يرجعُ إليها؛ لأن

(١) المرجع السابق (ص٧٥٤).
(٢) رواه البخاري (٧٣٩٢)، ومسلم (٢٠٦٣).

معرفتها تتضمَّنُ أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيدَ الأُلوهية، وتوحيد الأسماء والصِّفات.

وهذه الأنواع هي روحُ الإيمان وأصلُهُ وغايتُه فكلما ازداد العبدُ معرفةً بأسماء الله وصفاتِهِ ازداد إيمانهُ، وقَوِيَ يقينُهُ، فينبغي للمؤمنِ أن يَبْذُلَ مقدوره ومستطاعهُ في معرفة الله بأسمائه، وصفاتِهِ، وأفعالِهِ من غير تعطيل، ولا تمثيل،ولا تحريفٍ،ولا تكييفٍ، بل تكونُ المعرفةُ مُتلقَّاةً من الكتاب والسُّنة، وما روي عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فهذه هي المعرفة النافعة التي لا يزال صاحبها في زيادة في إيمانهِ وقوة يقينه، وطُمأنينةٍ في أحواله، ومحبةٍ لربه، فمن عرفَ اللهَ بأسمائِهِ، وصفاتِهِ، وأفعاله أحبه لا مَحالةَ[1] .

فنسألُ اللهَ الذي لا إلهَ إلاَّ هو بأسمائِهِ الحُسنىٰ، وصفاتِهِ العُلىٰ ـ أنْ يُفقِّهَنا في الدِّين، ويُثبِّتَنا علىٰ الحقِّ المبين ويجعلنا هداةً مهتدين

(١) انظر «مدارج السالكين» (١٧١٣)، و«التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» لابن سعدي (ص٣٩)، و«بدائع الفوائد» (١/ ١٦٤)،و«شرح أسماء الله الحسنىٰ» للقحطاني (٤، ٥).



١٨
٢ـ الإيمـــان بالملائكة

الخطبة الأولى:

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنا، ومنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَاَ شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدَقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْي هَدْيُ محمّد -ﷺ-، وشرَّ الأُمور مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَة ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّار.

أمّا بعد، أَيُّهَا النَّاسُ ، إنَّ الإيمانَ بالملائكةِ أصلٌ من أصول الإيمان، لا يتم إيمانُ العبد إلا به (١) .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ

(١) انظر «عالم الملائكة» للشيخ عمر بن سليمان الأشقر، فقد أكثرتُ النقل عنه في هذه الخطبة.

﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وفي «الصحيحين»[1] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في حديث جبْريلَ الطويل، وفيه يقول النبيُّ -ﷺ- مُجيبًا لجبريلَ حِينَ سألهُ عن الإيمان: **«أن تُؤمِنَ باللهِ، وملائكتِهِ، وكُتُبِهِ، ورسُلِهِ، واليومِ الآخِرِ، وتُؤمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشرِّهِ»**.

والملائكةُ - أيُّها النَّاسُ - عالمٌ غَيْبيٌّ، مخلوقون عابدون لله - تعالىٰ -، وليس لهم من خصائص الرُّبوبيَّة والأُلوهية شيءٌ، خلقهمُ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- من نورٍ.

ففي «صحيح مسلم»[2] مِنْ حَدِيْثِ عائشة -رَضِي اللهُ عَنْهَا- قالتْ: قال رسولُ الله -ﷺ-: **«خُلِقَتِ الملائكةُ مِنْ نورٍ، وخُلِقَ الجانُّ من مارِجٍ من نارٍ، وخُلِقَ آدمُ ممَّا وصِفَ لكُم»**.

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ مِن الإيمان بالملائكة الإيمان بما علِمنا من صفاتهم، **وفيما يأتي ذكرُ بَعضُ صفاتهم:**

قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- في ملائكة النَّار: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم:٦].

وممَّا جاء في صفة جبريل:

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١﴾ [التكوير: ١٩-٢١]. والمُرادُ بالرسول الكريم هنا: جبريل، وذي العرش: ربُّ العزةِ والجلالِ.

---

(١) رواه البخاري (٥٠) و (٤٧٧٧)، ومسلم (٩) و (١٠).
(٢) رواه مسلم (٢٩٩٦).

وروىٰ الإمام أحمد بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[(١)] مِنْ حَدِيْثِ عبد الله بن مسعودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: «رأىٰ رسولُ الله -ﷺ- جبريل في صُورتِهِ، وله ستُّمائةِ جَنَاحٍ».

وممَّا جاء في وصفِ حَمَلةِ العَرْشِ:

روىٰ الإمام أبو داود بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «تخريج المشكاة»، و«السلسلة الصحيحة»[(٢)] مِنْ حَدِيْثِ جابر بن عبد الله-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أنَّ رسولَ الله -ﷺ- قال: «**أُذِنَ لي أنْ أتحدَّثَ عن أَحَدِ حَمَلَةِ العَرْشِ، ما بَيْنَ شَحمةِ أُذُنِهِ وعاتقِهِ مَسيرةُ سبعمِائةِ عام**».

وللملائكة أجنحةٌ، كما أخبرنا الله-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، فمنهم مَنْ له جَناحانِ، ومنهم من له ثلاثةٌ أو أربعة، ومنهم مَنْ له أكثرُ من ذلك.

قال الله-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ١﴾ [فاطر:١].

قال ابن سَعديٍّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ﴾: «تطير بها، فتسرعُ تنفيذ ما أُمِرَتْ به. ﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ أي: منهم مَنْ له جَناحان، وثلاثةٌ، وأربعةٌ بحسب ما اقتضتهُ حكمتُهُ»[(٣)].

وممَّا جاء في وَصْفِ جمالهم أنَّ الله-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- خَلَقَهُم علىٰ صورٍ جميلة كريمة، كما قال ـ تعالىٰ ـ في جبريل: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسْتَوَىٰ ٦﴾[النجم: ٥، ٦].

قال ابن سعدي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في قوله تعالىٰ ـ: ﴿ذُو مِرَّةٖ﴾: «أي: قوة، وخُلُقٍ

(١) رواه الإمام أحمد (١/ ٣٩٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٦٤).
(٢) رواه أبو داود (٤٧٢٧)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٣/ ١٢١)، و«الصحيحة» (١/ ٧٢).
(٣) «تفسير ابن سعدي» (ص٦٨٤).

حسنٍ، وجمالٍ ظاهرٍ وباطنٍ»[1].

وقد استقر عند الناس وصف الملائكة بالجمال، كما تقرر عندهم وصف الشياطين بالقُبح، ولذلك تراهُم يُشبِّهون الجميل مِنَ البشرِ بالمَلَك.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : حاكيًا عن بعض النِّسوةِ: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [يُوسُف:٣١].

وممَّا جاء في تفاوت الملائكة في الخلقِ والمِقدار:

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصافات: ١٦٤].

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيّ»[2] مِنْ حَدِيْثِ رفاعةَ بن رافعٍ أنَّ جبريل جاء إلىٰ النبيِّ -ﷺ- فقال: «**ما تعدُّون منْ شَهِدَ بدرًا فيكم؟**» قال: «**خِيارَنا**». قال: «**وكذلك مَنْ شَهِدَ بدرًا مِنَ الملائكةِ، هُم عِندنا خِيارُ الملائكةِ**».

والملائكة - أيُّها النَّاسُ - لا يُوصفون بالذكورة، ولا بالأُنوثة، كما إنهم لا يأكلون، ولا يشربون. قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-:﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف:١٩].

وأخبرنا اللهُ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أنَّ الملائكة جاءوا إبراهيم في صورة بشر، فقدَّم لهم الطعام، فلم تمتدَّ إيديهم إليه، فأوجَسَ منهم خِيفة، فلمَّا كشفوا عن حقيقتهم، زال خوفُهُ.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- :﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾

---

(١) المرجع السابق (ص٨١٨).
(٢) رواه البخاري (٣٩٩٥).

﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الذاريات:٢٤ـ٢٨].

ومِمَّا جاء في وصف عدد الملائكة:

الملائكةُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ خلقٌ كثيرٌ، لا يعلمُ عددهم إلاَّ اللهُ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [المدثر:٣١].

وفي «الصحيحين»[1] مِنْ حَدِيْثِ أنس بن مالك ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- في البيت المعمور الذي في السماء السابعة: «**فإذا هو يَدْخُلُهُ في كُلِّ يومٍ سبعون ألفَ مَلَكٍ، لا يَعُودُونَ إليه آخِرَ ما عَلَيهِمْ**».

وفي «صحيح مسلم»[2] مِنْ حَدِيْثِ عبد الله بن مسعود ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**يُؤتى بجهنَّمَ يَوْمَئِذٍ، لها سَبْعونَ ألفَ زِمامٍ، مع كُلِّ زِمامٍ سبعونَ ألفَ مَلَك يَجُرُّونها**».

وأخرج الطبراني في «الكبير» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[3] مِنْ حَدِيْثِ أنس ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**أَطَّتِ السماءُ، ويُحقُّ لها أنْ تَئطَّ، والذي نفسُ محمَّدٍ بيدِهِ، ما فيها مَوضعُ شِبْرٍ إلاَّ وفيها جَبْهَةُ مَلَكٍ ساجدٍ، يُسبِّح اللهَ بحمْدِهِ**».

أَيُّهَا النَّاسُ، لقد أعطى اللهُ الملائكة القُدرة على أن يتشاكلوا بغير أشكالهم، فقد أرسل اللهُ جبريل إلىٰ مَرْيَمَ في صورةِ بشرٍ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ

---

(١) رواه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤).
(٢) رواه مسلم(٢٨٤٢).
(٣) رواه الطبراني في «الكبير» (١/ ١٥٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٢٠).

حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾ [مريم: ١٦-١٩].

وإبراهيم جاءتهُ الملائكة في صورة بشرٍ، وجاءوا إلىٰ لُوطٍ في صورة شباب حِسانِ الوُجُوه.

وكان جبريلُ - عَلَيْهِ السَّلَام يأتي الرسولَ - ﷺ - في صفاتٍ مُتعددة، فتارةً يأتي في صورةِ دِحيةَ بن خليفة الكلبيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، وهو صحابيٌّ، كان جميل الصُّورةِ، وتارةً في صورةِ أعرابي، وقد شاهده كثيرٌ من الصحابة.

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[1] مِنْ حَدِيْثِ عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: بَيْنَمَا نحنُ جُلُوسٌ عندَ رسولِ اللهِ -ﷺ- إذ طَلَعَ علينا رجلٌ شديدُ بياضِ الثيابِ، شديدُ سوادِ الشَّعرِ، لا يُرىٰ عليه أثرُ السَّفرِ،ولا يَعْرِفُهُ منَّا أحدٌ، فجلس إلىٰ النبيِّ ﷺ، وأسندَ رُكْبتَهُ إلىٰ رُكْبَتَيْهِ...».

وقد أخبر الرسولُ -ﷺ- فيما بعدُ أنَّ السائلَ جبريلُ، جاء يُعلِّمُ الصحابةَ دينَهُم.

والملائكة - أيُّهَا النَّاسُ - مَطْبُوعون على طاعة اللّه، ليس لديهم القُدرة على العصيان:

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم:٦].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل:٥٠].

---

(١) رواه البخاري (٤)، ومسلم (٨).

أَيُّهَا النَّاسُ، لقد اختلف العلماءُ حولَ أيهما أفضل الملائكةُ أمْ صالحو البشر؟

وتحقيق القول: ما ذكره ابن تيمية من أنَّ صالحي البشر أفضلُ باعتبار كمال النِّهاية، وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنَّةَ، ونالوا الزُّلْفَىٰ، وسكنوا الدَّرجات العُلىٰ، وحَيَّاهُمُ الرحمنُ، وخَصَّهم بمزيدِ قُربِهِ، وتجلَّىٰ لهم، يستمتعون بالنظرِ إلىٰ وجهِهِ الكريم، وقامتِ الملائكةُ في خدمتهم بإذْنِ ربِّهم.

والملائكة أفضل باعتبار البداية، فإنَّ الملائكة الآنَ في الرَّفيقِ الأعلىٰ، مُنزَّهُون عمَّا يُلابسُهُ بَنُو آدَمَ، مُسْتَغْرقون في عبادةِ الرَّبِّ، ولا ريبَ أنَّ هذه الأحوال الآنَ أكملُ من أحوالِ البَشَر.

قال ابن القيم ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «وبهذا التفصيل يتبيَّنُ سِرُّ التفضيلِ، وتتَّفقُ أدلةُ الفريقين كُلٌّ منهم علىٰ حقِّهِ»[١].

وأستغفر الله.

---

(١) انظر «الفتاوىٰ» (١١/ ٣٥٠)، و«لوامع الأنوار البهية» (٢/ ٣٦٨)، و«شرح الطحاوية» (ص٣٣٨).

الخطبة الثانية:

علاقة الملائكة بذرية آدم

الحمدُ لله ربِّ العالمين،والصلاةُ والسلامُ علىٰ أشرفِ المُرسلين.

أمَّا بعدُ،

أَيُّهَا النَّاسُ، سبق الحديثُ معكم عن الإيمانِ بالملائكة،وذِكْرِ الصِّفاتِ الخلْقيةِ للملائكةِ، وما يتعلَّقُ بها، والآن حديثي معكم عن علاقة الملائكة بذُرِّيَّةِ آدَمَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لا شكَّ أنَّ علاقة الملائكةِ بذُرية آدم علاقةٌ وثيقةٌ، فهم يقومون عليه عندَ خَلْقِهِ، ويكفلون بحفظِهِ بَعدَ خُرُوجه إلىٰ الحياةِ، ويأتُونَهُ بالوَحْي من اللهِ، ويُراقبون أعمالَهُ وتصرُّفاتِهِ، ويَنْزِعُونَ روحهُ إذا جاء أَجَلُهُ.

فمن أعمالهم حراستُهم لابن آدمَ:

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١٠، ١١].

وقد ذكر ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أنَّ المُعَقِّباتِ من الله: همُ الملائكةُ، جَعَلَهُمُ اللهُ؛ ليحفظوا الإنسان من أمامِهِ، ومِنْ ورائِهِ، فإذا جاء قَدَرُ اللهِ الذي قدَّر أن يصل إليه ـ خَلوا عنه.

ومن أعمالهم يُبلِّغون وَحْيَ اللهِ إلى رُسُلِهِ وأنبيائِهِ:

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ

ﭐلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤].

ومن أعمالهم حِفظُ أعمال بني آدم:

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢].

أَيُّهَا النَّاسُ، لقد وكَّلَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بكلِّ إنسان ملكين حاضرين، لا يُفارقانِه، يُحصِيانِ عليه أعمالهُ وأقوالهُ. قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ﴿١٧﴾ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٦ ـ ١٨].

وصاحب اليمين يكتبُ الحسناتِ، والآخرُ السيئاتِ،ففي «معجم الطبراني الكبير» بإسنادٍ حَسَنٍ[1]، حسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» مِنْ حَدِيْثِ أبي أُمامة أنَّ رسول الله -ﷺ- قال: **«إنَّ صاحبَ الشِّمالِ لَيرفَعُ القَلَمَ ستَّ ساعاتٍ عَنِ العَبْدِ المُسلمِ المُخطىءِ، فإنْ نَدِمَ، واستغفر اللهَ منها ألقاها، وإلا كُتِبَتْ واحدة».**

والملائكة أَيُّها النَّاسُ يُحِبُّون المُؤمنين:

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[2] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: **«إنَّ اللهَ ـ تبارك وتعالىٰ ـ إذا أحبَّ عَبْدًا نادىٰ جِبْريلَ: إنَّ اللهَ قدْ أحبَّ فُلانًا فأحِبَّهُ، فيحبُّهُ جبْريلُ، ثمَّ يُنادي جبريلُ في السماء: إنَّ اللهَ قد أحبَّ فُلانًا فأَحِبُّوه، فيحبُّهُ أهلُ السماءِ، ويُوضعُ له القَبُولُ في أهل الأرض».**

والملائكة تُصلِّي على المؤمنين:

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- :﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤٣].

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢/ ٦)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٩٧).
(٢) رواه البخاري (٧٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٧).

والصلاةُ من الله ـ تعالىٰ ـ ثناؤه علىٰ العبدِ عند الملائكةِ،وأمَّا الصلاةُ من الملائكةِ فبمعنىٰ الدُّعاء للناسِ،والاستغفارِ لهم.

وهُم ـ أي الملائكةُ ـ يستغفرون للمؤمنين، ويَحْضُرون مجالسَ العِلْم، ويَشْهدون جَنَازةَ الصَّالحين،ويُبلِّغون الرَّسولَ ـ ﷺ ـ عَنْ أُمَّته السَّلامَ.

قَالَ اللهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– : ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥﴾ [الشورىٰ:٥] ، قَالَ –وَتَعَالَىٰ– : ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩﴾ [غافر:٧-٩]. وممَّا يدل علىٰ حُضورهم مجالس العِلْم.

ما جاء في «صحيح مسلم»[١] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة ـ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –ﷺ–: «**وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُون كتابَ اللهِ، ويتدارسُونَهُ بَيْنَهُم ـ إلا نَزَلَتْ عليهمُ السكينةُ، وَغَشِيَتْهُم الرَّحمةُ، وحَفَّتْهُمُ الملائكةُ،وذكرهُم اللهُ فيمن عِندَهُ**». وممَّا يدلُّ علىٰ شهودهم جَنازةِ الصَّالحين، ما روىٰ الطبراني في «جامعه» بإسنادٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[٢] مِنْ حَدِيْثِ ابن عمر–رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –ﷺ– في سعد بن معاذ: «**هذا الذي تحرَّك لهُ العَرْشُ، وفُتِحَتْ له أبوابُ السَّماءِ، وشَهِدَهُ سَبعون ألفًا من الملائكة، ولقدْ ضُمَّ ضَمَّةً، ثم فُرِّجَ عَنهُ**».

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) روىٰ الطبراني في «جامعه» (٢٣٢٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٩٨٧).

وممَّا يدل علىٰ أنَّهم يُبلِّغون الرسولَ -ﷺ- عن أُمَّتِهِ السَّلام.

ما رواه الإمام أحمدُ في «مُسنده»، والنسائي في «سُننه» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[1] مِنْ حَدِيْثِ عبد الله بن مسعود ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**إنَّ لله ملائكةً سيَّاحين في الأرض، يُبلِّغوني عن أُمتي السَّلام**».

أَيُّهَا النَّاسُ، قبل أنْ أُودِّعَ مقامي هذا، أُحب أنْ أُذكِّركم أنَّ الملائكة عبادُ اللهِ، اختارهم واصطفاهم، ولهم مكانةٌ عند ربِّهم، ويجبُ علينا أنْ نُحبَّ جميعَ الملائكةِ، فلا نُفرِّق في ذلك بَيْنَ مَلَكٍ ومَلَكٍ؛ لأنهم جميعًا عبادُ الله، عاملون بأمره، تاركون لنَهيِهِ.

ويجب علينا ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أن نعلمَ أنَّ أعظمَ ما يُؤذي الملائكة الذُّنُوبُ والمعاصي، والكُفرُ والشِّرك، وأنَّ أعظم ما يُرضيهم أن يُخلِصَ المَرْءُ دينَهُ لربِّه، ويتجنَّبَ كُلَّ ما يُغضِبُهُ.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة:٢٨٦].

(١) تقدم تخريجه.



١٩ الإيمانُ بكتبِ الله

الخطبة الأولى:

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيْئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده الله فَلَا مُضلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إلاَّ الله وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْي هَدْيُ محمّد -ﷺ-، وشرَّ الأُمُور مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكل بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بعدُ،أيُّها النَّاسُ، إنَّ الإيمان بكتبِ اللّهِ رُكْنٌ من أَرْكانِ الإيمان،لا يتمُّ إيمانُ العبدِ إلا بِه.

والمُرادُ بكتبِ اللهِ الكتبُ التي أَنْزَلَها الله -سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ- علىٰ بَعْضِ رُسُلِهِ رحمةً للخلق، وهدايةً لهم.

والإيمانُ بالكتب ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ يتضمَّنُ أربعة أمورٍ:

الأوَّل ـ الإيمانُ بأنَّ نزولَها من عندِ الله حقًّا.

الثاني ـ الإيمانُ بما عَلِمنا اسْمَهُ منها باسمِهِ: كالقُرْآنِ الذي نزل علىٰ نبينا محمَّدٍ -ﷺ-، والتوراة التي أُنزلتْ علىٰ مُوسىٰ -ﷺ-، والإنجيل الذي أُنزل علىٰ عيسىٰ -ﷺ-، والزبورِ الذي أُوتيه داود -ﷺ-، وأمَّا ما لم نعلمِ اسمهُ، فنؤمنُ به إجمالاً.

الثالث ـ تصديق ما صحَّ من أخبارها: كأخبار القُرآنِ،وأخبارِ ما لم يُحرَّفْ أو يُبَدَّلْ من الكتبِ السابقة.

الرابع ـ العمل بأحكام ما لم يُنْسَخْ منها، والرضا والتسليم به، سواء فهمنا حكمتَهُ أم لم نفهمها، وجميعُ الكتبِ السابقة منسوخة بالقرآنِ العظيم. قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

أي: حاكمًا عليه، وعلىٰ هذا فلا يجوزُ العملُ بأيِّ حُكْمٍ من أحكامِ الكتبِ السابقةِ، إلاَّ ما صحَّ منها، وأقرَّهُ القُرآنُ»[١] .

وأدلَّةُ الإيمانِ بكتبِ الله ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أكثرُ من أنْ تُحصرُ، فمنها:

قول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ﴾ [النساء: ١٣٦].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ﴾ [آل عمران: ٢ـ٤].

(١) انظر «شرح أصول الإيمان» لابن عثيمين (ص٣٠، ٣١).

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء: ١٦٣].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٦].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [الأعلىٰ: ١٨، ١٩].

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ»[1] مِنْ حَدِيْثِ عبد الله بن عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أنَّ رسولَ الله -ﷺ- قال: «**إنَّما بقاؤُكُمْ فيمَنْ سَلَفَ مِنَ الأُمَمِ كما بَيْنَ صلاةِ العَصْرِ إلىٰ غُروبِ الشَّمس، أُوتيَ أَهلُ التَّوراةِ التَّوْراةَ، فعملوا بها، حتىٰ انتصف النَّهارُ، ثمَّ عَجَزُوا، فأُعْطُوا قِيْراطًا قِيْراطًا، ثمَّ أُوتيَ أهلُ الإنْجيلِ الإنجيلَ، فعمِلوا به، حتىٰ صُلِّيتِ العَصْرُ، ثمَّ عجزوا، فأُعطوا قِيراطًا قيراطًا، ثمَّ أُوتيتُمُ القُرآنَ، فعمِلْتُم بِهِ، حتىٰ غربتِ الشمسُ، فأُعْطِيْتُم قيراطينِ قِيراطَيْنِ.**

فقال أهلُ الكتابِ: هؤلاء أَقَلُّ مِنَّا عَمَلاً، وأكثرُ أَجرًا؟!.

قال اللهُ: هَلْ ظلمتُكُمْ مِنْ حقِّكُمْ شيئًا؟ قالوا: لا، قال: فهو فَضْلي، أُوْتيه مَنْ أشاءُ».

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» ـ أيضًا ـ[2] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عن النبيِّ -ﷺ- قال: «**خُفِّفَ علىٰ داود ـ عليه السلامُ ـ القُرْآنُ، (أي القراءةُ)، فكان يأْمُرُ بدوابِّهِ فَتُسْرَجُ، فيقرأ القُرآنَ قبلَ أنْ تُسْرَجَ دوابُّهُ، ولا يأكلُ إلاَّ مِنْ عَملِ يَدِهِ**».

---

(١) «صحيح البخاري» (٧٤٦٧) و(٧٥٣٣).
(٢) «صحيح البخاري» (٣٤١٧).

والقرآن الكريم - أَيُّهَا النَّاسُ - أطولُ الكتبِ السماويَّة وأشملها.

فقد أخرج الطبراني في «الكبير» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[١] مِنْ حَدِيْثِ واثلة - -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**أُعْطِيتُ مكانَ التَّوراةِ السَّبْعَ الطِّوالَ، وأُعْطِيتُ مكانَ الزَّبورِ المِئينَ، وأُعْطِيتُ مكانَ الإنجيلِ المَثَانيَ، وفُضِّلْتُ بالمُفَصَّلِ**».

والكتب السماويَّةُ أَيُّهَا النَّاسُ - كُلَّها أُنزلتْ في شَهْرِ رمضانَ.

فقد أخرج الطبراني في «الكبير» بسندٍ حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»[٢] مِنْ حَدِيْثِ واثلة - -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**أُنزِلَتْ صُحُفُ إبراهيمَ أوَّلَ ليلةٍ مِنْ شهر رَمَضَانَ، وأُنزلتِ التَّوراةُ لِستٍّ مَضَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وأُنزلَ الإنجيلُ لثلاث عَشْرةَ مَضَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وأُنزِلَ الزَّبُورُ لثمانِ عَشْرةَ خَلت مِن رَمَضَانَ، وأُنزِلَ القرآنُ لأربعٍ وعِشرين خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ**».

أَيُّهَا النَّاسُ، كما يجب علينا الإيمان بالكتبِ السابقةِ، فإنَّه يجب علينا ألا نُصدِّق أهل الكتابِ ولا نُكذِّبَهُم.

ففي «صحيح البخاري»[٣] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: كان أهلُ الكتاب يَقْرَءُونَ التَّوراة بالعِبْرانيَّة، ويُفَسِّرُونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله -ﷺ-: «**لا تُصدِّقوا أهل الكتابِ ولا تُكذِّبوهم، وقولوا:** ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني في «تخريج الترغيب» (٢/ ٢١٧)، و«الصحيحة» (١٥٨)، و«صحيح الجامع» (١٠٥٩).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٤٩٧)، و«الصحيح» (١٥٧٥).

(٣) «صحيح البخاري» (٧٣٦٢).

أَيُّهَا النَّاسُ ، نحن لا نُصدِّق أهل الكتاب؛ لأنّهم حرَّفوا وبدَّلوا، ولا نُكَذِّبُهم؛ حتىٰ لا يُخبِرونا بحقٍّ فنكُذِّبَهم، أو بباطلٍ فنصدِّقهم.

ففي «مُسند أحمد» بسندٍ حسن، حسنه الألباني في «إرواء الغليل»[1] مِنْ حَدِيْثِ جابر بن عبد الله -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أنَّ عمر بن الخطاب أتىٰ النبي -ﷺ- بكتاب، أَصَابهُ من بعضِ أهلِ الكُتُبِ، فقرأهُ للنبيِّ -ﷺ-، فَغَضِبَ، فقال: «**أَمُتَهَوِّكُون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده، لقد جئتُكُم بها بيضاء نقيَّة، لا تسألوهم عن شيءٍ، فيخبروكم بحقٍّ، فتكُذِّبوا به، أو بباطلٍ فتُصدِّقوا به، والذي نفسي بيدِه، لو أنَّ موسىٰ -ﷺ- كان** حيًّا، **ما وسِعَهُ إلاَّ أنْ يتَّبعني**». ومعنىٰ مُتَهوكون: أي مُتَحيِّرون.

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ»[2] مِنْ حَدِيْثِ ابن عباسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قال: «يا مَعْشَرَ المسلمين، كيف تسألون أهلَ الكتابِ،وكتابُكمُ الذي أُنزل علىٰ نبيِّه -ﷺ- أَحدثُ الأخبارِ باللهِ، تَقْرَءُونهُ لم يُشبْ؟!وقد حدَّثكُمُ اللهُ أنَّ أهل الكتابِ بدَّلوا ما كتب اللهُ، وغيَّروا بأيديهمُ الكتابَ، فقالوا: هو من عِندِ اللهِ؛ ليشتروا به ثمنًا قليلاً.

أفلا ينهاكم ما جاءكم مِنَ العلمِ عنْ مُساءلتِهم؟!، ولا ـ واللهِ ـ ما رأينا منهم رجلاً ـ قطُّ ـ يسألُكُم عَنِ الذي أُنزِلَ عليكم.

وأستغفر الله.

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) رواه البخاري (٦٨٥٢).

الخطبة الثانية :

القــرآن الكريم

الحمد لله ربِّ العالمين،والصلاةُ والسلامُ علىٰ أشرف المرسلين.

أمَّا بعدُ،

أَيُّهَا النَّاسُ، سبق الحديث معكم حول الإيمان بكتبِ الله، وأنَّ نزولها من عندِ الله حقًّا، وأنه لا يجوزُ أنْ نُصدِّقَ أهلَ الكتابِ أو نكُذِّبَهم؛ لئلاَّ نكُذِّبَهم بحقٍّ، أو نصدِّقهم بباطل، ولأن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أخبرنا عن أهل الكتاب أنهم غيَّروا وبدَّلوا في كتب الله، فقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [البقرة:٧٩].

والآن حديثي معكم ـ أيُّهَا النَّاسُ ـ عن القُرآنِ الكريم كتاب الله الذي أنزله علىٰ خيرخلقِهِ محمَّدٍ -ﷺ- كما أَنْزَلَ غيرَهُ من الكتب علىٰ مَنْ سبق مِنَ الرُّسُلِ فالقرآنُ الكريم ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ نَسَخَ بأحكامِهِ سائرالأحكامِ في الكتبِ السماوِيَّة السابِقةِ كما خَتَمَ برسالةِ صاحبِهِ كُلَّ رسالةٍ سابقةٍ.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨] أي حاكمًا عليه، ومشتملاً علىٰ ما اشتملت عليه الكُتبُ السابقة.

والقرآنُ الكريم ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ هو الكتابُ الوحيدُ الذي ضمِنَ اللهُ سلامتَهُ من النَّقْصِ والزِّيادة، ومِنَ التبديلِ والتغيير، وبقاءَهُ حتى يرْفَعَهُ إليه.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر:٩].

قال ابن سعدي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في تفسيره: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ ﴾ أي: القرآنَ الذي فيه ذكرىٰ لكلِّ شيء من المسائل والدلائل الواضحة،وفيه يتذكر مَنْ أراد التذكر، ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ أي: في حالِ إنزاله،وبَعدَ إنزالِه، ففي حالِ إنزالِهِ حافظون له مِنِ استراق كُلِّ شيطانٍ رجيم، وبعدَ إنزاله،أودَعَهُ اللهُ في قلبِ رسولِهِ، واستودعه فيه، ثمَّ في قلوبِ أُمَّتِهِ،وحفِظَ اللهُ ألفاظه من التغيير فيها، والزِّيادةِ،والنّقص، ومعانيه مِن التبديل، فلا يُحرِّفُ مُحَرِّفٌ مَعنىً من معانيه، إلاَّ وقيَّض اللهُ له مَنْ يُبَيِّنُ الحقَّ المُبين،وهذا مِنْ أعظمِ آياتِ اللهِ ونعمِهِ علىٰ عبادِهِ المُؤمنين، ومنْ حِفْظِهِ أنَّ الله يحفظُ أَهْلَهُ مِنْ أعدائهم،ولا يُسلِّطُ عليهم عدُوًّا يجتاحهُم»[1] .

وفضائل القرآن ـ أيُّها النَّاسُ ـ أكثر من أن تُحصَرَ، فمنها:

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٦ ﴾ [المائدة: ١٥ ـ ١٦].

وقال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢ ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنْ

---

(١) «تفسير ابن سعدي» (ص٤٢٩).

﴿أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥﴾ [النساء: ١٠٥].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣﴾ [يوسف: ٣].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١﴾ [الفرقان: ١].

وفي «صحيح مسلم»[١] مِنْ حَدِيْثِ أبي أُمامة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: سَمِعتُ رسولَ الله -ﷺ- يقول: «**اقْرءوا القُرآنَ؛ فإنَّه يأتي يومَ القيامَةِ شفيعًا لأصحابِهِ**».

وفي «صحيح مسلم» - أيضًا -[٢] مِنْ حَدِيْثِ النَّواس بن سَمْعَانَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: سمعتُ رسولَ اللهِ -ﷺ- يقول: «**يُؤْتىٰ يومَ القيامةِ بالقُرآنِ، وأَهلِهِ الذين كانوا يعملُون به في الدُّنيا، تَقْدُمُهُ** (أي تتقدَّمُهُ) **سُورةُ البَقَرةِ وآل عِمْرانَ، تُحاجَّانِ عَنْ صاحِبِهِمَا**».

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيّ»[٣] مِنْ حَدِيْثِ عُثمانَ بن عفَّانَ - -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعلَّمَ القُرآنَ، وَعَلَّمهُ**».

وفي «الصحيحين»[٤] من حديث عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قالت: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**الذي يقرأ القُرآنَ، وهو ماهِرٌ به** (أي مُجيدٌ لَفظَهُ علىٰ ما ينبغي، بحيث لا يتشابُه ولا يقفُ في قراءتِهِ) **مع السَّفَرةِ الكِرامِ البَرَرةِ، والذي يقرأُ**

(١) «صحيح مسلم» (٨٠٤).
(٢) «صحيح مسلم» (٢٨٨٦).
(٣) رواه البخاري (٥٠٢٧).
(٤) رواه البخاري (٨/ ٥٣٢)، ومسلم (٧٩٨)، واللفظ له.

القُرآنَ، ويَتَتعْتَعُ فيه، وهو عليه شاقٌّ ـ لهُ أجران».

والسَّفرةُ الكِرامُ: هُمُ الملائكةُ الرسُلُ إلىٰ الرسُلِ ـ صلواتُ الله وسلامه عليهم ـ . ومعنىٰ البَرَرةِ :أي المُطيعين، فهم معهم في منازلهم في الآخرة. وقوله: «**يتتعتع فيه**»: أي يتردَّدُ في قراءته، ويتبلَّدُ فيها لسانهُ.

وفي «صحيح مسلم»(١) مِنْ حَدِيْثِ عمر بن الخطَّابِ ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنَّ النبي -ﷺ- قال: «**إنَّ الله يَرْفَعُ بِهذا الكتابِ أقوامًا، ويَضَعُ بِهِ آخَرِيْنَ**».

وفي «الصحيحين»(٢) مِنْ حَدِيْثِ عبد اللهِ بن عُمَرَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- عن النبيِّ -ﷺ- قال: «**لا حَسَدَ** (أي لا غِبْطَةَ) **إلاَّ في اثْنَتين: رَجُلٌ آتاهُ اللهُ القُرآنَ، فهو يقومُ به آناء اللَّيلِ، وآناء النهارِ، ورَجُلٌ آتاهُ اللهُ مالاً، فهو يُنْفِقُهُ آناءَ اللَّيلِ، وآناء النهار**». والآناءُ: السَّاعاتُ.

وأخرج الترمذي بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»(٣) مِنْ حَدِيْثِ عبد الله بن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كتابِ اللهِ فله به حَسَنةٌ، والحسنةُ بِعَشْرِ أمثالِها، لا أقولُ: (ألم) حرفٌ، ولكِنْ: ألف حرفٌ، ولامٌ حرفٌ وميمٌ حرفٌ**».

وأخرج الترمذي بسندٍ حسنٍ(٤) مِنْ حَدِيْثِ عبد الله بن عمرو-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- عن النبي -ﷺ- قال: «**يُقالُ لصاحِبِ القُرآنِ: اقرأ وارتقِ** (أي في درج الجنة بقدرِ ما حَفِظتَهُ من آي القرآن) **ورتِّل، كما كُنتَ تُرتِّل في الدُّنيا، فإنَّ منزلتَكَ عندَ آخِرِ آيةٍ تَقْرَؤُها**».

﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨﴾ [التحريم: ٨].

(١) رواه مسلم (٨١٧).
(٢) رواه البخاري (٧٥٢٩)، ومسلم (٨١٥).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٩١٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٦٩).
(٤) أخرجه الترمذي (٧٩١٥)، وسنده حسن.



٢٠
٤ـ الإيمانُ بُرسُلِ اللّه

الخطبة الأولى :

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا، ومنْ سَيئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلاَ مُضلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّد -ﷺ-، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّارِ

أمَّا بعدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ الإيمان بالأنبياءِ والرُّسُلِ أَصْلٌ من أُصول الإيمان، لا يتمُّ إيمانُ المُسلم إلا به.

فنحن نؤمنُ بأنَّ اللهَ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- اصطفىٰ من النَّاس رُسُلاً، وأوحىٰ إليهم بشرعه،وعَهِدَ إليهم بإبلاغه لقطعِ حُجة الناس عليه يوم القيامة أرسلهم

بالبيناتِ،وأيدهم بالمُعجزات،ابتدأهم بنبيِّه نُوحٍ، وخَتَمهُمْ بمحمَّدٍ -ﷺ-[١].

والأدلة على أنَّ الإيمان بالرُّسل أصلٌ من أُصول الإيمان-أكثرُ من أن تُحْصَر، فمنها:[٢]

قَالَ اللهُ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-:﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [آل عمران: ٨٤].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

ومدحَ اللهُ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- رسولهُ محمدًا -ﷺ-، والمؤمنين الذين تابعوه لإيمانهم، ولعدم تفريقهم بينَ الرُّسُل.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ﴾ [البقرة:٢٨٥].

وذكر اللهُ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أنَّ الإيمان ببعض الرسُل، والكُفر ببعضٍ -كُفرٌ بهم جميعًا؛ لأنَّ الرسُل حملةُ رسالةٍ واحدة، ومُرسِلُهُم واحدٌ، ودُعاةُ دينٍ واحدٍ، يُبشِّرُ المُتقدِّمُ منهم بالمتأخِّر،ويصدقُ المُتأخِّرُ المُتقدِّمَ[٣].

قَالَ اللهُ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ

---

(١) انظر «منهاج المسلم» للجزائري (ص٢٥).

(٢) انظر «الرُّسل والرسالات» للأشقر، فقد استفدت منه كثيرًا.

﴿يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء: ١٥٠ ـ ١٥٢].

وذمَّ اللّه-تَعَالَى- أهل الكتاب لإيمانهم ببعض الرُّسُل، وكُفرهم ببعضٍ، فقَالَ اللهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ﴾ [البقرة: ٩١].

وأدلة السُّنَّةِ ما جاء في «الصحيحين»[1] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في جوابِ جِبْرِيلَ حيثُ سَأَلَهُ عن الإيمانِ، فقال له: «**أَنْ تُؤمِنْ باللهِ؟، ومَلائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ ورَسُلِهِ، واليومِ الآخرِ، وتُؤمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ**».

أَيُّهَا النَّاسُ، بعدَ أن عَلِمنا أنَّ الإيمانَ بالرُّسُلِ أصلٌ من أُصولِ الإيمان، علينا أنْ نعرف شيئًا من صفاتِ الرسُل، ووظائفهم، ومُهمَّاتِهم.

فمن صِفَاتِهِم ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أنّهم بشرٌ مِثْلُنا، يأكلون الطعام، ويمشُون في الأسواقِ، لكنَّ اللهَ اختارهم تكريمًا وتفضيلاً:

قال اللهـ–سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ-:﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ﴾ [إبراهيم: ١١].

وقال الله–سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ-: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الفرقان: ٢٠].

ومن صفاتهم أنَّهم يتعرضون للبلاء، بل إنهم أشدُّ الناسِ بلاءً:

قَالَ اللهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ

(١) تقدم تخريجه.

﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ۝٨٧﴾ [البقرة: ٨٧].

وأخرج الترمذي في «سُننه» بسندٍ حسنٍ صحيحٍ، وحسَّن إسنادَهُ الألباني في «صحيح سُنن الترمذي»[(١)] مِنْ حَدِيْثِ سعد بن أبي وقَّاص -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ، أيُّ الناسِ أشدُّ بلاءً؟. قال: «**الأنبياءُ، ثمَّ الأمثلُ فالأمثلُ، فَيُبْتَلىٰ الرَّجلُ علىٰ حسبِ دِينِهِ، فإن كان دينُهُ صُلبًا اشتدَّ بلاؤُهُ، وإن كان في دينِهِ رقةٌ ابتُلي علىٰ حَسَبِ دينِهِ، فما يبْرحُ البلاءُ بالعبدِ، حتىٰ يَتْرُكَهُ يمشي علي الأرضِ، وما عليه خطيئةٌ**».

وفي «الصحيحين»[(٢)] مِنْ حَدِيْثِ عائشة -رَضِي اللهُ عَنْهَا- قالت: «ما رأيتُ أحدًا أشدَّ عليه الوجَعُ مِنْ رسولِ اللهِ -ﷺ-».

ومن صفاتهم - أَيُّهَا النَّاسُ - أنه ليس لهم من خصائص الأُلُوهية والملائكية شيءٌ، فهم لا يدَّعون شيئًا من صفاتِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، ولكنَّهم يُمثِّلون الكمال الإنسانيَّ؛ لأنَّ الله اختارهم، واصطفاهم لنفسه.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

ومن صفاتهمُ الكمالُ في الخِلقة الظاهرة، وفي الأخلاق:

قال ابن حجر - رَحِمَهُ اللهُ -: «إنَّ الأنبياء في خَلقِهم وخُلُقِهم علىٰ غاية الكمالِ، وإنَّ مَنْ نَسَبَ نبيًّا إلىٰ نقصٍ في خلقٍ، فقد آذاهُ، ويُخشىٰ علىٰ فاعلِهِ الكُفْرُ»[(٣)].

وأيضًا الأنبياء خيرُ الناسِ نسبًا:

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [الحديد: ٢٦].

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجَهْ (٤٠٢٣)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وكذا قال الألباني في «صحيح سُنن الترمذي» (٢/ ٢٨٦).
(٢) رواه البخاري (٥٦٤٦)، ومسلم (٢٥٧٠).
(٣) «فتح الباري» (٦/ ٤٣٨).

ومن صفاتِهمُ الذُّكورةُ، فلم يبعَثِ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- رسُولاً من النساء:

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء:٧].

والأنبياء والرُّسلُ ـ أيُّها النَّاسُ ـ جم غفيرٌ، فقد كَثُرَ الأنبياء والرُّسُلُ في تاريخ البشريةِ كثْرةً هائلةً، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر: ٢٤].

وفي «مُسند أحمد» بسندٍ صحيح، صححه الألبانيُّ في «مشكاة المصابيح»[1] مِنْ حَدِيْثِ أبي ذرٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قلتُ: يا رسول اللهِ كم المُرسلونَ؟ قال: «**ثَلثُمائةٍ وبِضْعةَ عَشَرَ** جمًّا **غفيرًا**» وفي رواية أبي أُمامة قال أبو ذرٍّ: قلتُ: يا رسول الله كما وفاء عِدَّة الأنبياءِ؟ قال: «**مائةُ ألفٍ وأربعةٌ وعشرون ألْفًا، الرُّسلُ مِن ذلك ثَلثُمائةٍ وخمسةَ عَشَرَ** جَمًّا **غَفيرًا**».

وهذا العدد الكبير للأنبياءِ والرُّسُلِ ـ أيُّهَا النَّاسُ ـ يَدُلُّنا علىٰ أنَّ الذين نعرفُ أسماءهم من الرُّسلِ والأنبياءِ قليلٌ، وأنَّ هناك أعدادًا كثيرة لا نعرفها.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤].

وقد ذكر اللهُ -وَتَعَالَى- في كتابه الكريم خمسةً وعشرين نبيًّا ورسولاً:

فذكر في مواضع متفرِّقة آدمَ، وهودًا، وشُعيبًا، وإسماعيل، وإدريس، وذا الكِفلِ، ومحمَّدًا ـ صلواتُ الله وسلامُه عليهم أجمعين ـ.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ﴾ [آل عمران: ٣٣].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [هود: ٥٠].

---

(١) رواه أحمد في «مُسنده»، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٢/ ١٢٢).

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًاۚ ﴾ [هود: ٦١].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۚ ﴾ [هود: ٨٤].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنبياء: ٨٥].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ ﴾ [الفتح: ٢٩].

وذكر-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ثمانيةَ عَشَرَ نبيًّا في موضعٍ واحدٍ في سُورة الأنعام، فقَالَ اللهُ -عزَّ وجَلَّ-:﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام:٨٣-٨٦].

ولقد أخبرنا الله-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: أنَّه فضَّلَ بَعْضَ النبيِّين علىٰ بَعْضٍ، فقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء: ٥٥].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وأفضلُ الرُّسلِ والأنبياءِ خمسةٌ: مُحمَّدٌ، ونُوحٌ، وإبراهيمُ، ومُوسىٰ، وعيسىٰ ـ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهم ـ،وهؤلاءِ هُم أُولو العزم من الرُّسُل، وقد ذكرهمُ اللهُ في كتابه، فقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۖ ﴾ [الأحزاب: ٧].

ولنعلم ـ أيُّها الناسُ ـ أنَّه قد جاءت أدلةٌ تنهى عنِ التفضيل بينَ الأنبياء.

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[1] مِنْ حَدِيْثِ أبي سعيد الخُدْريِّ ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**لا تُخيِّرُوا بينَ الأنبياء**».

قال الطحاوي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «هذه الأحاديث لا تُعارِضُ النُّصوص القُرآنية التي تدلُّ علىٰ أنَّ اللهَ فضَّلَ بَعْضَ الأنبياء علىٰ بعضٍ، وبعضَ المرسلين علىٰ بَعْضٍ، وينبغي أن يُحْملَ النّهيُ الذي ورد في الأحاديث علىٰ النَّهي عن التفضيل، إذا كان علىٰ وجهِ الحميَّةِ والعصبيةِ والانتقاص، إذا كان هذا التفضيلُ يؤدِّي إلىٰ خُصومةٍ أو فتنةٍ»[2] وممَّا يدل علىٰ ما ذهب إليه الطحاوي:

ما جاء في «صحيح البخاري»[3] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: استبَّ رجلٌ من المسلمين ورجلٌ من اليهود، فقال المُسلم: والذي اصطفىٰ محمَّدًا -ﷺ- علىٰ العالمين ـ في قسمٍ يُقْسِمُ به ـ.

فقال اليهوديُّ: والذي اصطفىٰ موسىٰ علىٰ العالمين، فرفعَ المسلمُ عند ذلك يدهُ فَلَطَمَ اليهودي، فذهب اليهودي عند ذلك إلىٰ النبي -ﷺ-، فأخبره الذي كان مِن أمْرِهِ وأمرِ المُسلم، فقال: «**لا تُخيِّروني علىٰ مُوسىٰ؛ فإنَّ الناسَ يَصْعَقُونَ، فأكونُ أوَّلَ مَنْ يفيقُ فإذا أنا بموسىٰ باطشٌ بجانب العرشِ، فلا أدري أكان فيمن صعِقَ، فأفاق قبلي، أو كان ممَّنِ استثنىٰ اللهُ**» وفي رواية عند البخاري: «**لا تُفضلوني علىٰ الأنبياء**». وفي رواية: «**لا تُخيِّروني علىٰ الأنبياء**».

قال ابن حجرعن بعض أهل العلم أنَّه قال: «الأخبار الواردة في النهي عن التخيير إنما هي في مجادلة أهل الكتاب، وتفضيل بعض الأنبياء علىٰ بعضٍ

(١) رواه البخاري (٦٩١٦)، ومسلم (٢٣٧٤).
(٢) «شرح الطحاوية» (ص١٧٠).
(٣) رواه البخاري (٣٤٠٨)و (٦٥١٧).

بالمخايرة؛ لأنَّ المخايرة إذا وقعتْ بين أهل دينين، لا يأمنُ أن يخرجَ أحدهما إلىٰ الازدراء بالآخر، فيُفضي إلىٰ الكُفر، فأمَّا إذا كان التمييز مستندًا إلىٰ مقابلةِ الفضائلِ لتحصيلِ الرُّجحانِ، فلا يدخلُ في النهي»[1].

وأستغفر الله.

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ٤٤٦).

الخطبة الثانية:

وظائفُ الرُّسل -عليهمُ السَّلامُ-

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ علىٰ أشرف المُرسلين،وعلىٰ آلهِ وصحبِهِ أجمعين.

أمَّا بعدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، تقدَّم الحديثُ معكم حولَ الإيمان بالرُّسُل، مع ذكر شيءٍ من صفاتهم، والآن حديثي معكم حول وظائفِ بالرُّسلِ ومُهمَّاَتِهم.

فمن وظائفهم -أيّها الناسُ- البلاغ المبين، فهم سُفراءُ اللهِ إلىٰ عبادِهِ، وحَملةُ وحيِهِ قالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ- : ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب:٣٩].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ-: ﴿ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ﴾ [آل عمران:٢٠].

ومن وظائفهم الدَّعوةُ إلى الله:

قَالَ اللهُ-سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ-:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

ومن وظائفهم التبشير والإنذار:

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ- : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [الكهف: ٥٦].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ- : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ

تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣، ١٤].

ومن وظائفهم إصلاحُ النفوس وتزكيتُها:

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢].

ومن وظائفهم إقامةُ الحُجة:

لا أحد أحبُّ العُذرِ إليه من الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-؛ لذلك أرسلَ الرُّسُل، وأنزلَ الكتب؛ كي لا يبقي للناسِ حجة في يوم القيامة.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾ [طه: ١٣٤].

ومن وظائفهم سياسةُ الأُمَّة:

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٥١]. وفي «الصحيحين»[١] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رسُول اللهِ -ﷺ- : «**كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ. قَالُوا فَمَا تَأْمُرُنَا قَالَ فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ**

(١) رواه البخاري (٢/ ٣٧١)، ومسلم (٦/ ١٧).

فَالأَوَّلِ، أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ » .

أَيُّهَا النَّاسُ، قبل أنْ أُودِّعَ مقامي هذا، أُحبُّ أنْ أُذكِّركُم أنْ الدِّين الذي دَعَتْ إليه الرُّسُلُ جميعًا واحدٌ، هو الإسلامُ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وهذا نوحُ -عَلَيْهِ السَّلام- يقول لقومه: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [يونس:٧٢].

والإسلام: هو الدين الذي أَمَرَ اللهُ به أبا الأنبياءِ إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلام- ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [البقرة:١٣١].

ويُوصي كلٌّ من إبراهيم ويعقوب أبناءه قائلاً: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٣].

وأبناء يعقوب -عَلَيْهِ السَّلام- يُجيبون أباهم: ﴿نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة:١٣٢].

وموسىٰ -عَلَيْهِ السَّلام- يقول لقومِهِ: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس: ٨٤].

والحواريُّون يقولون لعيسىٰ -عَلَيْهِ السَّلام- : ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وحين سمع فريقٌ من أهل الكتاب القُرآنَ: ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [القصص: ٥٣].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران: ٥٣].



٢١

٥ـ الإيمانُ باليوم الآخر: أ ـ القبرُ أوَّلُ منازلِ الآخرةِ

الخطبة الأولى

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُه، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيِّئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد -ﷺ-، وشرَّ الأُمور مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثة بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّار.

أمّا بعد، أيُّها النَّاسُ، لا شكَّ أنَّ الإيمانَ باليومِ الآخِرِ أصلٌ من أُصول الإيمانِ، لا يتمُّ إيمانُ المسلم إلاَّ به لأدلةٍ كثيرةٍ، فمنها:

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾ [النِّساء: ١٦٢].

وفي «الصحيحين»[1] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في حديث جبريل الطويل، وسؤالِهِ النبيَّ -ﷺ- عن الإيمانِ، بَعدَ أن سألهُ عن الإسلام، قال: أخبرني عن الإيمان؟ فقال: **«أنْ تُؤمنَ باللهِ، وملائكتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، واليومِ الآخرِ، وتُؤمِنَ بالقَدَرِ خيرِهِ وشرِّهِ»**.

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ الإيمانَ باليومِ الآخرِ لا يقتصرُ على يومِ القيامة، بل يدخلُ في ذلك الإيمان بعذاب القبر ونعيمِه.

قال شيخُ الإسلام ـ ابنُ تيمية ــ رَحِمَهُ اللهُ ـ : «من الإيمان باليومِ الآخرِ الإيمان بكُلِّ ما أخبر به النبي -ﷺ- ممَّا يكونُ بَعْدَ الموتِ»[2] .

وممَّا يدلُّ علىٰ أنَّ عذابَ القبْرِ ونعيمَهُ يدخلُ في الإيمانِ باليومِ الآخرِ قولُ الله-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل: ٣١، ٣٢].

قال العلامة محمدُ بن صالح العُثيمين ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في تفسير هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَۙ يَقُولُونَ﴾ حالَ توفيهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ﴾، وهم وإن لم يدخلوا الجنَّة التي عَرضُها السَّموات والأرضُ، لكنْ دخلوا القَبْرَ الذي فيه نعيم الجنةِ.

وقال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) «تعليقات علىٰ العقيدة الواسطية» لابن عثيمين (ص٥).

﴿تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة: ٨٣ـ ٨٩].

وهذا يكون إذا بلغتِ الرُّوح الحُلْقُومَ،وهذا هو نعيمُ القبْرِ، بل إنَّ الإنسانَ يُبشَّرُ بالنعيم قبلَ أن تخرجَ روحُهُ، يُقال لروحه: اخرجُي أيَّتها النَّفس المُطمئنةُ، اخرجي إلىٰ مغفرةٍ من اللهِ ورِضوانٍ فتفرحُ الروحُ بذلك، فتخرجُ خُروجًا سهلاً ميسرًا[1].

وعذابُ القبرِ ونعيمُه ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ ثابتٌ بالكتابِ والسُّنَّةِ:

فمن القرآن قولُ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام:٩٣].

قال العلامة ابن سعديٍّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في تفسير هذه الآية:«﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: شدائِدِه، وأهوالِهِ الفظيعة، وكُرَبِهِ الشَّنيعةِ ـ لرأيتَ أمرًا هائلاً، وحالةً لا يَقْدِرُ الواصفُ أنْ يَصِفَها.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ إلىٰ أولئك الظالمين المحتضَرين بالضَّربِ والعذابِ،يقولون لهم عند منازعة أرواحهم، وتعصِّيها للخروج من الأبدان: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ أي: العذاب الشديدَ الذي يُهينكم ويُذلكّم، والجزاءُ مِنْ جِنس العمل؛ فإنَّ هذا العذاب ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ من كذبكم ، وردكّمُ للحقِّ الذي جاءت به الرُّسُلُ ، ﴿وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ أي: ترفَّعون عن الانقياد لها، والاستسلام لأحكامها،وفي هذا دليلُ علىٰ عذاب البرزخ ونعيمِهِ، فإنَّ هذا الخطابَ والعذاب

(١) «دروس وفتاوىٰ في الحرم المكي» لابن عثيمين (ص٢٢٣، ٢٢٤).

المُوَجَّهَ إليهم ـ إنما هو عند الاحتضارِ، وقُبيلَ الموتِ وبَعْدَهُ»[١] .

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ ١٠١﴾ [التوبة: ١٠١].

قال الحسنُ البَصْريُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾ «عذاب الدُّنيا، وعذاب القبر»[٢] .

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ٤٥ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦].

قال القرطبي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ **في تفسير هذه الآية:** «الجمهور علىٰ أنَّ هذا العرض يكون في البَرْزَخ،وهو حُجَّةٌ في تثبيت عذاب القبر»[٣] .

وقَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ-: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ»[٤] مِنْ حَدِيْثِ البراء بن عازب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عن النبي -ﷺ- قالَ: «**إذا أُقْعِدَ المُؤْمن في قَبْرِهِ أُتيَ، ثمَّ شهِدَ أَنَّ لا إِلَهَ إلاَّ اللهُ وأنَّ محمّدًا رسولُ اللهِ، فذلك قوله:** ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ وفي رواية أخرىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ **نزلتْ في عذابِ القَبْرِ**».

وأمّا أدلّة عذاب القبرِ ونعيمِه من السُّنَّة المُطهرة ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ فأكثرُ من أنْ تُحْصرَ فمنها:

(١) «تفسير ابن سعدي» (ص٢٦٥).
(٢) «فتح الباري» (١١/ ٢٣٣).
(٣) «فتح الباري» (١١/ ٢٣٣).
(٤) «صحيح البخاري» (١٣٦٩).

روىٰ أحمدُ في «مُسنده»، وصححه الألباني في «أحكام الجنائز»[(١)] مِنْ حَدِيْثِ البراء بن عازبٍ ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: «خَرَجْنَا مع النبيِّ -ﷺ- في جنازةِ رجل من الأنصارِ فانتهينا إلىٰ القبر، ولمَّا يُلحدْ فجلَسَ رسولُ الله -ﷺ- [مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ]، وجَلَسْنا حولهُ،وكأنَّ علىٰ رءُوسِنا الطَّيرَ، وفي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ في الأرض، [فجعلَ ينظُرُ إلىٰ السَّماءِ، وينظُرُ إلىٰ الأرضِ، وجَعلَ يرفعُ بَصَرهُ، ويخفضهُ ثلاثًا]، فقال: «استعيذوا بالله مِنْ عَذابِ القَبْرِ مرتين أو ثلاثًا [ثمَّ قال: **اللهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بك من عذابِ القَبْرِ** ثلاثًا ـ]، ثمَّ قال: «**إنَّ العَبْدَ المُؤمنَ إذا كان في انْقِطَاعِ من الدنيا، وإقبالٍ من الآخرة ـ نَزَلَ إليه ملائكةٌ من السَّماءِ بيضُ الوُجوهِ، كأنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمسُ، معهم كَفَنٌ من أكفانِ الجنَّةِ، وحَنُوطٌ من حَنُوطِ الجنة،حتىٰ يجلسوا منه مَدَّ البَصَرِ، ثمَّ يَجيءُ مَلَكُ الموتِ ـ عَلَيْهِ السَّلَام، حتىٰ يجلسَ عندَ رأسِهِ فيقولُ: أيَّتها النَّفسُ الطيِّبة** (وفي رواية: **المُطْمَئِنَّةُ**)، **اخْرُجي إلىٰ مَغفرةٍ مِنَ اللهِ ورِضوانٍ**. قال: **فتَخْرُجُ تسيلُ كما تسيلُ القَطْرة مِنْ فِيِّ السِّقاءِ، فيأخذُها**، (وفي رواية: **حتىٰ إذا خرجتْ روحُهُ، صلَّىٰ عليه كل مَلَكٍ بَيْنَ السماءِ والأرض، وكُلُّ مَلَكٍ في السَّماءِ، وفُتِحتْ له أبوابُ السَّماءِ، ليس مِنْ أهلِ بابٍ إلا وهُم يدْعون اللهَ أنْ يُعرَجَ برُوحِهِ مِنْ قِبَلِهِم**)، **فإذا أَخَذَها لم يَدَعُوها في يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حتىٰ يأخُذُوها، فَيجْعَلُوها في ذلك الكفنِ،وفي ذلك الحَنُوطِ**، [**فذلك قوله تعالىٰ**: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام:٦١]. **وَيَخْرُجُ منها كأَطيبِ نَفَحْةِ**

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧)، وأبو داود (٣/ ٢٨١)،والحاكم (١/ ٣٧، ٤٠)، والطيالسي (٧٥٣)، والآجري في «الشريعة» (٣٦٧، ٣٧٠)، وروىٰ النسائي (١/ ٢٨٢)، وابن ماجَهْ (١/ ٤٦٩، ٤٧٠) القسم الأول منه إلىٰ قوله: «وكأن علىٰ رؤسنا الطير»، وهو رواية أبي داود، وثمة ـ رواية لأبي داود (٢/ ٧٠) بأخصر منه، وكذا أحمد (٤/ ٢٩٧)، وقال الحاكم: صحيح علىٰ شرط الشيخين، وأقرَّه الذهبي، وهو كما قال، وصححه ابن القيم في «إعلام الموقعين» (١/ ٢١٤)، و«تهذيب السُنن» (٤/ ٣٣٧).
وهنا تنبيه مهم: وهو أن العلامة المحدث الألباني ـ رحمه الله ـ هو الذي جمع رواية هذا الحديث، وساقه سياقًا واحدًا، ضامًّا إليه جميع الزوائد والفوائد التي وردت في جميع طرقه الثابتة في كتابه «أحكام الجنائز» (ص١٩٨ ـ ٢٠٢).

مِسكٍ وجِدتْ علىٰ وَجْهِ الأرضِ. قال: فَيَصعدونَ بها، فلا يمرون ـ يعني ـ بها علىٰ ملإٍ من الملائكةِ، إلاَّ قالوا: ما هذا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فيقولون: فلانُ بن فلانٍ ـ بأحسنِ أسمائِهِ التي كانوا يُسَمُّونه بها في الدُّنيا ـ حتىٰ يَنْتَهُوا بها إلىٰ السماء الدُّنيا، فَيَسْتَفْتِحون له، فيُفْتَح لهم، فَيُشيعُهُ منْ كُلِّ سماءٍ مُقربوها إلىٰ السماء التي تليها، حتىٰ ينتهي به إلىٰ السماء السابعةِ،فيقولُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ: اكتبوا كتابَ عبْدي في علِّيِّين، ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ۝٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ١٩ ـ ٢١].فيُكْتَبُ كتابُهُ في عِلِّيِّين]، ثمَّ يُقالُ: أعِيدُوهُ إلىٰ الأرضِ؛ فإنِّي [وعدتهم أنِّي] مِنها خلقتهم،وفيها أُعيدُهم، ومنها أُخرِجُهم تارةً أُخرىٰ، قال: فـ[يُرَدُّ إلىٰ الأرض، و] تعاد روحه في جَسَدِهِ، [قال: فإنَّهُ يسمعُ خفق نِعالِ أصحابِهِ، إذا وَلَّوا عنه] [مُدْبِرينَ]، فيأتيه مَلَكانِ [شديدا الانتهارِ]، فـ[يَنْتَهرانِهِ، و] يُجْلِسانِهِ، فيقولان له: مَنْ ربُّكَ؟ فيقول: ربِّي اللهُ، فيقولانِ له: ما دينُك؟ فيقولُ: ديني الإسلامُ فيقولانِ له: ما هذا الرَّجُلُ الذي بُعِثَ فيكم؟ فيقولُ: هو رسولُ اللهِ -ﷺ-.

فيقولان له، وما عَملك؟ فيقولُ: قرأتُ كتابَ اللهِ، فآمنتُ به، وصدقتُ.

فينتهرهُ فيقولُ: مَنْ ربُّك؟،وما دينُك، مَنْ نبيَّكَ؟ وهي آخِر فِتنةٍ تُعرضُ علىٰ المُؤمن، فذلك حينَ يقولُ اللهُ عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾. فيقولُ: ربِّي اللهُ، وديني الإسلامُ،ونبيِّي محمَّدٌ ـ ﷺ ـ فينادي مُنادٍ في السماء: أنْ صَدَقَ عبْدي، فأَفرِشُوه من الجنة،وأَلبسوُهُ من الجنَّةِ،وافتحوا له بابًا إلىٰ الجنَّةِ، قال: فيأتيه من روحِها وطيبِها ويُفسحُ له في قبرِهِ مدَّ بَصَرِهِ قال: ويأتيه [وفي رواية: يُمثلُ] رجلٌ حسنُ الوجهِ،حسنُ الثِّيابِ، طيِّبُ الرِّيحِ، فيقول: أبشِرْ بالذي يَسُرُّكَ، [أَبشر برضوان من اللهِ وجنَّاتٍ فيها نعيمٌ مُقيمٌ]، هذا يومُك الذي كُنتَ تُوعَدُ، فيقولُ له: [وأنتَ فَبَشَّركَ اللهُ بخيرٍ]

مَنْ أنتَ؟، فوجهُك الوجهُ يجيءُ بالخير! فيقولُ أنا عملُك الصَّالحُ، [فوالله، ما عَلِمتُكَ إلا كنت سريعًا في طاعةِ اللهِ بطيئًا في معصية اللهِ، فجزاكَ اللهُ خيرًا]، ثمَّ يُفْتحُ له بابٌ من الجنَّةِ،وبابٌ من النَّارِ، فيقالُ كذا هذا منزلُك لو عَصَيْتَ اللهَ، أبْدلكَ اللهُ به هذا، فإذا رأىٰ ما في الجنَّةِ، قال: ربِّ، عجِّل قِيامَ السَّاعةِ؛ أرجعُ إلىٰ أهلي ومالي، [فيقال له: اسكُن].

قال:وإنَّ العَبدَ الكافر [وفي رواية:الفاجرَ] إذا كان في انقطاعٍ من الدُّنيا، وإقبالٍ من الآخرةِ ـ نزلَ إليه من السماء ملائكةٌ [غِلاظٌ شِدادٌ]، سُودُ الوُجُوه، معهمُ المسُوح [من النَّارِ]، فَيَجْلسون منه مدَّ البصرِ، ثمَّ يجيء مَلكُ الموتِ، حتىٰ يجلسَ عند رأسِهِ، فيقولُ: أيَّتُها النُّفسُ الخبيثةُ، اخرجي إلىٰ سخط من الله وغَضَبٍ. قال: فتغرَّقُ في جَسَدِهِ، فينتزعها كما ينتزعُ السَّفُّودُ [الكثير الشعبِ] من الصُّوف المبلول، [فتُقطعُ معها العروق والعصَبُ]،[فيلعنهُ كلُّ مَلكٍ بينَ السماء والأرض، وكلُّ ملكٍ في السماء، وتُغلقُ أبواب السماءِ، ليس من أهلِ بابٍ إلا وهم يَدْعون الله ألاَّ تعرُجَ روحُهُ مِنْ قِبَلِهِم]، فيأخذها، فإذا أخذها، لم يدعوها في يده طرفة عين، حتىٰ يَجْعَلُوها في تلك المُسُوحِ،ويَخرج منها، كأنتنِ ريحِ جِيفة وُجدتْ علىٰ وجهِ الأرض، فيصعدُون بها، فلا يمرُّون بها علىٰ ملإٍ من الملائكةِ إلا قالوا: ما هذا الرُّوحُ الخبيث؟ فيقولون فلانُ ابن فلانُ ـ بأقبح أسمائِهِ التي كانَ يُسَمَّىٰ بها في الدنيا ـ حتىٰ ينتهىٰ به إلىٰ السماء الدُّنيا، فَيُستفتحُ له، فلا يُفتَحُ له، ثمَّ قرأ رسول الله -ﷺ- : ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف:٤٠].

فيقولُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ: اكتبوا كتابَهُ في سجِّينٍ، في الأرضِ السُّفلَىٰ، [ثمَّ يُقالُ: أعيدوا عبْدي إلىٰ الأرضِ؛فإنِّي وعدتُهم أنِّىٰ منها خَلَقْتهُم، وفيها أُعيدُهم، ومن أُخرِجُهم تارةً أُخرىٰ]، فَتُطْرحُ روحُهُ [منَ السماءِ] طَرْحًا،[حتىٰ تقعَ في جَسَدهِ].

ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج:٣١].

فتُعادُ روحُهُ في جَسَدِهِ. [قال: فإنَّهُ لَيَسْمع خَفْقَ نِعَالِ أصحَابِهِ، إذا وَلَّوا عَنهُ]، يأتيه مَلَكانِ [شديد الانتهارِ، فَيَنْتَهِرانِهِ، و] يُجلسانِهِ، فيقولانِ له: مَنْ رَبُّكِ؟ ، [فيقول: هَاهٍ هَاه، لا أَدري. فَيَقُولانِ لهُ: ما دينُك؟ فيقولُ: هاهٍ هاهٍ، لا أدري].

فيقولانِ: فما تقولُ في هذا الرَّجُلِ الذي بُعثَ فيكم؟ فلا يهتدي لاسمِهِ، فيُقالُ: مُحمَّدٌ، فيقولُ: هاهٍ هَاهٍ، لا أدري، [سمعتُ الناسَ يقولون ذاك قال: فيُقالُ: لا دَرَيْتَ]، ولا تَلَوْتَ!]، فيُنادي مُنادٍ من السماء: أن كَذَبَ، فأفرشُوا له مِنَ النَّارِ، وافْتَحُوا له بابًا إلىٰ النارِ، فيَأتيهِ مِنْ حرِّها وسَمُومِها، ويُضَيَّقُ عليه قَبْرُهُ، حتَّىٰ تَخْتلِفَ فيه أضلاعُهُ، ويأتيهِ (وفي رواية: ويُمثَّلُ له) رجلٌ قبيحُ الوجهِ، قبيحُ الثِّيابِ مُنْتنُ الرِّيحِ، فيقولُ: أَبْشِرَ بالذي يَسُوءُك، هذا يومُكَ الذي كُنتَ تُوْعَدُ فيقولُ: [وأنتَ فَبَشَّرك اللهُ بالشَّرِّ] مَنْ أنتَ؟، فوجهُك الوجْهُ يجيءُ بالشَّرِّ! فيقولُ: أنا عملُك الخبيثُ، [فواللهِ، ما عَلِمتُ إلا كُنتَ بطيئًا عن طاعةِ اللهِ، سريعًا إلىٰ معصيةِ اللهِ]، فجزاك اللهُ شرًّا، ثمَّ يُقيَّضُ له أعمىٰ أصَمُّ أَبْكَمُ، في يدِهِ مِرْزَبَّةٌ، لو ضُرِبَ بها جبلٌ كان تُرابًا، فيضربُهُ ضَرْبةً، حتىٰ يَصيرَ بها تُرابًا، ثمَّ يُعيدُهُ اللهُ كما كان، فيضربُهُ ضربةً أُخرىٰ، فيصيحُ صيحةً، يسمعُهُ كلُّ شيءِ إلا الثَّقَلَينِ، ثمَّ يُفْتَحُ له بابٌ من النارِ، ويُمَهَّدُ مَن فُرُشِ النارِ]، فيقولُ: ربِّ، لا تُقِمِ السَّاعةَ»

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية:

القبرُ أوَّلُ منازِلِ الاخرةِ

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين.

أمَّا بعدُ، أيُّها الناسُ، إنَّ عذاب القبرِ، ونعيمَهُ ثابتٌ بالكتابِ والسُّنةِ، فيجبُ علينا الإيمانُ بذلك.

قال الإمام أبو جَعفر الطَّحاويُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في شرح الطحاوية[١]: «قد تواترت الأخبارُ عَنْ رسولِ -ﷺ- في ثُبوتِ ذلك، والإيمانُ به، ولا تتكَّلمْ في كيفيَّتِهِ؛ إذ ليس للعَقْلِ وقوفٌ علىٰ كيفيَّتِهِ؛ لكونِهِ لا عَهْدَ له به في هذه الدَّارِ، والشَّرعُ لا يأتي بما تُحيلُهُ العُقولُ، فإنَّ عَوْدَةَ الرُّوحِ إلىٰ الجَسدِ ليس علىٰ الوَجْهِ المَعْهُودِ في الدُّنيا، بل تُقادُ الرُّوحُ إليه إعادةً غيرَ الإعادِةِ المألوفِة في الدُّنيا».

أيُّها الناسُ، ألا ما أفظعَ عَذابَ القَبْرِ!: فقد أخرج ابن ماجةَ بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في صحيح ابن ماجَهْ[٢] مِنْ حَدِيْثِ هانئ مولىٰ عُثمان قال: كان عُثمانُ بن عفَّانَ ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- إذا وقفَ علىٰ قبر بكىٰ، حتىٰ يُبلَّ لحيتَهُ، فقيل له: تذكرُ الجنَّة والنَّارَ فلا تبكي، وتذكرُ القبرَ فتبكِّي؟! فقال: إني سمعتُ رسول اللهِ -ﷺ- يقولُ: «**القَبرُ أوَّلُ منازلِ الآخرة، فإنْ نَجا مِنْهُ فما بَعْدَهُ أَيْسَرُ منه، وإنْ لم يَنْجُ منه فما بَعْدَهُ أشَدُّ منه**». قال: وسمعتُ رسول الله -ﷺ- يقولُ: «**ما رأيتُ مَنظرًا ـ قطَّ ـ إلاَّ والقبرُ أَفظعُ منهُ**».

(١) « شرح الطحاوية» (ص٤٥٠) .
(٢) أخرجه ابن ماجَهْ في «سُننه» (٤٢٦٧)، وصححه الألباني في «صحح سُنن ابن ماجَهْ» (٣٤٤٢).

أيَّها الناسُ، لقد ضجَّ الصحابةُ بالبكاءِ وهم خيرُ القرونِ حين قام رسول الله -ﷺ- فيهم خطيبًا، مذكِّرًا، لهم بفتنة القبر.

ففي «صحيح البخاري»، و«سُنن النسائي»[1] مِنْ حَدِيْثِ أسماء بنتِ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قالت: «قام رسولُ الله -ﷺ- خطيبًا، فذكر فتنةَ القَبْرِ، التي يَفْتتِنُ مِنها المَرْءُ، فلمَّا ذَكَرَ ذلك ضجَّ المسلون ضجَّةً» وزاد النسائيُّ: «حَالت بَيْني وبَينَ أنْ أَفْهَمَ كلامَ رسولِ الله -ﷺ، فلمَّا سكنتْ ضَجَّتُهم، قلتُ لرجلٍ قريبٍ مني: أي بارك اللهُ لك، ماذا قال رسول الله -ﷺ- آخِرَ قَوْلِهِ؟ قال: «**قد أُوحيَ إليَّ أنَّكم تُفتنون في القُبُورِ قريبًا مِنْ فِتْنةِ الدَّجَّالِ**».

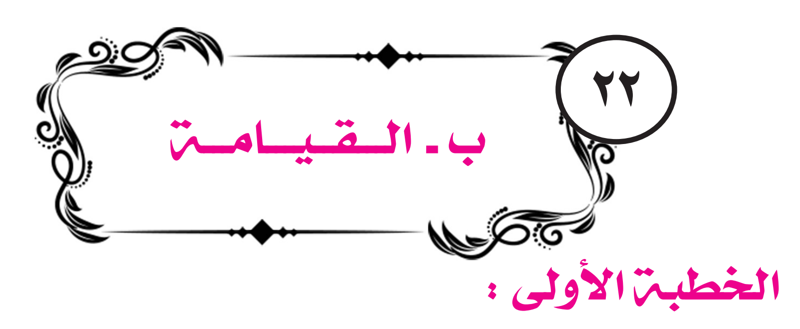
أيَّها الناسُ، استعيذوا بالله من عذاب القبرِ، فإنَّ النبي -ﷺ- كان يستعيذُ باللهِ مِنْ عذابِ القبرِ دُبُرَ كلِّ صلاةٍ.

ففي «صحيح البخاري»[2] مِنْ حَدِيْثِ أُمِّ المُؤمنين عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-: أنَّ يَهُوديَّةَ دخلتْ عليها، فذكرتْ عذابَ القبرِ، فقالتْ لها: أعاذكِ اللهُ مِنْ عذابِ القبرِ! فسألتْ عائشة رسولَ اللهِ -ﷺ- عَنْ عذابِ القَبْرِ، فقال: «**نعم، عذابُ القبرِ حَقٌّ**» قالت: عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- : «فما رأيتُ رسولَ اللهِ -ﷺ- بعدُ صلىٰ صلاةً إلا تعوَّذَ مِنْ عَذابِ القَبْرِ».

اللهمَّ إنَّا نعوذُ بك من عذاب القبرِ، اللهمَّ إنَّا نعوذُ بك من عذابِ القبرِ، اللهمَّ إنَّا نعوذُ بك من عذابِ القَبْرِ.

اللهمَ إنَّا نعوذُ بك من العَجزِ والكَسَلِ، الجُبنِ، والهَرَمِ، والبُخلِ، ونعوذُ بك من عذابِ القبرِ، ومِنْ فِتنةِ المحيا والممات.

(١) رواه البخاري (١٣٧٣)، وسُنن النَّسائيُّ (٢٠٦٢).
(٢) صحيح البخاري (١٣٧٢) .



٢٢ ب- القيامة

الخطبة الأولى:

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيِّئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلا مُضلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إلاَّ الله وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد -ﷺ-، وشرَّ الأُمور مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّار.

أمَّا بعدُ أيّها الناسُ، إنَّ الإيمانَ بيومِ القيامةِ - من أُصولِ الإيمان، فيومُ القيامةِ هو اليوم الآخرُ، الذي لا يتمُّ إيمان المَرءِ المُسلم إلاَّ به[1].

قَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

---

(١) انظر: «اليوم الآخر القيامة الكبرىٰ» للشيخ عمر بن سليمان الأشقر، فقد استفدت منه كثيرًا.

وفي «الصحيحين»[(١)] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في حديثِ جبريلَ الطَّويلِ، وسُؤالِهِ النَّبيَّ -ﷺ- عن الإيمان، بَعدَ أنْ سألَهُ عن الإسلامِ، قال: أخبرني عن الإيمان؟ فقال: «**أنْ تُؤْمِنَ باللهِ، وملائكتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، واليومِ الآخرِ، وتُؤمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ**».

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ الساعةَ آتيةٌ لا مَحالةَ، وذلك يومَ يُنْفخُ في الصُّورِ، فتُنْهي هذه النَّفْخةُ الحياةَ في الأرضِ والسماءِ.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر:٦٨].

وهي ـ أيُّهَا النَّاسُ ـ نفخةٌ هائلةٌ مُدمِّرةٌ يسمعُها المَرْءُ، فلا يستطيع أن يُوصيَ بشيءٍ، ولا يقدِرُ علىٰ العودةِ إلىٰ أهلِهِ.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [يس: ٤٩ ـ ٥٠].

وَفِي «صَحِيْح البُخَارِيّ»[(٢)] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قال رسولُ اللهِ -ﷺ-: «**ولَتقُومنَّ الساعةُ، وقد نَشَر الرَّجُلانِ ثَوْبَهُما بَيْنَهما، فلا يَتَبايَعانِهِ، ولا يطويانِهِ، ولَتقُومنَّ الساعةُ، وقد انصرفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَته، فلا يَطْعَمُهُ، ولَتقُومنَّ الساعةُ، وهو يُليطُ حَوْضَهُ، فلا يَسْقي فيهِ، ولَتقُومنَّ الساعةُ، وقدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إلىٰ فِيهِ، فلا يَطْعَمُها**».

إنَّ هذا الحديثَ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ ليُبيِّنُ لنا بجلاءٍ سُرْعَةَ هلاكِ النَّاسِ، حِينَ تقومُ الساعةُ.

والصُّورُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ: قرنٌ يُنْفَخُ فيه، كما أخبرنا بذلك النَّبيُّ -ﷺ- ، ففي

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) رواه البخاري (٧١٢١) واللفظ له، ومسلم (٢٩٥٤).

«مُسند أحمـــد»، و«سُنن الترمــذي»،وحسنه الألباني[1] مِنْ حَدِيْثِ عبد الله بن عمرو -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قال: «جاء أعرابيٌّ إلىٰ النبيِّ -ﷺ- فقال: ما الصُّورُ؟ قال: «**الصُّورُ: قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيْهِ**».

وقد أخبرنا الرَّسولُ ـ ﷺ ـ أنَّ صاحبَ الصُّورِ مُسْتعد دائمًا للنفخِ فيه، مُنذُ أن خَلَقَهُ اللّه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-

فقد أخرج الحاكم في «مُستدركه» بسندٍ صحيح،ووافقه عليه الذهبيّ، والألباني في «الصحيحة»[2] مِنْ حَدِيْثِ أبي هُريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**إنَّ طَرْفَ صاحبِ الصُّورِ ـ مُنذُ وُكِّلَ به ـ مُستعدٌّ، ينظرُ نحو العرشِ مخافةَ أن يُؤمرَ قبلَ أن يَرْتَدَّ إليه طَرْفُهُ، كأن عَيْنَيْهِ كوكبانِ دُرِّيَّانِ**».

وفي هذا الزَّمان ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أصبح إسْرافيلُ أكثرَ استعدادًا للنَّفخِ في الصُّورِ

فقد أخرج الترمذي في «سُننه» بسندٍ صحيحٍ، صححه الألباني في «الصحيحة» لشواهدِهِ[3] مِنْ حَدِيْثِ أبي سعيد الخدريِّ ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**كيف أَنْعَمُ، وقدِ التقَمَ صاحبُ القَرْنِ القَرنَ، حَنَىٰ جَبْهَتَهُ، وأَصْغَىٰ سَمْعَهُ، يَنْتظرُ أَنْ يُؤمَرَ أَنْ يَنْفُخَ، فَيَنْفُخ**».

قال المسلمون: فكيف نقولُ يا رسول الله؟، قال: «**قولوا: حسْبُنا اللهُ، ونِعْمَ الوكيلُ، وتوكَّلنا علىٰ الله ربِّنا**».

اليومُ الذي تكونُ فيه النَّفخةُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ هو يومُ الجُمُعةِ:

ففي «صحيح مسلم»[4] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-:«**خيرُ يومٍ طَلَعَتْ عليه الشمسُ يومُ الجُمُعةِ: فيه خُلِقَ آدمُ،**

(١) رواه أحمد والترمذي ، وقال الألباني في «الصحيحة» (١٠٨٠) : حسن صحيح .
(٢) أخرجه الحاكم في «المُستدرك» ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٨٧) .
(٣) أخرجه الترمذي (١/ ٧٠/ ٣١٦) ، وصححه الألباني لشواهده في «الصحيحة» (١٠٧٩).
(٤) رواه مسلم (٨٥٤) .

وفيه أُدْخِلَ الجنَّةَ، وفيه أُخْرِجَ منها، ولا تقومُ السَّاعةُ إلاَّ يومَ الجُمُعةِ».

وفي كُلِّ يومِ جُمُعةٍ تكونُ المَخلوقات كُلُّها خائفةً مُشْفِقة إلاَّ الجنَّ والإنس

ففي «سُنن أبي داود» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح سُنن أبي داود»[1] ، مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «خَيْرُ يوم طَلَعَتْ فيه الشَّمسُ يومُ الجُمُعةِ: فيه خُلِقَ آدمُ، وفيه هَبَطَ، وفيه تِيبَ عليه، وفيه مات، وفيه تقومُ السَّاعةُ، وما مِنْ دابَّةٍ إلاَّ وهي مُصِيْخَةٌ (أي مُنتظرة قيامَ الساعةِ) يومَ الجُمُعةِ، مِنْ حِيْنِ تُصْبِحُ، حتىٰ تَطْلُعَ الشَّمسُ شفقًا من السَّاعةِ إلاَّ الجنَّ والإنسَ».

والذي يظهرُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أنَّ إسرافيل يَنْفخ في الصُّورِ مرَّتين: الأولى يحصلُ بها الصَّعقُ، والثانيةُ يَحصُلُ بها البَعْثُ:

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾ [الزمر: ٦٨].

وسمَّىٰ اللهُ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-النَّفخةَ الأولىٰ بالرَّاجفةِ،والنَّفخة الثانية بالرَّادفةِ ، قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ [النازعات: ٦، ٧].

وبعدَ النَّفخةِ الثانيةِ يقومُ الناسُ لربِّ العالمين.

ففي «صحيح مسلم»[2] مِنْ حَدِيْثِ عبد الله بن عمرو-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «ثمَّ يُنْفَخُ في الصُّور، فلا يَسْمَعُهُ أحَدٌ إلاَّ أصغىٰ ليتًا، ورفع ليتًا، قال: وأوَّلُ مَنْ يسمعُهُ رجلٌ يَلُوطُ حَوضَ إبلهِ - قال: فَيَصْعَق،

---

(١) رواه أبو داود (١٠٤٦)، وصححه الألباني في «صحيح سُنن أبي داود » (٩٢٤) ، وقال الألباني في المشكاة (١٣٥٩) : حسن صحيح .
(٢) رواه مسلم (٢٩٤٠) .

ويَصْعَقُ الناسُ، ثمَّ يُرسلُ اللهُ - أو قال: **يُنْزِلُ اللهُ مطرًا، كأنَّه الطَّلُّ أو الظلُّ،** (نعمان أحدُ رواةِ الحديثِ هو الشاكُّ) **فَتَنْبُت منه أجسادُ الناسِ، ثمَّ يُنْفَخُ فيه أُخرىٰ، فإذا هم قيامٌ يَنْظَرون**».

والإنسانُ - أيَّها الناسُ - يتكونُ من عظْم صغيرٍ، عندما يُصيبُه الماءُ ينمُو نُمَّو البَقْلِ العظمُ عَجْبُ الذَّنبِ، وهو عظمُ الصُّلبِ المُستديرُ الذي في أصلِ العَجُزِ، وأصلِ الذَّنبِ.

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[1] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**ما بَيْنَ النَّفْخَتَينِ أَرْبَعُونَ، ثمَّ يَنْزِلُ من السماءِ ماءٌ، فَيَنْبُتُونَ كما ينْبُتُ البَقْلُ، وليس في الإنسانِ شيءٌ إلاَّ بلِيَ إلاَّ عظمٌ واحدٌ، وهو عَجْبُ الذَّنبِ، منهُ يركَّبُ الخلقُ يومَ القيامةِ**».

وفي لفظ مسلم: «**إنَّ في الإنسان عَظْمًا، لا تَأكُلُهُ الأرضُ أبدًا، فيه يُرَكَّبُ يومَ القيامةِ**» قالوا: أيُّ عظمٍ هو يا رسولَ اللهِ؟ قال: «**عَجْبُ الذَّنَبِ**».

وأول من يُبْعَثُ وتنشقُّ عنه الأرض - أيَّها الناس - هو نبيّنا محمّدٌ - ﷺ -.

ففي «صحيح مسلم»[2] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**أنا سيِّدُ ولدِ آدمَ يومَ القيامةِ، وأوَّلُ مَن ينشقُّ عنهُ القَبْرُ، وأوَّلُ شافعٍ، وأوَّلُ مُشَفَّعٍ**».

ويُحْشَرُ العبادُ - أيُّهَا النَّاسُ - حُفَاةً عُراةً غُرْلاً (أي غير مختونين).

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[3] مِنْ حَدِيْثِ ابن عباسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قال: خَطَبَ رسولُ اللهِ -ﷺ- فقال: «**يأيُّها الناسُ، إنكم مَحْشُورون حُفَاةً عُراةً غُرْلاً**» ثمَّ

---

(١) رواه البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥).
(٢) رواه مسلم (٢٢٧٨).
(٣) رواه البخاري (٤٦٢٦)، ومسلم (٢٨٦٠).

قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

قال ابن عُثيمين ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : «وما يدخلُ في الإيمان باليوم الآخرِ البَعْثُ، فالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- يَبْعثُ الأجسادَ يومَ القيامةِ حُفاةً عراةً غُرْلاً.

حُفاةً: ليس عليهم نعالٌ ولا خِفاف (أي ليس عليهم لباسُ رِجْلٍ).

عُراةً: ليس عليهم لباسُ بَدَن. غُرلاً: أي غيرَ مختونين.

وفي بعض الأحاديث: (بُهْمًا): أي: ليس معهم مالٌ، بل كُلُّ واحدٍ وَعَملُهُ، والبعثُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ هُنا إعادةٌ، وليس تجديدًا، كما قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ﴾ [يس:٧٨، ٧٩].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

ولأنه لو كان خلقًا جديد،لكان الجسدُ الذي يعملُ السَّيئات في الدُّنيا سالِمًا من العذابِ، ويُؤْتَىٰ بجسدٍ جديدٍ فيُعَذَّبُ،وهذا خلافُ العدْلِ، فالنَّصُّ والعَقْلُ قدْ دلاَّ علىٰ أنَّ البَعْثَ ليس تجديدًا، ولكنَّه إعادةٌ.

ولكنْ يبقى النظرُ، كيف تكونُ إعادته، والإنسان ربَّما يموتُ، فتأكلُهُ السِّباعُ، ويتحوَّلُ من اللَّحمِ إلىٰ الدَّمِ في الحيوانِ الآكل، وَرَوثٍ، وما أشبَهَ ذلك؟! ، فيُقالُ: إنَّ اللهَ علىٰ كُلِّ شيءٍ قديرٌ، يقولُ للشيء كُنْ فيكونُ، فيأمرُ اللهُ هذهِ الأجسادَ، التي تفرَّقتْ، وأُكِلتْ، وطارتْ بها الرِّياحُ ـ أنْ تعودَ فتعودُ»[1] .

والأرضُ التي يُحشَرُ عليها الناسُ يومَ القيامةِ أرضٌ أُخرى غيرُ هذه الأرض.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم: ٤٨].

---

(١) «دروس وفتاوىٰ في الحرم المكِّي» لابن عثيمين (ص٢٢٥-٢٢٦) .

وفي «الصحيحين»[١] مِنْ حَدِيْثِ سَهل بن سعدٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: سمعتُ رسول اللهِ -ﷺ- يقولُ «**يُحْشَرُ النَاسُ يومَ القيامةِ علىٰ أرضٍ بيضاءَ عَفْراءَ، كقُرْصةِ النَّقِيِّ ـ قال سهلٌ أو غيْرُهُ:ـ ليس فيها مَعْلَمٌ لأحدٍ**»

ومعنىٰ عَفْراءَ: أي: خالصةُ البَياضِ ومعنىٰ النقيِّ: أي الدّقيقُ.

ومعنىٰ المَعْلَم: أي: العلامةُ التي يُهْتَدَىٰ بها إلىٰ الطريق.

وأفادنا الرَّسولُ -ﷺ- أنَّ الوقتَ الذي يتم منه هذا التبديلُ هو وقتُ مُرورِ الناسِ علىٰ الصراطِ، أوقَبلَ ذلك بقليلٍ.

ففي «صحيح مسلم»[٢] مِنْ حَدِيْثِ عائشة-رَضِي اللهُ عَنْهَا- قالتْ: سألتُ رسولَ اللهِ -ﷺ- عن قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]. فأين يكونُ الناسُ يا رسولَ اللهِ؟ قال: «**علىٰ الصِّراط**».

وفي «صحيح مسلم» ـ أيضًا ـ[٣] مِنْ حَدِيْثِ ثوبانَ أنَّ حَبْرًا من أحبار اليهودِ سأل رسولَ اللهِ -ﷺ- فقال: أين يكونُ الناسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسمواتُ؟ فقال رسول اللهِ -ﷺ-: «**هُمْ في الظُّلمَةِ دُوْنَ الجِسرِ**». والمرادُ بالجِسْرِ: الصِّراط.

وأستغفر الله.

---

(١) رواه البخاري (٦٥٢١)، ومسلم (٢٧٩٠).
(٢) رواه مسلم (٢٧٩١).
(٣) رواه مسلم (٣١٥).

الخطبة الثانية:

أهـوال يـوم القيامة

الحمد لله ربِّ العالمين،والصلاةُ والسَّلامُ علىٰ أشرفِ المُرْسلينَ، وعلىٰ آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

أمَّا بعدُ،

أيَّها الناسُ، تقدَّم الحديثُ حولَ النَّفخِ في الصُّورِ، والبَعْثِ والنَّشُورِ، والآن حديثي معكم عن بَعْضِ أهوالِ يوم القيامةِ.

أيُّها النَّاسُ، يومُ القيامةِ يومٌ عظيمٌ أَمْرُهُ شديدٌ هَوْلُه، لا يُلاقي العبادُ مِثْلَه، فالمُرْضعةُ تَذْهلُ عن وليدِها، والحامل تضعُ حَمْلَها، وحالُ الناسِ كحالِ السكارىٰ الذين فقدوا عُقُولَهُم.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعالَىٰ- : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحج: ١، ٢].

وأخبرنا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعالَىٰ- أنَّ أرضنا الثابتةَ، وما عليها من جبالٍ صُمٍّ راسيات ـ تُحْمَلُ يومَ القيامةِ، عندما يُنْفَخُ في الصُّورِ، فتُدكُّ دَكَّةً واحدةً .

قال -سُبْحَانَهُ وَتَعالَىٰ- : ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝١٤ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١٥﴾ [الحاقة: ١٣، ١٥].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ٢١﴾ [الفجر: ٢١].

وعندَ ذلك - أيُّهَا النَّاسُ - تتحولُ هذه الجبالُ الصلبةُ القاسيةُ إلى رَمْلٍ ناعمٍ، كما قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا ١٤﴾ [المزمل: ١٤].

وفي يوم القيامةِ تُزالُ الجبالُ من مواضعِها، وتُسوى الأرضُ، حتىٰ لا يكونَ مُوضعٌ مُرْتَفِعٌ، ولا مُنْخَفِضٌ ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ﴾ [الكهف:٤٧].

ومعنىٰ بارزة: أي ظاهرة،لا ارتفاع فيها، ولا انخِفاضَ .

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا ١٠٧﴾ [طه: ١٠٥ - ١٠٧].

وأمَّا البِحارُ - أيَّها الناسُ - فإنَّها تُفجَّرُ في ذلك اليوم، فإذا فُجِّرتْ تُسْجَرُ وتشتعلُ نارًا.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ٣﴾ [الانفطار:٣].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ٦﴾ [التكوير:٦].

وأمَّا السماءُ الجميلةُ - أيُّهَا النَّاسُ - فإنَّها تَنفطرُ وتتشقَّقُ،وتَمُورُ مَورانًا.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ٢﴾ [الانشقاق: ١، ٢].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١﴾ [الانفطار: ١].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ٩﴾ [الطور: ٩].

وأمَّا الشمسُ - أيُّهَا النَّاسُ - فإنَّها تُجْمعُ وتُكورُ، ويذْهبُ ضَوْءها.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١﴾ [التكوير:١].

وأمّا القمرُ فإنّه يَخسِفُ، ويَذهَبُ ضَوءُه.

قَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- : ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾﴾ [القيامة:٧، ٨].

وأمّا النجوم فإنَّ عِقدَها يَنفرِطُ، فتتناثرُ وتنكدِرُ.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾﴾ [الانفطار:٢].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾﴾ [التكوير: ٢].

أيُّها الناسُ ذلك بعضٌ ممّا جاء في وَصفِ القيامةِ.

وممّا قيل في وَصْفِ ذلك اليوم العظيم مِنَ الشِّعْرِ:

مَـثِّـلْ لِنَفْسِكَ أَيُّـهَـا المغرورْ ... يَـوْمَ الْقِيَامَةِ وَالـسَّـمَـاءُ تَمُورْ

إِذَا كُوِّرَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وَأُدْنِيَتْ ... حَتَّىٰ عَلَىٰ رَأْسِ الْعِبَادِ تَسير

وَإِذَا النُّجُومُ تَسَاقَطَتْ وَتَنَاثَرَتْ ... وَتَـبَـدَّلَـتْ بَعْدَ الضِّيَاءِ كُـدُورْ

وَإِذَا البحَارُ تَفجَّرت مِنْ خَوفِهَا ... وَرَأَيْـتَـهَـا مِثْلَ الجَحْيم تَفُورُ

وَإِذَا الْجِبَالُ تَقَلَّعَتْ بِإِصُولِهَا ... فَرَأَيْتَهَا مِثْلَ السَّحَابْ تَسِيرْ

وَإِذَا الْعِشَارُ تَعَطَّلَتْ وتخربت ... خِلْتَ الـدِّيَـارَ فَمَا بِهَا مَعْمُورْ

وَإِذَا الْوُحُوشُ لَدَىٰ الْقِيَامَةِ أُحْشِرَتْ ... وَتَـقُـولُ لِـلأَمْـلاكِ أَيْـنَ نَسِيرْ

وَإِذَا تُقَاةُ المُسلمينَ تَزَوَّجَتْ ... مِـنْ حُـور عِيْنٍ زَانَـهُـنَّ شُعورُ

وَإِذَا المَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ عَنْ شَأْنِهَا ... وَبِـأَيِّ ذَنْـبٍ قَتْلُهَا ميسُورُ

وَإِذَا الْجَلِيلُ طَوَىٰ السَّمَا بِيَمِينِه ... طَـيَّ السِّجِلِ كِتَابَهُ الْمَنْشُورْ

وَإِذَا الصَّحَائِفُ نُشِّرَتْ وَتَطَايَرَتْ ... وَتَـهَـتَّـكَـتْ لِلْعَالَمِينَ سُتُورْ

وَإِذَا السَّمَاءُ تَكَشَّطَتْ عَنْ أَهْلِهَا ... وَرَأَيْـتَ أَفْـلاَكَ السَّمَاءِ تَـدُورُ

وَإِذَا الجَحِيمُ تَسَعَّرَتْ نِيرَانُهَا ... وَلَهَا عَلَىٰ أَهْلِ الذُّنُوبِ زَفِيرْ
وَإِذَا الجِنَانُ تَزَخْرَفَتْ وَتَطَيَّبَتْ ... لِفَتًى عَلَىٰ طُولِ الْبَلاءِ صَبُورْ
وَإِذَا الجَنِيْنُ بِأُمِّهِ مُتَعَلِّقٌ ... يَخْشَىٰ الْقِصَاصَ وَقَلْبُهُ مَذْعُورْ
هَذَا بِلا ذَنْبٍ يَخَافُ جِنَايَةً ... كَيْفَ الْمُصِرُّ عَلَىٰ الذُّنُوبِ دُهُورْ

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾

[البقرة: ٢٠١].

اللهمَّ أصلحْ لنا دينَنا الذي هو عِصْمَةُ أَمْرِنا، وأصلحْ لنا دنْيانا التي فيها مَعَاشُنا،وأصلحْ لنا آخِرَتَنا التي فيها مَعَادُنا، واجعلِ الحياةَ زيادةً لنا في كُلِّ خيرٍ، واجعلِ المَوْتَ راحةً لنا من كُلِّ شرٍّ.



الخطبة الأولى :

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُور أَنْفُسنا، ومِنْ سَيِّئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد -ﷺ-، وشرَّ الأُمور مُحْدَثاتُها، وكل مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكَلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّار.

أمّا بَعْدُ،

أيُّها الناسُ، حديثي معكم اليوم عَنْ حالِ عُصاةِ المُؤمنين يومَ القيامةِ .

وقبل الحديث أُنَبِّه إلى ما قرَّرَهُ أهلُ السُّنَّة والجماعة أنَّه لا يجوزُ تكفيرُ أَحَدٍ مِنْ أهل القِبْلَةِ بذنبٍ يرتكبُه، إلا مَنْ جاء تكفيرُهُ بالكتابِ والسُّنَّةِ، وقامتْ

عليه الحُجَّةُ، وانتفتْ في حقِّهِ عَوَارِضُ الإكراهِ، أو الجَهْلِ، أو التَّأويل، ممَّا يَسُوغُ فيه ذلك، كما أنه لا يجوزُ الشَّكُّ في كُفْرِ مَنْ حَكَمَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ، أو رسولُهُ -ﷺ- بكُفْرِهِ من المشركين، واليَهُودِ، والنَّصارىٰ، وغيرهم .

ومن هُنا يُعْلَمُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أنَّ أَهَلَ التوحيدِ الذين لم يُشركوا بالله شيئًا، ولم يأتُوا بناقضٍ من نواقض الإسلام، ولكن اقترفوا ما اقترفوه من الذُّنوبِ والمعاصي ـ هم بذلك تحتَ مشيئةِ الله: إنْ شاءَ عذَّبهم، وإن شَاءَ غَفَرَ لهم ، كما قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

أَيُّها الناسُ، إنَّ من الناسِ مَنْ قارف ذُنوبًا، تُوقعُهُ في أهوالٍ ومشقَّاتٍ يومَ القيامةِ، لكنَّها لم تُوجِبْ لهمُ الخُلُود في النَّارِ، إنْ دَخَلُوها.

أَيُّها الناسُ، لقد دلَّتْ نُصُوصُ الكتابِ والسُّنَّةِ أنَّ عُصاةَ المُؤمنين الذين لم يتوبوا من تلك المعاصي ـ مُدْرِكُهُمُ البلاءُ في ذلك اليومِ العظيمِ،فمن ذلك:[1]

حال المُتكاسل عَنِ الصَّلاةِ والمُتَهاونِ بها:

أَيُّها الناسُ، ليس مقصودنا الحديث عَنْ تاركِ الصَّلاةِ، فذلك قد كفَّره جمْعٌ من أهل العلمِ ـ وهو الصحيح ـ لما في «سُنن التِّرمذي، والنسائي» بسند صحيح[2] مِنْ حَدِيْثِ بُرَيْدَةَ ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**العَهْدُ الذي بَيْنَنا وبَينَهُمُ الصَّلاةُ، فَمَنْ تركها فَقَدْ كَفَرَ**».

ولما في «صحيح مسلم»[3] مِنْ حَدِيْثِ جابرٍ ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**إنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وبَيْنَ الشِّرْكِ والكُفْرِ تَرْك الصَّلاةِ**».

(١) انظر : « من أحوال الناس بعد الموت » (ص ٢٧-٢٨) .
(٢) تقدم تخريجه .
(٣) رواه مسلم (٨٢) .

وإنما حديثُنا معكم ـ أيَّها الناسُ ـ عن حالِ المُتهاونِ بالصَّلاةِ بتأخيرها عَنْ وقتِها، أو النوم عنها، أو التقصير في أدائِها علىٰ الوَجْهِ المأمور به، فذلك مُتَوَعَّدٌ بالعقاب؛ لما في «صحيح البخاري»[1] مِنْ حَدِيْثِ سَمُرَةَ بن جُندبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في حديثِ المنام الطَّويل،وفيه قولُهُ -ﷺ-: «**وإنَّا أَتينا علىٰ رَجُلٍ مُضْطَجع، وإذا آخَرُ قائمٌ عليه بصَخْرةٍ،وإذا هو يَهْوي بالصَّخْرةِ لرأسِهِ، فَيَثْلغُ رَأسَهُ** (أي يَشْدَخُهُ ويَشُقُّهُ)، **فيَتَدَهْدَهُ** (أي يَتَدَحْرَجُ) **الحجرُ هَاهُنا، فيَتْبعُ الحَجَرَ، فيأخذُهُ، فلا يَرْجعُ إليهِ، حتَّىٰ يصح رَأسُهُ كما كان، ثم يعُودُ عليه، فيَفْعلُ بِهِ مِثْلَ ما فَعلَ به المرَّةَ الأولىٰ**» ، وجاء في تفسيرِهِ أنَّه: «**الرَّجُلُ يأخذُ القرآنَ، فيرفُضُهُ، وينامُ عَنِ الصلاةِ المكتوبةِ**»

وأمَّا حالُ مانعِ الزَّكاةِ:

فإنَّه يُعذَّبُ بمالِهِ يوم القيامةِ، فإنْ كان مالُهُ من الذَّهبِ والفِضَّةِ؛ جُعِلَ صَفائحَ من نارٍ، ثمَّ عُذِّب به صاحبُهُ، وإن كان المالُ حَيوانًا، أُرسِل علىٰ صاحبِهِ، فعُذِّبَ به.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة:٣٤، ٣٥].

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ»[2] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-:«**مَنْ آتاه اللهُ مالاً، فلم يُؤَدِّ زكاته، مُثِّلَ لهُ يَوْمَ القيامةِ شُجاعًا أقْرعَ** (أي الحيَّةَ الذَّكَرَ المُتساقِط شَعْرُ رأسِهِ لكِثرةِ سُمِّه)، **له زَبيبتانِ** (أي نُقطتانِ سَوْدَاوانِ فوقَ عَيْنَيْهِ) **يُطَوَّقُهُ يومَ القيامةِ، ثمَّ يأخذُ بلهزميهِ** ـ يعني

(١) رواه البُخاري (٧٠٤٨) .
(٢) رواه البُخاري (١٤٠٣) .

شِدْقَيْهِ ـ ثمَّ يقولُ: أنا مالُكَ أنَا كَنْزُكَ، ثمَّ تلاَ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وفي «صحيح مسلم»[(١)] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما مِنْ صاحبِ ذهب ولا فِضَّةٍ لا يُؤَدِّي منها حقَّها ـ إلاَّ إذا كانَ يَوْمُ القيامةِ، صُفِّحَتْ له صفائحُ من نارٍ، فأُحمي عليها في نار جهنَّمَ، فيُكْوىٰ بها جَنْبُهُ، وجَبِينُهُ، وظَهْرُهُ، كُلَّما بَرُدتْ أُعيدَتْ عليه، في يوم كان مِقْدارُهُ خمسين ألفَ سنةٍ، حتىٰ يُقضَىٰ بَيْنَ العِبادِ، فَيَرىٰ سبيلَهُ: إمَّا إلىٰ الجنَّةِ، وإمَّا إلىٰ النَّارِ».

قيل: يا رسول اللهِ، فالإبلُ؟ ، قال: «ولا صاحب إبلٍ لا يُؤَدِّي منها حقَّها ـ ومِنْ حقِّها حَلْبُها يومَ وِرْدِها ـ إلاَّ إذا كان يومُ القيامةِ، بُطِحَ لها بقاعٍ قَرْقرٍ (أي بُسطَ لها بصَحْراءَ مُستويةٍ) أوفَرَ ما كانتْ، لا يَفْقدُ منها فصِيلاً واحدًا (والفصيلُ: ولدُ النَّاقةِ، إذا فُصِلَ عن أمهِ) تطؤُهُ بأخفافِها، وتَعَضُّه بأفواهِها، كُلَّما مرَّ عليه أُولاها، رُدَّ عليه أُخْرَاها، في يوم كان مِقدارُهُ خمسين أَلفَ سنةٍ، حتىٰ يُقضىٰ بينَ العبادِ، فيَرَىٰ سبيلهُ: إمَّا إلىٰ الجنَّةِ، وإمَّا إلىٰ النَّارِ» .

قيل: يا رسول الله، فالبقرُ والغنمُ؟ ، قال: «ولا صاحب بَقرٍ، ولا غنمٍ لا يُؤَدِّي منها حقَّها، إلاَّ إذا كان يومُ القيامةِ، بُطح لها بقاعٍ قرْقرٍ، لا يَفقِدُ منها شيئًا، ليس فيها عَقْصَاءُ (أي مُلْتويةُ القَرنين)،ولا جَلْحَاءُ (أي التي لا قَرنَ لها) ولا عضباءُ (أي مكسُورةُ القَرْنِ)، تَنطحُهُ بقُرونِها، وتَطؤُهُ بأظْلافِها كُلَّما مرَّ عليه أولاها، ردَّ عليه أخراها، في يوم كان مقدارُهُ خمسين ألفَ سنةٍ، حتىٰ يُقضىٰ بَيْنَ العبادِ، فيرىٰ سبيلهُ: إمَّا إلىٰ الجنَّة، وإمَّا إلىٰ النَّارِ».

(١) تقدم تخريجه .

وأمَّا حالُ أكَلة الرِّبا: فقد وصفَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- حالَهُمْ بأنَّهم يُبعثون يومَ القيامةِ في حالٍ مُنكْرةٍ، فقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

أي إنهم لا يقومون من قبورهم ـ يومَ القيامة ـ إلا كما يقومُ المَصروعُ حالَ صَرعِهِ، وتخبُّطِ الشيطانِ له، وذلك أنه يقومُ قيامًا مُنْكَرًا.

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيّ»[1] مِنْ حَدِيْثِ سمرة بن جُندبٍ ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في حديث المنام الطويل، وفيه قولهُ -ﷺ-: «**فأتينا على نَهرٍ ـ** حسبت أنه كان يقول: **أَحمرَ مثلِ الدَّمِ ـ وإذا في النَّهرِ رجلٌ سابحٌ يسبحُ، وإذا على شطِّ النهر رجلٌ، قد جمَعَ عندَهُ حِجارةً كثيرةً، وإذا ذلك السَّابحُ لَيسْبحُ ما يَسْبَحُ، ثمَّ يأتي ذلك الذي قد جَمَعَ عندهُ الحِجارةَ، فيفغرُ له فَاهُ، فَيُلْقِمُهُ حجرًا، فينطلقُ يَسْبحُ، ثمَّ يَرجعُ إليه كُلَّما رجعَ إليه، فَغَر لهُ فاهُ، فألْقَمهُ حَجرًا**».

وذكر في تفسيره أنّه: «**آكل الرِّبا**».

قال ابن هبيرة ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ كما في «فتح الباري»[2] : «إنَّما عُوقِبَ آكل الرِّبا بسباحتِهِ في النَّهرِ الأحمرِ، وإلقامهِ الحجارةَ؛ لأنَّ أصل الرِّبا يجري في الذَّهب، والذَّهب أحمرُ، وأمَّا إلقامُ المَلك له الحَجرَ، فإنَّه إشارةٌ إلىٰ أنَّه لا يُغني عنه شيئًا، وكذلك الرِّبا، فإنَّ صاحبَهُ يتخيَّلُ أنَّ مالَهُ يَزْدَادُ، واللهُ مِنْ ورائِهِ يَمحقُهُ».

وأمَّا حالُ الزُّناةِ والزَّواني: فحالهم أشنعُ،

ففي «صحيح البخاري»[3] مِنْ حَدِيْثِ سمرة بن جُندبٍ ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في حديث المنامِ الطويلِ، إذ يقولُ -ﷺ-: «فأتَيْنا علىٰ مثْلِ التَّنُّورِ (وفي روايةٍ

(١) رواه البُخاري (٧٠٤٧).
(٢) «فتح الباري» (١٢/ ٤٤٥).
(٣) رواه البُخاري (٧٠٤٧).

له: أعلاه ضيِّقٌ، وأَسْفَلُهُ واسعٌ يَتوَقدُ تحتَهُ نارًا). قال: وأحسبُ أنَّه كان يقولُ: فإذا فيه لغطٌ وأصواتٌ ـ فاطَّلعنا فيه، فإذا فيه رجالٌ ونساءٌ عُراةٌ، وإذا هم يأتيهم لَهَبٌ مِنْ أسفل منهم، فإذا أتاهُم ذلك اللَّهبُ ضَوْضَوا (أي صاحوا)...» وجاء في تفسيرِهِ أنَّهم: «الزُّناة والزَّواني».

قال الحافظ ابن حجر ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ كما في «الفتح»[1] : مُناسبةُ العُري لهم لاستحقاقهم أن يُفضحوا؛ لأنَّ عادتَهُم أن يسْتتروا في الخلوةِ، فعُوقِبوا بالهَتكِ، والحكمةُ في إتيانِ العذابِ مِنْ تَحتِهِمْ كَونُ جِنايتهم مِنْ أعضائِهِمُ السُّفْلىٰ».

ـ وممَّا جاء في حال المُغتابين، والنمَّامين:

ما أخرج الإمام أحمد في «مُسندِهِ»، وأبو داود في «سُننه»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»[2] مِنْ حَدِيْثِ أنس بن مالكٍ ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**لمَّا عُرجَ بي، مَررتُ بقوم لهم أَظْفَارٌ مِنْ نُحاسٍ، يَخْمِشُونَ** (أي يَجْرحون) **وُجُوههُم وصُدُورَهُم، فقلتُ: مَنْ هؤلاء يا جبريلُ؟ قال: هؤلاء الذين يأكُلونَ لُحومَ الناسِ ويَقَعُونَ في أعْراضِهِمْ**»

ـ ومما جاء في حال الكذّابِ يوم القيامة:

ما أخرجه البخاري في«صحيحه»[3] مِنْ حَدِيْثِ سمُرة بن جُندبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عن النبي -ﷺ- في حديث المنام الطويل، قال: «**فأتينا علىٰ رجلٍ مُسْتَلقٍ لقَفَاهُ،وإذا آخرُ قائمٌ عليه بكلوبٍ مِنْ حديدٍ** (أي حديدة مُعْوَجَّةِ الرَّأسِ) **وإذا هو يأتي أحدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ،فيُشَرشِرُ** (أي يُقطِّعُ) **شِدقهُ** (أي زاوية فمِهِ) **إلىٰ قفاهُ،ومَنْخِرَهُ إلىٰ قفاهُ، وعَيْنَهُ إلىٰ قَفَاهُ** ـ قال:ـ **ثمَّ يتحولُ إلىٰ الجانبِ الآخرِ، فيَفعلُ به مِثلَ ما فَعلَ بالجانبِ الأوَّل، فما يَفرُغُ مِن ذلك الجانبِ حتىٰ يَصِحَّ**

---

(١) «فتح الباري» (١٢/ ٤٤٣) .
(٢) رواه أحمد (٣/ ٢٢٤) وأبو داود (٤٨٧٩)،وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢١٣).
(٣) رواه البُخاري (٧٠٤٧) .

ذلك الجانبُ كما كان،ثمَّ يعودُ عليه فيفعل مِثلَما فعل المرةَ الأُولىٰ» وجاء في تفسيره أنَّه: «**الرجلُ يَغدو مِن بيتِهِ، فيكذِبُ الكذبةَ، تبْلغُ الآفاقَ**».

.وممَّا جاء في حالِ مَن يتجسسُ على الناسِ، ويستمعُ إليهم، وهم له كارهون:

ما أخرجه البخاري في «صحيحه»[1] مِنْ حَدِيْثِ ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- عن النبي -ﷺ- قال: «**مَن استمعَ إلىٰ حديث قوم ـ وهُم له كارهونَ، أو يَفرُّون منه ـ صبَّ في أُذُنِهِ الآنُكُ** (أي الرصاصُ المذابُ) **يوم القيامة**».

ومما جاء في حالِ المصوِّرين يوم القيامة:

ما في «الصحيحين»[2] مِنْ حَدِيْثِ عبد الله بن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أنَّ رسول الله -ﷺ- قال:«**إنَّ الذين يصنعونَ هذهِ الصُّورَ يُعَذَّبونَ يَوْمَ القيامة، يُقالُ لهم: أَحْيُوا ما خَلقْتُم**».

وفي «الصحيحين» أيضًا[3] مِنْ حَدِيْثِ عبد الله بن مسعود ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: سمعتُ رسول الله -ﷺ- يقولُ:«**إنّ أشدَّ الناسِ عذابًا عند اللهِ يومَ القيامةِ المُصوِّرونَ**».

وأستغفر الله.

---

(١) رواه البُخاري (٧٠٤٢) .
(٢) رواه البخاري (٥٩٥١)، ومسلم (٣/ ١٦٦٨).
(٣) رواه البخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٢١٠٩).

الخطبة الثانية:

حالُ العصاةِ يوم القيامة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ علىٰ أشرفِ المُرسَلينَ،وعلىٰ آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

أمَّا بعدُ، أيُّها الناسُ، تقدَّم الحديث عن بعضِ أحْوالِ عُصاةِ المُؤمنين يومَ القيامةِ، وفيما يأتي ذِكرُ بعضِ أحوالهم، **فمن ذلك:**

حال من يسألُ الناسَ وعندهُ ما يُغنيهِ:

ففي «سُنن أبي داود، والترمذي، والنسائي» بسندٍ صحيح، صححه الألباني[1] مِنْ حَدِيْثِ عبد الله بن مسعود ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**مَنْ سَألَ وله ما يُغْنِيْهِ جاءتْ مسألتُهُ يومَ القيامةِ خُدُوشًا ـ أوْ خُمُوشًا، أو كُدُوحًا ـ في وجْهِهِ**» قيل: يا رسول الله، ما يُغْنِيهِ؟ ، قال: «**خَمْسونَ دِرْهمًا، أو قيمتُها مِنَ الذَّهبِ**».

.وممَّا جاء في حالِ المتكبِّرين:

أخرج الترمذي في «سُننه» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «المشكاة»[2] مِنْ حَدِيْثِ عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**يُحْشرُ المتكبِّرون أمثالَ الذَّرِّ يومَ القيامةِ، في صُورِ الرِّجالِ، يَغْشاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مكان، يُساقون إلىٰ سجن في جهنَّم، يُسمّىٰ بُولَس، تعلوهم نارُ الأنيارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ عُصارةِ أهلِ النّارِ، طينة الخَبال**».

(١) رواه أبو داود (١٦٢٦)) والترمذي (٦٥٠) ، والنسائي (٥/ ٩٧) .
(٢) رواه الترمذي (٢٤٢٩)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٥١١٢) .

والذَّرُّ ـ أيُّها الناسُ ـ: هي صغارُ النمل التي لا يعَبأ بها أحدٌ، فتوطأُ مِن غيرِ شُعورٍ.

ـ وممَّا جاء في حالِ الحاكمِ أو المَسْئُولِ الذي يَحْتَجِبُ عنِ الرَّعيةِ:

ما أخرج الإمامُ أحمد في «مُسنده» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «الصحيحة»[1] مِنْ حَدِيْثِ مُعاذ بن جبل -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَن وليَ مِنْ أمرِ المُسلمين شيئًا، فاحتجَبَ عَنْ أولي الضَّعفة والحاجة ـ احتجبَ اللهُ عنهُ يومَ القيامةِ**».

ـ وممَّا جاء في حالِ مَنْ يتناولُ المُسكراتِ: كالخمرِ وغَيرِه:

ما أخرج الإمام مسلم في «صحيحــه»[2] مِنْ حَدِيْثِ جابر بن عبد الله -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أنَّ رسول الله -ﷺ- قال: «**كُلُّ مُسْكرٍ حرامٌ، إنَّ علىٰ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ عهدًا لمنْ يَشْربُ المُسكِرَ أن يَسْقِيه من طينة الخَبَالِ**» قالوا: يا رسول الله، وما طينةُ الخبالِ؟ قال: «**عَرقُ أهْلِ النَّارِ ـ أو عُصارةُ أهل النَّارِ**».

ـ ومما جاء في حالِ الذين يغتصبون حقوق النَّاسِ من أرضٍ، أو غيرها:

ما جاء في «الصحيحين»[3] مِنْ حَدِيْثِ سعيد بن زيدٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: سمعتُ رسول الله -ﷺ- يقول: «**مَنْ ظَلَمَ مِنَ الأرضِ شيئًا، طُوِّقهُ من سبع أرضين**».

وأخرج البخاري[4] مِنْ حَدِيْثِ ابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**مَنْ أخذَ مِنَ الأرضِ شيئًا بغير حقِّه، خُسفَ به يومَ القيامةِ إلىٰ سبعِ أرضينَ**».

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٣٨) ، وانظر «الصحيحة» (٢/ ٢٠٦) .
(٢) أخرجه مسلم (٢٠٠٢) .
(٣) رواه البخاري (٢٤٥٢) ، ومسلم (١٦١٠) .
(٤) رواه البخاري (٢٤٥٤) .

ـ ومما جاء في حال المُنْتَحِرِ (قاتلِ نفسه):

ما في «الصحيحين»[1] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عن النبيِّ -ﷺ- قال: «**مَنْ تردَّىٰ (أي ألقىٰ بنفسه) من جبلٍ، فقتلَ نفسهُ فهو في نارِ جهنَّمَ، يتردَّىٰ فيه خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومَنْ تحسَّىٰ سُما (أي يشربُهُ ويتجرَّعهُ في تمهُّلٍ)، فقتل نفسهُ، فسُمُّهُ في يدهِ يتحسَّاهُ في نار جهنَّمَ خالدًا مُخلدًا فيها أبدًا، ومَنْ قتلَ نفسهُ بحديدةٍ، فحديدتهُ في يدِه، يَجَأ في بطنِهِ (أي يطعُنُ) في نارِ جهنَّم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا**».

وروىٰ البخاري في «صحيحه»[2] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة - -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- «**الذي يَخْنقُ نفسهُ، يَخنُقُها في النَّارِ، والذي يَطعُنُها يَطْعُنُها في النَّارِ**».

تلك بعض أحوال عُصاة المؤمنين يومَ القيامةِ،

وهناك أناسٌ لا يُكلِّمهمُ اللّه يومَ القيامةِ، ولا ينظرُ إليهم، ولا يُزكيهم، ولهم عذابٌ أليم.

فمن هؤلاء: الذين يَنقُضُونَ ما عاهدوا اللّه عليه، ويشترون بأيمانهم ثمنًا قليلاً، فيحلفون الأيمان الكاذبة لمصلحةٍ عاجلةٍ:

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [آل عمران:٧٧].

ومن هؤلاء: المُسبل إزاره: أي الذي يُطيلُ ملابسَهُ، سواء كانتْ إزارًا، أو بنطلونًا، أو ما أشبه ذلك، ويجعلُها تُجاوزُ كعْبيهِ نحو الأرضِ.

---

(١) رواه البخاري (٥٧٧٨)، ومسلم (١٠٩).
(٢) رواه البخاري (١٣٦٥).

والمنَّانُ، والذي يَحْلِفُ كذبًا؛ ليجعلَ لسِلعَتِهِ ـ أو ما يبيعُهُ ـ رَواجًا وقبَولاً.

ففي «صحيح مسلم»[١] مِنْ حَدِيْثِ أبي ذرٍّ ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**ثلاثةٌ لا يُكلِّمُهُمُ اللهُ يومَ القيامةِ، ولا ينظرُ إليهم، ولا يُزكِّيهم، ولهم عذابٌ أليمٌ**» قال: فقرأها رسولُ الله -ﷺ- ثلاثَ مِرارٍ.

قال أبو ذرٍّ: خابوا وخسروا!، مَنْ هم يا رسولَ الله؟ قال: «المُسبلُ، والمنَّانُ، والمُنْفقُ سلعتَهُ بالحلفِ الكاذب».

ومن هؤلاء: العاقُّ لوالديه، والمرأةُ التي تُقلِّدُ الرجالَ، وتتشبَّهُ بهم في لباسٍ، كالبنطلون الذي هو من خصائصِ الرِّجالِ، أو غيره أو هيئةٍ، والدَّيوثُ: هو الذي لا غَيْرةَ له علىٰ أهلِهِ، أو يَرىٰ الخبثَ فيهم ويُقِرُّهُ.

ففي «مُسند الإمام أحمد»، و«سُنن النسائي» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «الصحيحية»[٢] مِنْ حَدِيْثِ عبد الله بن عمروٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قال: قال رسولُ الله -ﷺ-: «**ثلاثةٌ لا يَنظرُ اللهُ إليهم يومَ القيامةِ: العاقُّ لوالديه، والمرأةُ المُترجِّلةُ المُتشبِّهةُ بالرِّجالِ، والديوثُ ، وثلاثةٌ لا يَدْخلُون الجنَّةَ: العاقُّ لوالديه، والمُدمِنُ الخمرَ، والمنَّانُ بما أعطىٰ**» .

أيُّها الناسُ، تلك بعضُ أحوالِ عُصاةِ المُؤمنين يوم القيامةِ، فعلينا الابتعادُ عَنْ كلِّ ما يكونُ سببًا لذِلتِنا وهَوَانِنا، وأنْ نتوبَ إلىٰ اللهِ توبةً صادقةً مِنْ كُلِّ ما يُغضبُ اللهَ

وسبحانك اللهمَّ وبحمدِكَ، أشهدَ أنْ لا إلهَ إلاَّ أنت، أستغفرُكَ وأتوبُ إليك.

---

(١) رواه مسلم (١٠٦) .
(٢) رواه أحمد (٢/ ١٣٤) ، والنسائي (٥/ ٨٠) ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٦٧٤).



٢٤ د ـ وصف الجنة

الخطبة الأولى:

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُه، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا، ومنْ سَيِّئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إلاَّ الله وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمَّا بعدُ ؛ فإنّ أصدَقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد -ﷺ-، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بعدُ،

أيُّها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عنْ وَصْفِ الجنَّة، بل عن شيءٍ من وصفِ الجنَّةِ، فالجنَّةُ ـ أيُّها الناسُ ـ فوقَ ما يَخْطرُ بالبالِ، أو يَدُورُ في الخيالِ، وإنَّ مَوْضِعَ سَوطٍ منها لهو خيرٌ من الدُّنيا وما فيها .

كما في جاء في «الصحيحين»[(١)] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قال رسولَ الله -ﷺ-: «**لقَابُ قَوْسِ أحدِكُم في الجنَّة خيرٌ ممَّا طَلَعت عَلَيْهِ الشمْسُ أو تغربُ**».

عباد الله، يقول ربُّنا ـ جلَّ في علاه: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٧].

وفي «الصحيحين»[(٢)] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**قال الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ: أَعددْتُ لعبَاديَ الصالحين مَا لَا عَينٌ رأتْ، ولا أُذنٌ سَمعتْ، ولا خَطَرَ علىٰ قلبِ بَشَرٍ**».

عباد اللّهِ، مهما قلنا في جنَّةِ النعيم، ودار المتقين، والفوز العظيم ـ فلا يزال وصفنا لها قاصرًا، فحسبُنا وصفُ اللهِ لها؛ فهو الذي خَلقها بيدِهِ، وجعلها مقرًّا لأحبابِهِ، وطهَّرها مِن كُلِّ عيبٍ، وضرب بنعيمها المَثَلَ، فقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [محمد: ١٥].

عبادَ الله، هل أتاكم خبر أبواب الجنَّة، ودرجاتها، وأبنيتها، وطعام أهلها وشرابهم، وما فيها من النعيم المقيم، وفوق ذلك النظر إلىٰ وجـه الله الكريم -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-؟!.

عباد الله، إن للجنَّة ثمانيةَ أبوابٍ. كما جاء في «الصحيحين»[(٣)] مِنْ حَدِيْثِ سهل بن سعدٍ ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عن النبي -ﷺ- قال: «**في الجنَّةِ ثمانيةُ أبوابٍ، فيها بابٌ يُسمَّىٰ الرَّيانَ، لا يدخلُهُ إلاَّ الصائمون**».

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٣٢٠) ، ومسلم (١٣/ ٢٦) .
(٢) رواه البخاري (٦/ ٣١٨) ، ومسلم (١٧/ ١١٦) .
(٣) رواه البخاري (٦/ ٣٢٠) ، ومسلم (١٣/ ٢٦) .

وفي «الصحيحين»[١] - أيضًا - مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة - -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: **«من أنفق زوجينِ من ماله في سبيل الله، دُعيَ من أبواب الجنَّة كلِّها، وللجنة ثمانيةُ أبوابٍ: فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاةَ، وإن كان من أهل الصيامِ دُعي من باب الصِّيام، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الجهاد دُعيَ من باب الجهادِ»**. فقال أبو بكر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: «والله، ما علىٰ أحدٍ من ضرورةٍ من أيِّها دُعيَ، فهل يُدعىٰ أحدٌ منها كلِّها؟» قال: **«نعم، وأرجو أن تكون منهم»**.

عباد الله، إن للجنَّة درجاتٍ، ما بينَ الدَّرجةِ والدَّرجة كما بينَ السماء والأرض، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ [طه: ٧٥]

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيّ»[٢] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة - -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: **«إن في الجنَّة مائةَ دَرجةٍ، أعدَّها اللهُ للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدَّرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتمُ اللهَ فاسألوه الفِردَوسَ؛ فإنَّه أوسطُ الجنَّة، وأعلىٰ الجنَّة** - أُراهُ قال - **وفوقَهُ عَرشُ الرحمنِ، ومنه تفجَّرُ أنهارُ الجنة»**

وفي «الصحيحين»[٣] مِنْ حَدِيْثِ أبي سعيد الخُدريِّ - -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أن رسول الله -ﷺ- قال: **«إنَّ أهل الجنَّةِ لَيَتَراءَونَ الغُرَفَ، كما يتراءَونَ الكوكبَ الدُّرِّيَّ الغابِرَ في الأُفُقِ** - أي الذاهب في السماء - **من المشرقِ أو المغربِ لتفاضلِ مابَيْنَهُمْ»**.

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٣٢٨)، ومسلم (١٠٢٧).
(٢) رواه البخاري (٦/ ٣٥١).
(٣) رواه البخاري في «الفتح» (٧/ ١٣٧)، ومسلم (٢٨٣١).

والجنَّة عبادَ الله - مبنيَّة بناءَ حقيقةٍ، فلا يتوهَّمْ متوهِّمٌ أنَّ ذلك تمثيل، وأنه ليس هناك بناء، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ [الزمر: ٢٠].

وفي «الصحيحين»[(١)] مِنْ حَدِيْثِ أبي موسىٰ الأشعريِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**إن للمؤمن في الجنَّة لخَيْمةً من لُؤلُؤَةٍ واحدةٍ مُجَوَّفةٍ، طُولُها في السماء سِتُّونَ مِيلاً، للمؤمن فيها أَهْلُونَ، يَطُوفُ عليهمُ المؤمنُ فلا يَرىٰ بعضُهم بعضًا**».

وفي الصحيحين [(٢)] : مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة - -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: أتىٰ جبريلُ النبيّ -ﷺ- فقال: «**يا رسولَ الله، هذه خديجة قد أتت، معها إناء فيه إدام أوطعام أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنّي وبشِّرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصبَ**».

والمقصود ها هنا قصب اللؤلؤ المجوف كما قال بعض أهل العلم .

والمراد بالصخَب: الصوت المختلط المرتفع.

والمراد بالنصب: المشقة والتعب.

وفي «الصحيحين»[(٣)] مِنْ حَدِيْثِ أنس بن مالك -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أن النبي -ﷺ- قال: «**أُدْخلتُ الجنَّة، فإذا أنا بقصرٍ من ذهبٍ، فقلتُ: لمن هذا القصرُ؟ قالوا: لشابٍّ من قُرَيْشٍ. فظننتُ أنِّي أنا هو، فقلتُ: ومَنْ هوَ؟ قالوا: لعمرَ بن الخطَّاب**».

عباد الله، إن النفوسَ لتحبُّ أن تعرف طعامَ أهل الجنَّة، فطعامهم من كلِّ ما

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٣١٨) ، ومسلم (١٧/ ١٧٥) .
(٢) رواه البخاري (٧/ ١٣٣) ، ومسلم (١٥/ ١٩٩) .
(٣) رواه البخاري (٦/ ٣١٨) ، ومسلم (١٥/ ١٦٣) .

لذَّ وطاب، ألا إنَّه كما قال ابن عباسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: «**ليس في الدنيا شيٌ ممَّا في الجنَّة إلا الأسماء، فليس العسل كالعسل، وليس الخمر كالخمر،وليس العنبُ كالعنب**».

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١﴾ [الواقعة: ٢٠ـ٢١].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٣﴾ [الواقعة: ٣٢ـ٣٣].

أي لا تكون في وقتٍ دونَ وقتٍ، ولا تمنع ممَّن أرادها

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ۝١٤﴾ [الإنسان: ١٤].

قال ابن عباسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: «إذا همَّ أن يتناول من ثمرها، تدلَّتْ له، حتىٰ يتناول ما يُريد».

وفي «صحيح مسلم»[١] مِنْ حَدِيْثِ جابر بن عبد الله -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**يأكلُ أهلُ الجنة فيها،ويشربون، ولا يتغوَّطون، ولا يبولون، ولكنْ طعامُهم ذلك جُشَاءٌ أي يخرجُ منهم بالتجشِّي ـ كرَشْحِ المِسْكِ، يُلْهَمُونَ التسبيح والتكبيرَ، كما يلْهمونَ النَّفسَ**».

ذلك طعام أهل الجنَّة،

وأمَّا شرابهم فكما قَالَ اللهُ -عزَّ وَجلَّ-: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾ [الإنسان: ٥ـ٦].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ۝١٥

---

(١) رواه مسلم (٢٨٣٥) .

﴿قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإنسان: ١٥ـ١٦].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ- : ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزخرف: ٦٨ :٧٢].

عباد الله، ذلك طعامهم وشرابهم، فماذا عن ثيابهم؟

يقول ربُّنا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [فاطر: ٣٣].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ- : ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ [الكهف: ٣١].

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيّ»[(١)] مِنْ حَدِيْثِ البراء بن عازبٍ ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: أُهديَ لرسول الله -ﷺ- ثوبُ حريرٍ، فجعلوا يعجبون من لِينِهِ!، فقال رسول الله -ﷺ-: «**تعجبون مِن هذا؟! لمناديلُ سعدِ بن مُعاذٍ في الجنَّة أحسنُ من هذا**».

فانظر ـ يا عبد الله ـ المِنديلُ الذي يمسحُ به يديه في الجنَّةِ أحسنُ من حُللِ المُلُوكِ!.

أيُّها الناسُ، ذلك بعض نعيم الجنَّة، وأهل الجنَّة بين أصناف هذه النعم يترددون، وهم من زوالها آمنون، ففي «صحيح مسلم»[(٢)] مِنْ حَدِيْثِ أبي

(١) رواه البخاري (٦/ ٣١٩) .
(٢) مسلم (١٧/ ١٧٥) .

سعيد، وأبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أنَّ رسول الله -ﷺ- قال: «**يُنادىٰ مُنادٍ: يأهلَ الجنَّة، إن لكم أن تَصِحُّوا، فلا تسقمُوا أبدًا، وإن لكم أن تَحْيوا، فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أنْ تشبُّوا، فلا تَهْرَمُوا أبدًا، وإن لكم أن تَنْعَمُوا، فلا تبْأسُوا أبدًا فذلك قول الله ـ عز وجل ـ** ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣] ».

وفي «صحيح مسلم»[١] أيضًا ـ مِنْ حَدِيْثِ6 أبي هريرة ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**مَنْ يدخل الجنَّة يَنعَم، ولا يَبْأس، ولا تَبْلَىٰ ثيابُهُ، ولا يَفنَىٰ شبابُهُ**»

ذلك بعض نعيمهم، لكن ماذا عن صفة أهل الجنة؟

روىٰ الترمذي في «سُننه»[٢] بسندٍ حسنه الألباني ـ مِنْ حَدِيْثِ معاذ بن جبل -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنَّ النبي -ﷺ- قال: «**يدخلُ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا، كأنهم مُكْحلون، أبناء ثلاثٍ وثلاثين**».

ومعنىٰ «جُردًا»: أي بدون شعرٍ علىٰ أجسادهم ومعنىٰ «مُرْدًا»: بدون لحية.

وفي «الصحيحين»[٣] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**إنَّ أوَّلَ زُمرةٍ يدخلون الجنَّة علىٰ صُورة القمرِ ليلةَ البَدْر، والذين يَلُونهم علىٰ صُورة أشدِّ كوكبٍ دُرِّيٍّ في السماء إضاءةً، لا يَبُولون، ولا يتغوَّطون ولا يَمْتخِطُونَ، ولا يتفلون، أمشاطُهُم الذهبُ، ورَشْحُهمُ المِسكُ، ومَجَامرهُمُ الألُوَّةُ، وأزواجهم الحورُ العيْنُ، أخلاقُهمْ علىٰ خلقِ رجل واحدٍ علىٰ صورة أبيهم آدمَ، ستُّونَ ذراعًا في السماء**».

(١) مسلم (٣/ ١٤٠).
(٢) الترمذي (١٠/ ١٤) في وصف الجنة.
(٣) البخاري (٦/ ٣١٩)، ومسلم (٧/ ١٧٢).

ووصف الرسول ـ ﷺ ـ أخلاقهم بقوله ـ كما في «الصحيحين»[1] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- : «لا اختلافَ بينهم، ولا تباغُض، قلوبُهم على قلب رجلٍ واحدٍ، يُسبحونَ اللهَ بُكْرةً وعَشِيًّا».

وذلك مصداق قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر:٤٧].

وأستغفر الله.

---

(١) البخاري (٦/ ١٣٨)، ومسلم (٧/ ١٧٣).

الخطبة الثانية:

«وصف الحور العين»

الحمد لله ربِّ العالمين، وأصلي وأسلِّم علىٰ رسوله الأمين، وعلىٰ آله وصَحبه أجمعين،ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، أمَّا بعدُ:

أيُّها الناس، سبق أن تحدَّثنا معكم عن شيء من وصف الجنَّة، نعم، عن شيءٍ من وصف الجنَّة، فلو خطبنا في وصف الجنة السنةَ بعد السنةِ، ما استطعنا أن نصفها لكم، وحديثي معكم الآن عن شيء من وصف الحُور العِينِ.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الدخان: ٥٤].

والحُور: جمع حَوراء: وهي المرأة بيِّنةُ التحور، والتحورُ: شدَّة بياضِ العين في شدَّة سوادها، ولا تُسمَّىٰ المرأة حَوْراءَ حتىٰ يكون مع حَورِ عينها بياضُ الجلد ورقَّته، فيُحارُ فيها الطَّرف.

والعينُ جمعُ عَيْنَاءَ: وهي الضَّخْمةُ العَيْنِ من النساءِ مع حُسنٍ وملاحةٍ.

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الصافات: ٤٨-٤٩].

قال مجاهد ــ رَحِمَهُ اللهُ ـ : «قَصرنَ أبصارهُنَّ، وقلوبَهُنَّ، وأنفسهُنَّ علىٰ أزواجِهنَّ، فلا يُرِدْنَ غيرَهُم»[(١)] .

وقَالَ اللهُ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-:﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

---

(١) « حادي الأرواح » (ص٢٨٧) .

قال مجاهد ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في معنىٰ «مُطَهَّرة»: أي لا يَبُلْنَ، ولا يتَغوَّطْنَ، ولا يَمْذينَ، ولا يَمنْينَ، ولا يَحضْنَ، ولا يَبْصُقنَ،ولا يتنخَّمْنَ، ولا يَلِدْنَ»[1] .

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيّ»[2] مِنْ حَدِيْثِ أنس بن مالكٍ ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-:«**لَروحةٌ في سبيلِ اللهِ أو غَدْوَةٌ ـ خيرٌ من الدنيا وما فيها، ولَقَابُ قوسِ أحدكم من الجنَّة أو موضعُ قِيدٍ** ـ يَعني سَوطهُ **خيرٌ من الدنيا وما فيها،ولو أن امرأةً من أهلِ الجنَّةِ اطّلعتْ إلىٰ أهلِ الأرضِ، لأضاءتْ ما بيْنَهُما، ولمَلأتْهُ رِيحًا، ولَنصِيفُها** ـ يعني خِمارَها ـ **علىٰ رأسِها خيرٌ من الدنيا وما فيها**».

وفي «الصحيحين»[3] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**إنَّ أول زُمرةٍ تدخلُ الجنَّةَ علىٰ صُورةِ القمرِ ليلةَ البدْر، والتي تليها علىٰ أضوءِ كوكبٍ دُرِّيٍّ في السماء، ولكُلِّ امريءٍ منهم زوجتانِ، يُرىٰ مُخُّ سُوقِهما من وراء اللحم وما في الجنة أعزب**».

عباد الله: تلك بعض صفات أهل الجنة لكن هناك في الجنة ما هو أعظم من ذلك، إنها لذةُ النظر إلىٰ وجه الله الكريم، فما أُعطي أهلُ الجنَّة شيئًا أعظمَ منها.

قَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- : ﴿وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ـ ٢٣].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعالَىٰ- : ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وهذه الزيادة هي النظر إلىٰ وجه الله-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-،والحُسنىٰ:هي الجنَّة، ففي «صحيح مسلم»[4] مِنْ حَدِيْثِ صُهيب بن سنان ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-

---

(١) المرجع السابق (ص٢٨٤) .
(٢) البخاري (٢/ ١٣٦) ، ومسلم (١٥٠٠) .
(٣) البخاري (٣٢٤٦) ، ومسلم (٢٨٣٤) .
(٤) مسلم (٣/ ١٧) .

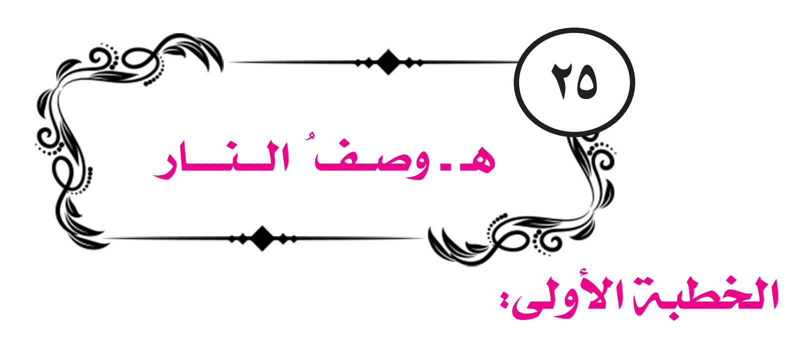
قال: قرأ رسول الله -ﷺ-: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] قال: **«إذا دخل أهلُ الجنَّة الجنة، وأهلُ النَّارِ النارَ ـ نادىٰ مُنادٍ: يأهلَ الجنَّة، إنَّ لكم عند اللهِ موعدًا، يُريدُ أن يُنْجِزَكُمُوه. قالوا: ما هذا المَوعِدُ؟ ألم يُثقلُ مَوَازِيننا، ويُبيِّض وُجُوهَنا، ويُدخلنا الجنَّة، ويُجِرنا من النَّارِ؟! قال: فَيرفَعُ الحِجابَ، ويَنْظرون إلىٰ وجهِ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ، فما أُعْطُوا شيئًا أحبَّ إليهم مِنَ النَّظرِ إليه»**.

وهذا عباد الله ـ نهايةُ النعمة وغاية الحسنىٰ، وتلك النعم كُلُّها عند هذه النِّعمةِ ـ أي عند نعمةِ النظرةِ إلىٰ وجهِ ربِّنا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- تُنْسىٰ؛ فلذَّةُ النظرِ إلىٰ وجهِ ربِّنا فوقَ كُلِّ لذَّةٍ.

عباد الله، تلك بعض صفات الجنَّةِ، وهي لا تُنالُ بالتشهِّي والأملِ، ولكنْ بالجدِّ والعملِ، فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ فإنكم إليه راجعون.

اللهمَّ إنَّا نسألُك مُوجباتِ رحمتِك، وعزائمَ مَغْفرتِك، والسلامة من كلِّ إثمٍ، والغنيمةَ من كلِّ برٍّ، والفوزَ بالجنَّةِ، والنَّجاةَ من النَّارِ.

اللهمَّ إنَّا نسألك لذَّة النَّظرِ إلىٰ وجهك، والشَّوق إلىٰ لقائِك في غيرِ ضرَّاءَ مُضِرَّةٍ، ولا فِتنةٍ مُضلةٍ.



٢٥ - وصفُ النار

الخطبة الأولى:

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا، ومنْ سَيِّئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد -ﷺ-، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّار.

أمّا بعدُ، أيُّها الناسُ، إنَّ علاجَ ضعفِ الإيمانِ يتضمَّنُ التذكيرَ بالجنَّةِ والنَّارِ، فإنَّ النُّفوسَ قد تصلحُ بالتبشير والتحذير،

ففي «صحيح مسلم»[1] مِنْ حَدِيْثِ أنس بن مالكٍ - -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: **«والذي نفسي بيده، لو رأيتم ما رأيتُ لضحكتم قليلاً،**

(١) رواه مسلم (٤/ ١٥٠) .

ولبكيتم كثيرًا» قالوا: ما رأيتَ يا رسولَ اللهِ؟! قال: «**رأيتُ الجنَّةَ والنَّارَ**».

وقد أنذر اللّه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بالنار، وأمرَ المؤمنين بأخذِ الوِقايةِ من التعرُّضِ لها، وبيَّنَ خَطَرَها، فقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ [المدثر: ٣٢ ـ ٣٧].

وقال الحسنُ البصْريُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في تفسير هذه الآيات: «واللهِ ما أُنذِرَ العبادُ بشيءٍ أَدْهىٰ منها».

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ [الليل: ١٤].

وفي «الصحيحين»[1] مِنْ حَدِيْثِ عديٍّ بن حاتمٍ ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**اتقوا النارَ**» قال: وأشاح، ثمَّ قال: «**اتَّقوا النَّارَ**». ثمَّ أعرضَ وأشاحَ ثلاثًا، حتىٰ ظننا أنه ينظرُ إليها، ثمَّ قال: «**اتَّقوا النار ولو بشقِّ تَمْرةٍ، فمَن لم يجدْ فبكلمة طيِّبةٍ**».

أيُّها الناس، النارُ مَوردُ الناسِ كُلِّهم أجمعين، كما قال ربنا-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧١ ـ ٧٢].

عبادَ اللّه، نحن من الوُرود على يقينٍ، ومن النجاةِ في شَكٍّ، فهلاَّ استعددنا للنجاةِ، كما كان سَلفُنا الصالحُ في غايةِ الخوفِ والإشفاقِ والحذرِ مِنَ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، وعظيم عقابِهِ، وأليم عذابِهِ؟!

عباد اللّه هل أتاكم خبر عن عذاب اللّه لمن عصاه؟! هل أتاكم خبرُ نارِ الله المُوقدة؟! هل أتاكم خبرُ عُمقِ جهنَّمَ وشدَّة حرِّها؟! .

---

(١) رواه البخاري (١١/ ٤٠٠)، ومسلم (١٠١٦).

ففي «صحيح مسلم»[١] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: كنَّا مع رسول -ﷺ- إذا سمع وَجْبةً - أي صوتَ سقطةٍ - فقال النبي -ﷺ-: «**تدرون ما هذا؟**» قلنا: اللهُ ورسولُهُ أعلمُ. قال: «**هذا حجرٌ رُميَ به في النارِ، مُنذُ سبعين خريفًا** - أي عامًا **فهو يهوي في النارِ، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ قَعرِها، فسمعتم وَجْبتَها**».

وفي «مُسندِ أحمد»، و«سُنن الترمذيِّ»[٢] مِنْ حَدِيْثِ عتبةَ بن غزوان قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**إنَّ الصَّخرةَ العظيمةَ لتُلقىٰ في شَفيرِ جهنَّم** - أي طَرَفها - **فتَهوي فيها سبعين عامًا، ما تُفْضي إلىٰ قَرارها**».

عباد الله، قد يُتخيَّل لأحدنا أنَّ نار الله المُوقدة كنار الدنيا، كلاَّ.

فما نار الدنيا إلا جُزْءٌ من سبعين جُزءًا من نار جهنَّم،

كما في «الصحيحين»[٣] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**ناركم جُزءٌ من سبعين جزءًا من نار جهنَّم**» قيل: يا رسول الله، إن كانتْ لكافيةً! قال: «**فُضِّلتْ عليهنَّ بستعةٍ وستِّين جُزءًا، كلُّهنَّ مِثلُ حَرِّها**».

ولجهنم سبعة أبواب، كما قال ربُنا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر: ٤٣-٤٤].

قال بعض أهل العلم ﴿سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ أولها جهنم، ثم لظىٰ، ثم الحطمة، ثم السعير ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية.

عباد الله، تلك أبواب النار، لكن كيف طعامهم، وشرابهم، وملابسهم؟ أمَّا طعامهم - عباد الله - فكما قال ربُّنا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن

(١) رواه مسلم (٢٨٤٤).
(٢) «مُسند أحمد» (٤/ ١٧٤)، والترمذي (١٠/ ٤٥).
(٣) رواه البخاري مع الفتح (٧/ ١٤٣)، ومسلم (٢١٨٤).

ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾ [الغاشية ٦-٧].

والضَّريع: نَبْتٌ ذو شوكٍ، لا تأكله الدَّوابُّ لخباثته، وهو سمٌّ قاتلٌ.

وقال الله - -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾ [المزمل: ١٢-١٣].

قال ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- في قوله تعالىٰ: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ قال: «شوكٌ يأخذ بالحَلق، لا يَدْخُلُ، ولا يَخْرُجُ».

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾ [الواقعة: ٥١-٥٦].

وقد وصف الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- شجرة الزقوم، فقال: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾

[الصافات: ٦٤-٦٨]

والشَّوبُ: هو الخلط والمزج، أي يُخلط الزَّقُّومُ المتناهي في القذارة والمرارة والحميم المتناهي في اللَّهب والحرارة.

وفي «مُسند أحمد، وسُنن الترمذي، وابن ماجَهْ»[1]، مِنْ حَدِيْثِ ابن عباسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أن النبي -ﷺ- قرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

فقال الرسول -ﷺ-: **«لو أنَّ قطْرةً من الزَّقُّوم قَطَرتْ في دارِ الدنيا، لأفسدت علىٰ أهلِ الدنيا معايشَهُم، فكيف بمنَ يكونُ طعامَهُ؟!».**

(١) رواه أحمد (١/ ٣٠١-٣٣٨)، والترمذي (١٠/ ٥٤)، وابن ماجهْ (٤٣٢٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥١٢٦).

أرأيتم ـ عبادَ الله ـ كيف أن قطرةً واحدةً من الزَّقُّوم تُفْسِدُ علىٰ أهل الأرض معايشهم؟! والرسول -ﷺ- يأتي بالاستفهام؛ لنعقل عنه فيقول: «**فيكف بمن يكون طعامه؟!**» فهل من مُعتبِر؟!

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ- : ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الحاقة: ٣٥ ـ ٣٦].

قال ابن عباس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ: «الغِسلينُ: الدَّمُ والماءُ والصديدُ الذي يَسيلُ مِنْ لُحومِهم».

عبادَ اللّه، عَرَفنا شيئًا من طعام أهل النار، وسوف نذكرُ بَعضَ شرابهم، ـ أعاذنا اللّهُ وإيَّاكم من ذلك ـ.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ [إبراهيم: ١٦ ـ ١٧].

أي يُسقىٰ من ماءٍ صديدٍ شديدِ النَّتانة والكثافة،فيتكرهه ولا يكاد يبتلعه من شدة نتانته وكثافته، ويستشعر الموت من كُلِّ مكانٍ وهيهاتَ، فإنه لو مات لاستراح من العذاب، وما هو بميتٍ، فكلَّما نضج جلدُهُ أبدله الله غيره؛ ليذوق العذاب.

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ- : ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [محمد:١٥].

والحميم: هو الماء الحارُّ المغليُّ بنار جهنَّم، يُذاب بهذا الحميم ما في بطونهم، وتسيل به أمعاؤهم، وتتناثر جلودهم،

كما قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج:٢٠ ـ ٢٢].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف: ٢٩].

عباد اللّه، بعد أن عرفنا طعام أهل النار وشرابهم، تعالوا بنا نقف على ملابسهم.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾﴾ [إبراهيم: ٤٩-٥٠].

فقوله تعالىٰ ـ: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ أي: قمصانهم من قَطِران، تُطْلىٰ به جلودهم، حتىٰ يعود ذلك الطِّلاء كالسرابيل، وخُصَّ القطران لسرعة اشتعال النار فيه مع نَتْنِ رائحته، ووحشة لونه، والقَطِران: قيل فيه: ما يُطْلَىٰ به الجَمَلُ الأجرَبُ.

ففي «صحيح مسلم»[1] مِنْ حَدِيْثِ أبي مالك الأشعريِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**النائحةُ إذا لم تَتُبْ قبلَ موتها، تُقامُ يومَ القيامةِ وعليها سِرْبالٌ من قطِرانٍ، ودرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**».

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾ [الحج: ١٩].

فقوله: ﴿قُطِّعَتْ﴾ أي: قُدِّرتْ لهم علىٰ قدر جُثَثهم؛ لأنَّ الثياب تُقطَّع علىٰ قدر من يلبسها. وقيل: إنها من نحاسٍ قد أُذيب، فصار كالنار. والحقُّ إجراد الآية علىٰ ظاهرها.

تلك ـ عباد الله ـ ملابسهم، لكن ماذا عنِ فراشهم ـ عياذًا بالله من حالهم ! ؟.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ﴾ [الأعراف: ٤١].

---

(١) رواه مسلم (٦/ ٢٣٥).

أي فراش من النار،ويَلتحفون بأَلحِفةٍ من النار.

وقَالَ اللهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– : ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ [الزمر: ١٦].

انظر ـ يا عبد الله ـ كيف أطلق القرآن الكريم الظُّلَل عليهم تهكما ؟! وإلاَّ فهي مُحرقة، والظُّلَّة تقي من النار، كما قال ربُّنا–سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ–: ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ ﴾ المرسلات: ٣٠ ـ ٣١].

عبادَ اللهِ، اتقوا الله، واعلموا أنكم إليه راجعون، واتقوا النار دار الذُّلِّ والهَوانِ.

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية:

وصف النار

الحمد لله ربِّ العالمين،وأصلِّي وأسلم علىٰ عبد الله ورسوله نبيِّنا محمَّدٍ، وعلىٰ آله وصَحبه، والتابعين بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين.

أمَّا بعدُ،

أيُّها الناسُ، إنَّ الحديث عنِ النَّارِ يطولُ ويطولُ، وما سبق أنْ ذكرتُهُ لكم إنما هو رُءوسُ أقلام، وكما تقولُ العامَّةُ: «قطرةٌ مِنْ مَطْرةٍ».

عباد اللهِ، كيف بنا لو عرفنا **عِظَمَ أهلِ النارِ وبشاعةِ مَنظرِهم؟!**،

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[1] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عن النبيِّ -ﷺ- قال: «**ما بين مَنكِبي الكافِر مَسيرةُ ثلاثةِ أيامٍ للراكبِ المُسرعِ**».

والمَنْكِبُ: هو مَجْمَع عَظَمِ العَضُدِ والكتِفِ.

وفي «صحيح مسلم»[2] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**ضِرْسُ الكافرِ - أي نابُهُ - مِثلُ أُحُدٍ، وغِلظُ جلده مسيرةُ ثلاثٍ**».

وروىٰ الترمذي - في «سُننه»[3] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**إنَّ غلظَ جِلدِ الكافرِ اثنانِ وأربعون ذِراعًا، وإنَّ ضِرسهُ مثلُ أُحدٍ، وإنَّ مجلسهُ من جهنَّمَ كما بينَ مكَّة والمدينة**».

---

(١) رواه البخاري (٦٥٥١)، ومسلم (١٧/ ١٨٦).
(٢) رواه مسلم (٢١٨٩).
(٣) رواه الترمذي (٢٧١٩)، وحسن إسناده الألباني في «مشكاة المصابيح» (٥٦٧٥).

أَيُّهَا النَّاسُ، **إنَّ أهل النَّارِ لا يَمُوتون**؛ إذ لو ماتوا لاستراحوا من العذاب.

ففي «صحيح البخاري»[1] مِنْ حَدِيْثِ عبد الله بن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**يُؤتىٰ بالموت يومَ القيامة كأنه كبشٌ أملحُ فيُذبحُ بينَ الجنَّةِ والنارِ، ويقالُ: يأهل الجنَّة، خلُودٌ بلا موت،ويأهل النار، خلودٌ بلا موتٍ، فيزداد أهلُ الجنَّةِ فرحًا، ويزدادُ أهلُ النارِ حُزنًا إلىٰ حُزْنِهم**».

أَيُّها الناسُ، تلك بعض صفات النار.

فاتقوا النار فإنها أقرب إلى أحدنا من شِراكِ نَعْله،

كما في «صحيح البخاري»[2] مِنْ حَدِيْثِ عبد الله بن مسعودٍ - -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**الجنَّةُ أقربُ إلىٰ أَحدِكم مِنْ شِراك نَعله، والنَّارُ مثلُ ذلك**».

أَيُّها الناسُ،اتقوا النار، واتقوا الأسباب المُوصلة إلىٰ النار، فإنها - والعياذُ بالله! - كثيرة جدًّا، وجامعُها معصيةُ اللهِ ورسولِهِ -ﷺ-.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٤].

عبادَ الله، لابُد أن نقيَ أنفسنا وأهلنا من النارِ، كما أمر الله-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- فقال - عز من قائل - : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦].

قال العلامة ابن سعديٍّ - رَحِمَهُ اللهُ - في تفسير هذه الآية: «أي: يا مَنْ منَّ الله عليهم بالإيمان، قوموا بلوازمه وشروطه فـ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾موصوفه

(١) رواه البخاري (٦٥٤٨).
(٢) رواه البخاري (٦٤٨٨).

بهذه الأوصاف الفظيعة،ووقاية الأنفس بإلزامها أمر الله، والقيام بأمره امتثالاً، ونهيه اجتنابًا، والتوبة عمَّا يُسخط الله، ويُوجب العذابَ، ووقاية الأهل والأولاد بتأديبهم وتعليمهم،وإجبارهم علىٰ أمر الله، فلا يسلم العبد إلا إذا قام بما أمر الله به في نفسه، وفيما يدخل تحت ولايته من الزوجات، والأولاد، وغيرهم ممَّن هو تحت ولايته وتصرُّفه،ووصف الله النار بهذه الأوصاف؛ ليزجر عبادَهُ عن التهاون بأمرِهِ»[1] .

اللهمَّ إنَّا نعوذُ بك من فتنةِ النار، وعذاب النار،وما يُقرِّبُ إليها من قولٍ أو عملٍ.

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٨٧٤).



٢٦

٦- الإيمان بالقضاء والقدر

الخطبة الأولى:

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، ومِنْ سَيِّئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد -ﷺ-، وشرَّ الأُمور مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بعدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكم اليوم عن الإيمان بالقَدَرِ، قُطْبِ رَحَىٰ التوحيدِ ونِظامِهِ، ومَبْدأ الدِّينِ القويمِ وختامِهِ، فهو أحدُ أركانِ الإيمانِ، وقاعدةُ أساسِ الإحسان[1].

---

(١) انظر «شفاء العليل» لابن القيم، و«الإيمان بالقضاء والقدر» لمحمد بن إبراهيم الحمد، فقد استفدت من هذين الكتابين، وأكثرت من النقل عنهما في هذه الخطبة.

وقد دلَّ على هذا الركنِ العظيمِ مِنْ أركانِ الإيمانِ الكتابُ، والسُّنَّةُ، والإجماعُ.

أمَّا أدلَّةُ القُرآنِ فهي كثيرةٌ جدًّا، منها:

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: ٢١].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المرسلات: ٢٢، ٢٣].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه:٤٠].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الأعلى: ٣].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٤].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ [الإسراء: ٤].

أَيُّها الناس، تلك بعضُ الأدلة من كتاب الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- على القدرِ، وأمَّا من السُّنَّة فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[١] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في سُؤال جِبْريلَ -عَلَيْهِ السَّلَام- الرسول -ﷺ- عن الإيمان، قال: «**أن تؤمِنَ بالله، وملائكتِهِ، وكُتُبِهِ، وتؤمِنُ بالقدرِ خيرِهِ وشرِّهِ**» فقال - أي جبريل -: «صدقْتَ».

وأخرج الإمام مسلم في «صحيحه»[٢] عن طاوس قال: «أدركتُ ناسًا من

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) رواه مسلم (٢٦٥٥).

أصحاب رسول الله -ﷺ- يقولون: كُلُّ شيءٍ بقدرٍ» قال: «وسمعتُ عبد الله ابن عُمرَ يقولُ:كلُّ شيءٍ بقدرٍ، حتىٰ العَجْز والكيس ـ أو الكيس والعَجْز ـ».

وأخرج الإمام مسلم[1] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: جاء مُشْركو قُريشٍ، يُخاصمون رسولَ الله -ﷺ- في القدرِ، فنزلتْ: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩)﴾ [القمر: ٤٨ـ٤٩].

وأخرج الإمام مسلم[2] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**وإن أَصَابَكَ شيءٌ فلا تَقُلْ: لو أَنِّي فعلتُ كذا، لكانَ كذا وكذا، ولكن قُلْ: قَدَرُ اللهِ، وما شاء فَعَلَ؛ فإنَّ (لو) تَفْتَحُ عَملَ الشيطانِ**».

وأخرج الإمام أحمد في «مُسنده» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في حاشية «مشكاة المصابيح»[3] مِنْ حَدِيْثِ الوليد ابنِ الصَّحابيِّ الجليل عُبادةَ بنِ الصامتِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: «دخلتُ علىٰ عُبادةَ، وهو مريضٌ، أَتَخايلُ فيه الموتَ، فقلتُ: يا أَبَتَاهُ، أَوْصِني، واجتهد لي.

فقال: أَجْلِسوني. فلمَّا أجْلَسُوهُ قال: يا بُنيَّ، إنَّك لن تجدَ طَعمَ الإيمانِ، ولَنْ تَبْلُغَ حقيقة العِلمِ بالله ـ تبارك وتعالىٰ ـ حتىٰ تُؤمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشرِّهِ.

قلت: يا أَبَتَاهُ، وكيف لي أنْ أَعلمَ ما خيرُ القدرِ وشرُّهُ؟

قال: تعلم أنَّ ما أخطأكَ لم يَكُنْ ليُصيبَك، وما أَصَابَكَ لم يكنْ ليُخْطِئَكَ. يا بُنيَّ، إنِّي سمعتُ رسول الله -ﷺ- يقولُ: «**إنَّ أَوَّل ما خلقَ اللهُـ تعالىٰ ـ القلمُ، فقال لهُ: اكتبْ، فَجرَىٰ في تلك الساعةِ بما هو كائنٌ إلىٰ يوم القيامةِ**».

يا بُنيَّ، إنْ مُتَّ ـ ولستَ علىٰ ذلك ـ دخلتَ النَّار».

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٦).

(٢) رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٣) رواه أحمد (٥/ ٣١٧)، وصححه الألباني في «حاشية مشكاة المصابيح» (١/ ٣٤).

وأخرج البخاري في كتابه «خلق أفعال العباد»[١] عن ابن عباسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أنَّه قال: «كلُّ شيءٍ بقدرٍ، حتىٰ وضْعُكَ يدكَ علىٰ خدِّكَ».

أيُّها الناس، لقد أجمع المسلمون على وجوب الإيمان بالقدرِ خيرِهِ وشرِّهِ من اللّه:

قال النَّوويُّ -رَحِمَهُ اللهُ-: «وقد تظاهرت الأدلَّةُ القطعياتُ من الكتابِ، والسُّنَّةِ، وإجماعِ الصحابةِ وأهلِ الحلِّ والعقدِ من السَّلفِ والخلفِ علىٰ إثبات قدرِ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-»[٢].

قال ابن عباسٍ -رَضِيَ اللّه عَنْهُما-: «القدرُ نظامُ التوحيدِ؛ فمَنْ وحَّدَ الله، وآمَنَ بالقَدرِ، تمَّ توحيدُهُ، ومَنْ وحَّدَ اللهَ، وكذَّبَ بالقَدرِ، نَقَضَ توحيدَهُ»[٣].

وقال الحسنُ البصريُّ -رَحِمَهُ اللهُ-: «إنَّ اللهَ خلقَ خلقًا، فخلقهم بقدرٍ، وقسم الآجالَ بقدرٍ، وقسم أرزاقهم بقدرٍ، والبلاء والعافية بقدرٍ»[٤].

وقال -أيضًا-: «مَنْ كذَّب بالقدرِ، فقدْ كذَّب بالإسلام»[٥].

وقال في مرضه الذي مات فيه: «إنَّ اللهَ قدَّرَ أجلاً، وقدَّرَ مَعَهُ مرضًا، وقدَّر معه مُعافاةً، فمن كذَّب بالقدرِ، فقدْ كذَّبَ بالقُرآنِ، ومن كذَّب بالقُرآنِ، فقد كذَّب بالحقِّ»[٦].

أيُّها الناسُ، الإيمانُ بالقَدرِ أمرٌ معلومٌ بالفِطرةِ قديمًا وحديثًا، ولم يقع الخطأُ في نَفْي القدرِ وإنكارِهِ عندَ المشركين من الأمم، وإنَّما وقعَ في فهمِهِ علىٰ الوجهِ الصحيح؛ ولهذا قال اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨].

---

(١) «خلق أفعال العباد» (ص٢٦).
(٢) «شرح صحيح مسلم» للنووي (١/ ١٥٥).
(٣) أخرجه الآجري في «الشريعة» (ص٢١٥)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٤/ ٦٨١).
(٤) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي (٤/ ٦٨٢).
(٥) المرجع السابق (٤/ ٦٨٢).
(٦) المرجع السابق (٤/ ٦٨٢).

فهم أثبتوا المشيئة لله، لكنَّهمُ احتجُّوا بها علىٰ الشِّركِ، ثمَّ بيَّن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أنَّ هذا هو شأنُ مَنْ كان قبْلهم، فقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

أيُّها الناسُ،الإيمانُ بالقدرِ يقومُ علىٰ أربعةِ أركانٍ، مَن أقرَّ بها جميعًا، فإنَّ إيمانَهُ بالقَدَرِ يكونُ مُكْتمِلاً، ومنِ انتقص واحدًا، فقد اختلَّ إيمانُهُ، وهذه الأركانُ الأربعةُ هي:

١ـ العلمُ.
٢ـ الكتابةُ.
٣ـ المشيئةُ.
٤ـ الخَلقُ.

وفيما يأتي شرحُ ذلك:

أولاً ـ العلم:

والعلمُ ـ أيُّها الناسُ ـ: هُو الإيمانُ بأنَّ اللهَ عالمٌ بُكلِّ شيءٍ، يَعْلمُ ما كان، وما سيكونُ، وما لم يكنْ لو كان كيف يكونُ، ويعلمُ الموجودَ، والمَعدُومَ، والممكنَ والمستحيل، وهو-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- عالمٌ بالعبادِ، وآجالِهم، وأرزاقِهم، وحَرَكاتِهم، وسكناتِهم،وشقاوتِهم، وسعادتِهم، ومَنْ منهم مِنْ أهلِ الجنَّةِ ومَنْ منهم مِنْ أهلِ النَّارِ مِنْ قبْلِ أنْ يَخلقَهم، ويخلُقَ السَّمواتِ والأرضَ.

وهذا مُقتضىٰ اتِّصافِهِ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بالعلمِ، ومقتضىٰ كونِهِ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- هو العليمَ الخبيرَ السَّميعَ البَصيرَ.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

وقَالَ اللهُ-عزَّ وَجلَّ-: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾ [سبأ: ٣].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وفي «الصحيحين»[١] مِنْ حَدِيْثِ ابن عباسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قال: سُئِلَ النبي -ﷺ- عن أبناءِ المشركين، فقال: **«اللهُ - إذ خَلقَهُمْ - أعلمُ بما كانوا عاملين»**.

أي اللهُ أعلمُ بمَنْ يُؤمنُ منهم وَمنْ يكْفُر، لو بلغوا وعاشوا.

وفي «صحيح مسلم»[٢] مِنْ حَدِيْثِ عائشة -رَضِي اللهُ عَنْهَا- قالت: دُعي رسولُ الله -ﷺ- إلىٰ جنازةِ صبيٍّ من الأنصارِ، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، طُوبىٰ لهذا، عُصفورٌ من عصافيرِ الجنَّةِ، لم يَعْمل سوءًا ولم يُدركْهُ. قال: **«أو غير ذلك - يا عائشة -، إنَّ اللهَ خلقَ للجنَّةِ أهْلاً، خلقهُم لها، وهُم في أصلابِ آبائِهم، وخَلَقَ للنَّارِ أهلاً، خلقهُم لها، وهُم في أصلاب آبائهم»**.

ثانيًا - الكتابة:

والكِتابةُ - أيُّها الناسُ - هي الرُّكنُ الثاني من أركانِ القدرِ، وهي: الإيمانُ بأنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- كَتَبَ ما سَبقَ بِهِ علمُهُ مِنْ مقادير الخلائقِ إلىٰ يومِ القيامةِ في اللَّوحِ المحفوظ.

قال الإمام ابن القيِّم - رَحِمَهُ اللهُ -: «وقد أجمع الصحابةُ، والتَّابعون، وجميعُ أهلِ السُّنَّةِ والحديث - علىٰ أنَّ كلَّ كائنٍ إلىٰ يومِ القيامةِ فهو مكتوبٌ في أُمِّ الكتابِ، التي هي اللوحُ المحفوظُ، والذِّكْرُ، والإمامُ المُبينُ، والكتابُ المُبينُ»[٣].

---

(١) رواه البخاري (١٣٨٣)، ومسلم (٢٦٦٠).
(٢) رواه مسلم (٢٦٦٢).
(٣) «شفاء العليل» (ص٨٩).

والأدلةُ على هذه المرتبةِ كثيرةٌ من الكتابِ والسُّنَّة، فمنها:

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ﴾ [التوبة: ٥١].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- حاكيًا دُعاء موسىٰ -عليه السلامُ-: ﴿۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : عن محاجَّة موسىٰ - عَلَيْهِ السَّلَام لفرعونَ: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه: ٥١ - ٥٢].

وأخرج الإمامُ مسلمٌ في «صحيحه»[١] مِنْ حَدِيْثِ عبد الله بن عمرٍو -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قال: سمعتُ رسولَ اللهِ -ﷺ- يقولُ: «**كَتَبَ اللهُ مقاديرَ الخلائقِ قبلَ أنْ يَخْلُقَ السَّمواتِ والأرضَ بخمسين ألفَ سَنةٍ- قال: وعرشُهُ علىٰ الماءِ**».

وفي «الصحيحين»[٢] مِنْ حَدِيْثِ عليٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**ما مِنْ نَفْسٍ مَنفُوسةٍ إلا وقدْ كَتبَ اللهُ مكانَها مِنَ الجنَّةِ أوِ النَّارِ، إلاَّ وقدْ كُتِبَتْ شقيَّةً، أو سعيدةً**».

وأستغفرُ الله.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٣).

(٢) رواه البخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٤٧).

الخطبة الثانية:

الإيمان بالقضاء والقدر

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ المُرسلين، وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين، أمَّا بعدُ،

أيُّها الناسُ، سبق الحديث معكم عن القَدرِ،وذكرتُ رُكنيْنِ من أركانِه، هما: العلمُ، والكتابةُ، والآنَ حديثي معكم عن باقي الأركان، وهما: المشيئةُ، والخلقُ:

والمشيئةُ -أيُّها الناسُ- هي الركنُ الثالثُ من أركانِ القدرِ،ويَقْتضي هذا الرُّكنُ الإيمانَ بمشيئةِ اللهِ النافذةِ، وقُدرتِهِ الشاملةِ، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكنْ، وأنَّه لا حركة،ولا سُكونَ، ولاهدايةَ،ولا إضلالَ إلا بمشيئتِهِ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-.

قال العلامةُ ابنُ القيِّم ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «وهذه المرتبةُ (أي الرُّكْنُ) قد دلَّ عليها إجماعُ الرُّسُل مِنْ أوَّلِهم إلىٰ آخرِهم، وجميعُ الكُتُبِ المُنزلةِ مِنْ عندِ اللهِ، والفِطرةُ التي فَطَرَ الله عليها خلْقَهُ، وأدلَّةُ العقْلِ والبَيَانِ»[١].

والأدلة على هذا الركنِ من الكتاب والسُّنَّة كثيرةٌ جدًّا، فمنها:

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص: ٦٨].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير:٢٩].

---

(١) «شفاء العليل» (ص٩٢).

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ- : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام:١١١].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنعام: ٣٩].

وفي «صحيح مسلم»[١] مِنْ حَدِيْثِ عبد الله بن عمرو بن العاصِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال: قال رسولُ الله -ﷺ-: «**إنَّ قُلُوبَ بني آدَمَ كُلها بَيْنَ إصبعينِ مِنْ أصابعِ الرَّحمنِ، كقلبٍ واحدٍ، يُصَرِّفُهُ حيثُ يشاء**».

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ مشيئةَ اللهِ النافذةَ،وقدرتهُ الشاملة يجتمعانِ فيما كان، وما سيكون، ويفترقان فيما لم يَكُن، ولا هو كائن، فما شاء اللهُ كَوْنَهُ، فهو كائنٌ بقُدرتِهِ لا مَحالةَ، وما لم يشأ لا يكون لعدمِ مشيئتِهِ له، لا لعدمِ قُدْرتِهِ عليه.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

فعدمُ اقتتالهم ليس لعدمِ قُدرةِ اللهِ، ولكنْ لعدمِ مشيئتِهِ ذلك، ومِثْلهُ قولُهُ تعالىٰ ـ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٥].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟﴾ [الأنعام: ١٠٧].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩][٢] .

(١) رواه مسلم (٢٦٥٤).
(٢) «شفاء العليل» (ص١٠٨).

أيُّها الناسُ، ذلك ما تيسَّر الوُقوفُ عليه، وفيما يأتي ذِكْرُ الرُّكْنِ الرابعِ والأخير من أركان القدرِ، **وهو الخلقُ:** وهذا الرُّكْنُ يقتَضي الإيمانَ بأنَّ جميعَ الكائناتِ مخلوقاتٌ لله بذواتِها،وصفاتِها، وحركاتِها، وبأنَّ كُلَّ مَنْ سِوىٰ اللهِ مخلوقٌ مُوجَدٌ مِنَ العَدَمِ، كائنٌ بعدَ أنْ لم يكن.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «وهذه المرتبةُ (أي الرُّكنُ) دلَّتْ عليها الكُتُبُ السَّماويَّة، وأجمعَ عليها الرسُلُ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ، واتَّفقت عليها الفِطَرُ القَويمةُ، والعُقُول السليمةُ».

والأدلةُ على هذه المرتبة لا تكادُ تُحْصَرُ، منها:

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [الزمر: ٦٢].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعالَىٰ- : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ ٢﴾ [الأنعام: ١، ٢].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢﴾ [المُلك: ٢].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعالَىٰ- : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ﴾ [النساء:١].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعالَىٰ- : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٣٣﴾ [الأنبياء: ٣٣].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [فاطر: ٣].

وأخرج الإمام البخاريُّ في كتابه «خلق أفعال العباد» بسند صحيح، صححه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[1] مِنْ حَدِيْثِ حذيفةَ ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**إنَّ اللهَ يصنعُ كُل صانعٍ وصَنْعَتَهُ**».

أيُّها الناسُ، تلك هي أركانُ القدرِ ـ أو مراتبُ القدرِ الأربعُ ـ التي لا يتمُّ الإيمانُ بالقدرِ إلاَّ بها، وهأنذا أُعيدُها علىٰ مسامِعكم؛ لتَعْيَها قُلوبُكم:

الركن الأول: الإيمانُ بعلم الله الشامل المُحيط.

الركنُ الثاني. الإيمانُ بكتابةِ اللهِ في اللَّوحِ المحفوظِ.

الركنُ الثالثُ. الإيمانُ بمشيئةَ الله النافذةِ، وقُدْرتِهِ التامَّة، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكنْ

الركنُ الرابعُ. الإيمانُ بخلقِهِ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لكلِّ موجودٍ، لا شريكَ له في خلقِهِ.

وأسألُ الله أنْ يرزُقَنا عِلمًا نافعًا، وعملاً مُتَقبلاً، وصلىٰ اللهُ علىٰ سيِّدنا محمدٍ، وعلىٰ آلهِ وصحبِهِ، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

---

(١) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص٢٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٧٧).



٢٧ أَخطـاءُ بابِ القَـدَرِ

الخطبة الأولى

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّد -ﷺ-، وشرَّ الأُمورِ مُحدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بعدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ حولَ أخطاءٍ، يقعُ فيها كثيرٌ من الناس في بابِ القدرِ،وهذهِ الأخطاء منها ما في الأقوالِ، ومنها ما في الأفعالِ، ومنها ما هو في الاعتقاداتِ، ومنها ما هو في ذلك كُلِّه[1] .

---

(١) انظر «الإيمان بالقضاء والقدر» لمحمد بن إبراهيم الحمد، فقد استفدت منه في هذه الخطبة وغيرها.

فمن الأخطاء في باب القدرِ: تركُ الأخذِ بالأسبابِ اتِّكالاً علىٰ المكتوبِ المَقْدورِ، وهذا خطأٌ وضلالٌ؛ لأنَّ الأخذَ بالأسبابِ مِنْ تمامِ الإيمانِ بالقضاءِ والقدرِ، ونصوصُ الكتابِ والسُّنَّةِ حافلةٌ بالأمرِ باتِّخاذِ الأسبابِ المشروعةِ في مُختلفِ شئونِ الحياةِ، فقدْ أمرتْ بالعملِ، والسَّعيِ في طَلَبِ الرِّزْقِ، واتخاذِ العُدَّةِ لمواجهةِ الأعداءِ، والتزودِ للأسفارِ، وغَيرِ ذلك.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ- : ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الجُمُعة: ١٠].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعالَىٰ- : ﴿فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ [المُلك: ١٥].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وأَمرَ المُسافرين للحجِّ بالتَّزوُّد، فقال: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة:١٩٧].

وأمرَ بالدُّعاءِ والاستعانةِ، فقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعالَىٰ- : ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

وفي «صحيح مسلم»[1] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**احْرِص علىٰ ما يَنْفعُكَ، واستعِنْ باللهِ، ولا تَعْجِزَنْ، وإنْ أَصابَكَ شيءٌ، فلا تَقُلْ: لو أنِّي فعلتُ كذا لكان كذا، وكذا، ولكنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ، وما شاء فَعَلَ؛ فإنَّ (لو) تَفْتَحُ عَملَ الشَّيطانِ**».

وقد شرح شيخ الإسلام هذا الحديث، فقال: «فأمَرَهُ بالحِرصِ علىٰ ما يَنفعُهُ،

---

(١) تقدم تخريجه.

والاستعانةِ باللهِ، ونَهاهُ عنِ العجزِ: الذي هو الاتكالُ علىٰ القدرِ، ثمَّ أَمرهُ - إذا أصابَه شيءٌ - ألاَّ ييأسَ علىٰ ما فاتهُ، بل ينظرُ إلىٰ القدرِ، ويُسلِّمُ لأمرِ اللهِ، فإنَّه هُنا لا يقدرُ علىٰ غير ذلك، كما قال بعضُ العقلاءِ: الأُمورُ أمرانِ: أمرٌ فيه حِيلةٌ، وأمرٌ لا حِيْلةَ فيه، فما فيه حِيلةٌ لا يُعجزُ عنهُ، وما لا حِيلةَ فيه لا يُجزعُ مِنهُ»[1] .

ومن الأخطاء في بابِ القدرِ - أيُّها الناسُ - الاحتجاجُ بالقدرِ على فِعلِ المعاصي، أو تَرْكِ الواجبات، وهذا العملُ تصحيحٌ لمذهب الكُفَّارِ الذين قال الله عنهم: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَاۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ١٤٨﴾[الأنعام:١٤٨].

فهؤلاءِ المُشركون احتجُّوا علىٰ شِركِهم بالقدرِ، فلو كان احتجاجُهم مَقبولاً صحيحًا، ما أذاقهمُ اللهُ بأسَهُ، بل لو كان الاحتجاجُ بالقدرِ سائغًا، ما كان هُناك داعٍ لإرسال الرُّسُلِ.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥].

أيُّها الناس، إنَّ الاحتجاج بالقَدرِ علىٰ فِعلِ المعاصي - أو تركِ الطَّاعاتِ - احتجاجٌ باطلٌ في الشَّرعِ، والعَقلِ، والواقع، فلو كان القدرُ حُجَّة علىٰ المصائب والذُّنوب،لتعطَّلتْ مصالحُ الناسِ، ولعمَّتِ الفوْضَىٰ، ولما كان هُناك داعٍ للحُدودِ، والتَّعزِيراتِ، والجزاءاتِ؛ لأنَّ المُسيء سيحتجُّ بالقدرِ، ولما احتجنا لوضع عُقوباتٍ للظَّلمةِ وقُطَّاعِ الطريقِ، ولا إلىٰ فتح المحاكمِ، ونَصْبِ القُضاةِ؛ بحجةِ أنَّ كلَّ ما وقع إنَّما وقع بقدرِ اللهِ، وهذا لا يقولُهُ عاقلٌ.

أيُّها الناسُ، إنَّ المُؤمنَ الحقَّ بقضاء اللهِ وقدَرِهِ إنَّما يحتجُّ بالقدرِ علىٰ

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٨/ ٢٨٤ - ٢٨٥).

المصائبِ، والشَّقيّ يحتجُّ بالقدرِ علىٰ المعائبِ.

ولهذا قال شيخُ الإسلام: «يَسُوغُ الاحتجاجُ بالقدرِ عند المصائبِ التي تحِلُّ بالإنسان: كالفقرِ، والمَرضِ، وفقد القريبِ، وخَسارةِ المالِ، وقَتل الخطأِ، ونحوِ ذلك، فهذا مِنْ تمام الرِّضا باللهِ ربًّا، فالاحتجاجُ إنَّما يكونُ علىٰ المصائبِ لا المعائبِ، فالسَّعيدُ يستغفرُ من المعائبِ، ويصبرُ علىٰ المصائبِ، كما قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر: ٥٥].

والشَّقيُّ يجزعُ عندَ المصائبِ، ويحتجُّ بالقدرِ علىٰ المعائبِ»[١] .

وممَّنْ يسوغُ له الاحتجاجُ بالقدرِ التائبُ مِنَ الذَّنْبِ، فَلو لاَمَهُ أحدٌ علىٰ ذَنبٍ تاب منه، لساغَ له أنْ يحتجَّ بالقدرِ، فلو قيل لأحدِ التائبين: لم فعلت كذا وكذا؟ ثمَّ قال: هذا بقضاءِ اللهِ وقَدرِهِ، وأنا تُبتُ واستغفرتُ ـ لقبِل منه ذلك الاحتجاجُ، كما ذكر ذلك ابنُ القيم -رَحِمَهُ اللهُ - [٢] .

والدليلُ على أنَّه يجوزُ للتائبِ أنْ يحتجَّ بالقَدرِ ما في «الصحيحين»[٣] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قال رسولُ الله -ﷺ- «احتجَّ آدمُ ومُوسىٰ، فقال له موسىٰ: يا آدمُ، أنت أَبُونا، خيَّبْتَنَا، وأخرجْتنا من الجنَّة! قال لهُ آدَمُ: أنتَ مُوسىٰ، اصطفاكَ اللهُ بكلامِهِ، وخطَّ لك بيدِه، أَتلُومُني علىٰ أمر قدَّرهُ اللهُ عليَّ، قبلَ أن يَخْلُقني بأربعين سنة؟!» فقال النبي -ﷺ-: «فَحج آدمُ مُوسىٰ، فحج آدمُ مُوسىٰ ـ ثلاثًا ـ».

قال شيخ الإسلام ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في شرحِهِ لهذا الحديثِ: «فآدمُ ـ عَلَيْهِ السَّلَام لم يحتجَّ بالقدرِ علىٰ الذَّنبِ ـ كما يظنُّ ذلك بعضُ الطَّوائفِ ـ ومُوسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلَام لم يلُمْ آدمَ علىٰ الذَّنبِ؛ لأنَّهُ يَعْلَمُ أنَّ آدمَ استغفر ربَّهُ فتاب، فاجتباه

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٨/ ٤٥٤).
(٢) انظر «شفاء العليل» لابن القيم (ص٣٥).
(٣) رواه البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢).

ربُّه، وتاب عليه، وهَداهُ، والتائبُ مِنْ الذَّنبِ كمَنْ لا ذَنبَ لهُ، ولو أنَّ مُوسىٰ لامَ آدمَ علىٰ الذَّنبِ لأجابَهُ: إنني أذنَبتُ، فتُبتُ، فتابَ اللهُ عليَّ، ولقال له: أنت يا مُوسىٰ ـ أيضًا قتلتَ نفسًا، وألقيت الألواحَ، إلىٰ غير ذلك، إنما احتجَّ مُوسىٰ بالمُصيبةِ، فحجَّهُ آدمُ بالقدرِ»(١) .

أيُّها الناسُ، علىٰ ضوءِ هذا الحديث العظيم فقدْ قال أهلُ العلمِ: إنَّهُ لا يجوزُ لأحدٍ أنْ يلومَ التائبَ من الذَّنبِ، فالعِبرةُ بكمالِ النِّهايةِ، لا بنقصِ البدايةِ.

ومن الأخطاءِ في بابِ القدرِ ـ أيُّها الناسُ ـ التَّخلِّي عن مُساعدةِ المُحتاجين والمَنْكُوبين؛ بُحجَّةِ أنَّ ما حلَّ بهم إنَّما هو بمشيئةِ اللهِ، وهذا القولُ خطأٌ عظيمٌ، وضلالةٌ كُبرىٰ، وقائلوه فيهم شَبهٌ ممَّن قَالَ اللهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– : فيهم : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٤٧﴾ [يس: ٤٧].

فهذه الآية تدلُّ علىٰ أنَّ المشيئةَ ليستْ حُجَّةً لِفعلِ المعاصي، أو تركِ الطَّاعاتِ أبدًا. **قال العلامةُ ابن سعديٍّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ** في تفسير هذه الآية: «وهذا ممَّا يدلُّ علىٰ جَهْلِهِمُ العظيم ـ أو تَجاهُلِهمُ الوَخيمِ ؛ فإنَّ المشيئةَ ليستْ حُجة لعاصٍ أبدًا، فإنَّه ـ وإن كان ما شاء اللهُ كان، وما لم يشأ لم يكنْ ـ فإنه ـ تعالىٰ ـ مكَّن العبادَ، وأعطاهُم من القوَّةِ ما يَقْدِرون علىٰ فِعلِ الأمرِ، واجتنابِ النَّهي، فإذا تركوا ما أُمِرُوا به، كان ذلك اختيارًا منهم، لا جبرًا لهم وقَهرًا»(٢) .

ومن الخطأِ في بابِ القَدرِ ـ أيُّها الناسُ ـ تركُ الدُّعاءِ، بحجَّةِ أنَّ اللهَ يعلمُ حاجة العبدِ، قبلَ أنْ يسألَهُ،وأنَّه لو شاء لأعطاه مسألتَهُ بغير سُؤالٍ،وأنَّه لن يُصيبَهُ إلا ما كُتِبَ له، وهذا القولُ قولٌ باطلٌ؛ لأنَّه مُنافٍ للإيمانِ بالقَدرِ، وتعطيلٌ للأسبابِ، والدُّعاءُ

---

(١) انظر «الفتاوىٰ» (٨/ ١٧٨)، و«منهاج السنة» (٣/ ٧٨ ـ ٨١)، و«الاحتجاج بالقدر» لابن تيمية (ص١٨ ـ ٢٢).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» لعبد الرحمن السعدي (ص٦٩٧).

شَأْنُهُ عظيمٌ؛ فبه يُرَدُّ القدرُ، وبه يُرفَعُ البَلاءُ؛ فهو ينفعُ ممَّا نَزَلَ، وممَّا لم يَنزِلْ.

فقد أخرج الإمامُ أحمدُ في «مُسندِهِ» بسندٍ حسن، حسنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[٢] مِنْ حَدِيْثِ سَلمانَ الفارسيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**لا يَردُّ القضاءَ إلاَّ الدُّعاءُ**».

وأخرج الترمذي في «سُننه» بسندٍ حسنٍ، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»[١] مِنْ حَدِيْثِ عبد الله بن عمر-رَضِي اللهُ عَنْهُمَا-: «**الدُّعاءُ ينفعُ ممَّا نزلَ، وممَّا لم يَنْزِلْ؛ فعليكم ـ عبادَ اللهِ ـ بالدُّعاءِ**».

وأخرج الحاكمُ في «مُستدركه» بسندٍ حسنٍ، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»[٢] مِنْ حَدِيْثِ عائشة-رَضِي اللهُ عَنْهَا- قالتْ: قال رسولُ الله -ﷺ-: «**لا يُغني حَذرٌ منْ قدرٍ، والدُّعاءُ يَنْفعُ ممَّا نزلَ، وممَّا لم يَنزلْ، وإنَّ البلاءَ لينزل، فيَتَلقَّاهُ الدُّعاءُ، فيَعتِلجانِ إلىٰ يوم القيامةِ**».

أيُّها الناسُ، إنَّ الأخذَ بالأسبابِ مِنْ تمامِ الإيمانِ بالقدرِ، والدُّعاء مِنَ الأسبابِ التي بها يرَد القضاء.

قال العلامة ابنُ عُثيمين ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «الدُّعاءُ من الأسبابِ التي يَحصُلُ بها المدْعُوُّ، وهو ـ في الواقع ـ يَرُدُّ القضاءَ، ولا يرُدُّ القضاءَ ـ يَعني له وجَهانِ ـ فمثلاً: هذا المريضُ، قدْ يَدْعُو اللهَ ـ تعالىٰ ـ بالشفاءِ، فيشفىٰ، فهُنا لولا هذا الدعاءُ لبقي مريضًا، لكن بالدُّعاءِ شُفي، إلاَّ أنَّنا نقولُ: إنَّ اللهَ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- قد قضىٰ بأنَّ هذا المرضَ يشفىٰ مِنهُ المريض بواسطةِ الدُّعاءِ،فهذا هوالمكتوبُ، فصار الدُّعاء يرُدُّ القدرَ ظاهريًّا، حيثُ إنَّ الإنسانَ يَظُنُّ أنَّه لولا الدُّعاءُ لبقي المَرضُ،

(١) «مُسند أحمد» (٥/ ٢٧٧)،وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٦٨٧)،وانظر «الصحيحة» (١٥٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٤٨)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٠٩)،وانظر «المشكاة» (٢٢٣٤).

ولكنَّه في الحقيقة لا يردُّ القضاءَ؛ لأنَّ الأصلَ أن الدُّعاءَ مكتوبٌ، وأن الشِّفاءَ سيكونُ بهذا الدُّعاءِ، هذا هو القدرُ الأصليُّ الذي كُتبَ في الأزلِ، وهكذا كلُّ شيءٍ مَقرونٌ بسببٍ، فإنَّ هذا السببَ جعلهُ اللهُ ـ تعالىٰ ـ سببًا يحصُلُ به الشيء، وقدْ كتبَ ذلك في الأزَلِ قبلَ أن يحدُثَ» .اهـ[1] .

ومن الأخطاءِ في باب القدر ـ أيُّها الناسُ ـ الاعتراضُ على الأقْدارِ، كقولِ بَعْضِهم ـ إذا أُصيبَ بمصيبةٍ ـ: ماذا فعلتُ يا ربِّ؟أو أنا لا أستحق ذلك. وكذلك ما يُقالُ ـ إذا أُصيبَ شخصٌ بمصيبةٍ ـ: فُلانٌ مسكينٌ،لا يستحقُّ ما جرىٰ له، لقدْ ظلمتْهُ الأقدارُ، إلىٰ غير ذلك من الاعتراضِ علىٰ قدرِ اللهِ، ومِنَ الجهلِ بحكمتِهِ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، فلا يجوزُ إطلاقُها؛ لأَنَّ للهِ ما أَخذَ، وله ما أعطىٰ،وله الحكمة البالغة في شَرْعِهِ، وخَلْقِهِ، وفِعْلِهِ.

قَالَ اللهُ - عزَّ وَجَلَّ - : ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣].

ومن الأخطاءِ في باب القدر أيُّها الناسُ ـ الدُّعاءُ بـ «اللهمَّ إنِّي لا أسْأَلُك ردَّ القَضاءِ،ولكنْ أسأَلُك اللُّطفَ فيه» فهذا الدُّعاء يجْري كثيرًا علىٰ الألسنةِ، وهو دُعاءٌ لا ينبغي؛ لأنَّهُ شُرِعَ لنا أن نسأل اللهَ ردَّ القضاءِ، إذا كان فيه سُوءٌ.

وقد بوَّبَ البُخاريُّ -رَحِمَهُ اللهُ - بابًا في «صحيحه»، قال فيه : «باب: مَن تعوَّذَ باللهِ مِن دَركِ الشَّقاءِ، وسُوءِ القضاءِ، وقولِهِ ـ تعالىٰ ـ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾﴾ [الفلق: ١-٢].

ثمَّ ساق حديث أبي هُريرةَ[2] -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عن النبيِّ -ﷺ- قال: «**تَعوَّذُوا باللهِ مِنْ جَهدِ البلاء، ودَرَكِ الشَّقاءِ، وسوُءِ القضاءِ، وشماتة الأعداءِ**».

وفي رواية قال سُفيان:«الحديثُ ثلاثٌ،زدْتُ أنا واحدةً،لا أدري أيَّتُهُنَّ هيَ؟».

وأستغفر الله.

---

(١) «المجموع الثمين» (١/ ١٥٧).

(٢) رواه البخاري (٦٣٤٧) و (٦٦١٦)، ومسلم (٢٧٠٧).

الخطبة الثانية:

أخطاءٌ بابِ القدرِ

إنَّ الحمد لله نحمدُهُ، ونستعينهُ، ونستغفرهُ، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسُنا، ومِنْ سيِّئاتِ أعمالِنا مَنْ يَهدِ اللهُ فلا مُضلَّ لهُ، ومَن يُضلِل فلا هاديَ له، وأشهدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحدهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

أمَّا بعدُ، أيُّها الناسُ، إنَّ مسائلَ القدرِ مِن الأمورِ المُهمَّةِ، التي يجبُ علىٰ العبدِ أن يُحقِّقَها تمامًا، حتىٰ يَصِلَ فيها إلىٰ درجةِ اليقين.[1] ومعرفةُ الأخطاءِ في بابِ القدرِ يَقُودُ إلىٰ فَهم القدرِ علىٰ الوجهِ الصحيح، وقد سبق ذكرُ بعضِ الأخطاءِ في بابِ القَدرِ، وفيما يأتي ذِكْرُ بعضِها:

فمن الأخطاءِ في بابِ القدرِ ـ أيُّها الناسُ ـ قولُ كلمةِ (لو) عندما تحِلُّ مُصيبةٌ،وذلك إذا كان الحاملُ عليها الحُزنَ، والضَّجرَ، والجزعَ، وضعفَ الإيمانِ بالقَدرِ، كحالِ مَنْ يقولُ إذا نزلتْ بهِ مُصيبةٌ: كخسارةِ مالٍ، أو تَلفِ زَرْعٍ، أو فقْدِ أنفُسٍ، أو غير ذلك ـ يقول: لو أنِّي فعلتُ كذا وكذا، ما كان كذا وكذا، أو لكان كذا وكذا.

فهذهِ المقولةُ خطأٌ؛وذلك أنَّ العبدَ مأمورٌ عند المصائبِ بالصَّبر، والاسترجاع، والتوبةِ، وقولُ (لو) لا يُجدي عليه إلاَّ الحُزن والتَّحسر، مع ما يُخافُ علىٰ توحيدهِ مِنْ نوعِ المُعاندةِ للقدرِ، الذي لا يكادُ يَسْلَمُ منها مَنْ وقعَ منه هذا، إلاَّ ما شاءَ اللهُ»[2].

---

(١) انظر «المجموع الثمين من فتاوىٰ ابن عثيمين» (١/ ١٥٩).
(٢) انظر «تيسير العزيز الحميد» (ص٦٦١).

ولهذا نعىٰ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- علىٰ المنافقين مقولتَهُمْ: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤].

ومقولتهم: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران:١٦٨].

فردَّ اللهُ عليهم - وعلىٰ أمثالِهم - بقولِهِ: ﴿قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١٦٨﴾ [آل عمران: ١٦٨].

وأرشدنا نبيُّنا -ﷺ- إلىٰ الأخذِ بالأسبابِ،وأنْ نَحرِصَ علىٰ ما يَنفعُنا، ومتىٰ أتتِ الأُمورُ علىٰ خِلافِ ما نُريدُ، أرشدنا إلىٰ التسليم لله، والإيمان بهِ، والتَّعزِّي بقَدرِهِ، مع حُسنِ الظَّنِّ بهِ، والرَّغبةِ في ثوابِهِ، فذلك عين الفلاحِ في الدُّنيا والآخرةِ[١].

ففي «صحيح مسلم»[٢] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قال رسولُ الله -ﷺ-: «**وإنْ أصابك شيءٌ، فلا تَقُلْ: لو أنِّي فعلتُ كذا، لكان كذا وكذا، ولكنْ قُلْ: قَدرُ اللهِ، وما شاء فعلَ؛ فإنَّ (لو) تفتحُ عَملَ الشيطانِ**».

ومن الأخطاء في باب القدرِ - أيُّها الناسُ - قولُ كلمةِ (ليْتَ) وهي مِنْ جِنسِ كلمةِ (لو)، فهما لا يُجديانِ في حُصُولِ الأمرِ المَقْدورِ.

ومن الأخطاء في باب القدرِ - أيُّها الناسُ - الحسدُ، فالحَسَدُ في حقيقتِهِ إنَّما هو اعتراضٌ علىٰ قَدَرِ الله؛ لأنَّ الحاسدَ لم يَرْضَ بقضاءِ اللهِ، ولم يُسلِّمْ لقدرِهِ، فلِسانُ حالِ الحاسدِ يقولُ: إنَّ فلانًا أُعطِيَ، وهو لا يَسْتحقُّ، وفُلانًا مُنِعَ، وهو يستحقُّ العطاءَ.

فكأنَّه بحَسَدِهِ هذا يقسِمُ رحمةَ ربِّه بَيْنَ العبادِ، وكأنَّه يَقْترِحُ علىٰ ربِّه ما يَراهُ مُلائمًا في نَظرِهِ، فهو بصنيعِهِ هذا يَقْتَرِحُ في حِكمةِ اللهِ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-،

---
(١) انظر المرجع السابق (ص٦٦٢).
(٢) سبق تخريجه.

ووضْعِهِ الأشياءَ في مواضِعها اللائقة بها؛ فمِنْ تمامِ الإيمانِ بالقدرِ تركُ الحسدِ، والتسليمُ للهِ في جميعِ الأُمورِ، فالمؤمنُ الحقُّ لا يَحْسُدُ الناسَ علىٰ ما آتاهمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ لإيمانِهِ بأنَّ اللهَ هو الذي رَزَقَهُم، وقدَّر لهم معايشَهُم، فأعطىٰ مَنْ شاءَ لحكمةٍ، ومَنَعَ من شاء لحكمةٍ، وأنه ـ حِينَ يَحْسُدُ غيرهُ ـ إنَّما يَعترِضُ علىٰ قدرِ اللهِ، ويَقْدَحُ في حِكْمتِهِ.

ولهذا قيل: «مَنْ رضيَ بقضاءِ اللهِ لم يُسْخِطْهُ أحدٌ، ومَنْ قَنِعَ بعطائِهِ لم يدخلهُ حسَدٌ»[1] .

ومن الأخطاءِ في بابِ القَدرِ التَّسَخطُ بالبناتِ، فبعضُ المسلمين - هَدَاهُ اللهُ - إذا رزقَهُ اللهُ بنْتًا تسخطَ بها، وهذا فيه تشبُّهٌ بأهلِ الجاهليَّةِ، الذين قصَّ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- علينا خَبرهُمْ، وأنهم: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النحل: ٥٨ ـ ٥٩].

ومن الأخطاءِ في بابِ القدرِ الإقدامُ على قتلِ النَّفس ـ الانتحارِ ـ:

فهذا الصَّنيعُ مُنافٍ للإيمانِ بالقدرِ، والتسليم لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- في كُلِّ أمرٍ، وهو من الأمور التي حرَّمها اللهُ، وحذَّر من فِعلِها، وتوعَّد مُرتكِبَها بالوعيدِ الشديدِ، قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [النساء: ٢٩ ـ ٣٠].

ومن الأخطاءِ في بابِ القدرِ تمنّي الموت، وهذا ـ أيضًا ـ مُنافٍ للإيمانِ بالقدرِ،والتسليمِ للهِ، فإنْ كان المَرْءُ ـ لابُدَّ ـ مُتمنّيًا، فليدع بهذا الدعاءِ المأثورِ،

(١) «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص٢٦٩).

الذي في «الصحيحين»[1] مِنْ حَدِيْثِ أنس بن مالكٍ ـ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**لا يَتَمنَيّنَّ أحدُكمُ الموتَ مِنْ ضُرٍّ أصابَهُ، فإن كان لابدَّ فاعلاً، فَليقُل: اللهمَّ أحيني ما كانت الحياةُ خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاةُ خيرًا لي**».

ومن الأخطاء في باب القدرِ ـ أيُّها الناسُ ـ ترديد هذا السُّؤالِ: هل الإنسانُ مُسيَّرٌ أو مُخيَّرٌ؟ وكأنَّ بابَ القدرِ لا يُفهمُ إلا بالإجابةِ عن هذا السُّؤالِ.

والجواب: أنَّ الحقَّ وسطٌ بَينَ القولينِ، وهو أنَّ الإنسانَ مُخيرٌ باعتبارٍ، ومُسيَّرٌ باعتبارٍ، فهو مُخيَّرٌ باعتبارِ أنَّه لهُ مشيئةٌ يَختارُ بها، وقُدرةٌ يَفعلُ بها لقول اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

ولقولـه -ﷺ- كما في «صحيح مسلم»[2] مِنْ حَدِيْثِ أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: «**احْرِص علىٰ ما يَنْفعُكَ، واستعنْ باللهِ، ولا تعجزَنْ**».

وهو مُسيرٌ باعتبارِ أنَّه في جميع أفعالِهِ داخلٌ في القَدرِ، راجعٌ إليه لكونِهِ لا يَخرجُ عمَّا قدَّر اللهُ لقولِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [يونس: ٢٢].

وقد جمعَ اللهُ بينَ هذين الأمرين ـ أي كونِ الإنسانِ مُسيرًا باعتبارٍ، ومُخيرًا باعتبارٍ ـ في هذه الآية الكريمة: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩]. فأثبت اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أنْ للعبدِ مشيئةً، وبيَّنَ أنَّ مَشيئةَ العبدِ تابعةٌ لمشيئةِ اللهِ، واقعةٌ بها.

وأخيرًا نسألُ اللهَ أنْ يَرْزُقنا عِلمًا نافعًا، وعملاً مُتقبَّلاً، ويَجعلَنا هُداةً مُهْتدين، وصلىٰ اللهُ وسلم علىٰ سيِّدِنا محمَّدٍ، وعلىٰ آله وصحبِهِ، وسلم تسليمًا كثيرًا.

---

(١) رواه البخاري (٥٦٧١)، ومسلم (٢٦٨٠).
(٢) سبق تخريجه.



٢٨ أشراط الساعة الصغرى

الخطبة الأولى :

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيْئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلا مُضلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد -ﷺ-، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بعد، أَيُّهَا النَّاسُ، حديثي معكم اليوم عن أشراط الساعة الصغرىٰ، وسميت بالصُغرىٰ لأنها معتادة الوقوع وتتقدم الساعة بأزمان، خلافًا لأشراط الساعة الكبرىٰ ؛ فهي غير معتادة الوقوع : كظهور الدجال، ونزل عيسىٰ -عليه السلام- ، وخروج يأجوج ومأجوجَ، وطلوع الشمس من مغربها .

أيها الناس ؛ قد جاء في «صحيح مسلم» من حديث عمر -رضِيَ الله عَنهُ-

أن جبريل - عليه السلام- قَالَ لرسول الله -ﷺ- : « **فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ** »[1]. فإذا كان أعلىٰ الملائكة منزلة -وهو جبريل - وأعلىٰ البشر منزلة - وهو محمد -ﷺ- لا يعلمان متىٰ تكون الساعة ، فأحرىٰ بأن لا يعرف أحد غيرها وقت وقوعها .

إذاً فعلم الساعة من خصائص علم الله ، لا يعلم وقت وقوعها، لا ملكًا مُقربًا، ولا نبيًّا مُرسلاً، قالَ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

ففي هذه الآية الكريمة أخبر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أنه لا أحد يعرف وقت الساعة غيره -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وأنها تأتي بغتة ، وأن رسول الله -ﷺ-لا يدري متىٰ هي، فهي إحدىٰ مفاتح الغيب الخمسة التي هي من مكنونات الله علم الله، قال اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان:٣٤] .

وفي «صحيح البخاري» [2]من حديث ابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُما- قال : قال رسول الله -ﷺ-: « مِفْتَاحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ» ثم تلا هذه الأية : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [لقمان:٣٤] .

أيها الناس ؛ إن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- قد أخفىٰ وقت وقوع الساعة عن عباده، لكنه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أعلمهم بأمارات وعلامات تدل علىٰ قرب وقوعها، وهذه الأمارات والعلامات هي أشراط الساعة .

---

(١) رواه مسلم (٨) .
(٢) رواه البخاري (٤٩٦٧) .

قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد:١٨] .

والمراد بالأشراط : العلامات التي يعقبها قيام الساعة» . [١]

وهذه العلامات منها ما قد وقعت ، ومنها ما قد وقعت ولا تزال مستمرة، ومنها ما لم تقع :

فمن أشراط الساعة التي قد وقعت : بعثة الرسول -ﷺ- :

ففي «الصحيحين»[٢] ، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ: « **بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ ، كَفَضْلُ إِحْدَاهُمَا عَلَىٰ الأُخْرَىٰ- وضم السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَىٰ** ».

فدل هذا الحديث علىٰ أن أول علامة الساعة أيها الناس ، بعثة رسول الله -ﷺ-فهو النبي الأخير ، فلا يليه نبي آخر ، وإنما تليه القيامة كما يلي السبابةَ الوسطىٰ ليس بينهما إصبع ، أو كما يفضل إحداهما أخرىٰ » . [٣]

ومن أشراط الساعة التي قد وقعت : انشقاق القمر :

قال اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾ [القمر:١-٢] .

وفي «صحيح مسلم»[٤] من حديث أنس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال:« أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ -ﷺ- أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ مَرَّتَيْنِ » .

وفي «صحيح مسلم »[٥] ، أيضًا من حديث عبد الله بن مسعود -رَضِيَ اللهُ

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٧٩) .
(٢) رواه البخاري (٦٥٠٤) ، ومسلم (٢٩٥١) .
(٣) انظر : فتح الباري (١١/ ٣٤٩) ، وتحفة الأحوذي شرح الترمذي (٦/ ٤٦٠) ، والتذكرة (ص٦٢٥-٦٢٦) .
(٤) رواه مسلم (٢٨٠٢) .
(٥) رواه مسلم (٢٨٠٠) .

عَنْهُ- قال: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- بِشِقَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: اشْهَدُوا » . وفي رواية أخرىٰ عنه -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: « بيْنَما نَحْنُ مع رَسُولِ اللهِ -ﷺ- بمِنًىٰ إذَا انْفَلَقَ القَمَرُ فِلْقَتَيْنِ، فَكَانَتْ فِلْقَةٌ وَرَاءَ الجَبَلِ، وَفِلْقَةٌ دُونَهُ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «اشْهَدُوا» .

ومن أشراط الساعة: موت رسول الله -ﷺ-:

ففي «صحيح البخاري» [١]، من حديث عَوْف بْنَ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ -ﷺ- فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَقَالَ: «**اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مُوتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّىٰ يُعْطَىٰ الرَّجُلُ مِئَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَىٰ بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ فَيَغْدِرُونَ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا**» .

وهذه العلامات منها ما قد وقعت كفتح بيت المقدس في عهد عمر بن الخطاب والمقصود بالموتان الذي يأخذ الناس كقعاص الغنم: هو طاعون عمواس، كما قال العلماء، وقد وقع ذلك في عهد عمر بن الخطاب ومات فيه خيار الصحابة -رَضِيَ الله عنهُم-، كأبي عبيدة بن ا لجراح .

وأما استفاضة المال: فمن العلامات التي لا تزال مستمرة، وقد فاض المال في عهد عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- فكان الرجل يعرض المال للصدقة، فلا يجد من يقبله، وسيكثر المال في آخر الزمان، حتىٰ يعرض الرجال ماله، فيقول الذي يعرضه عليه: «لا أرب لي به » .

ففي صحيح البخاري» [٢]، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عن النبي -ﷺ- قال:« **لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ، فَيَفِيضَ حَتَّىٰ يُهِمَّ رَبَّ**

(١) رواه البخاري (٣١٧٦) .
(٢) رواه البخاري (١٤١٢) .

المَالِ مَن يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وحتَّىٰ يَعْرِضَهُ، فَيَقُولَ الذي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ : لا أَرَبَ لِي فِيْهِ » .

وفي «صحيح مسلم» [(١)]، من حديث أَبي مُوسىٰ الأَشْعَرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنَّ النَّبيَّ -ﷺ- قال: « **ليأتينَّ علىٰ النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ فِيهِ بِالصَّدَقَة مِنَ الذَّهَبِ، فَلا يَجِدُ أحَدًا يَأْخُذُهَا مِنْهُ** » .

وفي «صحيح مسلم»[(٢)]، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا، أَمْثَالَ الْأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قُطِعَتْ يَدِي، ثُمَّ يَدَعُونَهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا** » .

ومن أشراط الساعة التي قد وقعت : ظهور نار الحجاز :

ففي «الصحيحين» [(٣)]، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَىٰ** » .

وقد ظهرت هذه النار في منتصف القرن السابع الهجري في عام أربع وخمسين وستمائة، وكانت ناراً عظيمة أفاض العلماء ممن عاصر ظهورها ومن بعدهم في وصفها.

ومن العلماء الكبار الذين كانوا أحياء عند خروج هذه النار الإمام النووي -رحمه الله- وقد ذكرها في شرحه «صحيح مسلم »[(٤)]، فقال: « وقد خرجت

(١) رواه مسلم (١٠١٢) .
(٢) رواه مسلم (١٠١٣) .
(٣) رواه البخاري (٧١١٨) ، ومسلم (٢٩٠٢) .
(٤) شرح النووي علىٰ مسلم (١٨/ ٢٨) .

في زماننا نار بالمدينة سَنة أربع وخمسين وستمائة، وكانت ناراً عظيمة جداً من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة، تواتر العلم بها عند جميع الشام وسائر البلدان، وأخبرني من حضرها من أهل المدينة» .

وذكر ابن كثير -رحمه الله- في كتابه «النهاية»[1] : «أن غير واحدٍ من الأعراب ممن كان بحاضرة بصرىٰ شاهدوا أعناق الإبل في ضوء هذه النار التي ظهرت من أرض الحجاز ». وبصرىٰ - أيها الناس- مدينة معروفة بالشام ، ويقال لها: «حوران» بينها وبين دمشق ثلاث مراحل .

أيها الناس : تلك علامات الساعة قد مضت .

وهناك علامات قد وقعت وهي مستمرة ، فمنها : ضياع الأمانة :

في صحيح البخاري» [2]، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله -ﷺ-: « **إِذَا ضُيِّعَتْ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ** » ، قَالَ كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللهِ ؟، قَالَ : «**إِذَا أُسْنِدَ الْأَمْرُ إِلَىٰ غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ**» .

ففي إسناد الأمر إلىٰ غير أهله دليلٌ واضحٌ علىٰ عدم اكتراث الناس بدينهم، حتىٰ إنهم يولون أمرهم من لا يهتم بدينه ، فيكون ذلك سببًا في تضييع الأمانة، فإذا ضيع من يتولىٰ أمر الناس الأمانة -والناس تبعٌ لمن يتولىٰ أمرهم - ؛ كانوا مثله في تضيع الأمانة ، فصلاحُ حال الولاة صلاحٌ لحال الرعية، وفساده فساد لهم .

ومن أشراط الساعة : قبض العلماء وظهور الجهل والفتن ويلقي الشحُّ :

ويكثر القتل ، ففي «الصحيحين»[3]، من حديث أَنَسٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: « **إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ ، وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ**».

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم ، لابن كثير (١/ ١٤) .
(٢) رواه البخاري (٦٤٩٦) .
(٣) رواه البخاري (٨٠) ، ومسلم (٢٦٧١) .

وفي «صحيح مسلم»[١]، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **يَتَقَارَبُ الزَّمانُ، ويُقْبَضُ العِلْمُ، وتَظْهَرُ الفِتَنُ، ويُلْقَىٰ الشُّحُّ، ويَكْثُرُ الهَرْجُ قالوا: وما الهَرْجُ؟ قالَ: القَتْلُ** » .

قال ابن بطال -رحمه الله- : كما في «فتح الباري» [٢] : جميع ما تضمنه هذا الحديث من الأشراط قد رأيناها عيانًا ، فقد نقص العلم ، ظهر الجهل، وألقي الشُّح في القلوب ، وعمت الفتن ، وكثر القتل » .

وأستغفر الله .

---

(١) رواه مسلم (١٥٧) .

(٢) فتح الباري (١٣/ ١٦) .

الخطبة الثانية:

أشراط الساعة الصغرى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشراف المرسلين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

أيها الناس ؛ إن أشراط الساعة الصغرىٰ الحديث عنها ذو شجون، فهي أكثر من أن تُحصر : وقد تقدم الحديث عن بعضها ، وفيما يأتي ذكر شيء منها :

فمن أشراط الساعة أيها الناس : انتشار الزنا ، ويكثر شرب الخمر ، ويقل الرجال، ويكثر النساء :

ففي «الصحيحين»[١]، من حديث أَنَسِ بن مَالكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: « **إِنَّ مِن أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ العِلْمُ، ويَكْثُرَ الجَهْلُ، ويَكْثُرَ الزِّنَا، ويَكْثُرَ شُرْبُ الخَمْرِ، ويَقِلَّ الرِّجَالُ، ويَكْثُرَ النِّسَاءُ حتَّىٰ يَكونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً القَيِّمُ الوَاحِدُ** » .

ومن أشراط الساعة : انتشار الرِّبا :

حتىٰ إن الرجل لا يُبالي بما أخذ المال ؛ أمن حلالٍ أم من حرام ؟ ، ففي «صحيح البخاري »[٢]، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**لَيَأْتِيَنَّ عَلَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ، أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ**» .

---

(١) رواه البخاري (٥٢٣١) ، ومسلم (٢٦٧١) .
(٢) رواه البخاري (٢٠٨٣) .

ومن أشراط الساعة أيها الناس : ظهور المعازف واستحلالها :

ففي «سُنن ابن ماجهْ » من حديث سَهْل بْن سَعْدٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَان خَسْفٌ وَقَذْفٌ وَمَسْخٌ** » ، قِيْلَ : وَمَتَىٰ ذَلِكَ يَا رَسُول الله؟، قَال: « **إِذَا ظَهَرَتْ الْمَعَازِفُ والْقَيْنَاتُ** » .

والمعازف -أيها الناس- هي : آلات الملاهي ، كالعود ، والطنبور، والدُّف، وكل لُعَبِ عزف، وقد وقع شيءٌ كبيرٌ في العصور السابقة ، وهي الآن أكثر ظهورًا ، فقد ظهرت المعازف في هذا الزمان ، وانتشرت انتشارًا عظيميًا، وكثر المغنون والمغنيات، وهم المشار إليهم في هذا الحديث بـ «**والْقَيْنَات**» [(١)] .

وأعظم من ذلك استحلالُ كثير من الناس للمعازف ، وقد جاء الوعيد لمن فعل ذلك بالمسخ، والقذف ، والخسف ، كما في الحديث السابق .

ففي «صحيح البخاري[(٢)]»،من حديث أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيّ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّه سَمِعَ النَّبِيَّ -ﷺ- يَقُولُ: « **لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ ، وَالحَرِيرَ ، وَالخَمْرَ ، وَالمَعَازِفَ** » .

ومن أشراط الساعة : شرب الخمر وتسميتها بغير اسمها :

ففي «مُسند أحمد» بسندٍ صحيح - صححه الألباني في «صحيح الجامع»[(٣)]، من حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- : «**لَيَسْتَحِلَّنَّ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ بِاسْمٍ يُسَمُّونَهَا إِيَّاهُ**».

ومن أشراط الساعة : زخرفة المساجد والتباهي بها :

فقد أخرج الإمام أحمد في «مُسنده» بسندٍ صحيح -صححه الألباني في

---

(١) أشراط الساعة ، ليوسف الوابل (ص ١٤١) .
(٢) رواه البخاري .
(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٣١٨) ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٩٤٥) .

«صحيح الجامع»[١]، من حديث أَنَسِ بن مَالكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أن رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَتَبَاهَىٰ النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ**».

قال البخاري: «قال أنس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- «يَتَبَاهَوْنَ بِهَا ثُمَّ لَا يَعْمُرُونَهَا إِلَّا قَلِيلًا». فالتباهي بها: العناية بزخرفتها. قال ابن عباس: لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارىٰ»»[٢].

ومن أشراط الساعة: التطاول في البُنيان، وأن تلد الأمة ربتها:

وفي «صحيح مسلم»[٣]، من حديث عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِي -ﷺ- قَالَ: لجبريل عندما سأله عن وقت قيام الساعة: «**مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا؟، قَالَ: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَىٰ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**».

ومن أشراط الساعة: أن يكون السلام للمعرفة:

ففي «مُسند أحمد»، بسند صحيح[٤]، من حديث ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُسَلِّمَ الرَّجُلُ عَلَىٰ الرَّجُلِ، لَا يُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِلَّا لِلْمَعْرِفَةِ**».

ولفظ أحمد في المُسند: «**أَنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ تَسْلِيمَ الْخَاصَّةِ**»[٥].

وهذا أمرٌ مُشاهدٌ في هذا الزمن، فكثيرٌ من الناس لا يسلمون إلَّا علىٰ من يعرفون، وهذا خلاف السُّنَّة؛ فإن النبي -ﷺ- حثَّ علىٰ إفشاد السلام علىٰ من عرفت ومن لم تعرف، وأن ذلك سبب في انتشار المحبة بين المسلمين التي

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٣٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٧١).
(٢) رواه البخاري (١/ ٥٣٩).
(٣) رواه مسلم (٨).
(٤) مُسند أحمد (٥/ ٣٢٦).
(٥) مُسند أحمد (٥/ ٣٣٣)، وهو في «الصحيحة» (٦٤٧)، ومسلم (٢/ ٥).

هي سبب للإيمان الذي به يكون دخول الجنة ؛ ففي «صحيح مسلم»[(١)]، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**لا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا ، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا ، أَوَلا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ ، أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ** » .

جعلنا الله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

---

(١) رواه مسلم (٢٩٤٠) .



٢٩ المهدي

الخطبة الأولى/

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أَمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدَقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد -ﷺ-، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أما بعد : أيها الناس ؛ حديثي معكم اليوم عن المهدي - عَلَيْهِ السَّلَام- .

وهو رجل يخرج في آخر الزمان من أهل البيت ، يؤيد الله به الدين، يملك سبع سنين ، يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جُورًا وظلمًا ، تنعم الأمة في عهده نعمة لم تنعمها قط ؛ تخرج الأرض نباتها، وتمطرُ السماء قطرها، ويعطي المال

بغير عدد [١].

ففي زمانه تكون الثمار كثيرة ، والزروع غزيرة ، والمال وافر، والسلطان قاهر، والدِّين قائم ،والعدو راغم ، والخير في أيامه دائم [٢].

ولابد أن نعرف - أيها الناس-شيئًامن صفاته ونسبه:

فهو رجل اسمه كاسم رسول الله -ﷺ- واسم أبيه كاسم أبي النبي -ﷺ- ويكون اسمه محمد بن عبد الله ، ففي «سُنن أبي داود» بسندٍ حسن صحيح، قال الألباني في «صحيح الجامع » [٣]، من حديث عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-:« **لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلا يَوْمٌ، لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، حَتَّىٰ يَبْعَثَ اللهُ فِيهِ رَجُلا مِنِّي** » أَوْ : « **مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا، وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا ، لَا تَذْهَبُ أَوْ لَا تَنْقَضِي الدُّنْيَا حَتَّىٰ يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي** ».

وروىٰ أبو نعيم في « أخبار أصبهان» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «الصحيحة» [٤]، من حديث مُعَاوِيَةَ بن قُرَّةَ، عَنْ أَبِيهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**لَتُمْلأَنَّ الأَرْضُ ظُلْمَاً وَجَوْرَاً كَمَا مُلِئَتْ قِسْطَاً وَعَدْلاً، حَتَّىٰ يَبْعَثَ اللهُ رَجُلاً مِنِّي، اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي، فَيَمْلأَهَا قِسْطَاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمَاً وَجَوْرَاً**».

وفي «سُنن أبي داود» بسند صحيح ، صححه الألباني في «صحيح الجامع» [٥]، من حديث عَلِيٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ-قَالَ: « **لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدنيا**

---

(١) انظر: « أشراط الساعة » للوابل (ص ٢٤٩) .
(٢) النهاية في الفتن والملاحم، لابن كثير (١/ ٣١) .
(٣) حسن صحيح: أخرجه أبو داود(٤٢٨٢)،وصححه الألباني في«صحيح الجامع» (٥٣٠٤).
(٤) صحيح: أخرجه أبو نعيم في «أخبار أصفهان» (٢/ ١٦٥)،وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٢٩) .
(٥) صحيح: أخرجه أبو داود(٤٢٨٣)،وصححه الألباني في«صحيح ابن ماجه» (٤٠٨٦).

إِلا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، حَتَّىٰ يَبْعَثَ رَجُلا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَمْلَؤُهَا عَدْلا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا» .

وفي «سُنن أبي داود» بسند صحيح [١]،من حديث أُمِّ سَلَمَةَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهَا– قَالَت: سَمِعْتُ رَسُول اللهِ –ﷺ– يَقُولُ : «**المهديُّ مِن عِتْرَتي مِنْ وُلدِ فَاطِمة**» .

قال صاحب عون المعبود – رحمه الله– [٢] : « واعلم أنّ المشهور بين كافة أهل الإسلام علىٰ ممرّ الأعصار : أنّه لابدّ في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت ، يؤيد الدين، ويُظهر العدل، ويتبعه المسلمون ، ويستولي علىٰ الممالك الإسلامية، ويسمىٰ المهدي، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح علىٰ أثره، وأن عيسىٰ – عليه السلام– ينزل من بعده فيقتل الدجال أو ينزل معه فيساعده علىٰ قتله،ويأتم بالمهدي في صلاته».

وفي «مُسند أحمد» بسند صحيح ، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[٣]، من حديث عَلِيٍّ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –ﷺ–:« **الْمَهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ يُصْلِحُهُ اللهُ فِي لَيْلَةٍ** » .

قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله– : « أي يتوب عليه ، ويوفقه ، ويلهمه ، ويرشده ، بعد أن لم يكن كذلك » [٤]، وفي «سُنن أبي داود» بسندٍ حسنٍ حسنه الألباني في «المشكاة» [٥]، من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –ﷺ–:« **الْمَهْدِيُّ مِنِّي ، أَجْلَىٰ الْجَبْهَةِ ، أَقْنَىٰ الأَنْفِ ، يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلاً ، كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا ، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ** » .

---

(١) صحيح:أخرجه أبو داود(٤٢٨٤)،وصححه الألباني في«صحيح ابن ماجه» (٤٠٨٦).
(٢) عون المعبود (١١/ ٣٦١) .
(٣)صحيح:أخرجه أحمد في«مُسنده»(٢/ ٥٨)،وصححه الألباني في«صحيح الجامع» (٦٦١١).
(٤) النهاية في الفتن والملاحم، لابن كثير (١١/ ٢٩) .
(٥) حسنٌ:أخرجه أبو داود(٤٢٨٥)، وحسنه الألباني في«المشكاة» (٥٤٥٤).

وفي «الحاوي» للسيوطي، بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[1]، من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**مِنَّا الَّذِي يُصَلِّي عِيسَىٰ بْن مَرْيَم خَلْفَهُ**».

ففي هذا الحديث -أيها الناس- لدليل علىٰ أن المهدي هو من يصلي بعيسىٰ بن مريم، وهو دليل علىٰ صلاح أمر المهدي -رضيَ اللهُ عنهُ-.

ومما يدل أيضًا علىٰ أن المهدي هو من يصلي بعيسىٰ بن مريم -عليه السلام- ما جاء في «الصحيحين»[2]، من حديث أبي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ؟!**».

وفي «صحيح مسلم»[3]، من حديث جابر بن عبد الله -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- يَقُولُ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَىٰ الحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ**».

قَالَ: «**فَيَنْزِلُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ -ﷺ- فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الأُمَّةَ**».

أيها الناس - لقد نصَّ أهل العلم علىٰ صحة أحاديث المهدي، وأنها متواترة تواترًا معنويًّا.

قال الإمام الحافظ أبو الحسن الآجري -رحمه الله-: «وقد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله -ﷺ- بذكر المهدي وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأن عيسىٰ يخرج فيساعده علىٰ قتل

---

(١) صحيح: أخرجه السيوطي في «الحاوي» (٢/ ٦٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٩٦).

(٢) رواه البخاري (٣٣٤٩)، ومُسلم (٧٥٥).

(٣) رواه مُسلم (١٥٦).

الدجال، وأنه يؤم هذه الأمة ويصلي عيسىٰ خلفه »[١].

وقال العلامة محمد السفاريني : « وقد كثرت بخروجه الروايات حتىٰ بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السُّنَّة حتىٰ عد من معتقداتهم».

ثم ذكر بعض الأحاديث الواردة فيه من طريق جماعة من الصحابة ،ثم قال: وقد روي عمن ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم بروايات متعددة، وعن التابعين من بعدهم، مما يفيد مجموعه العلم القطعي، فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم، ومدون في عقائد أهل السُّنَّة والجماعة»[٢].

وفي عهد المهدي -أيها الناس- يكثر الخير وتعظم الأمة .

ففي «مستدرك» الحاكم بسند صحيح ، صححه الألباني في «الصحيحة» [٣]، من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: **« يَخْرُجُ فِي آخِرِ أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ يَسْقِيهِ اللهُ الْغَيْثَ ، وَتُخْرِجُ الْأَرْضُ نَبَاتَهَا، وَيُعْطِي الْمَالَ صِحَاحًا، وَتَكْثُرُ الْمَاشِيَةُ وَتَعْظُمُ الْأُمَّةُ، يَعِيشُ سَبْعًا أَوْ ثَمَانِيًا -يَعْنِي حِجَجًا- »**.

وأستغفر الله .

---

(١) تهذيب الكمال للمزي (٣/ ١١٩٤) .
(٢) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٨٤) .
(٣) صحيح: أخرجه السيوطي في «الحاوي» (٢/ ٦٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٩٦).

الخطبة الثانية :

ماذا يجب علينا قبل خروج الدجال ؟

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ علىٰ أشرفِ المُرسلين، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ أجمعين، أمَّا بعدُ،

أيُّها الناسُ، تقدم الحديث معكم عن خروج المهدي ، وبسطنا الأدلة علىٰ ذلك، وسوف أتحدث معكم الآن عما يجب علينا قبل خروج المهدي .

أنه يجب علينا - أيها الناس- أن نجتهد في العمل الصالح والسعي لتوطيد ودعائم هذا الدين ورفعة شأنه .

فإن وقت خروج المهدي لا يعلمه إلا الله -سبحانه وتعالىٰ- ولا يعلم الناس بذلك إلا بعد ظهورًا مستحكمًا ، ولنعلم أن النبي -ﷺ- بشَّر أُمته بالنصر، لكن من غير تحديد ولا تقريب ، فلو علم الناس أنهم منتصرون علىٰ عدوهم في وقت ما ؛ لسمعتم بعجائب الأخبار في تاريخ الخاملين .

وما أمر الله به النبي -ﷺ- من الصبر وما بشَّر به من النصر قد جمعه في غير ما سورة ، من ذلك قوله -سبحانه وتعالىٰ- : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [غافر:٧٧] .

فانظروا - أيها الناس- كيف كان التبشير بالنصر في غير محدد لأجل حتىٰ لا تركن إلىٰ مجر الأمل، فنحن -أيها الناس- مأمورون بأن نشغل أنفسنا بالتمسك بالحق من غير أن نتعلق بالنتائج ، قال الله -سبحانه وتعالىٰ-: ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ

﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الزخرف:٤١-٤٣].

وقد خرج رسول الله -ﷺ- من بلده مكة، ثم أراه الله -سبحانه وتعالىٰ- أنه دخلها وطاف بالبيت، فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة من غير أن يحدِّد لهم وقتًا لفتح مكة؛ فلما ساروا عام الحديبة لم يشك جماعة منهم أن الرؤيا تتفسر هذا العام، وذلك هو قول الله-سبحانه وتعالىٰ-:﴿لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفتح:٢٧].

أيها الناس، لقد أخبر الله-سبحانه وتعالىٰ- أن الرسول وأصحابه سيدخلون مكة ويطوفون -ﷺ-، ووعده -سبحانه وتعالىٰ- حق، فلما جرىٰ يوم الحديبية ما جرىٰ، ورجع المسلمون من غير دخول مكة، كثر في ذلك الكلام، منهم حتىٰ إنهم قالوا ذلك لرسول الله -ﷺ-: ألم تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟، فقال: « **أخبرتكم أنه العام ؟**» ، قالوا : لا ، قال : « **فإنكم ستأتون وتطوفون به** » .

فقد روىٰ في «صحيح البخاري» [(١)]، في قصة صُلح الحُديبية وكان من نتائجه أن المسلمين يرجعون ولا يدخلون مكة عامهم ذلك، وفيها أن عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ :فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللهِ -ﷺ- فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللهِ حَقًّا؟ قَالَ: «بَلَىٰ». قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَىٰ الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَىٰ الْبَاطِلِ؟، قَالَ: «بَلَىٰ». قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟، قَالَ: «إِنِّي رَسُولُ اللهِ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي». قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: «بَلَىٰ فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ». قَالَ قُلْتُ: لَا. قَالَ: «فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ».

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣١).

قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ، فَقُلْتُ يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَىٰ. قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَىٰ الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَىٰ الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَىٰ. قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ . قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللهِ -ﷺ- وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ وَهُوَ نَاصِرُهُ فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ ، فَوَاللهِ إِنَّهُ عَلَىٰ الْحَقِّ.

قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَىٰ، أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ.

قَالَ الزُّهْرِيُّ قَالَ عُمَرُ: فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالاً.

أيها الناس ؛ الذي أريد أخلص إليه هو: أن نصر الله قريب، لكن كل ذلك من غير تحديد سابق، والمهدي سوف يخرج لا محالة لكن لا نعلم وقت خروجه.

قال الإمام الألباني -رحمه الله - : [(١)] «خروج المهدي لا يستلزم التواكل عليه، وترك الاستعداد والعمل لإقامة حكم الله في الأرض، بل العكس هو الصواب، فإن المهدي لن يكون أعظم سعيًا من نبينا -ﷺ- الذي ظل ثلاثة وعشرين عامًا، وهو يعمل لتوطيد دعائم الإسلام، فماذا عسىٰ أن يفعل المهدي لو خرج اليوم فوجد المسلمين شيعًا وأحزابًا، وعلماؤهم إلا القليل اتخذهم الناس رؤوسًا جهالاً !، لما استطاع أن يقيم دولة الإسلام إلا بعد أن يوحد كلمتهم ويجمعهم في صفٍ واحدٍ ، وتحت راية واحدةٍ ، وهذا بلا شك يحتاج إلىٰ زمن مديد الله أعلم به ، فالشرع والعقل معًا يقتضيان أن يقوم بهذا الواجب المخلصون من المسلمين حتىٰ إذا خرج المهدي لم يكن بحاجة إلىٰ أن يقودهم إلىٰ النصر، وإن لم يخرج فقد قاموا بواجبهم ، والله -سبحانه وتعالىٰ- يقول: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ﴾ [التوبة:١٠٥].

وفقنا الله جميعًا إلىٰ ما فيه خير الدنيا ونعيم الآخرة .

---

(١) الصحيحة (٤/ ٤٢-٤٣).



٣٠
الدَّجال

الخطبة الأولى:

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُه، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا، ومنْ سَيِّئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَاَ شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيرَ الهَدْي هَدْيُ محمّد -ﷺ-، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بعد:

أَيُّهَا النَّاسُ ، حديثي معكم اليوم عن أعظم فتنةً في حياة البشر ، إنها فتنة الدَّجال، وما من نبي بعثه الله إلا حذر أُمته من الدجال ، وهو خارج في هذه الأمة، وخروجه من أشراط الساعة الكبرىٰ .

ففي «سُنن ابن ماجهْ» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[١]، من حديث أَبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ -رَضيَ اللهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- أَنَّه قَالَ: « **يَا أَيُّها النَّاس ؛ إِنَّهُ لَمْ تكُنْ فِتْنَةٌ عَلَىٰ وَجْه الأَرْضِ مُنْذُ ذَرَأَ اللهُ ذُرِّيَّةَ آدَمَ أَعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ ، وَإِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلاَّ حَذَّرَ أُمَّتَهُ مِنَ الدَّجَّال ، وَأَنَا آخِرُ الأَنْبِيَاءِ وَأَنْتُمْ آخِرُ الأُمَمِ ، وَهُوَ خَارِجٌ فِيكُمْ لاَ مَحَالَةَ** » .

وفي «صحيح مسلم»[٢]، من حديث عِمْرَانَ بْن حُصَيْن -رَضيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- يَقُولُ: « **مَا بَيْنَ خَلْق آدَمَ إِلَىٰ قِيَام السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ** » ، وفي رواية : « **أَمْرٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ** » .

ولقد شق الصحابة -رضيَ اللهُ عنهُم- من أن يخرج الدجال عليهم .

وفي «صحيح مسلم»[٣]، من حديث عِمْرَانَ بْن حُصَيْن -رَضيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ الله -ﷺ- الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاة، فَخَفَّضَ فيه وَرَفَّعَ، حتَّىٰ ظَنَنَّاهُ في طَائفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذلكَ فِينَا، فقالَ: ما شَأْنُكُمْ؟ .

قُلْنَا: يا رَسُولَ الله، ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فيه وَرَفَّعْتَ، حتَّىٰ ظَنَنَّاهُ في طَائفَةِ النَّخْلِ، فقالَ: **غَيْرُ الدَّجَّال أَخْوَفُنِي علَيْكُم، إنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فيكُمْ، فأنَا حَجيجُهُ دُونَكُمْ، وإنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجيجُ نَفْسه، وَاللهُ خَليفَتي علَىٰ كُلِّ مُسْلم، إنَّه شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافئَةٌ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بعَبْد العُزَّىٰ بن قَطَنٍ، فَمَن أَدْرَكَهُ منكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عليه فَوَاتِحَ سُورَةِ الكَهْف، إنَّه خَارِجٌ خَلَّةً بيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاق، فَعَاثَ يَمينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يا عِبَادَ الله فَاثْبُتُوا.**

قُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ، وَما لَبْثُهُ في الأَرْضِ؟ قالَ: **أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ**

(١) أخرجه الترمذي ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٧٥٢).
(٢) رواه مسلم (٢٩٤٦).
(٣) رواه مسلم (٢١٣٧).

كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ .

قُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ، فَذلكَ اليَوْمُ الذي كَسَنَةٍ، أَتكْفِينَا فيه صَلَاةُ يومٍ؟ قالَ: **لَا، اقْدُرُوا له قَدْرَهُ.**

قُلْنَا: يا رَسُولَ الله، وَما إِسْرَاعُهُ في الأَرْضِ؟ قالَ: « **كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتي علَىٰ القَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فيُؤْمِنُونَ به وَيَسْتَجِيبُونَ له، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عليهم سَارِحَتُهُمْ، أَطْوَلَ ما كَانَتْ ذُرًا، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتي القَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عليه قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عنْهمْ، فيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ ليسَ بأَيْدِيهِمْ شيءٌ مِن أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بالخَرِبَةِ، فَيَقولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ، يَضْحَكُ، فَبيْنَما هو كَذلكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ المَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ المَنَارَةِ البَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ علَىٰ أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وإذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ منه جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فلا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِه إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حتَّىٰ يُدْرِكَهُ ببَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتي عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قدْ عَصَمَهُمُ اللهُ منه، فَيَمْسَحُ عن وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بدَرَجَاتِهِمْ في الجَنَّةِ، فَبيْنَما هو كَذلكَ إِذْ أَوْحَىٰ اللهُ إلىٰ عِيسَىٰ: إِنِّي قدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لا يَدَانِ لأَحَدٍ بقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إلىٰ الطُّورِ وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ علَىٰ بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ ما فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقولونَ: لَقَدْ كانَ بهذِه مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ، حتَّىٰ يَكونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِن مِئَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمُ اليَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ، فيُرْسِلُ اللهُ عليهمُ النَّغَفَ في رِقَابِهِمْ،**

فَيُصْبِحُونَ فَرْسَىٰ كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ الله عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ إِلَىٰ الأَرْضِ، فلا يَجِدُونَ فِي الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ الله عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ إِلَىٰ الله، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ البُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ الله، ثُمَّ يُرْسِلُ الله مَطَرًا لا يَكُنُّ منه بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّىٰ يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَة، ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ: أَنْبِتي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَك، فَيَومَئذ تَأْكُلُ العِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ، حَتَّىٰ أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ البَقَرِ لَتَكْفِي القَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الغَنَمِ لَتَكْفِي الفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَما هُمْ كَذلكَ إِذْ بَعَثَ الله رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَىٰ شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الحُمُرِ، فَعليهم تَقُومُ السَّاعَةُ » .

وللدجال – أيها الناس – صفات أخبرنا بها نبينا –ﷺ– لنحذره ونبتعه عنه.

ففي «سُنن أبي داود» بسند صحيح ، صححه الألباني في «المشكاة»[١]، من حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامت –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ، أَنَّ رَسُولَ الله –ﷺ– قَالَ: «**إِنِّي قَدْ حَدَّثْتُكُمْ عَنِ الدَّجَّالِ حَتَّىٰ خَشِيتُ أَنْ لَا تَعْقِلُوا، إِنَّ مَسِيحَ الدَّجَّالِ رَجُلٌ قَصِيرٌ، أَفْحَجُ، جَعْدٌ، أَعْوَرُ مَطْمُوسُ الْعَيْنِ، لَيْسَ بِنَاتِئَةٍ، وَلَا حَجْرَاءَ، فَإِنْ أُلْبِسَ عَلَيْكُمْ، فَاعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**» .

وفي«مُسند أحمد بسند صحيح»[٢]،من حديث أَبِي أُمَيَّةَ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – أَنَّهُ قَالَ : أَتَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ –ﷺ– فَقُلْتُ لَهُ : حَدِّثْنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ الله –ﷺ– فِي الدَّجَّالِ،وَلَا تُحَدِّثْنِي عَنْ غَيْرِكَ وَإِنْ كَانَ عِنْدَكَ مُصَدَّقًا، فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ –ﷺ– يَقُولُ : « **أَنْذَرْتُكُمْ فِتْنَةَ الدَّجَّالِ، فَلَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ**

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٢٠) ، وصححه الألباني في «المشكاة» (٥٤٨٥).
(٢) أخرجه أحمد في «مُسنده» (٥/ ٤٣٤) .

إِلَّا أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ أَوْ أُمَّتَهُ ،وَإِنَّهُ آدَمُ جَعْدٌ، أَعْوَرُ عَيْنِه الْيُسْرَىٰ ،وَإِنَّهُ يُمْطِرُ وَلَا يُنْبِتُ الشَّجَرَةَ ،وَإِنَّهُ يُسَلَّطُ عَلَىٰ نَفْس فَيَقْتُلُهَا ثُمَّ يُحْيِيهَا، وَلَا يُسَلَّطُ عَلَىٰ غَيْرِهَا، وَإِنَّهُ مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ، وَنَهْرٌ وَمَاءٌ ،وَجَبَلُ خُبْزٍ ،وَإِنَّ جَنَّتَهُ نَارٌ ،وَنَارَهُ جَنَّةٌ، وَإِنَّهُ يَلْبَثُ فِيكُمْ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، يَرِدُ فِيهَا كُلَّ مَنْهَلٍ ؛ إِلَّا أَرْبَعَ مَسَاجِدَ؛ مَسْجِدَ الْحَرَامِ ، وَمَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، وَالطُّورِ، وَمَسْجِدَ الأَقْصَىٰ، وَإِنْ شَكَلَ عَلَيْكُمْ أَوْ شُبِّهَ فَإِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- لَيْسَ بِأَعْوَرَ » .

وفي«صحيح مسلم »[١]، من حديث حُذَيْفَة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: « **الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَىٰ ،جُفَالُ الشَّعَرِ ،مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ، فَنَارُهُ جَنَّةٌ، وَجَنَّتُهُ نَارٌ** » .

ومن صفات الدجال أنه مكتوب بين عينيه كافر ، يقرؤه كل مسلم :

ففي «الصحيحين»[٢]، من حديث أَنَس بْن مَالك -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « **مَا مِنْ نَبِي إِلاَّ وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، أَلاَ إِنَّهُ أَعْوَرُ، وإِنَّ ربَّكُمْ -عَزَّ وجلَّ- لَيْسَ بأعْورَ، وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر - أَيْ : كَافِر**» .

وفي رواية « **يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُسْلِمٍ** » .

وفي« صحيح مسلم »[٣]، من حديث حُذَيْفَة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ:قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: « **لأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ ،مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ، أَحَدُهُمَا رَأْيَ الْعَيْنِ مَاءٌ أَبْيَضُ، وَالآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ نَارٌ تَأَجَّجُ ، فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا ،وَلْيُغَمِّضْ ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ ، وَإِنَّ الدَّجَّالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ ،عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ**

(١) رواه مسلم (٢٩٣٤) .
(٢) رواه البخاري (٧١٣١) ، ومسلم (٢٩٣٣) .
(٣) رواه مسلم (٢٩٣٤) .

وَغَيْرِ كَاتِبٍ » .

وأما أتباع الدجال – أيها الناس – فهم كثير لشدة ما يبعث فيهم من الشبه ، وما يجريه الله علىٰ يديه من الخوارق .

وأكثر أتباع الدجال من النساء ، لما في «مُسند أحمد»[1] ، بسندٍ صحيح لغيره، من حديث ابْنِ عُمَرَ، -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: « **يَنْزِلُ الدَّجَّالُ فِي هَذِهِ السَّبَخَةِ، بِمَرِّ قَنَاة، فَيَكُونُ أَكْثَرَ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ، حَتَّىٰ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَرْجِعُ إِلَىٰ حَمِيمِه، وَإِلَىٰ أُمِّه، وَابْنَتِه، وَأُخْتِه، وَعَمَّتِه، فَيُوثِقُهَا رِبَاطًا، مَخَافَةَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْه، ثُمَّ يُسَلِّطُ اللهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْه، فَيَقْتُلُونَهُ، وَيَقْتُلُونَ شِيعَتَهُ، حَتَّىٰ إِنَّ الْيَهُودِيَّ لَيَخْتَبِئُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَوِ الْحَجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرَةُ لِلْمُسْلِمِ : هَذَا يَهُودِيٌّ تَحْتِي فَاقْتُلْهُ** » .

واليهود -أيضًا- من أتباع الدجال ، ففي « صحيح مسلم »[2]، من حديث أَنَس بْنِ مَالِك -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: « **يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِن يَهُودِ أَصْبَهَانَ، سَبْعُونَ أَلْفًا عليهِمُ الطَّيَالِسَةُ** » .

وأما مكان خروج الدجال-أيها الناس- فهو يخرج من المشرق حيث مصدر الفتن ومقرها .

ففي «الصحيحين»[3]، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **رَأْسُ الكُفْرِ نَحْوَ المَشْرِقِ، والْفَخْرُ والْخُيَلاءُ فِي أَهْلِ الخَيْلِ والإِبِلِ الفَدّادِينَ؛ أَهْلِ الوَبَرِ، والسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الغَنَمِ** » .

---

(١) صحيح لغيره : أخرجه أحمد في «مُسنده» (٢/ ٦٧) .
(٢) رواه مسلم (٢٩٤٤) .
(٣) رواه البخاري (٣٣٠١) ، ومسلم (٥٢) .

وفي «سُنن الترمذي» ، بسندٍ صحيح ، صححه الألباني في« الصحيحة»[١]، من حديث أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « **الدَّجَّالُ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا خُرَاسَانُ ، يَتْبَعُهُ أَقْوَامٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ** » .

ويكون ظهوره عندما يكون بين الشام والعراق، لما في«صحيح مسلم »[٢]، من حديث النَّوَّاس بْن سَمْعَانَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: « **إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا ، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا**».

وأستغفرُ الله .

(١) أخرجه الترمذي (٣/ ٢٤٣) ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٩١) .
(٢) رواه مسلم (٢٩٣٧) .

الخطبة الثانية :

الوقاية من فتنة الدجال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشراف المرسلين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

أيها الناس ؛ تقدم الحديث معكم عن الدجال، وفيما يأتي الوقاية من فتنة الدجال .

أيها الناس ، لقد أرشد النبي -ﷺ- أمته إلىٰ ما يعصمها من فتنة المسيح الدحال، فقد ترك أمته علىٰ المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فلم يدع -ﷺ- خيرًا إلىٰ دلَّ أمته عليه، ولا شرًّا إلا حذرها منه إلىٰ قيام الساعة ، وكان كل نبي يُنذر أمته الأعور الدجال، واختص نبينا محمد-ﷺ- بزيادة التحذير والإنذار ، وقد بيَّن الله له كثيرًا من صفات الدجال؛ ليحذر أمته؛ فإنه خارج في هذه الأمة لا محالة؛ لأنها آخر الأُمم، ومحمدٌ-ﷺ-خاتم النبيين.

وهذه بعض الإرشادات النبوية التي أرشد إليها المصطفىٰ -ﷺ-أُمته لتنجو من هذه الفتنة العظيمة بإذن الله .

ومن هذه الإرشادات :

التمسك بالإسلام والتسلُّح بالعلم النافع والعمل الصالح، ومعرفة أسماء الله وصفاته الحسنىٰ التي لا يشاركه فيها أحدٌ ، فنعلم أن الدجال بشرٌ ، يأكل ويشرب، وأن الله -سبحانه وتعالىٰ - مُنزهه عن ذلك ، وأن الدجال أعور،

والله ليس بأعور ، وأنه لا أحد يرىٰ ربه حتىٰ يموت ، والدجال يراه الناس عند خروجه ، مؤمنهم وكافرهم . [(١)]

ومن هذه الإرشادات :

التعوذ بالله من فتنة الدجال، وخاصة في الصلاة،وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة، ففي «الصحيحين»[(٢)]، من حديث عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَت: أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ : « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ** » ، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ الْمَغْرَمِ فَقَالَ :« **إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ** ».

وفي« صحيح مسلم »[(٣)]، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: « **إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الآخِرِ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ ،وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ** ».

وفي «مُسند أحمد»[(٤)]، بسند صحيح، من حديث أَبِي قِلَابَةَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا بِالْمَدِينَةِ وَقَدْ طَافَ النَّاسُ بِهِ وَهُوَ يَقُولُ:قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-، فَإِذَا رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ: فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ: «**إِنَّ مِنْ بَعْدِكُمُ الْكَذَّابَ الْمُضِلَّ، وَإِنَّ رَأْسَهُ مِنْ بَعْدِهِ حُبُكٌ حُبُكٌ حُبُكٌ (أي شعر رأسه متكسر من الجعوده) ـ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ـ وَإِنَّهُ سَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَمَنْ قَالَ: لَسْتَ رَبَّنَا، لَكِنَّ رَبَّنَا اللهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا، وَإِلَيْهِ أَنَبْنَا، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّكَ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهِ سُلْطَانٌ** ».

(١) انظر : أشراط الساعة ، للوابل (ص٢٣٥) ، وقد استفدت منه كثيرًا .
(٢) رواه البخاري (٨٣٢) ، ومسلم (٥٨٨) .
(٣) رواه مسلم (٥٩٠) .
(٤) صحيح : أخرجه أحمد (٥/ ٣٧٢) .

وفي رواية : « وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ » قَالَ : « فَلَا سَبِيلَ لَهُ عَلَيْهِ » [١] .

ومن الإشارات التي أرشد إليها النبي -ﷺ- أمته : حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف ، وفي بعض الروايات خواتيمها ، وذلك بقراءة عشر آيات من أولها أو أخرها .

ومن الأحاديث الواردة في ذلك ما جاء في« صحيح مسلم »[٢]، من حديث النَّوَّاس بْن سَمْعَانَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: « **فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ**».

وفي«صحيح مسلم »[٣]، من حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**مَنْ قَرَأَ ثَلاثَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ الكَهْفِ،عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ**».

قال مسلم : قال شعبة : من آخر ا لكهف ، وقال همام من أول الكهف ، كما قال هشام [٤]، وأرشد النبي -ﷺ- أمته إلىٰ الابتعاد عن الدجال غاية البُعد، وذلك لمام معه من الشبهات والخوارق العظيمة التي يجريها الله علىٰ يديه فيأتيه الرجل وهو يظن في نفسه الإيمان والثبات ، فيتبع الدجال .

وفي «مُسند أحمد»[٥]، بسند صحيح، من حديث عِمْرَانَ بْن حُصَيْنِ الْخُزَاعِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-:«**مَنْ سَمِعَ مِنْكُمْ بِخُرُوجِ الدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ** (أي فليبتعد عنه) ، **فَإِنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهُ فَيَحْسَبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ، فَمَا يَزَالُ يَتْبَعُهُ مِمَّا يَرَىٰ مِنَ الشُّبُهَاتِ**» .

---

(١) أخرجه أحمد (٤١٠) .
(٢) رواه مسلم (٢٩٣٧) .
(٣) رواه مسلم (٨٠٩) .
(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (٦/ ٩٢) .
(٥) الفتح الرباني (٤٢/ ٧٤) ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٧٧) .

ومن الإرشادات التي أرشد إليها النبي -ﷺ-:

الترغيب في سكنىٰ مكة والمدينة ، فإن الدجال لا يدخل مكة والمدينة حتىٰ يدخل الجمل في سَمِّ الخياط وهيهات .

ففي «الصحيحين»[1]، من حديث أَنَس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**لَيْسَ مِنْ بَلَد إلاَّ سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إلاَّ مَكَّةَ والمَدينة، ولَيْس نَقْبٌ مِنْ أَنْقَابهما إلاَّ عَلَيْهِ المَلائِكَةُ صَافِّينَ تحْرُسُهُما، فَيَنْزِلُ بالسَّبَخَةِ، فَتَرْجُفُ المدينةُ ثلاثَ رَجَفَاتٍ، يُخْرِجُ الله مِنْهَا كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ**» .

ولعل في هذا القدر كفاية ، فأسأل الله بأسمائه الحسنىٰ ، وصفاته العلىٰ أن يعافينا ويعيذنا من فتنة الدجال ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

---

(١) رواه البخاري (١٨٨١) ، ومسلم (٢٩٤٣) .



٣١ نزول عيسى بن مريم -عَلَيْهِ السَّلَامُ-

الخطبة الأولى:

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُه، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيِّئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إلاَّ الله وَحْدَهُ لَا شَريْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد -ﷺ-، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمّا بعدُ :

حديثي معكم -أيها الناس- عن نزول عيسىٰ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- في آخر الزمان ونزوله إحدىٰ أشراط الساعة الكبرىٰ .

ونزوله ثابتٌ في الكتاب والسُّنّة فمنها :

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [الزخرف: ٥٧-٦١].

ففي هذه الآيات دليل علىٰ أن عيسىٰ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- سينزل آخر الزمان، ويكون نزوله علامة من علامات الساعة .

لما في «مُسند أحمد» بسند صحيح إلىٰ ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- في تفسير هذه الآية ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ قال: « هو خروج عيسىٰ بن مريم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- قبل يوم القيامة »[١] .

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- : الصحيح : أنه -أي : الضمير- عائد علىٰ عيسىٰ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ؛ فإن السياق في ذكره[٢] .

ومما يدل علىٰ نزول عيسىٰ بن مريم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- قول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٩] .

فهذه الآيات ؛ كما أنها تدل علىٰ أن اليهود لم يقتوا عيسىٰ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ، ولم

(١) مُسند أحمد (٤/ ٣٢٩) وسنده صحيح .
(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٢٢) .

يصلبوه ، بل رفعه الله إلىٰ السماء ، كما في قوله تعالىٰ : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾[آل عمران:٥٥] .

فإنها تدل علىٰ أن أهل الكتاب من سيؤمن بعيسىٰ -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- آخر الزمان وذلك عند نزوله وقبل موته ، وهذا الذي عليه أهل العلم .

فقد أخرج ابن جرير بسنده[١] إلىٰ ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- في تفسير هذه الآية ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ قال:« موت عيسىٰ ابن مريم -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-» .

قال ابن كثير - رحمه الله- : « وهذا إسنادٌ صحيح » .[٢]

وروىٰ ابن جرير بسنده[٣] إلىٰ الحسن البصري -رحمه الله- أنه قال: قبل موت عيسىٰ -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-،والله إنه الآن حيٌّ عند الله، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون .

وقد دلت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله -ﷺ- أنه أخبر بنزول عيسىٰ -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- قبل يوم القيامة إمامًا عدلاً وحكمًا مقسطًا ، فمنها :

ما جاء في «الصحيحين»[٤] ، من حديث أَبي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلاً، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّىٰ لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّىٰ تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا** » .

ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾ [النساء: ١٥٩] .

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ١٨) .
(٢) النهاية في الفتن والملاحم ، لابن كثير (١/ ١٣١) .
(٣) تفسير الطبري (١/ ١٨) .
(٤) رواه البخاري (٣٤٤٨) ، ومسلم (١٥٥) .

وفي «الصحيحين» [1] ، من حديث أَبي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا أُنزِلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ**».

ففي هذا الحديث دليل علىٰ نزول عيسىٰ ابن مريم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- في هذه الأُمة وإمامهم منهم، وهو المدي -عَلَيْهِ السَّلَامُ- .

وفي «صحيح مسلم» [2] ، من حديث جَابْر بن عَبْد الله -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- يَقُولُ: «**لا تَزالُ طائفةٌ من أُمَّتي يقاتِلونَ علىٰ الحقِّ، ظاهرينَ إلىٰ يوم القيامةِ، فيَنْزِلُ عيسىٰ ابنُ مريمَ، فيقولُ أميرُهم: تعَالَ صَلِّ لنا، فيقولُ: لا، إنَّ بعضَكم علىٰ بعض أميرٌ، تَكْرِمَةُ اللهِ لهذه الأُمَّة**».

وفي «صحيح مسلم» [3] ، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**وَالَّذي نَفْسِي بِيَدِه، لَيُهِلَّنَّ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ** -هو بين مكة والمدينة-، **حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا، أَوْ لَيَثْنِيَنَّهُمَا** -أي ليقرن بينهما-».

أيها الناس، إن الأدلة علىٰ نزول عيسىٰ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أشهر من نار علىٰ علم، وهي صحيحة وهو نازل في هذه الأمة، ونزوله علامة من علامات الساعة، فهو صحابي ونبي، ولم يأت بدين جديد، وإنما يجدد الله به دين الإسلام، فهو واحد من هذه الأمة، وقد ترجم الإمام الذهبي لعيسىٰ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- في كتابه: «تجريد أسماء الصحابة» [4]، فقال: (عيسىٰ ابن مريم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- صحابي، ونبي؛ فإنه رأىٰ النبي -ﷺ- ليلة الإسراء، وسلم عليه، فهو آخر الصحابة موتًا).

أيها الناس، بعد أن استوفيت الحديث عن نزول عيسىٰ ابن مريم -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، أذكركم بصفته كما دلت عليه الأدلة الصحيحة.

---

(١) رواه البخاري (٣٤٤٩)، ومسلم (١٥٥).
(٢) رواه مسلم (١٥٦).
(٣) رواه مسلم (١٢٥٢).
(٤) تجريد أسماء الصحابة، للذهبي (١/ ٤٣٢).

أيها الناس ؛ إن الأدلة تدل على أنه رجلٌ مربوع القامة، ليس بالطويل، ولا بالقصير، أحمر ، جعدٌ ، عريض الصدر، سبط الشعر، كأنما خرج من ديماس (أي حمام) ، له لمة (واللمة هو شعر الرأس متى تجاوز شحمة الأذنين، فهو لمة ومتى زاد عن ذلك فهو : جمة) ، قد رجلها تملأ ما بين من منكبيه .[1]

ومن الأدلة على صفة عيسى- عَلَيْهِ السَّلَامُ- :

ما جاء في «الصحيحين» [2] ، من حديث أَبي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: «**لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي لَقِيتُ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ** - إلىٰ أن قَالَ - : **وَلَقِيتُ عِيسَىٰ فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ فَقَالَ : فَإِذَا رَبْعَةٌ أَحْمَرُ كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ**». (**يَعْنِي حَمَّاما**) .

وفي«**صحيح البُخاري** » [3]، **من حديث ابْن عَبَّاس** -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: « **رَأَيْتُ عِيسَىٰ ومُوسَىٰ وَإِبْرَاهِيمَ، فَأَمَّا عِيسَىٰ فَأَحْمَرُ جَعْدٌ عَرِيضُ الصَّدْرِ** ».

وفي «صحيح مسلم» [4] ، من حديث أَبي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: « **لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الحِجْرِ وقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي** » (فذكر الحديث وفيه) ، « **وإذا عِيسَىٰ ابنُ مَرْيَمَ** -عَلَيْهِ السَّلَامُ- **قائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ به شَبَهًا عُرْوَةُ بنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ** ».

وفي «الصحيحين» [5] ، من حديث عَبْد الله بْن عُمَر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**رأَيْتُنِي اللَّيلةَ عندَ الكعبةِ فرأَيْتُ رجُلًا آدَمَ** - أي أسمر

(١) انظر : أشراط الساعة ، للوابل (٢٣٧) .
(٢) رواه البخاري (٣٤٣٧) ، ومسلم (١٦٨) .
(٣) رواه البخاري (٣٤٣٨) .
(٤) رواه مسلم (١٧٢) .
(٥) رواه البخاري (٣٤٤١) ، ومسلم (١٦٩) .

شديد السُّمرة - كأحسَنِ ما أنتَ راءٍ من أُدْمِ الرِّجال ،له لِمَّةٌ كأحسَنِ ما أنتَ راءٍ من اللِّمَم ،قد رجَّلها فهي تقطُرُ ماءً ،مُتَّكِئًا على رجُلَيْنِ أو على عواتقِ رجُلَيْنِ ، يَطُوفُ بالبيتِ فسألْتُ : مَن هذا ؟ فقالوا : عيسى ابنُ مريمَ» .

وفي «مُسند أحمد» بسند حسن، وصححه الألباني في «الصحيحة» [(١)] ، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لعَلَّات؛ أُمَّهاتُهُم شتَّى ودينُهُم واحدٌ ، وإنِّي أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ؛ لأَنَّهُ لم يَكُن بيني وبينَهُ نبيٌّ ، وإنَّهُ نازلٌ ، فإذا رأيتُموهُ فاعرفوهُ : رجلٌ مَربوعٌ إلى الحمرةِ والبياض ، عليه ثوبان مُمصَّران، كأنَّ رأسَهُ يقطرُ وإن لم يُصبهُ بلَلٌ ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْخَنْزِيرَ وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ فَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِه الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ وَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ ، ثمَّ تقعُ الأَمَنَةُ على الأرض ، حَتَّى تَرْتَعَ الْأُسُودُ مَعَ الْإِبلِ ، وَالنِّمَارُ مَعَ الْبَقَرِ ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَم ، وَيَلْعَبَ الصِّبْيَانُ بِالْحَيَّاتِ لَا تَضُرُّهُمْ ، فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوَفَّى ، وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ».

وأستغفِرُ اللهَ .

---

(١) أخرجه أحمد في مُسنده (٢/ ٤٠٦) ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢١٨٢) .

الخطبة الثانية:

بعض أعمال عيسى بن مريم -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشراف المرسلين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

أيها الناس ؛ تقدم الحديث معكم عن نزول عيسىٰ -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- وشيء من صفاته ، فحديثي معكم الآن عن بعض أعماله -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- .

أيها الناس ؛ إن عيسىٰ -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- سوف ينزل في هذه الأمة ، ولن ينزل بشرع جديد ، إنما يحكم بالشريعة الإسلامية ؛ لأن دين الإسلام خاتم الأديان، وباقٍ إلىٰ قيام الساعة ، لا ينسخ ، فيكون عيسىٰ -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- حاكمًا من حكام هذه الأمة، ومجدِّدًا لأمر الإسلام ، إذ لا نبي بعد محمد -ﷺ- ، لقول الله -سبحانه وتعالىٰ-: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب:٤٠] .

خلاصة القول : أن عيسىٰ -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- من أتباع محمد -ﷺ-، ومعدود من الصحابة ، لأنه رأىٰ النبي -ﷺ- ليلة الإسراء .

ويكون نزوله في وقت اصطف فيه المقاتلون المسلمون لصلاة الفجر، وتقدم إمامهم للصلاة ، فيرجع ذلك الإمام طالبًا من عيسىٰ -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- أن يتقدم فيؤمنهم ، فيأبىٰ .

وفي «صحيح مسلم» [(١)] ، من حديث جَابْر بن عَبْد الله -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- يَقُولُ: « **لا تَزالُ طائفةٌ من أُمَّتي يقاتِلونَ علىٰ الحقِّ ، ظاهرينَ إلىٰ يوم القيامةِ ، فيَنْزِلُ عيسىٰ ابنُ مريمَ ، فيقولُ أميرُهم : تعَالَ صَلِّ لنا، فيقولُ : لا ، إنَّ بعضَكم علىٰ بعضٍ أُمَراء ، تكْرِمَةُ اللهِ لهذه الأُمَّةِ** ».

وبعد فراغ عيسىٰ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- من الصلاة يتوجه إلىٰ بيت المقدس حيث يكون الدجال مُحاصرً عصابة المسلمين،فيقول لهم عيسىٰ-عَلَيْهِ السَّلَامُ-: «**افْتَحُوا الْبَابَ ، فَيُفْتَحُ وَوَرَاءَهُ الدَّجَّالُ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ يَهُودِيٍّ ، كُلُّهُمْ ذُو سَيْفٍ مُحَلًّىٰ** (ما يُتَزَيَّن به من مصاغ الذهب والفضة) ، **وَسَاجٍ** (الطيلسان) ، **فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ الدَّجَّالُ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ ، وَيَنْطَلِقُ هَارِبًا ، وَيَقُولُ عِيسَىٰ** -عَلَيْهِ السَّلَامُ- : **إِنَّ لِي فِيكَ ضَرْبَةً لَنْ تَسْبِقَنِي بِهَا فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ اللُّدِّ الشَّرْقِيِّ فَيَقْتُلُهُ** ».

وفي «صحيح مسلم» [(٢)] ، من حديث أَبَي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: « **فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ الله ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّىٰ يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ** ».

أما كيف يذوب الجال؟، فيجب أن نعلم أن الله -سبحانه وتعالىٰ- أعطىٰ لنفس عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ- رائحة خاصة إذا وجدها الكافر مات منها ونَفَسَه ينتهي حيث ينتهي طرفه .

وفي «صحيح مسلم» [(٣)] ، من حديث **نَوَّاس بْن سَمْعَانَ** -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: « **فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ**

---

(١) رواه مسلم (١٥٦) .
(٢) رواه مسلم (٢٨٩٧) .
(٣) رواه مسلم (٢١٣٧) .

عِنْدَ المَنَارَةِ البَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَىٰ أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّىٰ يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلَهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الجَنَّةِ».

وأيضًا تكون نهاية يأجوج ومأجوج ، وهلاكهم علىٰ يد عيسىٰ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وببركة دعائه .

أيها الناس؛ قبل أن أدع مقامي هذا أذكركم بوصية رسول الله -ﷺ- لمن لقي عيسىٰ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ، ففي «مُسند أحمد» بسندٍ حسن [1] ، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: « **إِنِّي لَأَرْجُو إِنْ طَالَ بِي عُمُرٌ أَنْ أَلْقَىٰ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ** -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، **فَإِنْ عَجِلَ بِي مَوْتٌ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيُقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ**».

(١) أخرجه أحمد في مُسنده (٢/ ٢٩٨) ، وسنده صحيح.



٣٢ خروج يأجوج ومأجوج

الخطبة الأولى:

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد -ﷺ-، وشرَّ الأُمُور مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثَة بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَة ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّار.

أمّا بعد: أَيُّهَا النَّاسُ ،حديثي معكم اليوم عن يأجوج ومأجوج، وخروجهم في آخر الزمان، وذلك بعد نزول عيسىٰ بن مريم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ، وهزيمة الدجال ، وخروجهم إحدىٰ أشراط الساعة الكبرىٰ .

والأدلة على خروجهم آخر الزمان كثيرة معلومة ، فمنها :

قال الله -سبحانه وتعالىٰ-:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم

مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَـٰخِصَةٌ أَبْصَـٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا بَلْ كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [الأنبياء:٩٦-٩٧] .

قال الإمام السعدي -رحمه الله- في تفسير هذه الآيات: « هَذَا تَحْذِيرٌ مِنَ اللهِ لِلنَّاسِ أَنْ يُقِيمُوا عَلَىٰ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَأَنَّهُ قَدْ قَرُبَ انْفِتَاحُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمَا قَبِيلَتَانِ عَظِيمَتَانِ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَقَدْ سَدَّ عَلَيْهِمْ ذُو الْقَرْنَيْنِ، لَمَّا شُكِيَ إِلَيْهِ إِفْسَادُهُمْ فِي الْأَرْضِ، وَفِي آخِرِ الزَّمَانِ يَنْفَتِحُ السَّدُّ عَنْهُمْ، فَيَخْرُجُونَ إِلَىٰ النَّاسِ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ وَالْوَصْفِ، الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ، وَهُوَ الْحَدَبُ، يَنْسِلُونَ أَيْ: يُسْرِعُونَ. وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَىٰ كَثْرَتِهِمُ الْبَاهِرَةِ، وَإِسْرَاعِهِمْ فِي الْأَرْضِ، إِمَّا بِذَوَاتِهِمْ وَإِمَّا بِمَا خَلَقَ اللهُ لَهُمْ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُقَرِّبُ لَهُمُ الْبَعِيدَ، وَتُسَهِّلُ عَلَيْهِمُ الصَّعْبَ، وَأَنَّهُمْ يَقْهَرُونَ النَّاسَ، وَيَعْلُونَ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَّهُ لَا يَدَ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ ».

وقال الله -سبحانه وتعالىٰ-: ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَـٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [الكهف:٩٢-٩٩] .

فهـذه الآيات تدلُّ علىٰ أنّ الله تعالىٰ سخّر ذا القرنين الملكَ الصالح لبناء السدّ العظيم، ليحجزَ بين يأجوج ومأجوج القوم المفسدين في الأرض وبين

الناس، فإذا جاء الوقتُ المعلوم، واقتربتِ الساعةُ، اندكّ هـذا السدُّ، وخرجَ يأجوجُ ومأجوجُ بسرعةٍ عظيمة، وجمعٍ كبير، لا يقفُ أمامَه أحدٌ من البشر، فماجوا في الناس، وعاثوا في الأرض فساداً، وهـذا علامةٌ علىٰ قرب النفخ في الصور، وخرابِ الدنيا، وقيام الساعة .[1]

قال السعدي -رحمه الله- في تفسير هذه الآيات[2] : ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝٩٢ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ ﴾ قال المفسرون: ذهب متوجهًا من المشرق، قاصداً للشمال، فوصل إلىٰ ما بين السدين، وهما سدان، كانا سلاسل جبال معروفين في ذلك الزمان، سداً بين يأجوج ومأجوج وبين الناس، وجد من دون السدين قومًا لا يكادون يفقهون قولاً، لعجمة ألسنتهم، واستعجام أذهانهم وقلوبهم، وقد أعطىٰ الله ذا القرنين من الأسباب العلمية، ما فقه به ألسِنَة أولئك القوم وفقههم، وراجعهم وراجعوه، فاشتكوا إليه ضرر يأجوج ومأجوج، وهما أمتان عظيمتان من بني آدم، فقالوا: ﴿ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ بالقتل وأخذ الأموال وغير ذلك.

﴿ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ﴾ أي جُعْلاً ﴿ عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ ودلّ ذلك علىٰ عدم اقتدارهم بأنفسهم علىٰ بنيان السد، وعرفوا اقتدار ذي القرنين عليه، فبذلوا له أجرة، ليفعل ذلك، وذكروا له السبب الداعي، وهو: إفسادهم في الأرض، فلم يكن ذو القرنين ذا طمع، ولا رغبة في الدنيا، ولا تاركًا لإصلاح أحوال الرعية، بل كان قصده الإصلاح، فلذلك أجاب طلبتهم لما فيها من المصلحة، ولم يأخذ منهم أجرة، وشكر ربه علىٰ تمكينه واقتداره، فقال لهم: ﴿ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ﴾ أي: مما تبذلون لي وتعطوني، وإنما أطلب منكم أن تعينوني بقوة

(١) تفسير ابن سعدي (ص ٥٣١) .
(٢) انظر : تفسير ابن سعدي (ص ٤٨٦-٤٨٧) .

منكم بأيديكم ﴿ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ أي: مانعاً من عبورهم عليكم.

﴿ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ﴾ أي: قطع الحديد ، فأعطوه ذلك. ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ أي: الجبلين اللذين بني بينهما السد ﴿ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ﴾ النار أي: أوقدوها إيقاداً عظيماً، واستعملوا لها المنافيخ لتشتد، فتذيب النحاس، فلما ذاب النحاس، الذي يريد أن يلصقه بين زُبَر الحديد ﴿ قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ أي: نحاساً مذاباً، فأفرغ عليه القطر، فاستحكم السد استحكاماً هائلاً وامتنع به من وراءه من الناس، من ضرر يأجوج ومأجوج.

﴿ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ ﴾ أي: فما لهم استطاعة، ولا قدرة علىٰ الصعود عليه لارتفاعه، ولا علىٰ نقبه لإحكامه وقوته، فلما فعل هذا الفعل الجميل والأثر الجليل، أضاف النعمة إلىٰ موليها وقال:﴿ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ﴾ أي: من فضله وإحسانه عليَّ، وهذه حال الخلفاء الصالحين، إذا منّ الله عليهم بالنعم الجليلة، ازداد شكرهم وإقرارهم، واعترافهم بنعمة الله، كما قال سليمان -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- ، لما حضر عنده عرش ملكة سبأ مع البُعد العظيم، قال: هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ [النمل: ٤٠] بخلاف أهل التجبر والتكبر والعلو في الأرض فإن النعم الكبار تزيدهم أشراً وبطراً.

كما قال قارون - لما آتاه الله من الكنوز، ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة - قال:﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ [القصص: ٧٨].

وقوله: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى ﴾ أي: لخروج يأجوج ومأجوج ﴿ جَعَلَهُۥ ﴾ أي: ذلك السد المحكم المتقن ﴿ دَكَّآءَ ﴾ أي: دكه فانهدم، واستوىٰ هو والأرض ﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ﴾ .

أيها الناس ؛ تقدم ذكر بعض الآيات التي تدل علىٰ خروج يأجوج ومأجوج،

وسأذكر بعض الأحاديث الدالة علىٰ ظهورهم، وهي كثيرة، فمنها :

ما جاء في «الصحيحين» [١]، من حديث أُمِّ المؤمنينَ أمِّ الحكَم زَيْنَب بنت جَحْش -رَضِيَ الله عَنْهَا- أنَّ النَّبي -ﷺ- دَخلَ عليْها فزعًا يقولُ: **«لا إله إلَّا الله، وَيْلٌ للعرَب مِنْ شَرٍّ قدِ اقْترَب، فُتِحَ اليومُ من رَدْمِ يَأجُوج ومَأجُوجَ مثل هذه»، وحلّق بأصبعيه الإبهام والَّتي تلِيها، فقلتُ: يا رَسولَ الله، أنَهلَكُ وفينا الصَّالِحُون؟ قَالَ: «نَعَمْ إذَا كثُرَ الخبَثُ»**.

وفي «الصحيحين» [٢]، من حديث أَبي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: **«يُفْتَحُ الرَّدْمُ - يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ - مِثْلَ هَذِهِ، وَعَقَدَ وُهَيْبٌ تِسْعِينَ»**.

ومما أدل علىٰ أن يأجوج ومأجوج من ذرية آدم ما جاء في «الصحيحين» [٣]، من حديث أَبي سَعِيد الْخُدْرِيِّ -رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: **«يَقُولُ الله تَعَالَىٰ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْك، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْك، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّار. قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّار؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَات حَمْل حَمْلَهَا، وَتَرَىٰ النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ، وَلَكِنَّ عَذَابَ الله شَدِيدٌ. فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَأَيُّنَا ذَلِكَ الْوَاحِدُ؟. قَالَ: أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا وَمِنْكُمْ رَجُلٌ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّة، قَالَ: فَحَمِدْنَا الله وَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّة، إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الْأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعَرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ الرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ»**.

وأستغفر الله.

---

(١) رواه البخاري (٧١٣٥)، ومسلم (٢٨٨٠).
(٢) رواه البخاري (٧١٣٦)، ومسلم (٢٨٨١).
(٣) رواه البخاري (٧١٣٦)، ومسلم (٢٨٨١).

الخطبة الثانية:

كيف يكون خروج يأجوج ومأجوج

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشراف المرسلين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

أيها الناس ؛ تقدم الحديث عن الأدلة علىٰ خروج يأجوج ومأجوج، وسوف أتحدث معكم الآن عن طريقة خروجهم .

ففي «مُسند أحمد» [1] ، بسند صحيح ، صححه الألباني في «الصحيحة» من حديث أَبي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: « **إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ يَحْفِرُونَ كُلَّ يَوْمٍ حَتَّىٰ إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ ارْجِعُوا فَسَنَحْفِرُهُ غَدًا فَيُعِيدُهُ اللهُ أَشَدَّ مَا كَانَ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ وَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَىٰ النَّاسِ حَفَرُوا حَتَّىٰ إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ ارْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ وَاسْتَثْنَوْا فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ فَيَحْفِرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ عَلَىٰ النَّاسِ فَيُنْشِفُونَ الْمَاءَ وَيَتَحَصَّنُ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي حُصُونِهِمْ فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ إِلَىٰ السَّمَاءِ فَتَرْجِعُ عَلَيْهَا الدَّمُ الَّذِي اجْفَظَّ فَيَقُولُونَ قَهَرْنَا أَهْلَ الأَرْضِ وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ فَيَبْعَثُ اللهُ نَغَفًا (أي دُودًا) فِي أَقْفَائِهِمْ فَيَقْتُلُهُمْ بِهَا» قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ- : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ دَوَابَّ الأَرْضِ لَتَسْمَنُ وَتَشْكَرُ شَكَرًا (أي تمتلئ شحما) مِنْ لُحُومِهِمْ** » .

---

(١) أخرجه أحمد في «مُسنده» (٢/ ٥١٠) ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧٣٥) .

وفي «صَحِيح مُسْلِم»[١]، من حَدِيثِ النَّوَّاس بْن سَمْعَانَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- قَالَ -فذَكر الحديث وفِيه- : « إِذْ بَعَثَ اللهُ المَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ المَنَارَةِ البَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَىٰ أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّىٰ يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَىٰ اللهُ إِلَىٰ عِيسَىٰ: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَىٰ الطُّورِ ،وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَىٰ بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا ،وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ . وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ حَتَّىٰ يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ.

فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَىٰ كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ إِلَىٰ الأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ إِلَىٰ اللهِ فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّىٰ يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ .

فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّىٰ أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ

(١) رواه مسلم (٢١٣٧) .

رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ ، وَيَبْقَىٰ شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ (أي يجامع الرجال النساءً بحضرة الناس كما يفعل الحمير) ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ » .

ويأجوج ومأجوج أيها الناس لا قدرة لأحدٍ بقتالهم ، كما دل عليه الحديث، والسبب في أنه لا يستطيع أحد الوقوف في وجوههم لكثرتهم ، يدل علىٰ ذلك أن المسلمين يوقدون من أسلحتهم بعد هلاكهم سبع سنين .

ففي «سُنن ابن ماجهْ» بسند صحيح ، صححه الألباني في «الصحيحة» [1]، من من حَديث النَّوَّاس بْن سَمْعَانَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : **قَالَ رَسُولُ اللهِ** -ﷺ- : **«سَيُوقِدُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ قِسِيِّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَنُشَّابِهِمْ وَأَتْرِسَتِهِمْ سَبْعَ سِنِينَ »**.

وأسأل الله لي ولكم العفو والعافية في الدنيا والآخرة ، وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن .

---

(١) صحيح أخرجه ابن ماجهْ في «سُننه» (٤٠٧٨) ،وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٩٤٠).



٣٣ الخطبة الأولى
سائر أشراط الساعة

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّد -ﷺ-، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمّا بعد: أَيُّهَا النَّاسُ ،حديثي معكم اليوم عن سائر أشراط الساعة .

أيها الناس ؛ اعلموا - علمني الله وإياكم- أنه بعد موت عيسىٰ بن مريم -عليه السلام- تعود البشرية إلىٰ جاهليتها الأولىٰ أو أشد .

وفي «صَحِيح مُسْلِم»(١)، من حَديث عَبْد الله بْن عَمْرو -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - في الحديثه الطويلَ :- وفِيه - : « **ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ ، فَلا يَبْقىٰ**

(١) رواه مسلم (٢٩٤٠) .

عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ ، حَتَّىٰ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ تَقْبِضَهُ ، قَالَ : فَيَبْقَىٰ شِرَارُ النَّاسِ، فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ أَلَا تَسْتَجِيبُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : فَمَا تَأْمُرُنَا ؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ».

ومن الأوثان التي تُعبد - أيها الناس- :(ذو الخلصة) طاغية دوس، واللات العُزىٰ ، ففي «صحيح البخاري» [١]، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-:«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَىٰ ذِي الْخَلَصَةِ » .

وذو الخلصة : الصنم الذي كانت تعبده دوس في الجاهلية .

وفي «صَحِيحِ مُسْلِم»[٢]، من حديث عَنْ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- يَقُولُ :« لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّىٰ تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّىٰ » . فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ أَنَّ ذَلِكَ تَامًّا .

قَالَ رَسُولَ اللهِ -ﷺ-:« إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَوَفَّىٰ كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَيَبْقَىٰ مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ فَيَرْجِعُونَ إِلَىٰ دِينِ آبَائِهِمْ » .

ومن أشراط الساعة الكبرى : تخرب الكعبة :

ثم لا تعمر بعد ذلك أبدًا ، ثم لا يحج البيت بعد ذلك ، ويكون خرابها على

(١) رواه البخاري ومسلم (٢٩٠٦) .
(٢) رواه مسلم (٢٩٠٦) .

رجل من الحبشة ؛ وفي «الصحيحين» [١]،من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ-ﷺ-: « **يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ ؛مِنْ الْحَبَشَةِ**».

وفي «مُسند أحمد» بسند صحيح ، صححه الألباني في «الصحيحة» [٢] ، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ-ﷺ-: « **يُبَايَعُ لِرَجُلٍ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ ، وَلَنْ يَسْتَحِلَّ الْبَيْتَ إِلَّا أَهْلُهُ ، فَإِذَا اسْتَحَلُّوهُ فَلَا يُسْأَلُ عَنْ هَلَكَةِ الْعَرَبِ ، ثُمَّ تَأْتِي الْحَبَشَةُ فَيُخَرِّبُونَهُ خَرَابًا لَا يَعْمُرُ بَعْدَهُ أَبَدًا ، وَهُمْ الَّذِينَ يَسْتَخْرِجُونَ كَنْزَهُ** ».

ففي «صحيح البخاري» [٣]، من حديث **أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ**-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ-ﷺ-قَالَ: « **لَيُحَجَّنَّ الْبَيْتُ وَلَيُعْتَمَرَنَّ بَعْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ** » .

تَابَعَهُ أَبَانُ وَعِمْرَانُ عَنْ قَتَادَةَ وَقَال عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ شُعْبَةَ قَال: « **لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ لا يُحَجَّ الْبَيْتُ وَالأَوَّلُ أَكْثَرُ** » .

ومن أشراط الساعة الكبرى :الخسوفات الثلاث التي ذكرها النبي -ﷺ- :

ففي«صحيح مُسلم»[٤]،من حديث حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، عَنِ النَّبِيِّ-ﷺ-قَالَ: « **إِنَّ السَّاعَةَ لَنْ تَقُومَ حَتَّىٰ تَرَوْا عَشْرَ آيَاتٍ : -فَذَكَرَ مِنْهَا - ... ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ**».

ومن أشراط الساعة الكبرى : ظهور الدخان في آخر الزمان :

قال اللهُ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

---

(١) رواه البخاري (١٥٩١) ، ومسلم (٢٩٠٩) .
(٢) صحيح أخرجه أحمد في «مُسنده» (٢/ ٢٩١) ،وصححه الألباني في«الصحيحة» (٥٧٩).
(٣) رواه البخاري ومسلم (١٥٩٣) .
(٤) رواه مسلم (٢٩٠١) .

يَغْشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [الدخان: ١٠ـ١١].

وهذا الدخان ، أيها الناس ؛ لا محالة واقع قبل قيام الساعة ؛ فقد روىٰ الطبري وابن أبي حاتم عَن عَبد الله بن أَبي مُليكَةَ قَالَ: غَدَوْتُ عَلَىٰ ابن عَبَّاس -رَضِيَ الله عَنْهُمَا- ذَاتَ يَوْم فَقَال: مَا نمْتُ اللَّيْلَةَ حَتَّىٰ أَصْبَحْتُ. قُلْتُ: لِمَ؟ ، قَالَ: قَالُوا : طَلَعَ الْكَوْكَبُ ذُو الذَّنبِ ، فَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ الدُّخَانُ قَدْ طَرَقَ فَمَا نِمْتُ حَتَّىٰ أَصْبَحْتُ» . [١]

قال ابن كثير -رحمه الله- [٢]: « وَهَذَا إِسْنَاد صَحِيح إِلَىٰ اِبْن عَبَّاس -رَضِيَ الله عَنْهُمَا- حَبْر الْأُمَّة وَتُرْجُمَان الْقُرْآن وَهَكَذَا قَوْل مَنْ وَافَقَهُ مِنْ الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ -رَضِيَ الله عَنهُمْ أَجْمَعِينَ- مَعَ الْأَحَادِيث الْمَرْفُوعَة مِنْ الصِّحَاح وَالْحِسَان وَغَيْرهمَا الَّتِي أَوْرَدُوهَا ، ممَّا فِيهِ مَقْنَع وَدَلَالَة ظَاهِرَة عَلَىٰ أَنَّ الدُّخَان مِنْ الْآيَات الْمُنْتَظَرَة مَعَ أَنَّهُ ظَاهِر الْقُرْآن، قَالَ الله تَبَارَك وَتَعَالَىٰ ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الدخان: ١٠] أَيْ بَيِّن وَاضِح يَرَاهُ كُلّ أَحَد .

ففي «صحيح مُسلم» [٣]، من حديث أَبي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ الله عَنْهُ-قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله-ﷺ-: « **بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سِتًّا : الدَّجَّالَ ، والدُّخَانِ** » .

ففي «صحيح مُسلم» [٤]، من حَدِيث حُذَيْفَةَ بْن أَسِيد-رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ: « **كَانَ النبيُّ -ﷺ- فِي غُرْفَةٍ وَنَحْنُ أَسْفَلَ منه، فَاطَّلَعَ إِلَيْنَا، فَقالَ: ما تَذْكُرُونَ؟، قُلْنَا: السَّاعَةَ، قالَ: إنَّ السَّاعَةَ لا تَكُونُ حتَّىٰ تَكُونَ عَشْرُ آيَات: خَسْفٌ بالمَشْرِق، وَخَسْفٌ بالمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ في جَزِيرَةِ العَرَبِ وَالدُّخَانُ وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ**

---

(١) انظر : تفسير الطبري (٢٥/ ١١٣) ، وتفسير ابن كثير (٧/ ٢٣٥).
(٢) انظر : تفسير ابن كثير (٧/ ٢٣٥).
(٣) رواه مسلم (٢٩٤٧) .
(٤) رواه مسلم (٢٩٠١) .

الأَرْض، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِن مَغْرِبِهَا، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِن قَعْرَةِ عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ» .

ومن أشراط الساعة الكبرى : طلوع الشمس من مغربها :

وذلك ثابت بالكتاب والسُّنَّة ، قال الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ–: ﴿ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وفي «الصحيحين» [١]، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله –ﷺ–: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبها، فإذا طَلَعَتْ فَرَآها النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذلِكَ حِينَ:** ﴿ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ ﴾» .

ففي «صحيح مُسلم» [٢]، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –ﷺ–: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سِتًّا : طُلُوعَ الشَّمْسِ من مَغْرِبهَا** » .

وفي «صحيح مُسلم» [٣]، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ: «حَفِظْتُ من رَسول الله –ﷺ– حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ –ﷺ– يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبهَا** » .

وفي «صحيح مُسلم» [٤]، من حديث أَبِي ذَرٍّ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– أَنَّ النَّبِيَّ –ﷺ– قَالَ يَوْمًا: «**أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هذه الشَّمْسُ؟** » قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**إِنَّ هذه تَجرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحت الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً ، فَلا تَزَالُ**

---

(١) رواه البخاري (٤٦٣٥)، ومسلم (١٥٧) .
(٢) رواه مسلم (٢٩٤٧) .
(٣) رواه مسلم (٢٩٤١) .
(٤) رواه مسلم (١٥٩) .

كَذٰلك حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفعي، ارْجعي منْ حَيْثُ جئْت، فَتَرْجعُ. فَتُصْبحُ طَالعَةً منْ مَطْلعهَا، ثُمَّ تَجْري حَتَّىٰ تَنْتَهيَ إلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْش، فَتَخرُّ سَاجدَةً. وَلاَ تَزَالُ كَذَلك حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفعي، ارْجعي منْ حَيْثُ جئْت، فَتَرْجعُ، فَتُصْبحُ طَالعَةً منْ مَطْلعهَا، ثُمَّ تَجْري لاَ يَسْتَنْكرُ النَّاسُ منْهَا شَيْئا حَتَّىٰ تَنْتَهيَ إلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ، تَحْتَ الْعَرْش، فَيُقَالُ لَهَا: ارْتَفعي، أَصْبحي طَالعَةً منْ مَغْربك، فَتُصْبحُ طَالعَةً منْ مَغْربهَا». فَقَالَ رَسُولُ اللّه -ﷺ- : « أَتَدْرُونَ مَتَىٰ ذَاكُمْ؟، ذَلكَ حينَ ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾».

وأما عن استقرار الشمس تحت العرش وكيفية سجودها ، فقد أجاب علىٰ ذلك الإمام الخطابي -رحمه الله - قال : (« **مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ** » : لا ننكر أن يكون لها استقرار تحته العرش؛ من حيث لا ندركه، ولا نشاهده، وإنما أُخبرنا عن غيب، فلا نكذب به، ولا نكيِّفه؛ لأن علمنا لا يحيط به) .

ثم قال عن سجودها تحت العرش : « وفي هذا إخبار عن سجود الشمس تحت العرش، فلا ينكر ذلك عند محاذاتها العرش في مسيرها، والتصرف لما سخرت له، وأما قوله عز وجل: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ [الكهف: ٨٦] فهو نهاية مدرك البصر إياها حالة الغروب، ومصيرها تحت العرش للسجود إنما هو بعد الغروب »[١] .

وقال النووي -رحمه الله- : « وأما سجود الشمس؛ فهو بتمييز وإدراك يخلقه الله تعالىٰ فيها »[٢] .

وقال ابن كثير -رحمه الله-: « يسجد لعظمته كل شيءٍ طوعًا وكرهًا،

(١) شرح السُّنَّة للبغوي (١٥/ ٩٥-٩٦) تحقيق : شعيب الأرنؤوط .
(٢) شرح النووي علىٰ مسلم (٢/ ١٩٧) .

وسجود كل شيءٍ مما يختصُّ به »[١] .

وقال ابن حجر -رحمه الله-: « وظاهر الحديث أن المراد بالاستقرار وقوعه في كل يوم وليلة عند سجودها، ومقابل الاستقرار المسير الدائم، المعبَّر عنه بالجري، والله أعلم »[٢].

أيها الناس ؛ علينا أن نبادر بالتوبة إلىٰ الله قبل أن تطلع الشمس من مغربها، وقبل تغرب شمس حياتنا ، ولا يدري أحد منا متىٰ تغرب شمسه ويأفل نجمه.

وفي «مُسند أحمد» بسندٍ صحيح ، صححه الألباني في «الصحيحة» [٣] ، من حديث عَبْدُ الله بْنِ عَمْرِو ابْنِ الْعَاصِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ: «**الْهِجْرَةُ هِجْرَتَانِ: أَحَدُهُمَا أَنْ يَهْجُرَ السَّيِّئَاتِ، وَالأُخْرَىٰ أَنْ يُهَاجِرَ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَلا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ مَا تُقُبِّلَتِ التَّوْبَةُ، وَلا تَزَالُ التَّوْبَةُ مَقْبُولَةً حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنَ المَغْرِبِ، فَإِذَا طَلَعَتْ طُبِعَ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ بِمَا فِيهِ، وَكُفِيَ النَّاسُ الْعَمَلَ**».

وفي «صحيح مُسلم» »[٤]،من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-:« **مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ** » .

وأستغفر الله .

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٩٨) .
(٢) فتح الباري (٨/ ٥٤٢) .
(٣) صحيح أخرجه أحمد في «مُسنده» (١/ ١٩٢)، وحسنه الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٩٥).
(٤) رواه مسلم (٢٧٠٣) .

الخطبة الثانية:

سائر أشراط الساعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشراف المرسلين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

أيها الناس ؛ تقدم الحديث عن سائر أشراط الساعة ، وحديثي معكم الآن إنما هو تكملة لما سبق بيانه .

أيها الناس ؛ بعد أن تطلع الشمس من مغربها ، يكون ظهور الدَّابة، وأيهما كانت قبل صاحبتها ، فالأخرىٰ علىٰ إثرها .

ومما يدل علىٰ ظهور الداية :قول الله –سبحانه وتعالىٰ – :﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [النمل:٨٢] .

ففي«صحيح مُسلم»[(١)]،من حَديثِ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيد–رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ: **«اطَّلَع عَلَيْنَا رَسُولُ الله –ﷺ– ونحن نتذاكرُ فَقالَ: ما تَذْكُرُونَ؟ قُلْنَا: السَّاعَةَ، قالَ: إنها لَنْ تَقُومَ حتىٰ تَرَوْنَ قَبْلَها عَشْرَ آياتٍ – فَذكَرَ – الدُّخانَ، والدَّجّالَ، والدَّابَّةَ ... »**.

(١) رواه مسلم (٢٩٠١) .

ففي «صحيح مُسلم»[١]، من حَدِيث عبد الله بن عَمْرو -رَضيَ الله عَنْهُمَا- قَالَ: حَفظْتُ منْ رسول الله -ﷺ- حَديثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ، سَمعْتُ رسولَ الله -ﷺ- يقولُ: «**إنَّ أَوَّلَ الآياتِ خُرُوجًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وخُرُوجُ الدَّابَّة علىٰ الناسِ ضُحَىً، وأَيُّهُمَا ما كانتْ قَبْلَ صَاحِبَتِها، فالأُخْرَىٰ علىٰ إِثْرِها قَرِيبًا**» .

وفي «مُسند أحمد» بسند صحيح ، صححه الألباني في «الصحيحة»[٢] ، من حديث أَبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ -رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: «**تَخْرُجُ الدَّابَّةُ فَتَسِمُ النَّاسَ عَلَىٰ خَرَاطِيمِهِمْ ، ثُمَّ يُعَمَّرُونَ فِيكُمْ ، حَتَّىٰ يَشْتَرِيَ الرَّجُلُ الْبَعِيرَ، فَيَقُولُ: مِمَّنْ اشْتَرَيْتَهُ؟، فَيَقُولُ: اشْتَرَيْتُهُ مِنْ أَحَدِ الْمُخَطَّمِينَ**».

ومن أشراط الساعة : خروج نار عظيمة من قعر عدن، تحشر الناس إلى محشرهم:

ففي «صحيح مُسلم»[٣]، من حَديث حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ -رَضيَ الله عَنْهُ- في ذِكْرِ أَشْرَاطِ السَّاعَة، وَفِيْهِ: «**وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ اليَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَىٰ مَحْشَرِهِمْ**».

وفي «الصحيحين»[٤]، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: «**يُحْشَرُ النَّاسُ علَىٰ ثَلاثِ طَرائِقَ: راغِبِينَ راهِبِينَ، واثْنان علَىٰ بَعِير، وثَلاثَةٌ علَىٰ بَعِير، وأَرْبَعَةٌ علَىٰ بَعِير، وعَشَرَةٌ علَىٰ بَعِير، ويَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ، تَقِيلُ معهُمْ حَيْثُ قالُوا، وتَبِيتُ معهُمْ حَيْثُ باتُوا، وتُصْبِحُ معهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وتُمْسِي معهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا**» .

---

(١) رواه مسلم (٢٩٤١) .
(٢) صحيح أخرجه أحمد في «مُسنده» (٢/ ٢٦٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٢٢) .
(٣) رواه مسلم (٢٩٠١) .
(٤) رواه البخاري (٦٥٢٢) ، ومسلم (٢٨٦١) .

وعند قيام الساعة - أيها الناس - يبعث الله -سبحانه وتعالىٰ - ريحًا لينة فتقبض روح كل مؤمن :

ففي «صحيح مُسلم»[١]، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: «**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ رِيحًا مِنَ الْيَمَنِ، أَلْيَنَ مِنَ الْحَرِيرِ، فَلاَ تَدَعُ أَحَدًا فِي قَلْبِهِ- قَالَ أَبُو عَلْقَمَةَ :(مِثْقَالُ حَبَّةٍ)، وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ:(مِثْقَالُ ذَرَّةٍ)- مِنْ إِيمَانٍ إِلاَّ قَبَضَتْهُ** ».

والساعة -أيها الناس- لا تقوم إلا علىٰ شرار الناس، حتىٰ لا يُقال في الأرض: الله ، الله ، ففي «صحيح مُسلم»[٢]، من حديث عَبْد الله بْن مَسْعُود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَىٰ شِرَارِ الْخَلْقِ** » .

ففي «صحيح مُسلم»[٣]، من حديث عَنْ أَنَس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ اللهُ**» .

وتكون قيام الساعة بغتة كما أخبرنا بذلك نبينا -ﷺ-:

ففي «صحيح مُسلم»[٤]، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ -ﷺ- قَالَ :« **تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرَّجُلُ يَحْلِبُ اللِّقْحَةَ، فَمَا يَصِلُ الْإِنَاءُ إِلَىٰ فِيهِ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَالرَّجُلَانِ يَتَبَايَعَانِ الثَّوْبَ فَمَا يَتَبَايَعَانِهِ حَتَّىٰ تَقُومَ، وَالرَّجُلُ يَلُوطُ حَوْضَهُ فَمَا يَصْدُرُ حَتَّىٰ تَقُومَ** » .

أيها الناس؛ قبل أن أودع مقامي هذا أذكركم بالحث علىٰ العمل الصالح، وإن قربت الساعة ، فإلىٰ هذا أرشدنا نبينا -ﷺ- .

---

(١) رواه مسلم (١١٧) .
(٢) رواه مسلم (٢٩٤٩) .
(٣) رواه مسلم (١٤٨) .
(٤) رواه مسلم (٢٩٥٤) .

ففي «مُسند أحمد» بسند صحيح ، من حديث أَنَس بْن مَالك -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ «**إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَلَّا تَقُومَ حَتَّىٰ يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا**» .

وفقنا الله جميعًا للعلم النافع والعمل الصالح ، وجعلنا هداة مهتدين .

فِهرس



٣٤ العقيدة
نواقض الإسلام

الخطبة الأولى:

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا، ومنْ سَيئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده الله فَلَا مُضلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد- ﷺ-، وشرَّ الأمُور مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثة بدعةٌ، وكلَّ بِدْعةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّار.

أَمَّا بَعْدُ، فَحَديثي مَعَكُمُ - أَيُّهَا النَّاسُ- اليومَ حَوْلَ نَواقِضِ الإِسْلاَمِ.

وَهِيَ عَشْرَةُ نَواقِض، أَجْمَعَ المُسلمون عليها في الجُمْلَة، وهي:

الأوّل: الشِّرْك فِي عِبادَةِ الله.

الثَّانِي: من جَعلَ بينه وبين الله وسائط، يدعوهم، ويسألهم الشفاعة، ويتوكَّل

عليهم ـ كفر إجماعًا.

الثالث: من لم يُكفِّر المشركين، أو شكَّ فِي كُفرهم، أو صحَّحَ مَذْهَبَهُم ـ كفر.

الرَّابع: مَن اعتقَدَ أَنَّ غَيْرَ هَدْيِ النَّبِيِّ -- ﷺ -- أَكْمَلُ مِنْ هَدْيِهِ، أَوْ أَنَّ حُكْمَ غَيْرِهِ أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِه: كالذي يُفَضِّلُ حُكْمَ الطَّوَاغِيتِ عَلَىٰ حُكْمِهِ - فهو كافر.

الخامس: من أبغضَ شَيئًا مِمَّا جاءَ بِه الرسولُ - ﷺ - ولو عمل به، كفر باتِّفَاقِ العلماءِ.

السادس: مَنِ استهزأ بشيء من دين الرسول - ﷺ - أو ثوابه، أو عقابه - كفر إجماعًا.

السابع: السِّحْرُ، ومنه الصَّرْفُ والعَطْفُ، فمن فعلهُ أَوْ رَضِيَ بِهِ ـ كفر.

الثامن: مظاهرةُ المُشْرِكِين، ومعاونتهم علىٰ المُسْلِمين.

التاسع: مَنِ اعتقدَ أنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسَعُهُ الخُرُوجُ عن شريعة محَمَّدٍ - ﷺ - كَمَا وَسِعَ الخَضِرَ الخُروجُ عن شريعة مُوسىٰ - عَلَيْهِ السَّلاَمَ - فهو كافر.

العاشر: الإعراض عن دين الله ـ تَعَالَىٰ ـ: لا يتعلمه، ولا يعملُ به.

أيُّها الناس، تلك عشرة نواقضَ، لخصها الإمامُ محمَّدُ بن عبد الوَهَّابِ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ من كلام أهل العلم، وقد أجاد وأفاد، ومن المعلوم أنَّ نواقضَ الإسلام أكثر من ذَلِكَ، لكن كُلّ النواقضِ مرجعُها إلىٰ هذه العشرة.

ونواقضُ الإسلامِ: هي مُفْسدَاتُهُ الَّتِي متىٰ طَرأَت عليه أفسدته، وأحبطتْ عمَلَ صَاحِبِهِ، وصار من الخالدين في النار.

أَيُّهَا النَّاسُ، سوف أشرحُ لكم هذه النواقضَ بشيءٍ من التفصيل، فأعيروني أسماعَكُمْ.

النَّاقضُ الأوَّلُ من نواقِض الإسلام هو الشِّركُ في عِبادة اللّه، وهو أعظم ذنبٍ عُصِيَ اللهُ به، وكيف لا يكون كذَلِكَ، وقد جعل للهِ شريكًا في عبادته، وقد أوجده من العدم، وغَذَّاه بالنعم؟! .[1]

قَالَ الله- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وقَالَ الله- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١].

وقَالَ الله- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

والشِّرْكُ - أيها الناسُ - ينقسم إلى قسمين:

١- شرك أكبر:

٢- شرك أصغر:

القسم الأول: الشرك الأكبر: لا يغفره اللّه إلّا بالتوبة، وصاحبُه إن لقي الله به، فهو خالدٌ في النار.

وهو على أربعة أنواعٍ:

النوعُ الأوَّل - شرك الدعوة، دليله قوله - تَعَالَىٰ -:﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥].

النوع الثاني - شِرْك النِّيَّة، والدليل قول الله- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ

(١) انظر البيان شرح نواقض الإسلام لسليمان العلوان .

ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [هود: ١٥- ١٦].

وهذا ـ أي شِرْكُ النِّيَّة ـ إنَّما جُعِلَ شِرْكًا أَكْبَر محمولاً علىٰ من كانت جميعُ أعماله مُرادًا بها غَيْرُ وَجْهِ الله، أَمَّا مَنْ طرأ عليه الرِّياء، فهو شرك أصغر.

النوع الثالث من أنواع الشِّرْك ـ شِرْك الطاعة، وهي طاعةُ الأحبار والرُّهبان في معصية الله، ويدخلُ في ذَلِكَ مَن اتَّبع غَيْرَهُ من المُسْلِمين في خلافِ الدِّين مع علمه بذَلِكَ، واعتقد ذَلِك، والدليل قَالَ الله- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة: ٣١].

النوع الرابع من أنواع الشرك ـ شِرْكُ المحبَّة، والدليل علىٰ ذَلِكَ قَالَ الله- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

فالإنسان لجهله بربِّه ـ تجدُهُ يُحبُّ الآلهة من الأصنام وغيرها كحبِّ الله، ويغضبُ لها أشدَّ من غضبه لله.

بل ومن الناس من يكون حُبُّهُ للوالي كحبِّه لله، ويستبشرُ بذكره ما لا يستبشر لله، وهذا شِرْكٌ أَكْبَرُ مُخرجٌ من الإسلام، قَالَ الله- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الزُّمَر: ٤٥].

ومن الشرك الأكبر ـ أيُّها النَّاسُ ـ الذَّبْحُ لغير اللَّه؛ لأنَّ الذَّبْحَ لله عبادة، قَالَ

الله– سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾ [الكوثر: ٢].

وقَالَ الله– سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ۝١٦٢ ﴾ [الأنعام: ١٦٢]. فمن ذبح للأولياء أو للجنِّ فقد خرج عن الإسلام.

القسم الثاني من أقسام الشِّرك: الشِّرْك الأصغر، وصاحبه إن لقي الله به، فهو تحت المشيئة، إن شاء الله عفا عنه، وأدخله الجَنَّة، وإن شاء عذَّبه، ولكن مآله إلىٰ الجَنَّة، لأنَّ الشِّرْك الأصْغَر لا يُخْلِدُ صَاحِبَهُ فِي النَّارِ.

ومن أنواع الشِّرْك الأصغر ـ الحَلِفُ بغير اللَّه،ومنه يسير الرِّياء والتصنع للخلق، وهذا القسم ـ أَيُّهَا النَّاس ـ بَحْرٌ لا ساحِلَ له، فيجبُ علينا التفقهُ في هذا الباب.

أَيُّها الناس، لقد أطلتُ فِي ذكر الناقض الأوَّل من نواقض الإسلام، وما ذاك إلَّا لعظيم خطره علىٰ الأُمَّة.

والآن مع الناقض الثاني، وهو من جعل بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ وسائطَ، يدعوهم، ويسألهم الشفاعة، ويتوكَّل عليهم ـ كفر إجماعًا.

وهذا أَيُّهَا النَّاسُ ـ من أعظم النواقض وقوعًا، فكم من الناسِ مَنْ يَتَّخذون وسائطَ، يدعوهم فِي المُلِمَّات، وإغاثة اللَّهفَان، وتفريج الكُرُبات، وهؤلاء كفار بإجماع المُسْلِمين. والقرآن يدعو إلىٰ إخلاص العبادة لله وَحْدَهُ، وعَدَم جَعْلِ الوسائطِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقه، قَالَ الله– سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝١٨٦ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

أَيُّهَا النَّاسُ، فِي هَذَا القَدْر كفايةٌ لِمن كَانَ له قلبٌ.

والآن مع الناقض الثالث من نواقض الإسلام، وهو من لم يُكَفِّر المشركين، أو شكَّ في كفرهم، أو صحَّحَ مذهبهم.

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ الإسلام لا يكتفي بعصمة دَم المُسْلِم أن يقول لَا إِلَهَ إلَّا الله، بل لا بُدَّ أنْ يُضيفَ إِلَيْهِ الكُفْرَ بما يُعْبَدُ من دون الله، فإن لم يَكْفُرْ بما يُعْبَدُ من دُونِ اللهِ، لم يَحْرُمْ دَمُهُ ومالُهُ، والسيفُ مسلول عليه.

فِفي صحيح مُسْلِمٍ[١] مِنْ حَدِيْثِ معد بن طارق عن أَبيه ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ - ﷺ - يقول: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ ـ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ**، وحسابُهُ علَىٰ الله».

وَرَبَّنَا- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- يقول: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

أَيُّهَا الناسُ، هذه هي مِلَّة إبراهيمَ الَّتِي مَنْ رغب عنها، فقد سَفِهَ نَفْسَهُ.

وقَالَ الله- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

قَالَ أحد العلماء: ووصفه بالطاغوت: أنْ تعتقد بُطلانَ عبادةِ غير الله، وتتركها، وتبغضها، وتكفِّرَ أهلَها، وتُعادِيَهُمْ.

الناقض الرابع من نواقض الإسلام: مَن اعتَقَدَ أنَّ غَيْرَ هَدْيِ النَّبيِّ- ﷺ- أَكْمَلُ من هَدْيِه، أَوْ أنَّ حكمَ غَيْرِهِ أَحْسَنُ مِنْ حُكمه: كَالَّذِي يُفَضِّلُ حُكْمَ الطواغِيتَ عَلَىٰ حكمه.

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣).

وما من شك ـ أَيُّهَا الناسُ ـ أنَّ هَدْيَ مُحَمَّدٍ - ﷺ - أَكْمَلُ الهَدْيِ؛ لأَنَّهُ وَحْيٌ يُوحَىٰ إِلَيْهِ؛ كما قَالَ الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٤].

فمن اعتقد أنَّ هَدْيَ غَيْرِ النبي - ﷺ - أكملُ من هديه فقد كفر إجماعًا.

وكذَلِكَ مَنِ اعْتقد أنَّ حكمَ غَيْرِهِ أَحسن من حكمه، فقد كَفر بإجماع أهل العلم.

فعلىٰ المُسْلِم أنْ يعتقدَ اعتقادًا جازمًا أنَّ حكمَ اللهِ ورسولِهِ مُقَدَّمٌ علىٰ كُلِّ حكمٍ، فذَلِكَ مقتضىٰ شهادة أن لَاَ إِلَهَ إِلَّا الله.

قَالَ الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ۝٦٠﴾ [النساء: ٦٠].

وأقسم اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بنفسه أنهم لا يؤمنون، حتى يستكملوا ثلاثةَ أشياء:

١- أن يُحَكِّمُوا الرسولَ - ﷺ - في جميع الأمورِ.

١- ألاَّ يجدوا في أنفسهم حَرَجًا مِمَّا قضىٰ به.

٣-أنْ يُسلِّموا تسليمًا كاملاً لحكمه.

فقَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾ [النساء: ٦٥].

الناقض الخامس من نواقض الإسلام: من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول -ﷺ- ولو عمل به. كفر باتفاق العلماء:

أَيُّهَا النَّاسُ، ما فائدة الإيمان بما أنزل علىٰ الرسول، والقلبُ يَكْرَهُ ذَلِكَ؟! أَلَيْسَ هذا هو غايةُ الكفر والضلال؟! .

قَالَ الله- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- حاكمًا بكفر من كره ما أنزل علىٰ رسوله-ﷺ-: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسًا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٩﴾﴾ [محمَّد: ٨، ٩].

وكُلُّ من كره ما أنزل الله، مثل: حكم السارق، وحكم الزاني، وغير ذَلِكَ من الأحكام ـ فعمله حابط، وإن عمل بما كره، كما قَالَ الله- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد: ٢٨].

وأستغفرُ اللهَ.

الخطبة الثانية:

نواقض الإسلام

إنَّ الحمد لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفِرُهُ، ونَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرورِ أنفسِنَا، ومنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِ اللهُ، فَلا مُضلَّ له، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَه، وأَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَه، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُه.

أَمَّا بَعْدُ،

فَقَد ذكرتُ في الخُطْبَة الأولىٰ -أَيُّهَا النَّاسُ- خَمْسَة نواقِض من نواقضِ الإسلامِ، وفي هذه الخُطْبَة أستكملُ ما بدأتُ به، راجيًا من الله- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- العون والسَّدَادَ، فهو ـ وَحْدَهُ ـ الهَادي إلَىٰ سَبيل الرَّشادِ.

النَاقضُ السادسُ من نواقض الإسلام ـ مَنِ استهزأ بشيءٍ من دينِ الرَّسُولِ- ﷺ- أو ثوابِه،أو عقابِه. كفرَ بإجماع المُسلمين، ولو لم يقصدْ ، قَالَ الله- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

فمن استهزأ بشيءٍ ممَّا جاء به الرسولُ- ﷺ-: كالاستهزاء بالعلم الشرعيِّ، وأهلِهِ لأجلِهِ؛ وكالاستهزاءِ بثواب الله وعقابِهِ، والاستهزاء بالآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكرِ من أَجْلِ أمرِهِمْ بِهِ، أو نهيهم عَنْه .

وقد نُقِلَ عَنْ بعضِ أَهْلِ العِلْمِ أنَّه من قَالَ لمنْ يأمرُ بالمعروفِ: يا فضولي؛ من أجل أمره ـ فقد كفر.

ويدخل فِي ذَلِكَ من استهزأ بالصلاةِ، سواء كانتْ نافِلَةً أو فريضة، وكذَلِكَ الاستهزاءُ بالمُصلِّين لأجل صلاتهم، وكذَلِكَ الاستهزاء بِمَنْ أعْفَىٰ لِحيَتَهُ لأجل إعفائها، أو بتاركِ الرِّبا لأَجلِ تركِهِ ـ فهو كافر.

الناقض السابع من نواقض الإسلام ـ السِّحْرُ، ومنه الصَّرْفُ والعَطْفُ، فمن فعله ـ أو رضي به ـ كفر، والدليل: قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقد ذهب جمهورُ أهل العلمِ إلىٰ كُفْرِ السَّاحِرِ، وذهبوا إلىٰ قَتْلِهِ حَدًّا.

قَالَ العلاَّمة حافظ حكمي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «كُلُّ مَنْ تَعلَّم السِّحْرَ أو علَّمه، أَوْ عَمِلَ بِهِ ـ يَكفُرُ، كَكُفْرِ الشَّيَاطِين الَّذين علَّموه النَّاسَ؛ إذْ لا فَرْقَ بيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، بل هو تلميذُ الشيطانِ وخرِّيجُهُ، عنه روىٰ، وبه تخرَّج، وإيَّاه اتَّبَعَ».

الناقض الثامنُ من نواقضِ الإسلام ـ مُظاهرة المشركين، ومعاونتُهم على المُسلِمين، والدليل: قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١].

وهذا الأمر ـ أيُّهَا النَّاسُ ـ مِمَّا عمَّتْ به البَلْوَىٰ، وما ذاك إلَّا بسبب الإعراضِ عَنْ تَعلُّم العُلُومِ الشَّرعيَّة، فإلىٰ اللهِ نشكو غُرْبَةَ الإسلامِ وأَهْلِهِ.

الناقض التاسعُ من نواقض الإسلام ـ مَن اعْتَقَد أَنَّ بعْضَ الناسِ يَسَعُهُ الخُروجُ عَنْ شريعةِ محمَّدٍ ـ ﷺ ـ كما وَسِعَ الخِضرَ الخروجُ عَنْ شَريعةِ موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمَ ـ فهو كافرٌ، ومَنْ ظنَّ الاستغناءَ عنها، فقد خلع رِبْقَةَ الإسلام مِنْ عُنُقِهِ لتضمُّنِهِ تكذيب قولِ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وأخرج الحاكمُ في «مستدركه» وحسَّنَه الألباني في تخريج السُّنَّةِ[1] ، مِنْ حَدِيْثِ عبد الله بن مسعود ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ :خَطَّ لنا رسولُ اللهِ - ﷺ - خطًّا ثمَّ قَالَ: «هذا سبيلُ اللهِ». ثم خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يمِينِهِ، وعَنْ يَسَارِهِ، وقَالَ: «هذه سُبُلٌ، على كُلِّ سبيل منها شيطانٌ يدعو إِلَيْهِ» ثمَّ قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. فدل هذا الحديثُ علىٰ أنَّ الطريق واحدٌ.

قَالَ الإمام ابن القيم ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في كتابه «التفسير القيم»[2] : «وهذا لأنَّ الطريق المُوصلَ إِلَىٰ اللهِ واحدٌ، وهو ما بَعَثَ به رُسُلَهُ، وأَنْزَلَ كُتُبَهُ، ولا يقبلُ إِلَيْهِ أحدٌ إِلَّا مِنْ هذا الطريق، ولو أتَىٰ مِنْ كُلِّ طريقٍ، واستفتحوا مِنْ كُلِّ بابٍ، فالطريقُ عليهم مسدودةٌ، والأبوابُ عليهم مُغْلقةٌ إِلَّا مِنْ هذا الطريق الواحدِ؛ فإنَّه مُتَّصلٌ باللهِ، مُوْصِلٌ إلىٰ الله».

وَأَخْرَجَ الإمام أحمدُ فِي «مُسنده»[3] مِنْ حَدِيْثِ جابر بن عبد الله ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ عن النبيِّ - ﷺ - أنه رأىٰ في يَدِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ وَرَقَة مِنَ التَّوراةِ، فقَالَ: «**أَمُتَهَوِّكُوْنَ فِيها يا ابْنَ الخَطَّابِ! لَقَدْ جِئْتُكُمْ بها بيضاءَ نقيَّةً، ولو كَانَ مُوسىٰ حَيًّا، واتَّبَعتُمُوهُ، وَتَركْتُمُوني ـ لَضَلَلْتُمْ**».

وفي رواية: «**ولو كَانَ موسىٰ حَيًّا، ما وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي**»[4].

ومعنىٰ مُتَهوِّكون: أي مُتَحَيِّرون. فنص هذا الحديث وغيره علىٰ أنه لا يسع أحدًا الخروج عن شريعة محمد - ﷺ -.

---

(١) رَوَاهُ الحاكم، وهو في تخريج السُّنَّة للألباني برقم (ص١٧).
(٢) التفسير القيم (ص١٤، ١٥).
(٣) أخرجه أحمدُ في مُسنده برقم (١٢٢).
(٤) المُسند (٣/ ٣٨٧)، وحسَّنه الألباني لشواهده في الإرواء (١٥٨٩).

النَّاقضُ العاشرُ مِنْ نواقضِ الإسلام ـ الإعراضُ عَنْ دين اللَّه: لا يَتَعَلَّمُهُ، ولا يَعْمَلُ به، والدليلُ قولُهُ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السَّجدة: ٢٢]. والمُرَادُ بالإعْراضِ هُنَا: الإعراضُ عَنْ تَعلُّمِ أَصْلِ الدِّين، الذي به يكونُ المَرْءُ مُسلمًا حقًّا.

قَالَ العلاَّمة ابن القيم ـ رَحِمَهُ اللّهُ ـ: «وأما الإعراضُ فأنْ يُعْرِضَ بسمعِهِ، وَقَلْبِهِ عَنِ الرَّسُولِ: لا يُصِّدقُهُ، ولا يُكَذِّبُهُ، ولا يُوالِيْهِ، ولا يُعادِيْهِ، ولا يُصْغِي إِلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ أَلبَتَّةَ».

ومِنْ هُنا يتبيَّن لكُلِّ ذي عَقْل حُكْمُ كثيرٍ مِنْ عُبَّادِ القُبُورِ، فإنهم مُعْرِضُون عَمَّا جاء بِهِ الرَّسُولُ- ﷺ- إعراضًا كُلِّيًّا بأسماعهم وقلوبهم، فإذا ذهبت تُقِيمُ عليهمُ الحُجَّة علىٰ فسادِ عِبادتِهم، قَالَوا عنك: أنتَ تُعَادي الأَوْلياءَ. فمِثْلُ هؤلاءِ كُفَّارٌ لإعراضهم. قَالَ الله- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السَّجْدة: ٢٢].

أيُّها النَّاسُ، تلك هي نواقضُ الإسلام، فمن أتى بواحدةٍ منها، فقدْ حَبطَ عَمَلُهُ، وصار من الخالدين في النار، ولذَلِكَ يجبُ علىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ ـ ومُسلمة ـ أن يتعلَّمَ هذه النواقضَ، ويُعلِّمَها أَهْلَهُ وأَوْلادَهُ، حَتَّىٰ لا يقعَ فِي واحدةٍ منها، وهو لا يشعرُ، ومِمَّا ينبغي التنبيهُ عليه أنَّهُ لا فَرْقَ في جميع هذهِ النواقِضِ بَيْنَ الهازِلِ، والجادِّ، والخائفِ، إلَّا المُكْرَهَ، كما قَالَ بذَلِكَ أهلُ العلم، ودليل العُذْرِ بالإكْراهِ قولُ الله- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النَّحْلُ:١٠٦].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عِمْرَانَ: ٨].



٣٥

التوكل[1]

الخطبة الأولى:

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُه، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّد - ﷺ -، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أَمَّا بعد، فحديثي مَعَكُمُ اليَوْمَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ التَّوكُّلِ علىٰ اللهِ، الذي هو جِماعُ الخيرِ، وهو ـ كما وَصَفَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ الثِّقَةُ بِاللهِ[2].

---

(١) انظر كتاب التوكل علىٰ الله، وعلاقته بالأسباب د. عبد الله بن عمر الدميجي

(٢) زاد المسير لابن الجَوْزِيِّ (٢/ ٢٤).

وَوَصَفَهُ الجُرْجَانِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بقوله: «هُو الثِّقَةُ بما عِنْدَ اللهِ وَاليَأْسُ عمَّا فِي أَيدي الناسِ»[١] .

والتوكُّلُ علىٰ الله ـ أيُّهَا النَّاسُ ـ مِنْ أُصولِ الإيمانِ، فالتوكل من أعمالِ القلوبِ. كما قَالَ الإمامُ أحمدُ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «التوكُّلُ عَمَلُ القَلْبِ»[٢] .

وَنَقَلَ شيخُ الإسلامِ عَنِ الجُنَيْدِ أَنَّهُ قَالَ: «التوحيدُ قَوْلُ القَلبِ، والتوْكُّل عَمَلُ القَلْبِ»[٣] .

وأعمالُ القُلوبِ أيُّهَا النَّاسُ ـ هو صُلْبُ قضيةِ الإيمان، وقُطْبُ رَحَاهَا، وعليه مَدَارُها، وحَجَرُ زاويةِ هذا الدِّين، الذي بَعَثَ اللهُ به الأنبياءَ والمُرسلين.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنْهُۖ﴾ [المجادلة: ٢٢]. فجعلَ اللهُ كِتابةَ الإيمانِ في القلوب.

وقَالَ الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - مُمْتنًّا علىٰ المؤمنين: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧﴾ [الحجرات: ٧].

وفي «الصحيحين»[٤] مِنْ حَدِيْثِ النعمان بن بشير ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «... **ألا وإنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلّهُ، ألاَ وَهي القَلْبُ**».

فهذا الحديث دَلَّ علىٰ تعلُّقِ جميعِ الأَعْمَالِ بِالقَلْبِ.

وأَعمالُ القُلوبِ ـ أيُّهَا النَّاسُ ـ مِن الأَهمِّيَّةِ بمكانٍ.

---

(١) التعريفات (٧٤).
(٢) طريق الهجرتين لابن القيم (ص٢٣٩).
(٣) الإيمان لابن تيمية (١٧٦).
(٤) رَوَاهُ البخاري (٥٢)، وَمُسْلم (١٥٩٩).

قَالَ شَيخُ الإسلامِ فِي أَهمِّيَّةِ أعمالِ القلوبِ: «هي مِنْ أُصُولِ الإيمانِ، وَقَواعِدِ الدِّينِ، مِثْلُ: مَحَبَّةِ اللهِ ورسولِهِ، والتوكُّلِ علىٰ اللهِ، وإخلاصِ الدِّينِ للهِ، والشكْرِ لَهُ، والصَّبْرِ علَىٰ حُكْمِهِ، والخَوفِ مِنْهُ، والرَّجَاءِ لَهُ، وهذِهِ الأعمالُ - جميعُها - واجِبَةٌ علىٰ جميعِ الخَلْقِ باتِّفَاقِ أئمةِ الدِّيْنِ»[(١)].

وقَالَ العلاَّمة ابن القيِّم - رَحِمَهُ اللّهُ -: «أعْمَالُ القلوب هي الأَصْلُ، وأَعمالُ الجوارحِ تَبَعٌ ومُكمِّلةٌ، وإنَّ النِّيَّة بمنزلةِ الرُّوحِ، والعَمَلَ بمنزلةِ الجَسَدِ للأعضاءِ، الذي إذا فارقَ الرُّوحَ فمواتٌ؛ فمعرفةُ أحكامِ القلوبِ أهمُّ من معرفةِ أحكامِ الجَوارحِ»[(٢)].

أَيُّهَا النَّاسُ، بَعْدَ أَنْ عَرَفْنَا أَهميَّةَ أعمالِ القُلُوبِ، وأَنَّ التوكُّلَ علىٰ اللهِ مِنْ أعمالِ القُلوبِ، كما قَالَ الإمامُ المُبَجَّلُ أحمدُ بنُ حَنْبلٍ: «التوكُّلُ عَمَلُ القَلْبِ»[(٣)].

فهأنَذا أَنتقلُ مَعَكمْ إلى أهمَّيَّةِ التَّوكُّلِ على اللّهِ:

أَيُّها الناسُ، لقد جعل اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- التوكُّلَ عليه شَرْطًا من شُروط تحقيق أصل الإيمانِ، فقَالَ- سُبْحَانَهُ وَتَعالَىٰ- : ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [يونُس: ٨٤، ٨٥].

فِفي هذه الآية جعله شَرْطًا لتحقيقِ الإيمانِ.

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ٢٣].

---

(١) الفتاوىٰ (١٠/ ٥)، وانظر الفتاوىٰ (٢٠/ ٧٠).
(٢) بدائع الفوائد (٣/ ٢٢٤).
(٣) طريق الهجرتين (ص٢٣٩).

قَالَ الإمامُ ابنُ القيِّم ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في تفسير هذه الآيةِ: «فَجَعَلَ التوكُّلَ شَرْطًا فِي الإيمانِ؛ فدلَّ علىٰ انتفاءِ الإيمانِ عندَ انتفاءِ التوكُّلِ» [(١)] .

وقَالَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ –: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [المُلك: ٢٩] فربط اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – في هذه الآية بين الإيمان والتوكل .

وقَالَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ –: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التَّغَابُن: ١٣].

قَالَ الإمامُ ابن القيِّم ـ رَحِمَهُ اللّهُ ـ في تفسير هذه الآية ـ : «فذِكْرُ اسْمِ الإيمانِ ـ دُوْنَ سائرِ أَسمائهم ـ دليل علىٰ استدعاء الإيمانِ التوَكُّلَ، وإنَّ قوَّةَ التَّوكُّلِ وَضعْفَهُ بحَسَبِ قوَّةِ الإيمان وضعفه، وكُلَما قَوِيَ إيمانُ العَبْدِ كانَ توكُّلُهُ أَقْوىٰ، وإذا ضَعُفَ الإيمانُ ضَعُفَ التوكُّلُ، وإذا كَانَ التوكُّلُ ضعيفًا، فهو دليل علىٰ ضعفِ الإيمانِ، ولابُدَّ»[(٢)] .

أيُّها النَّاسُ، كما جعل الله – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – التوكُّلَ شَرْطًا فِي تحقيقِ أصلِ الإيمانِ، فقد جعله شَرْطًا للإسلامِ قَالَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – : ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [يونُس: ٨٤، ٨٥].

قَالَ ابن القيم ـ رَحِمَهُ اللّهُ ـ : «فَجَعَلَ دليلَ صِحَّةِ الإسلامِ التوكُّلَ» [(٣)] .

قَالَ سليمان بن عبد اللّه: «ومفهومُ ذلِكَ انتفاءُ الإيمانِ والإسلامِ عِندَ انتفائِهِ»[(٤)] .

---

(١) المرجع السابق (ص٢٣٧).
(٢) المرجع السابق (٢٣٨) وانظر البدائع (٢/ ٢٦٨).
(٣) طريق الهجرتين (ص٢٣٨).
(٤) تيسير العزيز الحميد (ص٤٩٦).

وقالَ القُرْطُبيُّ ـ رَحِمَهُ اللّهُ ـ: «وَكَرَّرَ الشَّرْطَ تأكِيدًا»[١] .

أيُّها النَّاسُ، التوكُّلُ ينقسمُ إلى قسمين:

ـ توكُّل على اللّه:

ـ توكُّل على غير اللّه:

وهذا ينقسم إلى قسمين: فمنه شِرْكٌ أكْبَر، ومنه شِرْكٌ أَصْغَرُ.

فيكونُ شِرْكًا أكبرَ، متىٰ توكَّلَ العَبْدُ عَلَىٰ غيرِ اللهِ فِي الأُمُـورِ الَّتِي لا يَقْدِرُ عليها إلَّا اللهُ- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : كمن يتوكَّلُ علَىٰ الأمواتِ في رجاءِ مطالبِهِ مِنَ النَّصْرِ، والحِفْظِ، والشَّفَاعَةِ، فهذا شِرْكٌ أَكْبَرُ، كما نبَّهَ إلَيه العَلاَّمةُ سُلَيمَانُ ابْنُ عبد الله [٢] .

والتوكُّلُ علىٰ غَيْرِ اللهِ فِي الأُمُورِ الَّتِي يَقْدِرُ عليها ـ فيما يظنُّ المتوكلُ ـ وهذا شِرْكٌ أصْغَرُ [٣] .

قَالَ سُلَيمانُ بْنُ عبد اللّه ـ رَحِمَهُ اللّهُ ـ: «التوكُّلُ فِي الأسبابِ الظاهرة العاديَّةِ ـ كَمَنْ يَتَوكَّلُ علَىٰ أمير أو سُلْطَانٍ فِيما جَعَلَهُ اللهُ بيدِهِ مِن الرِّزْقِ، أو دَفْع الأَذَىٰ، ونَحْوِ ذلِكَ ـ فَهَذَا شِرْكٌ خَفِيٌ»[٤] .

ولذَلِكَ قيل: «الالتفاتُ إلىٰ الأسباب شِرْكٌ فِي التوحِيدِ، لِقوَّةِ تَعلُّقِ القَلْبِ به والاعتماد عليه».

وقدْ شَرَحَ هذه العبارةَ شَيْخُ الإسلام ـ رَحِمَهُ اللّهُ ـ فقَالَ: «لأَنَّ القلبَ لا يتوكَّلُ إلَّا علَىٰ مَنْ يَرْجُوه، فَمَنْ رجا قُوَّتَهُ، أو عَمَلَهُ، أو عِلْمَهُ، أو حالَهُ، أو

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٧٠).
(٢) تيسير العزيز الحميد (٤٩٧، ٤٩٨).
(٣) فتاوىٰ ورسائل ابن عُثيمين (٦/ ٥٤).
(٤) تيسير العزيز الحميد (ص٤٠).

صديقَهُ، أو قرَابَتَهُ، أو شَيْخَهُ أو مَلِكَهُ، أو مَالَهُ ـ غَيْرَ نَاظِرٍ إِلَىٰ الله ـ كَانَ فيه نَوْعُ تَوكُّلٍ عَلَىٰ ذَلِكَ السببِ، وما رجا أحدٌ مخلوقًا ـ أو توكَّل عليه ـ إلَّا خَابَ ظَنُّهُ فيه؛ فَإِنَّهُ شِرْكٌ»[١] .

وأخرج الإمامُ البَيْهَقِيُّ فِي كِتابه «شُعَبِ الإيمانِ»[٢] عن الإمام شقيق البلخيِّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ أنه قَالَ: «لِكُلِّ واحدٍ مقامٌ: فمتوكِّلٌ علىٰ مالِهِ، ومتوكِّلٌ علىٰ نَفْسِهِ، ومُتَوَكِّلٌ عَلَىٰ لِسَانِهِ، ومتوكِّلٌ علىٰ سيفِهِ، ومتوكِّلٌ عَلَىٰ سَلْطَنَتِهِ، ومتوكِّلٌ علىٰ اللهِ – عَزَّ وَجَلَّ – .

فَأَمَّا المُتوكِّلُ عَلَىٰ اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، فَقَدْ وجد الاسترواحَ، نوّه اللهُ به، وَرَفَعَ قَدْرَهُ، وقَالَ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفُرْقان: ٥٨].

أَمَّا مَنْ كانَ مستروحًا إلىٰ غَيْره، يُوشِكُ أَنْ يَنقطعَ بِهِ، فيشقىٰ».

أَيُّهَا الناسُ، التوكُّلُ كُلُّهُ عِبادَةٌ؛ فلا يجوزُ ـ قَطْعًا ـ أَنْ يقول الرَّجُلُ: أَنا متوكِّلٌ علىٰ اللهِ، ثُمَّ عَلَيْكَ.

قَالَ العلاَّمَةُ بكر أبو زيد ـ حفظه الله ـ : «لا يجُوزُ أَنْ يُقَالَ: أَنا متوكِّلٌ علىٰ اللهِ، ثُمَّ عليك، كما يَجُوزُ فِي المشيئةِ لأنَّ التوكُّلَ كُلَّهُ عِبادَةٌ»[٣] .

أيها الناس، لقد ذكر بعض أهل العلم أنه متىٰ توكل الرجل علىٰ غير الله باعتبار أنه سبب وأن الله – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – هو الذي قدر ذَلِكَ علىٰ يده فإن ذَلِكَ لا بأس به بشرط أن يكون في شيء يقدر عليه.

أَيُّها الناسُ، إنّ التوكُّل على اللّهِ لا يُنافي الأَخْذَ بالأَسْبَابِ، بل التوكُّلُ هو قيامُ الجوارحِ بالأسبابِ،واعتمادُ القلبِ علىٰ مُسبِّبِ الأَسْبَابِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ –.

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٢٥٧).
(٢) رقم (١٢٩٧).
(٣) مُعْجَم المناهي اللَّفظية لبكر بن عبد اللّه أبو زيد (ص٨٣).

وهذا هو مذهبُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ في هذهِ المسألةِ.

والأدلةُ على ذَلِكَ كثيرةٌ، فمن ذَلِكَ قولُ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

قَالَ الحليميُّ -رَحِمَهُ اللهُ- في تفسير هذه الآية-: «أي: فإنَّ خَيْرَ الزَّادِ ما عادَ علىٰ صاحبِهِ بالتَّقْوىٰ، وهو ألاَّ يتكلوا علىٰ أزواد الناس، ويُضيِّقُون عليهم، ومَنْ دخل الباديةَ بلا زادٍ، فإنَّما يرجو أنْ يُقيِّضَ اللهُ -تَعَالَىٰ- له مَنْ يُواسيه مِنْ زادِهِ، وهذا عَيْنُ ما أشارت الآيةُ إلىٰ المَنعِ منه فبان أنَّهُ لا معنىٰ لاستحبابِهِ، وإنما المُسْتحبُّ هو التزودُ»[1].

وفي «صَحِيْح البخاريِّ»[2] مِنْ حَدِيْثِ المِقْدام بْنِ مَعْدِ يكرِبَ عَنِ النَّبيِّ -ﷺ- قَالَ: «**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طعامًا -قَطُّ- خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وإنَّ نبيَّ اللهِ دَاوُدَ -عليه السَّلامُ- كانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**».

قَالَ الحافظ -رَحِمَهُ اللهُ-: «وفي الحديثِ أنَّ التكسُّبَ لا يَقْدَحَ في التَّوكُّلِ»[3].

وأخرج أحمدَ في مُسنده بسندٍ صحيحٍ[4] مِنْ حَدِيْثِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عن النبيِّ -ﷺ- قَالَ: «**لو أَنَّكُم تتوكَّلُونَ علىٰ اللهِ -حَقَّ تَوكُّلِهِ- لَرَزَقَكُمْ كما يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِماصًا، وتَروح بِطانًا**» أي: تذهبُ أوَّلَ النَّهار ضامرَةَ البُطُونِ مِنَ الجوعِ، وتعودُ آخِرَهُ مُمْتلئةَ البطونِ.

---

(١) المنهاج (٢/ ٧)، وانظر شعب الإيمان (٢/ ٧٥).
(٢) رَوَاهُ البخاري (٢٠٧٢).
(٣) فتح الباري (٤/ ٣٥٨).
(٤) أخرجه أحمد في مُسنده (١/ ٣٠)، والترمذي (٢٣٤٤)، وقَالَ: حديثٌ حسن صحيح، وابن ماجَهْ (٤١٦٤)، وقَالَ أحمد شاكر في تعليقه علىٰ المُسند: إسناده صحيح (١/ ٣٤٣).

قَالَ الإمامُ أحمدُ ـ رَحِمَهُ اللّه ـ : «لَيْسَ في الحديث دلالة علىٰ القعود عن الكسب، بل فيه ما يدل علىٰ طلب الرزق لأنَّ الطَّيْرَ إذا غَدَتْ، فَإِنَّمَا تَغْدُو لطلَبِ الرِّزْقِ»[١].

وقَالَ الإمام أبو حاتم: «وهذا الحديثُ أَصْلٌ فِي التَّوكُّلِ، وإنَّهُ من أعظمِ الأسبابِ الَّتِي يُسْتَجلبُ بِهَا الرِّزْقُ»[٢].

وقَالَ الحليميُّ ـ رَحِمَهُ اللّه ـ : «فالطَّيرُ إذا غَدَتْ إنَّمَا تَغْدُو بطلبِ الرِّزْقِ، ومعروفٌ من عادتِها أنَّها لا تقعُ إلَّا حيث تُبْصِرُ لَقَطًا، وأنَّهَا لا تزالُ تسبحُ فِي الهَواءِ، حتىٰ ترىٰ الماءَ، فتنزل عليه، وكُلُّ ذَلِكَ ابتغاء فِي الرِّزْقِ»[٣].

أَيُّهَا الناسُ لقد نهىٰ النَّبِيُّ - ﷺ - عَنْ مسأَلة النَّاسِ؛ لأَنَّ فِيْهَا نوع استعانةٍ وتوكُّلٍ علىٰ غَيْرِ اللهِ.

فَفِي «الصحيحين»[٤] مِنْ حَدِيْثِ عبد الله بن عُمَرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**لا تزالُ المسأَلَةُ بأَحَدِكُمْ، حَتَّىٰ يَلْقَىٰ اللهَ ولَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ**».

وأصلُ الطَّلَبِ من المخلوقِ لا يجوزُ إلَّا لضرورةٍ.

قَالَ شيخُ الإسلامِ: «وَسُؤالُ الخَلْقِ في الأَصْلِ محرَّم، لكنَّهُ أُبيحَ للضَّرورةِ، وتركُهُ توكُّلاً علىٰ اللهِ ـ أفْضَلُ»[٥].

---

(١) شُعب الإيمان (٢/ ٦٦).
(٢) جامع العلوم والحكم (ص٤٠٩).
(٣) المنهاج للحليميِّ (٢/ ٩).
(٤) رَوَاهُ البخاري (١٤٧٤)، وَمُسْلم (١٠٣٣).
(٥) مجموع الفتاوىٰ (١/ ١٨١).

وقد جاء تفصيلُ أصحابِ الضَّرورةِ .

فِي « صَحِيْحِ مُسْلِم »[١] مِنْ حَدِيْثِ قبيصةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ – : **«إن المسألة لا تَحِلُّ إلّا لأَحَدِ ثلاثةٍ: رجلٌ تحمَّلَ حَمَالةً[٢] ، فَحَلَّتْ له المسألَةُ، حتىٰ يُصيبَها، ثمَّ يُمْسكُ، ورجلٌ أصابتْهُ جائحةٌ[٣] اجتاحتْ مالَهُ، فَحَلَّتْ له المسألَةُ،حتَّىٰ يُصيبَ قَوَامًا[٤] مِنْ عَيْشٍ– أو قَالَ:سِدادًا مِنْ عَيْشٍ[٥]– ورجلٌ أصابتْهُ فَاقَةٌ[٦]، حتَّىٰ يقولَ ثلاثةٌ مِنْ ذَوِي الحِجَىٰ[٧] مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصابتْ فُلانًا فَاقَة، فَحَلَّتْ له المَسألَةُ، حَتَّىٰ يُصيبَ قوامًا من عَيْشٍ ـ أو قَالَ: سِدادًا من عَيْشٍ ـ فَمَا سِواهُنَّ من المسألةِ ـ يَاقَبِيْصَةُ ـ سُحْت، يَأكلُها صَاحبُها سُحْتًا»** .

وأستغفرُ اللهَ.

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٠٤٤).
(٢) الحَمَالة : بفتح الحاء : أن يقعَ قِتالٌ ونَحْوهُ بين فريقين ، فَيُصلحُ إنشانٌ بينهم عَلىٰ مالٍ ، فيتحمَّلُهُ ، ويلتزمُهُ علىٰ نفسِهِ .
(٣) الجائحة : الآفة تُصِيْبُ مَالَ الإنسَان .
(٤) القَوام– بفَتح القَاف وكسْرِهَا– هو مَا يَقُوم بِهِ أمرُ الإنسان من مَالٍ ونَحْوهِ .
(٥) السِّدَاد– بكَسْرِ السِّين– مَا يَسُدُّ حاجةَ المُعْوَزِ ويكفِيهِ .
(٦) الفَاقَةُ : الفَقْرُ
(٧) والحِجَىٰ : العَقْل .

الخطبة الثانية:

ثَمــراتُ التوكــلِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالمين، والصلاة والسَّلامُ علىٰ رسوله الأمين، وعلىٰ آلِهِ وصَحْبِهِ أَجمعين، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَىٰ يومِ الدِّين.

أَمَّا بَعْدُ،

فبَعْدَ أَنْ بَيَّنا منزلةَ التوكُّلِ وأَهمِّيَّتَهُ -أَيُّهَا النَّاسُ- ، نُحِبُّ أَنْ نُشِيرَ إِلَىٰ بَعْضِ الثَّمَراتِ العظيمةِ، الَّتِي يجنيها المتوكِّلُ بَعْدَ تحقِيقِهِ هذا المقامَ الرَّفيعَ.

ومن أهمِّها :

١ ـ **تحقيقُ الإيمانِ**، حيثُ لا إيمانَ إلَّا بتوكُّلٍ، كما لا توكُّلَ إلَّا بالإيمانِ.

قَالَ الله- سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ- : ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] أي: فلا تحقيق للإيمان إلَّا بتحقيقِ التَّوكُّلِ.

٢ ـ **طُمَأْنينةُ النَّفْسِ**، وارتياحُ القلبِ، فالعبدُ حينما يُسلِّم قيادَةَ لخالِقِهِ، وَيَرْضَىٰ بما قسم له،وَيُفَوِّضُ أَمْرَهُ إِلَيْهِ ـ سيجدُ راحةً فِي قلبه، وطُمأْنِينةً فِي نَفْسِهِ.

قَالَ الله- عزَّ وَجَلَّ- : ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ۝٧٩﴾ [النمل:٧٩].

٣ ـ ومنها كفايةُ اللّهِ للمتوكّلِ في جميع شُئُونه:

قَالَ الله-سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ- : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطَّلَاق: ٣]

أي: كافيه.

قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ: «مِنْ كُلِّ ما ضاق علىٰ الناسِ»[١] .

٤ ـ ومنها أنَّ التوكُّلَ على اللَّه من أقوى الأسبابِ في جَلْبِ المنافعِ، وَدَفْعِ المضارِّ، والواقعُ خَيْرُ شاهدٍ علىٰ ذَلِكَ.

فَفِي «صحيح البخاري» [٢] مِنْ حَدِيْثِ عبد الله بن عباس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ١٧٣﴾ قَالَها إبراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ حينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وقَالَها مُحمَّدٌ ـ ﷺ ـ حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عِمْرَانَ: ١٧٣].

ولكن لننظر ماذا كانتِ النتيجةُ:

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ في حَقِّ إبراهيم: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ٧٠﴾ [الأنبياء: ٦٩ ـ ٧٠].

وقَالَ في حَقِّ محمدٍ ـ ﷺ ـ : ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ١٧٤﴾ [آل عِمْرَانَ:١٧٤].

٥ - وَمِنْهَا أنَّ التوكُّل على اللَّهِ يُوْرِثُ محبَّةَ اللَّهِ للعبدِ، وما أَعْظَمَ أَنْ يَحْظَىٰ العَبْدُ بمحَبَّةِ اللهِ ـ سُبحانه وتَعَالَىٰ ـ !، وقَدْ وَعَدَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ المتوكِّلين عليه بالمحبَّةِ، وَوَعْدُ اللهِ وَاقِعٌ ـ لاَ مَحَالَةَ ـ لِمَنْ حقق التوكلِّ.

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ مخاطبًا نبيَّه ـ ﷺ ـ : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ [آل عمْرَانَ:١٥٩].

---

(١) رَوَاهُ البخاري تعليقًا في الرقائق؛ باب: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطَّلاق: ٣]، الفتح (١١/ ٣١١).

(٢) رَوَاهُ البخاري (٤٥٦٣).

٦ـ ومنها أنَّ التوكُّلَ على اللهِ يُوْرِثُ قُوَّةَ القَلْبِ، وشجاعتَهُ، وثباتَهُ، وتحدِّيَهُ الأَعْدَاءَ مهما عَظَمُوا، فالقُوَّةِ ـ كُلُّ القُوَّةِ ـ فِي التوكُّلِ علىٰ اللهِ، ولهذا جاء الأَمْرُ بالتوكُّلِ مقرونًا بالإعراضِ عَنِ الأعداءِ، وعَدَمِ الاهتمامِ بهم، أو الخوفِ منهم.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب: ٤٨].

٧ـ ومنها أنَّ التوكُّل عَلَى اللّٰهِ يُوْرِثُ الصَّبْرَ والتَمهُّلَ فقد قَرَنَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - بَيْنَ الصَّبْرِ والتوكُّلِ، فقَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [النحل: ٤١ـ٤٢].

٨ـ ومنها أن التوكُّلَ على اللّٰهِ يُوْرِثُ النَّصرَ والتمكين؛ فقد قَرَنَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - بَيْنَهُ وبَيْنَ التوكُّلِ، فقَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران: ١٦٠].

٩ـ ومنها أنَّ التوكُّلَ على اللّٰهِ يُقَوِّي العزيمة والثباتَ على الأمر، قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - مخاطبًا نبيَّهُ - ﷺ - : ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة: ٥١].

١٠ـ ومنها أنَّ التَّوَكُّلَ على اللّٰهِ يقي من تسلُّطِ الشَّيطان، قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَـٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النَّحل: ٩٨ـ١٠٠].

١١ ـ ومنها أنَّ التَّوكُّلَ على اللَّه من أسبابِ دَفْعِ السِّحْرِ، والحَسَدِ، والعَيْنِ، فالتوكُّلُ من أقوىٰ الأسباب الَّتِي يَدْفَعُ بها العَبْدُ ما لا يُطيقُ، قَالَ اللهُ- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- علىٰ لسان نبيِّهِ يَعقُوبَ : ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧﴾ [يُوسُف: ٦٧].

١٢ ـ ومنها أنَّ التوكُّلَ على اللَّهِ يُوْرِثُ الرِّزْقَ، قَالَ اللهُ- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ـ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق: ٢ـ٣].

أَيُّهَا الناس، تلك بَعْضُ ثَمَراتِ التوكُّلِ علىٰ اللهِ، نسأل اللهَ أنْ يَرْزُقَنَا حُسْنَ التوكُّلِ عليه، ويُفَقِّهَنَا في دينِنا.



٣٦ علام يقتل أحدكم أخاه؟!

الخطبة الأولى:

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا، ومَنْ سَيِّئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّد- ﷺ-، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أَمَّا بَعْدُ،

فحديثي مَعَكُمْ اليَوْمَ -أَيُّهَا النَّاسُ- حول العَيْن، وخطورتها وتأثيرها على الفرد والمجتمع، فكم في المقابر من قبور بسبب العين، فالعين أمرها عظيم، وخطرها جسيم، لا يسلم منها إلَّا من سلَّمَهُ اللهُ.

قَالَ الله- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- حاكيًا عن نبيِّه يعقوب؛ وقد خشي العين علىٰ أبنائه ـ : ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦٨ ﴾ [يوسف: ٦٧ ـ ٦٨].

قَالَ القُرطبيُّ ـ رَحِمَهُ اللّه ـ في تفسير هذه الآية: «لمَّا عزموا علىٰ الخروج خَشِيَ عليهمُ العَيْنَ فأمرهم ألاَّ يدخلوا مِصْرَ من بابٍ واحدٍ، وكانت مِصْرُ لها أربعة أبواب، وإنما خاف عليهم العين، لكونهم أَحَدَ عَشَرَ رجلاً لرجلٍ واحدٍ، وكانوا أهل جَمَالٍ وكَمَالٍ وبَسْطَةٍ »، قَالَه ابن عبَّاسٍ، والضَّحاك، وقتادة، وغيرهم[(١)] .

ونقل الفخر الرازي في «تفسيره» قوله: «هو قول جمهور المفسرين: إنَّه خاف من العين عليهم»[(٢)] .

والعَيْنُ قَلَّ أن يسلم منها أحدٌ، حتى إنَّ الرسول- ﷺ- يتعرَّض للإصابة بالعين:

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ٥١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٥٢ ﴾ [القلم: ٥١، ٥٢].

قَالَ العلاَّمة ابن كثير ـ رَحِمَهُ اللّه ـ : [(٣)] «قَالَ ابن عبَّاسٍ، ومجاهد، وغيرهُما: ﴿لَيُزۡلِقُونَكَ﴾: ليُنْفذونك بأبصارهم، أي: يَعِيْنُونك بأبصارهم بمعنىٰ:

---

(١) تفسير القرطبي (٩/ ٢٦٦) .
(٢) انظر : تفسير الفخر الرازي (٩/ ١٧٦) .
(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٤١٠) .

يحسدونك لبغضهم إيَّاك، لولا وقاية الله لك وحمايته إيَّاك منهم، وفي هذه الآية دليل علىٰ أنَّ العين إصابتها وتأثيرها حقٌّ بأمر الله- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ، كما وردت في ذَلِكَ الأحاديث المَرْوِيَّةَ من طرقٍ متعدِّدةٍ كثيرةٍ».

وأمَّا السُّنَّة النبويَّة فقد دلَّت على خطورة العين، فقد ذكر الرسول- ﷺ- أن أكثر ساكني المقابر منها.

فقد روىٰ الطيالسي في «مُسنده» بسند حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - [1] منْ حَدِيْث جابر بنِ عبد الله - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ- ﷺ-: «**أَكْثَرُ مَنْ يَموتُ من أُمَّتِي بَعْدَ قَضَاءِ اللهِ وقدرِهِ بالعَيْنِ**».

عبادَ اللهِ، اتقوا العين، فإنها تُدْخِلُ الرَّجُلَ القَبْرَ، والجَمَلَ القِدْرَ.

فقد روىٰ أبو نعيم في «الحلية» بسنده، وحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ [2] مِنْ حَدِيْث جابر بن عبد الله - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ الله- ﷺ- : «**العينُ تُدخِلُ الرَّجُلَ القَبْر، وتُدْخِلُ الجملَ القِدرَ**».

قَالَ العلامة المناوي: «تُدْخِلُ الرجلَ: أي: تقتله فيُدْفَن في القَبْرِ. وتُدخِلُ الجَمَلَ: أي إذا أصابته - أو أشرف علىٰ الموت - ذَبَحه مالكُهُ، وطبخه في القِدْرِ».

وهي - أيضًا - تهوِي بالرجل من فوق الجبل، فقد روىٰ الإمام أحمد في مُسنده بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ، صحَّحَه الألباني [3] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ الله- ﷺ- : «**إنَّ العَيْنَ لتولعُ بالرَّجُلِ** (أي تُلازِمُهُ فتؤثِّر فيه)

---

(١) رَوَاهُ الطيالسي في مُسنده (١٧٦٠) ، وحسَّن إسناده الألباني في «السلسة الصحيحة» (٧٤٧)، و«صحيح الجامع» (١٢١٧) .

(٢) رَوَاهُ أبو نعيم (٧/ ٩٠)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ فِي«صَحِيْح الجامع» (٤١٤٤)، و«الصحيحة» (١٢٤٩).

(٣) رَوَاهُ الإمام أحمد (٥/ ١٤٦)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ فِي«صَحِيْحِ الجامع» (١٦٨١)، و«الصحيحة» (٨٨٩).

بإذن الله، حتىٰ يصعَدَ حالقًا، فيتردَّىٰ مِنْهُ».

ومعنى الحديث: أنَّ العينَ تُصيبُ الرَّجُلَ فتؤثرُ فيه، حتَّىٰ إنه ليصعدُ مكانًا مرتفعًا، ثمَّ يسقطُ من أعلاهُ من أثر العين.

وروىٰ الإمام أحمدُ ـ أيضًا ـ بسنده، وحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ [1] مِنْ حَدِيْثِ ابن عبَّاس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَاَل: قَاَل رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**العَيْنُ حَقٌّ، تستنزلُ الحَالِقَ**». أي: تُسْقِطُهُ منَ الجبل العالي.

والعينُ ـ عبادَ اللهِ ـ تكاد تسبق القدرَ، فَفِي «صحيح مُسْلِم»[2] مِنْ حَدِيْث ابن عبَّاس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَاَل: قَاَل رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**العينُ حقٌّ، ولو كَانَ شيءٌ سابَق القدرِ لسبقتْهُ العينُ، وإذا استُغْسِلْتُم فاغسلُوا**».

وروىٰ الإمام أحمد بسنده، وصحَّحَه الألباني[3] مِنْ حَدِيْثِ أسماء بنت عميس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُا ـ قَالَت: يا رسولَ الله، إنَّ بني جعفر تصيبُهم العينُ أفأسترقي لَهُم؟، فقَالَ: «**نعمْ، فلو كَانَ شيءٌ سَابَقَ القَضَاءِ لسَبَقَتْهُ العَيْنُ**».

أَيُّهَا الناس، إنَّ العينَ حقٌّ، فيجب الإيمان بذَلِكَ، وإن كنَّا لا ندرك كُنْهَهَا، وكيف تصل إلىٰ بُغْيتها؟!، فَفِي «الصحيحين»[4] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَاَل: قَاَل رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**العَيْنُ حَقٌّ**».

وروىٰ ابن ماجَهْ بسنده، وصحَّحَهُ الألبانيُّ [5] مِنْ حَدِيْثِ عائشة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُا ـ أنَّ النبي ـ ﷺ ـ قَاَل: «**استعيذوا بالله من العَيْنِ، فإنَّ العَيْنَ حَقٌّ**».

---

(١) رَوَاهُ أحمد (١/ ٢٧٤)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (١٢٥٠).
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢١٨٨).
(٣) رَوَاهُ أحمد (٦/ ٤٣٨)، والترمذي (٢٠٥٩)، وصحَّحَهُ الألباني «صحيح الجامع» (٥٢٩٦).
(٤) رَوَاهُ البخاري (١٠/ ٢١٣)، ومُسْلم بشرح النووي (١٤/ ١٧٠).
(٥) رَوَاهُ ابن مَاجَهْ (٣٥٠٨)، ، وصحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْحِ الجامع» (٩٣٨)، و«الصحيحة» (٧٣٧).

عبادَ الله، إنَّ العينَ سريعة التأثير في الناس، والدَّوابِّ، والأرزاق، بل وفي المساكن، والجسور، وسائر المركوبات، ويسرع تأثيرها في أجساد الناس، ولا سيَّما الأطفال،فَفِي «صحيح مُسْلِم»[1]مِنْ حَدِيْثِ جابر بن عبد الله ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: رخَّص النبيُّ - ﷺ - لآل حزم فِي رُقْيةِ الحيَّة، وقَالَ لأسماء بنْتِ عُمَيْس: «**مالي أرىٰ أجسادَ بني أخي ضارعةً، يُصيبهم الحاجة؟!**». قَالَتْ: لَا، ولكن العين تُسرعُ إِلَيْهِم. فقَالَ: «**ارقيهم**». قَالَتْ: فعرضت عليه. فقَالَ: «**ارقيهم**».

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ العين حقٌّ ـ كما سبق ـ وتحصل من الإنسان لأخيه الإنسان، ولكن هناك أعين هي أنفذ من أَسِنَّةِ الرِّمَاح، وهي أعينُ الجانِّ، فالجنُّ يَعِينون الإنس، فَفِي «سُنن الترمذيِّ والنَّسَائِي، وابن ماجَهْ» بسندٍ صحَّحَه الألباني[2] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي سعيد الخُدْرِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ:كان رسول الله - ﷺ - يتعوَّذُ بالله مِن أَعْينِ الجانِّ، ثم أَعْيُنِ الإنسِ، فلما نزلتِ المُعَوِّذتانِ أخذهما، وترك ما سوىٰ ذَلِكَ.

وفي «الصحيحين»[3] مِنْ حَدِيْثِ أُمِّ سَلَمَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُا ـ أَنَّ النبيَّ - ﷺ - رأىٰ فِي بيتها جارية فِي وَجْهِها سَفْعَةَ (أي بُقْعَة سوداء)، فقَالَ: «**اسْتَرْقُوا لَهَا؛ فإنَّ بِهَا النَّظْرَةَ**».

قَالَ الفراء: «سَفْعَة: أي نَظْرَة من الجنِّ».

قَالَ الشيخ وحيد بن عبد السلام: «ومن هذين الحديثين يتبيَّنُ لنا أنَّ العينَ تَقَعُ من الجنِّ، كما تقع من الإنسِ؛ ولذا يجب علىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ أن يذكر اسم الله

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢١٩٨) .
(٢) رَوَاهُ الترمذي (٢٠٥٩) ، والنَّسَائِي (٥٤٩٤) ، وابن مَاجَهْ (٣٥١١)، ، وصحَّحَهُ الألبانيُّ فِي«صَحِيْح سنن ابن مَاجَهْ» .
(٣) رَوَاهُ البخَاري (١٠/ ١٧١) ، وَمُسْلم (٢١٩٧) .

عندما يخلعُ ثوبهَ، أو ينظرُ في المِرْآةِ، أو يقومُ بأيِّ عَمَلٍ؛ كي يدفعَ عن نفسِه أذَىٰ الجنِّ منْ عينٍ أو غيرِها»[١].

أيُّهَا الناسُ، لقد شاع وذاعَ عند الناس أنَّ العين لا تحصل إلَّا مِن نفسٍ خبيثةٍ، أو رجلٍ خبيثٍ يكيد للآخر.

والصوابُ أنَّ العَيْنَ كما تحْصُلُ من نفسٍ خبيثةٍ، فهي تحصُلُ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِح، فالأُوْلَىٰ سببُها الحَسَدُ، وهي الَّتِي تحصل من حاسدٍ، والثانية تكون بغير قَصْدٍ، وتحصُلُ من الرجلِ الصالح، كما تحصُلُ مِنْ غَيْرِ الصَّالحِ، ويكُونُ سببها الإعجاب والاستعظام والاستحسان.

فالحَسَدُ والعَيْنُ يَشْتَركَانِ فِي الأَثر، حيثُ يُسبِّبانِ ضررًا للمَعِين، ويختلفان فِي المصدر، فمصدر الحسد تحرُّق القلب وتمنِّي زوال النعمة عن المحسود، وأمَّا العَيْن فمصدرها انقداح نظرة العين؛ لهذا فالعائن قد يصيب حتىٰ نفسه وأولاده، في رؤيته للشيء رؤيته تعجُّبٍ وتحديقٍ.

والدعاء بالبركة يقطع أثر تلك العين، فإذا رأىٰ المرء من أخيه، أو من نفسه، أو من ماله ـ ما يُعجبه، فليدعُ له بالبركة، كأن يقول: ما شاء الله، تبارك الله. أو اللَّهمَّ بارك فيه، ونحو هذا، فإذا فعل ذَلِكَ لم يضرَّهُ شيءٌ، إن شاء الله.

قَالَ الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ [الكهف: ٣٩].

وفي «مُسند أحمد»، و«سُنن ابن ماجَهْ» بسندٍ صحَّحَهُ الألباني[٢] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي أُمامة بن سَهْلِ بن حُنَيْفٍ قَالَ: اغتسلَ أَبِي سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ بالخرَّار (أي

(١) «الصارم البتار» (ص١٣١).
(٢) رَوَاهُ أحمد (٣/ ٤٨٦)، وابن مَاجَهْ (٣٥٠٩)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْحِ ابن مَاجَهْ» (٢٨٢٨).

وادٍ من أودية المدينة)، فنزع جُبَّةً كانت عليه، وعامرُ بنُ ربيعة يَنْظُر إِلَيْهِ، وكان سَهْلٌ شديدَ البياضِ، حَسَنَ الجِلْدِ، فقَالَ عامر: ما رأيت كاليوم ولا جِلْدَ مُخَبَّأَةٍ (أي فتاةٍ مُخبئة فِي خِدْرها) وعَذْرَاءَ!..فَوُعِكَ (أي أصيب بمَغْصٍ شديدٍ) سَهْلٌ مكانهُ، واشتدَّ وَعْكُهُ، فأُخْبِرَ رسولُ اللهِ - ﷺ - بَوَعْكِهِ، فقيل له: ما يَرْفَعُ رَأْسَهُ فقَالَ: «**هل تَتَّهمون له أحدًا؟**». قَالَوا: عامر بن ربيعة. فدعاه رسولُ الله - ﷺ -، فتغيَّظَ عليه، فقَالَ: «**عَلامَ يقتُل أَحَدُكُم أَخَاهُ؟! أَلاَ بَرَّكْتَ؟! اغتسل له**».

فَفِي هذا الحديث فوائدُ تُشَدُّ لها الرِّحَالُ:

فعامر بن ربيعة أصاب سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ بعينٍ برغم أنَّ عامِرًا - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - صحابيٌّ جليلٌ، ومن السابقين إلىٰ الإسلام، بل ومن أهل بَدْرٍ، فتبيَّن أنَّ العين تحصل من الرجل الصالح وغيره، ولكن الرسول - ﷺ - قَالَ: «**ألاَ بَرَّكْتَ؟!**» أي: هلاَّ دعوت له بالبركة؟!

ثم أمره أن يغتسل له، فتوضَّأَ عامرٌ في إناءٍ، ثمَّ صُبَّ ذَلِكَ الماء علىٰ رأس سهل وظهره من خَلْفِهِ، فعاد سَهْلٌ لَيْسَ به بأسٌ، فهذا علاج نبويٌّ نافع بإذن الله للعيون.

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية:

علام يقتل أحدكم أخاه؟!

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين، وعلىٰ آله وصَحْبه أجمعين.

أمَّا بَعْدُ،

فَعرفنا فيما سبق -أَيُّهَا النَّاسُ- خطورة العين، وسرعة قتلها، فيجب علينا أن نتقي الله، وأن نحذر من الإتيان بعبارات الوصف، وكلمات التشبيه في وصف الشيء المُتَعَجَّب منه، ويكفينا إذا رأينا شيئًا يُعْجِبُنا أن ندعو لَه بالبركة، فإن الدعاء بالبركة يُسقط ضرر العين، ويُبطل أثرها.

والرجل بين ثلاث حالات:

الحالة الأولى: إذا نظر لشيء يُعجبه، ولم ينطق بشيءٍ، لم يُقدِّرِ اللهُ ضررًا، والأَوْلَىٰ الدعاء بالبركة.

الحالة الثانية: إذا نطق العائن بكلمة استحسانٍ بدون ذكر الله ـ جاهلاً كان، أو ناسيًا، وأشدُّها إذا كَانَ متعمِّدًا ـ قدَّر الله- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- في بَدَنِ المَعِينِ المَرَضَ والهلاكَ.

الحالة الثالثة: إذا ذكر الله وبرَّك ـ أي دعا بالبركة ـ حالَ نظره، سقط ضررَ العين.

فمتىٰ رأيت ـ يا عبدَ الله ـ رجلاً يُحدّ النظر في شيءٍ، أو ينظر إِلَيْهِ نظرةَ استحسان، ولم يذكر الله ـ فقد يكون جاهلاً؛ فيجب عليك أن تعلِّمَه، وتقول له: يا أَخِي، قُلْ: ما شاء الله!. وقد يكون ناسيًا؛ فيجب عليك أن تُذكِّرَهُ.

أَيُّهَا الناسُ،

إنه لابُدَّ من أخذ الوقاية من شرِّ العين قَبْلَ وقوعها؛ فالوقايةُ خيرٌ من العلاج، كما يُقَالَ في المثل السائر.

فمن الوقاية التوكل على اللّه، وهو: صِدْقُ اعتماد القلب علىٰ الله في استجلاب المصالح ودفع المضارِّ في أمور الدنيا والآخرة كُلِّها، وتوكيل الأمور كُلِّها إِلَيْهِ، وتحقيق الإيمان بألا يُعْطِي ولا يمنع، ولا يضر ولا ينفع سِوَاه[1] .

وفي ذَلِكَ يقول ربُّنا- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: 3].

ومن الوقاية ـ أيضًا ـ المحافظة علىٰ الأذكار الصحيحة،ولاسيَّما قراءة المعوِّذتين، وسورة الإخلاص، كما سبق مِنْ حَدِيْثِ أَبِي سعيد الخُدْرِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ[2] قَالَ: كَانَ رسول الله- ﷺ- يتعوَّذُ بالله من أَعْينِ الجانِّ، ثُمَّ أَعْيُنِ الإنسِ، فلمَّا نزلتِ المعوِّذتانِ أخذهما، وترك ما سوىٰ ذَلِكَ.

ومن أسباب الوقاية-أيضًا-إذا كَانَ العائن يخشىٰ ضرر عينه، وإصابتها لغيره، فليدفع شرَّها بقوله: «اللَّهُمَّ، باركْ عليه» كما قَالَ رسول الله- ﷺ- لعامر بن ربيعةَ ـ لما عان سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ: «**أَلاَ بَرَّكْتَ؟!**».

ومِمَّا يُدْفع به إصابة العين قولُ: «ما شاء اللّه، لا قوَّةَ إِلَّا باللّه»، فقد روىٰ

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص٤٠٩) .
(٢) تَقَدَّمَ تخْرِيْجه .

هشام عن عُرْوةَ عن أَبيه أنَّه كَانَ إذا رأىٰ شيئًا يُعجبُهُ ـ أن دخل حائطًا من حِيْطانه ـ قَالَ: ما شاء الله، لا قُوَّةَ إلَّا باللهِ[1].

ومن الوقاية من شرِّ العين تحصين الأطفال بالدُّعاء المأثور الصحيح، كما فِي «صَحِيْحِ البخاريِّ»[2] مِنْ حَدِيْثِ ابن عبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: كَانَ رسول الله - ﷺ - يُعوِّذُ الحسنَ والحُسينَ، يَقُولُ: «**أُعِيذكما بكلمات الله التامَّةِ مِنْ كُلِّ شيطانٍ، وهامَّةٍ، ومن كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ**». ويقول: «**كان إبراهيمُ يُعوِّذُ إسحاقَ وإسماعيلَ ـ عليهما السلام ـ**».

ومِمَّا يُتَّقى به العَيْنِ كِتْمانُ النِّعم عند طلبها، فقد أخرج الطبراني في «الكبير» بسنده، وصحَّحَهُ الألباني[3] مِنْ حَدِيْثِ مُعاذ بن جبلٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**استعينوا علىٰ إنجاحِ الحوائجِ بالكِتْمَانِ؛ فإن كُل ذي نِعْمةٍ مَحْسُودٌ**».

ومن الوقاية ـ أيضًا ـ سِتْرُ محاسن مَنْ يُخشى عليه الإصابة بالعين، كما جاء عَنْ عُثْمانَ بْنِ عَفَّانَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -لَمَّا رأىٰ صَبيًّا مَليحًا، قَالَ: «دَسِّمُوا نونَتَهُ -أي سَوِّدُوا نُقْرَتَهُ الَّتِي فِي ذَقْنِهِ - لئلاَّ تُصيبَهُ العَيْنُ». وهذا الأثر في «شرح السُّنة للبغويِّ»[4].

عبادَ اللّهِ، هذا الذي قَدَّمناه هو علاج للعين قبل وقوعها، لكن إذا وقعت فقد علمنا أنَّها إنما تقع بقدر الله، فعلينا أن ندفع قدر الله بقدر الله.

وذَلِكَ بسلوك الطرق الشرعية، وحَذَارِ حَذَارِ ـ يا عبدَ الله ـ من الذهاب

---

(١) زاد المعاد (٤/ ١٧٠).
(٢) رَوَاهُ البخاري (٣٣٧١).
(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١٨٣)، ، وصحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْحِ الجامع» (٤٩٣).
(٤) شرح السُّنَّة للبغوي (١٢/ ١٦٦).

إلىٰ المُشَعْوِذين والدَّجالين، يسرقون عليك دينك ومالك، وحذَارِ حَذَارِ ـ يا عبدَ اللهِ ـ من أن ينطبق عليك قولُ رسول الله – ﷺ – كما فِي «صَحِيْح مُسْلِم»[١] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: «**مَنْ أَتَىٰ كاهنًا ـ فصدَّقَهُ بما يقولُ ـ فقدْ كَفَرَ بما أُنْزِلَ علىٰ مُحَمَّدٍ** – ﷺ – ».

ومن الطرق الشرعية: أنَّه متىٰ عرفنا العائن، وتحقق أنه هو الذي أصاب المعين، فإنه يطلب منه غسل يديه وشيءٍ من بدنه؛ ليُصَبَّ علىٰ المعين، أو يشربَ منه، ولا يجوز للعائن أن يغضب؛ فإن كثيرًا ما تقع الإصابة، بدون إرادة العائن، حتىٰ إنَّه قد يُصيب بعضَ أولاده، أو بعضَ ماله، فعلام الغضب؟!، وقد قدَّمنا أن العين تحصل من الرجل الصالح، كما تحصل من غير الصالح، بخلاف الحسد فلا يحصل إلَّا من نفسٍ خبيثةٍ.

ومن الطرق الشرعية: ـ إذا لم تعرف العائن ـ أن تضع يدك علىٰ رأس المصاب، وتقول كما جاء فِي «صَحِيْح مُسْلِم»[2] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي سعيدٍ الخُدْرِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أن جِبْرِيلَ أَتىٰ النبيَّ – ﷺ –، **فقَالَ: «يا محمَّدُ، اشتكيت؟» فقَالَ: «نعم» . قَالَ: «باسمِ اللهِ أَرْقِيكَ من كُلِّ شيءٍ يُؤْذيك، من شرِّ كلِّ نفسٍ ـ أو عينِ حاسدٍ ـ اللهُ يَشْفيك، باسمِ اللهِ أرقيكَ»**.

اللَّهُمَّ إنا نعوذُ بك من زوالِ نعمتك، وتحوُّل عافيتِك، وفُجاءَةِ نقمتِك، وجميعِ سَخَطِكَ.

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٢٣٠) .
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢١٨٦) .



الخطبة الأولى:

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيِّئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّد -ﷺ-، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ،

فإن لزوم جماعة المُسْلِمين -أَيُّهَا النَّاسُ- **أصل من أصول أهل السُّنَّة والجماعة**، وجماعة المُسْلِمين اليوم تتمثل في الحكومة الإسلامية، الَّتِي تحكم قُطْرًا من أقطار المُسْلِمين، فيجب أن تطاع في طاعة الله- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-،

وطاعة رسول الله - ﷺ -، ويَحْرُمُ الخُروج علىٰ إمام المُسْلِمين فِيْهَا، أو عدم بيعته، أو عدم السَّمْع والطاعة لَهُ.

فالجماعة ـ عبادَ اللهِ ـ هي رابطة المُسْلِمين، وقوَّتهم من قوَّتِهَا، وضعفهم من ضَعْفِهَا، وقد أمرنا اللهُ بالجماعة، فقَالَ - سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ - : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وحبل الله هو الجماعة، كما فَهِمَ من ذَلِكَ الصحابة، وعلىٰ رأسهم حِبْرُ هذه الأمة عبد الله بن عبّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، فقد أخرج ابن أَبِي حاتم في التفسير بِسَنَدٍ حَسَنٍ[١] مِنْ حَدِيْثِ سماك بن الوليد الحنفيِّ أنَّه لقي ابن عبَّاسٍ بالمدينة ، فقَالَ: «**ما تقول في سلطانٍ علينا يظلموننا، ويشتموننا ، ويعتدون علينا في صدقاتِنا، أَلَا نمنعهم؟**» **قَالَ ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -**: «**لا، أَعْطِهِمْ يا حنفيُّ**» **وقَالَ**: «**يا حنفيُّ، الجماعة الجماعةَ، إنما هلكتِ الأمم الخالية بتفرُّقها، أما سمعت الله ـ عزَّوجلَّ ـ يقول**: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ .

وقَالَ الإمام ابن عبد البر ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في تفسير حبل الله: «وحبل اللهَ في هذا الموضع فيه قولان: أحدُهُمَا كتاب الله، والآخر الجماعة، ولا جماعة إلَّا بإمام، وهو عندي معنىٰ متداخل متقارب؛ لأن كتاب الله يأمر بالأُلفة، وينهىٰ عن التفرُّق، قَالَ الله - سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ - : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾»[٢] .

وممَّا يدلُّ علىٰ وجوب لزوم جماعة المُسْلِمين وإمامهم عند ظهور الفتن، ما جاء في «الصحيحين»[٣] مِنْ حَدِيْثِ حُذَيْفَة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: كَانَ الناسُ يسألون رسول الله - ﷺ - عن الخير، وكنتُ أسألُهُ عن الشرِّ مخافةَ أن يُدْرِكَنِي،

(١) أخرجه ابن أَبِي حاتم في «التفسير » (٢/ ٤٥٥) .
(٢) «التمهيد» لابن عبد البر (٢١/ ٢٧٢) .
(٣) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٥) ، ومُسْلم (٣/ ١٤٧٦) .

فقُلْتُ: يا رسولَ اللهِ، إنَّا كُنَّا في جاهليَّة وشرٍّ، فجاءنا اللهُ بهذا الخير، فهل بَعْدَ هذا الخير من شرٍّ؟ قَالَ: «**نعم**». قُلْتُ: وهل بعد ذَلِكَ الشرِّ من خيرٍ؟ قَالَ: «**نعمْ، وفيه دَخَنٌ**» قُلْتُ: وما دَخَنُهُ؟ قَالَ: «**قومٌ يَهْدُون بغير هَدْيي، تَعْرِفُ منهم وتُنْكِرُ**» قُلْتُ: فهل بَعْدَ ذَلِكَ الخير من شرٍّ؟ قَالَ: «**نعم، دُعاةٌ عَلَىٰ أبواب جهنَّمَ، من أجابهم إِلَيْهِا قذفوه فِيْهَا**» قلت: يا رسول الله، صِفْهُمْ لنا قَالَ: «**هم من جِلْدَتِنا، ويتكلمون بألسنَتِنا**» قُلْتُ: فما تأْمُرُنِي إن أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «**تلْزَم جَمَاعَةَ المُسْلِمينَ وإمامَهُمْ**». قُلْتُ: فإن لم يَكُنْ لَهُمْ جماعةٌ ولا إمامٌ؟ قَالَ: «**فاعتزلْ تِلكَ الفِرَقَ كُلَّها، ولو أنْ تَعَضَّ بأَصْلِ شجرةٍ، حتىٰ يُدْرِكَكَ الموت وأنت علىٰ ذَلِكَ**».

قَالَ النوويُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «وفي حديث حُذَيفة هذا لُزُومُ جماعةِ المُسلمين وإمامِهم، ووجُوب طاعته، وإن فَسقَ، وعَمِلَ المعاصِي مِنْ أَخْذِ الأموالِ، وغيرِ ذَلِكَ، فتجبُ طاعتُهُ في غير معصيةٍ»[١] .

وقَالَ ابن بطَّالٍ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «فيه حُجَّةٌ لجماعة الفقهاء في وُجُوبِ لزُوم جماعة المُسلمينَ، وتركِ الخرُوجِ علىٰ أئمَّة الجَورِ، لأنه وصف الطَّائفَةَ الأخيرةَ بأنَّهم «**دُعَاة علىٰ أبواب جهنَّمَ**» ولم يقل فيهم: تَعْرِفُ وَتُنْكِرُ كما في الأَوَّلِيْنَ، وهُمْ لا يكونون كذَلِكَ إِلَّا وهُمْ علىٰ غير حقٍّ، وأَمَرَ مع ذَلِكَ بِلُزُوم الجماعة»[٢] .

قَالَ شيخ الإسلام ابن تيميَّة: «ولهذا كَانَ من أُصُول أهل السنَّة والجماعة لزومُ الجماعة، وتركُ قتال الأئمَّة، وتركُ القتال في الفتنة»[٣] .

(١) «شرح النووي علىٰ مُسْلِم» (١٢/ ٢٣٧) .
(٢) «فتح الباري» (١٣/ ٣٧) .
(٣) «الحسبة في الإسلام» (ص٧٦) .

وأخرج الإمام أحمد في «مُسنده»، وأبو داود في «سُننه»، وابن أَبِي عاصم في «السُّنَّة» بسندٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «ظلال الجنَّة»[١] مِنْ حَدِيْثِ زيد بن ثابتٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَاَل: قَاَل رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**ثلاثُ خِصَالٍ لا يَغِلُّ عليهنَّ قلبُ مُسْلِمٍ: إخلاصُ العمل لله، والنصيحةُ لِولاَةِ الأُمُور، ولزومُ جماعتهم؛ فإنَّ الدعوةَ تحيطُ من ورائهم**».

فدلَّ هذا الحديث ـ عباد اللَّه ـ على نصيحة وُلاَةِ الأُمُور، ولزوم جماعَتِهِم:

قَالَ الإمام ابن القيِّم ـ يرَحِمَهُ اللهُ ـ: «وقولُهُ: «**ثلاثُ خِصال لا يَغِلُّ عليهنَّ قلبُ مُسْلِم**» أي: لا يحمل الغِلَّ، ولا يبقىٰ مع هذه الثلاثِ؛ فإنَّها تنفي الغِلَّ والغِشَّ، ومفسدات القلب وسخائمَهُ».

وقوله: «**ومناصحة أئمَّة المُسلِمين**»، وهذا ـ أيضًا ـ مُناف للغِلِّ والغشِّ، فإن النصيحة لا تُجَامِعُ الغِلَّ؛ إذْ هِيَ ضدَّهُ، فَمَن نَصَحَ الأئمَّةَ والأمَّةَ، فقد برئ من الغِلِّ.

وقولُهُ: «**ولُزُوم جماعتهم**» هذا ـ أيضًا ـ مِمَّا يُطَهِّرُ القلبَ من الغِلِّ والغِشِّ، فإنَّ صاحبه لجماعة المُسْلِمين يُحبُّ لهم ما يُحِبُّ لنفسه، ويكره لهم ما يكرَهُ لها، ويَسُوءُهُ ما يَسُوءُهُم، ويَسُرُّهُ ما يَسُرُّهُم، وهذا بخلاف مَنِ انحاز عنهم، واشتغل بالطَّعنِ عليهم، والذَّمِّ لهُم.

وقولُهُ: «**فإنَّ دعوتهم تحيطُ من ورائِهِمْ**» هذا من حسن الكلامِ وأوجزِهِ وأفخمِهِ معْنَىٰ، شبَّهَ دعوة المُسْلِمين بالسُّورِ والسياج المُحيط بِهِمْ، المانع من دخول عدُوِّهم عليهم»[٢].

(١) رَوَاهُ الإمام أحمد في «مُسنده» (٥/ ١٨٣)، وأبو داود في سننه (٣/ ٣٢٢)، وابن أَبِي عاصم في «السُّنَّة» (ص٥٠٤)، وصحَّحَهُ الألباني في «ظلال الجنة» (ص٥٠٤).
(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٧٧)، بتصرف.

وقَالَ ابن الأثير ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في قوله: «فإنَّ دعوتهم تحيط من ورائهم»: «أي تَحُوطُهُم وتَكْنُفُهُم وحفظُهُمْ، يريدُ أهلَ السُّنَّةِ، دُونَ أهلِ البدعةِ»[١] .

وفي «مُسندِ أحمد»، و«سُنن الترمذيِّ» بسندٍ صحيح، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْح سُنن الترمذيِّ»[٢] مِنْ حَدِيْثِ الحارث الأَشْعـــريِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أنَّ النبيَّ – ﷺ – قَالَ: «**أنا آمركم بخمس، اللهُ أَمَرَني بهِنَّ: بالجماعةِ، وبالسَّمعِ، والطَّاعةِ، والهِجْرَةِ، والجهادِ في سبيل الله، فإنه مَنْ خرج مِنَ الجماعةِ قِيْدَ شِبْرٍ، فقد خلعَ رِبْقَةَ الإسلام مِنْ عُنُقِهِ إلىٰ أنْ يَرْجِعَ، ومَنْ دعا بدعوىٰ الجاهليَّةِ، فهو مِنْ جُثاءِ جهنَّمَ**». قَالَوا: **يا رسولَ اللهِ، وإن صامَ وصلَّىٰ؟! قَالَ: «وإن صام وصلَّىٰ، وزعم أنَّهُ مسلِم، فادعوا المُسْلِمين بأسمائهم بما سمَّاهم الله -عَزَّ وَجَلَّ- : المُسْلِمين المؤمنين عِبادَ اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ»**.

فدل هذا الحديثُ ـ عبادَ اللَّهِ ـ على النَّهيِ الشديد في مفارقة الجماعة، والخروج عنها، وأنَّ من خرج عنها قِيْدَ شِبْرٍ، فقد خلع رِبْقَةَ الإسلام من عُنُقه، فأيُّ وعيدٍ أشدُّ من هذا؟!

قَالَ الخطابيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «الرِّبْقَةُ: ما يُجْعَلُ في عُنُق الدابَّة كالطوقِ يُمسِكها؛ لئلاَّ تَشْرُدَ. يقول: من خرج عن طاعة الجماعة، وفارقهم في الأمر المجمع عليه ـ فقد ضلَّ وهَلَكَ، وكان كالدَّابَّة إذا خلعت الرِّبْقة الَّتِي هي محفوظةٌ بها، فإنَّها لا يُؤمَنُ عليها عِنْدَ ذَلِكَ الهلاكُ والضيَّاعُ»[٣] .

قَالَ الحافظ ابن حجرٍ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «قوله: «قِيْدَ شِبْرٍ» هي كناية عن معصية

---

(١) «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ١٢٢) .
(٢) «مُسند أحمد (٤/ ١٣٠)، و«سُنن الترمذي» (٥/ ١٤٨) ، وصحَّحَهُ الألباني فِي «صَحِيحِ سُنن الترمذي» (٢/ ٣٧٩) .
(٣) «معالم السُّنَّة » للخطابي (٧/ ١٤٨) .

السُّلطان ومحاربته»[١].

وفِي « صَحِيْحِ مُسْلِم »[٢] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عن النبيِّ -ﷺ- قَالَ: «**من خرج من الطاعةِ، وفارق الجماعةَ فماتَ ـ ماتَ مِيْتةً جاهليَّةً**».

وأخرج أحمد في «مُسنده»، والبخاريُّ في «الأدب المفرد»، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «ظلال الجنَّة»[٣] مِنْ حَدِيْثِ فضالة بن عُبيدٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**ثلاثةٌ لا تسألْ عنهم: رجلٌ فَارَقَ الجماعَة، وعصىٰ إمامَهُ، ومات عاصيًا، وعَبْدٌ أَبَقَ فمات، وامرأةٌ غاب عنها زوجُها؛ يَكفِيْهَا المؤْنَةَ، فتبرَّجتْ مِنْ بَعْدِهِ**».

فقوله: «**لا تسألْ عنهم**» كناية عن عظيم هَلَكَتِهم.

قَالَ المناويُّ ـ رَحِمَهُ اللّه ـ: «قوله:«ثلاثة لا تسأل عنهم» أي فإنَّهُم من الهالكين، رجُلٌ فارق الجماعة بقلبه، ولسانه، واعتقاده، أو ببدنِهِ، ولسانِهِ... الجماعة المعهودين هم جماعة المُسْلِمين، «وعصىٰ إمامَهُ» إمَّا بنحو بدعةٍ كالخوارج، وإما بنحو بَغْيٍ، أو حِرابةٍ، أو احتيال، أو عدم إظهار الجماعة في الفرائض، فكُلُّ هؤلاء لا يسأل عنهم لحِلِّ دمائهم»[٤].

وأخرج الطبرانيُّ في «المُعْجم الكبير»، والهيثميُّ في «المجمع» بسندٍ صحيح، صحَّحَهُ الألبانيُّ في «ظلالِ الجنَّة»[٥] مِنْ حَدِيْث عبد الله بن عمر ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**يَدُ اللهِ علىٰ الجماعة**».

---

(١) «فتح الباري» (١٣/ ٧).
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٣/ ١٤٧٦).
(٣) أخرجه أحمد في مُسنده (٦/ ١٩)، والبخاري في الأدب المفرد (ص٢٠٤)، وصحَّحَهُ الألباني في «ظلال الجنة» (٤٢).
(٤) «فيض القدير (٣/ ٣٢).
(٥) «المعجم الكبير» (١٢/ ٤٤٧)، والمجمع» (٥/ ٢١٨)، و«ظلال الجنة» (ص٤٠).

وأخرج الإمام أحمد في «مُسنده»، والترمذيُّ في «سُننه» بسندٍ صحيح، صحَّحَهُ أحمد شاكر في «شرح المُسند»[١] مِنْ حَدِيْثِ عمر بن الخطاب ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**عَلَيْكُمْ بالجماعة، وإيَّاكم والفُرْقةَ؛ فإن الشيطانَ مع الواحدِ، وهو من الاثنين أبعدُ، مَنْ أراد بُحْبُوْحَةَ الجنَّة، فليلزم الجماعةَ**».

قَالَ أبو عبيدٍ ـ رَحِمَهُ اللّه ـ: «أراد :بُحْبُوحة الجنَّة : وسطَها» قَالَ: «وبُحْبُوحةُ كُلِّ شيءٍ وَسَطُه وخيارُهُ»[٢] .

وفي «الصحيحين»[٣] مِنْ حَدِيْثِ عبد الله بن مسعودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**لا يَحِلُّ دمُ امرئ مُسْلِمٍ إلّا بإحدىٰ ثلاثٍ: الثيِّبُ الزَّاني، والنَّفْسُ بالنَّفْسِ، والتارك لدينِهِ المُفَارِقُ للجماعةِ**».

قَالَ العلماء في قوله: «**المفارق للجماعة**»: «ويتناول أيضًا ـ كُل خارجٍ عن الجماعة ببدعةٍ، أو بَغْي، أو غيرها، وكذا الخوارج، والله أعلم»[٤] .

أيها الناس ، إن تلك الأحاديث وغيرها من الأحاديث لتدلُّ دلالة واضحة علىٰ وجوب لزوم جماعة المُسْلِمين الذين لهم إمام ظاهر فمن خرج علىٰ الإمام الذي بايعه المُسْلِمون فقد لحقَه الوعيد الشديد في الخارج عن الجماعة.

فلا يجوز لمؤمنٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقيمَ حِزْبًا في بلاد المُسْلِمين، يخرج به عن جماعتهم، ويَنمُّ به علىٰ سُلطانهم، فمن فعل ذَلِكَ فقد اتبع غير سبيل المؤمنين.

---

(١) المُسند (١/ ١٨) ، والترمذي في «سُننه» (٤/ ٤٦٥) ، وشرح المُسند (١/ ١١٢) .
(٢) غريب الحديث (٢/ ٢٠٥) .
(٣) البخاري (١٢/ ٢٠١)، وَمُسْلم (٣/ ١٣٠٢) .
(٤) «شرح صحيح مُسْلِم (١١/ ١٦٥) ، للنووي .

وقد ابتلينا بدُعاة لبَّسوا علىٰ الناس وحزَّبوهم، وأنزلوا أحاديث الجماعة علىٰ جماعة حِزبهم، وأخذوا البيعة علىٰ أتباعهم ـ فإنا لله وإنَّا إِلَيْهِ راجعون ـ وإلىٰ الله نشكو هذا الغُثاء، فهلاَّ رجعوا إلىٰ تفسير السلف للجماعة ؟!.

قَالَ الإمامُ الطبريُّ ـ رَحِمَهُ اللّهُ ـ : «إنَّ المراد من الخبر بلزوم الجماعة: الذين في طاعة من اجتمعوا علىٰ تأميره، فمن نكثَ عن بيعته خرج عن الجماعة» .

وقَالَ الإمام ابن عبد البرِّ ـ رَحِمَهُ اللّهُ ـ : «المقْصُودُ: الجماعة علىٰ إمامٍ يُسْمَعُ لَهُ ويُطاعُ» .

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية:

لزوم جماعة المُسلمين

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصَحْبه ومَنْ وَالاَهُ.

أَمَّا بَعْدُ،

فقد سبق -أَيُّهَا النَّاسُ- بيان أدلَّة لزوم جماعة المُسْلِمين وإمامهم.

وعليه أقول: إن الحاكم، أو الأمير، أو الرئيس هو المختصُّ بتلك الأحاديث، وهو المختصُّ بوجوب الصبر علىٰ جَوْرِه، وإن جَلَدَ ظَهْرَكَ، وأخذ مالك؛ لأن تلك الأدلة قد علقها الشارع علىٰ مسمىٰ السلطان، أو الإمام، أو الحاكم، أو الأمير، ولم يقلْ أحد من أهل العلم: إنَّها تتعدَّىٰ إلىٰ غيره ممَّن يقع عليه اسم الأمير كأمراء الجماعات الدَّعويَّة، فوجب التفريق بين البيعات الشرعية وبين البيعات الحزبيَّة.

ومن أنكر هذا فهو مباهتٌ، لا يستحقُّ أن يُخاطبَ بِالحُجَّة؛ لأنه لا يَعْقِلُها.

أَيُّهَا الناسُ، إن الصبر علىٰ جَور الأئمَّةَ أصل من أصول أهل السُّنَّة والجماعة، فقد جاءت أحاديث كثيرةٌ عن النبيِّ -ﷺ- تأمر بالصبر علىٰ جَوْر الأئمَّة وظُلْمهم.

فَفِي «الصحيحين» [1] مِنْ حَدِيْث عبد الله بن عبَّاس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّ النبيَّ -ﷺ- قَالَ: «مَنْ كَرِهَ من أميرِهِ شيئًا فليصبر عليه؛ فإنه لَيْسَ أحدٌ من

(١) رَوَاهُ البخاري (١٣/ ٥)، وَمُسْلم (٣/ ١٤٧٧)، واللفظ له.

الناس خَرَجَ من السلطان شِبْرًا، فمات عليه، إلَّا مات مِيتَةً جاهليَّةً » .

وفي «الشريعة» للآجري[١] عن عمرو بن يزيد قَالَ: سمعت الحسنَ أيَّامَ يزيد ابن المُهَلَّب يقول: «والله، لو أن النَّاسَ إذا ابتُلوا من قِبَلِ سُلْطانهم صبروا، ما لبثوا أن يرفع الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ ذَلِكَ عنهم، وذَلِكَ أنهم يفزعون إلىٰ السيف فيُوكلون إِلَيْهِ، ووالله، ما جاءوا بيوم خير قط » . ثمَّ تلا: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأعراف: ١٣٧].

قَالَ الإمام ابن أَبِي العزِّ في «شرح الطحاوية »[٢] : «وأمَّا لزوم طاعتهم ـ وإن جاروا ـ؛ لأنه يترتب علىٰ الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعافُ ما يحصل من جَوْرهم، بل في الصبر علىٰ جَوْرهم تكفيرُ السيئات، ومضاعفة الأجور؛ فإن الله ـ تَعَالَىٰ ـ ما سلَّطهم علينا إلَّا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل؛ فعلينا الاجتهاد في الاستغفار، والتوبة، وإصلاح العمل » .

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورىٰ: ٣٠] .

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾ [النساء: ٧٩].

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأنعام: ١٢٩].

(١) «الشريعة» (ص٣٨) .
(٢) «شرح الطحاوية» (ص٣٦٨) .

أَيُّهَا الناسُ، اعلموا ـ بَارك الله فيكم ـ أن مسؤولي الحكومة وُلاة أمر، فإذا طلبك ـ يا عبدَ اللهِ ـ أيُّ مسئولٍ في منطقَتك أو غيرها للمثول بين يديه أو لأيِّ أمرٍ كَانَ وجب عليك السمع والطاعة، ما لم يأمرك بمعصيةٍ، فإذا أمرك بمعصية فلا سمع ولا طاعة.

وبعض الناس ـ هداهم الله ـ لا يسمعون لولاة الأمور إلَّا إذا أرسلوا قوَّة في أثرهم، فهل يُشترط أن يكون الوُلاةُ معصومين، حتىٰ نُطيعهم في طاعة الله، وطاعة رسول الله؟! .

أَيُّهَا الناسُ، قبلَ أن أودِّع مقامي هذا، ألقي علىٰ مسامَعَكُمْ كلمةً للإمام عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ـ رحم الله الجميع ـ؛ لتكشفَ بعض الشُّبَه، وتردَّ علىٰ من يقول: إنَّ حُكَّام السلف غير حُكَّامنا.

قَالَ - رَحِمَهُ اللهُ -:

«ولم يَدْرِ هؤلاء المفتونونَ أن أكثر وُلاةِ أهل الإسلام من عَهْد يزيد بن مُعاوية ـ حاشا عمر بن عبد العزيز، ومَنْ شاء الله من بني أُميَّة ـ قد وقع منهم من الجراءة، والحوادث العظام، والخروج، والفساد في ولاية أهل الإسلام، ومع ذَلِكَ فسيرة الأئمَّة الأعلام، والسادة العظام معهم معروفة مشهورة، لا ينزعون يدًا من طاعةٍ فيما أمر الله به ورسولُهُ من شرائع الإسلام، وواجبات الدِّين.

وأضربُ لك مثلاً بالحجَّاج بن يُوسف الثَّقفيِّ، وقد اشتهر أمره في الأُمَّة بالظُّلم، والغَشْم، والإسراف في سَفْك الدِّماء، وانتهاك حُرُمات الله، وَقَتْلِ من قَتَلَ مَن ساداتِ الأُمَّة: كسعيد بن جُبَير، وحاصر ابنَ الزُّبير وقد عاذ بالحَرَم الشَّريفِ، واستباح الحُرْمة، وقتل ابنَ الزُّبير ـ مع أنَّ ابن الزُّبير قد أعطاهُ الطاعةَ، وبايعه عامَّة أهل مكة، والمدينة، واليمن، وأكثر سَوَادِ العراقِ، والحجَّاجُ نائبُ

عن مروانَ، ثم عن ولدِه عبدِ الملك، ولم يَعْهَدْ أَحَدٌ من الخلفاءِ إلىٰ مروان، ولم يبايعْهُ أهلُ الحلِّ والعقدِ، ومع ذَلِكَ لم يتوقَّفْ أحدٌ من أهل العلم في طاعته، والانقياد له فيما تسوغ طاعته فيه من أركان الإسلام وواجباته، وكان ابن عمر، ومَنْ أدرك الحجَّاجَ من أصحاب رسول الله- ﷺ- لا يُنازعونه، ولا يمتنعون من طاعته فيما يقوم به الإسلام، ويكملُ به الإيمان.

وكذَلِكَ من في زمنه من التابعين: كابن المسيِّب، والحسنِ البصري، وابن سيرينَ، وإبراهيم التِّيميِّ، وأشباههم ونظرائهم من سادات الأُمَّة.

واستمرَّ العمل علىٰ هذا بين علماء الأُمَّة من سادات الأُمَّةَ وأَئمتِها، يأمرون بطاعة الله ورسوله، والجهاد في سبيله مع كُلِّ إمامٍ بَرٍّ أو فاجرٍ، كما هو معروف في كتب أصول الدِّين والعقائد.

وكذَلِكَ بنو العبَّاس استولَوْا علىٰ بلاد المُسْلمين قهْرًا بالسيف، ولم يساعدْهم أحدٌ من أهل العلم والدِّين، وقتلوا خَلْقًا كثيرًا، وجمعًّا غَفيرًا من بني أميَّة، وأمرائهم، ونُوَّابهم، وقتلوا ابن هبيرة أميرَ العراق، وقتلوا الخليفة مروان، حتىٰ نُقِلَ أنَّ السَّفَّاح قَتَل في يوم واحدٍ الثمانين من بني أُميَّة، ووضع الفُرُشَ علىٰ جُثَثِهم، وجلس عليها، ودعا بالمطاعم والمشارب.

ومع ذَلِكَ فسيرة الأئمة: كالأوزاعيِّ، ومالك، والزُّهْريِّ، واللَّيْثِ بن سَعْدٍ، وعطاء بن أَبي رباح ـ مع هؤلاءِ الملوك لا تَخْفَىٰ علىٰ مَنْ له مشاركة في العلم والاطِّلاع.

والطبقة الثانية من أهل العلم: كأحمد بن حَنْبلٍ،و محمَّد بن إسماعيل، ومحمَّد بن إدريس، وأحمد بن نوح، وإسحاق بن راهَوَيْه، وإخوانهم ـ وقع في عصرهم من الملوك ما وقع من البِدع العظام، وإنكار الصفات، ودُعُوا إلىٰ

ذَلِكَ، وامْتُحِنُوا فيه، وقُتِلَ من قُتِلَ: كمحمد بن نصرٍ، ومع ذَلِكَ فلا يُعْلَمُ أَنَّ أحدًا منهم نزع يدًا من طاعة، ولا رأىٰ الخروج عليهم » [1] .

اللهم إنا نسألك أن تُؤلِّف بين قلوبنا، وتُوحِّدَ كلمتنا، وتجمعنا علىٰ مَنْ ولَّيته أمرنا، يا ربَّ العالمين.

---

(١) « الدُّرر السنية في الأجوبة النجدية » (٧/ ١٧٧ – ١٧٨) .



٣٨ معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسُّنَّة

الخطبة الأولى:

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيِّئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد- ﷺ-، وشرَّ الأُمور مُحْدَثاتُها، وكل مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا الناسُ، إن السمع والطاعة لولاةِ أمر المُسْلِمين أصلٌ من أصول الدِّين الذي ندين الله به، فإنه لا دينَ إلَّا بجماعةٍ، ولا جماعة إلَّا بإمامةٍ، ولا إمامة إلَّا بسمعٍ وطاعةٍ، وقد أجمع أهل السُّنَّة والجماعة علىٰ وجوب السمع والطاعة لولاةِ الأمور استنادًا إلىٰ النصوص الآتية، فمنها:

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [النساء: ٥٩].

قَالَ النوويُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : «المراد بأولي الأمر: مَنْ أَوجب الله طاعتَهُ من الوُلاة والأُمراء، وهو قول جماهير السَّلف والخَلَف من المفسِّرين، والفقهاء، وغيرهم، وقيل: هم العلماء، وقيل: هم الأمراء والعلماء» [١] .

وقَالَ الحافظ ابن كثير ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : «والظاهرُ والله أَعلمُ أنها عامَّةٌ في كلِّ أُولي الأمر من الأُمراء والعلماء» [٢] .

وَفِي «الصَّحِيْحَيْن» [٣] مِنْ حَدِيْث عبد الله بن عمر ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ عن النبيِّ – ﷺ – أنه قَالَ: «علىٰ المرءِ المُسْلِم السمعُ والطاعةُ فيما أحبَّ وَكَرِه، إلَّا أن يُؤْمَرَ بمعصيةٍ، فإن أُمِرَ بمعصيةٍ فلا سَمعَ ولا طاعة» .

قَالَ الإمام القلعيُّ: «ولا يُفهَم من ذَلكَ أنه إذا أَمَرَ بمعصيةٍ فلا يُسمع له مُطْلقًا في كلِّ أوامره، بل يُسمع له ويُطاعُ مُطْلقًا إلَّا في المعصية، فلا سمعَ ولا طاعةَ» [٤] .

وفِي « صَحِيْح مُسْلِم » [٥] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله – ﷺ –: «عليك السمعُ والطاعةُ في عُسْرِكَ ويُسْرِكَ، ومَنْشَطِكَ ومَكْرَهِكَ، وأَثَرَةٍ عليك» .

قَالَ العلماء: معناه :تجبُ طاعةُ وُلاة الأُمور فيما يشقُّ وتكرهُهُ النُّفُوسُ وغيره مما لَيْسَ بمعصيةٍ، فإن كانت معصية فلا سمعَ ولا طاعةَ.

---

(١) شرح النووي علىٰ مُسْلِم (١٢/ ٢٢٣) .
(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٥١٨) .
(٣) البخاري (١٣/ ١٢١) ، وَمُسْلم (٣/ ١٤٦٩) .
(٤) « تهذيب الرياسة وترتيب السياسة » (ص١١٤) .
(٥) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٣/ ١٤٦٧) .

وقَالَ النوويُّ: «الأَثَـرةُ: الاستئثار والاختصاص بأمور الدنيا عَلَيْكُمْ، أي: اسمعوا وأطيعوا، وإن اختصَّ الأُمراء بالدُّنيا، ولم يصلكم حقكم ممَّا عندهم»[1].

أيُّها الناس، إنَّ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ حمَّل الوُلاَة، وأوجب عليهم العدل بين الناس، فإذا لم يُقيموه أثِموا، وحمَّل الرَّعيَّةَ السمعَ والطاعةَ لهم، فإن قاموا بذَلِكَ كَانَ الفوزُ والفلاحُ، والنجاةُ من الفتن، وإلا أثموا.

فَفِي «صَحِيْح مُسْلِم» [2] مِنْ حَدِيْث عَلْقمةَ بْن وائلِ الحَضْرميِّ عن أَبيه قَالَ: سأَلَ مُسْلِمةُ بنُ يزيدَ الجُعْفِيُّ رسولَ الله- ﷺ- فقَالَ: يا نبيَّ الله، أرأيت إنْ قامتْ علينا أُمراءُ، يسألونا حقَّهم، ويمنعونا حقَّنا، فما تأمُرُنا؟ فأعرض عنه، ثم سأله،فأعرض عنه، ثم سأله في الثانيةِ أو الثالثةِ، فَجَذَبَهُ الأَشعثُ بنُ قَيْسٍ، وقَالَ: «**اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حُمِّلوا، وعَلَيْكُمْ ما حُمِّلْتُمْ** » .

وفي « صَحِيْح مُسْلِم » [3] ـ أيضًا ـ مِنْ حَدِيْث حُذَيْفَةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: قُلْتُ: يا رسول الله، إنَّا كُنَّا بشَرٍّ، فجاءَ اللهُ بخير، فنحنُ فيه، فهل من وراء هذا الخير شرٌّ؟: قَالَ: «نعم » قُلْتُ: هل وراءَ ذَلكَ الشرِّ خيرٌ؟ قَالَ: «نعم » . قُلْتُ: فهل وراءَ ذَلكَ الخير شرٌّ؟ قَالَ: «نعم » . قُلْتُ: كيف؟ قَالَ: «**يكون بعدي أئمَّةٌ لا يهتدون بهُداي، ولا يستنُّون بسُنَّتِي، وسيقومُ فيهم رجالٌ، قلوبهم قلوبُ الشياطين في جُثْمانِ إنس** » .

قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أصنعُ ـ يا رسولَ الله إن أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَسْمَعُ وتُطِيعُ للأَمير، وإن ضُرِبَ ظهْرك، وأُخِذَ مالُكَ، فاسمع وأَطع » .

---

(١) شرح مُسْلِم (١٢/ ٢٢٦) .
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٣/ ١٤٧٤) .
(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٣/ ١٤٧٦) .

عبادَ الله، هل أطرق مسامَعَكُمْ بهذا التوجيه النبويِّ؟ وكيف أن النبي - ﷺ - وصف هؤلاء الأئمة بأنهم لا يهتدون بهَدْيه، ولا يستنُّون بسنَّته؟ وذَلك غاية الزَّيْغ والضَّلالِ، ونهاية الفساد والعناد، فهم لا يهتدون بالهدي النبويِّ، لا في أنفسهم، ولا في أهليهم، ولا في رعاياهم، ومع ذَلِكَ فقد أمر النبيُّ - ﷺ - بطاعتهم - في غير معصية الله، كما جاء الأمر مقيَّدًا في أحاديث أُخَرَ.

عبادَ اللهِ، لو بلغ الأمر إلىٰ ضربكم، وأخْذِ مالكم، فلا يحملنَّكم ذَلِكَ علىٰ ترك طاعتهم، وعدم سماع أوامرهم، فإن هذا الجُرْمَ عليهم، وسيحاسبون ويُجازَوْنَ بهِ يومَ القيامةِ.

فإن قادَكمُ الهوىٰ إلىٰ مخالفةِ هذا الأَمْرِ الحكيم، والشَّرْعِ المستقيم، فلم تسمعوا ولم تطيعوا لأميركم - لحقكمُ الإثْمُ، ووقعتم في المَحْظُور.

وَفِي «الصَّحِيْحَيْن»[(١)] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ الله عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - ﷺ -: **«مَنْ طاعني فقد أَطَاعَ الله، ومن عصاني فقد عصىٰ الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعنِي، ومن عصىٰ أميري فقد عصاني»**.

وفي لفظٍ لمُسْلِم: **«وَمَنْ يُطِعِ الأميرَ فقد أطاعني، ومَنْ يَعْصِ الأميرَ فقد عَصَاني»**.

وفِي «صَحِيْح البخاري»[(٢)] مِنْ حَدِيْثِ أنس بن مالكٍ - رَضِيَ الله عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رسول الله - ﷺ -: **«اسمعوا وأَطيعوا، وإن اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كأَنَّ رأْسَهُ زَبيبةٌ»**.

وَفِي «الصَّحِيْحَيْن»[(٣)] مِنْ حَدِيْثِ عُبادة بن الصَّامت - رَضِيَ الله عَنْهُ - قَالَ:

(١) البخاري (١٣/ ١١١)، وَمُسْلم (٣/ ١٤٦٦).
(٢) رَوَاهُ البخاري (٧١٤٢).
(٣) رَوَاهُ البخاري (٧٠٥٥)، وَمُسْلم (٣/ ١٤٧٠)، واللفظ له.

دعانا رسول الله- ﷺ- فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا أن بايعنَا علىٰ السَّمع والطاعة في مَنْشَطنا ومَكْرَهِنا، وعُسْرِنا ويُسْرِنا، وأَثَرةٍ علينا، وألاَّ نُنازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، قَالَ: «**إلا أن تَرَوْا كُفْرًا بوَّاحًا عندكم، من الله فيه بُرْهَانٌ** » .

أَيُّها الناسَ، قد قَالَ أهل العلم: إنه متىٰ رأينا كُفْرًا بَوَاحًا، فالخروج علىٰ الحُكَّام مشروطٌ بالقُدْرَة، فإذا لم توجد القُدْرَةِ، فلا داعيَ لسَفْك دمائنا ودماء المُسْلِمين، ولا نَنْزِع يدًا من طاعةٍ، فنحن نطيعهم من غير معصية الله حِرْصًا علىٰ مصلحة المُسْلِمين، وحَقْنًا لدمائهم.

وإننا نُحَذِّر في هذه الحالات ـ وغيرها ـ من الالتفاف حول الأحداث والمُرْجفين علىٰ وُلاة أمر المُسْلِمين، فمثل هذه المسائل لا يفصل فِيْهَا إلَّا علماءُ الأُمَّة الكبار، فإذا أجمعوا علىٰ أمر بحيث لا يوجد لهم منازع فحيَّ هلا، وأمَّا الأحداث فليسوا أهلاً للاجتهاد في هذه الأمور العظام وقد ابتليت الأمة بهذا الصنف من الناس خلال العصور وفي عصرنا هذا أشد وسوف أضرب لكم مثلاً بعصر الإمام أحمد بن حَنْبلٍ ـ رَحِمَهُ الله ـ فلقد تبنَّىٰ الوُلاة في زمنه أحد المذاهب الفكريَّة السيِّئة، وحملوا الناسَ عليه بالقوة والسيف، وأُهْرِيقتْ دماءُ جمٍّ غفير من العلماء بسبب ذَلِكَ، وفُرِضَ القول بخَلْق القرآن علىٰ الأُمَّة، وقُرِّرَ ذَلِكَ في كَتَاتيب الصِّبيان، إلىٰ غير ذَلِكَ من الطَّامَّات والعظائم، ومع ذَلِكَ كلِّه فالإمام أَحْمَدُ لا ينازعُهُ هوىٰ، ولا تستجيشه العواطفُ، بل يثبت علىٰ السُّنَّةِ؛ لأنها خير وأهدىٰ، فيأمر بطاعةِ وليِّ الأمر، ويجمع العامَّة عليه، ويقف كالجبل الشامخ في وجه من أراد مخالفة المنهج النبويِّ، والسِّير السلفية انسياقًا وراء العواطف المجرَّدةِ عن قُيُود الكتاب والسنَّة، أو المذاهب الثوريَّةَ الفاسدة.

فقد جاء في «الآداب الشرعية » لابن مُفلح، والسُّنَّة للخلاَّل[١] عن حَنْبلٍ -رَحِمَهُ الله - قَالَ: «اجتمع فُقَهاءُ بَغْداد في ولايَةِ الواثِقِ إلىٰ أَبي عبد الله -يعني الإمام أحمد بن حنبل- رَحِمَهُ الله - وقَالُوا له: إنَّ الأمر قد تفاقمَ وفَشَا ـ يعنون إظهار القول بخَلْق القرآن، وغير ذَلِكَ ـ ولا نرضىٰ بإمارته، ولا سُلْطانه، فناظرهم في ذَلِكَ، وقَالَ: عَلَيْكُمْ بالإنكارِ في قُلوبكُمْ، ولا تَخْلَعُوا يدًا من طاعةٍ، ولا تشقوا عَصَا المُسْلِمِينَ، ولا تَسْفِكُوا دمَاءَكُم، ودماءَ المُسْلِمين مَعَكُمْ، وانظروا في عاقبة أَمرِكُم، واصبروا حتىٰ يَسْتَرِيحَ بَرٌّ، ويُسْتَرَاحَ من فاجرٍ.

وقَالَ: لَيْسَ هذا ـ يعني نَزْعَ أيديهم من طاعتِهِ ـ صوابًا، هذا خلافُ الآثار » .

عبادَ اللهِ، ما أروعَ هذه الصُّورةَ الَّتِي نقلها الناقلون كابرًا عن كابرٍ؛ لتشرحَ صراحة التطبيقَ العمليِّ لمذهب أهل السُّنَّة والجماعة في هذا الباب! أَلَا شاهتْ وجوهُ من تلَوَّثَتْ أفكارهم في هذا الباب، فأفسدوا أَيَّما إفسادٍ، وشوَّشوا علىٰ عقيدة أَهل السُّنَّة والجماعة في هذا الباب الخطير بما أَلقوه من الشُّبَه الفاسدة، والحُجَج الكَاسِدَة! .

وليتق الله ـ تَعَالَىٰ ـ هؤلاء المُرْجفون، ولينتهوا عن صَدِّ الناسِ عن سبيل الله ـ تَعَالَىٰ ـ خدمةً لأَحزابهم، أو ترويجًا لمذاهبهم الفاسدة بمثلِ هذه الشبه الواهية »[٢] .

قَالَ العلاَّمة ابن عُثَيمين ـ يرَحِمَهُ الله ـ : «فاللهَ اللهَ في فَهْم منهج السلف الصالح في التعامل مع السُّلطان، وألاَّ يُتَّخذَ من أخطاء السُّلطان سبيلاً لإثارة الناس، وإلىٰ تنفير القلوب عن وُلاة الأُمور؛ فهذا عَيْنُ المفسدة، وأحد الأُسس الَّتِي تحصل بها الفتنة بين الناس » .

(١) «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ١٩٥-١٩٦)، وأخرج القصة الخلال في السُّنَّة (ص١٣٣).
(٢) انظر: مقدمة كتاب «معاملة الحُكَّام في ضوء الكتاب والسُّنَّة» لابن برجس.

كما أنَّ مِلءَ القلوبِ علىٰ العلماء يُحْدِثُ التقليل من شَأنِ العُلَماء، وبالتالي التقليل من الشريعة الَّتِي يحملونها.

فإذا حاول أحدٌ أن يقلِّلَ من هَيْبة العلماء، وهَيْبة وُلاة الأمر ـ ضاع الشرعُ والأمن؛ لأنَّ الناسَ إن تكلَّم العلماءُ، لم يثقوا بكلامهم، وإن تكلَّم الأمراءُ تمرَّدوا علىٰ كلامهم، وحصل الشرَّ والفساد، فالواجب أن ننظر ماذا سلك السلفُ تُجاهَ ذوي السُّلطان، وأن يغبط الإنسانُ نفسَهُ وأن يعرف العواقب ولْيُعْلَمْ أن من يثور إنما يخدمُ أعداءَ الإسلام، فليستِ العِبْرَةُ بالثورة، ولا بالانفعال، بل العِبْرَةُ بالحكمةِ » [(١)] .

وأستغفرُ الله.

(١) « إصلاح الراعي والرعيَّة» لابن عثيمين .

الخطبة الثانية:

معاملة الحُكام
في ضوء الكتاب والسُّنَّة

الحمد لله ربِّ العالمين، ولا عُدْوانَ إلَّا علىٰ الظالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين، وعلىٰ آله وصَحْبه أجمعين، ومَنْ تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين.

أمَّا بَعْدُ، أيُّهَا النَّاسُ، سبق الحديث عن طاعة وُلاة الأمور، والآنَ حديثي مَعَكُمْ حَوْلَ المُنْكراتِ الصادرةِ من الحُكَّام.

أيُّهَا الناس، إن مذهب أهل السُّنَّة والجماعة وجوبُ إنكار المنكر بالضوابط الشرعية الَّتِي جاءت بها السُّنَّة، وكان عليها سلفُ هذه الأمَّة، فمنها أن يُناصحَ وُلاة الأمور سِرًّا فيما صدر عنهم من مُنْكرات، ولا يكون ذَلِكَ علىٰ رءوس المنابر، وفي مجامع الناس؛ لما يَنْجُمُ عن ذَلِكَ ـ غالبًا ـ من تأليب العامَّة، وإثارة الرعاع عليهم، وإشعال الفتن[1] .

والعمدة في ذَلِكَ ما أخرجه الهيثميُّ في «المجمع» ، وابن أَبي عاصم في «السُّنَّة»، والحاكم في «المستدرك » بسندِ صحيح، صحَّحَهُ الألبانيُّ في كتابه «ظلال الجنَّة في تخريج السُّنة » [2]مِنْ حَدِيْثِ عياض بن غنم -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-

(١) انظر كتاب : « معاملة الحكام » لابن برجس (ص٤٣) .
(٢) « المجمع» (٥/ ٢٢٩)، و«السنة» (٢/ ٥٢٢) ، و«ظلال الجنة» (٢/ ٥٢١-٥٢٢) .

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**مَنْ أراد أن ينصحَ لسُلطان بأمر، فلا يُبْدِ لَهُ علانية، ولكن ليأخُذْ بيده، فيخلو به، فإن قَبِلَ منه فذاك، وإلَّا كَانَ قد أَدَّىٰ الذي عليه له**».

عبادَ الله، هذا الحديث أصل في إخفاء نصيحة السُّلطان، وأن الناصح إذا قام بالنُّصْحِ علىٰ هذا الوجه، فقد بَرِئ وخلت ذمَّتُه، والحُجَّة إنما هي في حديث رسول الله -ﷺ- لا في قولِ أو فعلِ أحدٍ من الناس مهما كان.

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور: ٥١ ـ ٥٢].

أَيُّهَا النَّاسُ، إن النصيحة لوُلاةِ الأمور يجب أن تكون سرًّا بناءً علىٰ هذا الحديث العظيم.

قَالَ الإمام عبد العزيز بن باز[١] ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «لَيْسَ من منهج السلف التشهير بعُيُوب الوُلاة، وذكر ذَلِكَ علىٰ المنابر؛ لأن ذَلِكَ يُفضي إلىٰ الانقلابات، وعدم السمع والطاعة في المعروف، ويُفضي إلىٰ الخروج الذي يضرُّ ولا ينفعُ، ولكن الطريقة المتَّبعة عند السلف النصيحةُ فيما بينهم وبين السُّلطان، والكتابة إِلَيْهِ، أو الاتصال بالعلماء الذين يتَّصلون به؛ حتَّىٰ يُوجَّهَ إلىٰ الخير، وإنكارُ المنكر يكون من دون ذكر الفاعل، فينكر الرِّبا من دون ذكر مَن فعَله، ويكفي إنكار المعاصي والتحذير منها من غير ذكر أن فلانًا يفعلها لا حاكمًا ولا غير حاكم، ولمَّا وقعت الفتنة في عهد عثمان، قَالَ بعضُ الناس لأسامة بن زَيْدٍ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ: «ألا تُنكرُ علىٰ عثمان؟» . قَالَ: «أأنكر عليه عند الناس؟!، لكن أنكر عليه بيني وبَيْنَهُ، ولا أفتحُ بابَ شَرٍّ علىٰ الناس» .

(١) من فتاوىٰ للشيخ -رَحِمَهُ اللهُ- في آخر رسالة حقوق الراعي والرعية (ص٢٧-٢٨).

ولمَّا فتحوا الشرَّ في زمن عثمان ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ، وأنكروا علىٰ عُثمان جَهْرةً، تمَّت الفتنةُ والقتال والفساد الذي لا يزال الناس في آثاره إلىٰ اليوم، حتىٰ حصلت الفتنة بين عليٍّ ومعاوية، وقُتِلَ عُثمانُ وعليٌّ بأسباب ذَٰلِكَ، وقتل جمٌّ كثيرٌ من الصحابة وغيرهم بأسباب الإنكار العَلَنيِّ، وذكر العيوب عَلَنًا، حتىٰ أبغض الناس وليَّ أمرهم، وحتىٰ قتلوه، نسأل الله السلامة! »

ومِمَّا يدلُّ علىٰ إخفاء النصيحة للسُّلطان، والمنع من إعلان الإنكار عليه ، ما أخرجه الإمام أحمدُ في «مُسنده » ، والهيثميُّ في «المجمع » بإسنادٍ حسن، حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي تخريج السُّنَّة [(١)] مِنْ حَدِيْث سعيد بن جمهان قَالَ: «أتيت عبد الله بن أَبِي أَوْفَىٰ وهو محجوبُ البَصر، فسلَّمتُ عليه. قَالَ لي: مَنْ أنت؟ فقُلْتُ أنا سعيدُ بن جمهان. قَالَ: فما فَعَلَ والدكَ؟ قَالَ: قَتَلَتْهُ الأزارقةُ. قَالَ: لعن اللهُ الأزارقة!، لَعَنَ اللهُ الأزارقة!، لَعَنَ اللهُ الأزارقة!، حدَّثنا رسول الله -ﷺ- أنهم كلابُ النار: قَالَ: قُلْتُ: الأَزارقة وَحْدَهم أم الخَوَارج كُلُّها؟ قَالَ: بلىٰ، الخوارج كلُّها. قَالَ: قُلْتُ: فإنَّ السُّلطان يظلم الناس، ويفعل بهم. قَالَ: فتناول يدي، فَغَمَزَها بيده غَمْزةً شديدةً، ثم قَالَ: وَيْحَكَ ـ يا بن جمهان ـ عليك بالسَّوَادِ الأعظم، إن كَانَ السُّلطانُ يسمعُ منك، فأْتِهِ في بيته، فأخبرْهُ بما تعلم، فإن قَبِلَ منك، وإلَّا فَدَعْهُ؛ فإنك لستَ بأعلمَ منه » .

ومِمَّا يدلُّ علىٰ ذَٰلِكَ ما جاء في «الصحيحين » [(٢)] عن أسامة بن زيدٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أنه قيل له: أَلَا تدخلُ علىٰ عُثْمَانَ لتكلِّمَهُ؟! فقَالَ: «أترون أنِّي لا أكلِّمُهُ إلَّا لأُسمَعَكُمْ؟! والله لقد كلَّمتُهُ فيما بيني وبَيْنَهُ ما دُونَ أن أفتح أمرًا لا أُحبُّ أن أكون أوَّلَ مَنْ فتحه » .

---

(١) «المُسند» (٤/ ٣٢٢) ، والمجمع »(٥/ ٢٣٠) ، «وتخريج السنة» (٢/ ٥٢٣) .
(٢) رَوَاهُ البخاري (٦/ ٣٣٠)، وَمُسْلم (٤/ ٢٢٩٠)، واللفظ له .

قَالَ العلاَّمة الألباني ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في تعليقه علىٰ هذا الحديث: «يعني المجاهرةَ بالإنكار علىٰ الأُمراء في الملأ؛ لأن في الإنكار جهارًا ما يُخشىٰ عاقبتُهُ، كما اتفق في الإنكار علىٰ عُثمان جِهارًا، إذْ نشأ عنه قتلُهُ».

ومن دُرر العلاَّمةَ صالح بن عُثَيمين ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ قوله:

«فإن مخالفة السلطان فيما لَيْسَ من ضروريَّات الدِّين عَلَنًا، وإنكار ذَلِكَ عليه في المحافل، والمساجد، والصُّحف، ومواضع الواعظ، وغير ذَلِكَ ـ لَيْسَ من باب النصيحة في شيء، فلا تَغْتَرَّ بمن يَفْعَلُ ذَلِكَ، وإن كَانَ عن حسْنِ نيَّةٍ؛ فإنَّه خلافُ ما عليه السَّلفُ الصالحُ المقتدىٰ بهم، والله يتولَّىٰ هُداك»[1].

اللَّهُمَّ أصلحْ وُلاةَ أمورنا، وأعنَّا علىٰ طاعتِهم، والصَّبْرِ علىٰ جَوْرِهم، يارَبَّ العالمين.

---

(١) «مقاصد الإسلام» (ص٣٩٣)



٣٩ مخالفات في العقيدة

الخطبة الأولى:

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد- ﷺ-، وشرَّ الأُمور مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدْعةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّار.

أَمَّا بَعْدُ، فَحَدِيْثِي مَعَكُمُ اليومَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ بَعْضِ المُخالفاتِ في العقيدةِ، الَّتِي يقعُ فِيْهَا كثيرٌ من الناس.

والعقيدةُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أمرُها عظيمٌ، فوجب علينا تعلُّمُها، وتعليمُها للناس، وذلك بالدَّعْوة إِلَيْها، فإنَّ ذلك سببٌ لإقامة دولةِ الإسلام في الدُّنيا، والنجاةِ في الآخرة.

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور:٥٥].

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ المُخالفاتِ في العقيدةِ كثيرة، وسوف أذكرُ طَرَفًا منها؛ لنتجنَّبَها.

فمن المخالفات الاستغاثة بغير الله، وصَرْف العبادةِ لغير الله: كالجنِّ، والأولياءِ،والمشايخ، والذَّبح لهم،وسؤالهُم غُفْرَانَ الذُّنوب، وكَشْفَ الكُرُوب، وحُصولَ المطلوبِ. وهذا واقعٌ في أكثر البُلدان الإسلاميَّةِ، والذي يعملُ هذا العملَ ـ أو بَعْضَهُ ـ فقد وقع في الشِّرْكِ الأكبرِ.

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [آل عمران:٨٠].

قَالَ ابن كثير ـ رَحِمَهُ الله ـ[١] : «أي: ولا يَأْمُركُم بعبادةِ أَحَدٍ غَيْرِ الله، لا نبيٍّ مُرْسل، ولا مَلَك مُقرَّب» .

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾

[الجن: ١٨].

أي: فلا تعبدوا مع الله أحدًا؛ إذْ عِبادةُ غَيْر الله مع الله ـ أيًّا كَانَ هذا المَعْبُود نبيًّا مُرْسلاً أو مَلَكًا مُقرَّبًا ـ منهي من إشراك غَيْر الله مع الله في أمر خاصٍّ بالله، الذي هو الشِّرْكُ الأكْبرُ، الذي قَالَ الله عنه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ ﴾ [النساء: ٤٨].

---

(١) تقدَّم تخريجه .

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ﴾ [المائدة: ٧٢].

ومن المخالفات –أَيُّهَا النَّاسُ– إتيانُ السَّحَرَة،والكُهَّان،والعرافين، ونَحْوِهِمْ، وتصديقُهم بما يقولون، فإنَّ هذا من الكُفر بما أُنْزل علىٰ مُحَمَّد– ﷺ–.

فَفِي «صَحِيْح مُسْلِم» مِنْ حَدِيْث أَبِي هُــرِيرَةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله– ﷺ–: «**مَنْ أَتَىٰ كاهنًا فَصَدَّقَهُ بما يقولُ ـ فقدْ كَفَرَ بما أُنْزِلَ علىٰ محمَّد– ﷺ–** » .

وأخرج أبو داود بِسَنَد صَحِيْح، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي«صَحِيْح سُنن أَبِي داود»[1] مِنْ حَدِيْث عِمْرَانَ بْن حُصَين ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله– ﷺ–: «**لَيْسَ منَّا مَنْ تطيَّرَ أو تُطيِّرَ لَهُ، أو تَكَهَّنَ أو تُكُهِّنَ لَهُ، أو سَحَرَ أو سُحِرَ له، ومَنْ أَتَىٰ كَاهنًا فصدَّقَهُ بما يقولُ ـ فقدْ كَفَرَ بما أُنْزِلَ علىٰ محمَّد– ﷺ–** » .

أَيُّهَا الناسُ، إنَّ هذه الأحاديثَ لتدلُّ ـ دلالةً قاطعةً ـ علىٰ كُفْر الكاهن والسَّاحر، لأنهما يدَّعيانِ عِلْمَ الغَيْب، وذَلِكَ كُفْرٌ، ولأنهما لا يتوصَّلان إلىٰ مقصدهما إلَّا بخدمة الجنِّ وعبادتِهم مِنْ دُونِ الله، وذَلِكَ كُفْرٌ باللهِ، وشِرْكٌ به ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ.

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٩٨)، وانظر : صحيح سُنن أَبِي داود (٣٣٠٤) .

ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

قَالَ العلاَّمة ـ ابن باز ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : «فدلَّتْ هذه الآيةُ علىٰ أنَّ السِّحْرَ كُفْرٌ، وأنَّ السَّحَرَة يُفرِّقون بَيْنَ المَرْءِ وزَوْجِه، كما دلَّتْ علىٰ أنَّ السِّحْرَ لَيْسَ بمُؤَثِّر لذاتِه نَفْعًا ولا ضرًّا، وإنما يُؤَثِّرُ بإذْنِ اللهِ ـ تَعَالَىٰ ـ الكَوْنِيِّ القَدَرِيِّ؛ لأنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- هو الذي خَلَقَ الخَيْرَ والشرَّ.

كما دلَّتِ الآيةُ الكريمةُ علىٰ أنَّ الذين يتعلَّمون السِّحْرَ إنَّما يتعلَّمون ما يضرُّهم ولا يَنْفَعُهم، وأنَّه لَيْسَ لهم عند اللهِ مِنْ خَلاَق - أي :حَظٍّ ونصيب- وهذا وعيدٌ عظيمٌ يدلُّ علىٰ شدَّة خسارتِهم في الدُّنيا والآخرةِ، وأنَّهم باعوا أنفسَهُم بأَبْخَسِ الأثمانِ، ولهذا ذمَّهُمُ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ علىٰ ذَلِكَ بقول: ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1] .

وأخيرًا ـ أيُّهَا النَّاسُ ـ إنَّ للساحرِ علاماتٍ يُعْرَفُ بها، منها:[2]

١ـ يسأل المريضَ عَن اسْمِه، أو اسْم أُمِّه.

٢ـ يأخذ أَثَرًا مِنْ آثارِ المريضِ (ثوب ـ قلَنْسُوَة ـ مِنْدِيل ـ فنيلَّة....).

٣ ـ أحيانًا يطلبُ حيوانًا بصفاتٍ مُعيَّنة؛ ليذبَحَهُ ولا يذكرُ اسْمَ الله عليه، ورُبَّما لطخ بدمِه أماكن الألَمِ مِنَ المريضِ، أو يرمي به في مكانٍ خرِبٍ.

٤ـ كتابة الطَّلاسم.

٥ـ تلاوةُ العزائم والطَّلاسم غَيْرَ مفهومةٍ.

٦ـ إعطاء المريضِ (حِجابًا) يحتوي علىٰ مُربَّعاتٍ، بداخِلها حروفٌ أو أرقامٌ.

---

(١) «الإرشاد إلىٰ صحيح الاعتقاد» (ص١٠١-١٠٢) .

(٢) استفدت هذه العلامات من كتاب «الصارم البتَّار» لوحيد عبد السلام بالي (ص٣٩-٤٠).

٧ ـ يأمُرَ المريضَ بأنْ يَعْتزلَ الناسَ فترةً مُعَيَّنَةً في غُرْفةٍ، لا تدخلُها الشمسُ، ويُسمِّيها العامَّةُ (الحُجْبَةَ).

٨ـ أحيانًا يطلبُ من المريضِ ألاَّ يمسَّ ماء لمدَّةٍ معيَّنةٍ،غالبًا ما تكونُ أربعين يومًا.

٩ ـ يُعطي للمريضِ أشياءَ يدفنُها فِي الأرض.

١٠ ـ يُعطِي للمريضِ أوراقًا، يُحرِقُها، ويتبخَّرُ بها.

١١ ـ يتكلمُ بكلام غَيْرِ مفهوم.

١٢ ـ أحيانًا يُخبرُ الساحرُ المريضَ باسمِهِ، واسم بلدِه، ومُشْكلتِهِ الَّتِي جاء مِنْ أجلِها.

١٣ ـ يكتبُ للمريض حُروفًا مقطعة فِي ورقةٍ (حِجابٍ)، أو في طبقٍ من الخَزَفِ الأَبيض، ويأمرُ المريضَ بإذابتِهِ وشُرْبِهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، تلك بعضُ علاماتِ الساحرِ، فمتىٰ رأيتَ ـ يا عبدَ الله ـ علامةً واحدةً من تلك العلاماتِ وفِي أحدِ المُعالِجين، فهو ساحرٌ بلا أدنىٰ رَيْب، فإِيَّاك والذَّهَابَ إِلَيْه، وإلا ينطبق عليك قولُ النَّبيِّ - ﷺ -: «**مَنْ أَتَىٰ كاهنًا فصدَّقَهُ بما يقولُ فقدْ كفَرَ بما أُنْزِلَ علىٰ محمَّدٍ** - ﷺ - » رَوَاهُ الإمامُ مُسْلِم[1] مِنْ حَدِيْث أبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ.

ومن المخالفاتِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الغُلُوُّ في الرَّسولِ - ﷺ - والتوسُّلُ بجاهِهِ، والإطراءُ فِي مَدْحِه.

ولا شكَّ أنَّ لنبيِّنا محمَّد - ﷺ - منزلةً عظيمةً، ومكانة رفيعةً، لا يبلُغُها أَحَدٌ، لا مَلَكٌ، ولا إنسٌ، ولا جانٌ، فهو صاحبُ الشفاعة، وأكثرُ الأنبياء تَبَعًا يومَ القيامةِ، وقد وصفه ربُّهُ بصفاتٍ عُظمىٰ، منها: قولُهُ -سبحانه -: ﴿ لَقَدْ

(١) سبق تخريجه .

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨]. ومن حِرْصِهِ علينا أنَّه نهانا عَنِ الغُلُوِّ فيه.

فَفِي «صحيح البخاريِّ»[1] مِنْ حَديْث عُمَرَ بن الخطَّاب ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**لا تُطْرُوني كما أَطْرَت النَّصارىٰ ابْنَ مَرْيَم، فإنما أنا عَبْدُهُ، فقولوا: عَبْدُ الله، ورسولُهُ**». أي: لا تَمْدَحُوني بالباطل، ولا تُجاوزوا الحدَّ في مَدْحي، كما غَلَتِ النَّصارىٰ في عيسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلاَم ـ، فادَّعَوْا فيه الأُلُوهيَّةَ، وصِفُوني بما وَصَفَني به ربِّي، فقولوا: عبدُ الله، ورسولُهُ.

أَيُّها الناسَ، إنَّ الرسول - ﷺ - هو أفضلُ الخلق وأشْرَفُهم علىٰ الإطلاق، وقد أَرْشَدَنا أنْ نَصفَهُ بصفتين، هما: عَبْدُ الله، ورسولُه، فهو عَبْدٌ لاَ يُشارِكُ الرَّبَّ في شيء من خصائصه، وقد خالَفَ نَهْيَهُ - ﷺ - كثير من الناس، فصاروا يَدْعُونَهُ، ويطلبون منه مغفرةَ الذُّنوب، وأن يُدْخِلَهُمُ الجنَّةَ، ويَسْتَغيثون به، ويحلُّون به، ويطلبون منه ما لا يُطْلَبُ إلَّا من الله، كما يُفعَلُ ذَلِكَ في الموالدِ، والقصائد، والأناشيدِ. ومن الناس مَنْ يتوسَّلُ بجاهِ النبيِّ - ﷺ - ومُسْتَنَدُهُمْ في هذا الفِعْلِ إلىٰ حديث: «توسَّلُوا بجاهي، فإنَّ جاهي عندَ اللهِ عظيمٌ». وهذا حديث باطلٌ لا أَصْلَ لَهُ في شيء من كُتُبِ الحديث السِّتَّة.

قَـالَ شيخُ الإسـلام ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في كتابه «قاعدة جليلة في التوسُّل والوسيلة»[2]: «مَعَ أنَّ جَاهَهُ - ﷺ - أعظمُ مِنْ جاهِ جميع الأنبياءِ والمُرْسلين، ولكن جاه المخلوق عندَ الخالق لَيْسَ كجاهِ المخلوق عندَ المخلوق، فإنَّه لا يشفعُ عندَهُ أحدٌ إلَّا بإذْنِهِ، والمخلوق يشفعُ عندَ المخلوقِ بغيرِ إذْنِهِ فهو

---

(١) رَوَاهُ البخاري (٣٤٤٥) و(٦٨٣٠).
(٢) قاعد جليلة في التوسل والوسيلة (ص١٤٧).

شريك لَهُ في حُصُول المطلوب، والله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ لا شريكَ لَهُ، كما قَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سَبَأ: ٢٢ ـ ٢٣].

ومن المخالفات ـ أيُّها الناس ـ تعليقُ التمائم، وهي خرزةٌ، وكتابٌ مكتوبٌ في داخله حُرُوفٌ أو أرقامٌ، أو كلامٌ غيرُ مفهوم، فَمَن اعتقد أنَّها تدفع منه الآفاتِ، فقد وقع في الشِّركِ؛ إذ لا مانعَ إلَّا الله، ولَا دافعَ غَيْرُهُ.

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: ١٧].

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [النحل: ٥٣ ـ ٥٤].

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يُونس: ١٠٧].

فدلَّت هذه الآياتُ الكريماتُ دلَالَةً واضحةً علىٰ أنَّه لا يكشفُ الضُّرَّ إلَّا اللهُ، وأنَّهُ سُبحانه هو الذي يلجأ إلَيْهِ العبادُ لجلب الخَيْرِ، ودَفْعِ الشرِّ، وهو القادرُ علىٰ ذَلِكَ بسببٍ، وبغير سبب.

والله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ جعل سببًا شرعيًّا وطبيعيًّا للشفاء، فالسببُ الشرعيُّ: هو الالتجاءُ إلىٰ الله وَحْدهُ، يكشفُ عنَّا الضُّرَّ. والسببُ الطبيعيُّ: هو الدَّوَاءُ.

وأمَّا التمائمُ فقد حرَّمها اللهُ علىٰ لسانِ رسولِهِ ـ ﷺ ـ، بل عدَّها مِنَ الشِّرْكِ.

فَفِي مُسند أحمدَ بسند صحيح، صحَّحَهُ الألبانيُّ(١) مِنْ حَدِيْث عُقْبَةَ بْن عامر الجُهنيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أنَّ رسول اللهِ- ﷺ- أَقْبَلَ عليه رَهْط، فبايع تسعة، وأمْسَكَ عَنْ واحد، فقَالَوا: يا رسولَ اللهِ، بايعت تسْعة، وتركتَ هذا؟! قَالَ: «إنَّ عليه تميمة» فأَدْخَلَ يَدَهُ فقطعها، فبايعه، وقَالَ: «مَنْ عَلَّقَ تميمة فقدْ أَشْرَكَ» .

وفي «مُسند أحمد» بسندٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ في «صَحِيْح التَّرْغِيْب والتَّرْهِيْب»(٢) مِنْ حَدِيْث عيسىٰ بن عبد الرَّحمن قَالَ: دخلْنا علىٰ عبد الله بن عُكَيْمْ، وبه حُمْرَةٌ (أي داءٌ من جنْس الطواعين، يَعْتَري الناسَ، فَيَحْمَرُّ مَوْضِعُهُ ويَرِمُ)، فقُلْتُ: ألاَ تُعَلِّقَ شيئًا؟ فقَالَ: المَوْتُ أَقْربُ مِنْ ذَلِك؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**مَنْ تعَلقَ شيئًا وُكِلَ إِلَيْه**» .

وفي «مُسند أحمد» بسند صحيح، صحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصحيحة»(٣) عَنْ زَيْنَبَ امرأةِ عبد الله (يعني ابْنَ مسعود) قَالَتْ: كَانَ عَبْدُ اللهِ إذا جاء مِنْ حاجة، فانتهىٰ إلىٰ البابِ، تَنَحْنَحَ وَبَزَقَ كراهِيَةَ أنْ يَهجمَ منَّا علىٰ شيءٍ يَكْرَهُهُ. قَالَتْ: وإنَّه جاءَ ذاتَ يوم فتَنَحْنَحَ. قَالَتْ: وعِندي عجوزٌ تَرْقِيني مِنَ الحُمرَةِ، فأَدْخَلْتُها تحتَ السَّرير، فدَخَلَ وجَلَسَ إلىٰ جَنْبي، فرأىٰ في عُنُقي خَيْطًا، قَالَ: ما هذا الخَيْط؟ قَالَتْ: خَيْطٌ أُرْقِيَ لي فيه. قَالَتْ: فأخَذَهُ، فقطَعَهُ، ثمَّ قَالَ: إنَّ آل عَبْدِ اللهِ لأَغْنياءُ عَنِ الشِّرْكِ، سمعتُ رسولَ اللهِ- ﷺ- يقولُ: «**إنَّ الرُّقَىٰ، والتَّمَائِمَ، والتِّوَلَةَ شِرْكٌ**» . قَالَوا: يا أبا عَبْدِ الرَّحمن، هذهِ الرُّقَىٰ والتمائِمُ قَدْ عَرَفْنَاهُما، فما التِّوَلَةُ؟ قَالَ: شيءٌ تَصْنَعُهُ النِّساءُ، يَتَحَبَّبْنَ إلىٰ أَزْواجِهِنَّ.

وأستغفرُ الله.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٥٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٩٢) .
(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢١٠)، وحسنه الألباني في صَحِيْح التَّرْغِيْب والتَّرْهِيْب(٣٤٥٦).
(٣) أخرجه أحد (١/ ٣٨١) وصححه الألباني في «الصحيحة» (١/ ٥٨٤) .

الخطبة الثانية:

مُخالفاتٌ في العقيدة

الحَمْدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسَّلامُ علىٰ أشرفِ المُرْسلين، وعلىٰ آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين، والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّيْن.

أمَّا بَعْدُ، فَقَدْ تَقَدَّم الحديث مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- حَوْلَ مُخالفاتٍ في العقيدة، وما مِنْ شكٍّ أنَّ المخالفاتِ بَحْرٌ لا ساحلَ له، ومُحيطٌ بعيدُ الأعماقِ، والذي يعصِمُ الإنسانَ مِن الوُقُوعِ في المخالفاتِ هُوَ العِلمُ.

والحديثُ عَن العِلْمِ ذُو شُجُون، ويكفي في معرفةِ فضلِ العلم أنَّ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- فَضَّلَ الكَلْبَ المُعَلَّمَ علىٰ الكلبِ غَيْرِ المُعَلَّمِ، وجَعلَ صَيْدَ الكلبِ المُعَلَّم حَلالٌ، وحرَّم صَيْدَ الكَلْبِ غَيْرِ المُعلَم.

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة: ٤].

أيُّهَا النَّاسُ، من المخالفاتِ الَّتِي يقعُ فِيْهَا كثيرٌ من الناس القَوْلُ بأنَّ الله في كُلِّ مكانٍ، وهذا القولُ مخالفٌ لكتابِ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ، وسُنَّة رسولِ الله -ﷺ-، وإجماع السَّلَّف.

قَالَ الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - :﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [طه: ٥].

وقد فسَّر السَّلَفُ الاستواء بالعُلُوِّ والارتفاع.

وقَالَ الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [المُلْك: ١٦].

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر: ١٠].

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النَّحل: ٥٠].

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج: ٤].

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [السجدة: ٥].

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء: ١٥٨].

وفي «الصحيحين» [١] منْ حَديْث أَبي سعيد الخُدْريِّ -رَضيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النبيَّ -ﷺ- قَالَ: «**أَلا تأمَنُوني وأنا أَمينُ مَنْ في السَّماءِ، يأتيني خَبَرُ السماءِ صباحًا ومساءً؟!**».

وفي «صَحيْح مُسْلم» [٢] منْ حَديْث مُعاوية بْن الحَكَم السُّلَميِّ ـ رَضيَ اللهُ عَنْهُ ـ أنَّ النَّبيَّ -ﷺ- قَالَ للجارية: «**أَيْنَ اللهُ؟**». قَالَت: في السَّماءِ. قَالَ: «**مَنْ أنا؟**» قَالَتْ: أنت رسول الله، قَالَ: «**أَعْتقْها؛ فإنَّها مُؤمنة**».

وَهَذِهِ الأدلة كُلُّهَا تدلُّ علىٰ أنَّ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ في السَّماءِ، وهو معنا في كُلِّ مكان بعلْمِه، لا يخلو منه شيءٌ، ومَن اعتقدَ أنَّ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ في كُلِّ مكان بذاته فهو كافرٌ يُستتابُ، وكيف لا يكون كافرًا مَن اعتقدَ ذَلِكَ، ومَوْضع أقدامِه يُطْلَقُ عليها مكانٌ، والمَزَابِلُ يُطْلَقُ عليها مكانٌ؟! وقِسْ علىٰ ذَلِكَ.

فما هو حكمُ مَنِ اعتقدَ أنَّ ربَّهُ في كُلِّ مكانٍ بذاتِه؟!

ورَحِمَ اللهُ إمامَ الأئمَّة ابْن خُزَيْمةَ حيثُ قَالَ: «مَنْ لم يُقِرَّ بأنَّ اللهَ علىٰ عَرْشه، استوىٰ فوق سَبْع سَمواتِه، بائنٌ (أي مُنْفَصِلٌ) من خَلْقِه ـ فهو كافرٌ، يُستتَابُ،

---

(١) رَوَاهُ البخاري (٤٣٥١)، وَمُسْلم (١٠٦٤).
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٥٣٧).

فإن تاب، وإلَّا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ، وأُلْقي علىٰ مَزْبَلَةٍ؟ لئلاَّ يتـأَذىٰ بريحِهِ أهـلُ القِبْلَةِ، وَأَهْلُ الذِّمَّةِ » .

أَيُّهَا الناسُ، إن كلامَ السَّلَفِ في استواءِ اللهِ علىٰ عَرْشِهِ أكثرُ مِنْ أن يُحْصَرَ في خُطْبَةٍ، وسوف أذكر طَرَفًا مِنْ ذَلك:

قَالَ الأوزاعيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : «كُنَّا ـ والتابعون متوافرون ـ نقولُ: إنَّ اللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فَوْقَ عَرْشِهِ. ونُؤمِنُ بما وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِنْ صِفاتِهِ » .

وقَالَ الإمامُ مالكٌ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : «اللهُ في السماءِ، وعِلْمُه فِي كُلِّ مكان، لا يخلُو منه شيءٌ » .

وعن عليِّ بْنِ الحُسينِ بْنِ شقيق قَالَ: قُلْتُ لعبدِ اللهِ بْنِ المُباركِ: «كيف نَعْرِفُ رَبَّنا ـ عَزَّ وجَلَّ ـ؟ قَالَ: في السماءِ السَّابعةِ علىٰ عَرْشِهِ، ولا نقولُ كما تقولُ الجهْميةُ: إنَّهُ ها هُنا في الأَرْضِ » فقيل هذا لأحمدَ بْنِ حَنْبلٍ، فقَالَ: «هكذا هو عِنْدَنا » .

وقَالَ الشافعيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : «القولُ في السُّنَّةِ الَّتي أنا عليها، ورأيتُ عليها الذين رأيتُهم، مِثْلَ سُفْيانَ، ومالك، وغَيْرِهما : الإقرارُ بشَهادة أن لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ، وأنَّ اللهَ علىٰ عَرْشِهِ في سمائِه، يَقْرُبُ مِنْ خَلْقِهِ كيفَ شاءَ، ويَنْزِلُ إلىٰ السماءِ الدُّنيا كَيْفَ شاء » .

وقيل للإمام أحمدَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : «اللهُ فَوقَ السماءِ السابعةِ علىٰ عَرْشِه، بائنٌ مِنْ خَلْقِه، وقُدْرَتُهُ وعِلْمُهُ بكُلِّ مكانٍ؟ » قَالَ: «نَعَمْ، هو علىٰ عَرْشِهِ، ولا يخلو شيءٌ مِنْ عِلْمِهِ » .

وعَنْ عبدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي حاتم قَالَ: سألتُ أَبِي وأبا زُرْعَةَ ـ رحمهما اللهُ ـ عَنْ مَذْهَبِ أهلِ السُّنَّةِ في أصولِ الدِّينِ، وما أَدْرَكَا عليه العلماءَ في جميعِ الأَمْصارِ،

وما يَعْتقدان مِنْ ذَلكَ، فقَالَا: «أدْرَكْنا العلماءَ في جميع الأمصار، فكان من مذاهبهم أنَّ الإيمانَ قولٌ وعَمَلٌ، يَزيدُ ويَنْقُصُ، والقُرآنَ كَلامُ الله، غَيْرُ مخلوق بجميع جهاتِه، والقَدَرَ خَيْرَهُ وَشَرَّهُ مِنَ الله - تَعَالَىٰ -، وأنَّ الله علىٰ عَرْشِه، بائِنٌ مِنْ خَلْقه، كما وَصَفَ نَفْسَهُ فِي كتابِه، وعلىٰ لسانِ رسولِه بلا كيف، أحاط بكُلِّ شيءٍ عِلْمًا لَيْسَ كمِثْلِهِ شيءٌ، وهو السميعُ البصيرُ».

وقَالَ عبدُ القادر الجيليُّ - رَحِمَهُ اللهُ -: «وهو مُسْتو علىٰ العَرْش، مُحْتوٍ علىٰ المُلْك، مُحيطٌ عِلْمُهُ بالأشياء ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، ولا يجوزُ وصفُهُ بأنَّهُ في كُلِّ مكان، بل يُقَالُ: إنَّهُ في السماء علىٰ العَرْشِ، كما قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥].

وينبغي إطلاق ذَلكَ مِنْ غَيْرِ تأويل، وكونُهُ علىٰ العَرْشِ فمذكورٌ فِي كُلِّ كتابٍ أُنزِلَ علىٰ كُلِّ نبيٍّ أُرْسِلَ بلا كَيْفٍ» [1].

وقَالَ شيخ الإسلام ابن تيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللهُ -: «وَقَدْ دخل فيما ذكرنا من الإيمان بالله الإيمان بما أَخْبَرَ اللهُ به في كتابِه، وتواتَرَ عَنْ رسولِه، وأَجْمَعَ عليه سَلَفُ الأُمَّة مِنْ أنَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - فوق سَمواتِه علىٰ عَرْشِه، عليٌّ علىٰ خَلْقِه، وهو سبحانه معهم أيْنَما كانوا، يَعْلَمُ ما هم عاملون، كما جَمَعَ بَيْنَ ذَلكَ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾ [الحديد: ٤].

ولَيْسَ معنىٰ قَوْلِه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾: أنه مُخْتَلِطٌ بالخَلْق؛ فإنَّ هذا لا تُوجبُهُ اللُّغَةُ، وهو خِلافُ ما أَجْمَعَ عليه سَلَفُ الأُمَّةِ، وخِلافُ ما فَطَرَ اللهُ عليه الخَلْقَ،

---

(١) «مختصر العُلوِّ» للذهبي، بتحقيق الألباني (ص١٣٧).

بَلِ القَمرُ آيةٌ من آياتِ اللهِ، ومِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقاتِهِ، وهو موضوعٌ في السماءِ، وهُوَ مَعَ المُسافِرِ، وغيرِ المُسافِرِ، أَيْنما كانَ، وهوَ ـ سبحانه ـ فَوْقَ عَرْشِهِ، رَقيبٌ علىٰ خَلْقِه، مُهَيْمِنٌ عليهم، مُطَّلِعٌ عليهم، إلىٰ غَيْرِ ذَلِكَ من معاني رُبُوبيَّتِهِ »[1] .

اللَّهُمَّ أَصْلحْ لنا دينَنا الذي هُوَ عِصْمةُ أمرِنا، وأصلحْ لنا دُنيانا الَّتي فِيْهَا معاشُنا، وأصلحْ لنا آخرتنا الَّتي فِيْهَا معادُنا، واجعلِ الحياةَ زيادةً لنا في كُلِّ خيرٍ، واجعلِ الموتَ راحةً لنا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

---

(١) «الواسطية» بشرح الفوزان (ص١٢٩) .



الخطبة الأولى :

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد- ﷺ-، وشرَّ الأُمور مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثَة بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَة ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّار.

أَمَّا بَعْدُ، فَحَدِيْثِي مَعَكمُ اليومَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ الإخلاصِ للهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ. فهو أعظمُ العباداتِ، وأهمُّها وأكبرُها، إنَّهُ عبادةُ القَلْبِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ ـ خَلَقَنا لعبادتِهِ ، فقَالَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وأَمَرَنا ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ بالإخلاص في هذه العبادة، فقَالَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة: ٥].

وقَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ ﴾ [الرُّوم: ٣٠].

ومعنىٰ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ ﴾ أي: توجَّهْ ـ بقَلبِكَ وقَصْدِكَ إلىٰ إقامةِ شرائعِ الدِّيْن.

وقَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُۚ ﴾ [الزُّمَر: ٣] .

أي الصافي من جميع الشوائب.

وأخبر ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ أنَّ العالمين كُلهم هالكون إلَّا الذين أخلصوا دينهم لله، فقَالَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ [النساء: ١٤٦].

ولا يتخلَّصُ العَبْدُ من الشيطان إلَّا بالإخلاص لقول الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ حاكيًا عن إبليسَ: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الحِجْر: ٣٩، ٤٠].

وأخبر ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أنه لا يقبلُ مِنَ العَمَلِ إلَّا ما كَانَ خالصًا لوجهِهِ ، فقَالَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكَهْف: ١١٠].

قَالَ ابن كثير ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : «وهذان رُكْنَا العَمَلِ المُتَقَبَّلِ، لابُدَّ أنْ يكونَ خالصًا لِلَّهِ، صوابًا علىٰ شريعةِ رسولِ اللهِ ـ ﷺ ـ » [١] .

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٦) .

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ ـ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

قَالَ الفُضَيلُ بْنُ عِياض: «هو أَخْلَصُهُ وأَصْوبُهُ» قَالَوا: يا أبا عليٍّ، ما أَخْلَصُهُ وأَصْوبُهُ؟ فقَالَ: «إنَّ العَمَلَ إذا كَانَ خالصًا، ولم يكنْ صوابًا، لم يُقْبَلْ، وإذا كَانَ صوابًا، ولم يكنْ خالصًا، لم يُقْبَلْ، حتَّىٰ يكونَ خالصًا صَوَابًا، والخالصُ: أنْ يكونَ للَّه، والصَّوابُ: أن يكونَ علىٰ السُّنَّة» ثمَّ قَرأَ قولَهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠] [1].

وأَخْبَرَ رسولُ اللهِ ـ ﷺ ـ أنَّ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لا يَقْبَلُ مِنَ العَبْدِ عَمَلاً، إلَّا إذا كانَ خَالِصًا، وابتغىٰ به وَجْهَ الله.

فَفِي «سُنَنِ النَّسَائِيِّ» بسند حَسَن، حَسَّنَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْحِ الجَامع» [2] مِنْ حَدِيْث أَبِي أُمامَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: جاء رجلٌ إلىٰ رسولِ اللهِ ـ ﷺ ـ فقَالَ: أَرَأَيْتَ رجلاً غَزَىٰ يلتمسُ الأَجْرَ والذِّكْرَ، ما لَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: **«لا شيءَ له»** فأعادها ثلاث مرار، ويقولُ رسولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: **«لا شيءَ له»** ثمَّ قَالَ: **«إنَّ اللهَ لا يقبلُ مِنَ العَمَلِ إلَّا ما كَانَ له خالصًا، وابْتُغِيَ بِهِ وَجْهَهُ»**.

بَل إنَّ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لا يقبلُ عَمَلاً، ابْتُغِيَ به وَجْههُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ إنْ كَانَ قَدْ شابَه شائبة مِنْ شِرْكٍ كطلبِ الأجْرِ مِنَ اللهِ، ثمَّ طَلَبِ مَحَامِدِ النَّاسِ، واستحسانِهِمْ لصاحبِه.

فَفِي «صَحِيْح مُسْلم» [3] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: **«قَالَ اللهُ ـ تعَالَىٰ ـ أنا أَغْنَىٰ الشُّركاءِ عَنِ الشِّرْكِ، من عَمِلَ**

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٩٣).
(٢) رَوَاهُ النَّسَائِي (٦/ ٢٥)، وحسنه الألباني فِي «صَحِيْحِ الجامع» (١٨٥٦).
(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٨٥).

عَمَلاً، أَشْرَكَ فيه معي غيري، تركْتُهُ وشِرْكَهُ » .

وأخبَر النبيُّ - ﷺ - أنَّ أوَّلَ خَلْقِ الله، تُسعَّرُ بهمُ النَّارُ يومَ القيامةِ، هُمُ الذين طلبوا محامدَ النَّاسِ بأعمالِهِمْ.

فَفِي «سُنن التِّرْمذيِّ » بسند صحيح، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي«صَحِيْح سُنن التِّرْمذيِّ » [١] مِنْ حَدِيْث أَبي هُريرةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: حدَّثني رسول الله - ﷺ - : **«إنَّ الله - تَعَالَىٰ - إذا كَانَ يومُ القيامةِ يَنْزِلُ إلىٰ العباد، ليقضيَ بَيْنَهُمْ، وكُلُّ أُمَّة جاثيةٌ، فأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رجُلٌ جَمَعَ القُرآنَ، ورجلٌ قُتِلَ في سَبيلِ الله، ورجُلٌ كثيرُ المال، فيقولُ اللهُ للقارئ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ ما أَنْزَلْتُ علىٰ رَسُولي؟ قَالَ: بلىٰ يارِبِّ. قَالَ: فماذا عَمِلْتَ فيما عَلِمْتَ؟ قَالَ: كنتُ أقومُ بِهِ آناءَ اللَّيلِ، وآناءَ النَّهار. فيقولُ اللهُ له: كَذَبْتَ. وتقولُ له الملائكةُ: كَذَبْتَ. ويقولُ اللهُ لَهُ: بَلْ أَرَدتَ أنْ يُقَالَ: فُلانٌ قارئ، ويُؤتىٰ بصاحبِ المال، فيقولُ اللهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عليك، حتَّىٰ لَمْ أَدعْكَ تحتاجُ إلىٰ أحد؟ قَالَ: بلىٰ، يارِبِّ. قَالَ: فماذا عَمِلْتَ فيما آتيتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ، وأَتصدقُ. فيقولُ اللهُ له: كَذَبْتَ. وتقولُ الملائكةُ له: كَذَبْتَ. ويقولُ اللهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَوادٌ، وقد قِيل ذَلِكَ. ويُؤتَىٰ بالذي قُتِلَ في سبيلِ الله، فيقولُ اللهُ له: فيماذا قُتِلْتَ؟ فيقولُ: أُمِرْتَ بالجهادِ في سبيلك، فقاتلتُ، حتَّىٰ قُتِلْت. فيقولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ. وتقولُ له الملائكةُ: كَذَبْتَ. ويقولُ اللهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلانٌ جَرِيءٌ، فقد قِيل ذَلكَ». ثمَّ ضَرَبَ رسولُ الله - ﷺ - علىٰ رُكْبتيه، فقَالَ: «يا أَبَا هُرَيرةَ، أولئك الثلاثةُ أَوَّلُ خَلْقِ الله، تُسَعَّرُ بِهِم النَّارُ يومَ القيامةِ »** .

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٩٠٥) ، والترمذي (٢٥٠٢) واللفظ له .

وفضائلُ الإخلاصِ - أيُّهَا النَّاسُ - لا تكادُ تُحْصَرُ:

فمِنْ فضائِلِهِ: أنَّ المُخْلِصَ ينالُ أجرًا بغيرِ عَمَلٍ:

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [(١)] مِنْ حَدِيْث عبد الله بن عبَّاس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - عَنْ رَسولِ اللهِ - ﷺ - فيما يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - قَالَ: **«إنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ والسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بحسنةٍ، فلم يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - عِنْدَهُ حَسَنَةً كاملةً، فَإِنْ هو هَمَّ بها، وعَمِلَها، كَتَبَها اللهُ له عنده عَشرَ حسنات إلىٰ سَبْعمائة ضِعْف إلىٰ أَضْعاف كثيرةٍ، وَمَنْ هَمَّ بسيِّئَةٍ، فلم يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللهُ له عِنْدَهُ حسنةً كاملةً، فإنْ هُوَ همَّ بها، فَعَمِلَها، كتبها اللهُ لَهُ سَيِّئَةً واحدةً»** .

وَفِي «الصَّحِيْحَيْن» [(٢)] مِنْ حَدِيْث جابرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: كُنَّا مع النَّبيِّ - ﷺ - في غَزَاة، فقَالَ: **«إنَّ بالمَدينةِ لَرِجَالاً، ما سِرْتمْ سيرًا، ولا قَطَعْتُمْ واديًا، إلاَّ كانوا مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ المَرَضُ»** .

وفي رواية: **«إلَّا شَرَكُوكُمْ في الأَجْرِ»** .

وفِي «صَحِيْح مُسْلِم» [(٣)] مِنْ حَدِيْث أَنَس بْنِ مالك - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: **«مَنْ طَلَبَ الشَّهَادةَ صادقًا، أُعْطِيها ولو لم تُصِبْهُ»**.

وفي «سُنَنِ النَّسَائِي» بسند صحيح، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْحِ الجَامع» [(٤)] مِنْ حديث أبي الدَّرداء - رَضِيَ الله عَنْهُ - يُبلِّغ به النبيّ - ﷺ - قَالَ: **«مَنْ أَتَىٰ فِراشَهُ، وهو يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيلِ، فغلبَتْهُ عَيْنَاهُ، حَتَّىٰ أَصبحَ - كُتِبَ له ما نَوَىٰ، وكان نَوْمُهُ صَدَقَةً عليه مِنْ رَبِّهِ - عَزَّ وجلَّ -»** .

---

(١) رَوَاهُ البخاري (٦٤٩١)، وَمُسْلم (١٣١).
(٢) رَوَاهُ البخاري (٢٨٣٩)، وَمُسْلم (١٩١١) واللفظ له.
(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٩٠٨).
(٤) أخرجه النَّسَائِي (١٦٨١)، وصححه الألباني فِي «صَحِيْحِ الجامع» (٥٩٤١).

ومن فضائل الإخلاصِ: أنَّ وُجُودَ المُخلصين سببٌ عظيمٌ من أسباب النَّصرِ لهذِهِ الأُمَّةِ:

فَفِي «سُنن النَّسَائِي » بسندٍ صحيح، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْح الجَامع»[1] مِنْ حديث سَعْد ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هذِهِ الأُمَّةَ بضعيفِها، بدَعْوَتِهِمْ، وصلاتِهِمْ، وإخلاصِهِمْ**» .

ومن فضائل الإخلاصِ : الأَجْرُ العظيمُ على العَمَلِ القليلِ:

فَفِي «سُنن التِّرمذيِّ » بِسَنَدٍ صَحِيْح، صَحَّحه الألبانيُّ فِي«صَحِيْح التِّرْمذيِّ»[2] مِنْ حَدِيْث عَبْد الله بْنِ عَمْرو ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- يقولُ: «**إنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي علىٰ رُءوسِ الخلائقِ يومَ القيامةِ، فَيَنْشُرُ عليه تسعةً وتسْعينَ سِجلاًّ، كُلُّ سِجلٍّ مِثْلِ مَدِّ البَصَرِ، ثمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هذا شيئًا؟، أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحافظون؟ فيقولُ: لا، ياربِّ. فيقولُ: ألك عُذْرٌ أو حسنةٌ؟، فيبهتُ الرَّجلُ، فيقولُ: لا، ياربِّ. فيقولُ: بَلَىٰ، إنَّ لَكَ عنْدَنا حَسَنةً واحدةً وإنَّهُ لا ظُلْمَ عليكَ اليَوْمَ، فَتُخْرَجُ له بطاقةٌ، فِيْهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَاَ إِلَهَ إِلَّا الله، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورسُولُهُ، فيقولُ: أَحْضِرْ وزنَك. فيقولُ: ياربِّ، ما هذه البطاقة مع هذه السِّجلاَّتِ؟ فيقَالُ: فإنَّكَ لا تُظْلَمُ. قَالَ: فَتُوْضَعُ السِّجلاَّتُ في كفَّةٍ، والبطاقةُ في كِفَّةٍ، فطاشتِ السِّجلاَّتُ، وثَقُلَتِ البطاقَةُ، ولا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شيءٌ**» .

قَالَ شيخُ الإِسلام ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في شرحه لهذا الحديث: «والنوعُ الواحدُ مِنَ العَمَلِ، قَدْ يَفْعَلُهُ الإنسانُ علىٰ وَجْهٍ يكْمُلُ فيه إخلاصُهُ وَعُبُوديَّتُهُ لِلَّه ، فيغفرُ اللهُ بِهِ كبائرَ، كما في حديثِ البطاقةِ..فهذه حالُ مَنْ قَالَهَا بإخلاصٍ وصِدْقٍ،

---

(١) أخرجه النَّسَائِي (٢٩٨٧)، وصححه الألباني فِي«صَحِيْح الجامع» (٢٣٨٨) .
(٢) رَوَاهُ الترمذي (٢٧٨٩) ، وصححه الألباني في «سُنن الترمذي» (٢١٢٧) .

كما قَالَها هذا الشخصُ، وإلَّا فأهلُ الكبائرِ الذين دخلوا النارَ كُلُّهم يقولون التوحيدَ، ولم يترجَّح قَوْلُهُمْ علىٰ سيِّئَاتهم، كما ترجَّحَ قولُ صاحبِ البطاقةِ » .

ثمَّ ذَكَرَ ابن تيميَّةَ حديثَ البَغِيِّ، الَّتِي سَقَتْ كَلْبًا، فغفر اللهُ لها، والرَّجُلِ الذي أماط الأَذَىٰ عن الطريق، فغفر اللهُ له، ثم قَالَ: «فهذه سَقَت الكَلْبَ بإيمانٍ خالصٍ كَانَ في قلبها، فَغُفِرَ لها، وإلَّا فلَيْسَ كُلُّ بَغيٍّ سَقَتْ كَلْبًا يُغْفَرُ لها... فالأعمالُ تتفاضلُ بتفاضُلِ ما في القلوبِ من الإيمانِ والإجلال »[(١)] .

أَيُّهَا النَّاسُ، يجبُ علينا معرفةُ أعمالِ القُلُوبِ، ومن ذَلِكَ الإخلاصُ، فالإيمانُ عندَنا ـ مَعْشَرَ أَهْلِ السُّنَّةِ ـ هو: إقرارٌ باللِّسانِ، واعتقادٌ بالجَنانِ (أي بالقَلْبِ)، وعَمَلٌ بالأركانِ، يزيدُ بالطاعةِ، وينقصُ بالعِصْيان.

والإخلاصُ هو أهمُّ أعمالِ القُلوبِ المُنْدَرجةِ في أعمالِ الإيمانِ، وأعمالُ القُلوبِ أعظمُ من أعمالِ الجَوارحِ، كما ذكر ذَلِكَ أهلُ العلم.

قَالَ شيخُ الإسلام ابن تيمية ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ عن الأعمالِ القلبيَّةِ: «وهي من أُصول الإيمانِ، وقواعد الدِّين، مِثل: محبَّةِ اللهِ ورسولِهِ، والتَّوكل علىٰ اللهِ، وإخلاصِ الدِّينِ للهِ، والشُّكْرِ له، والصَّبْرِ علىٰ حُكْمه، والخوفِ مِنْهُ، والرَّجاءِ له...وَهَذِهِ الأعمالُ جميعُها واجبةٌ علىٰ جميعِ الخَلْقِ باتِّفاقِ أئمَّةِ الدِّين »[(٢)] .

وقَالَ الإمامُ ابْنُ القيِّم ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في بيانِ عِظَمِ أعمالِ القُلوب: «أعمالُ القُلُوبِ هي الأصلُ، وأعمالُ الجوارحِ تَبَعٌ ومُكَملةٌ، وإنَّ النِّيَّةَ بمنزلَةِ الرُّوحِ، والعَمَلَ بِمَنزلةِ الجَسَدِ للأعضاءِ، الذي إذا فارق الرُّوْحَ فمواتٌ »[(٣)] .

---

(١) منهاج السنة (٦/ ٢١٨) .
(٢) الفتاوىٰ (١٠/ ٥) .
(٣) بدائع الفوائد (٣/ ٢٢٤) .

وقَالَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ :

«وَمَنْ تأَمَّلَ الشريعةَ في مصادرها ومَوَارِدِها؛ عَلِمَ ارتباط أعمالِ الجوارح بأعمال القلوب، وأنها لا تنفعُ بدُونِها، وأنَّ أعمالَ القلوبِ أفْرَضُ علىٰ العَبْدِ من أعمال الجوارح، وهَلْ يُمَيَّزُ المؤمنُ عَن المنافقِ إلَّا بمَا في قَلبِ كُلِّ واحِدٍ من الأعمالِ الَّتِي مَيَّزَتْ بَيْنَهمَا؟ وعُبُوديَّةُ القلب أعظمُ من عُبوديَّةِ الجوارحِ، وأكْثَرُ وأدْومُ، فَهي واجبةٌ في كُلِّ وقتٍ» [1] .

وأستغفرُ اللهَ.

(١) المرجع السابق (٣/ ٣٣٠) .

الخطبة الثانية:

عِلاجُ الرياءِ

الحَمْدُ لِلَّهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسَّلامُ علىٰ أشرفِ المُرْسلين وعلىٰ آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

أمَّا بَعْدُ، فَتَقَدَّم الحَدِيْثُ مَعَكُم -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ الإخلاصِ وأهمِّيَّتِهِ، والآنَ حديثي مَعَكُمْ حَوْلَ عِلاجِ الرِّياءِ.

فمن عِلاجِ الرِّياءِ: الخَوْفُ مِنَ اللَّهِ:

فَفِي «سُنن التِّرْمذيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْحِ سُنن التِّرْمذيِّ»[1]، مِنْ حديثِ عائشةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُا ـ قَالَتْ: سألتُ رسولَ الله ـ ﷺ ـ عَنْ هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠﴾ [المؤمنون:٦٠].

قَالَتْ عائشة ـ رَضِيَ الله عَنْهُا ـ: هُمُ الَّذينَ يشربون الخَمْرَ ويسرقون؟ قَالَ: «لا ـ يا بِنْتَ الصِّدِّيقِ ـ ولكنَّهُمُ الذين يَصُومون، ويُصلُّون، ويتصدَّقون، وهم يخافون ألاَّ يُقْبَلَ منهم، أولئك الذين يُسارعون في الخيراتِ».

ومِنْ عِلاجِ الرِّياءِ أنْ يعلمَ العَبْدُ أنَّ ما به من نعمةٍ فمن اللهِ.

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٢١].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٠١)، وصححه الألباني في صحيح «سُنن الترمذي» (٢٥٣٧).

ومن عِلاجِ الرِّياءِ: خَوْفُ مَقْتِ اللَّهِ - تَعَالَى - إذا اطَّلع على قَلْبِهِ، وهو مُنْطَوٍ على الرِّياءِ:

فَفِي «صَحِيْح مُسْلِم»[1] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُريرةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَال: قَال رَسُول الله - ﷺ -: «**إِنَّ اللهَ لا ينظرُ إلىٰ صُوَرِكُم وأموالِكُم، ولكنْ ينظرُ إلىٰ قُلُوبِكُمْ وأَعْمالِكُمْ**».

ومن علاجِ الرِّياءِ: النَّظرُ في عاقبةِ الرِّياءِ في الدُّنيا والآخرةِ:

فَفِي «مُسندِ أحمدَ» بِسَنَدٍ صَحِيْح، صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صَحِيْح التَّرْغِيْب والتَّرْهِيْب»[2] مِنْ حَدِيْث عبدِ الله بْنِ عمْرو - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَال: سمعتُ رسول الله - ﷺ - يقولُ: «**مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بعملِه، سَمَّعَ اللهُ بِهِ مَسَامِعَ خَلْقِهِ، وصغَّرَهُ وحقَّرَهُ**».

وفي «سُنن التِّرْمذيِّ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيْح سُنن التِّرْمذيِّ»[3] مِنْ حَدِيْث أَبِي سعيد بْنِ أَبِي فضالة الأنصاريِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: سمعتُ رسولَ الله - ﷺ - يقولُ: «**إذا جَمَعَ اللهُ النَّاسَ ليوم القيامة، ليوم لا رَيْبَ فيه، نادىٰ مُنادٍ: مَنْ كانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ للهِ أَحَدًا، فلْيَطْلُبْ ثوابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ، فإنَّ اللهَ أغنَىٰ الشُّركاءِ عَنِ الشِّرْكِ**».

ومن علاجِ الرِّياءِ: أنَّ يعلمَ العبدُ أنَّ النَّاسَ لو اجتمعوا على أنْ يَنْفَعُوهُ بشيءٍ، لم ينفعوه إلَّا بشيءٍ قد كَتَبَهُ اللَّهُ له:

فَفِي «سُنن التِّرمذيِّ» بسندٍ صحيح، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْح سُنن التِّرْمذيِّ»[4] مِنْ حَدِيْثِ عبد الله بْنِ عبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: كنتُ

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٥٧٤).
(٢) رَوَاهُ أحمد (٦٥٠٩)، وصححه الألباني فِي «صَحِيْح الترغيب» (٢٥).
(٣) رَوَاهُ الترمذي (٣٣٧٤)، وحسَّنه الألباني في صحيح «سُنن الترمذي» (٢٥٢١).
(٤) رَوَاهُ الترمذي (٢٦٤٨)، وصححه الألباني في صحيح «سُنن الترمذي» (٢٠٤٣).

خَلْفَ رسولِ الله - ﷺ - يومًا، فقَالَ: «يا غُلامُ، إني أُعَلِّمُكَ كلماتٍ: احفظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احفظِ اللهَ تجدْهُ تُجاهَكَ، إذا سألتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعَنتَ فاستعنْ باللهِ، واعلمْ أنَّ الأُمَّةَ لو اجتمعتْ علىٰ أنْ يَنْفَعُوكَ بشيءٍ، لم ينفعوكَ إلَّا بشيءٍ، قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لك، وإنِ اجتمعُوا علىٰ أنْ يَضُرُّوكَ بشيءٍ، لم يضرُّوك إلَّا بشيءٍ، قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عليك، رُفِعَتِ الأَقْلام، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» .

ومِنْ عِلاجِ الرِّياءِ: الإكثارُ من العبادةِ غيرِ المُشاهَدةِ؛ كقيامِ اللَّيلِ، وصدقةِ السِّرِّ، والبكاءِ في الخَلْوةِ من خشيةِ اللَّهِ:

قَالَ الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ﴾ [البقرة: ٢٧١].

وحثَّ النَّبيُّ - ﷺ - علىٰ صلاةِ النفلِ في البُيُوتِ للابتعاد عن الرِّياء والسُّمْعَة.

فَفِي «الصَّحِيحَيْن» [(١)] مِنْ حَدِيْث زَيْدِ بن ثابت - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - ﷺ -: «صَلُّوا - أَيُّهَا النَّاسُ - في بُيُوتِكم، فإنَّ أَفْضَلَ الصلاةِ صلاةُ المَرْءِ في بَيْتِهِ إلَّا المَكْتُوبَة» .

وكذَلكَ الصلاةُ في جَوفِ الليل، والعبدُ في هذا الوقت بعيدٌ عَن النَّاس.

فَفِي «الصَّحِيحَيْن» [(٢)] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رسولَ الله - ﷺ - قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنا - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - كُلَّ ليلة إلىٰ السماءِ الدُّنيا، حِيْنَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيلِ الآخِرُ فيقولُ: مَــنْ يَدْعُــوني فأستجبَ له؟، مَنْ يسألُني فَأُعْطِيَهُ؟، مَنْ يستغفرُني فأغْفِرَ له؟» .

وحثَّ النبيُّ - ﷺ - علىٰ صدقةِ السِّرِّ.

(١) رَوَاهُ البخاري(٢/ ١٧٩) ، وَمُسْلم (٧٨١) .
(٢) رَوَاهُ البخاري(٣/ ٢٩) ، وَمُسْلم (٧٥٨) .

فِي فَفِي «الصَّحِيْحَيْن»[(١)] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عن النبيِّ -ﷺ- قَالَ: «**سَبْعَةٌ يُظَلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّه، يَومَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ..**» ، وذكر منهم: «**ورجلٌ تَصَدَّقَ بصدقة، فأخفاها؛ حَتَّىٰ لا تعلمَ شِمالُهُ ما تُنْفِقُ يَمينُهُ، ورجُلٌ ذكرَ اللهَ خالِصًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**» .

ومن علاجِ الرِّياءِ: دُعاءُ اللَّهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ بِصَرْفِهِ:

والدُّعَاءُ أَمْرُهُ عظيمٌ، فهو من أعظم الوسائلِ للقضاءِ علىٰ الرِّياءِ والشِّرْكِ، وقد علَّمَنا رسولُ اللهِ -ﷺ- دُعاءً يُذْهِبُ عَنَّا صِغَارَ الشِّرْكِ وكِبارَهُ.

فقد أخرج البخاريُّ في «الأدب المفرد» بسندٍ صحيح، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْح الجَامع»[(٢)] مِنْ حَدِيْث أَبِي بَكْر ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**الشِّرْكُ فيكم أَخْفَىٰ مِنْ دَبيبِ النَّمْلِ، وسأدُلُّكَ علىٰ شيءٍ، إذا فعلتَهُ أَذْهَبَ عَنْكَ صغارَ الشِّرْكِ وكبارَهُ، تقولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وأنا أَعْلَمُ، وأَسْتَغفِرُكَ لما لا أَعْلَمُ**» .

اللَّهُمَّ اجعلْ أعمالَنا صالحةً وخالصةً لوجْهِكَ الكريم، ولا تجعلْ لأحدٍ منها شيئًا.

اللَّهُمَّ إنَّا نعوذُ بك من أن نُشْرِكَ بك شيئًا ونحن نعلمُ، ونستغفرُك لما لا نَعْلَمُ.

وسُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وبِحَمْدِك، نَشْهَدُ أَنْ لَاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، نستغفرُكَ ونتوبُ إليك.

---

(١) أخرجه البخاري(١٤٢٣) ، وَمُسْلم (١٠٣١) .
(٢) رَوَاهُ البخاري في «الأدب المفرد» (٧٦١) ، وصححه الألباني فِي«صَحِيْحِ الجامع» (٣٧٣١).



٤١

متابعة الرسول - ﷺ -

الخطبة الأولى:

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدَقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد- ﷺ-، وشرَّ الأُمور مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثة بدعةٌ، وكلّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّار.

أَمَّا بَعْدُ، فَحَدِيْثي مَعَكمُ اليومَ -أَيُّها النَّاسُ- عَنْ مُتابعة الرَّسُولِ- ﷺ-.

ومتابعةُ الرَّسُولِ- ﷺ- هو الشَّرْطُ الثاني لقَبُولِ الأعمالِ الصالحة عِندَ اللهِ، والشَّرْطُ الأوَّلُ هو الإخلاصُ.

فهما الأساسُ لقَبُولِ الأعمالِ الظاهرةِ والباطنةِ.

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠].

قَالَ ابن كثير ـ رَحِمَهُ الله ـ: «وهذان ركنا العمل المتقبَّل، لابدَّ أن يكون خالصًا لله، صوابًا علىٰ شريعة رسول الله- ﷺ- »[(١)] .

وقَالَ العلامة ابن سعدي ـ رَحِمَهُ الله ـ: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ وهو الموافق لشرع الله من واجب ومستحبٍّ: ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ .

أي: لا يُرَائي بعملِه، بل يعملُهُ خالصًا لوجه الله ـ تَعَالَىٰ ـ، فهذا الذي جمع بَيْنَ الإخلاص والمتابعةِ ـ هو الذي ينال ما يرجو ويَطْلُبُ، وأمَّا مَنْ عدا ذَلِك فإنَّهُ خاسرٌ في دُنْياهُ وأُخْرَاهُ، وقد فاته القُرْبُ مِنْ مَوْلاَهُ، ونَيْلُ رضاهُ »[(٢)] .

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك:٢].

قَالَ الفُضَيلُ بْنُ عِياض: «هوَ أَخْلَصُهُ وأَصْوَبُهُ » قَالَوا: يا أبا عليٍّ، ما أخلصُهُ وأصوبُهُ؟ فقَالَ: «إنَّ العملَ إذا كَانَ خالصًا، ولم يكن صَوَابًا، لم يُقْبَلْ، وإذا كَانَ صوابًا، ولم يكن خالصًا، لم يُقْبَلْ، حتَّىٰ يكونَ خالصًا صوابًا، والخالصُ: أنْ يكونَ لله، والصَّوابُ: أنْ يكونَ علىٰ السُّنَّة » . ثمَّ قرأ قولَهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠][(٣)].

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ »[(٤)] مِنْ حَدِيْثِ عائشةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُا ـ قَالَتْ: قَالَ رسولُ

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٦) .
(٢) تفسير السعدي (ص٤٨٩) .
(٣) مدارج السالكين (٢/ ٩٣) .
(٤) رَوَاهُ البخاري (٢٦٩٧) ، وَمُسْلم (١٧١٨) .

اللهِ- ﷺ-: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنا هذا ما لَيْسَ منه، فهو رَدٌّ**» .

وفي روايةٍ لمُسْلِم: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عليه أمْرُنا، فهو رَدٌّ**» .

فقوله: «لَيْسَ عليه أمرنا» إشارةٌ إلىٰ أنَّ أعمالَ العاملين كُلَّها يجبُ أنْ تكونَ موافقةً لسُنَّته- ﷺ-، فمن كَانَ عَمَلُهُ موافقًا لسُّنَّة نبيِّه، فعملُهُ مَقْبولٌ، ومَنْ كَانَ عَمَلُهُ مُحدثًا، لم يَعْمَلْهُ- ﷺ-، ولا حثَّ عليه أُمَّتَهُ ـ فهو مَرْدودٌ علىٰ صاحبه، وصاحبُهُ قَدْ أَتَىٰ بِدْعَةً مُحْدَثَةً، فهو مَأْزُورٌ غَيْرُ مَأْجُور، ويُوضِّحُ ذَلِكَ الحديثُ الآتي في «صَحِيْح مُسْلِم» [1] مِنْ حَدِيْثِ أَنَسِ بْنِ مالِك ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ : أنَّ نَفَرًا من أصحابِ النَّبيِّ- ﷺ- سألوا أزواجَ النبي- ﷺ- عَنْ عَمَله في السِّرِّ، فقَالَ بَعْضُهُمْ: لا أَتَزَوَّجُ النِّساءَ. وقَالَ بَعْضهُمْ: لا آكُلُ اللَّحْمَ. وقَالَ بَعْضُهُمْ: لا أَنَامُ علىٰ فراش. فَحَمدَ الله، وأَثْنَىٰ عليه، فقَالَ: «**ما بالُ أَقْوام قَالُوا كذا وكذا؟! لكنِّي أُصَلِّي وأَنام، وأَصُومُ وأُفْطِرُ، وأَتَزَوَّج النِّساءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتي: فلَيْسَ منِّي**» .

أَيُّهَا الناسُ، لابُدَّ مِنْ لُزومِ مُتابعةِ النبيِّ- ﷺ-، فلُزومُ المتابعةِ هو لُزُومٌ للصِّراطِ المُستقِيم.

فَفِي «مُسندِ أحمد» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنه الألبانيُّ في «تخريج السُّنَّة» [2] مِنْ حَدِيْث عبد الله بن مسعودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: خطَّ لنا رسولُ الله- ﷺ- خطًّا، ثُمَّ قَالَ: «**هذا سبيلُ الله**» . ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ، وعَنْ شِمَالِه، ثُمَّ قَالَ: «**هذه سُبُلٌ**» قَالَ يزيدُ: «**مُتفرِّقَةٌ علىٰ كُلِّ سبيلٍ مِنْهَا شيطانٌ يدعو إلَيْهِ**». ثُمَّ قرأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٤٠١) .
(٢) رَوَاهُ أحمد في مسنده (١/ ٤٣٥)، واللفظ له ، وحسَّن إسناده الألباني في تخريج السنة لابن أَبِي عاصم (١٣) .

﴿سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فَفِي هذا الحديث أَرْشَدَنا النبيُّ - ﷺ - إلىٰ السبيلِ الذي يجبُ علينا أن نَسْلُكَهُ، حتَّىٰ لا نكونَ يومَ القيامةِ مِنَ المَغْبونين، الذين قَالَ الله ـ تَعَالَىٰ ـ فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤﴾ [الكهف: ١٠٤].

ووعظ النبيُّ - ﷺ - أصحابَهُ مَوْعِظةً بليغةً، فلمَّا شعروا أنها موعظةُ مُوَدِّعٍ، طلبوا منه أنْ يُوصِيهم، فأوْصَاهمْ بالتمسُّكِ بالسُّنَّةِ، واجتنابِ البِدْعَةِ.

فَفِي «سُنن التِّرْمذيِّ» بسند صحيح، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْح سُنن التِّرْمذيِّ»[١]، مِنْ حَدِيْث العِرْباض بْن سارية ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: وَعَظَنَا رسول الله - ﷺ - يومًا بَعْدَ صَلاةِ الغَدَاةِ مَوْعِظةً بليغةً، ذَرَفَتْ منها العُيُونُ، ووَجِلَتْ منها القلوبُ، فقَالَ رجلٌ: إنَّ هذه موعظةُ مُوَدِّعٍ، فبماذا تَعهَدُ إلينا يا رسولَ الله؟ قَالَ: «**أُوصِيكُم بتقوىٰ الله، والسَّمْعِ والطَّاعةِ وإنْ تأمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِي، وإنَّهُ مَنْ يَعِشْ منكم يرَ اختلافًا كثيرًا، وإيَّاكم ومُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فإنَّهَا ضلالةٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ منكم، فعَليه بسُنَّتِي، وسنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عليها بالنَّوَاجِذِ**» .

قَالَ الألبانيُّ ـ رَحِمَهُ الله ـ : «قولُهُ: «**عَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ**» أي: اجتهدوا علىٰ السُّنَّة والزموها واحرصوا عليها ، كما يلزم العاض علىٰ الشيء بنواجذه. خوفًا من ذهابهِ وتَفَلُّته»[٢] والنَّواجِذُ: هي الأَضْرَاسُ، ضَرَبَ بها المَثَلَ في شدَّةِ الاستمساكِ بأَمرِ الدِّينِ.

---

(١) رَوَاهُ الترمذي (٢٨٢٨) ، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢١٥٧) .
(٢) صَحِيْح التَّرْغِيب والتَّرْهِيب ، للألباني (١/ ١٢٣) .

وفِي «صَحِيْح مُسْلِم»[1] مِنْ حَدِيْثِ جابرِ بْنِ عبدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: كَانَ رسولُ اللهِ- ﷺ- إذا خطب احمرتْ عَيْنَاهُ، وعلا صوتُهُ، واشتدَّ غَضَبُهُ كأَنَّهُ مُنْذِرُ جيشٍ، يقولُ: صَبَّحَكُمْ ومَسَّاكُم، ويقول: «**بُعِثْتُ أنا والسَّاعةُ كهاتَيْنِ**» ويَقْرِنُ بَيْنَ أُصْبعيْهِ السَّبابةِ والوُسطىٰ، ويقولُ: «أَمَّا بَعْدُ، فإنَّ خَيْرَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وكُلّ بدعة ضَلالَةٌ».

وزاد النَّسائيُّ بسندٍ صحيح[2]: «**وكُلَّ ضلالة في النَّارِ**». والمُرادُ بالهَدْي: هو الذي وصف اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ صاحبَهُ بقولِهِ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النَّجْم: ٤].

ثُمَّ بيَّن النبيُّ- ﷺ- فَضْلَ الدَّعْوةِ إلىٰ السُّنة، وثوابَ إحيائها ونَشْرِها بَيْنَ الناس، ثمَّ بيَّن لهم وِزْرَ مَنِ ابْتَدَعَ للنَّاسِ بِدْعَةً، لَيْسَ عليها دليلٌ من الشَّرْعِ، ولا فَعَلَهَا- ﷺ-.

فَفِي صحيح مُسْلِم[3]: مِنْ حَدِيْث جرير بن عبد الله ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: رسولُ اللهِ- ﷺ- : «**مَنْ سَنَّ في الإسلام سُنَّةً حسنة، فَلَه أَجْرُها، وأَجْرُ مَنْ عَملَ بها بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُـورِهِم شيءٌ، ومَنْ سَنَّ في الإسلام سُنَّةً سَيئةً، كَانَ عليه وِزْرها، ووِزْرُ مَنْ عَمِلَ بها، مِنْ غَيْرِ أَنْ ينقصَ مِنْ أَوْزارِهِمْ شيءٌ**».

وفي «مُسند أحمد»، و«سُنن التِّرمذيِّ» بسند صحيح، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي«صَحِيْحِ سُنن التِّرْمذيِّ»[4] مِنْ حَدِيْث جرير بن عبد الله-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢/ ٥٩٢).
(٢) رَوَاهُ النَّسَائِي (٣/ ١٨٨).
(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٠١٧).
(٤) رَوَاهُ أحمد (٣/ ٣٩٧)، والترمذي (٢٨٢٦)، وصححه الألباني فِي«صَحِيْحِ سُنن الترمذي» (٢١٥٥).

قَاَل: قَاَل رَسُولُ الله- ﷺ-: «**مَنْ دَعَا إلىٰ هُدىً، كَانَ لَهُ مِن الأجْرِ مِثلُ أُجُورِ مَنْ يَتَّبعُهُ، لا يَنْقُصُ ذَلكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شيئًا، ومَنْ دَعَا إلىٰ ضلالةٍ، كَاَنَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلَ آثام مَنْ يَتَّبعهُ، لا يَنْقُصُ ذلِكَ مِنْ آثامِهِمْ شَيْئًا** » .

أَيُّهَا الناسُ، إنَّ الابتداعَ في الدِّين لَيْسَ بالشيءِ الهيِّنِ، فيكفي صاحبَ البِدْعَةِ زاجرًا ما جاء في «الأوسط للطبرانيِّ » بسند صحيح، صَحَّحه الألبانيُّ في «صَحِيْح التَّرْغِيْب والتَّرْهِيْب»[1] مِنْ حَدِيْثِ أَنَس بْنِ مالكٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَاَلَ: قَاَل رَسُولُ اللهِ- ﷺ-: «**إنَّ اللهَ حَجَبَ التوبةَ عَنْ كُلِّ صاحبِ بِدْعَةٍ، حتَّىٰ يَدَعَ بِدْعَتَهُ** » .

أَيُّهَا النَّاسُ، لننظرْ كَيْفَ كانت متابعةُ الصحــابة للنبيِّ - ﷺ-، وكيف أنهم فهموا قولَ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأعراف:٣] علىٰ أنَّ اتباعَ أمرِ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ وأمْرِ رسوله- ﷺ-، وسُنَّتِهِ- ﷺ- من أَوْجَبِ الواجباتِ.

فكانوا ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم ـ لا يخرجون عَنِ المُتابعةِ للنبيِّ - ﷺ- قيْدَ شَعْرةٍ.

وكانوا ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم ـ يُعظِّمون السُّنَّةَ، ولا يُقَدِّمون عليها أيَّ قولٍ، مهما كَانَ قائلُهُ.

فَفِي «صحيح البخاريِّ » [2] أَنَّ أبا هُريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: حرَّم رسولُ الله- ﷺ- ما بَيْنَ لابَتَيْهَا ـ قَالَ: يُريدُ المدينةَ ـ فلو وجدْتُ الظِّباءَ ساكنةً ما ذَعَرْتُها ـ أي ما فَزَّعْتُها ـ » .

(١) رَوَاهُ الطبراني في «الأوسط» (٥/ ١١٣)،وصححه الألباني في «صَحِيْح التَّرْغِيْب والتَّرْهِيْب» (٥٤) .
(٢) رَوَاهُ البخاري (١٨٧٣) .

وفي «سُنن الدَّارميِّ»[١] مِنْ حَدِيْثِ عُبادةَ بن الصَّامت ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: أنَّ النَّبيَّ - ﷺ - نَهَىٰ عَنْ دِرْهَمَيْنِ بدرْهَم، فقَالَ فُلانٌ: ما أرىٰ بهذا بأْسًا يدًا بيدٍ. فقَالَ عُبَادةُ: «أقُولُ: قَالَ النبيُّ - ﷺ -، وتقولُ: لا أرىٰ بِهِ بَأْسًا، واللهِ، لا يُظِلُّني وإِيَّاكَ سَقْفٌ واحدٌ».

وروىٰ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ في «جامعه»[٢] مِنْ حَدِيْث ابن عبَّاس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ أنَّه قَالَ: تَمَتَّعَ النَّبيُّ - ﷺ - فقَالَ عُرْوةُ بْنُ الزُّبَير: نَهَىٰ أبو بَكْرٍ وعُمَر عَنِ المُتْعَةِ. فقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «أراهمْ سَيَهْلكُونَ؛ أقولُ: قَالَ النَّبيُّ - ﷺ - ويقولون: نهىٰ أبو بَكْرٍ وعُمَرُ!».

وأستغفرُ اللهَ.

---

(١) سُنن الدارمي (٤٤٣).
(٢) «جامع بيان العلوم وفضله» (٢٣٨١).

الخطبة الثانية:

وسائل معينة على الاتباع

الحَمْدُ لِلَّه وكَفَىٰ، والصلاةُ والسَّلاَمُ علىٰ عِبادِهِ الذين اصْطَفَىٰ.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا الناسُ، تقدَّم الحديثُ عن الاتِّبَاعِ، والآنَ حديثي مَعَكُمْ عَن الوسائل المُعينةِ علىٰ الاتِّباع.

فمن الوسائل المُعينةِ علَىٰ الاتِّباع تقوىٰ اللهِ ـ عَزَّ وجلَّ ـ، فمن اتقَىٰ اللهَ جَعَلَ لَه فُرْقَانًا يُميِّزُ به بَيْنَ الحقِّ والباطِلِ.

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ [الأنفال: ٢٩].

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحديد: ٢٨].

فيقَالَ ابْنُ سَعْديٍّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في معنىٰ قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾ «أي: يعطيكم عِلْمًا وهُدىٰ ونورًا تمشون به في ظُلماتِ الجَهْلِ»[1].

ومن الأسبابِ المُعينة على الاتِّبَاع: الإخلاصُ:

فالإخلاصُ سببٌ للنجاةِ مِنَ الزَّيْغ والانحراف، ولننظر للبلاءِ الذي وقع فيه يُوسُفُ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ إنَّهُ بلاءُ تعرُّضِه للزِّنىٰ، ومع ذَلك فقد ثبتَ أمامَ الفِتَنِ بفضلِ اللهِ، لأنه كَانَ مُخْلصًا، كما ذكر الله عنه: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ

(١) «تفسير السعدي» (ص ٨٤٣).

وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يُوسُف: ٢٤].

ومِنْ لطيف ما جاء في «سُنَن النَّسَائِيِّ» بسند صحيح، صحَّحَهُ الأَلبانيُّ في «صَحِيْح النَّسائِيِّ » [١] مِنْ حَدِيْث سَعْد بْن أَبِي وَقَّاص ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: «وأَمَّا عِكْرِمَةُ فَرَكِبَ البَحْرَ، فأَصابتْهُمْ عَاصِفَةٌ، فقَالَ أَصحابُ السفينة: أَخْلِصُوا؛ فإِنَّ آلِهَتَكُمْ لا تُغْنِي عَنْكُمْ شَيْئًا ها هُنَا. فقَالَ عِكْرِمَةُ: واللهِ، لَئِنْ لم يُنْجني مِنَ البَحْرِ إِلَّا الإِخْلاصُ، لا يُنجيني في البَرِّ غَيْرُه، اللَّهُمَّ إِنَّ لك عليَّ عَهْدًا ـ إِنْ أنت عافيتني ممَّا أنا فيه ـ أَنْ آتِي مُحمَّدًا- ﷺ- حتَّىٰ أَضَعَ يدي في يَدِهِ، فَلأَجِدَنَّهُ عَفُوًّا كريمًا، فجاء فأسلم » .

ومن الأسبابِ المُعينةِ على الاتِّباعِ: تعلُّم الأحكامِ الشَّرْعِيَّةِ، وسُؤالُ أَهْلِ العِلْمِ في كُلِّ ما أشكل علينا:

وقد بَوَّبَ البخاريُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في «صَحِيْحه» [٢] بابًا: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ والعَمَلِ لقولِ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٧].

ومن الأسباب المُعينة علىٰ الاتِّباع الرُّجُوعُ إلىٰ الكتاب والسُّنَّة عندَ النِّزَاع والاختلاف، في أيِّ مسألة كانتْ، فأيُّ القولين دلَّ عليه كتابُ الله وسُنَّةُ رَسُولَ الله- ﷺ- وَجَبَ اتِّباعُهُ لقول الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾ [الشُّورىٰ:١٠].

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء: ٥٩].

---

(١) رَوَاهُ النَّسَائِي (٧/ ١٠٥)، وصححه الألباني فِي «صَحِيْحِ النَّسَائِي» (٣٧٩) .
(٢) البخاري مع الفتح (١/ ١٩٢) .

ومن الأسباب المُعينة علىٰ الاتِّباع فَهْمُ الكتابِ والسُّنَّةِ بِفَهْمِ السَّلَفِ الصَّالح؛ لأنَّهم خَيْرُ قُرُونِ هذه الأُمَّةِ وأَفْضَلُها.

فَفِي «الصَّحِيْحَيْن»[1] مِنْ حَدِيْث عِمْرَانَ بْنِ حُصَين - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ النبيُّ - ﷺ -: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الذين يَلُونَهُم**».

ولأنهم عاصروا التشريعَ وعايَشُوهُ، فَعَلِمُوا مواقعَ التنزيلِ، وورودَ الأدلَّةِ علىٰ الوقائع والأحوالِ، ولأنَّ خطابَ الشَّارع مُتَوَجِّهٌ إِلَيْهم في الأَصْلِ.

ولأنَّ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - جعل لهمُ الإمامةَ في الدِّين لمَنْ بَعْدَهُمْ، وأثنىٰ عليهم، وعلىٰ مَنْ تبعَهُمْ، وسَلَكَ سبيلَهُمْ، ولأنَّ النبيَّ - ﷺ - سُئِلَ عَنِ الفِرْقَةِ الناجية، فقَالَ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**».

فَفِي «سُنن التِّرمذيِّ» بسندٍ حسن، حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيْح سُنن التِّرْمذيِّ»[2] مِنْ حَدِيْث عبدِ اللهِ بْنِ عَمْرو - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**وإنَّ بني إسرائيلَ تفرَّقوا علىٰ اثْنَتَيْنِ وسبعين مِلَّةً، وتَفْتَرِقُ أُمَّتِي علىٰ ثلاثٍ وسبعين مِلَّةً، كُلُّهُمْ في النَّارِ إلَّا مِلَّةً واحِدةً» قَالُوا: مَنْ هي يا رسول اللهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**».

ومن الأسبابِ المُعينةِ على الاتِّباعِ: الدُّعَاءُ:

بل إنَّ الدُّعاءَ من أعظم الأسبابِ في صلاح الدِّين والدُّنيا، واللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - أمرنا بدعائه، ووَعَدَنا بالاستجابة، فقَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر:٦٠].

(١) رَوَاهُ البخاري (٢٦٥١)، وَمُسْلم (٢٥٣٣).
(٢) رَوَاهُ الترمذي (٢٧٩٢)، وحسنه الألباني فِي «صَحِيْحِ سنن الترمذي» (٢١٢٩).

ولقد كَانَ النبيُّ - ﷺ - كثير التَّضرُّعِ إلىٰ اللهِ أنْ يَهْدِيَهُ إلىٰ الطريقِ المستقيم، وذَلِكَ إذا افتتح صلاتَهُ من اللَّيلِ.

فَفِي «صَحِيْح مُسْلِم »[1] مِنْ حَدِيْثِ عائشة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُا ـ قَالَتْ: كَانَ رسول اللهِ - ﷺ - إذا قَام من اللَّيل افتتح صلاتَهُ: «**اللَّهُمَّ رَبَّ جبْريلَ ومِيْكائِيلَ وإسرافيلَ، فاطِرَ السَّمواتِ والأرْضِ، عالمَ الغَيْبِ والشَّهَادة، أَنت تحكمُ بَيْنَ عِبادِك فيما كانوا فيه يختلفون، اهْدني لما اخْتُلِفَ فيه من الحقِّ بإذْنِك، إنَّكَ تهدي مَنْ تشاءُ إلىٰ صِراطٍ مستقيم**» .

اللَّهُمَّ انفعْنا بما علَّمتنا، وعلِّمنا ما يَنْفَعُنا، وزِدْنا عِلْمًا. اللَّهُمَّ أَسْلَمْنَا وُجوهنا إليكَ، وفوَّضْنا أُمُورَنا إليك، وأَلْجَأْنا ظُهُورَنا إلَيك رَهْبةً ورَغْبةً إليك، لا مَلْجَأَ مِنْكَ إلاَّ إليكَ.

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٧٧٠) .



٤٢ أمراض القلوب وعلاجها

الخطبة الأولى:

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد- ﷺ-، وشرَّ الأُمور مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّار.

أمَّا بَعْدُ: فَحَدِيْثِي مَعَكمُ اليومَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عنْ **(أمراضِ القُلوبِ وعلاجها)**، ولا أَعْنِي أمراضَ القُلُوب البَدَنِيَّة؛ وإنما أعْنِي تِلْكُمُ الأمراض الَّتِي تَعْتَري القَلْبَ مِمَّا يتعَلَّقُ بدينِه، فهِي أعظمُ الأمراض فَتْكًا علىٰ الإطلاق، وأشدُّها تَدْميرًا، وأسوأها أثرًا، بل لَيْسَ هُناك مُقارنةٌ علىٰ الإطلاق بَيْنَ مَرَضٍ

بَدَنِيٍّ يَعْتَرِي القَلْبَ، ويحتاجُ إِلىٰ بَعْضِ الأَدْوِيةِ والمُسَكِّنَاتِ ـ وبَيْنَ مَرَضٍ يَجْرَحُ دِينَهُ، ويُذْهِبُ تَقْوَاهُ، فالأخيرُ يَجلبُ علىٰ العَبْدِ نَكَدًا، وهَمًّا وغَمًّا، وعذابًا في الدُّنيا والآخرةِ.

أَمَّا الأَوَّلُ فقدْ يُثابُ عليه العَبْدُ المُؤْمنُ، إذا صَبَرَ واحْتَسَبَ، كسائرِ الأَمْراضِ الَّتِي يُثابُ عليها المُؤْمِنُ[1] .

أَيُّهَا الناسُ، هذه الحياةُ يحتاجُ القَرارُ فِيْهَا إلىٰ سلامةِ القَلْبِ من الشِّرْكِ والنِّفاقِ، والعُجْبِ والرِّياءِ، وسائرِ الأمراضِ؛ فإِنَّهُ بصلاحِ هذا القَلْبِ يَصْلُحُ سائرُ الجَسَدِ. كما في «الصحيحين»[2] مِنْ حَدِيْثِ النعمانِ بْنِ بَشِيرٍ ـ رَضيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ – ﷺ – يقولُ: «...**أَلا وإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وهي القَلْبُ**» .

واللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ ينظرُ إلى القلوب والأعمالِ، ويُجازي عليها، ويُثيبُ ويُعاقِبُ:

فَفِي «صَحِيْح مُسْلِم»[3] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ –: «**إِنَّ اللهَ لا يَنْظرُ إِلىٰ صُوَرِكُمْ، ولكنْ يَنْظُرُ إِلىٰ قُلُوبِكُمْ وأَعْمالِكُمْ**» . وأمرُ القلوبِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ مَوْكُولٌ إلىٰ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ، فهو ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ يَمْلِكُها، ويتعرَّف فِيْهَا كَيْفَ يشاءُ، قَالَ اللهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ–: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤].

فهو ـ سُبْحَانَهُ ـ أَمْلَكُ لقلوبِ عبادِهِ منهم، وهو سبحانه يَحُولُ بَيْنَهُم وبَيْنَ التسلُّطِ علىٰ قلوبِهِم، فهو وَحْدَهُ المتصرِّفُ فِيْهَا، يُقَلِّبها كَيْفَ يشاءُ.

(١) انظر: شفاء القلوب» للعدوي (ص٧) ، وقد استفدتُ منه في هذه الخُطبة كثيرًا، وننصحُ باقتنائه، فإنه مفيد – إن شاء الله – .
(٢) تَقَدَّمَ تَخْرِيْجه .
(٣) تَقَدَّمَ تَخْرِيْجه .

يَقْذفُ فِيْهَا الهداية، ويُزيِّن فِيْهَا الإيمانَ، يُنْزِلُ فِيْهَا السكينةَ، ويُورِثُها الاطمئنانَ، ويَرْبِطُ عليها، ليكونَ أصحابُها من المؤمنين.

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ ﴾[الحُجُرات:٧].

فمَن الذي زيَّنَ الإيمانَ في القلوب؟ إنَّه اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ –، قَالَ الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [يُونُس: ١٠٠].

واللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ هو الذي يَأْذَنُ في الإيمان، ويُوفِّقُ إليْه مَنْ يَشاءُ، وقد عَلِمَ أهلُ الإيمان ذَلِكَ، ومنْ ثمَّ قَالَوا: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ ﴾ [الأعراف: ٤٣].

واللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ هو الذي يربط علىٰ القلوب.

قَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الكهف: ١٤].

فيا ترىٰ مَنِ الذي رَبَطَ علىٰ قُلُوبِهم؟ إنَّهُ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ.

وهو ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ الذي يقذف الرَّحمةَ في القلوب.

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ :﴿ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾

[الحديد: ٢٧].

وَفِي «الصَّحِيْحَيْن» [١] مِنْ حَدِيْث أسامةَ بْن زَيْدٍ أَنَّ النبيَّ – ﷺ– قَالَ وهو يبكي علىٰ ابْنِ مات لابْنَتِه، لمَّا سَأَله الصحابةُ عَنْ سببِ بكائِهِ: «**هذهِ رحمةٌ جَعَلَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ عبادِهِ، وإنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عبادِهِ الرُّحَمَاءَ**».

---

(١) رَوَاهُ البخاري(١٢٨٤) ، وَمُسْلم (٦/ ٢٢٤) .

واللَّه ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ هو الذي ينزل السكينة على القلوب:

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ ﴾ [الفتح: ٤].

وكذلِكَ أَمْرُ الغَوايةِ والإضلالِ، والقسوةِ والغَفْلَةِ ـ كُلُّ ذَلِك كائنٌ بإذْنِ اللهِ وتدابيرِه، وحِكْمتِه وإرادته.

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم:٢٧].

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ ﴾ [البقرة: ٧].

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ [الشُّورى:٢٤].

وقَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الرُّوم: ٥٩].

وفي «سُنن ابن مَاجَهْ» بِسَنَد صَحِيْح، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْح سُنن ابن مَاجَهْ»[1] مِنْ حَدِيْث النوَّاسِ بْنِ سمعانَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: سمعتُ رسول الله ـ ﷺ ـ يقولُ: «**ما مِنْ قَلْبٍ إلَّا بَيْنَ إصبعَيْنِ مِنْ أصابع الرَّحْمَن، إن شاءَ أَقَامَهُ، وإنْ شاءَ أزاغه**». وكان رسول اللهِ ـ ﷺ ـ يقولُ: «**يا مُثَبِّتَ القلوبِ، ثَبِّتْ قُلُوبَنَا على دِيْنِك**».

وَفِي «الصَّحيْحَيْن»[2] مِنْ حَدِيْث عائشة ـ رَضِيَ الله عَنْهُا ـ قَالَتْ: جاء أعرابيٌّ إلىٰ النبي ـ ﷺ ـ فقَالَ: تُقَبِّلُونَ الصِّبيانَ؟! فما نُقَبِّلُهُمْ. فقَالَ النبي ـ ﷺ ـ: «**أوَ أَمْلِكُ لَكَ أنْ نَزَعَ الله مِنْ قَلْبك الرَّحْمة**».

---

(١) سنن ابن ماجَهْ (١٩٩)، وصححه الألباني فِي «صَحِيْحِ سُنن ابن ماجَهْ» (١٦٥).
(٢) رَوَاهُ البخاري (٥٩٩٨)، وَمُسْلم (٢٣١٧).

ومادامت القُلُوبُ ـ أيُّها الناس ـ مَوْكولٌ أمرُها إلىٰ الله.

لكنْ هناك أسبابٌ يفعلُها العَبْدُ، تكونُ سببًا في قَذْفِ الخَيْر ـ أو الشَّرِّ ـ إلىٰ قلبه ، فالإيمانُ والذِّكْرُ، وأفعالُ الخَيْرِ والبرِّ كُلُّ ذَلك سببٌ في سلامة القُلُوب. والشَّرُّ والكُفْرُ، والاعتداءُ والظلْمُ، والفُسُوقُ والعِصيانُ ـ كُلُّ ذَلِكَ سببٌ في فساد القلوبِ.

فمِنْ أمراضِ القلوبِ: مَرَضُ الشِّرْكِ، فهو سببُ كُلِّ شَرٍّ، يتَّجهُ إلىٰ القلبِ.

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأعراف:١٠١].

ومن أمراضِ القلوبِ: الرِّياءُ:

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء:١٤٢].

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ [النساء:٣٨].

وفي « صَحيْح مُسْلم » [(١)] من حَديْث أَبي هُريرةَ ـ رَضيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله –ﷺ–: «**قَالَ اللهُ ـ تعَالَىٰ ـ : أنا أَغْنَىٰ الشُّركاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً، أَشْرَكَ فيه معي غَيْري، تركْتُهُ وشِرْكَهُ**» .

ومن أمراضِ القلوبِ: الكِبْرُ والعُجْبُ:

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ :﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣].

(١) تَقدَّمَ تَخرِيْجه .

وقَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لُقْمَان:١٨].

ومن أمراضِ القُلوبِ: مَرَضُ الشُّبْهَةِ والشَّكِّ والرِّيْبَةِ:

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ [آل عِمْرَان: ٧].

ومن أمراضِ القُلوبِ: كَثْرَةُ الذُّنوبِ:

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المُطَفِّفِين: ١٤].

فَفِي «مُسند أحمد»، و«سُنن التِّرْمذيِّ» بسند صحيح، صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صَحِيْح التَّرْغِيْب والتَّرْهِيْب»[1] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: **«إِنَّ المؤْمِنَ إذا أَذْنَبَ، كانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِه، فإِنْ تابَ ونَزَعَ واسْتَغْفَرَ، صُقِلَ منْها، وإِنْ زَادَ زَادَتْ، حَتَّىٰ يُغَلَّفَ قَلْبُهُ، فذَلِكَ الرَّانُ الذي ذكر اللهُ في كتابِه: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾»**.

ومن أمراضِ القلوبِ: سُوءُ الظَّنِّ باللَّه، بل مِنْ أعظم أمراضِ القلوبِ:

فمن الناسِ مَنْ يُسيءُ الظنَّ بوَعْدِ اللهِ، ونَصْرِهِ لعباده المؤمنين.

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [فصلت: ٢٣].

وقَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأحزاب: ١٠].

---

(١) رَوَاهُ أحمد في المسند (٢/ ٢٩٧)، والترمذي في جامعه (٣٣٣١)، والنَّسَائِي في السنن الكبرىٰ (١١٦٥٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥١٧)، واللفظ له، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «صَحِيْح التَّرْغِيْب والتَّرْهِيْب» (٣١٤١).

ومن أمراضِ القلوبِ :سَمَاعُ الأغاني:

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ [لُقمان: ٦].

رَوَىٰ ابْنُ جرير بِسَنَد صَحِيْح، صحَّحَهُ الألبانيُّ في كتابه «تحريم آلاتِ الطَّرَب»[١] عَنْ أَبِي الصَّهباءِ البكريِّ أنَّهُ سَأَل ابْنَ مسعودٍ عن قول اللهِ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾ قَالَ: «الغناء» .

ومن أمراضِ القلوبِ: تَرْكُ صلاةِ الجُمُعة:

فَفِي «صَحِيْح مُسْلم »[٢] مِنْ حَدِيْث عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ وأَبِي هُريرةَ ـ رَضيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ أنَّهُما سَمِعا رسولَ اللهِ ـ ﷺ ـ يقولُ علىٰ أعوادِ منْبَرِه: «**لَيَنْتَهِيَنَّ أقوامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الجُمُعاتِ، أو لَيَخْتِمَنَّ اللهُ علىٰ قُلوبِهِمْ، ثُمَّ ليَكُونَنَّ من الغافلين**» .

ومن أمراضِ القُلُوبِ :كِتْمَانُ شَهَادةِ الحقِّ:

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ :﴿ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

ومن أمراضِ القلوبِ: الحَسَدُ:

وهو: اختلافُ القلبِ علىٰ الناسِ، وتمنِّي زوالِ النِّعْمةِ عَنْ مُسْتَحقِّها، فهو مرضٌ خطيرٌ من أمراضِ القلوب.

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾

[النِّساء: ٥٤].

ونظرًا لخطورةِ الحسدِ، فقدْ أَمَرَنا اللهُ بالتعوُّذِ منه صَبَاحَ مساءَ ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾ [الفَلَق: ٥].

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ١٤٥)، وصححه الألباني في «تحريم آلات الطرب» (ص١٤٣).
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٨٦٥) .

والإيمانُ والحَسَدُ لا يجتمعان فِي قلب عَبْدٍ مُؤْمِنٍ، يرجو اللهَ والدَّارَ الآخِرة؛ لأنَّ الحاسدَ كأنَّهُ بَحَسَدِهِ ـ يَعْتَرِضُ علىٰ اللهِ فِي قَضَائِهِ، ويحسُدُ علىٰ ما مَنَحَ مِنْ عطائِهِ، وكأنَّهُ بحَسَدِهِ هذا يقولُ: فُلانٌ أُعْطِيَ وهو لا يستحقُّ.

فَفِي «سُننِ النَّسَائِي» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيْح سُنن النَّسائي»[1] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - : «**لا يَجْتمعانِ فِي قلبِ عَبْدٍ: الإيمانُ والحَسَدُ**».

ومن أمراضِ القلوبِ الحِقْدُ، وهو مَرَضٌ عُضَالٌ من أمراضِ القلبِ:

فعلينا أَنْ نُطهِّرَ قُلُوبنا من الحِقْدِ، والحَسَدِ، وسائرِ أمراضِ القلوبِ حِرْصًا علىٰ سلامتِها.

أخرج المُنْذريُّ في «الترغيب والترهيب» بسند صحيح لغيرِه، قَالَهُ الألبانيُّ في «صَحِيْح التَّرْغِيْب والتَّرْهِيْب»[2] مِنْ حَدِيْث أَبِي ثَعْلَبَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النبي - ﷺ - قَالَ: «**يَطَّلِعُ اللهُ إلىٰ عِبادِهِ ليلةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فيغفِرُ للمُؤْمنين، ويُمْهِلُ الكافِرين، ويَدَعُ أَهْلَ الحِقْدِ بِحِقْدِهِمْ حتىٰ يَدَعُوهُ**».

وفِي «صَحِيْح مُسْلِم»[3] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رسولَ اللهِ - ﷺ - قَالَ: «**تُفْتَحُ أبوابُ الجَنَّةِ يومَ الاثنين، ويَوْمَ الخميس، فيُغْفَرُ لكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ باللهِ شيئًا، إلَّا رجلاً كانتْ بَيْنَهُ وبَيْنَ أخيه شَحْنَاءُ، فيُقَالُ: أَنْظِروا هَذَيْنِ، حتَّىٰ يَصْطَلِحا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ، حتَّىٰ يَصْطَلِحا، أَنْظِروا هَذَيْنِ، حتَّىٰ يَصْطَلِحَا**».

وأستغفرُ اللهَ.

---

(١) رَوَاهُ النَّسَائِي في «سُننه» (٢٩١٢)، وحسنه الألباني فِي «صَحِيْح سُنن النَّسَائِي» (٢/ ٦٥٢).
(٢) رَوَاهُ المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ٤٦١)، وقال الألباني في صَحِيْح التَّرْغِيْب والتَّرْهِيْب (٧٧١) : صحيح لغيره.
(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٥٦٥).

الخطبة الثانية:

عِلاجُ القُلوبِ

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العالمين، والصلاةُ والسَّلامُ علىٰ أَشْرفِ المُرْسلين، وعلىٰ آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدِّيْن.

أَمَّا بَعْدُ: فتقدَّمَ الحديث مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ أمراضِ القُلُوبِ، والآن حديثي مَعَكُمْ عَن عِلاجِ القلوب.

فمن علاج القلوبِ: ذِكْرُ اللَّه -سُبْحَانَهُ وتعالَىٰ-:

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ ـ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرَّعْد: ٢٨ ـ ٢٩].

ومن علاج القلوبِ التَأَسّي برسولِ اللَّه -ﷺ- في أقوالِهِ، وأفعالِهِ، وسائرِ أحوالِهِ:

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ ـ : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ومن علاج القلوبِ: الإيمانُ بالقَدَرِ، والرِّضا بالقضاءِ:

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ ـ : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التغابُن: ١١].

ومن علاجِ القلوبِ: سُؤالُ اللَّهِ الهداية والثباتَ:

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨ ﴾ [آل عمران: ٧ ـ ٨].

وَمِنْ دُعاءِ الرَّسُولِ صلىٰ الله عليه وسلم كما فِي « صَحِيْح مُسْلِم » [١] مِنْ حَدِيْث عَبْدِ الله بْنِ عَمْرو ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّهُ سمع رسولَ اللهِ – ﷺ – يقول: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ بَيْنَ أصبعَيْنِ مِنْ أصابعِ الرَّحْمَان، كقلبٍ واحد، يُصرِّفُهُ حَيْثُ يشاءُ** » ثمَّ قَالَ رسولُ اللهِ – ﷺ –: «**اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القلوبِ، صَرِّفْ قُلُوبَنا علىٰ طاعَتِكَ** » .

ومن علاجِ القلوبِ: التوبةُ إلى اللَّهِ:

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ ﴾ [التحريم: ٤].

فَفِي هذه الآية دليلٌ علىٰ أنَّ المعاصي سببٌ في مَيْلِ القلوبِ وانحرافِها، وأنَّ التوبةَ سببٌ في سلامتِها، ومَنْ مِنَّا لا يقع في المعاصي؟! .

ورسولُ الله – ﷺ – يقولُ كما في «الصحيحين » [٢] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُريرة – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – : «**واللهِ، إني لأَسْتغفِرُ اللهَ، وأَتُوبُ إِلَيْهِ في اليومِ أَكْثَرَ مِنْ سبعين مَرَّة** » .

وها هو يحثنا علىٰ التوبةِ والاستغفار، كما فِي « صَحِيْح مُسْلِم » [٣] مِنْ حَدِيْث الأَغَرِّ بْن يَسار المُزَنِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ –: «**يأَيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إلىٰ اللهِ، واستغفروه، فإنِّي أَتُوبُ في اليَوْمِ مائة مَرَّةٍ** » .

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٦٥٤) .
(٢) رَوَاهُ البخاري (١١/ ٨٥) .
(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٧٠٢) .

ومن عِلاجِ القلوبِ إمساكُ فُضُولِ السَّمْعِ:

فلا يستمع للأغاني، ولا للغِيْبَةِ، ولا للنَّميمةِ، ولا يستمع إلىٰ ما يضرُّهُ.

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

ومن علاجِ القلوبِ الإمساكُ عَنْ فُضُولِ البَصَرِ، فكم مِنْ نظرةٍ إلى ما حرَّمَ اللّٰهُ أَعْقَبَتْ في القلبِ حَسْرَةً!

وقد أمرَ اللهُ المؤمنين والمُؤمناتِ بغَضِّ البَصَر، فقَالَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ﴾ [النور: ٣٠ ـ ٣١].

وفي «سُنن أَبِي داود» بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ، صحَّحَهُ الألبانيُّ في«صَحِيْح سُنن أَبِي داودَ»[1] مِنْ حَدِيْث جرير بن عبد الله ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: سأَلْتُ رسول اللهِ ـ ﷺ ـ عَنْ نَظَرِ الفَجْأَةِ، فقَالَ: «**اصْرِفْ بَصَرَكَ**».

ومن علاجِ القلوبِ: الإمساكُ عَنْ فضولِ الكلامِ:

فَكَثْرَةُ الكلامِ مَدْعَاةٌ لقَسْوةِ القلبِ، وطولِ الحسابِ، فعلينا الاقتصارُ علىٰ الخيرِ منه، فقد حثَّنا اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ علىٰ الخيرِ من الكلامِ، وتَرْكِ ما سِوىٰ ذٰلك.

فقَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

---

(١) رَوَاهُ أبو داود (٢١٤٨)، وصححه الألباني في«صحيح سُنن أَبِي داود» (١٨٨٠).

وإلىٰ ذَلِكَ أرشدنَا نبيُّنا- ﷺ- كما في «الصحيحين» [(١)] مِنْ حَديْث أَبي هُريرةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ- ﷺ-: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليومِ الآخِرِ، فليقُلْ خَيرًا أو ليَصْمُتْ**».

ومن علاج القلوبِ: تَرْكُ فُضُولِ الطَّعَامِ:

فَفِي «سُنن التِّرْمذيِّ» بِسَنَد صَحِيْح، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْح سُنن التِّرْمذيِّ» [(٢)] مِنْ حَدِيْث المِقْدَام بْن مَعْدي كَربَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ- ﷺ-: «**ما مَلأَ آدميٌّ وعاءً شَرًّا مِنْ بَطْنه، بِحَسْب ابْن آدَمَ أُكُلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فإنْ كانَ لا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ لِطَعَامِه، وَثُلُثٌ لشرابِه، وثُلُثٌ لِنَفَسِه**».

ومن علاجِ القُلوبِ عَدَمُ الإكْثارِ من الضَّحك:

فَفِي «سُننِ التِّرْمذيِّ» بِسَنَد حَسَنٍ، حَسَّنَه الأَلبانيُّ، في «صحيح سُنن التِّرْمذيِّ» [(٣)] من حَديث أَبي هُريرةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ- ﷺ-: «**وَأَقِلَّ الضَّحِكَ؛ فإنَّ كَثْرَةَ الضَّحك تُميتُ القَلْبَ**».

وقد ذكر أهلُ العلم أنَّ مِنْ عِلاجِ القلوبِ تَرْكُ فُضُولِ النَّوْمِ، وفُضُولِ مُخالَطَةِ النَّاس، وجميع أنواعَ الفضول.

اللَّهُمَّ يا مُقَلِّبَ القُلوب والأبصار، ثَبِّتْ قُلوبَنا علىٰ دينك، واصْرِفْها علىٰ طاعتِكَ، ونَقِّها منَ الخطايا، كما يُنَقَّىٰ الثَّوبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنسِ، واجعلْنا مِنَ الذين يَسْتَمِعُونَ القولَ، فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ.

---

(١) رَوَاهُ البخاري (٦٣٧٥)، ومُسْلم (٤٧).
(٢) رَوَاهُ الترمذي (٢٤٩٩)، وصححه الألباني فِي «صَحِيْح سُنن الترمذي» (١٩٣٩).
(٣) رَوَاهُ الترمذي (٢٤٩٩)، وحسَّنه الألباني فِي «صَحِيْحِ سُنن الترمذي» (١٨٧٦).



الخطبة الأولى:

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا، ومنْ سَيْئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد- ﷺ-، وشرَّ الأُمُور مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثَة بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَة ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّار.

أَمَّا بَعْدُ، فَحَدِيْثِي مَعَكمُ اليومَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عن **(علاج الهَمِّ والحُزْنِ)**، وما أَكْثَرَهُما في زمانِنا، وما أعظم خَطَرَهما، وما أشدَّ فَتْكَهُما بقلبِ الإنسان وجَسَدِهِ من كثيرٍ من الأمراض!.

ومِن طبيعةِ هذه الحياةِ الدُّنيا الهَمُّ والحُزنُ اللذانِ يُواجِهُهُما الإنسانُ في حياتِه، دَلَّ علىٰ ذَلِكَ قولُ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤ ﴾ [البلد: ٤]. ومعنىٰ (فِي كَبَدٍ) أي: ما يُكابِدُه ويقاسيه من الشدائدِ في الدُّنيا، فهو حزينٌ علىٰ ما مَضَىٰ، مهمومٌ بما يستقبلُ، مَغْمُومٌ في الحالِ. والقلوبُ تتفاوتُ في الهمِّ وَالحُزْنِ، فقلبٌ عامرٌ بالإيمان، فَفِيه البَهْجَةُ والسُّرورُ، وقَلْبٌ ضَعيفُ الإيمانِ، فَفِيه الهُمُومُ والأحزانُ. والهَمُّ والحزنُ مَنْهي عَنْهُمَا شَرْعًا.

قَالَ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ مُقرِّرًا ما قَالَه رسولُ اللهِ - ﷺ - لصاحِبِه : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠].

ونهىٰ اللهُ ـ سُبْحَانه وتَعَالىٰ ـ نَبِيَّهُ - ﷺ - عَنِ الهمِّ والحُزنِ، فقَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ۝٧٠ ﴾ [النحل: ١٢٧].

ونهىٰ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعالَىٰ ـ عباده المؤمنين عن الهمِّ والحزن.

فقَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٣٩ ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

وكان النبيُّ - ﷺ - أَكْثَر ما يستعيذُ باللّه من الهمِّ والحُزن:

فَفِي «صحيح البخاريِّ» [(١)] مِنْ حَدِيْث أنس بْنِ مالك ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: كَانَ النبيُّ - ﷺ - يقولُ: «**اللَّهُمَّ إني أعوذُ بك من الهمِّ والحَزَنِ، والعَجْزِ والكَسَلِ، والبُخْلِ والجُبْنِ، وضَلَعِ الدَّيْنِ، وغَلَبَةِ الرِّجالِ**» .

فإذا كَانَ النبيُّ - ﷺ - يستعيذُ باللهِ من الهَمِّ والحَزَنِ، فهذا دليلٌ علىٰ أنهما شرٌّ، ولا خَيْرَ فيهما للعبدِ، فلا يجوزُ له التمادي فيهما، بل متىٰ هجما عليه، فهو مُكَلَّفٌ باستعمالِ العلاجاتِ الَّتِي تُذهِبُ الهمَّ والحُزنَ، وسوف نذكرُ بعضَها:

---

(١) رَوَاهُ البخاري (٢٨٢٣) ، (٢٨٩٣) .

فمن علاج الهمِّ والحزنِ: التسلُّح بالإيمانِ المقرونِ بالعملِ الصالح:

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧].

فَمَنْ جَمَعَ بَيْنَ الإيمانِ والعملِ الصالح، أَدْرَكَ الحياةَ الطَّيِّبَةَ: مِنْ طُمأنينةِ النَّفْس، وسُكونِ القَلْب، وهُدوءِ البَال، وراحةِ الضَّمير، مع ما ينتظِرُهُ في الآخرةِ من أَصنافِ اللَّذات، ومن ذَلك إذهَابُ الهمِّ والحزنِ عنه.

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ على لسان المؤمنين في الجنَّة: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فاطر: ٣٤].

ومن علاج الهمِّ والحزنِ تحقيقُ التوحيدِ: فلا يبقى معه في القلبِ شائبةُ شِرْكٍ، فيتوجَّهُ بقلبِه إلى اللَّهِ ـ وَحْدَهُ ـ في عبادته كُلِّها:

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣].

ومن علاج الهمِّ والحزنِ اليقينُ بنَصرِ اللَّهِ، واستشعارُ معيَّتِه لنا:

فَفي «الصَّحِيْحَيْن»[(١)] مِنْ حَدِيْث أنس بْن مالك ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عن أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قُلْتُ للنبيِّ ـ ﷺ ـ وأنا في الغار: لو أنَّ أَحدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لأَبْصَرَنا. فقَالَ: «ما ظَنُّكَ ـ يا أبا بَكْرٍ ـ باثنينِ اللهُ ثالثهمَا» فالرسول ـ ﷺ ـ ذكَّر صاحبَهُ أبا بكرٍ بمَعِيَّةِ الله لهما، وعلَّلَ وصيَّتَهُ لَهُ: ﴿ لَا تَحْزَنْ ﴾ بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾.

---

(١) رَوَاهُ البخاري (٣٦٥٣)، وَمُسْلم (٢٣٨١).

ومن علاجِ الهمِّ والحزنِ: النَّظرُ فيما يَحْصُلُ للمُسْلِمِ مِنْ تكفيرِ الذُّنوب، ورَفْعِ الدَّرجاتِ، إذا أصابه الهَمُّ والحزنُ:

فَفِي «الصَّحِيْحَيْن» [١] مِنْ حَدِيْث أَبِي سعيد وأَبِي هُريرة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ عن النبيِّ -ﷺ- قَالَ: «**ما يُصيبُ المُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، ولا وَصَبٍ، ولا هَمٍّ، ولا حَزَنٍ، ولا أَذَىً، ولا غَمٍّ ـ حتَّى الشَّوكة يُشاكُها ـ إلَّا كَفَّرَ اللهُ بها مِنْ خَطَايَاهُ**».

ومن علاجِ الهمِّ والحزنِ: معرفةُ حقيقةِ الدُّنيا الفانيةِ، ومتاعِها الزائلِ:

فَفِي «صَحِيْح مُسْلِم» [٢] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**الدُّنيا سِجْنُ المُؤْمِنِ، وجَنَّةُ الكافرِ**».

ومن علاجِ الهمِّ والحزنِ: أنْ نجعلَ الآخِرةَ هَمَّنا، واطِّراح هُمُوم الدُّنيا:

لأَنَّ هَمَّ الآخرة، سَلْوَةٌ للنَّفسِ، وهَمَّ الدُّنيا مُشَتِّتٌ للنَّفْسِ، مُفَرِّقٌ شَمْلَها. فَفِي «سُنَن التِّرمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْح سُنَن التِّرْمذيِّ» [٣] مِنْ حَدِيْث أنس بْن مالك ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**مَنْ كانت الآخرةُ هَمَّهُ، جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِه، وجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وأَتَتْهُ الدُّنْيا وهي راغِمَةٌ، ومَنْ كانت الدُّنْيا هَمَّهُ، جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وفَرَّقَ شَمْلَهُ، ولم يَأْتِهِ مِن الدُّنيا إلَّا ما قُدِّرَ لَهُ**».

ومن علاجِ الهمِّ والحزنِ: اللُّجوءُ إلى الصلاةِ:

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ﴾ [البقرة: ٤٥].

وفي «سُنن أَبِي داودَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْح سُنن

---

(١) رَوَاهُ البخاري (٥٦٤٢) واللفظ له، ومُسْلم (٢٤٧٣).
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٤٩٥٦).
(٣) رَوَاهُ الترمذي (٢٥٩٥)، وصححه الألباني فِي «صَحِيْحِ سُنن الترمذي» (٢٠٠٤).

أَبي داودَ »[(١)] مِنْ حَدِيْثِ سالم بْنِ أَبِي الجَعْدِ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: لَيْتني صَلَّيْتُ فاسْتَرَحْتُ، فكأنهم عابوا عليه ذَلِكَ، فقَالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ - ﷺ - يقولُ: «يا بِلالُ، أَقِم الصَّلاةَ، أَرِحْنَا بِهَا » .

وفي «سُنن أَبِي داود » بسند حسن، حَسَّنَهُ الأَلْبانيُّ في «صحيح أَبِي داودَ »[(٢)] مِنْ حَدِيْثِ حُذيفة في - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ النبيُّ - ﷺ - إذا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّىٰ.

ومن علاجِ الهمِّ والحزنِ: التوكُّل على اللّٰه - وَتَعَالَى - وتَفويضُ الأَمْرِ إِلَيْه:

قَالَ الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

أي: كافيه جميعَ ما يُهِمَّهُ مِنْ أمرِ دينِه ودُنْياهُ.

ومن علاجِ الهمِّ والحزنِ: الحِرْصُ على ما يَنْفَعُنا في الوقتِ الحاضرِ، وقَطْعُ الحُزنِ على ما فات، وتَرْكُ الهمِّ على ما هو آتٍ:

فَفِي «صَحِيْح مُسْلم »[(٣)] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُريرةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**المؤمن القويُّ خيرٌ وأَحبُّ إلىٰ الله مِنَ المؤمن الضعيف، وفي كُلٍّ خَيْرٌ. احْرِصْ علىٰ ما يَنْفَعُكَ، واستعنْ بالله ولا تَعْجَزْ، وإنْ أصابك شيءٌ، فلا تقلْ: لوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كذا وكذا، ولكنْ قُلْ: قَدر الله، وما شاءَ فَعَلَ؛ فإنَّ «لَوْ » تَفْتَحُ عَمَلَ الشيطان** » .

قَالَ ابن سَعْديٍّ - رَحِمَهُ اللهُ - في شرح هذا الحديث: «الحديثُ المَذْكُورُ يدلُّ علىٰ السَّعْي في إزالةِ الأسبابِ الجالبةِ للهُمُوم، وفي تحصيل الأَسباب الجالبةِ للسُّرور، وذَلِكَ بنسيانِ ما مَضَىٰ عليه من المكَاره الَّتي لا يُمكنُهُ ردُّها، ومعرفته أَنَّ اشتغَالَ فِكْرِهِ فِيْهَا من بابِ العَبَثِ والمحالِ، وأَنَّ ذَلِكَ حُمْقٌ وجنونٌ، فيجاهِدُ

---

(١) رَوَاهُ أبو داود (٤٩٨٥) ، وصححه الألباني فِي «صَحِيْح سُنن أَبِي داود» (٤١٧١) .
(٢) رَوَاهُ أبو داود (١٣١٩) ، وصححه الألباني فِي «صَحِيْحِ سُنن أَبِي داود» (١١٧١) .
(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٦٦٤) .

قَلْبَهُ عَنِ التَّفَكُّرِ فِيْهَا، وكذَلِكَ يُجاهِدُ قَلْبَهُ لما يستقبلُهُ، مِمَّا يَتَوهَّمُهُ مِنْ فَقْرٍ، أَوْ خَوْف، أو غَيْرِهما من المكارِهِ، الَّتِي يتخيَّلُهَا في مستقبلِ حياتِهِ، فيعلمُ أَنَّ الأُمُورَ المُسْتَقْبَلَةَ مَجْهُولٌ ما يقعُ فِيْهَا مِن خَيرٍ وشَرٍّ وآمالٍ وآلام، وأنَّها بيدِ العزيزِ الحكيم، لَيْسَ بيدِ العِبادِ منها شيءٌ إلَّا السَّعْي في تحصيلِ خَيْراتِهَا، ودَفْع مضرَّاتِها، ويعلَمُ العبدُ أنه إذا صَرَفَ فِكْرَهُ عَنْ قَلَقه مِنْ أجل مستقبل أَمْرِه، واتَّكَلَ علىٰ رَبِّهِ في إصلاحِهِ، واطمأنَّ إِلَيْهِ في ذَلِكَ ـ صَلُحَتْ أحوالُهُ، وزَال عَنْهُ هَمُّهُ وقَلَقُهُ »[١] .

ومن علاجِ الهمِّ والحزنِ : التَّحدثُ بنعمةِ اللَّهِ الظاهرةِ والباطنةِ:

فَفِي «الصحيحين»[٢] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ –: «**انظروا إلىٰ مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، ولا تنظروا إلىٰ مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فهو أَجْدَرُ ألَّا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ** » .

ولا شكَّ أنَّ الإنسانَ إذا نظر إلىٰ مَنْ هو دُوْنَهُ، رأىٰ نَفْسَهُ يَفُوقُ كثيرًا من الخَلْقِ في الصِّحَّة والعافية، والهُدىٰ والإيمانِ، وهذا يَدْفَعُ عنه الهمَّ والحزنَ.

ومن علاجِ الهمِّ والحزنِ : الجهادُ في سبيلِ اللَّهِ:

فَفِي «مُسند أحمد» بِسَنَد صَحِيْح، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْح الجَامع»[٣] مِنْ حَدِيْث أَبِي أُمامةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ الصَّامت ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ عَنْ رسول الله – ﷺ – أَنَّه قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بالجهَادِ في سبيلِ اللهِ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ـ فإنَّهُ بابٌ مِنْ أَبْوابِ الجَنَّةِ، يُذْهِبُ اللهُ به الهَمَّ والغَمَّ** » .

ومن علاجِ الهمِّ والحزنِ أنْ نعلمَ أنَّ بَعْدَ العُسْرِ يُسْرًا:

فعلينا أن نُحْسِنَ الظَّنَّ باللهِ، فإنَّهُ جاعلٌ لنا فَرَجًا ومَخْرجًا، وكُلَّما استحكم

---

(١) «الوسائل المفيدة للحياة السعيدة» لابن سعدي (ص١٥) .
(٢) رَوَاهُ البخاري (٦٤٩٠) ، وَمُسْلم (٢٩٦٣) .
(٣) رَوَاهُ أحمد في «مُسنده» (٥/ ٣١٩) ، وصححه الألباني فِي «صَحِيحِ الجَامِع» (٤٠٦٣) .

الضِّيقُ. قُرْبَ الفَرَجُ.

قَالَ الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – : ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ [الشرح:٥- ٦].

فذكر عسرًا واحدًا ويسرين، لأن التعريف يفيد الإفراد والتنكير يفيد التكرار.

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾ [يُوسُف: ١١٠].

وفي «مُسند أحمد » بسند صحيح، صَحَّحه الألبانيُّ في «الصحيحة » [١] من حَدِيْثِ أنس بْن مالك ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله – ﷺ –: «**واعلمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وأنَّ الفَرَجَ مع الكَرْبِ، وأنَّ مع العُسْرِ يُسْرًا** » .

ومن علاج الهمِّ والحزن : ما يكونُ بالأطعمة:

فَفِي «الصَّحِيْحَيْن » [٢] مِنْ حَدِيْث عائشةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهَا ـ أَنَّها كانتْ تأْمُرُ بالتَّلْبِيْن للمريض، ولِلمَحْزُون علىٰ الهالِك، وكانَتْ تقولُ: إنِّي سمعتُ رسولَ الله– ﷺ– يقولُ: « **إن التَّلْبِيْنَةَ تُجِمُّ فُؤَادَ المريض، وتَذْهَبُ ببَعْض الحُزْن** » .

والتلبينةُ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ : هي حَسَاءٌ يُعْمَلُ من دقيق، ويُجْعَلُ فيه عَسَلٌ، وسُمِّيتْ تلبينةً لشبهها باللَّبَن، وهي تُطْبَخُ مِنَ الشَّعِير مَطْحُونًا. ومعنىٰ مُجِمَّة: أي تُريحُ وتُنْشِطُ، وتُزيلُ الهمَّ.

وأستغفر الله.

(١) رَوَاهُ أحمد في «مُسنده» (١/ ٣٣٩) ، وصححه الألباني في «الصحيحة » (٢٣٨٢) .
(٢) رَوَاهُ البخاري (٥٦٨٩) ، ومُسْلم (٢٢١٦) .

الخطبة الثانية:

الدعاءُ العلاج الأعظم للهم والحزن

الحَمْدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ علىٰ أشرفِ المُرسلين، وعلىٰ آلِه وصحْبهِ أجمعين.

أمَّا بَعْدُ: فَتَقَدَّم الحَدِيْثُ مَعَكمُ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ بعضِ علاجِ الهمِّ والحُزنِ، والآن حَديثي مَعَكُمْ عن أعظم علاجٍ للهمِّ والحُزنِ، أَلاَ وهو الدُّعاءُ.

والدُّعاء أمرُهُ عظيمٌ، ونَفْعُهُ عميمٌ، ومكانتُهُ عاليةٌ من الدِّين، فما اسْتُجْلِبَ السُّرورُ والعافيةُ بمثلِهِ، ولا اسْتُدْفِعَ الهمُّ والحُزنُ بمثلِهِ.

فَفِيه تفريجُ الهمِّ، وزوالُ الحُزْن، وتيسيرُ الأمور.

وإنِّي لأَدْعُو الله، والأمرُ ضَيِّقٌ — عليَّ، فما يَنْفَكُّ أنْ يَتفَرَّجا
وربَّ فتىً ضاقتْ عليه وَجُوهُهُ — أصاب لها في دعوةِ اللهِ مَخْرَجا

فعلينا -أَيُّهَا الناسُ- أنْ نَدْعُوا الله: بخالصِ الدُّعاء،

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ﴾ [الأعراف: ٢٩].

قَالَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر: ٦٠].

قَالَ الشَّوكانيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-: «والآيةُ الكريمةُ دَلَّتْ علىٰ أنَّ الدُّعاءَ من العبادة، فإنَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أَمَرَ عبادَهُ أنْ يَدْعُوه، ثمَّ قَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ

عَنْ عِبَادِي ﴾ فأفاد ذَلِك أنَّ الدُّعاءَ عبادةٌ، وأنَّ تَرْكَ دُعاءِ الرَّبِّ ـ سُبْحَانَهُ ـ استكبارٌ، ولا أَقْبَحَ مِنْ هذا الاستكبار » .

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّهُ متىٰ نَزَلَ بنا الهَمُّ والحُزنُ، فبابُ الدُّعاءِ مفتوحٌ غَيْرُ مُغْلقٍ. والكريمُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ إنْ طُرِقَ بابُهُ وسُئِلَ، أَعْطَىٰ وأجابَ.

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

أَيُّها الناسَ، لا أَحَدَ أكْرَمُ علىٰ اللهِ مِنْ رسولِ اللهِ - ﷺ -، وقد كَانَ أَكْثَرَ ما يستعيذُ باللهِ من الهمِّ والحُزْنِ.

فَفِي «صحيح البخاري » [١] مِنْ حَدِيْثِ أَنَس بْنِ مالك ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: كُنْتُ أَخْدُمُ رسولَ اللهِ - ﷺ - إذا نَزَلَ، فكنتُ أَسْمَعُهُ كَثيرًا يقولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بك مِنَ الهَمِّ والحَزَنِ، والعَجْزِ والكَسَلِ، والبُخْلِ والجُبْنِ، وضَلَعِ الدَّيْنِ، وغَلَبَةِ الرِّجالِ** » .

ومن أنفعِ الأدعيةِ الَّتي كَانَ النبيُّ - ﷺ - يدعو بها كما فِي « صَحِيْح مُسْلم» [٢] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: كَانَ رسولُ اللهِ - ﷺ - يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لي ديني الذي هُو عِصْمَةُ أَمْري، وأَصْلِح لي دُنيايَ الَّتي فِيْهَا معاشي، وأَصْلِحْ لِي آخِرتي الَّتِي فِيْهَا مَعَادي، واجعل الحياةَ زيادة لي من كُلِّ خَيْرٍ، واجعلِ الموتَ راحةً لي مِنْ كُلِّ شَر** » .

ومن الأدعية النافعة للهمِّ والحُزْنِ ما علَّمناهُ رسولُ اللهِ - ﷺ -، كما فِي «سُنن

---

(١) تَقَدَّمَ تَخْرِيْجه .
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٧٢٠) .

أَبي داودَ » بسَنَد حَسَن، حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ في «سُنن أَبي داودَ »(١) مِنْ حَدِيْث أَبي بَكْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**دَعْوَةُ المكروب: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فلا تكِلْني إلىٰ نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وأَصْلِحْ لِي شَأْني كُلَّهُ، لا إله إلَّا أنْتَ** » .

وَفي «الصَّحِيْحَيْن »(٢) مِنْ حَدِيْث ابن عبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّ النبيَّ - ﷺ- كَانَ يقولُ عندَ الكَرْبِ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ العظيمُ الحليمُ، لا إله إلَّا الله ربُّ العَرْشِ العظيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَواتِ، وربُّ الأَرضِ، وربُّ العَرْشِ الكريم** » .

وفي «سُنن التِّرْمذيِّ » بسند حَسَنٍ، حَسَّنه الألبانيُّ فِي«صَحِيْح سُنن التِّرْمذيِّ»(٣) مِنْ حَدِيْثِ أَنَس بن مالك ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رسولَ اللهِ- ﷺ- كَانَ إذا حَزَبَهُ أَمْرٌ، قَالَ: «**يا حَيُّ يا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ** » .

وفي «سُنن أَبي داودَ» بسَنَد صَحِيْح، صَحَّحَه الألبانيُّ فِي «صَحِيْح سُنن أَبِي داود »(٤)مِنْ حَدِيْث أسماءُ بنْتِ عُمَيْسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُا ـ قَالَتْ:قَالَ لي رسولُ اللهِ- ﷺ-:«**أَلاَّ أُعَلِّمُك كلماتٍ تَقُولِينَهُنَّ عِنْدَ الكَرْبِ ـ أو في الكَرْبِ ـ؟!، اللهُ اللهُ ـ رَبِّي، لا أُشْرِكُ بِهِ شَيئًا** » .

ومن أعظم الأدعية في إذهاب الهمِّ والحُزْنِ والدُّعاءُ الذي حثَّ النبيُّ - ﷺ- كُل مَنْ سَمِعَهُ أن يتعلَّمَهُ ويَحْفَظَهُ.

---

(١) رَوَاهُ أبو داود (٥٠٩٠) ، وصححه الألباني فِي«صَحِيْحِ سُنن أَبِي داود» (٤٢٤٦) .
(٢) رَوَاهُ البخاري (٦٣٤٦) ، وَمُسْلم (٤/ ٢٠٩٢) .
(٣) رَوَاهُ الترمذي (٣٧٧٣) ، وحسنه الألباني فِي«صَحِيْح سُنن الترمذي» (٢٧٩٦) .
(٤) رَوَاهُ أبو داود (١٥٢٥) ، وصححه الألباني فِي«صَحِيْحِ سُنن أَبِي داود» (١٣٤٩) .

فَفِي «مُسند أحمدَ» بِسَنَدٍ صَحِيْح، صحَّحَهُ الألبانيُّ في «السِّلْسلة الصحيحة»[١] مِنْ حَدِيْث عبد الله بن مسعود ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله- ﷺ-: «ما أصَابَ أحَدًا ـ قَطُّ ـ هَمٌّ ولا حُزنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إنِّي عَبْدُكَ، وابْنُ عَبْدِكَ، وابْنُ أَمَتِكَ، ناصيَتي بيَدِكَ، ماضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضاؤُكَ، أسألُكَ بكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْت بِهِ نَفْسَكَ، أو أنزَلْتَهُ في كِتابك، أوْ عَلَّمْتَهُ أحدًا مِنْ خَلْقكَ، أوِ استَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلم الغَيْب عِنْدَكَ ـ أنْ تَجْعَلَ القُرْآنَ رَبيعَ قَلْبي، ونُورَ صَدْري، وجَلاءَ حُزْنِي، وذَهَابَ هَمِّي. إلَّا أذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وحُزْنَهُ، وأبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا» قَالَ: فقِيلَ يا رَسُولَ اللهِ، ألاَّ نَتعَلَّمُها؟، فَقَالَ: «بَلَىٰ، ينبغي لِمَنْ سَمِعَهَا أنْ يَتَعَلَّمَهَا».

نسألُ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ أن يُعافِينَا من الهَمِّ والحُزْنِ، ويَجْعَلَنا هُداةً مُهْتَدينَ.

---

(١) رَوَاهُ أحمد في «مسنده» (١/ ٣٩١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٩٨).



الخطبة الأولى:

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد- ﷺ-، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّار.

أَمَّا بَعْدُ، فَحَدِيثِي مَعَكُمُ اليومَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عن **(الدُّعاء)**، أَفْضَل العبادات، وأعظم القُرُبات لتضمُّنه توحيدَ الله، وإفرادَهُ بالعبادة دُونَ مَنْ سِواهُ، فهو رأسُ الأمر، وأَصْلُ الدِّينِ، ومفتاحٌ لكُلِّ خيرٍ، ومغْلاقٌ لكُلِّ شرٍّ، وجالبٌ لكُلِّ نَفْعٍ، ودافعٌ لكُلِّ ضُرٍّ.

وللدُّعَاءِ فضائلُ عظيمةٌ أذكرُ منها:(١)

١ - أنّ الدُّعاءَ طاعةٌ للَّهِ وامتثالٌ لأمرِهِ - سُبحانَه وتعالى -:

قَالَ - تَعَالَى -: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ [غافر: ٦٠].

وقَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعالَىٰ -: ﴿ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ ﴾ [الأعراف: ٢٩].

وقَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ ﴾ [الأحزاب: ٤١].

٢ - ومن فضائل الدُّعاءِ السَّلامةُ من الكِبْرِ:

قَالَ الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠ ﴾ [غافر: ٦٠].

قَالَ الشوكانيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - في هذه الآية: «والآية الكريمةُ دلَّتْ على أنَّ الدُّعاءَ مِنَ العبادة؛ فإنَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - أمَرَ عبادَهُ أنْ يَدْعُوهُ، ثمَّ قَالَ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي ﴾ فأفاد ذَلِكَ أنَّ الدُّعاءَ عبادةٌ، وأنَّ تَرْكَ دُعاءِ الرَّبِّ - سُبْحَانَهُ وَتَعالَىٰ - استكبارٌ، ولا أَقْبَحَ مِنْ هذا الاستكبار».

وكيف يستكبِرُ العبدُ عَنْ دُعاءِ مَنْ هُو خالقٌ له، ورازقُهُ، ومُوجدُهُ من العَدَمِ، وخالقُ العالم كُلِّهِ، ورازقُهُ، ومُحييهِ، ومُميتُهُ، ومُثيبُهُ، ومُعاقِبُهُ؟!

فلا شكَّ أنَّ هذا الاستكبارَ طَرَفٌ من الجنونِ، وشُعْبَةٌ مِنْ كُفْرَانِ النِّعَمِ(٢).

(١) انظر: «الدعاء» لمحمد إبراهيم الحمد (ص١٦)، وقد استفدتُ منه كثيرًا، جزاه الله خيراً.
(٢) «تحفة الذاكرين» (ص٢٨).

٣ـ ومن فضائل الدُّعاءِ: أنَّه عبادةٌ، بل هو العبادةُ:

فَفِي «سُنن أَبِي داودَ» بِسَنَدٍ صَحِيْح، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْح سُنن أَبي داودَ» (١) مِنْ حَدِيْث النعمانِ بْن بشيرٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: سمعتُ النَّبيَّ -ﷺ- يقولُ: «الدُّعاءُ هو العبادةُ» ثمَّ قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

٤ـ ومن فضائلِ الدُّعاءِ: أنَّهُ أكْرمُ شيءٍ على اللّه:

فَفِي «سُنن ابن مَاجَهْ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَه الألبانيُّ فِي «صَحِيْح سُنن ابن مَاجَهْ» (٢) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَن النبي -ﷺ- قَالَ: «لَيْسَ شيءٌ أَكْرَمَ علىٰ اللهِ ـ سبحانه ـ من الدُّعاءِ».

٥ـ ومن فضائلِ الدُّعاءِ: أنَّهُ سببٌ لدفعِ غَضَبِ اللّهِ، فمن لم يَسْأَلِ اللّه يَغْضَبْ عليه:

فَفِي «سُنن التِّرْمذيِّ» بسند حسن، حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيْح سُنن التِّرْمذيِّ» (٣) مِنْ حَدِيْث أَبِي هُرَيرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عليه**».

قَالَ الشوكانيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «فَفِي هذا الحديثِ دليلٌ علىٰ أَنَّ الدُّعاءَ من العَبْدِ لربِّهِ من أهمِّ الواجباتِ، وأعظمِ المفروضاتِ؛ لأَنَّ تَجَنُّبَ ما يَغْضَبُ اللهُ مِنْهُ لا خِلافَ فِي وُجُوبِهِ» (٤).

---

(١) رَوَاهُ أبو داود (١٤٧٩)، وصححه الألباني فِي «صَحِيْح سُنن أَبي داود» (١٣١٢).
(٢) رَوَاهُ ابن مَاجَهْ (٣٨٢٩)، وحسنه الألباني فِي «صَحِيْحِ سُنن ابن مَاجَهْ» (٣٠٨٧).
(٣) رَوَاهُ الترمذي (٣٦١٣)، وحسنه الألباني فِي «صَحِيْحِ سُنن الترمذي» (٢٦٨٦).
(٤) «تحفة الذاكرين» (ص٣١).

وما أَحْسَنَ قَوْلَ القائلِ:

لا تسألَنَّ بُنيَّ آدَمَ حاجةً وسَلِ الذي أَبْوابُهُ لا تُحْجَبُ
اللهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ وبُنَيُّ آدمَ حِيْنَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

٦ـ ومِنْ فضلِ الدُّعاءِ: أنَّهُ سببٌ لدَفْعِ البلاءِ قَبْلَ نُزُولِهِ:

فَفِي «سُنن التِّرمذيِّ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حسَّنَه الألبانيُّ في «الصحيحة»[1] مِنْ حَدِيْثِ سَلْمانَ الفارسيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**لا يرُدُّ القضاءَ إلَّا الدُّعاءُ**».

قَالَ الشوكانيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «فيه دليلٌ علىٰ أنَّه ـ سُبْحَانَهُ ـ يَدْفَعُ بالدُّعاءِ ما قَدْ قَضَاهُ علىٰ العَبْدِ، وقَدْ وَرَدَتْ بهذا أحاديث كثيرةٌ»[2].

وقَالَ: «والحَاصلُ أنَّ الدُّعاءَ مِنَ قَدَرِ اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، فقدْ يَقْضِي علىٰ عَبْدِهِ قَضَاءً مُقَيَّدًا بأنْ يَدْعُوه، فإذا دَعَاهُ انْدَفَعَ عَنْهُ»[3].

٧ـ ومن فضائل الدُّعاءِ: أنَّهُ سببٌ لرَفْعِ البلاءِ بَعْدَ نُزُولِهِ:

فَفِي «سُنن التِّرمذيِّ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيْحِ الجَامع»[4] مِنْ حَدِيْثِ عبد الله بن عُمَرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**إنَّ الدُّعاءَ يَنْفَعُ ممَّا نزلَ، وممَّا لم ينزلْ؛ فعَلَيْكُمْ ـ عبادَ اللهِ ـ بالدُّعاء**».

تلك ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ بَعْضُ فضائلِ الدُّعاءِ.

---

(١) رَوَاهُ الترمذي (٢/ ٢٠)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (١٥٤).
(٢) «تحفة الذاكرين» (ص٢٩).
(٣) المرجع السابق (ص٣٠).
(٤) رَوَاهُ الترمذي (٣٥٤٨)، وحسنه الألباني فِي «صَحِيحِ سُنن الترمذي» (٣٤٠٩).

وللدُّعاءِ شُروطٌ، لابُدَّ مِنْ توافرها، حتَّى يكون الدُّعاء مستجابًا مقبولاً:

١ـ الإخلاص في الدُّعاءِ:

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الجن:١٨].

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٩٧].

وقَالَ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

وجملة (مِن دُونِ الله) شاملةٌ لكُلِّ ما يُعْبدُ من دُونِ الله: من جماد، أو نباتٍ، أو حيوانٍ، أو إنسانٍ، أو صَنَم، أو شَمسٍ، أو وَليٍّ، أو نبيٍّ، إلىٰ غيرِ ذَلِكَ.

وفي «سُنن التِّرْمذيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيْح، صحَّحَهُ الألباني فِي «صَحِيْح الجامع»[١] مِنْ حَدِيْث ابْنِ عبَّاس ـ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «وإذا سألتَ فاسألِ الله، وإذا استعنتَ فاستعِنْ بالله».

٢ـ ومن شروطه الاعتقادُ الجازمُ بأنَّ اللَّه ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ هو القادرُ على إجابةِ دعائه ـ:

فلا يدعو إلَّا اللهَ ـ ولا يجلبُ له النَّفْعَ، ولا يكشِفُ عَنْهُ السُّوءَ إلَّا اللهُ.

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النَّمل: ٦٢].

---

(١) رَوَاهُ الترمذي (٢٥١١)، وحسنه الألباني فِي «صَحِيْحِ الجَامِع» (٧٩٥٧).

٣ـ ومن شروطِ الدُّعاءِ أنْ يتوسَّلَ إلى اللَّهِ بأَحَدِ أنواعِ التوسُّلِ المشروعةِ، والمشروعُ ثلاثةُ توسُّلاتٍ، وهي:

أولاً ـ التوسُّل باسم من أسماءِ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ، أو صفة من صفاتِه، كأنْ يقولَ: يا كريمُ، أكْرِمْنِي، يا رحمنُ ارْحمني، يا توابُ تُبْ عليَّ، يا غفارُ اغفر لِي.

ودليلُ ذَلِكَ قولُهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ثانيًا ـ التوسُّلُ إلىٰ اللهِ بصالح الأعمالِ، كأنْ يقول المُسلمُ: اللَّهُمَّ إنِّي أسأَلُكَ بإيماني بك، أو بمحبَتِي لك أَو اتِّبَاعي لِرَسُولِك، أو أنْ يَذكُرَ بَيْنَ يَدَي دعائِهِ عَمَلاً صالحًا عَمِلَهُ، ثمَّ يتوسَّل به إلىٰ الله.

ويدلُّ علىٰ ذَلِكَ قولُ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٦﴾ [آل عِمْرَانَ: ١٦].

ومن ذَلِكَ قصةُ أصحابِ الغارِ الثلاثةِ، فإنَّ كلاًّ منهم توسَّل إلىٰ اللهِ بعملٍ صالح، فاستجاب اللهُ لهم.

ثالثًا ـ التوسُّل إلىٰ اللهِ بدعاءِ رجلٍ صالح، حيٍّ حاضر قادر، وقولُنا: حيٍّ حاضر قادر احترازًا من دعاءِ الأمواتِ والغائبين، الذين لا يَقْدِرون علىٰ دَفْع الضُّرِّ عن أنفسهم، فدعاؤهم شِرْكٌ باللهِ، وكذَلِكَ الاعتقادُ أنَّهم يَضُرُّون أَوَ ينفعون، من الشِّرْكِ الذي لا يَغْفِرُهُ الله.

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ۝٤٨﴾ [النِّساء: ٤٨].

ودليلُ التوسُّلِ إلىٰ اللهِ بدعاءِ رجلٍ صالحٍ حيٍّ حاضرٍ قادرٍ، ما جاء في

«الصحيحين »[(١)] مِنْ حَدِيْث أنس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: «بَيْنَا النبيُّ ـ ﷺ ـ يَخْطُبُ في يوم جُمُعة، قام أعرابيٌّ فقَال: يا رسولَ الله، هَلَكَ المالُ وجاعَ العيالُ: فادْعُ اللهَ لنا. فَرَفَعَ يَدَيْهِ ـ وما نَرَىٰ في السَّماءِ قَزَعَةً ـ فوالَّذي نفسي بيده، ما وَضَعَهُما حتَّىٰ ثارَ السَّحابُ أَمْثَالَ الجِبالِ، ثمَّ لم يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِه، حتَّىٰ رَأَيْتُ المطرَ يَتَحادَر علىٰ لحيتِه ـ ﷺ ـ » .

ومن ذَلِكَ ما جاء في توسُّلِ الصَّحابةِ بدعاءِ العبَّاسِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ.

فَفي «صحيح البخاري »[(٢)] مِنْ حَدِيْث أنسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ : أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّاب ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ كَانَ إذا قَحَطُوا استسقىٰ بالعبَّاس بْنِ عَبْدِ المُطَّلب، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إنَّا كُنَّا نتوسَّلُ إليك بنبيِّنا فتَسْقِينا، وإنا نتوسَّلُ إليك بعمِّ نبيِّنا فاسْقِنا » . قَالَ: فَيُسْقَوْنَ.

٤ـ ومن شروطِ الدُّعاءِ إظهارُ الافتقارِ والذِّلَّة، والاعترافُ بالذَّنْبِ والتقصير:

يدلُّ علىٰ ذَلِكَ قولُهُ ـ تَعَالَىٰ ـ عن يُونُسَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ : ﴿ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

٥ـ ومن شروطِ الدُّعاءِ تجنُّبُ الاستعجالِ:

فَفي «الصَّحِيْحَيْن »[(٣)] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُريرة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**يُسْتجابُ لأَحَدِكُمْ ما لم يَعْجَلْ، يقولُ: دَعَوْتُ، فلم يُسْتَجَبْ لي** » وفي لَفْظِ مُسْلِم: «**لا يزالُ يُستجابُ للعبدِ ما لم يَدْعُ بإثمٍ، أو قطيعةِ رَحِم، ما لم يَسْتَعْجِلْ** » .

قيل: يا رسولَ الله، ما الاستعجالُ؟ ، قَالَ: «**يقولُ: قَدْ دَعَوْتُ، وقَدْ دَعَوْتُ،**

(١) رَوَاهُ البخاري (٩٣٣) ، واللفظ له ، ومُسْلم (٨٩٧) .
(٢) رَوَاهُ البخاري (١٠١٠) .
(٣) رَوَاهُ البخاري (٦٣٤٠) ، ومُسْلم (٢٧٣٦) .

فلم أَرَ يستجيبُ لي، فَيَسْتَحْسِرُ عندَ ذَلِك، وَيَدَعُ الدُّعَاءَ » .

قَالَ ابن حَجَرٍ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : «معنىٰ يستحسر: ينقطع.

وفي هذا لحديث أَدَبٌ من آدابِ الدُّعاءِ، وهو أنْ يُلازِمَ الطَّلَبَ، ولا يَيْأَس من الإجابةِ؛ لما في ذَلِكَ من الانقيادِ والاستسلامِ، وإظهارِ الافتقارِ » [1] .

٦ـ ومن شروطِ الدُّعاءِ، الدُّعاءُ بالخَيْرِ:

فَفِي «صَحِيْح مُسْلم » [2] مِنْ حَدِيْثِ أَبي هُريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**يُستجاب للعبد ما لم يَدْعُ بإثم، أو قطيعةِ رَحِمٍ** » .

٧ـ ومن شروطِ الدُّعاءِ حُسْنُ الظنِّ باللّهِ ـ عَزَّ وجلَّ ـ:

فَفِي «سُنن التِّرْمذيِّ » بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حسَّنهُ الألبانيُّ في «صَحِيْح الجَامع » [3] مِنْ حَدِيْث أَبي هُريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «ادعوا اللهَ وأنتمْ مُوقِنُونَ بالإجابةِ » .

٨ـ ومن شروط الدُّعاءِ حُضُورُ القَلْبِ:

فَفِي «سُنن التِّرْمذيِّ » بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ، في «صَحِيْح الجَامع » [4] مِنْ حَدِيْث أَبي هُريرة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**واعلموا أَنَّ الله لايَسْتجيبُ دُعاء مِنْ قلبٍ غافلٍ لاهٍ** » .

٩ـ ومن شروطِ الدُّعاءِ إطابةُ المأْكَلِ، والمَشْرَبِ، والمَلْبَسِ:

فيقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧].

---

(١) فتح الباري (١١/ ١٤١) .
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٧٣٥) .
(٣) رَوَاهُ الترمذي (٣٤٧٩) ، وحسنه الألباني في«صحيح الجامع» (٢٤٥) .
(٤) رَوَاهُ الترمذي (٣٤٧٩) ، وحسنه الألبانئ في«صحيح الجامع» (٢٤٥) .

وفِي « صَحِيْح مُسْلِم »[١] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُريرةَ ـ رَضيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «أيُّها الناس، إنَّ اللهَ طَيِّب لا يَقْبَلُ إلَّا طيِّبًا،وإنَّ اللهَ أَمَرَ المُؤْمنين بما أَمَرَ به المُرْسلينَ » ، فقَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ ﴾ [المؤمنون: ٥١].

وقَالَ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ [البقرة: ١٧٢].

ثمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَهُ إلىٰ السماءِ: ياربِّ، ياربِّ. ومَطْعَمُهُ حرامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرامٌ، ومَلْبَسُهُ حرامٌ، وغُذيَ بالحرامِ، فأنَّىٰ يُسْتَجابُ لَهُ؟! » .

وأستغفرُ الله.

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٠١٥) .

الخطبة الثانية:

أَوقات يُستجاب فيها الدعاء

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العالمينَ والصلاةُ والسلامُ علىٰ أشرفِ المُرْسلينَ، وعلىٰ آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا النَّاسُ، فتقدَّم الحَدِيْث مَعَكمُ -أَيُّهَا النَّاسُ- عن الدُّعاء، وبَعْض فضائِلِه وشروطه، والآنَ حديثي مَعَكُمْ عَنِ الأَوْقَاتِ التِّي يُسْتجابُ فِيْهَا الدُّعاءُ، فهناك أوقاتٌ يُسْتجابُ فِيْهَا الدُّعاءُ، منها:

وَقْتُ السَّحَرِ:

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ١٨﴾ [الذاريات: ١٨].

وَفي «الصَّحِيْحَيْن»[١] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُريرةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ أنَّ رسولَ الله -ﷺ- قَالَ: «**يَنْزلُ رَبُّنا ـ تَبَارَك وَتَعَالَىٰ ـ كُلَّ ليلة إلىٰ السَّمَاء الدُّنيا، حِيْنَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فيقولُ: مَنْ يَدْعُوني فأستجيبَ لَهُ؟، مَنْ يَسْأَلُني فأُعْطِيَهُ؟، مَنْ يَسْتَغفِرُني فأَغْفِرَ لَهُ؟**».

ومِنْ أوقاتِ الاستجابةِ عندَ النِّداء للصَّلَواتِ المكتوبةِ، وعندَ زَحْفِ الصُّفُوفِ، والتحامِها في المَعْركة، وعِنْدَ نُزُولِ المَطَرِ.

فَفِي «سُنن أَبِي داودَ» بِسَنَد صَحِيْح، صحَّحَهُ الأَلْبانيُّ في «صَحِيْح سُنَن أَبِي داودَ»[٢] مِنْ حَدِيْثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله

---

(١) تَقَدَّمَ تَخْرِيْجه.

(٢) رَوَاهُ أبو داود (٢٥٤٠)، وصححه الألباني فِي «صَحِيْحِ سنن أَبِي داود (٢٢١٥).

-ﷺ-: «**ثِنْتَانِ لا تُرَدَّانِ ـ أو قلما تُرَدَّانِ ـ: الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ، وعِنْدَ البَأْسِ، حِيْنَ يُلحِمُ بَعْضَهُمْ بَعْضًا**».

وأخرج الحاكمُ في «مستدركه» بسندٍ حسن، حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي«صَحِيْح الجامع»[1] مِنْ حَدِيْث سَهْل بْن سَعْد ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**ثِنْتَانِ ما تُرَدَّانِ: الدُّعَاءُ عندَ النِّداءِ، وتَحْتَ المَطَرِ**».

ومن أوقاتِ إجابةِ الدُّعاءِ بَيْنَ الأذانِ والاقامة:

فَفِي «سُنن أَبي داودَ» بِسَنَدٍ صَحِيْح، صحَّحَهُ الألباني فِي«صَحِيْح سُنن أَبي داودَ»[2] مِنْ حَدِيْث أَنَس بْن مالك ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**لا يُرَدُّ الدُّعاءُ بَيْنَ الأَذَانِ والإِقَامَة**».

ومن أوقاتِ إجابةِ الدُّعاءِ الساعةُ الَّتي في يوم الجُمُعة:

فَفِي «الصَّحِيْحَيْن»[3] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُريرةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ أَنَّ رسولَ الله -ﷺ- ذكرَ يومَ الجُمُعة، فقَالَ: «**فيه ساعةٌ، لا يُوافقُها عبدٌ مُسلمٌ وهو قائم يُصلِّي يَسْأَلُ الله ـ تَعَالَىٰ شيئًا ـ إلَّا أَعْطَاهُ إيَّاهُ**» وَأَشَار بيدِه يُقَلِّلُها،وقد اختلف العلماءُ في تحديدِ وَقْتِها.

فقيل: إنها وقتُ دُخُولِ الخطيب.

وقيل: إنَّها بَعْدَ العَصْرِ، ورجَّح هذا القولَ ابْنُ القيِّم ـ رَحِمَهُ الله ـ[4].

ومن أوقاتِ الاستجابة عندَ شُرْبِ ماءِ زَمْزَمَ:

فَفِي «سُنن ابن مَاجَهْ» بسندٍ صحيح، صَحَّحَهُ الألبانيُّ فِي«صَحِيْح سُنن ابن

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ١١٤)، وحسنه الألباني فِي«صَحِيْح الجامع» (٣٠٧٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٢١)، وصححه الألباني فِي«صَحِيْح سُنن أَبِي داود» (٤٨٩).

(٣) رَوَاهُ البخاري (٩٣٥)، وَمُسْلم (٨٥٢).

(٤) انظر: «زاد المعاد» (١/ ٣٧٨).

مَاجَهْ »[١] مِنْ حَدِيْث جـابر بن عبـد الله ـ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ـ قَالَ: سمعتُ رسولَ الله -ﷺ- يقولُ: «مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ» .

ومن أوقاتِ إجابةِ الدُّعاءِ في السُّجودِ:

فَفِي «صَحِيْح مُسْلِم »[٢] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: «**أَقْرَبُ ما يكونُ العبدُ مِنْ ربِّهِ وهو ساجدٌ؛ فأَكْثروا الدُّعاءَ**».

وهناك ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ دَعَواتٌ مُسْتجاباتٌ: دَعْوةُ الوالدِ علىٰ وَلَدِه، ودَعْوَةُ المظلوم، ودَعْوَةُ المسافِر، ودَعْوَةُ الوالِدِ لوَلَدِه، ودَعْوةُ الصائم، ودَعْوَةُ الولدِ الصَّالح لوالدَيْه.

فقد روىٰ البخاري في «الأدب المفرد »[٣] بِسَنَد صَحِيْح، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي«صَحِيْح الأدب المفرد » مِنْ حَدِيْث أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ عن النبيِّ -ﷺ- قَالَ: «**ثَلاثُ دَعَواتٍ مُسْتَجاباتٍ: دعوةُ المظلومِ، ودعوةُ المسافِرِ، ودعوةُ الوالِدِ علىٰ وَلَدِه**» .

وروىٰ البيهقيُّ بسندٍ حسن، حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي«صَحِيْح الجامع»[٤] مِنْ حَدِيْث أنس بن مالك ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: «**ثلاثُ دَعَواتٍ لا تُرَدُّ: دَعْوَةُ الوالِدِ لِوَلَدِهِ، ودعوةُ الصائم، ودعوةُ المسافر**» .

وفِي « صَحِيْح مُسْلِم »[٥] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُريرةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ أَنَّ رسولَ الله -ﷺ- قَالَ: «**إذا ماتَ ابْنُ آدَمَ انقطعَ عَمَلُهُ إلَّا مِنْ ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أو وَلَدٍ صالحٍ يَدْعو له**» .

(١) رَوَاهُ ابن مَاجَهْ (٣٠٦٢) ، وصححه الألباني في «سُنن ابن مَاجَهْ» (٢٤٨٤) .
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٤٨٢) .
(٣) «الأدب المفرد» (٤٨١) ، و«صحيح الأدب المفرد »، للألباني (٣٧٢) .
(٤) رَوَاهُ البيهقي ، وصححه الألباني فِي«صَحِيْحِ الجامع» (٣٠٣٢) .
(٥) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٦٣١) .

أيها الناس : إن ثمرة الدعاء مضمونة بإذن الله ، فَفِي مُسند أحمد بسند حسن حسنه الألباني فِي «صَحِيْح الجامع» [(١)] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ: **«مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْعُو بِدُعَاءٍ إِلاَّ آتَاهُ الله مَا سَأَلَ أَوْ كَفَّ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهُ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ»** .

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ اللهَ حييٌّ كريمٌ، وقد أمر بالدُّعاءِ، ووعَد بالاستجابة.

فقَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ ﴾ [غافر: ٦٠].

وفي «سُنن أَبِي داود» بِسَنَدٍ صَحِيْح، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْح الجامع» [(٢)] مِنْ حَدِيْث سَلْمانَ الفارسيِّ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ: **«إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كريمٌ، يستحي مِنْ عَبْدِهِ إذا رَفَعَ يَدَيْهِ إليه ـ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»** .

واللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ يستجيبُ دَعْوةَ عَبْدِهِ المؤْمن، ويُعطيه أَحَدَ ثلاثِ خِصالٍ، دلَّ على ذَلِكَ الحديث الآتي:

فقد أخرج البخاريُّ في «الأدب المفرد» بسندٍ صحيح، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْح الأدب المفرد» [(٣)] مِنْ حَدِيْث أَبِي سعيدٍ الخُدْريِّ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ أَنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ قَالَ: **«ما مِنْ مُسلم يَدْعو بدعوةٍ، لَيْسَ فِيهَا إثمٌ، ولا قطيعةُ رَحِمٍ إِلَّا أعطاهُ اللهُ إِحْدَىٰ ثلاث: إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ له دَعْوتَهُ، وإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا له في الآخِرَة، وإِمَّا أَنْ يَدْفَعَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَها»** .

وأخرج البخاري ـ أيضًا ـ فِي «صَحِيْح الأدب المفرد» بِسَنَدٍ صَحِيْح، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْحِ الأدب المفرد» [(٤)] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُريرةَ ـ عَنِ

(١) رَوَاهُ أحمد (٣/ ١٨)، وحسنه الألباني فِي «صَحِيْح الجامع» (٥٦٧٨) .
(٢) رَوَاهُ أبو داود (١٤٨٨) ، وصححه الألباني فِي «صَحِيْح الجامع» (١/ ١٧٥٧) .
(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧١٠)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٥٤٧).
(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧١١)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٥٤٨).

النبيِّ -ﷺ- قَالَ: «**ما مِنْ مؤمن يَنْصِبُ وَجْهَهُ إلىٰ اللهِ، يَسْأَلُهُ مسألةً - إلَّا أعطاه إيَّاها، إمَّا عَجَّلها له في الدُّنيا، وإمَّا دخرها له في الآخرةِ، ما لم يَعْجَلْ** » .

قَالَوا: يا رسولَ اللهِ، وما عَجَلَتُهُ؟ قَالَ: «**يقولُ: دَعَوْتُ ودَعَوْتُ، ولا أراهُ يُسْتجابُ لي** » .

﴿ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [التحريم: ٨].





٤٥ التوبة

الخطبة الأولى:

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُور أَنْفُسنا، ومِنْ سَيِّئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أَمّا بعدُ؛ فإِنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد- ﷺ-، وشرَّ الأُمُور مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثة بدعةٌ، وكلّ بِدْعَة ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّار.

أَمّا بَعْدُ: أَيُّهَا النَّاسُ، فَتَقَدَّم الحديث مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَن **(التوبة)**، والتَّوبةُ أَمْرُها عظيمٌ، ومنزلتُها من الدِّينِ عاليةٌ، فهي واجبةٌ من كُلِّ ذَنْب.

ولقد فتح اللهُ ـ تَعَالَىٰ ـ بابَ التوبةِ، ووعد بقَبُولِها، مهما عَظُمتِ الذُّنوبُ.

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الزُّمَر: ٥٤].

وقَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الشُّورىٰ: ٢٥].

وقَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء: ١١٠].

وقَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [المائدة: ٧٣].

ثُمَّ قَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ محرضًا لهم علىٰ التوبة : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [المائدة: ٧٤].

قَالَ ابن كثير ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : «وهذا مِنْ كَرَمِهِ ـ تَعَالَىٰ ـ وَجُودِهِ، ولُطْفِهِ ورحمَتِهِ بخَلْقِهِ مع هذا الذَّنْبِ العظيم، وهذا الافتراءِ والكَذِبِ والإفكِ، يدعوهم إلىٰ التوبةِ والمغفرةِ، فكُلُّ مَنْ تابَ إِلَيْهِ تابَ عليه »(١).

وقَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾ [البُروج: ١٠].

قَالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : «انظروا إلىٰ هذا الكَرَمِ والجُودِ، قَتَلُوا أولياءَهُ، وهو يدعوهم إلىٰ التوبة! »(٢).

وللتوبةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ فضائل عظيمةٌ، لا تكاد تُحْصَرُ،

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٦٩) .
(٢) المرجع السابق (٨/ ٢٣٣) .

فمن فضائِلها: أنَّها سببٌ للفلاحِ والفَوْزِ بسعادةِ الدَّارَيْنِ:

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور: ٣١].

ومن فضائلِ التوبةِ أنَّ اللَّهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتعالَى ـ يغفرُ بها الذُّنوبَ، مهما عظُمَتْ، ومهما كَثُرَتْ:

قَالَ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزُّمر: ٥٣].

ومن فضائلِ التوبةِ، أنَّ اللَّهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتعالَى ـ يُبَدِّلُ سيِّئاتِ صاحِبها حسناتٍ، متى حَسُنَتْ توبَتُه:

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفُرْقان: ٧٠].

ومن فضائل التَّوبةِ أنَّها محبوبةٌ إلى اللَّهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتعالَى ـ:

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

ومن فضائلِ التَّوبةِ أنَّها مِنْ أَثرِ رحمةِ اللَّهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتعالَى ـ لعبادِه:

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النساء: ٢٦ ـ ٢٨].

ومن فضائلِ التوبةِ أنَّها سببٌ لحُلولِ الخَيْرات:

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾ [هُود: ٣].

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نُوح: ١٠ ـ ١٢].

ومن فضائل التوبةِ أنَّ اللَّهَ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ يَفْرَحُ بتوبةِ التَّائبين:

فَفِي «الصَّحِيْحَيْن»[1] مِنْ حَدِيْث أنس بْن مالك ـ رَضيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ: «**لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بتوبة عَبْدِه ـ حِيْنَ يَتُوبُ إِلَيْه ـ مِنْ أَحَدِكُمْ، كَانَ علىٰ راحِلَته بأرض فَلاَة، فأنفَلَتَتْ مِنْهُ، وعليها طعامُهُ وشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فأتىٰ شجَرَة، فاضْطَجَعَ في ظلِّهَا، وقد أيسَ من رَاحلَته، فَبَيْنَما هُوَ كَذَلك، إذْ هُوَ بها قائمةً عِنْدَهُ، فأخَذ بخطامهَا، ثُمَّ قَالَ ـ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ ـ: اللَّهُمَّ أنتَ عَبْدِي، وأنا ربُّك، أخطَأَ مِنْ شدَّةِ الفَرَحِ**».

وَمِنْ **دُررِ العلاَّمَة ابْن القيِّم ـ رَحِمَهُ الله ـ قولُهُ**: «التَّوبَةُ هِيَ حقيقةُ دِيْنِ الإِسْلاَم، والدِّيْنُ كُلُّهُ دَاخِلٌ في مُسَمَّىٰ التَّوبَة، وبهذا استحقَّ التَّائبُ أن يَكُونَ حبيبَ الله، فإنَّ الله يُحبُّ التَّوابين، ويُحبُّ المُتَطَهِّرينَ، وإنما يُحبُّ اللهُ مَنْ فَعَلَ ما أَمَرَ به، وتَرَكَ ما نَهَىٰ عَنْهُ. فإذًا التوبَةُ: هِيَ الرُّجُوعُ عَمَّا يَكْرَهُهُ اللهُ ظاهرًا وباطنًا إلىٰ ما يُحبُّهُ ظاهِرًا وباطِنًا، ويَدْخُلُ في مُسَمَّاها الإسلامُ، والإيمانُ، والإحسانُ، وتَتَنَاوَلُ جميعَ المقامات؛ ولهذا كانتْ غاية كُلِّ مُؤْمن، وبداية الأَمْر، وخاتمَتَهُ، وهي الغايةُ الَّتي وُجدَ لأَجْلهَا الخَلْقُ، والأَمْرُ والتَّوْحِيدُ جُزءٌ مِنْهَا، بلَ هُو جُزْءُهَا الأَعْظَمُ الذي عليه بناؤها.

(١) رَوَاهُ البخاري (٦٣٠٨)، وَمُسْلم (٢٧٤٢)، واللفظ له.

وأَكْثَرُ الناس لا يعرفُونَ قَدْرَ التَّوْبَةِ، ولا حَقيقَتَها، فَضْلاً عن القيام بهَا عِلْمًا، وعملاً، وحَالاً، ولَمْ يَجْعَلِ اللهُ ـ تَعَالَىٰ ـ محبَّتَهُ للتَّوَّابينَ إلَّا وَهُمْ خَواصُّ الخَلْق لَدَيْه، ولولاَ أنَّ التَوْبَةَ اسمٌ جامعٌ لشرائع الإسلام، وحقائق الإيمان ـ لَمْ يَكُن، الرَّبُّ ـ تَعَالَىٰ ـ يَفْرَحُ بتَوْبَةِ عَبْدِهِ ذَلِكَ الفَرَحَ العَظِيمَ، فَجَميعُ ما يتكلَّمُ فِيهِ النَّاسُ من المقاماتِ والأَحْوالِ ـ هُوَ تفاصيلُ التَّوبةِ وآثارُها » [١] .

أَيُّهَا النَّاسُ، تلك بَعْضُ فضائل التَّوبة.

ومن أسماء الله الحُسْنىٰ (التَّوَّابُ) الذي لم يَزَلْ يتوبُ علىٰ التائبين، ويغفرُ ذُنوبَ المُنيبين، فَكُلُّ مَنْ تَابَ إلىٰ الله توبةً نصوحًا، تاب الله عليه.

فهو التَّائبُ علىٰ التَّائِبين أوَّلاً بتوفيقهم للتَّوبةِ، والإقبالِ بقلوبهم إِلَيْهِ، وهو التَّائِب عليهم بَعْدَ توبتهم، قَبُولاً لها، وعَفْوًا عَنْ خطاياهم[٢] .

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٤].

ولَقد مَنَحَنَا اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ مُهْلَةً للتَّوبةِ، قَبْلَ أنْ يَقومَ الكِرامُ الكاتبون بالتدوين.

روىٰ الطَّبرانيُّ في «الكبير»، والبَيهَقِيُّ في «الشُّعَب» بسند حسن، حَسَّنَهُ الأَلْبَانيُّ في «الصحيحة» [٣] مِنْ حَديْث أَبي أُمامَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله – ﷺ –: «**إنَّ صاحبَ الشِّمال لَيَرْفَعُ القَلَمَ سِتَّ ساعات عَن العبدِ المُسلِمِ المُخْطِئِ ـ أو المُسيءِ ـ فإنْ نَدِمَ، واستغفرَ الله مِنْهَا، أَلْقَاها، وإلَّا كتب واحدة**» .

(١) «مَدَارِجُ السَّالِكِيْن» (١/ ٣٠٦-٣٠٧) .
(٢) تفسير ابن سَعْدي (ص ٣٥١) .
(٣) رَوَاهُ الطبراني في «الكبير» (٢٥/ ٢)، والبيهقي في الشُّعب» (٢/ ٣٤٩)، وصححهُ الألباني في «الصحيحة» (١٢٠٩) .

فعلينا ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ التَّوبةُ من كُلِّ ذَنْبٍ، صغيرًا كَانَ أو كبيرًا، فإِنَّ من البلاءِ احتقار الصَّغائرِ من الذُّنوب.

فَفِي «مُسندِ أحمدَ» بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْح الجَامع»[1] مِنْ حَدِيْث سَهْلِ بْنِ سَعْد ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**إياكم ومُحقَّرات الذُّنوبِ؛ فإِنَّما مَثَلُ مُحقَّرات الذُّنوب كَمَثَلِ قوم نَزَلُوا بَطْن وادٍ، فجاءَ ذا بعُودٍ، وجاء ذا بِعُودٍ، حَتَّىٰ حملُوا ما أَنْضَجُوا بِهِ خُبْزَهُمْ، وإِنَّ مُحَقَّراتِ الذُّنوبِ متىٰ يُؤْخَذ بها صاحِبُها تُهْلِكهُ**».

وكما يجبُ علينا ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَدَمُ احتقارِ الصَّغائِر، فإِنَّهُ يجبُ علينا أَنْ نُحْسِنَ الظَّنَّ باللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعالَىٰ ـ.

فَفِي «مُسند أحمد» بسندٍ صحيح، صحَّحَه الألبانيُّ فِي «صَحِيْح الجَامع»[2] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنْ رسول اللهِ ـ ﷺ ـ: أَنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ قَالَ: «أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، إِنْ ظَنَّ بي خَيْرًا فَلَه، وإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ».

وفِي «صَحِيْح مُسْلِم»[3] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النبيِّ ـ ﷺ ـ فيما يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ قَالَ: «**أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فقالَ: اللَّهُمَّ، اغْفِرْ لي ذَنْبِي. فقالَ ـ تَبارَكَ وَتَعالَىٰ ـ: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، ويأْخُذُ بالذَّنْبِ. ثُمَّ عَادَ فأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، اغْفِرْ لي ذَنْبِي. فقَالَ: تبَارَكَ وتَعالَىٰ ـ: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ ربا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْب. ثمَّ عَاد فأَذْنَبَ، فقالَ: أي رَبِّ، اغفِرْ لِي ذَنْبِي. فقالَ تَبارَكَ وَتَعالَىٰ ـ: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ ربا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، ويأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَل ما شِئْتَ**

(١) رَوَاهُ أحمد (٥/ ٣٣١)، وصححه الألباني فِي «صَحِيْح الجامع» (٢٦٨٦).
(٢) رَوَاهُ أحمد (٢/ ٣٩١)، وصححه الألباني فِي «صَحِيْحِ الجامع» (٤٣١٥).
(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٧٥٨).

فَقَدْ غَفَرْتُ لك » .

أَيُّها النَّاسُ، إليكم نموذجًا من توبةِ صحابةِ رسولِ اللهِ - ﷺ -، والَّتي تبين لنا كَيْفَ كَانَ خَوْفُهم مِنَ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ؟

فَفِي «صَحِيح مُسْلم » [١] مِنْ حَدِيْث بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: جَاءَ ماعِزُ بْنُ مَالك إِلَىٰ النَّبِيِّ - ﷺ -، فقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، طَهِّرْني. فقَالَ: «**وَيْحك ارْجِعْ، فاسْتَغْفِر اللهَ، وَتُبْ إِلَيْهِ!** » قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيد، ثُمَّ جاءَ فقَالَ: يَارَسُولَ اللهِ، طَهِّرْنِي. فقَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**وَيْحَك ارْجِعْ، فاسْتَغْفِر اللهَ، وَتُبْ إِلَيْهِ!** »، قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ جاء فَقَالَ: يا رَسُولَ اللهِ، طَهِّرْنِي. فَقَالَ النَّبيُّ - ﷺ -: مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّىٰ إِذا كانت الرَّابِعَةُ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**فِيمَ أُطَهِّرُكَ؟** » . فَقَالَ: مِنَ الزِّنَىٰ. فَسَأَلَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**أَبِهِ جُنُونٌ؟** » فَأخبر أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ. فَقَالَ: «**أَشَرِبَ خَمْرًا؟** » فَقَامَ رَجُلٌ فاسْتَنْكَهَهُ (أي شَمَّ رَائِحَتَهُ) فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خَمْرٍ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**أَزَنَيْتَ؟** » فقَالَ: نَعَمْ. فأَمَرَ به فَرُجِمَ، فكَانَ النَّاسُ فيه فِرْقَتَيْنِ، قائِلٌ يَقُولُ: لَقَدْ هَلَكَ، لقد أَحاطَتْ به خطيئَتُهُ. وقائِلٌ يَقُولُ: ما تَوْبَةٌ أَفْضَلُ مِنْ تَوْبَةِ ماعزٍ؛ إِنَّهُ جاء إِلىٰ النَّبي - ﷺ - فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: اقْتُلْنِي بالحِجارَةِ. قَالَ: فَلَبِثُوا ذَلِكَ يَوْمَيْنِ أو ثَلاثَةً، ثُمَّ جاءَ رسولُ اللهِ - ﷺ - وَهُمْ جُلُوسٌ، فَسَلَّمَ، ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ: «**اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بْنِ مَالك** » . قَالَ: فقَالُوا: غَفَرَ اللهُ لِمَاعِزِ بْنِ مالكٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً، لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ** » .

قَالَ: ثُمَّ جاءَتْهُ امْرَأَةٌ من غَامِدٍ مِنَ الأزد، فقَالَتْ: يا رسولَ اللهِ، طَهِّرني. فقَالَ: «**وَيْحَكِ فارجعي، فاسْتَغْفِري اللهَ، وَتُوبي إِلَيْهِ!** » فَقَالَتْ: أَرَاكَ تُرِيدُ أَنْ تَرُدَّني،

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٦٩٥) .

كما رَدَدْتَ ماعِزَ بْنَ مَالِكٍ. قَالَ: «**وَمَا ذَلِكَ؟**» .

قَالَت: إِنَّها حُبْلَىٰ مِنَ الزِّنَىٰ، فَقَالَ: «**آنْتِ؟**» قَالَتْ: نَعَمْ. فقَالَ لها: «**حَتَّىٰ تضعي ما فِي بَطْنِك**» قَالَ: فَكَفَلَها رَجُلٌ من الأنصار حتَّىٰ وضَعَتْ. قَالَ: فأتىٰ النبيَّ – ﷺ – فقَالَ: قدْ وَضَعَتِ الغامِدِيَّةُ. فَقَالَ: «**إِذًا لا نَرْجُمَهَا وَنَدَعُ وَلَدَها صغيرًا، لَيْسَ لَهُ مَنْ يُرْضِعُهُ**» .

فقَالَ رجُلٌ مِنَ الأَنصارِ: إِليَّ رَضَاعُهُ، يا نَبِيَّ اللهِ. قَالَ: فرَجَمَهَا، ثمَّ أمر بها، فصلَّىٰ عليها، ودُفِنَتْ.

وفي رواية: فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: تُصَلِّي عَلَيها ـ يا نبيَّ الله ـ وقدْ زَنَتْ!. فقَالَ: «**لقد تَابَتْ تَوْبَةً، لو قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ، وهَلْ وَجَدْتَ تَوْبَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا للهِ ـ تَعَالَىٰ ـ؟**»[1] .

وأستغفرُ اللهَ.

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٦٩٦) .

الخطبة الثانية :

شروط التوبة

الحَمْدُ لِلَّه ربِّ العالمين، والصلاةُ والسَّلامُ علىٰ أشرفِ المُرسلينَ، وعلىٰ آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

أمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا النَّاسُ، فتقدَّم الحديث مَعَكمُ -أَيُّهَا النَّاسُ- عن التَّوبةِ مع ذِكْرِ شيءٍ من فضائِلها، والآن حديثي مَعَكُمْ عَنْ شُروطِ التَّوبةِ.

أيُّها الناس، إنَّ التَّوبة الصادقة هي الَّتي اجتمع فِيْهَا خمسةُ شُروطٍ:

الشرط الأول ـ الإخلاص للَّه ـ سُبْحَانَهُ وَتَعالَى ـ:

بأن يقصدَ بها وَجْهَ اللهِ ـ تَعالَىٰ ـ راجيًا ثوابَهَ والنَّجاةَ من عَذَابه، والإخلاص لابُدَّ منه لكُلِّ عملٍ صالحٍ، فهو حقيقة الدِّين، ومفتاحُ دعوةِ الرُّسُلِ ـ عَلَيْهِمْ السَّلامُ ـ.

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعالَىٰ ـ: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البيِّنة: ٥].

وَفِي «الصَّحِيْحَيْن» [(١)] مِنْ حَدِيْث عُمَرَ بْن الخَطَّاب ـ رَضيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: سمعتُ رسولَ الله -ﷺ- يَقُولُ: **«إِنَّمَا الأعمالُ بالنِّيَّاتِ، وإِنَّما لكُلِّ امرئ ما نوىٰ، فمن كانتْ هِجْرَتُهُ إلىٰ الله وَرَسُوله، فَهِجْرَتُهُ إلىٰ اللهِ ورسُولِهِ، ومَنْ كانتْ هِجْرَتُهُ لدُنيا يُصيبُهَا، أوِ امْرَأةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إلىٰ ما هَاجَرَ إِلَيْهِ»**.

---

(١) رَوَاهُ البخاري (١/ ٧)، وَمُسْلم (١٩٠٧).

الشرط الثاني ـ النَّدمُ على فِعْلِ المعصيةِ، بحيثُ يحزنُ على فِعْلِها، ويتمنَّى أنَّه لم يفْعَلْها:

فَفِي «سُنن ابن مَاجَهْ» بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْح سُنن ابن مَاجَهْ» [١] مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ مَعْقِلٍ قَالَ: دخلتُ مع أَبِي علىٰ عَبْدِ اللهِ (أي: ابْنِ مسعودٍ)، فسمعتهُ يقولُ: قَالَ رسولُ اللهِ - ﷺ -: «**النَّدَمُ تَوْبَةٌ**». فقَالَ له أَبِي: أنت سمعتَ النبيَّ - ﷺ - يقولُ: «**النَّدَمُ تَوْبَةٌ**»؟ قَالَ: نَعَمْ.

الشَّرْطُ الثالثُ ـ الإقلاعُ عَنِ الذَّنْبِ فَوْرًا:

فإنْ كانتْ فِي حقِّ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ، تَرَكَهَا إنْ كانتْ فِي فِعْلِ مُحَرَّمٍ، وبادر بِفِعْلِها إنْ كانتْ فِي تَرْكِ واجبٍ، وإنْ كانتْ فِي حقِّ مخلوقين، بادرَ بإرجاعِ حقوقِ مَنْ ظلمهم، أو طَلَبَ البراءةَ منهم ـ أي: طلب السماحَ له، وتحليلَهُ منها ـ، لأنَّ التوبةَ تكونُ فِي حقِّ اللهِ، وحقِّ العبادِ، فحقُّ اللهِ يكفي فيه التَّرْكُ، وهناك ما يكفي فيه مع التَّرْكِ الكفَّارَةُ والقضاءُ.

أمَّا حقُّ غَيْرِ اللهِ فيحتاجُ إلىٰ السَّماحِ من المظالمِ، وإلىٰ أداءِ الحُقُوقِ إلىٰ مُسْتحقِّيها، حتَّىٰ يَحْصُلَ الخلاصُ من ذَلِكَ الذَّنْبِ.

فَفِي «الصحيحين» [٢] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**مَنْ كانتْ له مَظْلَمةٌ لأَحدٍ مِنْ عِرْضِه ـ أوْ شيءٍ ـ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليومَ، قَبْلَ ألاَّ يكونَ دينارٌ ولا درْهمٌ، إن كانَ لَهُ عَمَلٌ صالحٌ، أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلِمَتِهِ، وإنْ لم يَكُنْ لَه حسناتٌ، أُخِذَ مِنْ سيِّئاتِ صَاحِبِهِ، فحُمِلَ عَلَيْهِ**».

---

(١) رَوَاهُ ابن مَاجَهْ (٤٢٥١)، وصححه الألباني فِي «صَحِيْح سُنن ابن مَاجَهْ» (٣٤٢٩).
(٢) رَوَاهُ البخاري (٢٤٤٩)، واللفظ له، وَمُسْلم (٢٥٨١).

الشَّرْطُ الرَّابعُ. العَزْمُ على أَلَا يَعُودَ إلى تِلْكَ المعصيةِ فِي المُستقبل:

الشَّرْطُ الخامس . أنْ تكونَ التوبةُ قَبْلَ فواتِ قَبُولِها، إمَّا بحُضُورِ الأَجَلِ، أو بطُلوعِ الشَّمسِ مِنْ مَغْربها:

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ ﴾ [النساء: ١٨].

ومعنىٰ حضور الموت: أَيْ: وقت الغَرْغَرةِ عِنْدما تبلُغُ الرُّوحُ الحُلْقومَ.

لما في «سُنن ابن مَاجَهْ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيْح سُنن ابن مَاجَهْ»[١] مِنْ حَدِيْث عبد الله بن عَمْرو ـ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ـ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ قَالَ: «**إنَّ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لَيَقْبَلُ تَوْبَةَ العبدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**».

وقد ذكر أهلُ العلم أنَّ التوبة في هذه الحالِ توبةُ اضطرارٍ، لا تنفعُ صاحبَها، إنَّما تنفعُ توبةُ الاختيارِ، وهذا كما قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [غافر: ٨٤].

وكما حكم اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ بعَدَم توبةِ أهلِ الأَرْضِ، إذا عاينوا الشَّمسَ طالعةً من مَغْرِبها في قولِه ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٨][٢].

وفي «صَحِيْح مُسْلِم»[٣] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُريرةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ: «**مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها ـ تَابَ الله عَلَيْهِ**».

---

(١) رَوَاهُ ابن مَاجَهْ في «سُننه» (٤٢٥٣)، وحسنه الألباني فِي «صَحِيْحِ سُنن ابن مَاجَهْ» (٣٤٣٠).
(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٤٣).
(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٧٠٣).

أَيُّهَا النَّاسُ، تلك شُرُوط التوبة، فعلينا أنْ نتوبَ إلىٰ الله توبةً نَصُوحًا، قبلَ أنْ يقولَ أَحَدُنا: ﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠].

اللَّهُمَّ اغْفر لنا، وتُبْ علينا إنك أنت التوابُ الرَّحيم.

اللَّهُمَّ اغفرْ لنا ما قَدَّمْنا، وما أَخَّرْنا، وما أَسْرَرْنا، وما أَعْلَنَّا، وما أنتَ أعلمُ به منَّا، إنك أنت المُقدِّمُ والمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ .

اللَّهُمَّ اغفرْ لنا ذَنْبَنا كُلَّهُ، دِقَّهُ وجِلَّهُ، وأَوَّلَهُ وآخِرَهُ، وعلانِيَّتَهُ وسِرَّهُ.



٤٦ خصَائِصُ يومِ الجمعةِ

الخطبة الأولى:

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد -ﷺ-، وشرَّ الأُمُور مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثة بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَة ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّار.

أَمَّا بَعْدُ: فَحدِيْثِي مَعَكمُ اليومَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ **(خصَائص سيِّدِ الأَيَّام، وخيْرِ يومٍ طَلَعَتْ عليه الشمسُ)**، فيه خُلِقَ آدم ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ وفيه أُدْخِلَ الجَنَّةَ، وفيه أُخْرِجَ منها، وفيه تقومُ الساعةُ، وفيه ساعةٌ، لا يُوافِقُها عبدٌ مُسلمٌ، يَسْأَلُ اللهَ خيرًا، إلَّا أعطاه ما سَأَلَ، وفيه صلاةُ الجُمعةِ الَّتي أمرَ اللهُ بالسَّعْي إِلَيْها

في كتابه العزيز، فقال ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الجُمُعة: ٩].

ومن فضائل يوم الجُمعة ـ أيُّها النَّاسُ ـ أنَّ اللَّه ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ اختصَّ به هذه الأُمَّة دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الأُمَم:

فَفِي «الصَّحِيْحَيْن» [١] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُريرة ـ رَضِي الله عنه ـ أَنَّهُ سَمِعَ رسولَ الله ـ ﷺ ـ يقولُ: «**نَحْنُ الآخِرُون السَّابِقُونَ يومَ القيامة، بَيْدَ أَنَّهُم أُوتُوا الكتابَ مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ هذا يَوْمُهُم الَّذي فُرِضَ عَلَيْهِمْ فاخْتَلَفُوا فيه، فَهَدانا الله، فالنَّاسُ لَنَا فِيه تَبَعٌ: اليهُودُ غَدًا، والنَّصارىٰ بَعْدَ غَدٍ**».

ومن فضائله أنَّهُ خَيْرُ يومٍ طلعتْ فيهِ الشَّمْسُ:

فَفِي «سُنن أَبِي داودَ»، والتِّرمذيِّ، والنَّسائيِّ بِسَنَد صَحِيْح، صحَّحه الألبانيُّ فِي «صَحِيْح الجَامع» [٢] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُريرة ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «**خيرُ يوم طَلَعَتْ فيه الشمسُ يومُ الجُمعة: فيه خُلقَ آدَمُ، وفيه أُهْبط، وفيه تِيبَ عليه، وفيه مَاتَ، وفيه تقوم الساعةُ، وما مِنْ دابَّةٍ إِلَّا وهي مُسيخةٌ** (أي منتظرةٌ لقيام الساعة، مُصغيةٌ لها) **يومَ الجُمُعة، مِنْ حين تُصْبِحُ، حتَّىٰ تطلُعَ الشَّمسُ شفقًا من الساعةِ إلَّا الجن والإنْسَ، وفيه ساعةٌ لا يُصادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ ـ وهو يُصَلِّي ـ يَسْأَلُ الله حاجةً، إلَّا أعْطاهُ إيَّاها**».

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٨٧٦)، ومُسْلم (٨٥٥).

(٢) رَوَاهُ أبو داود (١٠٤٦)، واللفظ له، والترمذي (٤٩١)، والنَّسَائِي (٣/ ١١٤)، وصححه الألباني فِي «صَحِيْحِ الجامع» (٣٣٢٩).

ومن فضائله أنَّه من مُكفِّرات الذُّنوب:

فَفِي «صحيح مُسْلم»[١] من حَديْث أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ قَالَ: «**الصلواتُ الخَمْسُ، والجُمُعةُ إلىٰ الجُمُعةِ، ورَمَضانُ إلىٰ رَمَضانَ ـ مُكَفِّرَاتٌ ما بَيْنَهُنَّ، إذا اجْتُنِبَتِ الكبائِرُ** » .

وفي «صَحيْح البخاريِّ» [٢] مِنْ حَديْث سَلْمانَ الفارسيِّ ـ رَضيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**لا يغتسلُ رجلٌ يومَ الجُمُعة، ويتطهَّرُ ما استطاع مِنْ طُهْر، ويَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِه، أو يَمَسُّ مِنْ طِيْبِ بَيْتِه، ثُمَّ يَخْرُجُ، فلا يُفرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْن، ثُمَّ يُصلِّي ما كُتِبَ له، ثُمَّ يُنْصِتُ إذا تكلَّمَ الإمامُ ـ إلَّا غُفِرَ لَهُ ما بَيْنَهُ وبَيْنَ الجُمُعةِ الأُخْرَىٰ** » . وَفِي «الصَّحِيْحَيْن »

وفي « صَحيْح مُسْلم » [٣] مِنْ حَديْث أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ قَالَ: «**مَنْ توضَّأَ، فأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَىٰ الجُمُعة، فاستَمَعَ وأَنْصتَ غُفِرَ لَهُ ما بَيْنَهُ وَبيْنَ الجُمُعةِ، وزيادةُ ثلاثةِ أيَّام، ومَنْ مسَّ الحَصَىٰ فَقَد لَغَا** » .

وصلاةُ الجُمُعة ـ أيُّها النَّاسُ ـ فرضُ عَيْنٍ علىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ، ذكرٍ، حُرٍّ بالغٍ، مُقيم، غَيْر مَعْذُور لأَدِلَّة، منها:

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ [الجُمُعة: ٩].

قَالَ الحافظُ ابن حَجَر ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : «فالأَكْثَرُ أَنَّها فُرِضَتْ بالمدينة، وهو مُقْتَضَىٰ ما تقدَّمَ، أَنَّها فُرِضَتْ بالآيةِ المذكورة، وهي مَدَنيَّةٌ » [٤] .

---

(١) رَوَاهُ مُسْلم (٢٣٣) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٨٨٣) .
(٣) رَوَاهُ مُسْلِم (٨٥٧) .
(٤) «فتح الباري (٢/ ٣٥٤) .

وَفِي «الصَّحِيحَيْن »[١] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّه سمع رسولَ الله- ﷺ- يقولُ: «**نحنُ الآخِرونَ السابقون يومَ القيامةِ، بَيْدَ أنَّهم أُوتُوا الكتابَ مِنْ قَبْلنا، ثمَّ هذا يَوْمُهُمُ الذي فُرِضَ عليهم، فاختلفوا فيه، فهدانا الله، فالناسُ لنا فيه تَبَعٌ: اليَهُودُ غَدًا، والنَّصارىٰ بَعْدَ غدٍ** » .

وفي «سُنن أَبِي داودَ » بسندٍ صحيح، صحَّحَهُ الألبانيُّ في«صَحِيْح سُنن أَبِي داودَ » [٢] مِنْ حَدِيْثِ طارق بْنِ شهاب ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أنَّ النبيَّ- ﷺ- قَالَ: «**الجُمُعَةُ حقٌّ واجبٌ علىٰ كُلِّ مُسلمٍ في جماعةٍ إلَّا أربعةً: عَبْدٌ مَمْلُوكٌ، أو امرأةٌ، أو صَبيٌّ، أو مَرِيضٌ** » .

فتبَيَّن من خِلالِ حديثِ طارقِ بن شهابٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أنَّ صلاةَ الجُمُعةِ فرض عينٍ إلَّا علىٰ مَن استثني، وهم خمسةٌ:

أولاً ـ العَبْدُ المَمْلُوكُ. ثانيًا ـ المَرْأَةُ.

ثالثًا ـ الصبيُّ. رابعًا ـ المريضُ.

خامسًا ـ المسافرُ في أصحِّ قَولَي العلماءِ.

وقد أجمع العلماءُ علىٰ وجوبِ الجُمُعةِ.

قَالَ ابن المُنْذر في كتابه «الإجماع » [٣] : «وأجمعوا علىٰ أنَّ الجُمُعة واجبةٌ علىٰ الأحرارِ البالغين المُقيمين، الذين لا عُذْرَ لهم » .

وقَالَ الإمام ابْنُ رشدٍ في «بداية المجتهد » [٤] : «وُجُوبُ صلاةِ الجُمُعةِ علىٰ الأعيانِ هو الذي عليه الجُمْهُورُ » .

---

(١) تَقَدَّمَ تَخْرِيْجه .
(٢) أخرجه أَبو داود (١٠٦٧) ، وصححه الألباني فِي«صَحِيحِ سُنن أَبِي داود » (٩٤٢) .
(٣) «الإجماع» لابن المنذر (ص٤١) .
(٤) «بداية المجتهد» (١/ ٣٧٩) .

أَيُّهَا النَّاسُ، لقد جاء الوعيدُ الشديدُ لمن تخلَّف عن الجُمُعة لغير عُذْر، فمن ذَلك: ما جاء في «سُنن أَبِي داودُ» بِسَنَد حَسَن صحيح ـ قَالَهُ الألباني فِي «صَحِيْح سُنن أَبِي داودَ» [(١)] مِنْ حديث أَبِي الجَعْد الضَّمْرِيِّ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ أَنَّ رسولَ اللهِ ـ ﷺ ـ قَالَ: «مَنْ تَرَكَ ثلاثَ جُمَعٍ ـ تَهَاوُنًا بهَا ـ طَبَعَ اللهُ علىٰ قَلْبِهِ».

وفِي «صَحِيْح مُسْلِم» [(٢)] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُرَيْرَةَ وعبدِ الله بن عمرو ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَ ـ أَنَّهُمَا سمعا رسولَ اللهِ ـ ﷺ ـ يَقُولُ علىٰ أعوادِ منْبَرِه: **«لَيَنْتَهِينَّ أقوامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الجُمُعات، أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ علىٰ قُلُوبِهِمْ، ثمَّ لَيَكُونَنَّ من الغَافِلِين»**.

وللجُمُعة ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ خصائص كثيرةٌ، ذكرها بَعْضُ أَهْلِ العلمِ [(٣)]، وسوف أقتصرُ علىٰ الثابتِ منها.

فمن خصائصِها ـ قراءةُ سُورةِ السَّجْدةِ فِي فَجْرِ يَوْمِها:

فَفِي «صَحِيْح مُسْلِم» [(٤)] مِنْ حَدِيْث ابن عَبَّاس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّ النَّبيَّ ـ ﷺ ـ كَانَ يقرأُ في صلاةِ الفَجْرِ يومَ الجُمُعة ﴿ الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ السجدة، و﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ ﴾، وأَنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ كَانَ يقرأُ في صلاةِ الجُمُعةِ سُورةَ الجُمُعةِ والمُنافقين.

ومن خصائصها، استحبابُ كَثْرَةِ الصلاةِ على النبي ـ ﷺ ـ فِيهَا:

فَفِي «سُنن أَبِي داودَ» بإسنادٍ صحيح، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْح سُنن أَبِي داودَ» [(٥)] مِنْ حَدِيْث أَوْس بْن أَوْس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: **«إنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُم يَوْمَ الجُمُعة: فيه خُلِقَ آدم، وفيه قُبِضَ، وفيه النَّفْخَةُ،**

---

(١) رَوَاهُ أبو داود (١٠٥٢)، وانظر: «صحيح سُنن أَبِي داود» (٩٢٨).
(٢) تَقَدَّمَ تَخْرِيْجه.
(٣) انظر: «زاد المعاد (١/ ٣٦٣)».
(٤) رَوَاهُ مُسْلِم (٨٧٩).
(٥) رَوَاهُ أبو داود (١٠٤٧)، وصححه الألباني فِي «صَحِيْحِ سُنن أَبِي داود» (٩٢٥).

وفيه الصَّعْقَةُ؛ فأكثروا عليَّ من الصلاةِ فيه؛ فإنَّ صلاتكُمْ مَعْرُوضةٌ عليَّ» .

قَالَ: قَالَوا: يا رسولَ الله، وكيف تُعْرَضُ صلاتُنَا عليك، وقَدْ أَرِمْتَ -يقولون: بَلِيْتَ-؟! فقالَ: **«إنَّ اللهَ -عَزَّ وجلَّ- حرَّمَ علىٰ الأرض أنْ تأكُلَ أَجْسَادَ الأنبياءِ»**.

وروىٰ البيهقيُّ في «سُننه» بسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الألْبَانيُّ فِي «صَحِيْح الجامع»[1] مِنْ حَدِيْث أنس بن مالكٍ -رَضيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: **«أكثروا الصلاةَ عليَّ يَوْمَ الجُمُعةِ، وليلةَ الجُمُعة، فَمَنْ صلَّىٰ عليَّ صلاةً، صلَّىٰ اللهُ عليه بها عَشْرًا»** .

وأخرجَ الحاكمُ في «مستدركه» ، وقَالَ: صحيحُ الإسنادِ، وصحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْح الجَامع» لشواهدِهِ[2] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي مسعودٍ الأنصاريِّ -رَضيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: **«أكثروا الصَّلاةَ عليَّ في يومِ الجُمُعةِ؛ فإنَّهُ لَيْسَ أحَدٌ يُصَلِّي عليَّ يَوْمَ الجُمُعةِ، إلَّا عُرِضَتْ عليَّ صلاتُهُ»** .

ومن خصائصها: أنَّها من أعظم مجامعِ المُسلمين:

كما ذكر ذَلِكَ بَعْضُ أهلِ العِلْمِ.

ومن خصائصها: الأَمْرُ بالاغتسالِ في يَوْمها:

فَفِي «الصَّحِيْحَيْن»[3] مِنْ حَدِيْث ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: **«مَنْ أتَىٰ -وفي روايةٍ: مَنْ جاءَ منكمُ- الجُمُعةَ فَلْيَغْتَسل»** .

وَفِي «الصَّحِيْحَيْن»[4] مِنْ حَدِيْث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْريِّ -رَضيَ اللهُ عَنْهُ- أنَّ النبيَّ -ﷺ- قَالَ: **«غُسْلُ يوم الجُمُعةِ واجبٌ علىٰ كُلِّ مُحْتَلِمٍ»** .

---

(١) رَوَاهُ البيهقي في «سُننه» (٣/ ٢٤٩) ، وحسنه الألباني فِي «صَحِيْح الجامع» (١٢٠٩) .
(٢) أخرجه الحاكم في «مُستدركه» (٢/ ٤٢١) ، وصححه الألباني فِي «صَحِيْح الجامع» (١٢٠٨)
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٨٩٤) ، وَمُسْلم (٨٤٤) .
(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٨٩٥) ، وَمُسْلم (٨٦٤) .

والمُحْتَلِمُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ : هو الرَّجُل البالغُ.

ومن خصائصِها: استحبابُ الطِّيب فِيهَا:

فَفِي «صحيح البخاري»[١] مِنْ حَدِيْثِ سَلْمانَ الفارسيِّ ـ رَضيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**لا يَغْتسلُ رجلٌ يومَ الجُمُعة، ويتَطهَّرُ ما استطاع مِنْ طُهْر، ويَدهِنُ مِنْ دُهْنه، أو يَمَسُّ مِنْ طِيْبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ، فلا يُفرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْن، ثُمَّ يُصلِّي ما كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إذا تَكَلَّمَ الإمامُ ـ إلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وبَيْنَ الجُمُعةِ الأُخْرىٰ**».

وفي رواية مُسْلِم[٢]: «**ويَمَسُّ طِيبًا ـ أو دُهْنًا ـ إنْ كَانَ عندَ أَهْلِهِ**».

ومن خصائصِها: السِّواكُ فِيهَا:

فَفِي «الصَّحِيْحَيْن»[٣] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**لولاَ أنْ أَشقَّ علىٰ أُمَّتِي، لأَمَرْتُهُمْ بالسِّواكِ عندَ كُلِّ صلاةٍ**».

وَفِي «الصَّحيْحَيْن»[٤] مِنْ حَدِيْث عَمْرو بْن سُلَيم الأَنصاريِّ قَالَ: أَشْهَدُ علىٰ أَبِي سعيد قَالَ: أَشْهَدُ علىٰ رسول اللهِ ـ ﷺ ـ قَالَ: «**الغُسْلُ يومَ الجُمُعةِ واجبٌ علىٰ كُلِّ مُحْتَلِم، وأن يَسْتَنَّ، وأنْ يَمَسَّ طِيْبًا إنْ وَجَدَ**».

قَالَ عَمْرُو بْن سُلَيم: «أمَّا الغُسْلُ فأَشْهَدُ أنَّه واجبٌ، وأمَّا الاستِنانُ (أي: الاستياكُ) والطِّيْبُ فالله أعلمُ، أواجبٌ هو أمْ لا؟ ولكن هكذا في الحديث».

---

(١) تَقَدَّمَ تَخْرِيْجه.
(٢) رَوَاهُ مُسْلم (٨٤٨).
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٨٨٧)، وَمُسْلم (٢٥٢).
(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٨٨٠)، وَمُسْلم (٨٤٦).

ومن خصائصها: التبكيرُ للصلاةِ:

فَفي «الصَّحِيْحَيْنِ»[١] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُـريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**مَنِ اغتسلَ يَوْمَ الجُمُعةِ غُسْلَ الجَنَابةِ، ثمَّ رَاحَ، فكأنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، ومَنْ أَتَىٰ في السَّاعةِ الثانيةِ، فكأنَّما قَرَّبَ بقَرَةً، وَمَنْ أتىٰ في الساعةِ الثالثةِ، فكأنَّما قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، ومَنْ أَتَىٰ في السَّاعةِ الرابعةِ، فكأنَّما قَرَّبَ دجَاجةً، ومَنْ أَتَىٰ في السَّاعةِ الخامسةِ، فكأنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فإذا خَرَجَ الإِمَامُ، طَوَتِ الملائكةُ صُحُفَها، وحَضَرُوا يستمعون الذِّكْرَ**».

وأستغفرُ اللهَ.

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٨٨١)، وَمُسْلم (٨٥٠).

الخطبة الثانية:

خصائص يوم الجمعة

الحَمْدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسَّلامُ علىٰ رسولِهِ الأمينِ، وعلىٰ آلهِ وصَحْبِه أجمعين.

أمَّا بَعْدُ، أيُّهَا النَّاسُ، فتقدَّم الحديثُ مَعَكمُ -أيُّهَا النَّاسُ- عَنْ بَعْضِ خصائصِ يوم الجُمُعةِ، وفيما يأتي ذِكْرُ بَعْضِها:

فمن خصائِصِها -أيُّهَا النَّاسُ- قراءةُ سُورةِ الكَهْفِ في يومها:

فَفِي «مستدرك الحاكم» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحَهُ الألبانيُّ في «إرواء الغليل»[1] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي سعيد الخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنَّ النبيَّ -ﷺ- قَالَ: «**مَنْ قَرَأَ سُورةَ الكَهْفِ فِي يَوْمِ الجُمُعَةِ، أَضاءَ له مِنَ النُّورِ ما بَيْنَ الجُمُعَتَيْنِ**».

ومن خصائصها: أنَّه يُستحبُّ أن يلبسَ المرءُ فِيْهَا أَحْسَنَ الثِّيابِ الَّتِي يَقْدِرُ عليها من لِباسِهِ الشَّرعيِّ:

فَفِي «مُسند أحمدَ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ في «التعليق علىٰ صحيح ابن خُزَيْمةَ»[2] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ -ﷺ- يقول: «**مَن اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعة، ومَسَّ مِنْ طِيْبٍ -إِنْ كَانَ له- وَلَبِسَ مِنْ أَحْسَنِ ثيابه، ثُمَّ خَرَجَ، وعليه السكينةُ حتَّىٰ يَأْتِي المَسْجِدَ، ثمَّ يَرْكَعُ -إِنْ بَدَا لَهُ- ولم يُؤْذِ**

---

(١) رَوَاهُ الحاكم (٢/ ٣٦٨)، وصححه الألباني في «صَحِيْح التَّرْغِيْب والتَّرْهِيْب» (٧٦٣)، و«إرواء العليل» (٣/ ٩٣).

(٢) رَوَاهُ أحمد في «مُسنده» (٥/ ٤٢٠)، وحسنه الألباني في التعليق علىٰ صحيح ابن خزيمة (٣/ ١٧٧٥).

أَحَدًا، ثمَّ أَنْصَتَ إذا خَرَجَ إمامُهُ حتَّىٰ يُصَلِّي ـ كانتْ كَفَّارةً لما بَيْنَهُما » .

وفِي «سُنن أَبِي داود» بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي«صَحِيْح سُنن أَبِي داودَ » [1] مِنْ حَدِيْث عبد الله بن سلامٍ أنَّه سَمِعَ النَّبيَّ - ﷺ- يقولُ علىٰ المِنْبَرِ يَوْمَ الجُمُعةِ: «**مَا علَىٰ أَحَدِكُم، لَوِ اشترىٰ ثَوْبَيْنِ ليومِ الجُمُعةِ سِوىٰ ثَوبِ مِهْنَتِه؟**».

ومن خصائصها: الإنصات للخُطْبَةِ:

مَاء جَاء فِي «الصَّحيْحَيْنِ»[2] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ النبيَّ - ﷺ- قَالَ: «**إِذَا قُلْتَ لصاحِبك يَوْمَ الجُمُعَةِ: أَنْصِتْ ـ والإمامُ يَخْطُبُ ـ فقدْ لَغَوْتَ** » ومعنىٰ لَغوتَ ـ أيُّهَا النَّاسُ ـ : أي بَطَلَتْ جُمُعتُك. وقَالَ بعضُ أهلِ العلم: أي صارتْ جُمُعتُكَ ظُهْرًا. وذَلِكَ استنادًا إلىٰ الحديثِ الآتِي:

فَفِي «سُنن أَبِي داودَ » ، و«صحيح ابن خُزَيمةَ » بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ، صحَّحَهُ الأَلبانيُّ في «صَحِيْح التَّرْغيْب والتَّرْهِيْب » [3] مِنْ حَدِيْث عبد الله بنِ عَمْرو بْن العاص ـ رَضيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ أنَّ رسولَ الله - ﷺ- قَالَ: «**مَن اغتَسلَ يَوْمَ الجُمُعة، ومسَّ مِنَ طِيبِ امْرَأَتِهِ ـ إنْ كَانَ لها ـ، ولَبسَ مِنْ صالح ثِيابِه، ثمَّ لم يَتخطَّ رِقَابَ الناسِ، ولم يَلْغُ عندَ المَوْعِظَةِ ـ كَانَ له كفَّارةً لما بَيْنَهمَا، وَمَنْ لَغَا، وتخطَّىٰ رِقَابَ الناسِ، كانَتْ لَهُ ظُهْرًا** » .

ومن خصائصها: أنَّ فِيْهَا ساعةَ الإجابةِ:

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ » [4] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رسولَ

(١) رَوَاهُ أبو داود (١٠٧٨)، وابن ماجه (١٠٩٥) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٩٣٤) ، وَمُسْلم (٨٥١) .
(٣) رَوَاهُ أبو ادود (٣٤٥)، وابن خزيمة فِي«صَحِيْحِه» (٣/ ١٥٦)، وصححه الألباني في«صَحِيْح التَّرْغِيْب والتَّرْهِيْب» (٧٢١) .
(٤) تَقَدَّمَ تَخْرِيْجه .

اللهِ- ﷺ- ذَكَرَ يوم الجُمُعةِ، فقَالَ: «**فيه ساعةٌ، لا يُوافِقُها عَبْدٌ مُسْلِمٌ وهو قائم يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهَ ـ تعَالَىٰ ـ شيئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ**» . وأشارَ بيدِهِ يُقَلِّلُها.

وأخرج ابن مَاجَهْ في «سُننه» بِسَنَدٍ حَسَنٍ صحيح قَالَه الألبانيُّ فِي «صَحِيْح سُنن أَبِي داودَ»[(١)] مِنْ حَدِيْثِ عبدِ الله بن سلام قَالَ: قُلْتُ ـ ورسولُ الله- ﷺ- جالسٌ ـ : إِنَّا لنجدُ في كتابِ الله: في يَوْم الجُمُعة ساعةً، لا يُوافِقُها عبدٌ مُؤْمِنٌ يُصلِّي، يسألُ اللهَ فِيْهَا شيئًا، إِلَّا قَضَىٰ له حاجتَهُ. قَالَ عَبْدُ الله: فأشار إليَّ رسولُ الله- ﷺ-: «**أو بَعْضَ ساعةٍ**» قُلْتُ: صَدَقْتَ، أو بَعْضُ ساعةٍ. قُلْتُ: أيُّ ساعةٍ هيَ؟ قَالَ: «**هِيَ آخِرُ ساعاتِ النهار**» قُلْتُ: إنها ليستْ ساعة صلاة. قَالَ: «**بَلَىٰ، إِنَّ العَبْدَ المؤمِنَ إذا صَلَّىٰ، ثُمَّ جَلَسَ لا يَحْبِسُهُ إِلَّا الصلاةُ فهو في الصَّلاةِ**» .

وفي «سُنن أَبِي داود» بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ[(٢)] مِنْ حَدِيْث جابر بن عبد الله ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ عن رسول الله- ﷺ- أَنَّهُ قَالَ: «**يَوْم الجُمُعة اثنتا عَشْرَةَ ساعةً، لا يُوْجَدُ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ شيئًا، إِلَّا آتاهُ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، فَالْتمِسُوها آخِرَ ساعةٍ بَعْدَ العَصْرِ**» .

قَالَ التِّرْمذيُّ: «ورأىٰ بَعْضُ أهلِ العلم من أصحابِ النبيِّ- ﷺ- وغَيْرِهِمْ أَنَّ الساعة الَّتِي تُرْجَىٰ فِيْهَا إجابةُ الدَّعْوةِ ـ بَعْدَ العَصْرِ إِلىٰ أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ، وبه يقولُ أحمدُ وإسحاقُ»[(٣)].

قَالَ ابْنُ القيم: «روىٰ سعيدُ بْنُ منصورٍ في سُننه عن أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرحمنِ: أَنَّ ناسًا من أصحابِ رسولِ الله- ﷺ- اجتمعوا، فتذاكروا الساعة الَّتِي في يوم الجُمُعةِ، فتفرَّقوا ولم يختلفوا أَنَّها آخِرُ ساعةٍ من يوم الجُمُعةِ»[(٤)].

(١) رَوَاهُ ابن ماجه في «سُننه» (١١٣٩)، وانظر: «صحيح سُنن ابن ماجه» (٩٣١) .
(٢) رَوَاهُ أبو داود في «سُنن» (١٠٤٨)، وصححه الألباني في «صحيح سُنن أَبِي داود» (٩٢٦).
(٣) «صَحِيْح التَّرْغِيْب والتَّرْهِيْب» ، للألباني (١/ ٤٤٠) .
(٤) «زاد المعاد» ، لابْن القَيِّم (١/ ٣٧٩) .

وقَالَ الحافظ ابن حَجر: «وقد صحَّ اتِّفاقُ الصحابة أنَّها آخِرُ ساعةٍ من يومِ الجُمُعةِ، فلا يجوزُ مُخالفتُهم » [١] .

قَالَ الألبانيُّ معلِّقًا علىٰ كلام ابن حَجر : وهو الصَّوابُ عندي، لأنَّ أكثر أحاديثِ البابِ عليه، وما خالفها فلَيْسَ فِيْهَا شيٌ صحيح » [٢] .

ومن خصائصِها: أنَّ الوفاةَ يومَ الجُمُعةِ أو لَيْلَتَها من علاماتِ حُسْنِ الخَاتِمةِ:

فَفِي «مُسندِ أحمد » بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيْحِ الجَامِع » [٣] مِنْ حَدِيْث عبد الله بن عَمْرو ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ –: «**ما مِنْ مُسْلِمٍ يموتُ يومَ الجُمُعةِ ـ أو ليلةَ الجُمُعَة ـ إلَّا وَقَاهُ اللهُ فتْنَةَ القَبْر** » .

وفقَنا اللهُ جميعًا لما يُحبُّه ويَرْضَاهُ، وجنَّبنا ما فيه سَخَطُهُ وعقابُهُ، وجَعلَ خَيْرَ أعمالِنا خواتِمَها، وخَيْرَ أيَّامِنا يَوْمَ نَلْقَاهُ، إنَّه جَوادٌ كريمٌ. والحَمْدُ لله ربِّ العالمينَ، وصَلَّىٰ اللهُ وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمَّدٍ، وعلىٰ آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

---

(١) «فتح الباري (٢/ ٣٤٥) .
(٢) «صحيح التغريب والترهيب (١/ ٤٤٠) .
(٣) رَوَاهُ الإمام أحمد (٦٥٨٢) ، وصححه الألباني في «المشكاة» (١٣٦٧) ، وصحيح الجامع (٥٧٧٣) .



٤٧

تفسيرُ سورة ق

الخطبة الأولى:

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّد- ﷺ-، وشرَّ الأُمور مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثَة بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَة ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّار.

أَمَّا بَعْدُ، فَحَدِيْثِي مَعَكُمُ اليومَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ سُورة (ق)، تلك السُّورةُ العظيمةُ، الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ - ﷺ- يقرؤها كُلَّ جُمُعة.

كما في «صَحِيْح مُسْلِم»[(١)] مِنْ حَدِيْث أُمِّ هشام بِنْت حارثةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُا- قَالَتْ: «ما أَخَذْتُ ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١﴾ إِلَّا عَنْ لسانِ رسولِ الله -ﷺ-، يقرؤها كُلَّ يَوْمِ جُمُعةٍ علىٰ المِنبَرِ، إذا خَطَبَ الناسَ».

(١) رَوَاهُ مُسْلِم (٨٧٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ۝٤ ﴾ .

﴿ قٓ ﴾ قَالَ أهلُ العلم: إنَّه من الأَسْلَم عَدَمُ التعرُّض لمعناهُ، وكذَلِكَ الحروفُ المُقَطَّعَةُ في أوائل بَعْضِ السُّورِ، مع الجَزْمِ بأَنَّ الله لم يُنْزِلْها عَبَثًا، بل لحكمة لا نعلمُها. ﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ ﴾ يُقسمُ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ بالقرآن الذي قد احتوىٰ علىٰ عُلُوم الأوَّلين والآخرين. ﴿ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ﴾ رسولٌ مِنْ أنْفُسِهِمْ، يُخَوِّفُهُم بالنَّارِ بَعْدَ البَعْثِ. ﴿ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا ﴾ الإنذارُ ﴿ شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ ﴾ أيْ مُسْتَغْرَبٌ. ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ﴾ نَرْجِعُ ﴿ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣ ﴾ غاية البُعْد. ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ﴾ تأكُلُ الأرضُ مِنْ لُحُومِهِمْ، ودمائِهِمْ، وعِظَامِهِمْ. ﴿ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ۝٤ ﴾ هو اللَّوحُ المحفوظُ فيه جميعُ الأَشياء المُقَدَّرة.

﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ ﴾ (بَلْ كَذَّبُوا بالْحَقِّ) بالقُرآنِ ﴿ لَمَّا جَآءَهُمْ ﴾ في شَأْنِ النَّبيِّ ـ ﷺ ـ والقُرْآنِ ﴿ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥ ﴾ مُضْطربٌ، يَقُولون عَن النبيِّ ـ ﷺ ـ مَرَّة: شاعرٌ، ومَرَّة: ساحرٌ، ويقولون عن القُرآن مَرَّةً: سِحْرٌ، ومَرَّةً: رجزٌ.

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١ ﴾

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ ﴾ بعيونهم، مُعْتَبِرين بعُقُولِهم حِيْنَ أنكروا البَعْثَ بَعدَ المَوْتِ ﴿ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ كائنةً ﴿ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا ﴾ بلا عَمَدٍ ﴿ وَزَيَّنَّٰهَا ﴾ بالكواكب ﴿ وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ ﴾ شقوقٍ تعيبُها ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا ﴾ دَحَوْناها علىٰ وَجْه الماء ﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ ﴾ جبالٌ تُثبِّتُها ﴿ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ ﴾ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ مِنْ أصنافِ النباتِ الَّتي تسرُّ الناظرين. ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ تبصيرًا وتذكيرًا لكُلِّ عبد رجَّاع إلىٰ الله، مُقْبل عليه بالحُبِّ والخَوفِ والرَّجاءِ، وأمَّا المُكذِّبُ والمُعْرِضُ فما تُغْني الآياتُ والنُّذُرُ عَنْ قومٍ لا يُؤْمِنون.

﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا ﴾ كثير البركَةِ ﴿ فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ ﴾ بساتين ﴿ وَحَبَّ ﴾ الزَّرْع ﴿ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ ﴾ المَحْصُودِ ﴿ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ ﴾ طِوالاً ﴿ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ ﴾ مُتراكِبٌ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْض ﴿ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ﴾ جعلناها رزْقًا للعباد ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾ بالمَطَرِ أنبتنا فيهَا الكَلأَ ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾ مِثْلُ ذَلِكَ الإحياء للأرضِ بَعْدَ مَوْتِها يكونُ الخُروجُ مِنَ القُبورِ، فكيف يُنْكِرونَهُ؟!.

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾ أي كُلٌّ مِنْ هؤلاءِ المَذْكُورين كذَّبوا الرُّسَلَ، فحقَّ عليهم عذابُ الله، وهذا جوابٌ لقولهم ﴿ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴾ ثمَّ ذَكَرَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ أنَّهُ خَلَقَهُم أوَّلَ مرَّةٍ مِنْ عَدَمٍ، فهو قادرٌ علىٰ أنْ يُعيدَهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ؛ لأنَّ الإعادة أَهْوَنُ مِنَ الابتداءِ، لكنَّهم فِي شَكٍّ مِنَ البَعْثِ.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ يُخبِرُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ أَنَّهُ الذي خَلَقَ الإنسانَ، وأَنَّهُ يَعْلَمُ بأَحوالِه، وأسراره، وما يُحدِّثُ به قَلْبُهُ، فلا يخْفَىٰ عليه سرائرُه وضمائرُهُ، وأَنَّهُ أَقربُ إِلَيْهِ من حَبْلِ الوَرِيدِ، الذي هو أقربُ شيءٍ إلىٰ الإنسانِ، والوريدانِ: عِرْقانِ بصَفْحَتَي العُنُقِ ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ﴾ يأخذُ ويُثبتُ ﴿ ٱلْمُتَلَقِّيَانِ ﴾ الملكانِ الموكلانِ بالإنسانِ، ما يعملُهُ ويتلفَّظُ به ﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ ﴾ منه، فالذي عَنِ اليمينِ يكتبُ الحسناتِ، والذي عَنِ الشِّمَالِ يكتبُ السِّيئاتِ ﴿ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ راصدٌ لعمَلِه ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ ﴾ حافظٌ ﴿ عَتِيدٌ ﴾ حاضرٌ مُهَيَّأٌ.

﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾.

﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ غَمْرَتُهُ وشدَّتُهُ ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ مِنْ أَمرِ الآخرةِ، حتَّىٰ يراها المُنْكِرُ لها عيانًا وهو نفسُ الشِّدَّةِ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ المَوْتُ ﴿ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾ تَهْرُبُ وتَفْزَعُ، ولكن لا مَفَرَّ مِنَ المَوتِ ولا مَهْرَبَ. ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ﴾ للبَعْثِ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ يَوْمُ النَّفخِ ﴿ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ ﴾ للكفَّارِ بالعذابِ ﴿ وَجَآءَتْ ﴾ فيه ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ إلىٰ المَحْشَرِ ﴿ مَّعَهَا سَآئِقٌ ﴾ مَلَكٌ يَسُوقُها إِلَيْهِ ﴿ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾ يَشْهَدُ عليها بعملِها، وهو الأَيْدي، والأَرْجُلُ، وغَيْرُها.

ويقَالُ للكافر: ﴿ لَّقَدْ كُنتَ ﴾ في الدُّنيا ﴿ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا ﴾ النَّازلِ بكَ اليومَ ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ ﴾ أَزَلْنا غَفْلَتَكَ بما تُشاهدُهُ اليومَ ﴿ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ يَنْظُرُ ما يُزْعِجُهُ ويَرُوعُهُ من أنواعِ العَذابِ والنَّكالِ.

﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ ﴾ المَلَكُ الموَكَّلُ به ﴿ هَٰذَا مَا ﴾ هذا الذي ﴿ لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ حاضرٌ، ويُقَالُ لمن استحقَّ النَّارَ: ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ مُعاندٍ للحقِّ يمنع الخير الذي عندَهُ، ظالم لنفسه، لا يُقرُّ بتوحيدِ الله ﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ ﴾ : كالزكاةِ، وغَيْرِها ﴿ مُعْتَدٍ ﴾ ظالم ﴿ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ شاكٍّ في دِيْنِه ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ لا يَمْلِكُ لنفسِه ضَرًّا ولا نَفْعًا ﴿ فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ﴾ ألقياهُ في النارِ ﴿ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ ﴾ الشيطانُ ﴿ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ ﴾ أضللته ﴿ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ وجدته في الضلال، فدَعوته فاستجاب لِي ﴿ قَالَ ﴾ أي: الله ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ ﴾ أيْ: لا فائدة مِن اختصامِكُمْ، وقدْ قامتْ عَلَيْكُمُ الحُجَّةُ، وانقطعتْ حُجَّتُكُم ﴿ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم ﴾ في الدنيا ﴿ بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ ﴾ بالعذاب، ولا يمكنُ أَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ ﴿ مَا يُبَدَّلُ ﴾ يُغيَّرُ ﴿ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ ﴾ في ذَلِكَ ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾ فأُعذِّبُهم بغيرِ جُرْم، بل أَجْزِيهم بما عَمِلُوا من خيرٍ وشرٍّ، فلا يُزَادُ في سيِّئَاتِهِمْ، ولا يُنْقَصُ مِنْ حسنَاتِهم.

﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ ﴾ وذَلِكَ من كَثْرَةِ ما أُلْقِيَ فِيْهَا ﴿ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ أي: لا تزالُ تَطْلُب الزِّيادةَ مِنَ المُجْرِمين العاصين غضبًا لربِّها، ولأنَّ

اللهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ سَبَقَتْ كلمتُهُ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السَّجْدة: ١٣]. فتقولُ: أَلَسْتَ قَدْ أَقْسَمْتَ لَتَمْلأَنِّي؟ فيضعُ اللهُ سُبْحَانَهُ قَدَمَهُ الكريمةَ المُنَزَّهة عَنِ التَّشبيه، فَيَنْزَوي بَعْضُها علىٰ بَعْضٍ، فتقولُ: قط، قط، بعزَّتك وكَرَمِك، قد امتلأتْ[1].

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾ قُرِّبَتْ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ لربِّهم التاركين للشِّرْك ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾ منهم، ويَرَوْنَها، ويُقَالُ لهم علىٰ وجْهِ التَّهْنِئَة ـ ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ في الدُّنيا ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ رجَّاعٍ إلىٰ طاعةِ اللهِ ﴿حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾﴾ حافظٍ لحدودِ الله ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ سالمين من الآفات، فلا انقطاعَ لنعيمها ﴿ذَٰلِكَ﴾ اليوم الذي حَصَلَ فيه الدُّخول﴿يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾﴾ الدَّوام في الجنَّة ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ أي: ثوابٌ يمدُّهم به ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ أيَ: ولهم أعظمُ من ذَلِك، النَّظَرُ إلىٰ وَجْهِ اللهِ الكَرِيم، وهذا أعظم شيءٍ في الجَنَّة.

فَفِي «صَحِيْح مُسْلم»[2] مِنْ حَديْث صهيْب ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ قَالَ: **«إذا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّة الجَنَّةَ، يقولُ اللهُ ـ تَعَالَىٰ ـ: تُريدُون شيئًا أَزيدُكُمْ؟ فيقولون: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنا؟! أَلَمْ تُدْخلْنا الجَنَّةَ، وتُنَجِّنا مِنَ النَّارِ؟! قَالَ: فَيَكْشِفُ الحِجابَ، فما أُعْطُوا شيئًا أحبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إلىٰ رَبِّهم»**.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾.

أي: كم أهلكنا قبلهم من أمم كثيرةٍ، هم أشدُّ من هؤلاءِ قُوَّةً، فهل وجدوا مفرًّا من الموتِ؟! فَفِي ذَلِكَ ذكرىٰ لمن كَانَ له قَلْبٌ حاضرٌ، وألقىٰ سَمْعَهُ لآياتِ اللهِ، لَيْسَ بغافلٍ ولا ساهٍ.

---

(١) الحديث في صحيح البخاري (٧٣٨٤).
(٢) رَوَاهُ مُسْلِم (١٨١).

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ أَوَّلُها الأحَدُ، وآخِرُها الجُمُعةُ.

﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ تَعَبٍ ﴿ فَٱصْبِرْ ﴾ خطابٌ للنبيِّ - ﷺ - ﴿ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ من الذَّمِّ لك، والتكذيبِ بما جئْتَ به ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ ﴾ أي: اشتغلْ عنهم بطاعةِ الله وتسبيحه أَوَّلَ النَّهار وآخِرَهُ، وفي أوقاتِ اللَّيلِ، وأَدْبَارَ الصَّلَواتِ؛ فإن ذِكْرَ اللهِ مُؤْنِسٌ للنَّفْسِ، مُهَوِّنٌ للصَّبْرِ.

﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

﴿ وَٱسْتَمِعْ ﴾ أي: واستمعْ يا مُحَمَّدُ بقلبِكَ صَيحةَ القيامة ﴿ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ ﴾ هو إسْرافيلُ حِيْنَ يَنْفُخُ في الصُّور ﴿ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ ﴾ مِنَ السَّماءِ ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ﴾ هي الصَّيْحَةُ الأخيرةُ ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ ﴾ مِنَ القُبُورِ ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ ﴾ أي: الخلائقِ ﴿ سِرَاعًا ۚ ﴾ أي: يُسرعون لإجابة الدَّاعي لهم إلىٰ مَوْقِف القيامة ﴿ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ أي: هَيِّنٌ سَهْلٌ علىٰ الله، لا تعبَ فيه ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ ﴾ أي: كُفَّارُ قُرَيْش ﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ﴾ أي: تُجبِرُهُم علىٰ الإيمان ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾ وهم المؤمنون الذين يخافون وَعِيدَ اللهِ.

وأستغفرُ اللهَ.

الخطبة الثانية:

تفسيرُ سورة ق

الحَمْدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسَّلامُ على أشرفِ المُرْسلين، وعلى آلِه وصَحْبِه أجمعين.

أمَّا بَعْدُ، فَنُعِيْدُ عَلَى مَسَامعكُمْ مَاجَاءَ فِي « صَحيْح مُسْلِم »[١] منْ حَديْث أمِّ هشام بِنْت حارثة -رَضِيَ اللهُ عَنْها- قَالَتْ: « ما أَخَذْتُ ﴿ قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ ﴾ إلَّا عَنْ لسانِ رسولِ الله -ﷺ-، يَقْرَؤُهَا كُلَّ يَوْمِ جُمُعةِ على المِنْبَرِ، إذا خَطَبَ الناسَ ».

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ۝٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ۝٤ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ۝٥ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ۝٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ۝٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ۝٨ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ۝١٠ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ۝١١ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ۝١٢ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ۝١٣ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝١٤ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ۝١٥ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا

(١) رَوَاهُ مُسْلِم (٨٧٣).

ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيم .



٤٨ أسباب الرزق

الخطبة الأولى :

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا، ومنْ سَيئَاتِ أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد- ﷺ-، وشرَّ الأُمور مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثة بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، فَحديثي مَعَكُمُ اليومَ -أَيُّهَا النَّاس- عَنِ **(أسباب الرزق)** ، وهي كثيرة، وسوفَ أذكُر طرفًا منها .

فَمِن أَسْبَابِ الرِّزْقِ : تَقْوَى اللّه :

والتَّقْوىٰ كَمَا عَرَّفَهَا العُلَماء : « امْتِثَالُ أَمْرِهِ وَنَهْيه ، ومَعْنَاهَا : الوِقَايَةُ مِنْ

سَخَطِهِ وَعَذَابِهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - »[1] .

وقَدْ وَرَدَتْ أَدِلَّة تَدُلُّ عَلَى أَنَّ التَّقْوى مِنْ أَسْبَابِ الرِّزْقِ :

فَمِنْها : قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطَّلاق:٢-٣] .

فقد بيَّن -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أن مَنْ تَحقَّقَ لديهِ شَرْط التَّقْوىٰ فَإنَّ الله يجزِيْهِ بِأَمْرَيْن :

أَحْدَاهُمَا : ﴿ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ ﴾ أي : يُنجيهِ مِنْ كُلِّ كُرَبِ الدُّنْيَا والآخِرَة، كَمَا قَالَ ابْن عَبَّاس .

وثَانيهُمَا: ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾؛ أَيْ : يَرْزقُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَأْمَل ولاَ يَرْجُو»[2] .

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٩٦ ﴾ [الأعراف:٩٦] .

فَفِي هَذِه الآية بيَّن-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أَنَّهُ لَوْ تَحقَّقَ فِي أَهْل القُرىٰ أَمْرَان ، وَهُمَا: الإِيْمَان، والتَّقْوَىٰ؛ وَسع -سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ- عَلَيْهِم الخَيْر ويَسَّرَهُ لَهُمْ مِنْ كُلِّ جَانِب .

قَالَ اللهُ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-:﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ۝١٦ ﴾ [الجن:١٦] .

فَأَخْبَرَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أَن لَو اسْتَقَامَ النَّاسُ عَلَىٰ طَرِيْقِ الاسْتِقَامَة وَالطَّاعَة

---

(١) انظر : «تَحْرير أَلفاظ التنبيه» (ص ٣٢٢) .
(٢) انظر : «زاد المسير» (٨ / ٢٩١-٢٩٢) .

لأَسْقَاهُم مَاءً غَدَقًا ؛ أَيْ : هَنِيْئًا مَرِيْئًا .

وَمِنْ أَسْبَابِ الرِّزْقِ : تَطْبِيْقُ شَرْعِ اللّهِ فِيْ أَنْفُسِنَا وَفِيْ الأَرْضِ :

قَالَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [المَائِدَة :٦٦] .

يُخْبِر الله – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- عَنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ أَنَّهُمْ عَملوا بِمَا فِي التَّوْرَاة والإِنْجِيْل والقُرْآن – كَمَا قَالَ عَبْد الله بْن عَبَّاس –رَضِيَ الله عَنْهُمَا –[1] : لأَكْثَرَ -تَعَالَىٰ- بِذَلِك الرِّزْق النَّازِل عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ والنَّابِت لَهُمْ مِنَ الأَرْضِ .

قَالَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- حَاكِيًا عَنْ نُوح –عَلَيْهِ السَّلَام- أَنَّه قَالَ لِقَوْمِه : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نُوح :١٠-١٢] .

فَفِي هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيْمَة بَيَان لِتَحْقِيْقِ الأُمُور التَّالِيَة بالاسْتِغْفَار:

فَمِنْهَا : مَغْفِرَةُ الله – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- الذُّنُوب، وَذَلِكَ بِقَوْلِهِ –وَتَعَالَىٰ- : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ ﴾

وَمِنْهَا : إِنْزَال الله – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- مَطَرًا يتبع بَعْضه بَعْضًا ، قَالَ ابْن عَبَّاسٍ -رَضِيَ الله عَنْهُمَا -:﴿ مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ ﴾ يَتبع بَعْضهَا بَعْضًا[2] .

وَمِنْهَا : إِكْثَار الله – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- الأَمْوَال والأَوْلاد، قَالَ عَطَاء فِي تَفْسِيْر قَوْله تَعَالَىٰ : ﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ ﴾[3] .

---

(١) انظر : « الكَشَّاف » (١/ ٦٢٩-٦٣٠) .
(٢) صحيح البخاري : كتاب التفسير – تفسير سورة نوح (ص ٩٧١) .
(٣) تفسير البغوي (٤/ ٣٩٨) .

وَمِنْهَا : جَعَلَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – جَنَّات وهِيَ البَسَاتِيْن ، وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا أَنْهَارًا ، وَقَدْ تَمَسَّكَ أَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ عُمَر بْن الخَطَّاب بِمَا جَاءَ فِي هَذِهِ الآيات عِنْدَ طَلَبِهِ المَطَر مِنَ الله – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – ؛ فَعَنِ الشَّعْبِيِّ قالَ: خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ يَسْتَسْقِي فَلَمْ يَزِدْ عَلىٰ الاسْتِغْفار حَتّىٰ رَجَعَ، فَقِيلَ لَهُ: مَا رَأَيْنَاكَ اسْتَسْقَيْتَ قَالَ: لَقَدْ طَلَبْتُ المَطَرَ بِمَجَادِيحِ السَّمَاءِ الَّتِي يُسْتَنْزَلُ بِها المَطَرُ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ ﴾[1] .

وَذَكَرَ القُرْطُبِيُّ فِي «تَفْسِيره» عَنْ ابْن صُبَيْح: شَكَا رَجُلٌ إِلَىٰ الْحَسَنِ الْجُدُوبَة فَقَالَ لَهُ: اسْتَغْفِر الله.

وَشَكَا آخَرُ إِلَيْهِ الْفَقْرَ فَقَالَ لَهُ: اسْتَغْفِرِ اللهَ

وَقَالَ لَهُ آخَرُ. ادْعُ اللهَ أَنْ يَرْزُقَنِي وَلَدًا، فَقَالَ لَهُ: اسْتَغْفِرِ اللهَ.

وَشَكَا إِلَيْهِ آخَرُ جَفَافَ بُسْتَانه، فَقَالَ لَهُ: اسْتَغْفِرِ اللهَ. فَقُلْنَا لَهُ فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: مَا قُلْتُ مِنْ عِنْدِي شَيْئًا، إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ فِي سُورَةِ نُوحٍ : ﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ ﴾[2].

وَمِنْ أَسْبَابِ الرِّزْقِ - أَيُّهَا النَّاس - : التَّوْبَةُ :

قَالَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – : ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ۝٥٢ ﴾ [هود :٥٢] .

قَالَ ابْن كَثِيْر –رَحِمَهُ اللهُ– فِي «تَفْسِيْره» : ثُمَّ أَمَرَ هُود – عَلَيْهِ السَّلاَم– قَوْمَهُ بِالاسْتِغْفَار الَّذِي فِيهِ تَكْفِيرُ الذُّنُوب السَّالِفَة، وَبِالتَّوْبَة عَمَّا يَسْتَقْبِلُونَ ، وَمَن اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، وَسَهَّلَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَحَفِظَ شَأْنَهُ ؛ وَلِهَذَا

---

(١) تفسير الخازن (٧/ ١٥٤) .
(٢) تفسير القُرطُبِي (١٨/ ٣٠٢–٣٠٣) .

قَالَ: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١﴾ [نُوح:١١] (١).

وَقَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ۝٣﴾ [هود :٣] .

قَالَ الإمَام القُرْطُبِيُّ فِي «تَفْسِيْره» (٢) : هَذِه ثَمَرَةُ الاسْتِغْفَار وَالتَّوْبَة، أَيْ يُمَتِّعُكُمْ بِالْمَنَافِع من سَعَةِ الرِّزْقِ وَرَغَدِ الْعَيْشِ، وَلَا يَسْتَأْصِلُكُمْ بِالْعَذَابِ كَمَا فَعَلَ بِمَنْ أَهْلَكَ قَبْلَكُمْ.

وَمِنْ أَسْبَاب الرِّزْق - أَيُّهَا النَّاس - : التَّوَكُّل على الله :

والمُرادُ بالتَّوَكُّل علىٰ الله: أَن نعلم يقينًا أَن لاَ فَاعلَ فِي الوُجُود إلَّا الله ، وأن كُل موجُود - مِنْ خَلْق وَرزْق ، وَعَطَاء وَمَنع ، وَضُرٍّ وَنَفْع ، وَفَقْر ، وَغَنىً، وَمَرَض وَصِحْة ، وَمَوْت وَحَيَاة، وَغَيْر ذَلِكَ مِمَّا يُطلق عَلَيْهِ اسْمُ المَوْجُود - مِنَ الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - (٣).

وَمَنْ تَوَكَّل عَلَىٰ الله فَهُو حَسْبُهُ ؛ قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ [الطَّلاق :٣] .

وَمِمَّا يَدلُ عَلَىٰ أَنَ التَّوَكّل علىٰ الله مِنْ أَسْبَاب الرِّزْق: مَا جَاء فِي «مُسْنَد أَحْمَد» ، و«سُنن التِّرمِذي» بِسَنَد صَحِيْح - صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «السِلْسِلَة الصَّحِيْحَة» (٤) ، مِنْ حَدِيْث عُمَرَ بن الخَطَّاب- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُوْلَ الله

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٩٢) .
(٢) تفسير القرطبي (٩/ ٤٠٣) .
(٣) « مرقاة المفاتيح » ، للمُلا علي القاري (٩/ ١٥٦) .
(٤) أخرجه أحمد في «مُسنده» (٢٠٥)، والترمذي في «سُننِهِ» (٢٤٤٧) ، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣١٠) .

-ﷺ- قَالَ: «**لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُوا خِمَاصًا وَتَرُوْحُ بِطَانًا**» .

وَمِنْ أَسْبَابِ الرِّزْقِ - أَيُّهَا النَّاس -: التَّفرُّغ لِعِبَادَةِ اللّه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -:

وَلاَ نَقْصُد مِنَ التَّفَرُّغ لِعِبَادَة الله تَرْكَ السَّعْيَ لِكَسْب المَعِيْشَة ، كَلَّا ؛ وَإِنَّمَا المَقْصُود تَفَرُّغ القَلْب لِعِبَادَة الله ، والجَسَد لِلسَّعْي فِي طَلَب رِزْق الله .

وَمِمَّا يَدلُ عَلَىٰ أَن التَّفَرُّغ لِلعِبَادَة مِنْ أَسْبَاب الرِّزْق : مَا جَاء فِي «سُنن ابْن مَاجه» بِسَنَد صَحِيْح - صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحَيْح ابْن ماجه »[1] ، مِنْ حَدِيْث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ، عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ : « **إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ تفرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلأْ صَدْرَكَ غِنًىٰ ، وَأَسُدَّ فَقْرَكَ ، وَإِلَّا تَفْعَلْ مَلأْتُ يَدَيْكَ شُغْلاً ، وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ** » .

وَأَخْرَجَ الحَاكِم فِي «مُسْتَدركه» بِسَنَد صَحِيْح - صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيْحَة» [2] ، مِنْ حَدِيْث مَعْقِل بْن يَسَار - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُول - ﷺ -: «**قَالَ رَبُّكُمْ تَعَالَىٰ: ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلأْ قَلْبَكَ غِنًىٰ، وَامْلأْ يَدَيْكَ رِزْقًا، ابْنَ آدَمَ لَا تَبَاعَدْ عَنِّي فَأَمْلأْ قَلْبَكَ فَقْرًا، وَأَمْلأْ يَدَيْكَ شُغْلًا**» .

وَمِنْ أَسْبَابِ الرِّزْقِ - أَيُّهَا النَّاس -: المُتَابَعَةُ بَيْنَ الحَجّ وَالعُمْرَة:

فَفِي سُنن التِّرْمذي» بِسَنَد قَالَ عَنْهُ الألباني - كَمَا فِي «صَحِيْح التِّرْمذي»-: حَسَنٌ صَحِيْح» [3]: مِنْ حَدِيْث عَبْد الله بْن مَسْعُود- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ - ﷺ -: « **تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ، كَمَا**

---

(١) أخرجه ابن ماجه في «سُننِهِ» (٤١٥٩)،وصححه الألباني فِي«صَحِيْح ابن ماجه»(٢/ ٣٩٣).

(٢) أخرجه الحاكم فِي «مُستدركه» (٤/ ٣٢٦))، وقَالَ عَنْهُ : هذا حَدَيْث صحيح الإِسْنَاد ولَمْ يُخرجَاه، ووافَقَهُ الذَّهَبِي في التلخيص (٤/ ٣٢٦) ، وقال الألباني في «الصحيحة» : وهو كمَا قَالَ.

(٣) أخرجه الترمذي في «سُننِهِ» (٨٠٧)،وصححه الألباني فِي«صَحِيْح الترمذي»(١/ ٢٤٥).

يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةُ » .

وَمِنْ أَسْبَابِ الرِّزْقِ -أَيُّهَا النَّاس- : الْهِجْرَةُ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- :

وَلاَ تَكُون إِلَّا مِنْ دَارِ الكُفْرِ إِلَىٰ دَارِ الإِيْمَان؛ كَمَنْ هَاجَرَ مِنْ مَكَّة إِلَىٰ المَدِيْنَة.
ومِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الهِجْرَة فِي سَبِيْلِ اللهِ مِنْ أَسْبَابِ الرِّزْق قَوْلُ اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ [النِّساء :١٠٠] .

قَالَ الرَّازِي -رَحِمَهُ اللهُ- فِي تَفْسِيْرِ هَذِه الآيَة [١] : «والحَاصِلُ كَأَنَّهُ قِيْلَ: يا أَيُّهَا الإِنْسَانُ، إِنَّكَ كُنْتَ إِنَّما تَكْرَهُ الهِجْرَةَ عَنْ وطَنِك؛ خَوْفًا من أَنْ تَقَعَ في المَشَقَّة والمِحْنَة في السَّفَر، فَلا تَخَفْ فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ يُعْطِيكَ مِنَ النِّعَمِ الجَلِيلَة، والمَراتِبِ العَظِيمَةِ في مُهَاجَرَتِكَ ما يَصِيرُ سَبَبًا لِرَغْمِ أُنُوفِ أَعْدائِكَ، ويَكُونُ سَبَبًا لِسَعَةِ عَيْشِك» .

وأَسْتَغْفِرُ الله .

---

(١) «التفسير الكبير » (١١/ ١٥) .

الخطبة الثانية:

أَسباب الرزق

الحَمْدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسَّلامُ علىٰ رسولِهِ الأمينِ، وعلىٰ آلهِ وصَحْبه أجمعين.

أمَّا بَعْدُ، أيُّهَا النَّاسُ، فتَقَدَّم الحَديْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاس- عَنْ بَعْضِ أَسْبَاب الرِّزْق ، وَهَا أَنَا أَعُود لِلحَدِيْث لِيَكْتَمِل العقد :

فَمِنْ أَسْبَابِ الرِّزْق - أَيُّهَا النَّاس-: صِلَةُ الرَّحِم:

وَصِلَةُ الرَّحم كِنَايَة عَن الإِحْسَان إِلَىٰ الأَقْرَبِيْنَ مِنْ ذَوي النَّسَب والأَصْهَار، وَالتَّعَطُّف عَلَيْهِمْ ، والرِّفْق بِهِمْ ، والرِّعَايَة لِأَحْوَالهم [1].

وَقَدْ جَعَلَ الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- صِلَة الرَّحِم مِنْ أَسْبَاب السِّعَة فِي الرِّزْق؛ فَفِي «صَحِيْح البُخَاري» [2] ، مِنْ حَدِيْث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ - ﷺ -: « **مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ له فِي رِزْقِهِ، وأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**» .

وَفِي «صَحِيْح البُخَاري» [3] ، مِنْ حَدِيْث أَنَس بْن مَالك - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله -ﷺ- يَقُولُ : « **مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ رِزْقُهُ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ** » .

---

(١) انظر : « مرقَاة المفاتيح » ، للمُلا علي القاري (٨/ ٦٤٥) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٩٨٥) .
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٩٨٦) .

وَفِي «سُنن التِّرْمذِي» بِسَنَد صَحِيح -صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحَيْح التِّرْمذي»[1]، مِنْ حَدِيْث أَبِي هُرَيْرَةَ، عَن النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: «**تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِم مَحَبَّةٌ فِي الأَهْلِ، مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ، مَنْسَأَةٌ فِي الْعُمُرِ**».

فَفِي هَذِهِ الأَحَادِيْث بَيَّنَ النَّبِيُّ - ﷺ - أَنَّ لِصلَة الرَّحِم ثَلاَث ثَمَرَاتٍ؛ هِيَ: البَسْط فِي الرِّزْقِ، والزِّيَادَة فِي العُمْرِ، والكَثْرَة فِي المَالِ.

وَبَعْض النَّاس يَحْصرونَ صلَةَ الرَّحِم بالمال، والصَّوَاب أَنَّ صلَةَ الرَّحِم أَوْسَع مِنْ ذَلِكَ؛ إِنَّهَا السَّعْيَ إِلَىٰ إِيْصَال الخَيْر إِلَىٰ الأَقَارِبِ وَدَفْع الشَّر عَنْهُمْ، سَوَاء أَكَانَ بالمَال أَوْ بِغَيْرِهِ.

فَقَدْ قَالَ الإِمَام ابْن أَبِي حَمْزَة -رَحِمَهُ الله-: «تَكُونُ صِلَةُ الرَّحِم بِالْمَال وَبِالْعَوْنِ عَلَىٰ الْحَاجَة، وَبِدَفْعِ الضَّرَر، وَبِطَلاَقَةِ الْوَجْه وَبِالدُّعَاء، وَالْمَعْنَىٰ الْجَامِعُ: إِيصَالُ مَا أَمْكَنَ مِنَ الْخَيْرِ، وَدَفْعُ مَا أَمْكَنَ مِنَ الشَّرِّ بِحَسَبِ الطَّاقَةِ»[2].

فَمِنْ أَسْبَابِ الرِّزْق -أَيُّهَا النَّاس-: الإِنْفَاقُ فِي سَبِيْلِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-:

كَالإِنْفَاقِ عَلَىٰ الفُقَرَاء، والإِنْفَاقُ فِي سَبِيْل الله لِنُصْرَة الدِّيْن، وَقَدْ وَرَدَتْ أَدِلَّة مِنَ الكِتَاب والسُّنَّة تَدلُّ عَلَىٰ أَنْ مَنْ أَنْفَقَ فِي سَبِيْلِ الله فَإِنَّ الله يخلفهُ فِي الدُّنْيَا، إِلَىٰ جَانِب مَا أَعَدَّ لَهُ مِنْ ثَوَاب جَزِيْل فِي الآخِرَة.

فَمِنْهَا: قَالَ الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٣٩﴾ [سَبَأ: ٣٩].

وَقَالَ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٢٦٨﴾ [البَقَرة: ٣٩].

---

(١) أخرجه الترمذي في «سُننِهِ» (٢٠٤٥)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢/ ١٩٠).
(٢) انظر: «تحفة الأحوذي في شرح سُنن الترمذي» (٦/ ٣٠)

قَالَ ابْن عَبَّاس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - فِي تَفْسِيْر الآيَة الكَرِيْمَة:

وَاثْنَان مِنَ الشَّيْطَانِ ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ ﴾ يَقُولُ: «لاَ تُنْفِق مَالَكَ وَأَمْسِكْهُ لَكَ ؛ فَإِنَّكَ تَحْتَاج إِلَيْه» ﴿ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ﴾ عَلَىٰ هَذِهِ المَعَاصِي فِي الرِّزْق » .[1]

وَفِي «صَحِيْح مُسْلِم»[2] ، مِنْ حَدِيْث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ : « **قَالَ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- : يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**» .

وَفِي «صَحِيْح البُخَارِي»[3] ، مِنْ حَدِيْث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ : «**مَا مِنْ يَوْم يُصبِحُ العِبَادُ فِيه إِلَّا مَلَكَان يَنْزِلان، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**» .

أَيُّهَا النَّاس؛ مَا أَكْثَرَ الشَّوَاهِد فِي كُتُب السُّنَّة والسِّيْرَة والتَّرَاجِم والتَّارِيخ، وحَتَّىٰ فِي وَاقِعِنَا المُعَاصِر؛ تَدُلُّ عَلَىٰ إِخْلاف الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- الرِّزْق لِلْمُنْفِق فِي سَبِيْلِهِ ، وَسَأَقْتَصِرُ عَلَىٰ إِيْرَاد شَاهِدٍ وَاحِد فِي هَذَا المَقَام - إِنْ شَاءَ الله -[4] .

فَفِي «صَحِيْح مُسْلِم»[5] ، مِنْ حَدِيْث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ : « **بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْض فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَة: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّىٰ ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّة فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاج (الشرجة: مسيل الماء) قَد اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ مَا اسْمُكَ ؟**،

(١) «تفسير الطبري» رقم الأثر (٦١٦٨) .
(٢) رَوَاهُ مُسْلِم (٩٩٣) .
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٤٤٢) .
(٤) انظر : « مفَاتِيح الرِّزْق» للشيخ/ مفض إلهي (وما بَعده) فقَدْ اسْتَفَتُ مِنْهُ كَثِيْرًا .
(٥) رَوَاهُ مُسْلِم (٢٩٨٤) .

قَالَ: فُلَانٌ للاسْم الَّذي سَمعَ فِي السَّحَابَة فَقَال لَهُ :يَا عَبْدَ الله لمَ تَسْأَلُني عَن اسْمي؟، فَقَال :إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَاب الَّذي هَذَا مَاؤُهُ ،يَقُولُ: اسْق حَديقَة فُلَان -لاسْمك- ، فَمَا تَصْنَعُ فيهَا ؟، قَالَ: أَمَا إِذْ قُلْتَ هَذَا فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ مَا يَخْرُجُ منْهَا فَأَتَصَدَّقُ بثُلُثه ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا ، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ » .

وَفِي رِوَايَةٍ : «**وَأَجْعَلُ ثُلُثَهُ فِي الْمَسَاكِينِ وَالسَّائِلِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ** » .

اللهُمَّ يَسِّرْ لَنَا أَرْزَقَنَا ، وسَهْل عَلَيْنَا أُمُورنَا ، ووَفقنَا للعَمَل الَّذي يُرْضِيْكَ عَنَّا، آمِيْن يَارَب العَالَمِيْن .



٤٩ الحقوق الزوجية

الخطبة الأولى:

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُور أَنْفُسنا، ومنْ سَيْئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد- ﷺ-، وشرَّ الأُمُور مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثة بدعةٌ، وكلَّ بدْعَة ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّار.

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ الزَّواجَ رِباطٌ مُقَدَّسٌ، وميثاقٌ غليظٌ، تَتُوقُ إلَيْه الفطْرةُ القويمةُ، فعن طريقه تحصلُ الرَّاحةُ والمودَّةُ والرحمةُ، وإذا قام كُلٌّ من الزَّوجين بواجبه، علىٰ أحسن وجه، حلت السعادةُ الزَّوجيةُ، والسعادةُ كُلُّ السَّعَادة في اتِّباع كتابَ الله، وسُنَّةِ رسولِ الله- ﷺ-، لا يَشكُّ في ذَلِكَ مُسْلِمٌ، واللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ

يقول: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وسنَّةُ رسول الله -ﷺ- مُبيِّنةٌ لكتاب الله، وقولُه -ﷺ- وَحْيٌّ، كما قَالَ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [النجم: ٣-٥].

أَيُّهَا النَّاسُ، سوف أذكرُ في هذه الخُطبة الحقوقَ الزَّوجيَّةَ علىٰ وَجْهِ الاختصارِ، في ضوءِ كتابِ الله الكريم، وصحيح سنَّة رسول الله -ﷺ-.

وسوف نبدأُ بذكر ما للزوج من حقوقٍ على زوجته:

أيُّها الناس، إنَّ الأصلَ الذي بنيت عليه قولُه -تَعَالَىٰ-: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [النساء: ٣٤].

فحقُّ الزوج على زوجته عظيم:

أخرج النَّسائيُّ في «سُننه» [(١)] بإسنادٍ حسنٍ مِنْ حَديْثِ أَبي سعيدٍ الخُدْريِّ -رَضيَ الله عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: **«حقُّ الزوجِ علىٰ زوجتِهِ، أن لو كانَتْ به قَرْحَةٌ، فلحسَتْهَا، ما أدَّتْ حَقَّهُ»**.

وروىٰ التِّرْمذيُّ في «سُننه» [(٢)] بسَنَدٍ حَسَنٍ مِنْ حَديْثِ أَبي هُرَيْرَةَ -رَضيَ الله عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: **«لو كُنْتُ آمرًا أحدًا أن يسجدَ لأحدٍ، لأمرتُ المرأةَ أن تَسْجُدَ لزوجها»**.

---

(١) النَّسَائي في عِشْرَةِ النِّسَاء (ص١٠٦)، والحاكم (٢/ ١٨٩)، والبيهقي (٧/ ٢٩١)، وأحمد (٤/ ٣٤١).

(٢) رَوَاهُ الترمذي (٣/ ٤٦٥).

أيُّهَا النَّاسُ، إن من حقوق الزوج على زوجته ما يأتي:

١ـ أن تطيعَهُ فيما يأمرُها :

أخرج النَّسائيُّ في «سُننه »[١] بِسَنَد حَسَن مِنْ حَدِيْث الْحُصَيْن بْن محْصَن أَنَّ عَمَّةً لَهُ أَتَت النَّبيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فِي حَاجَة فَفَرَغَتْ منْ حَاجَتهَا ، فَقَالَ لَهَا النَّبيُّ - ﷺ - : «**أَذَاتُ زَوْج أَنْت** ؟ قَالَتْ : نَعَمْ . قَالَ : كَيْفَ أَنْت لَهُ ؟ قَالَتْ : لاَ آلُوهُ إِلَّا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ . قَالَ : **فَانْظُري أَيْنَ أَنْت منْهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ جَنَّتُك وَنَارُك**» .

وأخرج النَّسائيُّ بسند صحيح[٢] منْ حَديْث أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: سُئلَ رسولُ اللهِ - ﷺ -عن خيرِ النِّساءِ. قَالَ: «**الَّتِي تُطيعُ إذا أَمَرَ، وتَسُرُّ إذا نظَرَ، وتحفظُهُ في نفسِها ومالِه** » .

وطاعة المرأة لزوجها من مُوجبات دخول الجنَّة:

فقد روىٰ الإمام أحمدُ في «مُسنده » ، وابن حبَّان في«صَحيْحه » بسند صحيح[٣] عن عبد الرَّحمنِ بن عَوْف ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**إذا صلَّت المرأةُ خَمْسَهَا، وصامتْ شَهْرَها، وَحَفظَتْ فَرْجَها، وأَطَاعَتْ زَوْجَها قيلَ لها: ادْخُلي الجَنَّةَ من أيِّ أبوابها شِئتِ** » .

أَيُّهَا النَّاسُ، إن طاعة المرأة لزوجها واجبة، لكنها مشروطة بما لَيْسَ فيه معصية الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ، فإنه إن أمرها بما فيه معصية: كأن تخلع حجابها، أو تتركَ الصلاة، أو أن تُفْطِرَ رمضانَ، أو أن يُجامعُها في حَيضها، أو في المحلِّ المُحَرَّم، أو غير ذَلِكَ من المعاصي فإنها لا تُطيعُهُ؛ لما في «الصحيحين »[٤] منْ

(١) رَوَاهُ النِّسَائِي .
(٢) أخرجه النَّسَائِي في «المُجْتبىٰ» (٦/ ٦٨) ، وفِي عِشْرَةِ النِّسَاء (٧٥) .
(٣) مُسند أحمد (١٦٦٠) ، وصحيح ابن حبَّان (٤١٦٣) ، وانظر : «صحيح الجامع» (٦٦٠) .
(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٣/ ٢٣٣) ، وَمُسْلم (١٨٤٠) .

حَدِيْث عليٍّ بن أَبي طالب ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ –: « **لا طاعةَ في مَعْصِيَةِ الله، إنما الطاعةُ في المعروفِ** » .

٢ـ ومن حقوق الزوج على زوجته أنْ تُجيبَهُ إذا دعاها إلى فِراشِه:

فَفِي « الصَّحِيْحَيْن » [(١)] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ –: « **إذا دعا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إلىٰ فراشِهِ، فأَبَتْ، فباتَ غضبانَ عليها لعنتْها الملائكةُ حتىٰ تُصبحَ** » .

ومعنىٰ اللَّعنْ هنا: الدُّعاءُ عليها بالطَّرْدِ من رحمة الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ، فأي امرأةٍ ترضىٰ لنفسها أن تدعو عليها الملائكةُ بالطَّرْدِ من رحمة الله؟! وأي امرأةٍ تحتمل ذَلِكَ؟!

٣ـ ومن حقوق الزوج على زوجته أن تشكرَ له ولا تَكفُرَهُ:

فقد أخرج النَّسائيُّ في « سُننه » بسند صحيح[(٢)] مِنْ حَدِيْث عبد الله بن عمرو ابن العاص ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ –: « **لا ينظرُ اللهُ إلىٰ امرأةٍ لا تشكُرُ لزوجها، وهي لا تستغني عنه** » .

إن هذا الحديث أَيُّهَا النَّاسُ ليَدُلُّنَا علىٰ وجوب شكْرِ المرأةِ لزوجها المُحْسِنِ إِلَيْها، ولاسيِّما إذا كَانَ قيامُهُ بأمورها يَصل إلىٰ درجة عدم الاستغناء عنه. ولا يَقصَدُ بالشكر هنا: مجرَّد شُكْرِ اللِّسان، ثمَّ تُؤْذيه بمساوئ الأفعال والأخلاق، بل الشكر يُقصد به هنا: قيامُها بحقه علىٰ أتمِّ وجهٍ وأكمله.

أَيُّها النَّاسُ، إذا كَانَ شُكْرُ المرأة لزوجها واجبًا، فكيف حال من يَكْفُرْنَ العَشِيرَ؟! .

لقد حذَّر النبيُّ – ﷺ – من كُفْران العشير أشدَّ التحذير، وبيَّن أنَّ كُفْرانَ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥١٩٣) ، وَمُسْلم (١٤٣٦) .
(٢) أخرجه النِّسَائِي فِي عِشْرَةِ النِّسَاء (٢٤٩) .

العشير، وكُفْران الإحسانِ سببٌ من أسباب دُخُولِ النار.

فَفِي «الصَّحِيْحَيْن»[١] مِنْ حَدِيْثِ ابن عبَّاس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّه لما خَسَفت الشمسُ علىٰ عَهْد النبيِّ -ﷺ-، وصلَّىٰ النبيُّ -ﷺ- بالناس، قَالَ بَعْدَ صلاته: «**إنِّي رأيت الجَنَّةَ ـ أو أُريتُ الجنَّةَ ـ فتناولتُ منها عُنْقُودًا، ولو أَخَذْتُهُ لأكلتُمْ منه ما بَقِيَت الدُّنيا، ورأيتُ النارَ، فلم أَرَ كاليوم منظرًا قط، ورأيتُ أكثر أهلها النِّساءَ**» قَالُوا: لِمَ يا رسولَ الله؟! قَالَ: «**بِكُفْرِهِنَّ**» قيل: يَكْفُرنَ بالله؟ قَالَ: «**يَكْفُرْنَ العشيرَ، ويَكْفُرْنَ الإحسانَ، لو أحسنتَ إلىٰ إحداهُنَّ الدَّهْرَ، ثمَّ رأتْ منك شيئًا، قَالَت: مَا رأيتُ مِنْكَ خيرًا قطُّ**».

٤.ومن حقوق الزوج على زوجته أن تَقَرَّ في البيت، ولا تخرجَ إلَّا بإذْنه:

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

قَالَ شيخ الإسلام ابن تيميَّةَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «لَا يَحِلُّ لِلزَّوْجَةِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ بَيْتِهَا إلَّا بإِذْنِه، وَلَا يَحِلُّ لأَحَد أَنْ يَأْخُذَهَا إلَيْه وَيَحْبِسَهَا عَنْ زَوْجها، وَإِذَا خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِ زَوْجِهَا بِغَيْرِ إِذْنِه كَانَتْ نَاشِزَةً عَاصِيَةً لِلَّه وَرَسُولِه وَمُسْتَحِقَّةً لِلْعُقُوبَة»[٢].

٥.ومن حقوق الزوج على زوجته أيضًا، ألَّا تأذن لأحدٍ أن يدخُلَ بيته إلَّا بإذنه:

فَفِي «صَحِيْح مُسْلِم»[٣] مِنْ حَدِيْث جابر بن عبد الله ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «وإن لكم عليهنَّ أَلَّا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أحدًا تكرهُونَه».

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥١٩٧)، وَمُسْلم (٩٠٧).
(٢) مجموع الفتاوىٰ (٣٢/ ٢٨١).
(٣) صحيح مُسْلِم (١٢١٨).

وفي «صَحِيْح مُسْلِم»[1] - أيضًا - مِنْ حَدِيْث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**لا تأذن المرأةُ في بيتِ زوجها وهو شاهدٌ إلَّا بإذْنه**».

قَالَ ابن حجر نقلاً عن النووي[2] - رَحِمَهُ اللهُ - قوله: «فِي هَذَا الْحَدِيث إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّهُ لَا يُفْتَاتُ عَلَىٰ الزَّوْج بِالْإِذْن فِي بَيْته إِلَّا بِإِذْنه، وَهُوَ مَحْمُول عَلَىٰ مَا لَا يُعلم رِضا الزَّوْج بِهِ، أَمَّا لَوْ عَلِمَتْ رِضَا الزَّوْج بِذَلِكَ فَلَا حَرَجَ عَلَيْهَا»[3].

ولا يُفهم من كلام النَّوويِّ - رَحِمَهُ اللهُ - الدُّخولُ لكُلِّ من هبَّ ودبَّ، وإنما ممَّن يَجوز له الدخول علىٰ المرأة.

٦ - ومن حقوق الزوج على زوجته ألاَّ تصومَ - صيامَ تطوُّعٍ - وزوجها حاضر إلَّا بإذنه:

فَفِي «الصَّحيحين»[4] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**لا يَحِلُّ للمرأةِ أَنْ تَصُومَ وزوجُها شاهدٌ إلَّا بِإِذْنِهِ**» ومن حقوق الزوج علىٰ زوجته ألاَّ تُنفق من ماله إلَّا بإذْنه.

لما في «سُنن أَبِي داود»[5] مِنْ حَدِيْث أَبِي أُمامةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**لا تُنفق امرأةٌ شيئًا من بيتِ زوجِها إلَّا بإذنِ زوجها**».

٧ - ومن حقّ الزوجِ على زوجته أن تُحْسِنَ معاملة والدَيْه وأقاربه:

٨ - ومن حقِّه عليها ألاَّ تفعلَ ما يُؤْذيه ويُغْضِبُهُ:

---

(١) صحيح مُسْلم (١٠٢٦).
(٢) نَص كَلَام النَّوَوي - رَحِمَهُ اللهُ - فِيْهِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّهُ لاَ يَفْتَات عَلَىٰ الزَّوْج وَغَيْره مِنْ مَالِكي الْبُيُوت وَغَيْرهَا بِالْإِذْنِ فِي أملاكِهم إلَّا بإذنِهم، وَهُوَ مَحْمُول علىٰ مَا لَا يُعلم رِضَا الزَّوْجِ وَنَحْوِهِ بِهِ، فإنْ عَلِمَت الْمَرأةُ ونحوُهَا بِهِ جَازَ ... (عند شرح حديث ١٠٢٦).
(٣) فتح البَاري (٤/ ٤٠٣).
(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢/ ٢٦٠)، وَمُسْلم (١٠٢٦).
(٥) أبو داود (٣٥٦٥)، والترمذي (٦٧٠)، وابن ماجه (٢٢٩٥)، وسنده حَسن.

روىٰ التِّرمذيُّ وابن مَاجَهْ[١] بإسنادٍ حسن مِنْ حَدِيْث مُعاذ بن جَبَل ـ رَضيَ اللهُ عَنْهُ ـ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ قَالَ: «**لا تُؤْذِي امرأةٌ زوجَها في الدُّنيا، إلَّا قَالَتْ زوجتُهُ مِنَ الحُورِ العِيْنِ: لا تُؤْذِيه، قاتلكِ اللهُ!؛ فإنَّما هو دَخِيلٌ عندكِ، يُوشِكُ أن يفارقكِ إلينا**» .

٩ـ ومن حقِّه عليها أنْ تحرصَ على الحياةِ مَعَهُ، فلا تطلب الطلاق من غير سببٍ شرعيٍّ:

روىٰ التِّرمذيُّ، وأبو داودَ وابن مَاجَهْ[٢] بإسنادٍ صحيح: قَالَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «**أَيُّمَا امرأَةٍ سَأَلَتْ زوجَها الطلاقَ مِنْ غَيرِ ما بأسٍ فحرامٌ عليها رائحةُ الجَنَّةِ**» .

١٠ـ ومن حقوق الزوج على زوجته أن تُحِدَّ عليه إذا مات أربعة أشهرٍ وعَشْرًا:

فَفي «الصَّحِيْحَيْنِ»[٣] مِنْ حَدِيْث أُمِّ حبيبةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُا ـ قَالَت: سمعتُ رسولَ الله ـ ﷺ ـ يقولُ علىٰ المنبر: «**لا يَحِلُّ لامرأةٍ تُؤْمِنُ باللهِ، واليومِ الآخرِ أنْ تُحِدَّ علىٰ ميِّتٍ فوقَ ثلاثٍ، إلَّا علىٰ زوجٍ أربعةَ أشهرٍ وعَشْرًا**» .

أَيُّها الناس، هذه هي حقوقكم علىٰ نسائكم في ضوء كتاب الله، وسُنَّة رسول الله ـ ﷺ ـ، واعلموا ـ علمني اللهُ وإيَّاكُم ـ أنَّ المرأة ضعيفة، لا تقوم بحقوقِ زوجها حقَّ القيامِ، إلَّا إذا قام بحقوقها كما شرع الله.

وأستغفرُ الله.

---

(١) الترمذي (١١٨٤)، وابن ماجه (٢٠١٤) بِسَنَدٍ حَسَنٍ .
(٢) الترمذي (١١٩٩) ، وأبو داود (٢٢٠٩)، وابن ماجه (٢٠٥٥) ، وهو صحيحٌ .
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٢٨٠)، وَمُسْلم (١٤٨٦) .

الخطبة الثانية:
في حقوقِ الزوجة على زوجها

إنَّ الحمد لله، نَحْمَدهُ، ونستعينُهُ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا، وسيِّئاتِ أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فهو المُهْتَدي ومَنْ يُضْلِلْ فلن تجدَ له وليًّا مُرْشدًا.

أمَّا بَعْدُ:

فَقد تَقَدَّم -أَيُّهَا النَّاس- ذِكْرُ حُقوق الزوج علىٰ زوجته، وفي هذه الخطبة سوف أتحدَّث مَعَكُمْ عن **(حقوق الزوجة على زوجها)**، ولعلَّ من المُشاهد أنَّ المرأة ـ لضَعْفِها ـ لا تقوم بحقِّ الزوج خَيْرَ قِيام، إلَّا إذا قام بحقِّها كما شرع الله، فهي تأخذ لتُعطي، فعلينا أنْ نكونَ عَوْنًا لنسائِنا علىٰ طاعة الله.

١ ـ فحقُّهُنَّ علينا أنْ نُحسنَ عِشرَتَهُنَّ:

والمُرادُ به هنا: هو إحسان «الصُّحْبة» وكَفُّ الأذىٰ، وعَدَم مَطْلِ الحقوق. مع القُدرة وإظهارُ البِشرِ والطَّلاقة والانبساط.

والأصل في هذا قوله ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

وقوله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وفي «سُنن التِّرمذيِّ» و«صحيح ابن حِبَّان» بسندٍ صحيح[١]، قَالَ رسول الله -ﷺ-: «**خَيْرُكُم لأهلِه، وأنا خيرُكُمْ لأَهْلِي**».

وكان النبيُّ -ﷺ- حَسَنَ المُعاشرةِ، لطيفًا في المُداعبة مع أهله، وفي الوقت

(١) الترمذي (٣٨٩٥)، وابن حبَّان (١٣١٢).

نفسِهِ يَحُثُّهنَّ علىٰ طاعةِ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، والإِكْثارِ من العبادة.

روىٰ أبو داودَ بإسنادٍ حسنٍ لغيره[1] مِنْ حَديْث عُقْبَةَ بن عامر -رَضيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: «**لَيْسَ من اللَّهْوِ إِلَّا ثلاثٌ: تأديبُ الرَّجُلِ فَرَسَهُ، وملاعبتُهُ أَهْلَهُ، ورَمْيُهُ بقَوْسِهِ ونَبْلِهِ**».

٢ـ ومن حقِّ الزَّوجة على زوجها أنْ يعلِّمَها أمور دينها، ويحثُّها على الطاعة:

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦].

وفي «صَحيْح البخاري»[2] مِنْ حَديْث أمِّ سَلَمَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُا ـ قَالَت: **اسْتَيْقَظَ النبيُّ -ﷺ- ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ: «سُبْحَانَ الله مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنْ الْفِتَنِ وَمَاذَا فُتِحَ مِنْ الْخَزَائِنِ أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الْحُجَرِ** ـ يعني أزواجَهُ كي يَقُمْنَ فيُصلِّين ـ **فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ**».

وأخرجَ أحمدُ في «مُسنده» بسَنَدٍ حَسَنٍ[3] مِنْ حَديْث أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: «**رَحِمَ اللهُ رجلاً قام من اللَّيل فصلىٰ، وأيقظ امرأَتَهُ فصلَّتْ، فإن أَبَتْ نَضَحَ في وَجْهِها الماءَ، ورَحِمَ الله امرأةً، قامت من اللَّيلِ فصلَّتْ، وأيقظتْ زَوْجَها فصلَّىٰ، فإن أَبَىٰ نَضحَتْ في وَجْهِهِ الماء**».

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[4] أنَّ النبيَّ -ﷺ- قَالَ لمالك بن الحُوَيْرِث ومَنْ مَعَهُ: «**ارجعوا إلىٰ أهليكم، فأقيموا فيهمُ الصلاةَ، وعلِّموهُم، ومُرُوهُمْ**».

---

(١) رَوَاهُ أبو داود (٢٥١٣)، وضعفه الألباني -رَحِمَهُ اللهُ-.
(٢) صحيح البخاري (١١٥).
(٣) مُسند أحمد (٢/ ٢٥٠)، وصححه الألباني فِي «صَحِيْحِ الجامع» (٣٤٩٤).
(٤) البخاري (١٣/ ٢٣١)، مع الفتح، وَمُسْلم (٦٧٤).

٣ـ ومن حقِّ الزوجة على زوجها، أن يُنفق عليها، وعلى أولادها بقَدْرِ وُسْعِه:

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وأخرج أبو داود، والنَّسائي، وابن مَاجَهْ بإسناد حسن[١] منْ حَديْث معاوية بن حيدة ـ رَضيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: يا رسولَ الله، ما حَقُّ زوجة أحدنا عليه؟ قَالَ: «**أن تُطْعِمها إذا طَعِمْتَ، وتَكْسُوها إذا اكتسيتَ، ولا تَضْربِ الوجهَ، ولا تُقَبِّحْ، ولا تَهْجُرْ إلَّا في البيت**» .

٤ـ ومن حقِّ الزوجة على زوجها، أنْ يُحسنَ الظَّنَّ بها:

يقول الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢]

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحُجُرات: ١٢].

وَفي «الصَّحِيْحَيْن» [٢] مِنْ حَديْث جابر بن عبد الله ـ رَضيَ الله عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ: «**إذا أطَالَ أحدُكُمْ الغيبة، فلا يَطْرُق أَهْلَهُ ليلاً**» .

٥ـ ومن حقِّ الزوجة على زوجها، أنْ يُعِفَّها؛ ليقصرَ طَرْفَها عن الحرام:

ولذا أرشد النبيُّ ـ ﷺ ـ عُثمانَ بْنَ مَظْعُونٍ إلىٰ ما لأهله عليه من الحقِّ، لمَّا انقطع عنهم إلىٰ العبادة كما في «الصحيحين» [٣]، فقَالَ ـ ﷺ ـ: «**وإنَّ لأهلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**» .

---

(١) أخرجه أبو داو (٢١٤٢)، والنَّسَائِي (٢٨٩)، وابن ماجه (١٨٥٠)، وصححه الألباني .
(٢) البخاري (١/ ٣٠٩) ، وَمُسْلم (١٥٢٧).
(٣) البخاري (١٩٧٧)، وَمُسْلم (١١٥٩) .

٦ـ ومن حقِّ المرأةَ على زوجها أن يَغُضَّ الطَّرْفَ عن بَعْضِ أخطائِها، ما لم يكن فيه إخلال بشرع اللَّه:

وإلىٰ هذا يُرْشِدْنا النبيَّ - ﷺ - كما فِي « صَحِيْح مُسْلم » [١]، مِنْ حَدِيْث أَبي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: « **لا يَفْرَكْ ـ أي لا يَكْرَهها ويُبغضها ـ مُؤْمِنٌ مؤمنةً؛ إن كَرِهَ منها خُلُقًا رَضِيَ منها خُلُقًا آخر** ».

ولا نقولُ لكم ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ اتركوا نساءَكم بعيوبهم، ولكن انصحوا لهنَّ برفقٍ ولين وصبر قَدْرَ الاستطاعة، وسدِّدُوا وقاربوا، ولن تستطيعوا أن تصلوا إلىٰ التمام لقول النبيِّ - ﷺ - كما في «الصحيحين» [٢] منْ حَدِيْثِ أَبي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: «**واستوصُوا بالنِّساءِ خَيْرًا، فإنهُنَّ خُلِقْنَ من ضِلَعٍ، وإنَّ أعوجَ شيءٍ في الضِّلَعِ أَعْلاهُ، فإن ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وإنْ تَرَكْتَهُ لم يزل أَعْوجَ؛ فاستوصوا بالنساء خَيرًا** ».

أيُّها الناس، المرأة أسيرةٌ عند الرجل:

كما في «سُنن التِّرمذي» [٣] مِنْ حَدِيْثِ عمرو بن الأحوص قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**إنما هُنَّ عَوَانٍ عندكُمْ**» ومعنىٰ عَوانٍ: أي: أَسيراتٌ جمع عانيةٍ.

ولهذا جاءتْ وصايا الرسول - ﷺ - بالنساء، فأرشدنا إلىٰ كَيْفَ التعايش معهُنَّ، فقَالَ - ﷺ - كما في حديث سَمُرة بن جُنْدُب ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ وهو فِي «صَحِيْح ابن حِبَّان» [٤]: «**المرأة كالضِّلَعِ: إِنْ أَقَمْتَهَا كَسَرْتَهَا، فدارِها تَعِشْ بها**».

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِم (١٤٦٩).
(٢) أخرجه البخاري (٩/ ٢٥٢)، ومُسْلم (ص ١٤٦٨).
(٣) الترمذي (١١٦٣)، وحسنه الألباني.
(٤) «موارد الظمآن» (١٣٠٨) بإسنادٍ حسنٍ..

وأمر اللَّه ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ بإحسان معاشرة النساء في جملة آيات:

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء: ١٩].

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ [البقرة:٢٢٩].

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [النساء: ٣٤].

نسأل الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ أن يجعلنا من عباده المتقين، الذين يراقبونه ليلاً ونهارًا، وسِرًّا وجهارًا، وظاهرًا وباطِنًا.



٥٠ تربية الأولاد

الخطبة الأولى:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا، ومنْ سَيِّئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ؛ فإنّ أصدَقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد- ﷺ-، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَة ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّار.

أمَّا بَعْدُ، فَحديثي مَعَكُمُ اليومَ -أَيُّهَا النَّاس- عَن **(تَربية الأَولاد)** فَهُم أَمَانَة في أَعْنَاقنا، وهم أيضًا فتنَةٌ وبَلَاء، يبتَلي اللهُ بِهِمْ عِبَاده، هَل سَيَقُومُون بوَاجبهم مِنْ شُكر نعْمَة الله علَىٰ رزقه، ومَنْ شُكْرِ نِعْمَة الله القِيَام بتربيَةِ الأَوْلَاد تَرْبيَةً صَالِحَة، كَمَا أَمَرَ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ.

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم: ٦].

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾ [النساء: ١١].

وَفِي «الصَّحِيْحَيْن»[(١)] مِنْ حَدِيْث عَنْ عَبْد الله بْن عُمَرَ -رَضِيَ الله عَنْهُمَا- يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله -ﷺ- يَقُولُ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤول عَنْ رَعِيَّتِه، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِه، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِه وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِه، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا**».

وَفِي «صَحِيْح مُسْلِم»[(٢)] «**كَمَا أَنَّ لِوَلَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**».

أَيُّهَا النَّاس؛ إِنَّ تَرْبِيَةَ الأَوْلاد تَبْدَأ مِنْ حُسن الاخْتِيَار عِنْد الزَّوَاج، فَيَنْتَقِي الزَّوْجَة الصَّالِحَة ذَات الدِّيْن والخُلُق، لأَنَّها سَتَكُون أُمًّا لِأَوْلادِه، وَبِهَا يَتَأَسَّىٰ أولادها، وَمِنْ ثَدِيهَا وَأَخْلاقها يرضعُون[(٣)].

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ﴾ [البَقَرة: ٢٢١].

وَفِي «الصَّحِيْحَيْن»[(٤)] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُرَيرة - رضيَ الله تَعَالَىٰ عَنْهُ - عَن النبيِّ صَلّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلّم قال: «**تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لمالها ولِحَسَبها ولِجَمَالها ولدينها: فَاظْفَرْ بذات الدِّين تربت يَدَاك**».

وَمِنَ الخَيْرِ أَنْ تَكُون الزَّوْجَة مِنْ أُسْرَةٍ طَيِّبَةٍ صَالِحَة، فَإِنَّ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-

---

(١) رَوَاهُ البخاري (٢٥٥٤)، وَمُسْلم (١٨٢٩).
(٢) رَوَاهُ مُسْلِم (١١٥٩).
(٣) «فِقهُ تربِيَة الأولَاد» للعَدَوي (ص٢٩).
(٤) رَوَاهُ البخاري، وَمُسْلم.

قَالَ: ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨ ﴾ [مريم: ٢٨].

فَأَخْبَرَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ أَنَّ قَوْمَ مَرْيَم قَضوا بِفَسَادِ الأَصْلِ عَلَىٰ فَسَادِ الفَرْعِ، وَأَنَّ مَرْيَم مُنَزْهَة مِن ذَلِكَ، وَلَمْ يَتَعَقب الله قَوْلَهُمْ بِشَيْء .[1]

وَمِنْ حُسْن تَرْبِيَة الأَوْلاد تَحْصينهُم قَبْل مَجيْئهُم إِلىٰ هَذه الدُّنْيا، وَيَكُون ذَلكَ عِنْدَ الزَّوَاج وَقَبْل الدُّخول بالزَّوْجَة يُسَنَّ لِلزَوج أَنْ يَأْخُذ بِنَاصِيَتِهَا وَيَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاء الَّذِي أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُد بِسَنَد حَسَن حَسَّنَهُ الأَلْبَاني فِي «صَحيْح سُنن أَبِي دَاوُد» مِنْ حَديْث عَنْ عَبْد الله بْن عُمَرَ -رَضِيَ الله عَنْهُمَا- قَالَ: قَال رَسُول الله -ﷺ- : «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَمِنْ شَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ**».

وَعِنْدَ الدُّخُول بالزَّوْجَة يُسَن لِلزَّوج أَنْ يَقُول: «**بِاسْمِ الله اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبْ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا** » .

وَفِي «الصَّحيْحَيْن»[2] مِنْ حَديْث ابْن عَبَّاس- رَضِيَ الله عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-:« **أَمَا لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ يَقُولُ حِينَ يَأْتِي أَهْلَهُ: بِسْمَ الله، اللَّهُمَّ جَنبنِي الشَّيْطَانَ، وَجنِّب الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، ثُمَّ قُدِّرَ بَيْنَهُمَا فِي ذَلِكَ، أو قضِيَ وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ شَيطَانٌ أَبداً** ».

وَمِنْ حُسْن تَرْبِيَة الأَوْلاد : تَعْويذهُم عَنْ الوِلادَة :

قَالَتْ امْرَأَة عِمْرَان لَمَّا وَضَعت مَرْيَم -عَلَيهَا السَّلام-: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦ ﴾ [آل عِمران:٣٦] .

---

(١) انظر: مَعَالم السُّنن (٤/ ٧٣) ، وَفَيْض القَدير (٦/ ٣٦٤)، بتصرف يسير (حَسَنٌ)، أَخرجَهُ أَبو دَاود فِي سُننه (٢١٦٠)، وَحَسَّنَهُ الألباني فِي«صَحِيْحِ سُنن أَبِي داود» (١٩٨٢) .

(٢) رَوَاهُ البخاري (٣٢٧١) ، وَمُسْلم (١٤٣٤) .

وَمِنْ حُسْنِ تَرْبِيَةِ الأَوْلاد: المُحافَظَةُ عَلَى تَعوِيذِ الأَوْلاد :

وَفِي «صَحِيْح البُخَارِي»[١] مِنْ حَدِيْث ابْنِ عَبَّاس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: «**كَانَ النَّبِيُّ -ﷺ- يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَيَقُولُ: إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ** » .

وَمِنْ حُسْنِ تَرْبِيَةِ الأَوْلاد: تَحْنِيْكهُم بَعْد الوِلادَة والدُّعاء لَهُمْ بِالبَرَكَة:

وَفِي «صَحِيْح مُسْلِم »[٢] مِنْ حَدِيْث عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ-: « **كَانَ يُؤْتَى بِالصِّبْيَانِ فَيُبَرِّكُ عَلَيْهِمْ وَيُحَنِّكُهُمْ**» .

والتَّحْنِيْك هُو أَن يَأْخُذ الوَالِد تَمْرَة فَيَمْضغُهَا ثُمَّ يَجْعَلهَا فِي فِيِّ الصَّبي لِيَتَمَرَّنَ عَلَىٰ الأَكْل.

وَمِنْ حُسْنِ تَرْبِيَةِ الأَوْلاد: أَنْ لا يَخْتَار لَهُم إِلَّا الأَسْمَاء الحَسَنَة :

وَهَذَا مِنْ حُقُوقِ الأَبْنَاء عَلَىٰ الآبَاء ، فَيحسن تَسمِيَتُهُم بِأَسْمَاء الأَنْبِيَاء والصَّالِحِيْن ، فَفِي «صَحِيْح مُسْلِم »[٣] مِنْ حَدِيْث الْمُغِيرَة بْن شُعْبَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-،قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ-ﷺ- إِلَىٰ نَجْرَانَ فَقَالُوا لِي:أَلَسْتُمْ تَقْرَءُونَ: ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ ﴾ وَقَدْ كَانَ بَيْنَ عِيسَىٰ وَمُوسَىٰ مَا كَانَ فَلَمْ أَدْرِ مَا أُجِيبُهُمْ . فَرَجَعْتُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ : « **أَلاَّ أَخْبَرْتَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ** » .

وَيَنْبَغِي أَنْ نَعْلَم أَنَّ أَحبَّ الأَسْمَاء إِلىٰ اللهِ هُمَا : عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَن .

---

(١) رَوَاهُ البخاري (٤/ ١١٩) .
(٢) رَوَاهُ مُسْلِم (٢١٤٧) .
(٣) رَوَاهُ مُسْلِم (٢١٣٥) .

فَفِي «صَحِيْح مُسْلِم»[١] مِنْ حَدِيْث عَبْد الله بْن عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- : «**إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَىٰ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ**».

وَمِنْ حُسْن تَرْبِيَة الأَوْلَاد: الاهْتِمَام بِنَظَافَةِ الأَوْلَاد:

فَإِنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - يَقُولُ: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ ﴾ [المُدَّثِر: ٤].

فَفِي «صَحِيْح مُسْلِم»[٢] مِنْ حَدِيْث عَبْد الله بْن مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- : «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ**».

وَمِنْ حُسْن التَرْبِيَة: أَن نَأْخُذ لأَوْلادنا ثِيَاب أَهْل الخَيْر والصَّلاح ونُجنبهُمْ لِبَاس الكُفَّار:

فَيَجِبُ أَنْ نَأْخُذ لِأَولادنَا الثِّيَاب الَّتِي هِيَ لِبَاس أَهْل الخَيْر والصَّلاح، وأَن نُجَنِّبَهُم لِبَاس الكُفَّار، وَنُبعِدهُم عَنْ كُل ما هُو مِنْ خَصَائِصهم.

فَإِنَّ النَّبِي -ﷺ- قَالَ كَمَا فِي «مُسنَد أَحْمد» بِسَنَدٍ صَحِيْح، صَححَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيْح الجَامع»[٣] مِنْ حَدِيْث عَبْد اللهِ بْن عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - : «**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**».

وَمِنْ حُسْن التَرْبِيَة: أَن نُجَنِّب أَوْلادنا القَزَع:

فَنمنعُهُم مِن قَصِّ شُعُورهم بِتلكَ القَصة الَّتِي يَتَشَبَّهُ فِيْهَا بِالمُشْرِكِيْن.

وَفِي «الصَّحِيْحَيْن»[٤] مِنْ حَدِيْث ابْن عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - : «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- نَهَىٰ عَنِ الْقَزَعِ**» قَالَ: قُلْتُ لِنَافعٍ وَمَا الْقَزَعُ؟، قَالَ: «**يُحْلَقُ بَعْضُ**

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِم (٢١٣٢).
(٢) رَوَاهُ مُسْلِم (٩١).
(٣) (صَحِيْحٌ) أخرجهُ أحمد (٢/ ٥٠) صَححَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيْح الجَامع».
(٤) رَوَاهُ البخاري (٤٩٢١)، وَمُسْلم (٢١٢٠).

رَأْسِ الصَّبِيِّ وَيُتْرَكُ بَعْضٌ» .

وَمِنْ حُسْنِ التَرْبِيَة: تَعْوِيْد الأَوْلَاد عَلَى الطَّاعَات مُنْذُ الصِّغَر:

فَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُد» بِسَنَد صَحِيْح ، صَححَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيْح سُنَن أَبِي دَاوُد»[٥] ، مِنْ حَدِيْث عَبْدُ الله بْنِ عَمْرُ بن العَاص -رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ- : « **مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ** ».

وَمِنْ حُسْنِ تَرْبِيَة الأَوْلَاد: تَخْفِيْف العِتَاب :

وَفِي «الصَّحِيْحَيْن»[٦] مِنْ حَدِيْث أَنَس -رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ: «**خَدَمْتُ رَسُولَ الله -ﷺ- عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي قَطُّ: أُفٍّ، وَلَا قَالَ لِشَيْءٍ فَعَلْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَهُ؟ وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ أَفْعَلْهُ: أَلَا فَعَلْتَ كَذَا؟!** ».

وَمِنْ حُسْنِ التَرْبِيَة: العَدْلُ بَيْنَ الأَوْلَادِ فِي الهِبَات :

وَفِي «الصَّحِيْحَيْن»[٧] مِنْ حَدِيْث النُّعْمَانَ بْنَ بَشِير -رَضِيَ الله عَنْهُمَا- يَقُولُ: أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً، فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ الله -ﷺ-.فَأَتَى رَسُولَ الله -ﷺ- فَقَالَ: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْت رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ الله. قَالَ:« **أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا** ». قَالَ : لَا. قَالَ : « **فَاتَّقُوا الله، وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ** ». قَالَ : فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ.

وَمِنْ حُسْنِ التَرْبِيَة: تَفَقُّد أَحوَال الأَوْلَاد :

وَمِنْ حُسن التربية تَفَقُّد أحوال الأَوْلاد والنَّظَر فِي أَصْدقَائِهم ، وحَثهُم عَلىٰ اخْتِيَار الأَصْدِقَاء الصَّالِحِيْن وَتَحْذِيرهم مِنْ أَصْدقاءِ السُّوء .

(٥) (حَسَنٌ) أخرجهُ أَبُو دَاود (٤٩٥) وَقَال الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيْح أَبِي دَاوُد (٤٦٦)»: «حَسَنٌ صَحِيْح».
(٦) رَوَاهُ البخاري (٢٧٦٨) ، وَمُسْلم (٢٣٠٩) .
(٧) رَوَاهُ البخاري (٢٥٨٧) ، وَمُسْلم (١٦٢٣) .

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[١] مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ؛ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**».

وَمِنْ حُسْنِ التَّرْبِيَةِ: أَنْ يُسْتَخْدَمَ الضَّرْبُ لِلأَوْلَادِ عِنْدَ الحَاجَةِ:

فَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُد» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُد»[٢]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ**».

وَأَخْرَجَ البَيْهَقِي فِي «سُنَنِه» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ[٣]، عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: كَانَ ابن عَبَّاس يَجْعَلُ فِي رِجْلَيَّ الْكَبْلَ (أَيْ: القَيْد) يُعَلِّمُنِي القُرْآنَ وَيُعَلِّمُنِي السُّنَّةَ.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[٤] عَنْ إِبْرَاهِيمُ النَّخْعِيي قَالَ: «**وَكَانُوا يَضْرِبُونَا عَلَىٰ الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ**».

وَعَلَىٰ الوَالِدِ إِذَا احْتَاجَ لِضَرْبِ الأَوْلَادِ فَلْيَجْتَنِبِ الضَّرْبَ عَلَىٰ وُجُوهِهِم، فَإِنَّ النَّبِي -ﷺ- نَهَىٰ عَنْ ذَلِكَ.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِم»[٥] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ**».

---

(١) رَوَاهُ البخاري (٥٥٣٤)، وَمُسْلم (٢١٠١).
(٢) تَقَدَّمَ تَخْرِيجه.
(٣) (صَحِيحٌ) أَخْرَجهُ البَيْهَقِي فِي السُّنن الكُبْرىٰ (٦/ ٢٠٩).
(٤) رَوَاهُ البخاري (٢٦٥٢)، وَمُسْلم (١٩٦٣).
(٥) رَوَاهُ مُسْلِم (٢٦١٢).

وَمِنْ حُسْنِ التَّرْبِيَة: تَعْلِيق السَّوْط فِي البَيْت فإِنَّه لَهُمْ أَدَبٌ:

فَإِنَّ نَظْرَة وَاحِدَة مِن الأَوْلَاد تَجْعَلُهُمْ يَسِيْرُونَ فِي الطَّرِيْقِ الصَّحِيْح .

فَقَد أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الكَبِيْر» بِسَنَد صَحِيْح ، صَححَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيْحة »[1] ، مِنْ حَدِيْث ابْن عَبَّاس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: قَال رَسُول الله -ﷺ- : « **عَلِّقُوا السَّوْطَ حَيْثُ يَرَاهُ أَهْلُ الْبَيْت** ».

فَفِي «صَحِيْح مُسْلِم »[2] مِنْ حَدِيْث جَابِر بْن عَبْد الله -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ- : «**لَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ الله سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ**».

أَيُّهَا النَّاس؛ إِنَّ الدُّعَاء عَلَىٰ الأَوْلَاد ، سِلاحٌ فَعَّال لإِفْسَادِهِمْ وَعَونًا لِلشَّيْطَان عَلَيْهِم ، فَقَدْ جَاءَ رَجُل إِلَىٰ عَبْدِ الله بْن المُبَارَك ، فَشَكَا إِلَيْه بَعْضَ وَلَده، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الله بْن المُبَارَك: هَلْ دَعَوْتَ عَلَيْهِ؟! ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : أَنْتَ أَفْسَدتَهُ .

وَأَسْتَغْفِرُ الله .

---

(١) (حَسَنٌ)أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي«الكَبِيْر»(٣/ ٩٢)،وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِي فِي «الصَّحِيْحَة» (١٤٤٧). .
(٢) رَوَاهُ مُسْلِم (٩٢٠) .

الخطبة الثانية:

موعظة لُقمان لولده

الحَمْدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسَّلامُ علىٰ رسولِهِ الأمينِ، وعلىٰ آلهِ وصَحْبِه أجمعين .

أمَّا بَعْدُ،

فتقدَّم الحديثُ مَعكُم -أيُّها النَّاسُ- عَنْ تَرْبِيَةِ الأَوْلاد، والآن حَدِيثي مَعَكُمْ عَنْ (**مَوْعِظَة لُقْمَان لِوَلَده**) .

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [لقمان: ١٢-١٩].

أَيُّهَا النَّاس؛ تلْكَ مَوْعظَةُ لُقْمَانَ لابْنِه، وَسَوْفَ أَتكَلَّمَ عَن تَفْسيْرهَا، بشَيْءٍ منْ الإيْجَاز، قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ ـ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾ فَفي هَذه الآيَة يُخبرُ رَبنَا ـ سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ ـ بامْتنَانه عَلَىٰ عَبْده لُقمان بالحكْمَة وَهيَ العلْم النَّافع، وَلَمَّا أَعْطَاهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ ـ هَذه النِّعْمَة العَظيْمَة أَمَرَهُ أَنْ يَشْكُر عَلَىٰ مَا أَعْطَاهُ وأَخْبَرَهُ أَنَّ شُكْر الشَّاكريْنَ يَعُود نَفْعه عَلَيهمْ، وَأَخْبَرَ أَنَّه غَنيٌّ عَنْ العبَادَة، لاَ تَنْفَعُهُ الطَّاعَة وَلاَ تَضُرُّهُ المَعْصيَة.

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾.

قَال ابْن كَثيْر- رَحمَهُ اللهُ -: « ذكره [الله] تَعَالَىٰ بأحسن الذكر، فإنه آتاه الحكمة وَهُو يُوصي وَلَدَه الَّذي يُشفق عَلَيْه وأَحبهُم إلَيْه فَهُو حَقيْقٌ أَنْ يَمْنَحهُ أَفْضل مَا يعرف، ولهَذَا أَوْصَاهُ أَوْلاً بأَنْ يَعْبُدُ الله وَحدهُ لاَ يُشْرك به شَيْئًا »(١).

وَقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ ـ: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾.

وَلَمَّا أَمَرَ لُقْمَان وَلَده بتحْقيق التَّوْحيد بتْرك الشِّرْك، أَمَرَهُ بالقيَام بحَقِّ الوَالديْن، فَلَمْ يَطْلُب منْ وَلَده مُبَاشَرة برِّه والإحْسَان إلَيْه، بَلْ يُعَلِّمهُ حُقُوق الوَالدين في سيَاق جَميْل وَأُسْلُوب ذَكي بَعيْد عَن اسْتعْطَاف الوَلَد، إذْ لاَ يَليْقُ بالوَالد أَنْ يَقُول لوَلده: برني، اعْطف عَلَيَّ، فَالوَالدُ أَجَلُّ منْ أَنْ يَطلب منْ

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٥٣).

وَلَده هَذَا الطَّلَب »[(١)].

وَمنْ مَوْعظَة لُقْمَان لِولَده، أَنَّه ذَكَّرَهُ باليَوْم الآخِر وبالحِسَاب فَقَال: ﴿ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.

ثُمَّ ذَكَرَ عقبَ ذَلك التَحْذِير مِنَ المَعَاصِي والتَّرْغِيب فِي فِعْل الخَيْر ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ ﴾.

قَال جُمهور المُفَسرين: إِنَّ المُراد بِهَا الخَطِيْئة، أَي أَن الخَطِيْئة مَهْمَا صَغُر حَجْمها، ومَهْمَا أَخْفَاهَا فَاعلهَا؛ فَإِنَّ الله يَأْتِي بِهَا يَوْم القِيَامَة، وَيطلع عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا لاَ تَخْفَىٰ عَلَيْه خَافِيَة ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ، وَيُوصِي لُقْمَان وَلَدَه أَيْضًا: ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾.

فَحَثهُ عَلَىٰ الصَّلاَة، ثُمَّ حَثّهُ عَلَىٰ الأَمْر بالمَعْروفُ وَالنَّهْي عَلَىٰ المُنْكر، وَلَمَّا عَلِمَ لابُدَّ أَنْ يُبْتَلَىٰ إِذَا أَمَرَ وَنَهَىٰ، أَمَرَهُ بالصَّبْر وأَخْبَرَهُ أَنَّ الصَّبْر مِمَّا عَزَّمَهُ الله وأَمَرَ بِه؛ أَيْ: عَزِيْمَة وَاجبَة عَلَىٰ عِبَاده.

وَمِنْ مَوعظَة لُقْمَان لِوَلَده: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ أَيْ: لاَ تَتَكَبَّر وَتَحْتَقر العبَاد وَتَعْبَس بوجهك لِلنَّاس إِذَا كَلمتهُمْ احْتقَارًا لَهُمْ، وَلَكِنْ أَقْبل عَلَيْهم وَوجهُكَ مُنْبَسط وَمُقْبلُ عَلَيْهِمْ، وَمِنْ مَوْعظَة لُقْمَان لِوَلَده: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾ أَيْ: لاَ تَمْش مُتَبَخْترًا فَخْرًا بالنِّعَم، نَاسيًا المُنْعم، مُعْجبًا بِنَفْسك مُتَطَاولاً عَلَىٰ غَيْرك، فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِك يُبْغِضكَ الله ولا يُحِبُّك، ولا يَجْعَل لَكَ القَبُول فِي قُلُوبِ النَّاس.

---

(١) انظر: «فِقْهُ تربيَة الأَولاَد» للعَدَوي، بتصرف (١٩٨).

وَمِنْ مَوْعِظَةِ لُقْمَان لِوَلَدِهِ : ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ ﴾ أَيْ : امْشِ مُتواضعًا مُستكِيْنًا مُقْتَصِدًا ، لَيْس بالبَطِيْء المُتَثَبط ، ولَا بالسَّرِيْع المُفْرط وَلَكِنْ بَيْنَ ذَلِكَ.

وَمِنْ مَوْعِظَةِ لُقْمَان لِوَلَدِهِ : ﴿ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩ ﴾ .

قَالَ ابْن السَّعْدِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ- ﴿ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ ﴾ أَيْ : أَدَبًا مَعَ النَّاس وَمَعَ الله ﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ ﴾ أَيْ : أَفْظَعُهَا وَأَبْشَعُهَا ﴿ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩ ﴾ فَلَوْ كَانَ فِي رَفْع الصَّوْتِ البَلِيْغ فَائِدَة وَمَصْلَحَة ، لَمَا اخْتَصَ بِذَلَك الحِمَار الَّذي قَدْ عَلِمْتَ خسته وَبَلادَتهُ » .

رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُن وَاجْعَلْنَا لِلمُتَّقِيْنَ إِمَامًا .



٥١ الحجاب في الكتابِ والسُّنَّة

الخطبة الأولى:

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد -ﷺ-، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثة بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَة ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّار.

أَمَّا بَعْدُ، فَحديْثي مَعَكُمُ اليَوْمَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ الحجاب فِي الكِتَاب والسُّنَّة، فهو فريضةٌ فرضه الله علىٰ المرأةِ المُسلمة، وسوف أذكرُ الأدلة الدَّالَّة علىٰ ذَلكَ:

الدليل الأول: قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ

مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ ﴾ [الأحزاب:٥٣].

قَالَ ابن كثير ـ رَحِمَهُ الله ـ في تفسير هذه الآية:

«أي: كما نَهَيْتكُم عَنِ الدُّخولِ عليهنّ، كذَلِكَ لا تنْظروا إِلَيْهِنَّ بالكُلِّيَّة، ولو كَانَ لأحَدِكم حاجةٌ يُريد تناولها منهُنَّ، فلا ينظرْ إِلَيْهِنَّ، ولا يسألْهُنَّ حاجةً إِلَّا مِنْ وراءِ حِجابٍ»[1].

الدليل الثاني: قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٥٩ ﴾ [الأحزاب:٥٩].

وممَّا جاء في تفسير هذه الآية ما أخرجه شيخُ المُفسِّرين ابنُ جرير بسنده ـ وهو سندٌ صحيحٌ ـ قَالَ: «حدَّثني يَعْقُوبُ قَالَ: حدَّثنا ابْنُ علية عَن ابْنِ عَوْنٍ عَنْ محمَّد عَنْ عُبَيْدَة في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّۚ ﴾.

فلبسها عندنا ابْنُ عوْنٍ، قَالَ: ولبسها عندنا محمَّدٌ قَالَ محمَّدٌ: ولبسها عندَنا عُبيدةُ، قَالَ ابْنُ عَوْن بردائِه، فتقنع به، فغطَّىٰ أَنْفَهُ وعَيْنَهُ اليُسْرىٰ، وأَخْرَجَ عَيْنَهُ اليُمْنَىٰ، وأدْنَىٰ رداءَهُ مِنْ فَوْق، حتىٰ جَعَلَهُ قريبًا مِنْ حاجِبه، أو علىٰ الحاجِبِ»[2].

وقَالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّة ـ رَحِمَهُ الله ـ: «كانوا قَبْلَ أنْ تُنَزَّلَ آيةُ الحجاب كَانَ النساءُ يَخْرُجْنَ بلاَ جِلْبَاب، يَرَىٰ الرَّجُلُ وَجْهَهَا ويدَيْهَا، وكانتْ إذْ ذاك يجوزُ لها أَنْ تُظْهِرَ الوَجْهَ والكَفَّيْن، وكان حِينَئِذٍ يَجُوزُ النَّظَرُ إليْها؛ لأنه يجوزُ لها إظهارُهُ، ثمَّ لمَّا أنْزَلَ الله آية الحجاب بقولِه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّۚ ﴾ حُجبَ النساءُ عَنِ الرِّجالِ».

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٠٥).
(٢) «تفسير الطَّبَري» (٢٢/ ٣٣).

ثم قَالَ: «والجِلْبَابُ: هو المُلاءَةُ، وهو الذي يُسمِّيه ابْنُ مسعودٍ وغيرُهُ الرِّداءَ، وتُسَمِّيه العامَّةُ الإزارَ، وهو الإزارُ الكبيرُ الذي يُغَطِّي رَأْسَهَا وسائر بَدَنِهَا».

ثم قَالَ: «فإذا كُنَّ مَأْمُورات بالجلباب؛ لئلا يُعْرَفْنَ ـ وهو سَتْرُ الوَجْه أو سَتْرُ الوَجْهِ بالنِّقَاب ـ كَانَ الوَجْهُ واليَدَانِ مِنَ الزِّينةِ الَّتي أُمِرَتْ ألاَّ تظهرَها للأجانب، فما بَقِيَ يَحِلُّ للأجانبِ النَّظَرُ ـ أي إلىٰ الثياب الظاهرةِ»[1] أي: سَوَادِ الحِجابِ.

وأخرج أبو داودَ في «سُننه» بسَنَدٍ صَحِيْح، صحَّحَهُ الألبانيُّ في صحيح سُنن أَبِي داودَ[2] مِنْ حَدِيْث أُمِّ سَلَمَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ: «لَما نزلَتْ: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ خرج نساءُ الأنصارِ كأنَّ علىٰ رُءوسِهِنَّ الغِرْبانَ مِنَ الأكْسِيَةِ».

وقَالَ محمَّد الأمين الشَّنْقِيطيُّ في تفسير قولِه تَعالَىٰ ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾: «إنَّهُنَّ يَسْتُرْنَ بها جميعَ وُجُوهِهِنَّ، ولا يظهر منهُنَّ شيءٌ إلَّا عَيْنٌ واحدةٌ، تُبْصرُ بها، وممَّنْ قَالَ به ابنُ مسعودٍ، وابنُ عبَّاسٍ، وعُبيدةُ السلمانيُّ، وغيرُهُم»[3].

الدليل الثالث: قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور:٣١].

والمراد من هذه الآية هو سَتْرُ الوَجْهِ، كما قَالَ بذَلِكَ أهلُ العلم؛ لأنَّهُ مَحَلُّ الافتتان، ومَتىٰ رَغِبَ الرجلُ في خِطْبةِ امرأةٍ، لا ينظر لغَيْرِ وَجْهَها وكَفَّيْها.

ودَعُونا ننظرْ إلىٰ تطبيقِ الصحابيَّاتِ لهذه الآيةِ الكريمةِ،فَفي«صحيح

---

(١) «الفَتَاوىٰ» لشيخ الإسْلام ابن تَيْمية (٢/ ١١٠).
(٢) أخرجه أبو دَاوُد (٤١٠١)، وصححه الألباني فِي «صَحِيْحِ سُنن أَبِي داود» (٣٤٥٧).
(٣) «أَضْوَاء البَيَان» (٦/ ٥٨٦).

البخاريِّ» [١] مِنْ حَدِيْثِ صَفيةَ بِنْت شَيْبَةَ: أَنَّ عائشةَ ـ رَضيَ اللهُ عَنْهَا ـ كانتْ تقولُ: «لَمَّا نزلتْ هذه الآيةُ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ أَخَذْنَ أُزُرَهُنَّ، فَشَقَّقْنَها مِنْ قِبَلِ الحَواشي، فاخْتَمَرْنَ بها».

قَالَ الحافظ ابن حجر ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «قولُها: «فاخْتَمَرْنَ»: أي غَطَّيْنَ وُجُوهَهُنَّ، وصفةُ ذَلِكَ أَنْ تضعَ الخِمَارَ علىٰ رَأْسِها، وتَرميَهُ بالجانبِ الأيمن علىٰ العاتقِ الأَيْسَرِ، وهو التقنُّعُ» [٢].

وأخرج الإمامُ البخاريُّ في صحيحه مُعلَّقًا، ولكنَّه موصولٌ عندَ أَبي داودَ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْحِ سُنن أَبي داودَ» [٣] مِنْ حَدِيْث عائشةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ: «يَرْحَمُ اللهُ نساءَ المُهاجراتِ الأُوَلَ؛ لمَّا أَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شَقَّقْنَ مُرُوطَهُنَّ، فاخْتَمرنَ بها».

الدليل الرابع: قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [النور:٦٠].

وممَّا جاء في تفسير هذه الآيةِ ما أخرجه شيخُ المفسِّرين ابن جرير الطَّبري مِنْ حَدِيْثِ شُعبةَ عَن الحكم قَالَ: سمعتُ أبا وائلٍ قَالَ: سمعت عبدَ الله (يعني ابْنَ مسعودٍ) يقولُ في هذه الآيةِ: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾.

قَالَ: «الجِلْباب» [٤] وهو حديثٌ موقوفٌ صحيحٌ.

---

(١) صحيح البُخاري (٤٧٥٩).

(٢) «فَتْحُ البَارِي» (٨/ ٤٩٠).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٧٥٨) مُعلقًا، لكنه موصُول من طريق آخر عن ابن شِهاب عند أَبي دَاود (٤١٠٢)، وصححه الألباني فِي «صَحِيْحِ سُنن أَبِي داود» (٣٤٥٧)، وانظر: «تغليق التعليق» (٤/ ٢٦٩).

(٤) «تفسير الطبري» (١٨/ ١٢٧).

وأخرج البيهقيُّ في «سُننه» بِسَنَد صَحِيْح[1] مِنْ حَدِيْث عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنه كَانَ يقرأ: ﴿أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ قَالَ: «الجِلْبابُ» .

ولننظرْ كَيْفَ طبَّقتِ التابعيَّةُ الجليلةُ حَفْصَةُ بِنْتُ سيرينَ هذه الآية بالتَّنَقُّب:

فقد أخرج الإمام البيهقيُّ بِسَنَدٍ صَحِيْح عَنْ سُفيانَ عَنْ عاصم الأحول قَالَ: «كُنَّا ندخلُ علىٰ حَفْصةَ بِنْت سِيرينَ، وقَدْ جَعَلت الجِلْبابَ هكذا، وتنقبَتْ به، فنقولُ لها: رَحِمَك اللهُ، قَالَ الله ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ﴾ هُو الجِلْبابُ. قَالَ: فتقولُ لنا: أيُّ شيءٍ بَعْدَ ذَلكَ؟. فنقولُ: ﴿وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ﴾ [النور:٦٠] فتقولُ: هو إثباتُ الجِلْبابِ» .

والقواعدُ ـ أيُّها النَّاسُ ـ هُنَّ العُجُزُ اللَّواتِي قَعَدْنَ عَنِ التَّصرُّفِ مِنَ السِّنِّ، كما قَالَ ذَلِكَ شيخُ المفسِّرين ابنُ جرير الطبريُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ[2] .

الدليل الخامسُ: قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ٥٥﴾ [الأحزاب:٥٥].

قَالَ ابن كثير ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «لمَّا أَمَرَ اللهُ النِّساءَ بالحِجابِ عَنِ الأجانب، بَيَّنَ أَنَّ هَؤلاءِ الأقاربَ لا يجبُ الاحتجابُ عنهم، كما استثناهم في سُورةِ النور عند قوله ـ تعالَىٰ ـ: ﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ

---

(١) رَوَاهُ البيهَقي فِي «سُننه» (٧/ ٩٣) .

(٢) «تفسير الطبري» (١٨/ ١٢٦) .

﴿ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ﴾ [النور:٣١] »[1] .

تلك ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ خمسةُ أدلَّةٍ مِنَ القرآنِ الكريم، تُفِيدُ وُجُوبَ احتجاب المرأة المُسْلِمةِ عَن الرِّجال الأجانب، والمؤمنُ الحقُّ يكفيه دليلٌ واحدٌ، لكن رَغِبْنا في تكثيرِ الأدلَّةِ، ليعلَمَ الناسُ الحقَّ بدليله، فإنَّ أصحابَ الشَّهواتِ قَدْ نَجَحُوا في طَرْحِ الشُّبُهاتِ حَوْلَ الحِجاب، حتَّىٰ أَقنَعُوا بَعْضَ الجُهالِ أَنَّه عادةٌ، ولَيْسَ عِبادةً، وَأَنَّهُ سُنَّةٌ، ولَيْسَ فريضةً، فَإنَّا للهِ، وإنَّا إلَيْهِ راجعون! .

وأستغفرُ اللهَ.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢١٨) .

الخطبة الثانية:

الحِجـاب في السُّنَّة

الحَمْدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسَّلامُ علىٰ أشْرفِ المُرسلينَ، وعلىٰ آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

أمَّا بَعْدُ: فتقدَّم -أيُّهَا النَّاسُ- ذِكْرُ الأدلَّةِ مِنَ القُرآنِ الكريمِ علىٰ وُجوبِ الحِجاب.

وفيما يأتي ذِكْرُ أدلَّةِ السُّنَّة، فمنها:

الدليل الأول: ما جاء في الصحيحين[1] مِنْ حديث عائشةَ ـ رَضيَ اللهُ عَنْهَا ـ في قصَّةِ الإفْك، وفيه: «وكان صَفْوانُ بْنُ المُعَطَّلِ السُّلَميُّ ثُمَّ الذَّكْوانيُّ مِنْ وراءِ الجيشِ، فأدْلَجَ، فأصبحَ عندَ مَنْزلي، فرأىٰ سَوادَ إنسانٍ نائم، فأتاني فَعَرَفَني حِينَ رَآني، وكان يَرَاني قَبْلَ الحِجَاب، فاستيقظتُ باسترجاعِهِ (أي: قولِهِ: إنَّا لله، وإنَّا إلَيْهِ راجعون) حِينَ عَرَفَني، فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بجلبابي» .

قَالَ الحافظ ابْنُ حَجَرٍ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «قولُها: «فخَمَّرْتُ» أي: «غَطَّيْتُ» »[2] .

الدليل الثاني: أخرج الحاكمُ في «مستدركه» بسَنَد صَحيْح[3] مِنْ حَديْث أسماءَ بنْت أَبي بَكْر ـ رَضيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَتْ: «كُنَّا نُغَطِّي وُجُوهَنا مِنَ الرِّجالِ، وكُنَّا نَمْتَشِطُ قَبْلَ ذَلِكَ في الإحْرام» .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٤١)، وَمُسْلم (٢١٢٩) .
(٢) «فتح الباري» (٨/ ٤٦٣) .
(٣) أخرجه الحاكم في «مُستدركه» (١/ ٤٥٤) .

الدليل الثالث: ما جاء في «الصحيحين »[١] مِنْ حَدِيْث عائشة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ: «خَرَجَتْ سَوْدَةُ ـ بَعْدَ ما ضُربَ الحِجابُ ـ لحاجتِها، وكانت امرأة جسيمةً (أي طويلةً)، لا تَخْفَىٰ علىٰ مَنْ يَعرفُها، فرآها عُمَرُ بْنُ الخطَّاب، فقَالَ: يا سَوْدَةُ، أمَا والله، ما تَخفَيْنَ عَلَيْنا، فانظري كَيْفَ تَخْرُجِينَ، قَالَتْ: فَانكَفَأَتْ راجعةً، ورَسُولُ الله - ﷺ - في بَيْتي، وإنَّهُ يتعشَّىٰ وفي يَدِه عرْقٌ، فَدخَلت فقَالَتْ: يا رسولَ لله، إني خَرَجْتُ لبَعْضِ حاجتي، فقَالَ لي عُمَرُ كذا وكذا قَالَتْ: فأوحىٰ اللهُ إلَيْهِ، ثمَّ رُفِعَ عنه، وإنَّ العَرْقَ في يدِهِ ما وَضَعَهُ، فقَالَ: «إنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لَكُنَّ أنْ تَخْرُجْنَ لحاجتِكُنَّ » .

قَالَ الإمامُ السَّنديُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «قُلْتُ: الشاهدُ معروفٌ مِنْ هذا الحديثِ، وهو أنَّ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ لم يَعْرِفْ سَوْدَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ مِنْ وَجْهِها وكَفَّيْها؛ وإنَّما عَرَفَها مِن جسامةِ جِسْمِها، فدلَّ علىٰ أنها كانتْ مستورةَ الوَجْه، والكَفَّيْن، وسائرِ الجِسْم، وإذا لم يكنْ هذا المَعْنىٰ مُرادًا، فماذا كانوا يُغَطُّون قَبْلَ نُزُولِ الحِجابِ؟!، وهذا أمرٌ في غايةِ الوُضوح والبيانِ، وإذا لم تكنْ سَوْدَةُ بنْتُ زَمْعَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ مستورةَ الوَجْه عند خُرُوجها مِنْ بيتِ النبيِّ - ﷺ -، فَكيف يُقَالُ فِي حَقِّها، وحَقِّ غَيْرِهَا مِنْ أُمَّهاتِ المُؤمنين ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ ـ: إنَّهُنَّ امْتَثَلْنَ الأمْرَ الإلهيَّ بالحِجابِ؟! »[٢] .

الدليل الرابع: ما جاء في «الصحيحين » مِنْ حَدِيْث أُمِّ عطيَّةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ: أنَّ النبيَّ - ﷺ - لمَّا أَمَرَ بإخراجِ النِّساءِ إلىٰ مُصلَّىٰ العيد ـ قُلْنَ: يا رسولَ الله، إحداهُنَّ لا يكونُ لها جِلْبابٌ؟ فقَالَ النبيُّ - ﷺ -: «**لِتُلْبِسْها أُختُها مِن جِلْبابِها**»[٣].

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٨/ ٤٣٠)، وَمُسْلم (٧/ ٦) .
(٢) « رسَالة الحِجاب» للسندي (ص ٢٠) .
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٢٤)، وَمُسْلم (٨٩٠) .

قَالَ العلامةُ محمَّدُ بنُ صالح العُثَيْمين ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «فهذا الحديثُ يدلُّ علىٰ أنَّ المُعتادَ عندَ نساءِ الصحابةِ ألاَّ تخرُجَ المرأةُ إلَّا بجلبابٍ، وأنَّها عندَ عَدَمِهِ لا يُمكنُ أنْ تخرُجَ، ولذَلِكَ ذَكَرْنَ ـ رَضيَ اللهُ عَنْهُنَّ ـ هذا المانعَ لرسولِ اللهِ - ﷺ - حِينَما أمَرَهُنَّ بالخروجِ إلىٰ مُصلَّىٰ العِيدِ، فبيَّنَ النبيُّ - ﷺ - لهُنَّ حَلَّ هذا الإشكالِ، بأنْ تُلبِسَها أُختُها مِنْ جِلْبابِها، ولَمْ يَأْذَن لهُنَّ بالخروجِ بغيرِ جِلْبابٍ» [١].

الدليل الخامس: ما جاء فِي «صَحِيْح البخاري» [٢] مِنْ حَديْث ابْن عُمَرَ -رَضيَ اللهُ عَنْهُمَا- أنَّ النبيَّ - ﷺ - قَالَ: «**لا تَنْتَقِبُ المُحْرِمَةُ، ولا تَلْبَسُ القُفَّازَيْن**».

قَالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّةَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «وهذا ممَّا يدلُّ علىٰ أنَّ النِّقابَ والقُفَّازَيْن كانا مَفرُوضيْنِ في النِّساءِ اللاتي لم يُحرِمْنَ، وذَلِكَ يَقْتضي سَتْرَ وُجُوهِهِنَّ وأَيْديهِنَّ» [٣].

الدليل السادسُ: ما جاء في سُنن التِّرْمذيِّ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ [٤] مِنْ حديث ابْن عُمَرَ ـ رَضيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**مَنْ جَرَّ ثوبَهُ خُيَلاءَ، لم ينظر اللهُ إليْهِ يومَ القيامة**»، فقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ ـ رضي اللهُ عنها ـ: فكيف تصنعُ النِّساءُ بذُيُولِهنَّ؟ قَالَ: «**يُرْخِينَ شِبْرًا**»، فقَالَت: إذًا تَنْكَشِفُ أَقْدامُهُنَّ، قَالَ: «**فَيُرْخِينَهُ ذِراعًا، ولا يَزِدْنَ عليه**».

قَالَ العلامةُ بكر أبو زيد: «فالوَجْهُ ـ مَثَلاً ـ أعظمُ فتْنةً من القَدَمين، فَسَتْرُهُ أَوْجَبُ مِنْ سَتْرِ القدمينِ، وحكمةُ اللهِ ـ العليمِ الخبيرِ ـ تَأْبَىٰ الأَمْرَ بسَتْرِ الأدْنَىٰ،

(١) «رسالة الحجاب» لابن عُيمين (ص١٦).
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤/ ٤٢).
(٣) «تفسير سُورة النور» لابن تَيْمية (ص٥٦).
(٤) رَوَاهُ الترمذي (١٨٠١)، وصححه الألباني فِي «صَحِيحِ الترمذي» (١٤١٥).

وكَشْفِ ما هو أشدُّ فِتْنةً »[١] .

أيها الناسُ، لو أراد أحدُنا خِطْبَةَ فتاةٍ، وعُرِضَ عليه رُؤْيةُ سائرِ جَسَدِها مِنْ غَيْرِ رُؤْيةِ وَجْهِها، فمَنْ منَّا يَرْضىٰ بغير رؤيةِ الوَجْهِ بديلاً؟!.

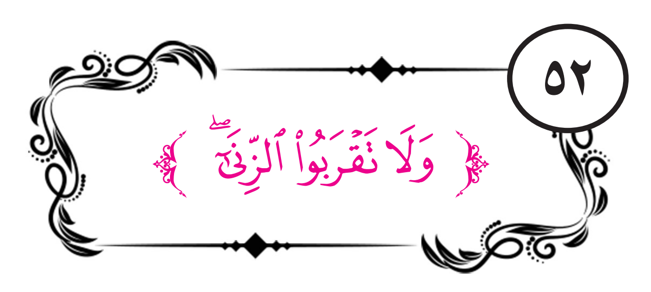
أَيُّهَا النَّاسُ، علينا أنْ نتَّقيَ اللهَ في نسائِنا، وبناتنا وأخَوَاتِنا، ومَنْ لنا عليهنَّ ولايةٌ امتثالاً لأمر الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ القائل في مُحكَم كتابِه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم:٦].

وامتثالاً لأمرِ الرَّسول - ﷺ - القائل ـ كما في «الصحيحين »[٢] مِنْ حَدِيْث ابنِ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: **«كُلُّكُمْ راعٍ، وكُلُّكُمْ مَسْئولٌ عَنْ رعيَّتِه، والأميرُ راعٍ، والرجُلُ راعٍ علىٰ أهلِ بَيْتِهِ، والمرأةُ راعيةٌ علىٰ بَيْتِ زَوْجها ووَلَدِهِ، فكُلُّكُمْ راعٍ، وكُلُّكُمْ مَسْئُول عَنْ رعيَّتِهِ »** .

جَعَلَنا اللهُ مِنَ الذين يستمعون القولَ، فيتَّبعون أحْسَنَهُ.

---

(١) « حراسة الفضيلة» (ص٦٢) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٢٠٠) ، وَمُسْلم (١٨٢٩) .



الخطبة الأولى:

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُه، وَنَسْتَغْفِرُه، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيْئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَه ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْيِ هَدْيُ محمّد- ﷺ-، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمّا بَعْدُ:

-أَيُّهَا النَّاسُ-، فَإِنَّ مِنْ أَعظَم الكبائر والمَصَائب الَّتي تُفسد عَلىٰ المرء دنياه وأُخرَاه، وتجعَلَه في هَمٍّ وغَمٍّ في حَيَاته، حَتىٰ عندَ وَفَاته، وفي قَبره، ويَوم يَقُوم النَّاس لرَبِّ العَالمين ، جَريمة الزنىٰ الَّتي تَجلب لفَاعلها العَذَاب في

الدُّنيَا والآخرَة، والَّتِي تَسَبب في ذَهَاب العافية، وَزَوَال الصحة، وذَهَاب النِّعَم، وحُلول النقم، ومَحْق البَرَكَة في الأَعمَار وَالأَرزَاق.

والله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ حرم الزِّنىٰ، وحذَّر منه أشدَّ التحذير، وبيَّن ذَلِك أوضحَ بيانٍ، فقَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾[الإسراء:٣٢].

قَالَ العلماء في قوله ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾ «ذَلِكَ أبلغ من أن يقول: ولا تزنوا؛ فإن معناه لا تَدْنُوا من الزنىٰ» .

وقرن الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ الزنىٰ بالشرك به، فقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان:٦٨ـ٧٠].

فَقَرَنَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ الزنىٰ بالشرك، وقتل النفس، وَجَعَل جَزَاء ذَلكَ الخُلُود في العَذَاب المضاعف، مَا لم يُحْدِث العَبدُ تَوبةً.

قَالَ العلامة ابن سَعْديٍّ ـ رَحِمَهُ الله ـ: «ونصَّ ـ تَعَالَىٰ ـ علىٰ هذه الثلاثة؛ لأنها أكبر الكبائر: فالشِّرك فِيْهِ فَسَاد الأديان، والقتل فِيْهِ فَسَاد الأبدان، والزنىٰ فِيْهِ فَسَاد الأَعْرَاض»[1] .

وجعل الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ اقتران الزاني بالمُشْركَة وبالزانية، فقَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [النور:٣].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٣/ ٥٠٨) .

ومعنىٰ الآية أن الزاني لا ينبغي له أن يتزوج إلَّا زانيةً أو مُشركةً، ولا يجوز له أن يتزوج بالعفيفة الشريفة الطيِّبة الطاهرة، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَالطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ﴾ [النور:٢٦].

فالرجل الشريف حقًّا لا يرضىٰ لنفسه ولا لأولاده الزواج بالزانية، ومن طريف ما يذكر أن أعرابيًّا رأىٰ رجلاً ينظر لامرأته مجرَّد نظرةٍ، فطلقها لذَٰلِكَ، وأنشأ يقول:

إذَا وَقَعَ الذُّبَابُ عَلَىٰ طَعَامٍ ... رَفَعْتُ يَدِي وَنَفْسِي تَشْتَهِيهِ
وَتَجْتَنِبُ الأُسُودُ وُرُودَ مَاءٍ ... إذَا كَانَ الْكِلَابُ وَلَغْنَ فِيهِ

وأثنىٰ الله علىٰ المؤمنين المحافظين الذين لم يقعوا فيما نهاهم الله عنه، فقَالَ: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ ﴾ [المؤمنون:٥ـ٧].

وأمر الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ المُؤمنين والمُؤمنات بحفظ الفروج مُطلقًا، فقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ﴾ [النور:٣٠].

وقَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [النور:٣١].

وأثنىٰ الله علىٰ الحافظين فُروجهم من النِّسَاء والرِّجال، فقَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ ﴾ [الأحزاب:٣٥].

وحذَّرنا نبيُّنا محمَّد ـ ﷺ ـ من الزنىٰ أشدَّ التحذير، ففِي «الصَّحِيْحَيْن»[1] مِنْ حَدِيْث عائشة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ: قَالَ رسول الله ـ ﷺ ـ: «**يا أُمَّة محمَّد، ما مِنْ أَحَد أَغْيَرُ مِنَ الله أن يَزْني عبدُهُ، أو تَزْني أَمَتُهُ**».

وذَكَرَ ـ ﷺ ـ أن جَرِيمَة الزنَىٰ أَكبَر ذَنب عِنْدَ الله بَعدَ الشِّرك، وَقَتل النَّفس،

(١) البخاري (١٠٤٤)، وَمُسْلم (٩٠١).

فَفِي «الصَّحِيْحَيْن» [١] مِنْ حَدِيْث عَبْد الله بن مَسْعود ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رجل: يا رسولَ الله، أيُّ الذنب أكبرُ عندَ الله؟ قَالَ: «**أن تدعوَ لله ندًا وهو خلقك**». قَالَ: **ثمَّ أيُّ؟ قَالَ**: «**أنْ تقتلَ ولدَك خَشْيَةَ أنْ يَطْعَمَ مَعَك**». قَالَ: ثم أيُّ؟ قَالَ: «أن تزنيَ حَليلةَ جارك»، فأنزل الله ـ عزَّ وجل ـ تصديقها: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ [الفرقان:٦٨].

وَفِي «الصَّحِيْحَيْن» [٢] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**لا يزني الزاني حين يَزْني وهو مؤمنٌ**».

وضمن رسول الله ـ ﷺ ـ لمن حفظ لسانه وفَرْجه بالجنَّة، فَفِي «صحيح البخاري» [٣] مِنْ حَدِيْث سَهْل بن سَعْد ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ: «**مَنْ يَضْمَنْ لي ما بَيْنَ لَحْيَيْهِ ـ أي اللِّسانَ ـ وما بَيْنَ رِجْلَيْه ـ أي: الفَرْج ـ أَضْمَنْ له الجنَّةَ**».

وأخبر ـ ﷺ ـ أن أكثر ما يُدْخلُ النارَ الفم والفَرْج، فَفِي «سُنن التِّرْمذيِّ، وابن مَاجَهْ» بسند حسَّنه الألْبانيُّ في «الصحيحة» [٤] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: «**سُئِلَ رسول الله ـ ﷺ ـ: ما أكثرُ ما يُدْخِلُ الجنَّةَ؟ قَالَ: «التقوىٰ، وحُسْنُ الخُلُقِ**». وسُئِلَ: ما أكثرُ ما يُدْخِلُ النارَ؟ قَالَ: «**الأَجْوفانِ: الفَمُ، والفَرْجُ**».

---

(١) البخاري (٤٤٧٧)، ومُسْلم (٨٦).
(٢) البخاري (٢٤٧٥)، ومُسْلم (٧٥).
(٣) البخاري (٦٤٧٤).
(٤) الترمذي (٢٠٠٤)، وابن ماجه (٤٢٤٦)، وانظر: «الصحيحة»، و«صحيح سُنن ابن ماجه» (٤٣٢٤).

وفي «مُسند الإمام أحمد »[١] ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ مِنْ حَدِيْثِ عبد الرحمن بن عَوْفٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ- ﷺ-: «**إذا صلَّتِ المرأةُ خَمْسَها، وصامت شَهْرَها، وحفظتْ فَرْجَها، وأطاعتْ زوجَها ـ قيل لها: ادخلي الجنَّةَ من أيِّ أبوابِ الجنَّةِ شِئْتِ** » .

وفي «سُنن التِّرْمذيِّ »[٢] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ- ﷺ-: «**مَنْ وَقَاهُ اللهُ شرَّ ما بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وشرَّ ما بَيْنَ رِجْلَيْهِ ـ دَخَلَ الجنَّةَ** » .

أَيُّها الناس، لقد تفشىٰ الموتُ والهلاكُ بَيْنَ بني البشر، وانتشرت الأمراض الَّتِي لم تكن معروفةً من قَبْلُ بسبب جريمة الزنىٰ، ومن تلك الأمراض وأكثرها شيوعًا الأمراض الزُّهْريَّة، وأخطر من ذَلِكَ الإيدز، وغير ذَلِكَ من الأمراض، وكُلُّ هذا بسبب مخالفة شَرع الله.

فَفِي «سُنن ابن مَاجَهْ»[٣] مِنْ حَدِيْث عبد الله بْن عُمَر ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: أقبل علينا رسول الله- ﷺ- فقَالَ: «**يا مَعْشَرَ المهاجرين، خَمْسٌ إذا ابتُليتم بهنَّ ـ وأعوذ باللهِ أن تُدْركوهُنَّ ـ: لم تظهر الفاحشةُ في قوم قطُّ حتىٰ يُعْلنوا بها إلَّا فشا فيهم الطاعونُ، والأوجاعُ الَّتِي لم تكنْ مَضَتْ في أسْلافِهمُ الذينَ مَضُوا...**».

ولعظيم خطورة الزنىٰ جعل اللهُ عقوبتها الرَّجْمَ بالحجارة حتىٰ الممات لمن زنىٰ وهو مُحْصَن، والجَلْدَ والتغريبَ عن البلاد عامًا كاملاً لمن زَنَىٰ ولم يكن قد أُحْصِنَ ـ أي: لم يتزوج بَعْدُ ـ.

---

(١) رَوَاهُ أحمد في «مُسنده» (١٦٦٠)، الطبراني في «الأوسط» (٤٥٨٩)، وانظر: «صحيح الجامع» للألباني (٦٦٠) .
(٢) رَوَاهُ الترمذي في «سُننه » (٢٤٠٩)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٥١٠) .
(٣) «السلسلة الصحيحة» للألباني (١٠٦) .

فَفِي «صَحِيْح مُسْلِم»[١] مِنْ حَدِيْث عُبادة بن الصَّامت ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**خُذوا عنِّي خُذوا عني، قد جعل الله لهُنَّ سبيلاً: البِكْرُ بالبِكْرِ جَلْدُ مائةٍ، ونَفْيُ سنةٍ، والثَّيِّبُ بالثيِّبِ جَلْدُ مائةٍ والرَّجْمُ**».

وَفِي «الصَّحِيْحَيْن»[٢] مِنْ حَدِيْثِ جابر بن عبد الله ـ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ـ: أن رجلاً من «أَسْلَمَ» أَتىٰ رسولَ الله ـ ﷺ ـ فحدَّثه أنه قد زنىٰ، فَشَهِدَ علىٰ نفسه أربعَ شَهَاداتٍ، فأمر به رسول الله ـ ﷺ ـ فرُجِمَ، وكان قد أُحْصنَ».

وفِي «صَحِيْح مُسْلِم»[٣] مِنْ حَدِيْثِ بُرَيْدة ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: إنَّ ماعزَ بن مالك الأسلميَّ أتىٰ رسولَ الله ـ ﷺ ـ فقَالَ: يا رسولَ الله، إني قد ظلمتُ نفسي وزَنَيْتُ، وإني أريدُ أن تُطهِّرَني، فردَّه، فلمَّا كَانَ في الغَدِ أتاه، فقَالَ: يا رسولَ الله، إني قد زَنَيْتُ، فردَّه الثانية، فأرسل رسول الله إلىٰ قومه، فقَالَ: «أتعلمون بعَقْلِه بأسًا، تُنكرون مِنْهُ شيئًا؟»، فقَالَوا: ما نعلمُهُ إلَّا وفيَّ العقلِ، من صالحينا فيما نرىٰ، فأتاه الثالثة، فأرسل إلَيْهم ـ أيضًا ـ، فسأل عنه، فأخبروه أنه لا بأسَ بعَقْلِهِ، فلمَّا كَانَ الرابعة حُفرَ له، ثمَّ أمر به فرُجِمَ.

وروىٰ مُسْلِم[٤] أيضًا ـ فِي «صَحِيْحه» مِنْ حَدِيْث عِمْرانَ بن حُصَيْن ـ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ـ أنَّ امرأةً من جُهَينةَ أتتِ النبيَّ ـ ﷺ ـ وهي حُبْلَىٰ من الزنىٰ، فقَالَت: يا نبيَّ الله، أصبتُ حدًّا ـ أي: ارتكبتُ أمرًا يُوجب الحدَّ ـ فأقِمْهُ عليَّ، فدعا نبيُّ الله ـ ﷺ ـ وليَّها، فقَالَ: «**أحْسِنْ إلَيْها، فإذا وضعتْ فائْتِني بها**» ففعل، فأمر بها نبيُّ الله ـ ﷺ ـ فَشُكَّت عليها ثيابُها ـ أي شدَّتْها، حتىٰ لا تنكشف عَوْرتُها ـ، ثمَّ أمر بها فرُجِمَتْ، ثمَّ صلَّىٰ عليها، فقَالَ له عمر: أتُصلِّي عليها يا نبيَّ اللهِ

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِم (١٦٩٠).
(٢) البخاري (٦٨١٤)، واللفظ له، ومُسْلم (١٣١٨).
(٣) رَوَاهُ مُسْلِم (١٦٩٥).
(٤) رَوَاهُ مُسْلِم (١٦٩٦).

وقد زَنَتْ؟!. فقَالَ: «لقدْ تابتْ توبةً، لو قُسِّمَتْ بَيْنَ سبعين من أهل المدينة لَوَسِعَتْهم، وهَلْ وجدْتَ توبةً أفضلَ مِنْ أنْ جادتْ بنفسِها لله ـ تعَالَىٰ ـ؟!» .

أَيُّها الناس، هذه هي عقوبة الزاني المُحْصنِ في الدنيا، ولكن كَيْفَ تكون عقوبته في الآخرة؟!.

إن لم يُطَهَّر أو يتب إلىٰ الله توبةً صادقةً، فلا شكَّ أنَّ العقوبة أشدُّ.

فَفِي «صحيح البخاري »[1] مِنْ حَدِيْث سَمُرَةَ بن جُنْدب ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أنَّ النبيَّ – ﷺ – رأىٰ رُؤْيا فِيْهَا أنه قَالَ: «**إنَّهُ أتاني الليلة آتيانِ، وإنَّهما ابْتَعَثاني، وإنهما قَالَا لي: انطلقْ، وإني انطلقتُ معهما...** » فذكر الحديث وفيه: «فانطلقنا، فأتينا علىٰ مِثْلِ التَّنُّور، فإذا فيه لغط وأصواتٌ، فاطَّلعْنا فيه، فإذا فيه رجالٌ ونساءٌ عراة، وإذا هم يأتيهم لَهَبٌ من أَسْفَلَ منهم، فإذا أتاهم ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا ـ أي: صاحُوا ـ قُلْتُ: ما هؤلاء؟...» فذكر الحديث وفيه: «**وأمَّا الرِّجالُ والنِّساءُ العُرَاةُ الذين في مِثْلِ بنَاءِ التَّنُّورِ، فإنَّهُم الزُّناةُ والزواني** » .

أَيُّهَا النَّاسُ، لا شكَّ أنَّ الجزاءَ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ، فهذه الفُرُوجُ الَّتِي تلذَّذتْ بالحرامِ يأتيها اللَّهَبُ من أسفلَ منها فيحرقُها، فلا خيرَ في لَذَّة من بَعْدِها النَّارُ!.

وأستغفر الله.

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٧٠٤٧) .

الخطبة الثانية:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمَّدٍ، وعلىٰ آله وصَحْبه وسلَّم.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّها الناس، فقد حرَّم الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ الزنىٰ؛ حتىٰ تنتظمَ حركة الكون والحياة، وحتىٰ يعيشَ الإنسانُ حياةً عفيفةً طاهرةً سليمةً من الأَقْذَار والأرجاسِ، والله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ حرَّم الزنىٰ، وحرَّم جميع مُقدِّماته ودواعيه.

أَلا فما أكثر المُغْريات الَّتِي تحث علىٰ الزنىٰ، وتدعو إِلَيْهِ، وسوف أذكر بعضًا منها ـ علىٰ سبيل المثال ـ:

فمن ذَلِكَ إطلاق البصر فيما لا يحلُّ، فهو من أعظم الأسباب المُوصلة إلىٰ الزنىٰ، بل هو ـ كما يقول أهلُ العلم ـ بَرِيدُ الزِّنىٰ ـ أي رسولُهُ ـ، ولمَّا كَانَ الأمر كذَلِكَ أمر الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ بغضِّه، فقَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ﴾ [النور:٣٠].

وقَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [النور:٣١].

وحذَّر النبيُّ ـ ﷺ ـ من إطلاق النظر إلىٰ المحرَّمات، واعتبره من الزِّنىٰ، كما في «الصحيحين»[١] من حَدِيْث أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٢٤٣)، وَمُسْلم (٢٦٥٧).

اللهِ -ﷺ-: «**إنَّ اللهَ كَتَبَ علىٰ ابْنِ آدَمَ حظَّهُ من الزنىٰ، أدرك ذَلِكَ لا مَحَالَةَ، فزنىٰ العَيْنِ النظرُ، وزنىٰ اللسان المَنْطِقُ، والنَّفسُ تمنَّىٰ وتَشتهي، والفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ أَو يُكذِّبُهُ**».

ومن أسباب الزنى الاختلاط:

فالاختلاط سبب لكثرة الفواحش والزِّنىٰ، سواء كَانَ الاختلاط في المدارس، أو الجامعات، أو المستشفيات، أو الطرقات، أو الأسواق، أو البيوت، أو الوظائف، وقد حرَّم الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ الاختلاط، فقَالَ - وَتَعَالَىٰ -: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣].

وحذَّر نبيُّنا -ﷺ- من الاختلاط، فَفِي «سُنن أَبِي داود» بسندٍ حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ في «الصحيحة» مِنْ حَدِيْثِ حمزة الأنصاريِّ عن أَبيه أنه سمع رسول الله -ﷺ- يقول للنساء ـ وهو خارج من المسجد، فاختلط الرِّجال مع النساء في الطريق ـ: «**استأخِرْنَ، فإنَّه لَيْسَ لكُنَّ أنْ تحققْنَ الطَّريق** ـ أي: تركَبْنَ حقَّها: وهو وسطُها ـ **عليكُن بحافات الطريق**»[(١)] فكانتِ المرأةُ تلتصقُ بالجِدارِ، حتَّىٰ أنَّ ثوبَها لَيَتعلَّقُ بالجدارِ من لُصُوقِها به.

ومن ذَلِكَ سماع الأغاني، وهو من أسباب الوقوع في الزنى:

كما قَالَ ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «إنَّ المرأة إذا استعصت علىٰ الرّجل، اجتهد أنْ يُسمعها صوتَ الغناءِ، فحينئذٍ تُعطي اللِيانَ ـ أي: تُعطي نفسَها، والعياذ بالله!».

والغناء محرَّم، واستحلاله من قِبَلِ من لا خَلاقَ لهم من علامة الساعة، فقد أخرج البخاري فِي «صَحِيْحِه»[(٢)] معلقًا مِنْ حَدِيْثِ أَبِي مالك الأشعريِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**ليكونَنَّ أقوامٌ من أُمَّتي يستحلُّون الحِرَ والحريرَ،**

---

(١) رَوَاهُ أبو داود (٥٢٧٢)، وانظر «الصحيحة» (٨٥٦).
(٢) صحيح البخاري (٥٥٩٠)، ووصله أبو داود (٤٠٣٩).

والخَمْرَ والمعازف» .

والحِرُ: هو الفَرْجُ، والمعازفُ: آلات العَزْف والمُوسيقىٰ.

ومن أسباب الزنى مُشاهدة المُسَلْسَلات الَّتي تتبرَّج فِيْهَا النساء:

وكذَلِكَ المجلاَّت والصُّحف النَّسائِية الخليعة، والصور الماجنة، ممَّا حرَّمه الإسلام، وكذَلِكَ القنوات الفضائية الَّتِي تدعو إلىٰ الزنىٰ والانحراف عن الأخلاق الفاضلة، بل ذَلِكَ من أعظم دواعي الزنىٰ، والواقع خيرُ شاهدٍ.

ومن أسباب الزنى الخَلْوَةُ بالمرأةِ الأجنبية، وقد نهى رسول الله - ﷺ - عن ذَلِكَ:

كما في «الصحيحين»[1] منْ حَديْث ابن عبَّاس -رَضِيَ الله عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**لا يَخْلُوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ إلَّا مع ذي مَحْرم**» .

وأخرج الإمامُ أحمدُ في «مُسْنده»[2] منْ حَديْث عمر بن الخطاب -رَضِيَ الله عَنْهُ- أنَّ رسول الله - ﷺ - قَالَ: «**لا يَخْلُونَّ رجلٌ بامرأة؛ فإنَّ الشيطانَ ثالثُهما**».

وحذَّر النَّبيُّ - ﷺ - من الدخول علىٰ النساء، وحذَّر أشدَّ التحذير من قريب الزوج: كأخيه وابن عمِّه؛ لتمكنه من الدُّخول علىٰ المرأة من غير نكير،

فَفِي «الصَّحيْحَيْن»[3] منْ حَديْث عُقبة بن عامر -رَضِيَ الله عَنْهُ أنَّ رسول الله - ﷺ - قَالَ: «**إيَّاكُمْ والدُّخولَ علىٰ النساء**» ، فقَالَ رجلٌ من الأنصار: يا رسولَ الله، أفَرأيتَ الحَمْوَ؟. قَالَ: «**الحَمْوُ المَوْتُ**» .

والمعنىٰ كما قَالَ بعضُ العلماء: احذروه، كما تحذرون الموتَ.

---

(١) البخاري مع «الفتح» (٩/ ٣٣٠)، وَمُسْلم (١٣٤١) .
(٢) «مُسند أحمد» (١/ ١٨) .
(٣) البخاري (٥٢٣٢)، وَمُسْلم (٥/ ١٧) .

ومن أسباب الوقوع في الزنىٰ مجالسةُ قُرناءِ السوء الذين يرتكبون الزنىٰ، ويحبِّبون النساء إلىٰ مَنْ يُجالسونهم، ويبالغون في وصفهِنَّ؛ فيجب الحَذَرُ والتحذيرُ منهم.

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧﴾ [النساء:٢٧].

اللهُمَّ إنا نسألُك الهُدىٰ، والتُّقىٰ، والعَفَافَ، والغِنَىٰ.



٥٣ حكم الغناء

الخطبة الأولى:

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُه، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا، ومنْ سَيِّئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَريْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّد- ﷺ-، وشرَّ الأُمورِ مُحدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أَمَّا بَعْدُ،

فَحَدِيْثِي مَعَكُمُ اليَوْمَ -أَيُّهَا النَّاسُ- حَوْلَ الغناء، والغناء أمره معلوم، فهو يُلهي عن طاعة الله، والقيامِ بالواجباتِ الشرعيَّةِ.

وهو محرَّم بالكتاب والسُّنَّة، وإجماع علماء الأُمَّة، وقد سمَّاه اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ بلَهْوِ الحديث في قوله -تَعَالَىٰ-: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ [لقمان:٦].

وقد قَالَ أهل العلم بالتفسير من الصحابة وغيرهم: إنَّ هذه الآية نزلت في الغناء ونَحْوِه.

فقد أخرج البخاري في «الأدب المفرد » بسندٍ صحيح، صحَّحَهُ الألبانيُّ في كتابه «تحريم آلات الطَّرب » [١] عن ترجمان القرآن عبدِ اللهِ بن عباسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ أنه قَالَ: «نزلت في الغناء وأشباهِهِ » .

وأخرج الحاكم في «المستدرك » بِسَنَدٍ صَحِيْح، صحَّحَهُ الألبانيُّ في كتابه «تحريم آلات الطرب » [٢] عن عَبْد الله بْن مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّه سئل عن هذه الآية المذكورة، فقَالَ: «هو الغناء، والذي لَا إِلَهَ إِلَّا هو» يُرَدِّدُها ثلاثَ مرَّات.

وأخرج الإمام البخاريُّ في «تاريخه » بِسَنَد حَسَن، حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ في كتابه «تحريم آلات الطرب » [٣] عن شُعيب بن يَسَارٍ قَالَ: «سألتُ عِكْرِمَةَ عن لَهْوِ الحديث، قَالَ: هو الغناء » .

أَيُّهَا النَّاسُ، قد تقرَّر لدىٰ الجميع علىٰ أنَّ المُرادَ بلَهْو الحديث هو الغناء.

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٢٦٥)، وصححه الألباني في «تحريم آلات الطرب» (ص١٤٣) .
(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٤١١)، وصححه الألباني في «تحريم آلات الطرب» (ص١٤٣) .
(٣) أخرجه البخاري في «تاريخه» (٢/ ٢١٧)، وحسنه الألباني في «تحريم آلات الطرب» (ص١٤٣) .

قَالَ الإمام الواحديُّ في «تفسيره »[(١)]: «أكثر المفسِّرين على أَنَّ المُرادَ بلَهْو الحديث الغناءُ، قَالَ أهلُ المعاني: ويدخل في هذا كُلُّ مَنِ اختار اللَّهْوَ، والغِناءَ، والمزاميرَ والمعازفَ على القرآنِ » .

ومعنى الاشتراء في الآية الكريمة الاستبدال والاختيـار ، واللامُ في قوله ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿ لِيُضِلَّ ﴾ لامُ العاقبةِ، كما قَالَ الإمام الواحديُّ[(٢)] ، أي: ليصيرَ أَمْرُهُ إلى الضَّلالِ، كما قَالَ الإمام ابن الجوزيِّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في «تفسيره »[(٣)] .

أيها الناس، سبق أنْ ذكرتُ لكمُ الآيةَ الدالَّةَ على تحريم الغناء، ونقَلْتُ لكم كلامَ أهل التفسير من الصحابة، والتابعين، وغَيْرِهِمْ، وهَا أنَا أنقل لكمُ الأحاديث الواردة في ذَلِكَ، وهي كثيرة جدًّا، فقد جاوز عَدَدُها العشرةَ، وهي تدلُّ على أنَّ التحريمَ ثابتٌ عن رسول الله - ﷺ - يقينًا لَا رَيْبَ فِيْهِ .

فَفي «صحيح البخاري »[(٤)] مُعلقًا بصيغة الجزم مِنْ حَدِيْث أَبي عامر ـ أو أَبي مالك ـ الأَشْعريِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**ليكُونَنَّ مِنْ أُمَّتي أقوامٌ، يستحِلُّون الحِرَ، والحريرَ، والخَمْرَ، والمعازف** » .

فهذا الحديث ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ من أقوى الأدلَّة الَّتي استدلَّ بها أهلُ العلم على تحريم الملاهي بجميع أشكالها؛ فمعنى يستحِلُّون من أقوى الأدلة على أنّ المذكورات الأربعة ليست حلالاً شَرْعًا، ومنها المعازف.

قَالَ أهلُ العلم باللُّغة: استحلَّ الشيءَ: أي عدَّه حَلالاً.

قَالَ الشيخ عليُّ القاري ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «والمعنى يعدُّون هذه المُحرَّماتِ

---

(١) «الوسيط» للإمام الواحديِّ (٣/ ٤٤١) .
(٢) المرجع السابق (٣/ ٤٤١) .
(٣) « زاد المسير » (٦/ ٣١٧) .
(٤) أخرجه البخاري (٥٥٩٠)، ووصله أبو داود في «سُننه» (٤٠٣٩) .

حلالاتٍ بإيراد شُبُهاتٍ، وأدلةٍ واهياتٍ » [١] .

والمعازف كما عرفها الإمام الذهبيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ قَالَ: «المعازف: اسمٌ لكلِّ آلاتِ الملاهي الَّتِي يُعْزَفُ بها: كالمِزْمار، والشبابةِ، والصنوج » [٢] .

وقَالَ الإمام ابن القيِّم ـ يرَحِمَهُ اللهُ ـ: «هي آلات اللَّهْوِ كُلُّها، لاَ خلافَ بَيْنَ أهلِ اللُّغةِ في ذَلِكَ » .

وأخرج البزَّار في «مُسنده » بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ في كتابه «تحريم آلات الطرب » [٣] مِنْ حَدِيْثِ أنس بن مالكٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «صوتان مَلْعُونانِ في الدنيا والآخرةِ: مِزْمارٌ عند نعمةٍ، ورَنَّةٌ عند مُصيبةٍ».

ومعنىٰ الرَّنَّة: هو الصوتُ الحزين.

وأخرج الحاكمُ في «مستدركه » بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حسنه الألبانيُّ في كتابه «تحريم آلات الطرب » [٤] مِنْ حَدِيْث جابر بن عبد الله ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: **«إني لم أنْهَ عَنِ البكاءِ، ولكني نَهيتُ عَنْ صوتينِ أحْمَقَيْنِ فاجرين، صوت عندَ نعمةٍ: لَهْو، ولعب، ومزاميرُ الشيطانِ، وصوت عندَ مصيبةٍ: لَطْمُ وُجُوهٍ، وشقُّ جُيُوبٍ، ورنّةُ شيطانٍ »** .

قَالَ شيخ الإسلام ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ [٥] : «هذا الحديث من أجود ما يُحتجُّ به علىٰ تحريم الغناء، كما في اللفظ المشهور عن جابر بن عبد الله: «صوت عند نعمةٍ، لَهْو ولَعِبٌ، ومزاميرُ الشيطانِ » فنهىٰ عن الصوت الذي يُفعلُ عند النِّعمة، كما

(١) «المرقاة» (٥/ ١٠٦) .
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ١٥٨) ، و«تذكرة الحفاظ» (٢/ ١٣٣٧) .
(٣) أخرجه البزار في «مسنده» (٧٩٥)، وحسنه الألباني في «تحريم آلات الطرب» (٥١).
(٤) أخرجه الحاكم (٤/ ٤٠)، وحسنه الألباني في «تحريم آلات الطرب» (٥٢).
(٥) «الاستقامة» لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٢٩٢) .

نهىٰ عن الصوت الذي يُفعلُ عند المُصيبة، والصوتُ الذي عندَ النعمةِ: هو صوتُ الغِناءِ » .

وأخرج الإمام أحمدُ في «مُسنده » ، وأبو داود في «سُننه » بسندٍ صحيح، صحَّحَهُ الإمام أحمد شاكر في تعليقه علىٰ «المُسند » ، والإمام الألباني في «تحريم آلات الطرب » [١] مِنْ حَدِيْثِ عبد الله بن عبَّاس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «إنَّ اللهَ حرَّم عليَّ - أو حَرَّم - الخَمْرَ، والمَيْسرَ، والكوبةَ، وكُلُّ مسكرٍ حرامٌ » .

قَالَ الإمام الخطابيُّ[٢] - رَحِمَهُ اللهُ -: «(والكوبة) يفسر بـ(الطَّبْلِ)، ويقَالَ: هو (النرد)، ويدخلُ في معناه كُلُّ وترٍ، ومزهرٍ، ونَحْو ذَلِكَ من الملاهي والغناء».

وقَالَ الإمام أحمد شاكر - رَحِمَهُ اللهُ -: «وأجودُ من هذا وأحسنُ شمولاً قولُ الإمام أحمد: «يعني: (الكوبة) كلَّ شيءٍ يكبُّ عليه » [٣] .

وأخرج الإمام أحمدُ في «مُسنده » ، وأبو داود في سُننه بِسَنَدٍ صَحِيْح، صحَّحَهُ الألباني لشواهده في كتابه «تحريم آلات الطرب » مِنْ حَدِيْث عبد الله بن عمرو بن العاص - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - أن رسول الله - ﷺ -: قَالَ: «**إنَّ الله حرَّمَ الخَمْرَ، والكوبة، والغُبَيْرَاءَ، وكل مُسكرٍ حرامٌ** » .

والغُبَيْراء: هو شرابٌ مُسْكِرٌ، يُتَّخَذُ من الذُّرةِ.

والكوبة: هو الطبل، وقد تقدم ذكره.

قَالَ الخَلاَّلُ في كتابه «الأمر بالمعروف » عن الإمام أحمدَ بن حَنْبلٍ أنه قَالَ:

---

(١) «مُسند الإمام أحمد» (١/ ٢٧٤)، وأخرجه أيضًا أبو داود في سُننه» (٣٦٩٦)، وصححه الألباني في «تحريم آلات الطرب» (ص٥٥) .
(٢) «معالم السُّنن » للخطابي (٥/ ٢٦٨) .
(٣) «المُسند» (١٠/ ٢٧٤)، بتعليق أحمد شاكر .

«وأكرهُ الطَّبْلَ ـ وهي الكوبة ـ نهىٰ عنه رسولُ الله ـ ﷺ ـ »[1].

وأخرجَ الإمام التِّرمذيُّ في كتاب «الفتن» بسندٍ صحيح، صحَّحَهُ الألبانيُّ ـ رَحِمَهُ الله ـ في كتابه «تحريم آلات الطرب»[2] مِنْ حَدِيْثِ عِمْرانَ بن حُصَيْن ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ: «**يكُونُ في أُمَّتي قَذْفٌ، ومَسْخٌ وخَسْفٌ**». قيل: يا رسولَ الله، ومتىٰ ذاك؟ قَالَ: «**إذا ظَهَرَتِ المعازفُ، وكَثُرَتِ القِيانُ، وشُرِبَتِ الخُمورَ**».

والقِيانُ: هُنَّ المُغَنِّياتُ جمع قَيْنَةٍ، وما أَكْثَرَهُنَّ في زماننا، لا كثَّرهُنَّ الله!.

أَيُّهَا النَّاسُ، لقد صرَّحتِ الأحاديثُ المتقدِّمةُ علىٰ تحريم الغناء، وتحريم آلاتِ الطربِ بجميع أشكالِها وأنواعها، كما قَالَ الإمامُ الألبانيُّ ـ رَحِمَهُ الله ـ، وذَلِكَ لأمرين:

الأول: شمول لفظ «المعازف».

والآخر: أنها مثلها في المعنىٰ من حيث التطريب والإلهاء، ويُؤيِّدُ ذَلِكَ ما أخرجه البيهقيُّ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ، صحَّحَهُ الألبانيُّ في «تحريم آلات الطرب»[3] مِنْ حَدِيْثِ ابن عبَّاس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ أنه قَالَ: «الدّفُّ حَرَامٌ، والمعازفُ حَرَامٌ، والكوبةُ حَرَامٌ، والمِزْمارُ حَرَامٌ».

قَالَ العلامة ابن القيِّم ـ رَحِمَهُ الله ـ: «ووَجْهُ الدَّلَالة أَنَّ (المَعَازِفَ) هي آلاتُ اللَّهْوِ كُلُّها، لا خلافَ بَيْنَ أَهْلِ اللُّغةِ في ذَلِكَ، ولو كانتْ حلالاً لما ذمَّهم علىٰ استحلالها، ولمَا قَرَنَ استحلالَها باستحلال الخمرِ والحر... وقد تواعدَ مُسْتحلِّي (المعازفِ) فيه بأنه يخسفُ الله بهمُ الأرضَ، ويمسخُهُم قِرَدة

---

(١) «الأمر بالمعروف» للخلال (ص٢٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٢١٣)، وصححه الألباني في «تحريم آلات الطرب» (ص ٦٤).

(٣) أخرجه الترمذي(١٠/ ٢٢)،وصححه الألباني في كتابه «تحريم آلات الطرب» (ص٩٢).

وخنازيرَ، وإن كَانَ الوعيدُ علىٰ جميع هذه الأفعال، فلكُلٍّ واحدٍ قِسْطٌ من الذَّمِّ والوعيدِ »[١] .

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ علماءَ الأَمصارِ ذهبوا إلىٰ تحريم الأغاني، فقد قَالَ الإمام ابْنُ الجوزيِّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «قَالَ الطَّبَرِيُّ: فقد أجمع علماءُ الأمصارِ علىٰ كراهِيَةِ الغناءِ، والمَنْعِ مِنه »[٢] .

ولمَّا نَسَبَ ابْنُ المطهر الشِّيعيُّ إلىٰ أهل السُّنة إباحةَ الملاهي والغِناءِ، كذَّبه شيخُ الإسلام ابن تيميَّة ـ في ردِّه عليه في «منْهَاج السُّنة » ، فقَالَ: «هذا من الكَذب علىٰ الأئمَّة الأربعة؛ فإنهم متَّفقون علىٰ تَحْريم المعازف الَّتِي هي آلات اللَّهْو: كالعُود، ونَحْوه ولو أتلفها مُتْلِفٌ عندَهم لم يَضْمَنْ صُورةَ التالفِ، بل يَحْرُمُ عندَهُمْ اتخاذُهَا »[٣] .

وأستغفر الله.

---

(١) « إغاثة اللهفان» (١/ ٢٦٠-٢٦٢) .
(٢) «تلبيس إبليس» (ص٢٤٥) .
(٣) «منْهَاج السُّنَّة» لابن تيمية (٣/ ٤٣٩) .

الخطبة الثانية:

حكم الغناء

الحمد لله ربِّ العالمين، وأُصلِّي وأُسلِّم علىٰ رسولِهِ الأمينِ، وعلىٰ آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين، ومَنْ تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدِّين.

أَمَّا بَعْدُ،

أَيُّهَا النَّاسُ،فسبق أن ذكرتُ لكم -أَيُّهَا النَّاسُ- حُكْمَ الغناء، وأنه حرامٌ بالكتاب والسُّنَّة، وإجماع علماء الأمصار، ممن يُعتدُّ بعلمهم، والشاذُّ لا حكمَ له.

وقد تقدَّم إجماعُ علماء الأمصار علىٰ المنع من الغناء، وإجماعُ الأئمة الأربعة علىٰ تحريم المعازفِ بأنواعها وأشكالها، وإن استحدث الناسُ آلات حديثة، فيشملها لفظ المَعَازِف، وقد تقدَّم قولُ الإمام الذهبيِّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «المَعَازِف: اسمٌ لكُلِّ آلاتِ الملاهي الَّتي يُعْزفُ بها» .

وتقدَّم قولُ الإمام ابن القيِّم ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ حَوْلَ تفسير المعازفِ: «هي آلاتُ اللَّهْوِ كُلُّها، لا خلافَ بَيْنَ أهلِ اللُّغة في ذَلِكَ» .

أَيُّهَا النَّاسُ، بَعْدَ أنْ عَلِمنا ـ يقينًا ـ تحريمَ الغناء بالكتاب والسُّنة، فما علينا إلَّا امتثالُ أمر الله القائل في محكم كتابه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦].

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّه يجب علينا الحذرُ تمامَ الحَذَرِ من الأناشيدِ الَّتي يُسَمِّيها الناسُ إسلاميةً، وعلينا أن ننظرَ إلىٰ ماذا قَالَ العلماء حَوْلَها قبلَ الاستماع لها.

قَالَ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ يرَحِمَهُ اللهُ ـ: «وقد عرف بالاضطرار من دين الإسلام أنَّ النبيَّ - ﷺ - لم يَشْرَعْ لصالِحيْ أمته، وعُبَّادهم، وزُهادهم أن يجتمعوا علىٰ استماع الأبيات المُلحَّنةِ مع ضَرْبٍ بالكفِّ، أو ضَرْبٍ بالقضيبِ، أو الدُّفِّ، كما لم يُبح لأحدٍ أن يخرجَ عن متابعته واتباع ما جاءَ فِي الكِتَابِ والحكمةِ، لا في باطن الأمرِ، ولا في ظاهِرِه، ولا لعَامِّيٍّ ولَا لخَاصِّيٍّ» [1].

وقَالَ الإمام الألبانيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «وأنه من أجل ذَلِكَ حرَّم العلماءُ الغناءَ الصُّوفيَّ، واشتدَّ إنكارُهم علىٰ مُسْتحِلِّيه، فإذا استحضر القارئ في باله هذه الأُصول القوية، تبيَّن له ـ بكُلِّ وُضوح ـ أنَّه لا فَرْقَ من حيثُ الحُكْم بَيْنَ الغِناءِ الصُّوفيِّ والأَناشيدِ الدينيَّة، بل قد يكون في هذه آفةٌ أُخرىٰ، وهي أنَّها تُلَحَّنُ علىٰ أَلْحان الأغاني الماجنة، وتوقع علىٰ القوانين الموسيقية الشرقيَّة ـ أو الغربيَّة ـ الَّتِي تُطربُ السامعين، وتُرقِصُهم، وتُخرجهم عن طورهم، فيكون المقصودُ هو اللَّحْنَ والطَّرَبَ، ولَيْسَ النشيد بالذاتِ، وَهَذِهِ مخالفةٌ جديدةٌ، وهي التشبُّه بالكفَّار والمُجّان» [2].

وسُئِلَ العلامةُ محمَّد بنُ صالح العُثَيمين ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ عَنْ حُكم الأناشيدِ المُسمَّاةِ بالإسلاميَّةِ، فقَالَ: «أمَّا حكمُ الأناشيدِ هذه ، فلا أرىٰ أنها تُسْتَعْمَلُ، ولا يُسْتَمَعُ إِلَيْها؛ لأنها:

أولاً: ستُلْهي الإنسان عن القرآنِ، والاتعاظِ به.

ثانيًا: أنه ذُكِرَ لي أنَّها حُوِّلَتْ إلىٰ تَلْحين، حتَّىٰ أصبَحَتْ كالأغاني تمامًا.

ثالثًا: أنَّ الإنسان يَجِدُ فِيْهَا نَشْوةً، وطَرَبًا، وما يجدُ فِيْهَا عبادةً وإنابةً وخضوعًا، هذا الغالب عليها، ولهذا لا أرىٰ أن الإنسان يستمعُ إِلَيْها، ولا أراها

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١١/ ٢٦٥).

(٢) «تحريم آلات الطرب» (ص١٨١).

محبوبةً ولكن إذا حصل أن الإنسان عندَهُ خَوْر وضَعْفٌ في النَّفْس، وأراد أن يستمع إِلَيْها ـ أحيانًا ـ فلا حَرَجَ، بشرطِ ألاَّ تكونَ مصحوبةً بآلةِ لَهْوَ »[١] .

وسُئل العلامةُ صالح الفوزان عن حكم الأناشيد الإسلامية، إذا كانت تتضمَّنُ الدُّفوفَ، أو بدونِ الدُّفوفِ، فأجاب:

«أولاً ـ تسميةُ الأناشيد إسلاميَّة، أنا لا أُوافقُ علىٰ تسميتها إسلاميَّةً؛ لأنه لا يُوجدُ أناشيدُ إسلاميَّة؛ لأَنَّا إذا قلنا إسلاميّة، صار معناها: أنها من الدِّين، وأنها من الإسلام.

والذي يَعْتقدُ أنَّ الأناشيدَ من الدِّين هُمُ الصُّوفيَّة؛ لأن الصُّوفيَّة يجعلون من جملة متعبَّداتهم وطُقُوسهم الأناشيدَ، يزعمون أنهم يتقرَّبون بها إلىٰ الله، والترانيم ، فهذه الأناشيد تشبهها من هذا الوجه، ولَيْسَ هنالك أناشيدُ إسلاميَّة، ولكن قد يقَالَ: أناشيد عربية، يباح الأناشيد ـ مثلاً ـ في حَالَة السَّفَر، وحالة البناء، والأعمال الشاقَّة، أمَّا هذه الأناشيد الحالية فلا تجوز؛ لأنها:

أولاً: جماعيَّة.

ثانيًا: أنها تكون بأصوات قد تكون فاتنةً، وأنهم جعلوا هذه الأناشيدَ ـ مثلاً ـ كأنها من الإسلام ، وكأنها من الدين، وتُباع كما يُباع الكتابُ الدِّينيُّ، أو الشريطُ الدِّيني، هذا لا يجوز في نظري.

ولكن قد يكون في أناشيد عربيَّة مباحة بحدودٍ وشروطٍ معروفة، مباحة إباحة فقط، لا أنها من الإسلام أو الدِّين، ولكن يُباح إنشادُها في مثلِ حَالَة السَّفَر، وَحَالَة البناء الشاقة بأن ينشدَ كُلُّ شخص لنفسه، وهو يتغنىٰ بالشعر مثلاً، أمَّا أن نجتمع ونجعل أناشيد جماعيَّة، وَنسمِّيها إسلاميَّةً هَذَا لَيسَ لَه أَصْلٌ في الدِّيْن،

(١) «البيانُ المفيدُ في حُكم التمثيل والأناشيد» (ص١٢) .

وإنما هذا دخل علينا من الصوفية »[1] .

أَيُّهَا النَّاسُ، لقد وضع العلامة عبدُ الله بنُ عبد الرحمن السليماني شروطًا قبل الاستماع للأناشيد، مستخلصًا ذَلِكَ من أَقوال أَهلَ العلم، وَهَذِهِ الشُّروط هي زبدة كتابه «**البَيَان المُفِيد في حُكْمِ التَّمْثِيْل والأَنَاشِيْد** »[2] .

فمن هذه الشروط:

١ـ أن يُعرضَ علىٰ طالبِ علم قبلَ سماعِهَا ـ أو إنشادها ـ فينظر فِيْهَا.

٢ـ أَلَا تشتمل علىٰ محرَّم عُمومًا، كالدُّفوفِ، والطُّبول، والزمور.

٣ـ أَلَا يستمعها النساءُ من الرِّجال، ولا الرِّجالُ من النساء، فإِنَّ ذَلِكَ محرَّم، ولا يجوز.

٤ـ أَلَا تكونَ بألحانٍ مُنَغَّمةٍ: كالغناءِ، ولا تكون بأصواتِ غِلْمانٍ، ومردان، حيثُ تُنْشَد بِتكَسر وتمايلٍ.

٥ـ أَلَا تكون جماعيَّةً.

٦ـ أَلَا تُسمَّىٰ إسلاميَّةً، ويُعتقد أنها من الدِّين أو من الإسلام، وألا تُتَّخذَ في الدَّعوة إلىٰ الله بصفتها الحالية هذه.

٧ـ أَلَا تُلْهِيَ وتَشْغَلَ الإنسانَ عن تلاوةِ القرآنِ الكريم، ومُدَارستِهِ، وحفْظه، والاشتغالِ بالسُّنَّة النبويَّة، وألا تغلبَ عليه، وتكونَ جُلَّ همِّه ودَيْدَنَهُ ليلَ نهارَ؛ فإنه مَنْ كانتْ هذه صفاته عند إنشادها ـ أو استماعها ـ فقد عرَّض نفسَهُ للوعيد الشديد من النبيِّ - ﷺ -.

حيث يقول في الحديث الذي أخرجه البخاريُّ فِي «صَحِيْحِه »[3] مِنْ حَدِيْثِ

(١) «المرجعُ السَّابق» (ص٤٧-٤٨) .
(٢) «البيانُ المفيدُ في حُكم التمثيل والأناشيد» (ص ١١٣-١١٤) .
(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٤٦)، وَمُسْلم (٧/ ٥٠) .

أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**لأَنْ يَمْتَلِئَ جوفُ أَحَدِكُم قَيْحًا حتىٰ يَرِيَهُ ـ أي يأكل جَوْفَهُ ـ خيرٌ له من أن يَمْتلِئَ شِعْرًا** » .

وقد فسَّر العلماء هذا الحديث: علىٰ أنه من يَشغَلُهُ الشِّعْرُ عن القرآن والسُّنَّة، ويكون جُلَّ همِّه. ويُسْتحسن أن تكونَ ـ فقط ـ في أوقات السَّفَرِ، والجهادِ، والعملِ الشاقِّ، أو في العيدين، أو في الأعراس، وما أَشْبَهَ ذَلِكَ.

نسألُ اللهَ الكريمَ أنْ يَمُنَّ علينا بصَوْنِ أسماعِنا عَنِ الغناءِ، وكُلِّ ما يُلهِي عَنْ ذِكْرِهِ ـ جلَّ وعَلَا ـ.



٥٤ حقيقة الظلم

الخطبة الأولى:

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، ومنْ سَيِّئَاتِ أعْمَالنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْي هَدْيُ محمّد- ﷺ-، وشرَّ الأُمور مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّار.

أَمَّا بَعْدُ،

أَيُّهَا النَّاسُ، فَحَدِيْثِي مَعَكُمُ اليَوْمَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ **(الظلم)** ، وما أدراك ما الظُّلم؟!.

الظلمُ: طبيعةٌ بشريَّة، وجِبِلَّة متأصِّلةٌ في النفوس، كما قَالَ ربُّنا ـ سُبْحَانَهُ

وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٢] فهذا هو الأصل في الناس: الظلم والجهل إِلَّا مَن زكَّاه اللهُ بالإيمان والتقوىٰ، والعلم والهدىٰ، والعدل والإنصاف..

والظلمُ من شِيَمِ النُّفوسِ، فإنْ تَجِدْ ذا عِفَّـــةٍ فلعلَّهُ لا يظلـمُ

وعرَّف العلماءُ الظلمَ بأنهُ: مُجاوزةُ الحدِّ، ووضعُ الشيءِ في غيرِ موضعِهِ.

وهو أنواع شتَّى، نجملُها في ثلاثةِ أقسامٍ:

الأول: ظلم العبدِ نفسَهُ بالإشراكِ بالله.

الثاني: ظلم العبدِ نفسَهُ بمعصيةِ اللهِ.

الثالث: ظلم العبد لغيره من العباد.

أما القسم الأول: فإنه أقبحُ الظلم وأفحشُه، قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان:١٣].

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[1] مِنْ حَدِيْث عَبْد الله بْن مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: لمَّا نزلت: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام:٨٢] شقَّ ذَلِكَ علىٰ المُسْلمين، فقَالَوا: يا رسول الله، أيُّنا لا يظلمُ نَفْسَهُ؟! قَالَ: «لَيْسَ ذَلِكَ، إنما هو الشِّرْكُ، ألم تسمعوا ما قَالَ لُقمانُ لابنِهِ وهو يَعِظُهُ ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ ؟ [لقمان:١٣] » .

فالشِّرْكُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أعظمُ أنواع الظلم؛ ولهذا كَانَ جزاء صاحبه أن يَخْلُدَ في النار يومَ القيامة، قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة:٧٢].

---

(١) أخرجه الطيالسي في مُسنده (٦٠١٢)،وحسَّنَه الألباني لشواهده فِي«صَحِيْحِ الجامع» (٣٩٦١) .

وكُلُّ ذَنْب قد يغفره الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ إلَّا الشِّرْكَ، فإنه لا يغفر لصاحبه، قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء:٤٨].

ومن الشِّرْكِ الأكبرِ المُخْرِجِ من الملَّة التقرُّبُ إلىٰ الموتىٰ وأصحاب القبور من الأولياء والصالحين وغيرهم، وذَٰلك بدعائهم، والاستغاثةِ بهم، والذَّبْح، والنَّذْر لهم، والطوافِ بقبورهم، والحلفِ بهم تعظيمًا لهم، واعتقادِ النَّفْع والضُّرِّ فيهم، وأنَّ لهم تصرُّفًا في هذا الكونِ، وقُدرةً علىٰ الدَّفْعِ والرَّفْعِ، والضُّرِّ والنَّفْعِ، والعطاءِ والمَنْع.

والقسم الثاني: ظُلْمُ العَبْدِ نفسَهُ بمعصية الله، والخروج عن طاعته؛ لأنَّ حقَّ الله ـ تَعَالَىٰ ـ علىٰ عبادِهِ أن يعبدوه، ويُوَحِّدُوه، ويُطيعوه، ولا يَعْصُوه، ويشكروه، ولا يَكْفُروه.

فإذا خالفوا ذَلكَ كانوا ظالمين[1]، قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة:٢٢٩]، وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١ ﴾ [الطلاق:١].

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- غنيٌّ عَنْ عِبَاده، لا تَنفعه طَاعَةُ المُطيعين، ولا تَضرُّه مَعصيةُ العَاصين، إنمَا ينفعون أَنفسهم أو يضرُّونها، قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦ ﴾ [فصلت:٤٦].

---

(١) انظر: «حقيقة الظلم» د/ عبد العزيز الفوزان (ص٣).

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [العنكبوت:٦].

فمن أشرك بالله أو عصاه، فإنه لا يظلم إلَّا نَفْسَهُ، ولا يضرُّ الله شيئًا، قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [البقرة:٥٧].

القسم الثالث: وهو ظلمُ العَبْدِ لغيرِه من العباد وهو أشهرُ أنواع الظلم، وأكثرُها شُيوعًا .

وقد أشار ابنُ القيِّم ـ رَحِمَهُ الله ـ إلىٰ هذا التقسيم في كتابه «الوَابِلُ الصَّيِّب»[1]، فقَالَ ـ رَحِمَهُ الله ـ: «والظلمُ عِنْدَ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يومَ القيامة له دواوينُ ثلاثةٌ: دِيوان لا يغفرُ الله منه شيئًا، وهو الشِّرْكُ به، فإنَّ الله لا يغفرُ أنْ يُشْرَكَ به. وديوان لا يتركُ الله منه شيئًا، وهو ظُلْمُ العبادِ بعضِهم بعضًا، فإنَّ الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– يَسْتوفيهِ كُلَّه.

وديوان لا يَعْبَأُ الله به، وهو ظُلْمُ العَبْدِ نَفْسَهُ بَيْنَهُ وبَيْنَ رَبِّهِ – عَزَّ وَجَلَّ – ، فإنَّ هذا الدِّيوانَ أخفُّ الدَّواوينِ، وأسرعُها مَحْوًا، فإنه يُمْحَىٰ بالتَّوْبةِ والاستغفار، والحسنات الماحيةِ، والمصائبِ المكفِّرة، ونَحْوِ ذَلِكَ، بخلاف ديوانِ الشِّرْكِ، فإنَّه لا يُمْحَىٰ إلَّا بالتوحيد، وديوان المظالم لا يُمْحَىٰ إلَّا بالخروج منها إلىٰ أربابها، واستِحلالِهِمْ منها، ولَمَّا كَانَ الشِّرْكُ أعظمَ الدَّواوين الثلاثةِ عند الله –عَزَّ وَجَلَّ – حرَّم الجنَّة علىٰ أهله، فلا تَدْخُلُ الجنَّة نفسٌ مُشرِكَةٌ » .

أَيُّهَا النَّاسُ، بَعْد أن عرفنا أقسامَ الظلم، لا بُدَّ من شرح القسم الثالث من أقسام الظلم بشيءٍ من التوسُّع، وهذا الظلم هو ظلمُ العَبْد لغيره من العباد؛ لأنه أغلظ من سابقه، وأعظم إثمًا، وأسوأ عاقبةً، ولا يُمكن الخروج منه، والتخلُّصُ من شُؤمِهِ وإثمه بمجرَّدِ الإقلاعِ والنَّدَم، بل لا بُدَّ مِن استحلال صاحبه، ورد

(١) «الوَابل الصَّيِّب مِنَ الكَلم الطَّيب» (ص٣٣) .

حقِّه إِلَيْهِ، ومَن الذي يضمنُ لنفسِهِ ـ أيُّها الناس ـ أنْ يُحلَّهُ المظلومُ ويُبيحَهُ، إذا استحلَّه وأباحَهُ؟![1] .

أيُّها الناس، إن الظلمَ لا يَنْحَصِرُ في صورٍ معدودة، بل كُلُّ تعدٍّ علىٰ مصالحِ العبادِ وحُقُوقِهم فإنه يُعَدُّ ظُلْمًا لهم، وسواءً كَانَ ذَلِكَ بالقولِ أو الفِعْلِ.

فَفِي الصحيحين[2] مِنْ حَدِيْثِ جابر بن عبد الله ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**المُسلمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ من لسانِهِ ويَدِهِ**» .

قَالَ العلامة ابن حجر ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «فبيَّن في هذا الحديث علامة المُسْلِم الَّتِي يُستدلُّ بها علىٰ حُسْنِ إسلامه: وهي سلامة المُسْلِمين من لسانه ويده، كما ذكر مثله في علامة المُنافق»[3] .

وقَالَ الإمام الخطَّابيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «المراد: أفضلُ المُسْلِمين من جمع إلىٰ أداء حقوق اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ أداءَ حقوقِ المُسلمين»[4] .

وقَالَ الحافظ ابن حجر: «وذكر المُسْلِمين هنا خَرَجَ مَخْرَجَ الغالب؛ لأنَّ مُحافظة المُسْلِم علىٰ كفِّ الأذىٰ عن أخيه المُسْلِم أشدُّ تأكيدًا، وحقه عليه أعظمُ من حقِّ الكافرِ غير المحارب الذي لا يجوز الاعتداء عليه -أيضًا-، وخصَّ اللِّسان بالذِّكْر؛ لأنه المُعبِّرُ عمَّا في النفس، وهكذا اليد؛ لأنَّ أكثر الأفعال بها، وعبَّر باللسانِ دُونَ القولِ؛ ليدخلَ فيه مَنْ أخرج لسانَهُ علىٰ سبيلِ الاستهزاءِ»[5] فانظرْ ـ يا عبدَ اللهِ ـ كَيْفَ اشتمل هذا الحديث علىٰ جميع أنواع الظلم بالقول والفعل؟!.

---

(١) انظر: «حقيقةُ الظُّلم» (ص٤) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٠)، وَمُسْلم (٤١) .
(٣) «فتحُ البَارِي» (١/ ٧٨) .
(٤) المرجعُ السابق .
(٥) المرجعُ السابق .

أيُّهَا النَّاسُ، إنَّ الظلم مَرْتَعُهُ وخيمٌ، وعاقبتُهُ أليمةٌ، تواعد الله أهلَهُ بالعذاب والنَّكالِ الشديد، قَالَ الله ـ سُبْحانَهُ وَتعَالَىٰ ـ: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٣٧﴾ [الفرقان:٣٧].

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ ـ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ۝٤٢ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ۝٤٣﴾ [إبراهيم:٤٢-٤٣].

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ ـ: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٨﴾ [هود:١٨].

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ ـ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [الزخرف:٦٥].

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ ـ: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ۝٢٢٧﴾ [الشعراء:٢٢٧].

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[١] مِنْ حَدِيْث أَبِي مُوسَىٰ الأشعريِّ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ: «**إن الله لَيُملي للظالم (أي: يُمْهِل) حتىٰ إذا أخذه لم يُفْلِتْهُ**» ثمَّ قرأ رسولُ الله ـ ﷺ ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۝١٠٢﴾ [هود:١٠٢].

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[٢] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ: «**مَنْ كانتْ له مَظْلمةٌ لأَحَد من عِرْضِه ـ أو شيءٍ ـ فَلْيَتَحَلَّلْهُ منه اليومَ قبلَ ألَا يكونَ دينارٌ ولا دِرْهَمٌ، إن كَانَ لَهُ عملٌ صالحٌ أُخذَ منه بقدْرِ مَظْلَمتِهِ، وإن لم تكنْ له حسناتٌ، أُخذَ من سيِّئات صاحِبِه، فحُمِلَ عليه**».

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٦٨٦)، وَمُسْلم (٢٥٨٣).
(٢) تقدَّم تَخْرِيْجه.

وفي «صَحِيْح مُسْلِم»[(١)] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**قال: أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟**»، قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ: «**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي من يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَة بِصَلاَةٍ وَصِيَام وَزَكَاة، وَيَأْتِي وقَدْ شتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَىٰ هَذَا مِنْ حَسَنَاته وَهَذَا مِنْ حَسَنَاته، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَىٰ مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**».

وروىٰ البيهقيُّ بإسنادٍ صحيح، صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صَحِيْح التَّرْغيْب والتَّرْهيْب»[(٢)] مِنْ حَدِيْث عَبْد الله بْن مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - ﷺ -: «**إنَّ الرجلَ لا تُرفَعُ له يومَ القيامةِ صحيفتُهُ، حتىٰ يرىٰ أنَّه ناجٍ، فما تزالُ مَظالِمُ بني آدمَ تَتْبعُه، حتَىٰ ما يَبْقَىٰ له حَسَنَةٌ، ويُحْمَلُ عليه من سَيِّئاتِهِمْ**».

أَيُّهَا النَّاسُ، إذا كنَّا نريد المحافظة علىٰ حسناتنا، فعلينا أن نترك الظلم، وما أكثر ظلم الإنسان لنفسه، وظلمه لغيره، فمن ظلم اللِّسان: الغِيْبَةُ والنَّميمةُ، والكذب والبهتان، والسبُّ والشتمُ، والتنابزُ بالألقابَ، والسُّخْريةُ والاستهزاءُ، والإهانةُ والتحقيرُ، والقَذْفُ والاتهامُ بغير حقٍّ، ونشرُ قَالَةِ السوءِ عن الناسِ، وفَضْحُ أسرارهم، إلىٰ غير ذَلِكَ من أنواع الظلم بالقول من اللسان: كشهادة الزُّور، وغيرها.

ومن ظلم الفعل والجوارح: الضربُ والقتلُ بغير حقٍّ، والسَّرقة، والرِّشْوَة، والغشُّ وأكلُ أموالِ الناسِ بالباطل، ومنه كذَلِكَ الزِّنىٰ واللَّوط، والتجسُّس، والتعنُّت، وتتبُّعُ العَوْراتِ، والتلصُّص علىٰ محارمِ الناسِ[(٣)].

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِم (٤٦٧٩).
(٢) البيهقيُّ، وهو في «صَحِيْح التَّرْغِيْب والتَّرْهِيْب» (٢٢٢٤).
(٣) انظر: «حقيقةُ الظُّلم» (ص٦).

روىٰ المُنْذريُّ في كتابه «الترغيب والترهيب» بإسنادٍ حسنٍ، وقَالَ الألبانيُّ في «صَحِيْح التَّرْغِيْب والتَّرْهِيْب» : صحيحٌ لغيره[1] مِنْ حَدِيْثِ عَبْد الله بْن مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ عن النبيِّ - ﷺ - قَالَ: «**إنَّ الشيطانَ قد يَئِسَ أنْ تُعْبدَ الأصنام في أرض العربِ، ولكنَّه سيرضىٰ منكم بدونِ ذَلِك بالمُحقَّراتِ، وهي المُوبقاتُ يومَ القيامةِ، اتقوا الظلمَ ما استطعتُمْ؛ فإنَّ العبدَ يجيءُ بالحسنات يومَ القيامة، يرىٰ أنَّها ستُنجيْه، فما زال عَبْدٌ يقومُ يقولُ: يا ربِّ ظلمني عبدُكَ مَظْلمة، فيقولُ: امْحُوا مِنْ حسناتِهِ. وما يزال كذَلِكَ حتىٰ ما يبقىٰ لَهُ حسنةٌ**» .

وأستغفرُ الله.

---

(١) أخرجه المنذري ، وهو في «صَحِيْح التَّرْغِيْب والتَّرْهِيْب» (٢٢٢١) .

الخطبة الثانية:

حقيقة الظلْم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وأُصلِّي وأُسلِّمُ علىٰ رسولِهِ الأمينِ.

أمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ، فَمَا زَالَ الحَدِيْث مَعَكُمُ اليَوْمَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ حَقِيْقَة الظُّلْمَ، والظُّلمَ من كبائر الذنُوب، حرَّمه الله في كتابه، بل ورد ذكره في مائةٍ وتسعين آيةً من كتاب الله الكريم، ممَّا يدلُّ علىٰ خُطورته، وقد حرَّمه الله علىٰ نفسه، وجعله بين عباده مُحرَّمًا.

فَفِي «صَحِيْح مُسْلِم»[1] مِنْ حَدِيْث أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عن النبيِّ -ﷺ- فيما رُوِيَ عَنِ الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - أنه قَالَ: «**يا عبادي، إني حرَّمْتُ الظُّلمَ علىٰ نَفْسِي، وجَعَلْتُهُ بينكم مُحرَّمًا؛ فلا تظالموا**».

والرسول-ﷺ- حذَّر من الظلم أشدَّ التحذير،وذكر أنَّ الظلمَ ظُلُماتٌ يومَ القيامة، فَفِي«صحيح مُسْلِم»[2]مِنْ حَدِيْث جابر بن عبد الله -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رسُولُ الله- ﷺ-: «**اتقُوا الظُّلْمَ؛ فإنَّ الظُّلمَ ظُلُماتٌ يومَ القيامة، واتقوا الشُّحَّ؛ فإنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم: حَمَلَهُمْ علىٰ أنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، واستحلُّوا محارِمَهُمْ**».

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِم (٢٥٧٧).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِم (٢٥٧٨).

وفِي « صَحِيْح مُسْلِم »[١] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُرَيرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رسولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ: «**المُسلمُ أخو المُسْلِم: لا يظلمُهُ، ولا يَخْذُلُه، ولا يَحْقِرُهُ، التقوىٰ ها هُنا التقوىٰ ههُنا ـ ويُشير إلىٰ صَدْرِهِ ثلاثَ مرَّات ـ بحَسْب امْرِئٍ من الشرِّ أنْ يَحْقرَ أخاه المُسلمَ، كُلُّ المُسْلِم علىٰ المُسْلِم حرامٌ، دَمُهُ، وعِرْضُهُ، ومَالُهُ** » .

أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا دعوةَ المَظلوم؛ فإنه لَيْسَ بَيْنَهَا وبَيْنَ اللهِ حجاب، وقد وردت أحاديثُ كثيرةٌ في اتقاء دَعْوةِ المظلوم.

فقد أخرج الحاكمُ في «مُسْتدرَكِه» بِسَنَدٍ صَحِيْح، صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صَحِيْح التَّرْغِيْب والتَّرْهِيْب»[٢]مِنْ حَدِيْث عبد الله بن عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ- ﷺ-: «**اتقوا دعوةَ المظلوم؛ فإنَّها تصعَدُ إلىٰ السماء كأنَّها شَرارَةٌ** » .

وروىٰ الطَّبرانيُّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في «صَحِيْح التَّرْغِيْب والتَّرْهِيْب » [٣] مِنْ حَدِيْث خُزَيْمة بن ثابت ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ- ﷺ-: «**اتقوا دعوةَ المظلوم، فإنَّها تُحملُ علىٰ الغَمامِ، يقولُ اللهُ: وعِزَّتي وجلالي، لأَنْصُرَنَّكِ، ولو بَعْدَ حِين** » .

وَفِي «الصَّحِيْحَيْن » [٤] مِنْ حَدِيْث ابن عبَّاس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ: أَنَّ رسولَ اللهِ- ﷺ- بَعَثَ مُعاذَ بنَ جبلٍ إلىٰ اليَمَنِ، فقَالَ: «**اتَّقِ دعوةَ المظلومِ، فإنَّهُ لَيْسَ بَيْنَها وبَيْنَ اللهِ حِجابٌ** » .

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ من الناس مَنْ يَهابُ دعوةَ الصالحين، ويتساهل في دعوة غيرهم، وقد روىٰ الإمام أحمدُ في «مُسنده » بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ في

(١) رَوَاهُ مُسْلِم (٢٥٦٤) .
(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٢٩) ، وأخرجه الألباني في «صَحِيْح التَّرْغِيْب والتَّرْهِيْب» برقم (٢٢٢٨).
(٣) أخرجه الطبراني ، وهو في «صَحِيْح التَّرْغِيْب والتَّرْهِيْب» للألباني برقم (٢٢٣٠).
(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٤٩٦) ، وَمُسْلم (١٩) ، واللفظ له .

«صَحِيْح التَّرْغِيْب والتَّرْهِيْب »[١] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ –: «**دعوة المظلوم مُستجابةٌ، وإن كَانَ فاجرًا، ففُجُورُهُ علىٰ نَفْسِهِ** » .

وفي «مُسند أحمدَ » ـ أيضًا ـ بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حسَّنهُ الألبانيُّ في «صَحِيْح التَّرْغِيْب والتَّرْهِيْب »[٢] مِنْ حَدِيْثِ أنس بن مالك ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ –: «**اتَّقُوا دعوةَ المظلوم، وإن كَانَ كافرًا؛ فإنها لَيْسَ دُونَها حِجابٌ** » .

أي: لَيْسَ بَيْنَها وبَيْنَ اللهِ سِتْرٌ، أو تأخير، فالجزاء يأتي عاجلاً من الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ.

أَيُّها الناس، إنَّ عُقوبةَ الظلم لَتُعجَّلُ في الدُّنيا لصاحبه، مع ما يُدَّخرُ له في الآخرة من النَّكالِ الشديد، والعَذابِ الأليم، وذهابِ الحسناتِ.

فَفِي «سُنن التِّرمذيِّ » بِسَنَدٍ حَسَنٍ صحيح، صحَّحَهُ الألبانيُّ في«صَحِيْح سُنن التِّرمذيِّ »[٣] قَالَ رسولُ الله – ﷺ –: «ما من ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يعجِّلَ اللَّهُ لصاحبِهِ العُقوبةَ في الدُّنيا مع ما يَدَّخِرُ له في الآخرةِ من البَغْيِ، وقطيعةِ الرَّحِم » .

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ شَوَاهِدَ تعجيلِ عُقوبةِ الظالمين في واقعِ الحياة، وفي بُطُونِ الكُتبِ أكبرُ من أنْ تحتويه خُطْبةٌ، بل أكبر من أن تحتويه أَسْفَارٌ.

فَفِي «الصَّحِيْحَيْن »[٤] مِنْ حَدِيْثِ عُروةَ عَنْ أَبِيه ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّ أَرْوَىٰ بِنْتَ أُوس ادّعَتْ علىٰ سعيد بن زيد أنَّه أَخَذَ شَيْئًا من أَرْضِهَا، فخاصمتْهُ، إلىٰ مَرْوَانَ بنِ الحَكُم، فقَالَ سعيدٌ: أنا كُنْتُ آخُذُ مِن أرضِها شيئًا بَعْدَ الذي

(١) رَوَاهُ أحمد (٨٧٨١) والمنذري في «الترغيب والترهيب » (٣/ ١٣٠)، وحسنه الألباني في «صَحِيْح التَّرْغِيْب والتَّرْهِيْب» برقم (٢٢٢٩) ، و«صحيح الجامع » (٣٣٧٧) .
(٢) رَوَاهُ أحمد (٣/ ١٣٥) ، وحسنه الألباني في «صَحِيْح التَّرْغِيْب والتَّرْهِيْب» (٢٢٣١).
(٣) رَوَاهُ الترمذي (٢٥١١)، وصححه الألباني في«صحيح سُنن الترمذي» (٢٠٣٩) .
(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٤٥٢) بدون القصة ، وَمُسْلم (١٦١٠)، واللفظ له .

سمعتُ من رسول الله – ﷺ – ؟! قَالَ: وما سمعت من رسول الله – ﷺ – ؟ قَالَ: سمعتُ رسول الله – ﷺ – يقولُ: «**مَنْ أَخَذَ شِبْرًا من الأرض ظُلْمًا، طُوِّقَهُ إلىٰ سَبْع أَرْضِينَ** » . فقَالَ له مَرْوَانُ: لا أسأَلُك بيِّنةً بَعْدَ هذا. فقَالَ: اللهمَّ إنْ كانتْ كَاذِبةً فأَعْم بَصَرَها، واقْتُلْهَا في أَرْضِهَا. فما ماتَتْ حتَّىٰ ذَهَبَ بَصَرُها ثُمَّ بَيْنَما هي تمشي في أَرضِهَا، إذْ وقعتْ في حُفْرَةٍ فَماتتْ.

وذكر الذَّهبيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في كتابه «الكَبَائر » [١] : أنه لما حُبسَ خالدُ بنُ برمك وَوَلَده، في نَكْبَةِ البَرَامكَة المَعروفَة، قَالَ ولدُهُ: «يا أَبَتي، بَعْدَ العِزِّ صِرْنا في القَيْدِ والحَبْسِ » ، فقَالَ: «يا بُنيَّ، دعوةُ مظلومٍ سَرَتْ بليلٍ، غَفَلْنا عنها، ولم يَغْفُلِ اللهُ عَنهَا » .

وَقَد أَجَاد مَن قَالَ:

لا تَظلِمَنَّ إِذا ما كُنْتَ مُقتَدِراً ... فَالظُّلْمُ آخِرُهُ يَأْتِيْكَ بِالنَّدَمِ

نَامَتْ عُيُونُكَ ، وَالمَظلومُ مُنتَبِهٌ ... يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللهِ لَمْ تَنَمِ [٢]

نسألُ اللهَ أنْ يُجنِّبَنا الظُّلْمَ، ويَرْزُقنا العَدْلَ والإنصافَ في كُلِّ الأمور، إنَّه جوادٌ كريم.

---

(١) « كتاب الكبائر» (ص١٠٧) .
(٢) « بَصَائِرُ ذَوي التمييز» (٣/ ٥٤٣) .



٥٥ الأخـــلاق
مكارم الأخـــلاق

الخطبة الأولى:

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيِّئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدَقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد- ﷺ-، وشرَّ الأُمور مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثة بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَة ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّار.

أمَّا بَعْدُ، فَحديثي مَعَكُمُ اليوم -أَيُّهَا النَّاسُ- عَن مكارمِ الأخلاقِ، لِمَا لَهَا من مَكانة عظيمة، ومنزلة عاليةٍ من الدِّين، بَلْ هي الدِّينُ كُلُّهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ يُحبُّ بعضَ العبادِ، وكذَلِكَ جِبْريلُ،

وأَهْلُ السماءِ، ويجعلُ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ لهم وُدًّا (أي: مَودَّة)، ويُوضَعُ لهمُ القَبُولُ في الأرضِ، وذَلِكَ بفضلِ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ، ثمَّ بمكارمِ الأخلاقِ.

وفضائلُ مكارمِ الأخلاقِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ جلَّت عَنِ الحَصْرِ، وسَوْفَ أذكرُ طَرَفًا، منها: [1]

فمن فضائلها أنَّها امتثالٌ لأمرِ اللّه ـ سُبْحَانَهُ وَتعالَى ـ:

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩ ﴾ [الأعراف:١٩٩].

ومن أحسنِ ما جاء في تفسير هذه الآيةِ قَوْلُ عبد الله بن الزُّبير ـ كما في «صَحِيْحِ البخاريِّ» [2]: «أَمَرَ الله نبيَّهُ ـ ﷺ ـ أَنْ يأخذَ العَفْوَ مِنْ أخلاقِ النَّاسِ».

ومن فضائلها أنَّها طاعة لرسولِ اللهِ ـ ﷺ ـ.

فَفِي «مُسند أحمدَ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيْحِ الجَامع» [3] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي ذرٍّ ومُعاذٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَا: قَالَ رسولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**وخَالِقِ الناسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ**».

ومن فضائلها أنَّها سببٌ لمحبَّةِ اللّهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتعالَى ـ:

فقد أخرج الحاكمُ في «مستدركه» بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْحِ الجامع» [4] مِنْ حَدِيْثِ أُسامةَ بن شريك ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**أحبُّ عبادِ اللهِ إلىٰ اللهِ؛ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**».

---

(١) انظر: «الأَخْلاقُ بَيْنَ الطَّبْعِ والتَّطَبُّع» للمُؤلف (ص١٣-١٥).
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٦٦٣).
(٣) رَوَاهُ أحمد في «مسنده» (٥/ ١٣٥)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ٩٧).
(٤) أخرجه الحاكم في «مستدركه» (٤/ ٣٩٩)، وصححه الألباني فِي «صَحِيْحِ الجامع» (١/ ١٧٩).

ومن فضائلها أنَّها سببٌ لمحبَّةِ رسولِ اللّه -ﷺ-:

فَفِي «سُنن التِّرْمذيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْحِ الجامع»[1] مِنْ حَدِيْثِ جابر بن عبد الله ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**إنَّ مِن أَحَبِّكُم إليَّ، وأَقْرَبِكُم مِنِّي مَجْلسًا يومَ القيامةِ ـ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاقًا**».

ومن فضائِلها أنَّها أعظمُ سببٍ لدُخُولِ الجنَّة:

فَفِي «سُنن ابن مَاجَهْ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيْح سُنن ابن مَاجَهْ»[2] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: سُئِلَ النبيُّ -ﷺ-: ما أكثرُ ما يُدْخِلُ الجنَّة؟ قَالَ: «**التَّقْوى، وحُسْنُ الخُلُقِ**»، وسُئِلَ: ما أكثرُ ما يُدْخِلُ النَّارَ؟ قَالَ: «**الأَجْوَفَانِ: الفَمُ، والفَرْجُ**».

ومن فضائِلها أنَّ كمالَ الدِّينِ ـ بَعْدَ التوحيدِ ـ فِي حُسْنِ الخُلُقِ:

فَفِي «سُنن أَبِي داودَ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ صحيحٍ ـ قَالَه الألبانيُّ فِي «صَحِيْح سُنن أَبِي داودَ»[3]، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**أكملُ المؤمنين إيمانًا أحْسَنُهُمْ خُلُقًا**».

ومن فضائلها أنَّها أثقلُ شيءٍ فِي المِيزانِ:

فَفِي «سُنن أَبِي داودَ» بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْح سُنن أَبِي داود»[4] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**ما مِنْ شيءٍ أَثْقَلَ فِي مِيزانِ العَبْدِ المؤمنِ يَوْمَ القيامةِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ**».

---

(١) رَوَاهُ الترمذي (٢٠١٨)، وصححه الألباني فِي «صَحِيْحِ الجامع» (١/ ٢٢٠١).
(٢) تَقَدَّمَ تَخْرِيْجه.
(٣) رَوَاهُ أبو داود (٤٦٨٢)، وانظر: «صحيح الجامع» (٣٩١٦).
(٤) رَوَاهُ أبو داود (٤٧٩٩)، وصححه الألباني فِي «صَحِيْحِ سُنن أبي داود» (٤٠١٤).

ومن فضائلها أنها من أعظمِ العبادةِ:

فَفِي «سُنن أَبي داودَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْح سُنن أَبي داودَ»[١] منْ حَدِيْث عائشة ـ رَضِيَ الله عَنْهَا ـ قَالَتْ: سمعتُ رسولَ اللهِ ـ ﷺ ـ يقول: «إنَّ المؤمنَ لَيُدْرِكُ بحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصائمِ القائم».

ومن فضائلها أنَّها سببٌ لحُصولِ الخيريَّةِ:

فَفِي «الصَّحيحين»[٢] منْ حَدِيْث عبد الله بن عَمْرو ـ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**إنَّ من خِيارِكم أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاقًا**».

ومن فضائلها أنَّها مِنْ خَيْرِ أعمالِ العبادِ:

فقد أخرج البخاريُّ في «الأدبِ المفرد» بسَنَدٍ صَحِيْحٍ، صحَّحَهُ الألبانيُّ في «غاية المرام»[٣] مِنْ حَدِيْثِ أُسامةَ بن شريكٍ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: سُئِلَ رسولُ اللهِ ـ ﷺ ـ، فقيل له: يا رسولَ الله ما خَيْرُ ما أُعْطِيَ الإنسانُ؟ قَالَ: «**خُلُقٌ حَسَنٌ**».

وروىٰ البزَّارُ في «كشف الأستار» بسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيْح الجَامع»[٤] مِنْ حَدِيْث أَبي ذرٍّ وأَبِي الدَّرْدَاءِ ـ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ـ قَالا: قَالَ رسولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**يا أبا ذرٍّ، أَلَا أَدُلُّكَ علىٰ خَصْلَتَيْنِ، هما أَخَفُّ علىٰ الظَّهْرِ، وأَثْقَلُ فِي الميزانِ مِنْ غَيْرِهِمَا؟**» قَالَ: بَلىٰ يا رسولَ الله. قَالَ: «**عليك بحُسْنِ الخلقِ، وطُولِ الصَّمْتِ، فوالذي نَفْسُ محمدٍ بيدهِ، ما عَمِلَ الخلائقُ بمِثْلِهِمَا**».

---

(١) رَوَاهُ أبو داود (٤٧٩٨)، وصححه الألباني فِي «صَحِيْحِ سُنن أبي داود» (٤٠١٣).
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٠٣٥)، ومُسْلم (٢٣٢١).
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ في «الأدب المفرد» (٢٩١)، وصححه الألباني في «غاية المرام» (٢٩٢).
(٤) رَوَاهُ البزار في «كشف الأسْتَار»، وحسنه الألباني فِي «صَحِيْحِ الجامع» (٢/ ٤٠٤٨).

ومِن فضائلها أنَّها سببٌ لتعمير الدِّيار وزيادة الأعمار:

فَفِي «مُسندِ أحمدَ»بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي«صَحِيْحِ الجامعِ»[1] مِنْ حَدِيْثِ عائشة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ: قَالَ رسولُ اللهِ -ﷺ-: «**صِلَةُ الرَّحِمِ، وحُسْنُ الخُلُقِ، وحُسْنُ الجِوارِ ـ يُعَمِّرْنَ الدِّيارَ، ويَزِدْنَ فِي الأعمارِ**» .

تلكَ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ بَعْضُ فضائلِ الأخلاقِ، فعلينا أنْ نتقرَّبَ إلىٰ اللهِ بهذِهِ العبادةِ العظيمة، فهي يسيرةٌ علىٰ من يسَّرَها اللهُ عليه.

والأخلاقُ ـ أيُّهَا النَّاسُ ـ على قسمين:

القسم الأول: تكون طَبْعًا، يتفضَّلُ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ علىٰ بَعْضِ خَلْقِهِ، فيجبُلُهُمْ عليها، ويطبعُهُمْ بها من غير كسبٍ منهم ولا جهدٍ.

القسم الثاني: اكتساب يكتسبها الإنسانُ بالممارسةِ والمجاهدةِ لنفسِهِ، حتَّىٰ تصيرَ طَبْعًا.

والدَّليلُ علىٰ ذَلِكَ ما جاء في«سُنن أَبِي داودَ» بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي«صَحِيْحِ سُنن أَبِي داودَ»[2] مِنْ حَدِيْثِ ابن عبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- لأَشَجِ عَبْدِ القَيْسِ: «**إِنَّ فيكَ لَخُلُقَيْنِ، يُحبهما اللهُ: الحِلْمُ، والأَنَاةُ**» ، قَالَ: يا رسولَ اللهِ، أَهُما خُلُقانِ، تَخَلَّقْتُ بهما، أَمْ جَبَلَني اللهُ عليهما؟ قَالَ: «**بَلْ جَبَلَكَ اللهُ عليهما**» ، قَالَ: الحَمْدُ للهِ الذي جَبَلَنِي علىٰ خُلُقَيْنِ يحبُّهُمَا اللهُ ورسولُهُ.

قَالَ العلامةُ محمَّدُ بنُ عُثَيمين ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في شرحِهِ لهذا الحديث:

«فهذا دليلٌ علىٰ أنَّ الأخلاقَ الحميدة تكون طَبْعًا، وتكونُ تَطَبُّعًا، ولكن الطَّبْع ـ بلا شكٍّ ـ أحسن من التَّطبُّعِ؛ لأنَّ الخُلُقَ الحسَنَ إذا كَانَ طبيعيًّا صار

(١) رَوَاهُ أحمد (٦/ ٢٥٦)، وصححه الألباني فِي«صَحِيْحِ الجامع» (٢/ ٣٧٦٧).
(٢) رَوَاهُ أبو داود (٥٢٢٥) ، وصححه الألباني فِي«صَحِيْحِ سُنن أَبي داود» (٤٣٥٤) .

سجيَّةً للإنسان وطبيعةً له، ولا يحتاجُ في ممارستِه إلىٰ تَكَلُّف، ولا يحتاجُ في استدعائِه إلىٰ عناء ومشقَّة، ولكنْ هذا فَضْلُ الله، يُؤْتيه مَنْ يشاءُ، ، ومن حُرِمَ هذا ـ أي من حُرِمَ الخُلُقَ علىٰ سبيلِ الطَّبع ـ فإنه يُمكنُهُ أنْ ينالَهُ علىٰ سبيلِ التَّطبُّع، وذَلِكَ بالمَرَانةِ والمُمارسةِ »[١].

أَيُّهَا النَّاسُ، إنه يَجبُ علينا مُجاهدةُ أنفسنا، وحَمْلُها علىٰ مكارمِ الأخلاقِ، فنحملُها علىٰ الصَّبْرِ، ونُلْجِمُها بالحِلْم، ونُعوِّدها علىٰ الجُودِ.

ومَنْ جَاهَدَ نفسَهُ في اللهِ بصِدْق، فإنه يَحْصُلُ له ـ مِنَ الهدايةِ، والمعونة، والتوفيق علىٰ تحصيل مطْلوبه ـ أموزٌ إلهيَّةٌ خارجةٌ عنْ مداركِ اجتهاده، ويُؤَيِّدُ ذَلِكَ قولُ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٩].

وأخرج الطَّبرانيُّ في «الكبير» بسَنَد حَسَن، حَسَّنَهُ الأَلْبَانيُّ فِي«صَحِيْح الجامع»[٢] مِنْ حَديْث مُعاوية ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**إنما العلْمُ بالتعلُّمِ، وإنما الحِلْمُ بالتَّحَلُّمِ، ومَنْ يَتَحرَّ الخَيْرَ يُعْطَهُ، ومن يَتَّقِ الشَّرَّ يُوَقَّهُ**».

أيُّها الناس، إنَّ لاكتسابِ مكارمِ الأخلاقِ أسبابًا، فمنها:

الإخلاصُ:

فالمُخْلصُ إنْ أَعْطَىٰ فعطاؤُهُ لله، وإنْ مَنعَ فَمَنْعُهُ لله، وإن أَحبَّ فحبُّهُ لله، وإنْ أَبْغَضَ فَبُغْضُهُ للهِ، وإنْ صَبَرَ فَصَبْرُهُ لله،وإنْ غَضِبَ فَغَضَبُهُ للهِ،وهكذا في شَأْنِهِ كُلِّه.

(١) «مَكَارِمُ الأَخْلَاق» لابن عثيمين (ص١٣).
(٢) رَوَاهُ الطبراني في«الكبير» (١٩/ ٣٩٥)، وحسنه الألباني فِي«صَحِيْحِ الجامع» (١/ ٢٣٢٨).

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام:١٦٢، ١٦٣].

ومِنْ أسبابِ اكتسابِ الأخلاقِ العِلْمُ:

فمن أرادَ الأخـلاقَ، فليعتمدْ علىٰ كتابِ اللهِ وسُنَّةِ رسولِ الله- ﷺ- لاشتمالهما علىٰ جميع الفضائلِ.

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩].

ومِنْ أسبابِ اكتسابِ مكارمِ الأخلاقِ التأسّي بالنَّبيِّ- ﷺ-:

فالنبيُّ- ﷺ- هو الأُسوةُ الحَسَنةُ، الذي أَمَرَنا اللهُ بالتأسِّي به في أقوالِه، وأفعالِه، وأحوالِه.

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب:٢١].

قَالَ العلامةُ ابنُ حَزْمٍ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «من أرادَ خَيْرَ الدُّنيا والآخرةِ، وحِكْمَةَ الدُّنيا، وعدلَ السِّيرة، والاحتواءَ علىٰ محاسنِ الأخلاقِ كُلِّها، واستحقاقَ الفضائلِ بأَسْرِها ـ فَلْيَقتد بمحمَّد- ﷺ-، ولْيَسْتَعْمِلْ أخلاقَهُ وسيره ما أَمْكَنَهُ، أعانَنَا اللهُ علىٰ الاتِّساءِ به بمنِّه، آمين»[١].

ومِنْ أسبابِ اكتسابِ مكارمِ الأخلاقِ الدُّعاءُ:

والدُّعاءُ سببٌ عظيمٌ لنيلِ مكارمِ الأخلاقِ:

وقد كَانَ النبيُّ- ﷺ- كثيرَ الضراعةِ إلىٰ ربِّه أنْ يَرْزُقَهُ حُسْنَ الخُلُقِ، فكان

(١) «الأَخْلاقُ والسِّيَر» (٩١).

يقولُ في دعاءِ الاستفتاحِ مِنْ صلاةِ الليلِ ـ كما فِي « صَحِيْح مُسْلِم »[1] مِنْ حَدِيْثِ علي بنِ أَبي طالبٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: «**اللهُمَّ اهْدني لأَحْسنِ الأخلاقِ، لا يَهدِي لأَحْسَنِها إلَّا أَنْتَ، واصْرِفْ عنِّي سَيِّئَها، لا يَصْرِفُ عنِّي سَيِّئَها إلَّا أَنْتَ** » .

أَيُّهَا النَّاسُ، أقولُ ما تسمعون، وأسألُ اللهَ أَنْ يُوَفِّقَنا جميعًا لمكارمِ الأخلاقِ، ويَسْتعمِلَنا في طاعتِهِ.

وأستغفرُ اللهَ.

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِم (٧٧١) .

الخطبة الثانية:

مقتطفات من الشمائل المحمدية

الحْمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسَّلامُ علىٰ أشرفِ المرسلينَ، وعلىٰ آلهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

أمَّا بَعْدُ،

فممَّا لا شكَّ - أيُّهَا النَّاسُ- أنَّ نبيَّنا محمَّدًا- ﷺ- خيرُ البريَّة، وأزكىٰ البشريَّةِ، وأجلُّها قَدْرًا وأَحْسَنها خُلقًا ، اختارَهُ اللهُ علىٰ عِلْمٍ، وأكرمَهُ بالرِّسالةِ، وأيَّدَهُ بالوَحْيِ.

جَبَلَهُ علىٰ حميدِ الخلالِ، وفَطَرهُ علىٰ كريمِ الخِصالِ، ثمَّ أَدَّبَهُ، فأَحْسَنَ تأْديبَهُ، فكان خُلقُهُ القُرآن[١] .

فَفِي «صَحِيْح مُسْلم» [٢] مِنْ حديثِ سَعْد بنِ هشام بن عامرٍ أنه سَأَلَ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-، فقَالَ: «يا أمَّ المُؤمنين، أنْبئيني عَنْ خُلُق رسولِ الله- ﷺ- » قَالَتْ: «أَلَسْتَ تَقْرأُ القُرآنَ؟ » قُلْتُ: بلىٰ، قَالَتْ: «فإنَّ خُلُقَ نَبيِّ اللهِ- ﷺ- كَانَ القُرْآنَ » .

قَالَ النَّوويُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في معنىٰ الحديث: «مَعْنَاهُ: العَمَلُ به، والوُقُوفُ عندَ حُدُودِهِ، والتَّأَدُّبُ بآدابِهِ، والاعتبارُ بأمثالِهِ وقَصَصه وتَدَبُّرُهُ، وحُسْنُ تِلاوتِهِ».

وإنما أدَّبه القُرْآنُ بِمْثلِ قولِهِ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ

---

(١) انظر: « سُوء الخُلُق» لمحمد بن إبراهيم الحَمد (ص١٦٧) .

(٢) رَوَاهُ مُسْلِم (٧٤٦) .

ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٩٩].

وقوله: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ ﴾ [النحل:٩٠].

وقوله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان:١٧].

وقوله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة:١٣].

وقوله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾ [الحجر:٨٥].

وقوله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الشُّورىٰ:٤٣].

وقوله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فصلت:٣٤].

وقوله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٤].

وقوله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ ﴾ [الحجرات:١٢].

وأمثالُ هذهِ التأديباتِ في القرآنِ كثيرٌ، لا تكادُ تُحْصَرُ.

وهو - ﷺ - هو المقصودُ الأوَّلُ بالتأديبِ والتهذيبِ، ثمَّ منْهُ يُشرِقُ النُّورُ على الخَلْقِ كافَّة، فإنَّهُ أُدِّبَ بالقُرْآنِ، وأدَّبَ الخَلْقَ به، ثمَّ لمَّا كَمَّلَ اللهُ لَه خُلُقَهُ، أثنىٰ عليه، فقالَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤].

فَسُبْحانَهُ ما أَعْظَمَ شَأْنَهُ، وأَتَمَّ امتنانَهُ، انظرْ إلىٰ عظيم فَضْلِهِ، وعَمِيمِ لُطْفِهِ، كَيْفَ أعطىٰ، ثمَّ أثنىٰ؟! [(١)] .

أَيُّهَا النَّاسُ، لقدِ اجتمعتْ في رسولِ اللهِ - ﷺ - خِصالُ الخَيْرِ: مِنْ حَياءٍ، وحِلْمٍ، ورحمةٍ، وشفقةٍ، وشجاعةٍ، وشهامةٍ، وجُودٍ، وكرمٍ، وصِدْقٍ، وبِرٍّ، وأمانةٍ، وتواضُعٍ، ولينِ جانبٍ، وكرمِ معشَرٍ وإكرامِ يتيمٍ، وحُسْنِ سريرةٍ، وعفَّةٍ، وطهارةٍ، ومُروْءَةٍ، وسائرِ خِصالِ الخَيْرِ.

وقد أقسم اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ علىٰ أنَّ نبيَّهُ علىٰ خُلُقٍ عظيمٍ، فقَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:١ـ٤].

وأثنىٰ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ علىٰ نبيِّهِ - ﷺ - غايةَ الثَّناءِ بقولِهِ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ [آل عمران:١٥٩].

وبيَّنَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ شَفَقَةَ هذا النَّبيِّ الكريمِ - ﷺ - علىٰ أُمَّتِهِ بقولِهِ: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة:١٢٨].

وقَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ في شَأْنِ هذا النَّبيِّ الكريمِ - ﷺ - وأُمَّتِهِ: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح:٢٩] وحثَّ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ المؤمنين علىٰ التَّأسِّي به - ﷺ -، فقَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١].

---

(١) انظر: «إِحْيَاء عُلُوم الدِّيْن» (٢/ ٣٥٧-٣٥٨) .

فعلينا ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ بالتأسِّي برسولِ الله- ﷺ- وطاعتِه، وإدامةِ النَّظرِ في سِيرتِه؛ لنقتطفَ منها مكارمَ الأخلاقِ، فَفِي ذَلِكَ عِزُّ الدُّنيا، وشَرَفُ الآخرةِ.

قَالَ ابن القيِّم ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: بحَسْبِ مُتابعةِ الرَّسُولِ- ﷺ- تكونُ العِزَّةُ والكفايةُ والنُّصْرةُ، كما أنَّ بحَسْبِ مُتابعتِه تكونُ الهدايةُ والفَلاحُ والنَّجاةُ، فاللهُ ـ سبحانه ـ علَّق سعادةَ الدَّارَيْنِ بمتابعتِه، وجَعَلَ شقاوةَ الدَّارَيْنِ في مُخالفته، فلأتباعِه الهدىٰ والأمْـن، والفلاحُ والعِزَّةُ، والكِفايةُ والنُّصْرَةُ، والولايةُ والتأييدُ، وطيْبُ العَيْشِ في الدُّنيا والآخرة، ولمخَالفيه الذِّلةُ والصَّغارُ، والخَوْفُ والضلالُ، والخِذْلانُ والشَّقاءُ في الدُّنيا والآخرةِ »[1] .

اللَّهُمَّ اهْدِنا لأَحْسَنِ الأخلاق، لا يَهْدي لأحسنها إلَّا أَنْتَ، واصْرفْ عَنَّا سَيِّئَها، لا يَصْرفُ عنَّا سيِّئَها إلَّا أَنْتَ. اللهُمَّ جَنِّبْنَا مُنْكَراتِ الأخلاقِ، والأعمالِ والأهْواءِ، والأدواءِ، اللهُمَّ زَيِّنَّا بزينةِ الإيمانِ، واجعلْنا هُداةً مُهْتَدينَ.

(١) « زَاد المعَاد» (١/ ٣٩) .



٥٦
بـــر الوالديـــن

الخطبة الأولى:

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد- ﷺ-، وشرَّ الأُمور مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّار.

أمَّا بَعْدُ،

أَيُّهَا النَّاسُ، فحديثي مَعَكُمُ اليومَ -أيُّهَا النَّاسُ- عن «بر الوالدَيْن» وبرُّ الوالدين مِنْ كمالِ الإيمانِ، وأفضلِ العباداتِ، وأجلِّ الطاعَاتِ، وفضائِلُهُ لَا تكاد تُحصَرُ.

فمن فضائلِ برِّ الوالدَيْنِ مِنْ كتابِ اللّه ما يأتي:

أنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ جَعَلَ برَّ الوالدين قرينَ التوحيدِ في أكثر مِنْ آيةٍ، فمنها:

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [البقرة:٨٣].

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [النساء:٣٦].

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ ﴾ [الأنعام:١٥١].

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ ﴾ [الإسراء:٢٣].

فَفِي هذه الآياتِ جَعَلَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ حُرْمَةَ العُقُوق كحُرمةِ الإشراك سواءً بسواء، فهو ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ حرَّم الشِّرْكَ، وأمَرَ بالإحسانِ، ومُقْتَضَىٰ ذَلِكَ أنْ يَأْمُرَ بالتوحيدِ، ويُحَرِّمَ العُقُوق، فكان الشِّرْكُ مُلازمًا للعُقُوقِ، والتوحيدُ قرينَ الإحسانِ.

ومن فضائلِ برِّ الوالدين أنَّ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ قَرَنَ شُكْرهُما بشُكْرِهِ، فقَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ [لقمان:١٤].

ومن فضائلِ برِّ الوالدين أنَّ الرَّسُولَ ـ ﷺ ـ أخْبَرَ أنَّ برَّ الوالِدَيْن أَفْضَلَ الأعمالِ بَعْدَ الصلاةِ، الَّتِي هي أعظمُ دعائمِ الإسلام.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» (١) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ:

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٩٧٠)، وَمُسْلم (٨٥).

سألتُ رسولَ اللهِ - ﷺ -: أيُّ العَمَلِ أحبُّ إلىٰ اللهِ؟ قَالَ: «**الصَّلاةُ علىٰ وَقْتِها**». قُلْتُ: ثمَّ أيُّ؟ قَالَ: «**برُّ الوالدين**» قُلْتُ: ثمَّ أيُّ؟ قَالَ: «**الجهادُ في سبيلِ اللهِ**».

ومن فضائلِ برِّ الوالدَيْن أنَّ الرَّسُولَ - ﷺ - أخبر أنَّ برَّ الوالدين سببٌ لدُخُولِ الجنَّة، فَفِي «صَحِيْح مُسْلِم»[1] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُريرةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**رَغِمَ أَنْفُهُ (أي: لَصِقَ بالرَّغام، وهو التُّرابُ)، ثمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ**» قيل: مَن يا رسولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مَنْ أَدْرَكَ والداهُ عَنْد الكِبَرِ - أحَدُهما أو كِلاهُما - ثمَّ لم يَدْخُلِ الجنَّةَ**».

ومعنىٰ الحديث: أنَّ مَنْ أَدْرَكَ أبوَيْهِ أو أحَدَهُما فلمْ يَبَرَّهُما، فمات، دخلَ النَّارَ.

وأخرج الإمام إسماعيلُ بنُ إسحاق في رسالته «فَضْلُ الصَّلاَة علىٰ النبيِّ»، بسَنَدٍ صَحِيْح، صحَّحَهُ الألبانيُّ[2] في تعليقه علىٰ الرِّسالةِ مِنْ حديثِ أَنَسِ بن مالكٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: ارتقىٰ النبيُّ - ﷺ - المنْبَرَ دَرَجةً، فقَالَ: «**آمينَ**»، ثمَّ ارتقىٰ الثانيةَ، فقَالَ: «**آمينَ**». ثمَّ ارْتَقَىٰ الثالثةَ، فقَالَ: «**آمينَ**». ثمَّ استوىٰ فَجَلَس، فقَالَ أصحابُهُ: عَلامَ أمَّنْتَ يا رسولَ اللهِ؟.

قَالَ: «**أتاني جبْريلُ فقَالَ: رَغِمَ أَنْفُ امرئٍ، ذُكِرتَ عندَهُ، فلمْ يُصلِّ عليك، فقُلْتُ: آمينَ، فقَالَ: رَغِمَ أنْفُ امرئٍ أدْرَكَ أبوَيْه، فلم يَدْخُلِ الجنَّةَ، فقُلْتُ: آمينَ، فقَالَ: رَغِمَ أَنْفُ امرئٍ، أدْرَكَ رَمَضَانَ، فلمْ يُغفَرْ لَهُ، فقُلْتُ: آمينَ**».

وأخرج الإمامُ أحمدُ في «مُسندِهِ»، والحاكمُ في «مُسْتدركِهِ» بسَنَدٍ صَحِيْح، صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صَحِيْحِ الجَامع»[3] مِنْ حَدِيْثِ عائشةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِم (٢٥٥١).

(٢) رَوَاهُ البزار (٣١٦٨)، وابن شاهين (٥، ٧، ٨)، وإسماعيل القاضي في «فَضْل الصَّلَاة علَىٰ النَّبي» (ص ٣٠-٣٣)، وصححه الألباني في تعليقه علىٰ رسالةِ «فَضْلِ الصَّلَاة علَىٰ النَّبي» لإسماعيل القَاضي - رحم الله الجميع -.

(٣) أخرجه الحاكم في «مستدركه» (٣/ ٢٢٩)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني فِي «صَحِيْحِ الجامع» (٣٣٧١).

قَالَتْ: قَالَ رسولُ اللهِ- ﷺ-: «**دَخَلْتُ الجنَّةَ، فَسمعْتُ فِيْهَا قراءةً، فقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: حارثةُ بنُ النُّعمانِ، كذالِكُمُ البرُّ، كَذالِكُمُ البرُّ!**» وكان أَبرَّ الناسِ بأُمِّه.

ومن فضائلِ برِّ الوالدَيْن أنَّ النَّبيَّ- ﷺ- أخبر أنَّ بِرَّ الوالدَيْنِ جِهادٌ، بل أفضلُ من الجهادِ، وأخبر أنَّ الجنَّةَ تَحْتَ أقدام الأُمَّهاتِ.

فَفِي «الصَّحِيْحَيْن» (١) مِنْ حَدِيْث عَبْدِ اللهِ بن عَمْرو بن العاص - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: جاء رجلٌ إلىٰ نبيِّ اللهِ- ﷺ- فاستأذنَهُ في الجهاد فقَالَ: «أَحَيٌّ والداك؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَفِيهما فجاهِدْ».

وفي روايةٍ لمُسْلِم قَالَ: أقْبَلَ رجلٌ إلىٰ رسولِ اللهِ- ﷺ-، فقَالَ: أُبايعُكَ علىٰ الهِجْرَةِ والجهادِ، أبتغي الأَجْرَ منَ اللهِ، قَالَ: «فَهَلْ مِنْ والدَيْكَ أحَدٌ حَيٌّ؟» قَالَ: نَعَمْ، بلْ كِلاهما حَيٌّ، قَالَ: «فتبتغي الأَجْرَ مِنَ اللهِ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فارجِعْ إلىٰ والدَيْك، فأحْسِنْ صُحْبَتَهُما».

وأخرج أبو داودَ بسندٍ صحيح، صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صَحيْح التَّرْغيْب والتَّرْهيْب» (٢) مِنْ حديث عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرو - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: جاءَ رجلٌ إلىٰ رسولِ اللهِ- ﷺ- فقَالَ: جئتُ أُبايعُكَ علىٰ الهِجْرةِ، وتركْتُ أَبَوَيَّ يَبْكيانِ، فقَالَ: «**ارجِعْ إلَيْهما؛ فَأَضْحِكْهُما كما أَبْكيتَهُما**».

وأخرج أبو داودَ بِسَنَد صَحِيْح، صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صَحيْح التَّرْغيْب والتَّرْهيْب» (٣) مِنْ حديثِ أَبِي سعيدٍ الخُدْرِيِّ - رضي اللهُ عنه - قَالَ: هاجَرَ إلىٰ رَسُولُ اللهِ- ﷺ- رجلٌ مِنْ أَهْلِ اليمن، فقَالَ له رسولُ اللهِ- ﷺ-: «هجرتَ الشِّرْكَ، ولكنَّهُ الجِهادُ، هَلْ باليمنِ أَبَوَاكَ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «**أذِنا لك؟**» قَالَ:

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٩٧٢)، ومُسْلم (٢٥٤٩).
(٢) رَوَاهُ أبو داود (٢٥٢٨)، وصححه الألباني في «صَحِيْح التَّرْغِيْب والتَّرْهِيْب» (٢٤٨١).
(٣) رَوَاهُ أبو داود، وقال الألباني في «صَحِيْح التَّرْغِيب والتَّرْهِيْب» صحيحٌ لغيره (٨٤٨٢).

لا، فقَالَ رسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**ارجعْ إلىٰ أَبَويْكَ، فإنْ فَعَلاَ، وإلَّا فَبرَّهُمَا**».

وأخرج النَّسائيُّ وابنُ ماجه بِسَنَدٍ صَحِيْح، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْح ابن مَاجَهْ»[١] مِنْ حَدِيْث مُعاوية بن جاهمة السُّلَمي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ جَاهمة جاءَ إلىٰ النبيِّ - ﷺ - فقَالَ: يا رسولَ اللهِ، أَرَدْتُ أَنْ أَغْزُوَ، وقدْ جِئْتُ أستشيرُكَ، فقَالَ: «**هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟**».

قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «**فَالْزَمْها؛ فإنَّ الجنَّةَ عِنْدَ رِجْلِها**».

أيها الناسُ، تقدَّم فَضْلُ الوالدَيْنِ كلَيْهما، فأحبُّ أُنبِّهُ إلى أنَّ الأُمَّ أحقُّ الناسِ بحُسْنِ الصُّحْبةِ لأدلَّةٍ، منها:

فَفِي «الصَّحِيْحَيْن»[٢] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُريرةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: جاء رجلٌ إلىٰ رسول الله - ﷺ - فقَالَ: يا رسولَ الله مَنْ أحقُّ النَّاس بحُسْنِ صَحَابتي؟ قَالَ: «**أُمُّكَ**»، قَالَ: ثُمَّ مَن؟ قَالَ: «**أُمُّكَ**». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**أُمُّكَ**»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**أُمُّكَ**».

قَالَ النَّوويُّ - رَحِمَهُ اللهُ -: «وفيه الحثُّ علىٰ برِّ الأقارب، وأنَّ الأُمَّ أحقُّهم بذَلِكَ، ثُمَّ بَعْدَها الأَبُ، ثُمَّ الأَقْرَبُ فالأقربُ، قَالَ العلماءُ: وسببُ تقديم الأُمِّ كَثْرةُ تَعَبِها عليه، وشفقتها وخدمتها، ومُعاناة المشاقِّ في حَمْله، ثُمَّ وَضْعَه، ثُمَّ إرضاعِهِ، ثُمَّ تربيتِهِ، وخِدْمتِهِ، وتَمْريضِهِ، وَغيْرِ ذَلِكَ.

ونقل الحارثُ المحاسبي إجماعَ العُلماءِ علىٰ أَنَّ الأُمَّ تَفضلُ في البِرِّ علىٰ الأب»[٣].

وأخرج ابن مَاجَهْ في «سُننه» بِسَنَدٍ صَحِيْح، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْح سُنن ابن مَاجَهْ»[٤] مِنْ حَدِيْثِ المِقْدام بنِ مَعْدِ يكربَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أنَّ

(١) النَّسَائِي (٦/ ١١)، وابن ماجه (٢٧٨١)، وصححه الألباني فِي «صَحِيْح ابن ماجه» (٢٤٤١).
(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٩٧١)، وَمُسْلم (٥/ ٤١٠).
(٣) «شرح صحيح مُسْلِم» (٥/ ٤١٠).
(٤) أخرجه ابن ماجه (٣٦٦١)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٩٥٥).

رسولَ الله- ﷺ- قَالَ: «**إِنَّ اللهَ يُوصِيكُمْ بِأُمَّهاتِكم (ثلاثًا) وإِنَّ اللهَ يُوصيكُمْ بآبائِكم، إِنَّ اللهَ يُوصِيكُمْ بالأقربِ فالأَقْرب**» .

والوالدُ ـ أيضًا ـ له حقٌّ عظيمٌ، لا يقلُّ أَهمِّيَّةً عن حقِّ الأُمِّ. فقد أخرج الإمامُ التِّرْمذيُّ بِسَنَد صَحِيْح، صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صَحِيْح الجَامع» [1] مِنْ حَدِيْث أَبِي الدَّرْداء ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رجلاً أتاهُ فقَالَ: إِنَّ لِي امرأةً، وإِنَّ أُمِّي تَأْمُرُنِي بطلاقِها، قَالَ أبو الدَّرْدَاء: سمعتُ رسولَ الله- ﷺ- يقولُ: «**الوالدُ أَوْسَطُ أبوابِ الجنَّةِ، فإِنْ شِئْتَ فأَضِع ذَلِكَ البابَ، أو احْفَظْهُ**» .

قَالَ بعضُ أهلِ العلم: يعني أَنَّ برَّ الوالدَيْن يُدخِلُ الشَّخْصَ مِنْ أَوْسَط أبواب الجنَّة.

وأخرج الإمامُ مُسْلِمٌ [2] مِنْ حديث أَبِي هُريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ- ﷺ-: «**لا يَجْزي وَلَدٌ والدًا، إِلَّا أَنْ يَجِده مَمْلوكًا، فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ**».

قَالَ الإمام النَّوويُّ: «أي: لا يُكافِئُهُ بإحسانِه وقضاء حَقِّه إِلَّا أَنْ يُعْتِقَهُ» .

وأخرج الإمام التِّرمذيُّ في «سُننه »، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في«صَحِيْح التِّرمذيِّ»[3] مِنْ حديث عَبْدِ الله بنِ عَمرو ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ عَنِ النَّبِيِّ- ﷺ- قَالَ: «**رِضَا الرَّبِّ في رِضَا الوالِدِ، وسَخَطُ الرَّبِّ في سَخَطِ الوالدِ**» .

أَيُّهَا النَّاسُ، تلك بَعْضُ فضائلِ برِّ الوالدَيْنِ، وفيما يأتي خُطُورةُ عُقُوقِ الوالدَيْنِ؛ كي نحذرَ منها.

أيُّهَا النَّاسُ، اعلموا أنَّ عُقُوقَ الوالدَيْنِ مِنْ أكبرِ الكبائرِ لأدلَّةٍ، منها:

فَفِي «الصَّحِيْحَيْن » [4] مِنْ حديث أَبِي بَكْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ- ﷺ-: «**أَلا أُنَبِّئُكُمْ بأكبرِ الكبائرِ (ثلاثًا)؟** » . قُلْنا: بَلَىٰ، يا رسولَ الله

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» (١٩٠٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧١٤٥) .
(٢) أخرجه مُسْلِم (١٥١٠) .
(٣) رَوَاهُ الترمذي (١٨٩٩) ، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (١٥٤٩) .
(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٩٧٦) ، ومُسْلم (٨٧) .

قَالَ: «**الإشراكُ بالله، وعُقُوق الوالدَيْن**» وكان مُتكئًا، فجلس فقَالَ: «**ألا وَقوْلُ الزُّور، وشَهادةُ الزُّورِ، ألاَ وقَوْلُ الزُّورِ، وشَهادةُ الزُّورِ**» فما زال يُكَرِّرُها، حتَّىٰ قُلْنا: لَيْتَهُ سَكَتَ.

وَفِي «الصَّحِيْحَيْن» [١] - أيضًا - مِنْ حديثِ أَنَسٍ - رَضِيَ الله عَنْهُ - قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ الله - ﷺ - الكبائرَ - أو سُئِلَ عَنِ الكبائرِ - فقَالَ: «**الشِّرْكُ بالله، وقَتْلُ النَّفْس، وعُقُوقُ الوالدَيْن**». فقَالَ: «**ألا أُنَبِئكُم بأكبرِ الكبائر؟**» قَالَ: «**قَوْلُ الزُّورِ - أو شَهَادةُ الزُّور**». قَالَ شُعبةُ: وَأكبرُ ظَنِّي أنَّه قَالَ: «**شَهَادةُ الزُّور**».

قَالَ بَعضُ أهْلِ العِلْم: «فجاء العُقُوقُ - في ترتيبِ الجرائم - بَعْدَ الشِّرْكِ باللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -، فكَما أنَّ برَّ الوالدَيْن جاءَ بعد الأمْر بالتَوحيد - في أعمالِ البرِّ - فكذَلِكَ فَفِي المُقابلِ جاء النَّهيُ عَنِ العُقُوقِ، وبيانُ خَطرِهِ بَعْدَ النهي عَنِ الشِّرْك».

وَفِي «الصَّحِيْحَيْن» [٢] مِنْ حديثِ المُغيرةَ بن شُعْبةَ عَنِ النبيِّ - ﷺ - قَالَ: «**إنَّ الله حَرَّم عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ الأُمَّهات، ومَنعا وهاتِ، وَوَأدَ البَناتِ، وكَرهَ لكم: قِيلَ وقَالَ، وكَثْرَةَ السُّؤال، وإضاعةَ المالِ**».

وفِي «صَحيْح البخاريِّ» [٣] مِنْ حديث عَبْدِ الله بْنِ عَمْرو بْنِ العاص - رَضِيَ الله عَنْهُمَا - عَنِ النبيِّ - ﷺ - قَالَ: «**الكبائر: الإشراكُ بالله، وعُقُوقُ الوالديْنِ، وقَتْلُ النَّفْسِ، واليَمينُ الغَمُوسُ**».

وأستغفر الله.

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٩٧٧)، وَمُسْلم (٨٨).
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٩٧٥)، وَمُسْلم (٥٩٣).
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٦٧٥).

الخطبة الثانية:

آدابُ التعامُل مع الوالدينِ

الحَمْدُ للهِ ربِّ العالمين، وأُصلِّي وأُسلِّمُ علىٰ أشرفِ الأنبياءِ والمُرْسلين، وعلىٰ آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدِّين.

أمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، فتقدَّم الحديثُ مَعَكُمْ- أَيُّهَا النَّاسُ- حَوْلَ فَضْلِ برِّ الوالدَيْنِ، مع ذِكْر أنَّ برَّ الوالديْن جاء في القرآنِ الكريم بَعْدَ الأمْرِ بالتوحيدِ، وذكرتُ عُقُوقَ الوالدينِ، وأنَّ عُقُوقَ الوالدَيْنِ جاء بَعْدَ النَّهْي عَنِ الشِّرْكِ باللهِ.

والآنَ - أيُّهَا النَّاسُ - حديثي مَعَكُمْ حَوْلَ أدبِ التعامُلِ مَعَ الوالدَيْنِ:

فمن الأَدَب - أيُّهَا النَّاسُ - ألاَّ يُحِدَّ الرَّجُلُ النَظَرَ إلىٰ أَبَوَيْه، ولا يَرْفَعَ صوتَهُ عليهما، ولا يسبقهُما بحديثٍ، ولا يجلسَ أمامَهُما وهُما قِيامٌ.

فَفِي صحيح البخاريِّ[1] مِنْ حَدِيْثِ المِسْوَر بن مَخْرمَةَ ومَرْوَانَ، فذكرا الحديثَ، وفيه: «وإذا تكلَّم - يعني رسولَ اللهِ - ﷺ - خَفَضُوا - أي الصحابةُ - أصواتَهُمْ عندَهُ، وما يُحِدُّون إلَيْهِ النَّظرَ تعظيمًا له».

وهذا ابنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - لا يتكلَّم لوجودِ مَن هم أكبرُ سنًّا منه، فَفِي «الصَّحيْحَيْن»[2] مِنْ حَدِيْث ابنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: كنَّا عندَ النَّبيِّ - ﷺ -، فأُتِيَ بجُمَّار، فقَالَ: «**إنَّ مِنَ الشَّجَر شَجَرةً، مثلها كَمَثَلِ المُسْلِم**» فأردْتُ أنْ أقولَ: هي النّخْلَة، فإذا أنا أصغرُ القومِ؛ فَسَكَتُّ، قَالَ النَّبيُّ - ﷺ -: «هي النَّخْلَةُ».

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٧٣١).
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٧٢)، وَمُسْلم (٢٨١١).

وذكر الذَّهبيُّ في السِّيَر[1] عن هشام بنِ حسَّانَ قَالَ: حدَّثتني حَفْصَةُ بنْتُ سِيرينَ قَالَتْ: كانتْ والدةُ محمَّدِ بن سيرين حجازيَّةً، وكان يُعْجبُها الصِّبْغ، وكان محمَّد إذا اشترىٰ لها ثوبًا، اشترىٰ ألْيَنَ ما يَجدُ، فإذا كَانَ عِيدٌ صَبَغَ لها ثيابًا، وما رأيتُهُ رفع صَوْتَهُ عليها، كَانَ إذا كلَّمها كالمُصْغِي » .

ومن الأدب مع الوالدينِ الطاعةُ بالمعروف:

فتجبُ طاعتُهما، واجتنابُ معصيتهما، وأنْ تُقدَّمَ طاعتُهما علىٰ طاعة كُلِّ أحدٍ ما لم يأمُرا بمعصيةِ اللهِ ورسولِه- ﷺ- إلَّا الزَّوْجة، فإنَّها تُقَدِّمُ طاعةَ زوجها علىٰ طاعةِ والدَيْها.

فَفِي «مُسند أحمدَ » بإسنادٍ صحيح[2] مِنْ حديثِ حَنْظَلَةَ بن خُوَيْلد العنبريِّ قَالَ: بَيْنَما أنا عندَ مُعاوية إذ جاءَهُ رَجُلان، يختصمانِ في رَأْسِ عمَّار، يقول كُلُّ واحد منهما: أنا قَتَلْتُهُ، فقَالَ عبدُ الله بْنُ عَمْرو: لِيَطِبْ به أحدُكما نَفْسًا لصاحبه؛ فإنِّي سمعتُ رسولَ الله- ﷺ- يقولُ: «**تَقْتُلُهُ الفِئَةُ الباغية** »قَالَ مُعاويةُ: فما بالُك مَعَنا؟! قَالَ:إنَّ أَبِي شَكَاني إلىٰ رسول الله- ﷺ-فقَالَ: «**أطِعْ أَبَاكَ مَا دَامَ حَيًّا ولا تَعْصِه** » ، فأنا مَعَكُمْ، ولستُ أُقاتلُ. فعبدُ الله بْنُ عَمْرو ـ رَضيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ أَطَاعَ أَبَاهُ فِي المَعروفِ، لكنَّهُ لَم يُقاتلِ المُسلمين، وَلَم يرفَعْ سَيْفَهُ عَلَيهم.

وَفِي «الصَّحيْحَيْن » [3] مِنْ حَديْث عليِّ بن أَبِي طالب ـ رَضيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ- ﷺ-: «**لَا طاعَةَ فِي معصيةِ اللهِ، إنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْروفِ** » .

ومن الأدبِ مَعَ الوالدَينِ خَفْضُ الجنَاح:

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾ [الإسراء:٢٤].

---

(١) «سير أعلام النبلاء » (٤/ ٦١٩) .
(٢) رَوَاهُ أحمد في « مسنده » (٢/ ١٦٤) .
(٣) تَقَدَّمَ تَخْرِيْجه .

أخرج البخاريُّ في «الأدب المفرد» بإسناد صحيح[١] عن عُرْوَةَ بن الزُّبير قَالَ: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ قَالَ: «لا تمتنعْ مِن شيءٍ أَحَبَّاهُ».

ومن الأدبِ مع الوالدَيْنِ الفَرحُ بأَوامرِهما، وتَرْكُ التَّضَجُّرِ والتَّأَفُّفِ منهما.

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا﴾ [الإسراء:٢٤].

ومن الأدب معهما المُصاحبةُ بالمعروف، حتَّىٰ ولو كانا كافرين، قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ﴾ [لقمان:١٥] قَالَ أبو اللَّيْث السَّمَرْقَنْديُّ: «المُصاحبةُ بالمعروفِ أنْ يَطْعِمَهُما إذا جاعا، ويكْسُوهُما إذا عَريا، ومِنْ حُقُوقِهما خِدْمتُهما إذا احتاجا ـ أو أحدُهُمَا ـ إلىٰ خِدْمة، وإجابةُ دعوتهما، وامتثالُ أمْرِهمَا ـ ما لم يكن معصيةً ـ والتكلُّمُ معهُما باللِّين، وألا يَدْعُوَهُا باسْمِهما، وأَن يَمْشي خَلْفَهُما، وأنْ يدعو الله لَهُما بالمغفرة»[٢].

فَفي «الصَّحِيحَيْن»[٣] مِنْ حديثِ أسماءَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ: قَدِمَتْ عليَّ أمِّي ـ وهي مُشْركةٌ في عَهْدِ رسول الله ـ ﷺ ـ، فاستفتَت رسولَ الله ـ ﷺ ـ، قَالَتْ: إنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وهي راغبةٌ (أي: راغبة فيما عندي، تسألُني البرَّ والإحسانَ إلَيْها)، أَفَأَصلُ أُمِّي؟ قَالَ: «**نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ**».

ومن الأدبِ مع الوالدَيْنِ الاستغفارُ لهما، وطَلَبُ الرَّحْمةِ لهما في حياتِهما، وبَعْدَ مماتِهما:

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [الإسراء:٢٤].

فعلينا ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أنْ نستغفر لوالدينا؛ فإنَّ العَبدَ إذا مات، نَفَعَهُ استغفارُ

---

(١) «الأدب المفرد» (٩).
(٢) «تنبيه الغافلين» (١/ ١٣٧)، و«غذاء الألباب» (١/ ٣٨٩).
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٩٧٨)، وَمُسْلم (١٠٠٣).

وَلَدِهِ له.

أخرج ابن مَاجَهْ في «سُننه» ، وحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيْح ابن مَاجَهْ» [١] مِنْ حديثِ أَبِي هُريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**إِنَّ اللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ للعَبْدِ الصَّالحِ في الجنَّةِ، فيقولُ: يا ربِّ، أَنَّىٰ لي هذه؟! فيقولُ: باستغفارِ وَلَدِكَ لَكَ**» .

وفِي « صَحِيْح مُسْلِم » [٢] مِنْ حديثِ أَبِي هُريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ النبيُّ ـ ﷺ ـ: «**إذا ماتَ ابنُ آدَمَ، انقطعَ عمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو لَهُ**» .

ومن الأدب مع الوالِدَين أداءُ الدَّيْن عنهما، والتَّصدُّق عنهما، والصَّوم عنهما ـ إذا ماتا وعليهما صِيام ـ والإحسانُ إلىٰ مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وبَيْنَهُما مودَّةٌ.

فَفِي «صحيح البخاريِّ » [٣] مِنْ حَدِيْث ابن عباسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّ امرأةً مِنْ جُهَيْنَةَ، جاءتْ إلىٰ النبيِّ ـ ﷺ ـ فقَالَتْ: إنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أن تَحُجَّ، فلم تَحُجَّ حتَّىٰ ماتتْ، أفَأَحجُّ عنها؟ قَالَ: «**نَعَمْ، حُجِّي عنها، أَرَأَيْتِ لو كَانَ علىٰ أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قاضيتَهُ؟، اقْضُوا اللهَ، فاللهُ أحَقُّ بالوَفَاءِ**» .

وَفِي «الصَّحِيْحَيْن » [٤] مِنْ حديثِ عائشةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ أَنَّ رجلاً قَالَ للنَّبيِّ ـ ﷺ ـ: إنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُها، وأراها (أي: أَظنُها) لو تكلَّمتْ تصدَّقَتْ، أَفأتصدَّقُ عنها؟ قَالَ: «**نَعَمْ، تصدَّقْ عنها**» .

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٦٦٠)، وحسنه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٢٩٥٣) .
(٢) تَقَدَّمَ تَخْرِيْجه .
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٨٥٢) .
(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٧٦٠)، ومُسْلم مع النووي (٤/ ١٦٦) .

وأخرج البخاريُّ فِي «صَحِيْحه»[1] مِنْ حديث ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أنَّ رجلاً قَالَ لرسول اللهِ -ﷺ-: إنَّ أُمَّهُ تُوُفِّيَتْ، أَيَنْفَعُهَا إنْ تصدَّقتُ عنها؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: فإنَّ لي مِخْرَافًا، فأنا أُشْهِدُكَ أنِّي قَدْ تَصدَّقْتُ به عنها.

وفي «الصحيحين»[2] مِنْ حَدِيْث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**مَنْ مَاتَ وعَلَيْه صيَامٌ صَامَ عَنْهُ وليُّهُ**».

وفِي «صَحِيْح مُسْلم»[3] مِنْ حديث عَبْدِ اللهِ بن عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: أنَّ رجلاً مِنَ الأعرابِ لَقِيَهُ بطريقِ مكَّةَ، فسلَّمَ عليه عَبْدُ اللهِ، وحَمَلَهُ علىٰ حمار، كَانَ يَرْكَبُه، وأعْطَاهُ عمامةً كانتْ علىٰ رأسه، فقَالَ ابْنُ دينارٍ: فقلنا له: أَصْلَحَكَ اللهُ، إنهُمْ أعرابٌ، وإنَّهُمْ يَرْضَوْنَ باليسير!.

فقَالَ عبدُ اللهِ: إنَّ أبَا هذا كَانَ وُدًّا لعُمَرَ بن الخطَّاب (ومعنىٰ وُدًّا أي: صديقًا مِنْ أهلِ مودَّتِهِ)، وإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ -ﷺ- يقولُ: «**إنَّ أَبَرَّ البِرِّ صِلَةُ الوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيه**».

ربَّنا اغفرْ لنا ولوالدينا، وارحمْنا، إنك أنت الغفورُ الرحيمُ.

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٧٧٠).
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٩٥٢)، ومُسْلم (١١٤٧).
(٣) رَوَاهُ مُسْلِم (٢٥٥٢).



٥٧

الصبر الجميل

الخطبة الأولى:

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُه، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيِّئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلل فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُولُه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد- ﷺ-، وشرَّ الأُمور مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أَمَّا بَعْدُ،

أَيُّهَا النَّاسُ، فحديثي مَعَكُمُ اليومَ - أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ **(الصَّبْرِ الجَميل)** .

والصَّبْرُ الجميلُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ سيِّدُ الأخلاقِ، والطريقُ إلىٰ الإمامة في الدِّينِ، والفَوْزِ العظيم.

وقد ذكره اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ في كتابه الكريم في بِضْعةٍ وتسعين مَوْطنًا بأنواعٍ عديدةٍ، تدلُّ علىٰ وُجُوبِه، فمنها ـ أي ما يدلُّ علىٰ وجوب الصَّبْرِ ـ:

أولًا: الأمر به، قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران:٢٠٠].

ثانيًا: النَّهْيُ عَنْ ضِدِّه، قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ ﴾ [الأحقاف:٣٥].

ثالثًا: الأمر بالاستعانة به، قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [البقرة:١٥٣].

رابعًا: الثناء علىٰ أهله، قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة:١٧٧].

خامسًا: إيجابُه ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ محبَّتَه لهم، قَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [آل عمران:١٤٦].

سادسًا: إيجابُه معيَّتَه لهم، وهي معيَّةٌ خاصَّة، تتضمَّنُ حِفْظَهم ونَصْرَهُم وتأييدَهُمْ، وهي غَيْرُ المعيَّةِ العامَّةِ ـ وهي معيَّةُ العِلْمِ والإحاطةِ ـ، قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنفال:٤٦].

قَالَ بعضُ السَّلَفِ: «ذَهَبَ الصابرون بخير الدُّنيا والآخرة؛ لأَنَّهم نَالُوا مِنَ اللهِ معيَّةَ اللهِ »[(١)] .

سابعًا: إيجابُه ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ الجزاءَ لهم بغير حسابٍ، قَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزُّمَر:١٠].

---

(١) «عُدَّةُ الصَّابرين» ، لابن القيم (ص١٣٤) .

قَالَ الأوزاعيُّ ـ رَحِمَهُ الله ـ: «لَيْسَ يُوزَنُ لهم ولا يُكال، إنما يُغْرَفُ لهم غَرْفًا»[(١)].

ثامنًا: إيجابُ الجزاءِ لهم بأحسنِ أعمالِهمْ، قَالَ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [النحل:٩٦].

تاسعًا: إخبارُه ـ سُبْحَانَه وتَعَالى ـ بأنَّ الصَّبْرَ خَيرٌ لأصْحَابِه، قَالَ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [النساء:٢٥].

عاشراً: إطلاقُ البُشْرى لأهلِ الصَّبْر، قَالَ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾

[البقرة:١٥٥].

الحادي عَشَرَ: الإخْبارُ منْه ـ سُبْحانَهُ وتَعالَى ـ: بأنَّ أَهْلَ الصَّبْرِ هُمْ أهلُ العزائمِ، قَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى:٤٣]. أي: ممَّا يُعْزَمُ مِنَ الأُمورِ الَّتِي هي أجلُّها وأَشْرَفُها.

الثاني عَشَرَ: الإخبارُ بأنه لا يَنالُ جزاءَ الأعمَالِ الصَّالحَةِ إلَّا أَهْلُ الصَّبْرِ، قَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [القصص:٨٠]، وقَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت:٣٥].

الثالث عَشَرَ: الإخبارُ أنَّ الفَوْزَ بالمطلوبِ المحبوبِ، والنَّجاةَ منَ المَكْروهِ المَرْهُوبِ، ودُخُولَ الجنَّةِ إنَّما نَالُوه بالصَّبْرِ، قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾

[الرعد:٢٣، ٢٤].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٨٠).

الرابعَ عَشَرَ: أنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ ـ جَمَعَ للصابرين ثلاثةَ أُمُورٍ، لم يَجْمعْها لغيرهم، وهي: الصلاةُ مِنْهُ عليهم، ورحمتُهُ لهم، وهدايتُه إيَّاهُم، قَالَ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ ـ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة:١٥٥ـ ١٥٧].

الخامسَ عشَرَ: أنَّ الصَّبْرَ يُورِثُ صاحبَهُ دَرَجَةَ الإمامةِ في الدِّين.

قَالَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «بالصَّبْرِ واليقين تُنالُ الإمامةُ في الدِّين». ثمَّ تلا قوله ـ تعَالَىٰ ـ: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة:٢٤] (١).

وأمَّا الصَّبْرُ في السُّنَّةِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ فأكثرُ مِنْ أنْ يُحْصَرَ، وسوف نقتصرُ علىٰ ما يأتي:

فقدْ أخبر النبيُّ ـ ﷺ ـ بأنَّ الصَّبْرَ خير ما أُعْطِيَهُ العَبْدُ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْن» (٢) مِنْ حَدِيْث أَبِي سعيد الخُدْرِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**ما أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطاءً خيرًا وأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**».

وأخبر ـ ﷺ ـ أنَّ الصَّبْرَ ضياءٌ.

فَفِي «صَحِيْح مُسْلِم» (٣) مِنْ حَدِيْث أَبِي مالكٍ الأَشْعَرِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «والصَّبْرُ ضياءٌ».

قَالَ النَّوويُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «المُرادُ أنَّ الصَّبْرَ مَحْمودٌ، ولا يَزَالُ صاحبُهُ

---

(١) انظر: «مدارج السَّالكين» (٢/ ١٥٣)، «عُدَّة الصَّابرين» (ص٨٤)، «البَصَائِر» للفَيْروز أبادي (٣/ ٣٧٥)، «الصَّبْرُ الجَمِيْل» لسليم الهلالي (ص ٩-١٠).
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٤٧٠)، وَمُسْلم (١٠٥٣)، واللفظ له.
(٣) رَوَاهُ مُسْلِم (٢٢٣).

مُسْتضيئًا مُهْتديًا، مُسْتمرًّا على الصَّوابِ »[١] .

والأدلَّةُ ـ أيُّهَا النَّاسُ ـ في هذا المعنىٰ كثيرةٌ، وكُلُّها تدل علىٰ وُجُوبِ الصَّبْرِ.

قَالَ شيخ الإسلام ابنُ تيميَّةَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «الصَّبْرُ علىٰ المصائبِ واجبٌ باتِّفاقِ أئمَّةِ الدِّين » .

وقَالَ العلامةُ ابْنُ القيِّم ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «هو واجبٌ بإجماعِ الأُمَّةِ، وهو نِصْفُ الإيمان، فإنَّ الإيمانَ نِصْفانِ: نِصْفُ صَبْرٌ، ونِصْفُ شُكْرٌ » .

والصَّبْرُ المَشْرُوعُ ـ أيُّهَا النَّاسُ ـ له ثلاثةُ شُرُوطٍ:

الشَّرْطُ الأوَّلُ: الإخلاصُ:

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾

[الرعد:٢٢].

قَالَ ابن كثير ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في تفسير هذه الآية: «أي: عَنِ المحارم والمآثم، فَفَطَمُوا أنْفُسَهُمْ عنها لله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ ابتغاءَ مَرْضاته، وجزيلِ ثوابِه »[٢] .

وقَالَ العلامةُ ابنُ سَعْديٍّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في تفسيرها:

« ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾ علىٰ المأموراتِ بالامتثال، وعَنِ المَنْهيَّاتِ بالانْكفافِ عنها، والبُعْدِ منها، وعلىٰ أقْدارِ اللهِ المُؤْلمةِ بَعَدمِ تَسَخُّطِهَا.

ولكنْ يُشترطُ أنْ يكونَ ذَلِكَ الصَّبْرُ ﴿ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ لا لغير ذَلِكَ مِنَ المقاصدِ والأغراضِ الفاسدة، فإنَّ هذا الصَّبْرَ النافعُ الذي يَحْبسُ به العَبْدُ نَفَسَهُ طلبًا لمَرْضاةِ رَبِّه، ورجاءً للقُرْبِ منه، والحَظْوَةِ بثَوابِه، وهو الصَّبْرُ الذي

---

(١) « شَرح مُسْلِم» (٣/ ١٠٣) .

(٢) «تفسير ابن كثير » (٢/ ٥٠٦) .

من خصائص أَهْلِ الإيمان، وأمَّا الصَّبْرُ المُشْتَرَكُ الذي غايتُهُ التَّجلُّد، ومُنْتَهَاهُ الفَخْرُ ـ فهذا يَصْدُرُ مِنَ البَرِّ والفاجِرِ، والمؤمِنِ والكافِرِ، فلَيْسَ هو المَمْدُوحَ علىٰ الحقيقةِ »[١] .

الشَّرْطُ الثاني: عَدَمُ شَكْوى اللّهِ إلى العبادِ:

شَكْوَى اللّهِ إلى العبادِ تُنافِي الصَّبْرَ، وتُخرِجُهُ إلى التَّسَخُّطِ والجزَعِ.

فقدْ أخرج الحاكمُ في «مستدركه» ، والبيهقيُّ في «سُننه» بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ[٢] ، صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صَحِيْح الجَامِع» مِنْ حَدِيْث أَبي هُريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ فيما يَرْويْه عنْ رَبِّه: «**قَالَ اللهُ ـ سُبْحانَهُ وتَعَالَىٰ ـ: إذا ابتليْتُ عَبْدِيَ المُؤْمِنَ، فلم يشْكُني إلىٰ عُوَّادِه (أي زُوَّاره) ـ أَطْلَقْتُهُ مِنْ أساري، ثمَّ أَبْدَلْتُهُ لَحْمًا خَيْرًا مِنْ لَحْمِهِ، ودَمًا خيرًا مِنْ دَمِه، ثمَّ يَسْتَأْنِفُ العَمَلَ** » .

فعلينا ـ أيُّها الناس ـ أنْ نجعلَ شَكْوانا إلىٰ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ، فهو أرحمُ بنا مِنْ أَنْفُسِنا، ومِنَ الناسِ أجمعين، وهو الذي لا يُعْجِزُهُ شيءٌ في الأرضِ، ولا في السماءِ، وهو الذي أنزل بنا البلاءَ، وهو القادرُ علىٰ رَفْعِه وإزالتِه.

قَالَ ابنُ القيِّمِ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «والشَّكْوىٰ إلىٰ اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لا تُنافِي الصَّبْرَ؛ فإنَّ يَعْقُوبَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَعدَ بالصَّبْرِ الجميلِ ـ والنبيُّ إذا وَعدَ لا يُخْلِفُ ـ ثمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف:٨٦]، وكذَلكَ أيُّوبُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أخبر اللهُ عنه أنَّه وَجَدَهُ صابرًا مع قوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣﴾ [الأنبياء:٨٣].

وإنَّما يُنافي الصَّبْرَ شَكْوَىٰ اللهِ، لا الشَّكْوىٰ إلىٰ اللهِ، كما رأىٰ بَعْضُهم رجلاً

---

(١) «تفسير ابن سعدي» (ص ٤١٧) .

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٣٤٩) ، والبيهقيُّ (٣/ ٣٧٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣٠١) .

يَشْكُو إلىٰ آخَر فاقةً وضرورة فقَالَ: يا هذا، تَشْكُو مَنْ يَرْحَمُك إلىٰ مَنْ لا يَرْحَمُكَ! ثمَّ أَنْشَدَ:

وَإِذَا عَـرَتْـكَ بَلِيَّةٌ فَاصْبِرْ لَهَا صَبْرَ الْكَرِيمِ فَـإِنَّـهُ بِـكَ أَعْلَمُ

وَإِذَا شَكَوْتَ إِلَىٰ ابْنِ آدَمَ إِنَّمَا تَشْكُو الرَّحِيمَ إِلَىٰ الَّذِي لاَ يَرْحَمُ[١]

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّه متىٰ أخْبَرَ المريضُ بمَرَضه ـ أو المُبْتَلَىٰ بما نَزَلَ به ـ لا علىٰ سَبيلِ الشَّكْوىٰ، وإنما إجابةً لسُؤالِ مَنْ سَأَلَهُ عَنْ حالِه، أو إخبارَ الطَّبيبِ، أو مَنْ يَرْجُو أنْ يَدُلَّهُ علىٰ الدواءِ، أو إخبار المظلومِ ـ لمن ينتصرُ به ـ بحاله ـ فهذا جائزٌ ولا يُنافي الصَّبْر.

لما فِي « صَحِيْح مُسْلِم »[٢] مِنْ حَدِيْث ابن مسعود ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: دخلتُ علىٰ رسولِ الله ـ ﷺ ـ وهو يُوْعَكُ، فَمَسَسْتُهُ بيدي، فقُلْتُ: يا رسولَ الله، إنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شديدًا، فقَالَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «**أَجَلْ، إنِّي أُوْعَكُ كما يُوعَكُ رَجُلان مِنْكُمْ**» ، قَالَ: فقُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لك أجْرَيْن؟ فقَالَ رسول الله ـ ﷺ ـ: «أَجَلْ» . ثمَّ قَالَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «**ما منْ مُسلم يُصيبُهُ أَذىٰ ـ مِنْ مَرضٍ فما سِوَاهُ ـ إلَّا حَطَّ اللهُ به سيِّئاتِه، كما تَحُطُّ الشَّجرةُ وَرَقَها**» .

قَالَ ابْنُ القيِّم ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «إذا حَمدَ المريضُ اللهَ، ثمَّ أَخْبَرَ بِعلَّتِه لم يكنْ شَكْوَىٰ منه، وإنْ أَخْبَرَ بها تبرُّمًا وتسخُّطًا، كَانَ شَكْوَىٰ منه »[٣] .

وقَالَ ابن حَجَر ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «أَمَّا إخبارُ المريضِ صديقَهُ ـ أو طبيبَهُ ـ عَنْ حالِه فلا بأسَ به اتِّفاقًا »[٤] .

(١) « مَدَارِج السَّالكين» (٢/ ١٦١) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٦٤٨)، ومُسْلم (٢٥٧١) .
(٣) «عُدَّةُ الصَّابرين» ، لابن القيم (١٠٧) .
(٤) «فَتْحُ البَاري» (١/ ١٢٤) .

وقَالَ ابن مُفْلح ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: ويُخبرُ بما يجدُهُ بلا شكوىٰ وكان أحمدُ ـ رحمه الله ـ يَحْمَدُ الله أوَّلاً؛ لخبرِ ابنِ مَسْعودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: «إذا كَانَ الشُّكْرُ قَبْلَ الشَّكْوَىٰ، فلَيْسَ بشاكٍ» [1] .

الشَّرطُ الثالث من شروطِ الصَّبْرِ: أنْ يكونَ في ساعةِ المُصيبة:

فالصَّبْرُ المحمودُ المأجورُ عليه صاحبه ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ هو ما كَانَ في أَوانِهِ (أي في ساعةِ المُصيبةِ)، أمَّا إذا فات الأَوَانُ، فلا فائدة منه، لما في «سُنن ابن مَاجَهْ» بسَنَد حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيْح سُنن ابن مَاجَهْ» [2] مِنْ حَدِيْث أَبي أُمامةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَن النَّبيِّ ـ ﷺ ـ قَالَ: «**يقولُ الله ـ سُبْحانَهُ وتَعَالَىٰ ـ: ابْنَ آدَمَ، إنْ صَبَرْتَ واحْتَسَبْتَ (أي: رَجَوْتَ ثوابَ صَبْرِكَ) عندَ الصَّدْمةِ الأوْلىٰ ـ لم أَرْضَ لَكَ ثوابًا دُونَ الجنَّةِ**» .

قَالَ الخطَّابِي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «المعنىٰ: أَنَّ الصَّبْرَ الذي يُحْمَدُ عليه صاحبُهُ ما كَانَ عندَ مُفاجأةِ المُصيبةِ، بخلافِ ما بَعْدَ ذَلِكَ؛ فإنَّهُ مَعَ الأيَّام يَسْلُو» [3].

وَفِي «الصَّحِيْحَيْن» [4] مِنْ حَدِيْث أَنَس بن مالك ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: مَرَّ النَّبيُّ ـ ﷺ ـ بامرأةٍ تبكي عِنْدَ قَبْرٍ، فقَالَ: «**اتَّقي اللهَ واصْبري**» . قَالَتْ: إليك عني؛ فإنَّك لم تُصَبْ بمُصيبتي. ولم تَعْرِفْهُ. فقيل لها: إنَّهُ النَّبيُّ ـ ﷺ ـ، فأَتَتْ بابَ النَّبيِّ ـ ﷺ ـ فلم تجِدْ عندَهُ بوَّابِينَ، فقَالَتْ: لم أَعْرِفْكَ. فقَالَ: «**إنَّما الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمةِ الأُوْلىٰ**» .

وأستغفرُ اللهَ.

---

(١) «الفُروع» (٢/ ١٧٦) .
(٢) رَوَاهُ ابن ماجه (١٥٩٧) ، وحسنه الألباني في «صحيح سُنن ابن ماجه» (١٢٩٨) .
(٣) «فَتحُ الباري» (٣/ ١٥٠) .
(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٢٨٣) ، ومُسْلم (٩٢٦) .

الخطبة الثانية:

الأسباب المعينة على الصبر

الحَمْدُ لله ربِّ العالمينِ، والصلاةُ والسَّلامُ علىٰ أشرفِ المُرْسلينَ، وعلىٰ آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

أمَّا بَعْدُ، فتقدَّم الحديثُ مَعَكُم - أيُّهَا النَّاسُ - حَوْلَ الصَّبْرِ وشروطِهِ، والآن حديثي مَعَكُمْ حَوْلَ الأسبابِ المُعينةِ علىٰ الصَّبْرِ.

أيُّهَا النَّاسُ، لا شكّ أنَّ الأسبابَ المُعينةَ على الصَّبْرِ كثيرةٌ، وسوف أذْكر طَرَفًا منها:

فمنها: استشعارُ الأَجْرِ العظيم على الصَّبْرِ والاسترجاعِ:

قَالَ الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ۝١٥٧ ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

وفي «صَحِيْح مُسْلم»[(١)] مِنْ حديث أُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ: «سمعتُ رسولَ اللهِ - ﷺ - يقولُ: «**مَا مِن عَبْدٍ تُصيبُهُ مُصيبةٌ، فيقولُ: إنَّا لله، وإنَّا إليْه راجعون، اللَّهُمَّ آجرْني في مُصيبتي، واخْلفْ لي خَيْرًا منها - إلَّا أَجَرَهُ الله - تَعَالَىٰ - في مُصيبته، وأَخْلفَ له خيْرًا منها**». قَالَتْ: فلَمَّا تُوُفِّي أبو سَلَمَةَ، قُلْتُ كما أمَرَني رسولُ اللهِ - ﷺ -، فأَخْلَفَ اللهُ - تعَالَىٰ - لي خيْرًا مِنْهُ رسول الله - ﷺ -».

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِم (٩١٨).

ومن الأسبابِ المُعينةِ على الصَّبْرِ التأسِّي بأهلِ المصائبِ:

فَفِي «الصَّحِيْحَيْن» [١] مِنْ حَدِيْث عبد الله بن مَسعود ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: قَسَمَ النبيُّ - ﷺ - قَسْمًا، فَقَالَ رَجُلٌ: إنَّ هَذه لَقِسْمةٌ، ما أُرِيدَ بهَا وَجْهُ الله، فأَتَيْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - فأَخْبَرْتُهُ، فَغضبَ، حَتَّىٰ رَأَيتُ الغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَرْحَمُ الله مُوسَىٰ، قَدْ أُوذِيَ بِأَكثرَ مِنْ هَذَا، فَصَبَرَ».

ومن الأسباب المُعينةِ على الصَّبرِ أنْ نعلمَ أنَّ البلاءَ قَدْ يَرْفعُنا في دَرَجاتِ الجنَّةِ:

أخرج السّيوطيُّ فِي «جامعه» بِسَنَد حَسَن، حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي«صَحِيْح الجامع» [٢] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُريرةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - ﷺ -: «**إِنَّ الرَّجُلَ ليكونُ له المَنزلةُ عندَ اللهِ فما يَبْلُغُها بعَمَلٍ، فلا يَزَالُ اللهُ يَبْتَلِيه بما يَكرَهُ، حتَّىٰ يُبَلِّغَهُ إيَّاها**».

ومن الأسبابِ المُعينةِ على الصَّبرِ أنْ نَعْلَمَ أنَّ الجزَعَ لا يَرُدُّ المُصيبةَ، بل يُضاعِفُها:

فَفِي «سُنن التِّرْمذيِّ» بِسَنَد حَسَن، حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي«صَحِيْح الجامع» [٣] مِنْ حديث جابر بن عَبْد الله ـ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رسولُ الله - ﷺ -: «**يَوَدُّ أَهْلُ العَافيةِ يومَ القيامة، حين يُعْطَىٰ أهْلُ البلاءِ الثَّوَابَ ـ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كانتْ قُرِضَتْ في الدُّنيا بالمقَاريضِ**».

ومن الأسبابِ المُعينةِ على الصَّبْرِ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ مَرارَةَ الدُّنيا هي بعَيْنِها حَلاوةٌ في الآخرة:

فَفِي «صَحِيْح مُسْلِم» [٤] مِنْ حَدِيْثِ أَنَسِ بنِ مالكٍ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٤٠٥)، واللفظ له، وَمُسْلم (١٠٦٢).
(٢) رَوَاهُ السيوطي في «جامعه» (٧٣٠)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٢٥).
(٣) رَوَاهُ الترمذي (٢٤٠٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٨١٧٧).
(٤) رَوَاهُ مُسْلِم (٢٨٠٧).

رسُولُ الله- ﷺ-: «يُؤْتَى بأَنْعَم أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أهلِ النَّار يومَ القيامة، فَيُصْبَغُ في النَّار صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يابن آدَمَ، هَلْ رأَيْتَ خَيْرًا قطُّ؟، هَلْ مَرَّ بك نعيمٌ قطُّ؟ فَيَقُولُ: لا ـ واللهِ ـ يا ربِّ، ويُؤْتَى بأَشَدِّ النَّاس بُؤْسًا في الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الجنَّة، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً في الجنَّة، فيُقَالُ لَهُ: يابن آدَمَ، هَلْ رأَيْتَ بُؤْسًا قطُّ؟، هَلْ مَرَّ بِك شِدَّةٌ قطُّ؟ فيقولُ: لا ـ والله ـ ما مَرَّ بِي بُؤْسٌ قطُّ، ولا رَأَيْتُ شِدَّةً قط» .

ومن الأسبابِ المُعينةِ على الصَّبْرِ أنْ نَعْلَمَ أنَّ اللّه ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ قد يُعَوِّضُنا على صَبْرِنا واحتسابنا:

فَفي «الصَّحيْحَيْن»[(١)] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي سعيدِ الخُدْرِيِّ وأَبِي هُريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَا: قَالَ رسولُ اللهِ- ﷺ-: «ما يُصيبُ المُسلمَ مِنْ نَصَب ـ (أي: تَعَب)، ولا وَصَب (أي: مَرَض)، ولا هَمٍّ، ولا حَزَنٍ، ولا أَذًى، ولا غَمٍّ ـ حتى الشَّوْكَة يُشاكُها ـ إلَّا كَفَّرَ الله بِها مِنْ خَطَايَاهُ» .

وروى التِّرْمذيُّ في «سُننه» ، وحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ في «صَحِيْح سُنَن التِّرمذيِّ»[(٢)] مِنْ حَدِيْث سَعْدِ بن أَبِي وقّاص ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: قُلْتُ: يا رسولَ الله أيُّ الناس أَشَدُّ بلاءً؟ قَالَ: «الأنبياءُ، ثمَّ الأَمْثَلُ فالأَمْثَلُ، يُبْتَلَى العَبْدُ على حَسَب دِينِهِ، فإنْ كَانَ في دِينه صُلْبًا، اشتدَّ بلاؤُهُ، وإنْ كَانَ في دِيْنِه رِقَّةٌ، ابْتُلِيَ على حَسَب دِينِهِ، فما يَبْرَحُ البلاءُ بالعَبْدِ، حتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي على الأَرْضِ وما عليه خطيئةٌ» .

ومن الأسبابِ المُعينةِ على الصَّبْرِ أنْ نعلمَ أنَّ ما أصابنا لم يكنْ ليُخْطِئَنا:

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحديد:٢٢].

---

(١) تَقَدَّمَ تَخْرِيْجه .

(٢) رَوَاهُ الترمذي (٢٥٢٢)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١٩٥٦) .

وفي «سُنن التِّرْمذيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيْح، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي«صَحِيْح سُنن التِّرْمذيِّ»(١) مِنْ حَدِيْث عبد الله بن عبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: كنتُ خَلْفَ النبيِّ – ﷺ – يَوْمًا، فقَالَ: **«يا غُلامُ، إنِّي أُعَلِّمُكَ كلمات: احفظ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظ اللهَ تَجدْهُ تُجاهَكَ، إذا سَألتَ فاسْألِ اللهَ، وإذا استعنْتَ فاسْتَعِنْ بالله واعلمْ أنَّ الأُمَّةَ لو اجْتَمَعَت علىٰ أنْ يَنْفَعُوكَ بشيءٍ لم يَنْفَعُوكَ إلَّا بشيءٍ قدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وإن اجْتَمَعُوا علىٰ أنْ يَضُرُّوكَ بشيءٍ، لمْ يَضُرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفعَتِ الأَقْلامُ وجَفَّتِ الصُّحُفُ»**.

أعوذُ باللهِ من الشيطان الرَّجيم: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ ﴾ [لقمان:١٧].

بَارَكَ اللهُ لِي ولَكُمْ في القُرْآنِ العَظِيْمِ.

---

(١) تَقَدَّمَ تَخْرِيْجه.



٥٨ من أحكام السلام

الخطبة الأولى:

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدَقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد- ﷺ-، وشرَّ الأُمُور مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ،

أيُّها النَّاسُ، فحديثي مَعَكُمُ اليومَ- أَيُّها النَّاسُ- عَنْ أحكام السَّلام، والحديثُ عَنِ السَّلام، ذُو شُجُونٍ، فهو أمَانُ اللهِ في الأرض، وتحيَّةُ المُؤمنينَ في الجنَّةِ، وتحية أهلَ الإسلام في الدنيا ، وهو ـ مع ذَلِكَ ـ طريق إلىٰ المودة

والمحبة والتعارفِ بَيْنَ المُسْلِمين.

وممَّا جاء في فَضْلِ إفشاءِ السلام والبَدْءِ به من الأدلة ما يأتي:

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[النور:٢٧].

قَالَ الحافظ ابن كثير ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «هذه آدابٌ شرعيَّةٌ، أَدَّبَ اللهُ بها عبادَهُ المؤمنين، وذَلِكَ في الاستئذان أَمَرَهُمْ ألاَّ يدخلوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِهِم حتىٰ يستأنِسُوا ـ أي يستأْذِنُوا ـ قَبْلَ الدُّخولِ، ويُسلِّموا بَعْدَهُ»[1] .

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَـٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [النور:٦١].

قَالَ الشيخُ السَّعْديُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا ﴾ نَكِرةٌ في سِياق الشَّرْطِ، يشملُ بيتَ الإنسان، وبيتَ غَيْرِه، سواء كَانَ في البيتِ ساكنٌ أم لا، فإذا دَخَلها الإنسانُ ﴿ فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ أي: فَلْيُسَلمْ بعضُكم علىٰ بَعْضٍ؛ لأنَّ المُسْلِمين كأنَّهم شَخْصٌ واحدٌ مِنْ تَوَادُهِمْ وتراحُمِهم وتعاطُفِهِمْ »[2] .

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [النساء:٨٦].

قَالَ الحافظ ابن كثير ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «أي إذا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ المُسلِّم، فردُّوا عليه أفْضَلَ ممَّا سَلَّم، أو ردُّوا عليه بمثل ما سَلَّمَ بِهِ، فالزِّيادةُ مَنْدوبةٌ، والمُماثلةُ مَفْروضةٌ »[3] .

---

(١) « تفسير ابن كثير » (٥/ ٣١٣) .
(٢) «تفسير السعدي» (ص٥٧٥) .
(٣) « تفسير ابن كثير » (٢/ ٢٢٦) .

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ ﴾ [النساء:٩٤].

وأخرج البخاريُّ فِي «صَحِيْحِه»[1] مِنْ حَدِيْث ابن عبَّاس -رَضِيَ الله عَنْهُمَا-: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ قَالَ ابْنُ عبَّاس: كَانَ رَجُلٌ في غُنَيمْة له، فَلَحقَهُ المُسْلمون، فقَالَ: السلامُ عَلَيْكُمْ، فقَتَلُوه، وأَخَذُوا غُنيمَتَهُ، فأنزلَ الله في ذَلك إلىٰ قوله: ﴿ تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾: تلك الغُنَيْمةُ، قَالَ: قَرَأَ ابْنُ عبَّاس: ﴿ ٱلسَّلَـٰمَ ﴾.

وَفي «الصَّحِيْحَيْن»[2] مِنْ حَدِيْث عَبْد الله بن عَمرو بن العاص ـ رَضيَ الله عَنْهُمَا ـ أنَّ رجلاً سأل رسولَ الله -ﷺ-: أيُّ الإسلام خَيْرٌ. قَالَ: «**تُطْعِمُ الطَّعامَ، وتقْرأُ السَّلامَ علىٰ مَنْ عَرَفْتَ، ومَنْ لم تَعْرِفُ**».

وَفي «الصَّحِيْحَيْن»[3] مِنْ حديث البَراءِ بن عازب ـ رَضيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: «**أَمَرَنا رسولُ الله -ﷺ- بسبع: بعيادة المريض، واتِّباع الجنائز، وتشميتِ العاطس، ونَصْرِ الضَّعيفِ، وعَوْنِ المظْلُوم، وإفشَاءِ السلامِ، وإبرارِ المُقْسم**».

وفي «صَحِيْح مُسْلم»[4] مِنْ حديث أَبي هُريرةَ ـ رَضيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: «**لا تَدْخلوا الجنَّةَ حتَّىٰ تُؤْمنوا، ولا تُؤْمِنُوا حتَّىٰ تحابُّوا، أَوَلا أَدُلُّكُمْ علىٰ شيءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تحابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ**».

(١) البخاري (٤٥٩١).
(٢) البخاري (٦٢٣٦)، ومُسْلم (٣٩).
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٢٣٥)، واللفظ له، ومُسْلم (٢/ ٢٠١)، مع شرح النووي.
(٤) رَوَاهُ مُسْلِم (٥٤).

وأخرج الإمامُ أحمدُ وأبو داودَ والتِّرْمذيُّ، وحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي«صَحِيْح التِّرْمذيِّ »[(١)] مِنْ حديث عِمْرانَ بن حُصَين ـ رَضيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: جاءَ رجلٌ إلىٰ النَّبيِّ -ﷺ- فقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، فردَّ عَلَيْه السَّلامَ، ثمَّ جلَسَ، فقَالَ النبيُّ -ﷺ-: «**عَشْرٌ** » ، ثمَّ جاء آخر فقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، ورحمةُ اللهِ، فردَّ عليه، فجلَسَ، فقَالَ: «**عِشْرون** » . ثُمَّ جاء آخرُ فقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، ورحمةُ اللهِ وبرَكاتُهُ. فَرَدَّ عليه، فَجَلَسَ فقَالَ: «**ثَلاثونَ** » .

وأخرج البخاريُّ في «الأدبِ المُفْردِ »، وحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ في «الإرواء» و«الصحيحة»[(٢)] مِنْ حديث البراءِ بنِ عازبٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**أَفْشُوا السَّلامَ تَسْلَمُوا** » .

وأخرج ابن مَاجَهْ في «سُننه » ، والبخاريُّ في «الأدب المفرد » ، وابن خُزَيمةَ فِي«صَحِيْحه » ، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصحيحة »[(٣)] مِنْ حَدِيْث عائشةَ ـ رَضيَ اللهُ عَنْهَا ـ أَنَّ النبيَّ -ﷺ- قَالَ: «**ما حَسَدَتْكُمُ اليَهُودُ علىٰ شيءٍ ما حَسَدَتْكُمْ علىٰ السَّلام والتَّأمِينِ** » .

«وفي الصحيحين»[(٤)] مِنْ حديثِ أَبِي هُريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عن النَّبيِّ -ﷺ- قَالَ: «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ علىٰ صُورتِهِ، طُولُه ستُّون ذراعًا، فلمَّا خلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فسلِّمْ علىٰ أُولئكَ ـ نَفَرٍ مِنَ الملائكة جُلُوس ـ فاستمعْ ما يُحَيُّونَكَ، فإنَّها تحيَّتُكَ، وتحيَّةُ ذُرِّيَّتِك، فقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ. فقَالُوا: السَّلامُ عليك، ورحمةُ**

(١) رَوَاهُ أحمد (٤/ ٤٤٠)، وأبو داود (٥١٩٥) ، والترمذي (٢٦٨٩)، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٦٨٩) .
(٢) «الأدب المفرد» (٩٧٩)، وحسنه الألباني في «الإرواء» (٧٧٧)، و«الصحيحة» (١٤٩٣).
(٣) ابن ماجه (٨٥٦)، و«الأدب المفرد» (٢٢٨)، وابن خُزيمة في «صحيحه» (٥٧٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٦٩٢) .
(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٣٢٦)، وَمُسْلم (٢٨٤١) .

الله، فَزَادُوهُ: ورحمةُ اللهِ فكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجنَّةَ علىٰ صُورةِ آدَمَ، فلم يَزَلِ الخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حتَّىٰ الآن » .

وأخرجَ التِّرمذيُّ في «سُننه» ، وصحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْح الجَامِع» [1] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي يُوسُفَ عبدِ اللهِ بنِ سلام ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ ـ ﷺ ـ يقولُ: «**يأَيُّها النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلامَ، وأَطْعِمُوا الطَّعامَ، وصِلُوا الأرْحامَ، وصَلُّوا باللَّيلِ والناسُ نِيامٌ ـ تدْخُلوا الجنَّة بسلام** » .

وأخرج البخاريُّ في «الأدب المفرد » ، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصحيحة »[2] مِنْ حَدِيْث ابن مسعودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قالَ: قَالَ النبيُّ ـ ﷺ ـ: «**إنَّ السَّلامَ اسمٌ مِنْ أسْماءِ اللهِ ـ تَعَالَىٰ ـ، وضَعَهُ اللهُ في الأرضِ، فأَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ** » .

وأخرج البخاري فِي «الأدب المفرد » ، وصحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْح الجَامِع » [3] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**إنَّ أَبْخَلَ الناسِ مَنْ بَخِلَ بالسَّلام، وأَعْجَزَ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الدُّعاءِ** » .

أَيُّهَا النَّاسُ، تقدَّم الحديثُ عَنْ بَعْضِ فضائلِ السَّلامِ، وفيما يأتي آداب السَّلامِ.

فمن آداب السلام ـ أيُّها النَّاسُ ـ تسليمُ القليلِ على الكثيرِ:

فَفِي «صحيح البخاري » [4] مِنْ حديثِ أَبِي هُريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبيِّ ـ ﷺ ـ قَالَ: «**يُسَلِّمُ الصَّغيرُ علىٰ الكبير، والمارُّ علىٰ القاعدِ، والقليلُ علىٰ الكثير** » .

---

(١) الترمذي (٢٢٤٨٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٨٦٥) .

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ في «الأدب المفرد» (٩٨٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٦٩٧) ، و «الصحيحة» (١٨٩٤) .

(٣) «الأدب المفرد» (١٠٤٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٥١٩) .

(٤) «رَوَاهُ البُخَارِيُّ» (٦٢٣١) .

قَالَ الحافظ ابن حَجَر ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «قولُهُ: بابُ: تسليم القليل علىٰ الكثير» هو أمْرٌ نسبيٌّ، يشملُ الواحدَ بالنِّسبةِ للاثنين فصاعِدًا، والاثنين بالنسبة للثلاثةِ فَصَاعِدًا، وما فَوْقَ ذَلِكَ»[(١)].

ومن آدابِ السلامِ تسليمُ الماشي على القاعدِ:

روىٰ البخاريُّ وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيْحِيهما»[(٢)] مِنْ حديثِ أَبِي هُريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**يُسلِّم الراكبُ علىٰ الماشي، والماشي علىٰ القاعد، والقليلُ علىٰ الكثير**» والحكمةُ في ذَلِكَ: أَنَّ الراكبَ مَظنَّةُ الزَّهْو والكِبرِ، فاسْتُحِبَّ له أَنْ يَبْدَأَ الماشي بالسَّلامِ كَسْرًا لشَهْوةِ العُجْبِ، وإظهارًا للتواضعِ[(٣)].

ومن آدابِ السَّلامِ تسليمُ الصَّغيرِ على الكبيرِ:

فَفِي «صحيح البخاري»[(٤)] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**يُسَلِّمُ الصَّغيرُ علىٰ الكبير، والمارُّ علىٰ القاعدِ، والقليلُ علىٰ الكثير**».

قَالَ ابنُ بطَّال عَنِ المُهَلَّب: «تسليمُ الصَّغيرِ لأَجْلِ حَقِّ الكبيرِ؛ لأَنَّه أُمِرَ بتوقيره، والتواضُعِ لَهُ، وتسليمُ القليلِ لأَجْلِ حَقِّ الكثيرِ؛ لأَنَّ حقَّهُم أعظمُ، وتسليمُ المارِّ لشبهِهِ بالدَّاخِلِ علىٰ أَهْلِ المَنْزِلِ، وتسليمُ الراكبِ؛ لئلا يتكبَّر برُكُوبِهِ، فيَرْجِع إلىٰ التواضُعِ»[(٥)].

---

(١) «فتح الباري» (١١/ ١٦).
(٢) البخاري (٦٢٣٢)، وَمُسْلم (٢١٦٠).
(٣) «فتح الباري» (١١/ ١٧).
(٤) البخاري (٦٢٣٤).
(٥) «الفتح» (١١/ ١٨).

وقَالَ النَّوويُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «قَالَ أصحابُنا ـ وغيرُهم من العلماء ـ: هذا المذكور هو السُّنَّةُ، فلو خَالَفُوا، فَسَلَّمَ الماشي علىٰ الراكب ـ أو الجالسُ عليهما ـ لم يُكْرَهْ»[١].

ومن آداب السَّلام ـ أيُّهَا النَّاسُ ـ إلْقاءُ السَّلام علىٰ مَنْ نَعْرِفُ، ومَنْ لا نَعْرِفْ: فَفِي «الصَّحيْحَيْن»[٢] مِنْ حَديْث عَبْدِ الله بن عَمْروِ بن العاص ـ رَضيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ أنَّ رجلاً سأل رسولَ الله ـ ﷺ ـ: أيُّ الإسلامِ خيْرٌ؟ قَالَ: «**تُطْعِمُ الطَّعامَ، وتَقْرأُ السَّلامَ علىٰ مَنْ عَرَفْتَ ومَنْ لم تَعْرِفْ**».

قَالَ الحافظ: «أي من يَعْرِفُهُ المُسْلِمُ، ومَنْ لا يَعْرِفُهُ، أي: لا يَخُصُّ بالسَّلامِ مَنْ يَعْرِفُهُ دُونَ مَنْ لا يَعْرِفُهُ»[٣].

وقَالَ فِي شرح قوله: «**ومَنْ لَمْ تَعْرِفْ**»: أيْ: لا تَخُصَّ به أَحَدًا تَكَبُّرًا أو تصنُّعًا، بل تعظيمًا لشعار الإسلام، ومُراعاةً لأُخُوَّةِ المُسلم»[٤].

وقَالَ النَّوويُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «معنىٰ قوله: «**علىٰ مَنْ عَرَفْتَ ومَنْ لمْ تَعْرِفْ**»: تُسلِّم علىٰ مَنْ لَقِيْتَهُ ولا تَخُصَّ ذَلِكَ بمَنْ تَعْرِفُ، وفي ذَلكَ إخلاصُ العَلْمِ، واستعمالُ التواضُعِ، وإفْشَاءُ السَّلامِ الذي هو شعارُ هذه الأُمَّةِ»[٥].

ومن الآدابِ التسليمُ على الصِّبيانِ:

فَفِي «الصَّحيْحَيْن»[٦] مِنْ حَديْث أَنَس بن مالك ـ رَضيَ اللهُ عَنْهُ ـ أنَّه مرَّ علىٰ صِبْيانٍ، فَسَلَّم عَلَيْهِمْ، وقَالَ: «**كان النبيُّ ـ ﷺ ـ يَفْعَلُهُ**».

---

(١) «الأذكار للنووي» (٢/ ٦٤٢).
(٢) تَقَدَّمَ تَخْرِيْجه.
(٣) «الفتح» (١١/ ٢٣).
(٤) «الفتح» (١١/ ٧٣).
(٥) «شرح مُسْلِم» للنووي (٢/ ٢٠١).
(٦) البخاري (٦٢٤٧) وَمُسْلم (٢١٦٨).

قَالَ الحافظُ: قَالَ ابْنُ بَطَّال: «في السَّلام علىٰ الصِّبيانِ تَدْرِيبُهُمْ علىٰ آدابِ الشَّريعةِ، وفيه طَرْحُ رداءِ الكِبْرِ، وسُلوكُ التَواضُعِ ولينِ الجانبِ »[1] .

ومن آدابِ السَّلامِ السَّلامُ عندَ القِيامِ مِنَ المجلسِ:

أخرج أبو داودَ، وصحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْحِ الجَامعِ»[2] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُريرةَ ـ رَضيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله- ﷺ-: «**إذا انتهىٰ أحدُكُمْ إلىٰ المجلسِ فَلْيُسَلِّم، فإنْ بَدَا لَهُ أنْ يَجْلِسَ فلْيَجْلِسْ، ثُمَّ إذا قام فَلْيُسَلِّمْ؛ فليسَتِ الأُوْلىٰ أَحَق مِنَ الآخِرةِ**» .

قَالَ صاحبُ «عوْنِ المعبودِ» : «إذا انتهىٰ » أي: جاء ووصل، «فليست الأولىٰ » أي: التسليمةُ الأولىٰ. «بأحقَّ» أي: أَوْلى وأَلْيَق. «مِنَ الآخرةِ » بل كِلْتَاهُما حقٌّ وسُنَّةٌ »[3].

ومن الآداب بعث السلام إلى إخوانك:

فإن ذَلِكَ يستدعي دوام المودة والألفة والمحبة. فقد أخرج أبو داود والترمذي وحسنه الألباني فِي«صَحِيْح الكلم الطيب »[4] عن غالب قَالَ: إنَّا لجلوس بباب الحسنِ إذ جاء رجلٌ، فقَالَ: حدَّثني أَبِي عن جدِّي، قَالَ: بعثني أَبِي إلىٰ رسول الله- ﷺ- فقَالَ: ائته، فأقرئه السلامَ، قَالَ: فأتيتُه فقلت: إن أَبِي يُقرئُكَ السلام، فقَالَ: «وعليكَ وعلىٰ أَبيك السلام » .

ومن الآدابِ أنْ نبدأَ بالسَّلام قَبْلَ الكلام:

فقد أخرج الهيثمي في «مجمع الزوائد»، وحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي«صَحِيْح

(١) «الفتح» (١١/ ٣٥) .
(٢) رَوَاهُ أبو داود (٥٢٠٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٠٠) .
(٣) «عون المعبود» (١٤/ ١١٦) .
(٤) أخرجه أبو داود (٥٢٣١)، بسند حسن .

الجامع» و«الصحيحة»[1] مِنْ حديثِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّ النَّبيَّ - ﷺ - قَالَ: «**مَنْ بَدَأَ بالكلامِ قَبْلَ السَّلامِ، فلا تُجيبُوهُ**».

ومن الآدابِ أنْ يكونَ السَّلامُ بلفظٍ مُسمعٍ للمُسلَّم عليه، فإنْ لم يسمعْهُ، لم يكنِ المُسلِّمُ آتيًا بالسُّنَّة:

فقد أخرج البخاريُّ في «الأدب المفردِ» بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ، صحَّحَهُ الألبانيُّ في«صَحِيْحِ الأدب المفرد»[2] مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: «**إذا سَلَّمتَ فأَسْمِعْ، فإنَّها تحيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُباركةٌ طَيِّبةٌ**».

وأستغفر الله.

---

(١) أخرج الهيثمي في «المجتمع (٨/ ٣٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٢٢)، و«الصحيحة» (٨١٦).

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٠٠٥)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (ص٣٦٢).

الخطبة الثانية:

من أخطاء الناس في السلام

الحَمْدُ للهِ ربِّ العالمين، وأُصلِّي وأُسلِّمُ علىٰ رسولِهِ الأمين،، وعلىٰ آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ،

أَيُّهَا النَّاسُ، فتقدَّمَ الحديثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ فَضْلِ السَّلامِ وآدابِهِ، والآنَ حديثي مَعَكُمْ عَنْ بَعْضِ أخطاءِ النَّاسِ في السَّلامِ.

فَمِنْ أَخْطَاءِ النَّاسِ فِي السَّلامِ: الزِّيادةُ بَعْدَ وبَرَكَاتُهُ، ابتداءً وردًّا، والمشروعُ في السَّلامِ الكاملِ - أَيُّهَا النَّاسُ - هو قولُ: السلامُ عَلَيْكُمْ ورحمةُ اللهِ، وبركاتُهُ.

قَالَ القُرْطُبِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - في تفسيرِ قولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء:٨٦]: «رد الأحسن أَنْ يَزِيدَ فيقولُ: عليك السلامُ، ورحمةُ اللهِ، لمن قَالَ: سلامٌ عليك، فإنْ قَالَ: سلامٌ عليك، ورحمةُ اللهِ، زِدْتَ في ردِّكَ: وبركاته. وهذا هو النِّهايةُ، فلا مزيدَ عليه، قَالَ - تَعَالَىٰ - مُخْبِرًا عن البيت الكريم: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود:٧٣]»[1].

وأخرج البيهقيُّ بإسنادٍ صحيحٍ[2] عَنْ عَطَاءٍ قَالَ: «بَيْنَا أنا عندَ ابنِ عبَّاس، وعندَهُ ابْنُهُ، فجاءه سائلٌ، فسلَّم عليه، فقَالَ: السلامُ عَلَيْكُمْ ورحمةُ اللهِ، وبركاتُهُ،

(١) «تفسير القرطبي» (٥/ ٢٩٩).

(٢) أخرجه البيهقي (٨٨٧٨).

ومغْفِرَتُهُ، ورضْوانُهُ، وعدد من ذا، فقَالَ ابنُ عبَّاس: ما هذا السَّلامُ؟ وغَضِبَ حتَّىٰ احْمَرَّتْ وَجْنتَاهُ، فقَالَ له ابنُهُ علي: يا أَبَتَاهُ إِنَّهُ سائلٌ مِنَ السُّؤال، فقَالَ: إنَّ اللهَ حَدَّ للسَّلام حدًّا، ونهىٰ عمَّا وراءَ ذَلِكَ، ثمَّ قَرَأَ: ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [هود:٧٣] .

وَمِنْ أَخْطَاءِ النَّاسِ فِي السَّلامِ : انتظارُ الماشي للرّاكِبِ حتىٰ يكونَ هو البادئَ بالسَّلام، وكذَلِكَ الكبيرُ للصغير، والكثيرُ للقليل، وهكذا القاعدُ للقائم، ويطولُ الانتظارُ، وقدْ لا يَحْصُلُ إفشاءُ السَّلام، فتفوتُ السُّنَّةُ، والحقيقةُ أنَّ ذَلِكَ مِنَ الأَدَبِ، وإذا خالفَ أحَدٌ هذا الأَدَبَ، فسَلَّم الماشي علىٰ الرَّاكِبِ، والكبيرُ علىٰ الصَّغير، والكثيرُ علىٰ القليلِ ـ فلهم أَجْرُ إفشاءِ السَّلام ـ إنْ شاءَ اللهُ ـ .

قَالَ النَّوويُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «وهذا الذي جاء به الحديث كُلُّهُ للاستحبابِ، فلو عكسوا جاز، وكان خِلافَ الأفضل »[1] .

وَمِنْ أَخْطَاءِ النَّاسِ فِي السَّلامِ : تَرْكُ إفشاءِ السَّلام، فكم مِنَ الناسِ يمرُّون بإخوانِهمْ في الإسلام، فيبخلون عليهم بالسَّلامِ! ﴿ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ﴾ [محمد:٣٨].

وَمِنْ أَخْطَاءِ النَّاسِ فِي السَّلامِ: ترْكُ السَّلام علىٰ الصِّبْيانِ، فقدْ هَجَرَ النَّاسُ هذِهِ السُّنَّةَ إلَّا قليلاً منهم، فحريٌّ بالمؤمنِ إِحياؤُها اقتداءً بالنَّبيِّ -ﷺ- وصحابته الكرام وتنقيةً لنفسِهِ من داءِ الكبرِ وتعويدًا للصِّغارِ علىٰ السُّنَّةِ والفضيلةِ.

فَفِي «الصَّحِيْحَيْن »[2] مِنْ حَدِيْثِ أنس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّهُ مرَّ علىٰ صِبْيانٍ، فسلَّم عليهم، وقَالَ: «**كان النبيُّ -ﷺ- يَفْعَلُهُ** » .

---

(١) « شرح مُسْلِم » للنووي (١٤/ ١٤١) .
(٢) تَقَدَّمَ تخْرِيْجه .

وَمِنْ أَخْطَاءِ النَّاسِ فِي السَّلام : تَرْكُ السَّلامِ عندَ قُرْبِ اللِّقاءِ، فقد يتكرَّرُ اللِّقاءُ بَيْنَ الناسِ في الوظائفِ والمدارس، فيُسلِّمون عندَ أَوَّلِ لِقاءٍ، ويكتفي كثيرٌ منهم بهذا السَّلامِ، وهذا العَمَلُ مُخالِفٌ للسُّنَّةِ النَّبويَّة.

فقد بوَّبَ النَّوويُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في «رياض الصالحين» (بابَ: استحباب إعادةِ السَّلام عَلَىٰ مَنْ تكرَّر لقاؤُهُ علىٰ قُرْب، بأنْ دَخَلَ، ثُمَّ خَرَجَ، ثمَّ دَخَلَ في الحالِ، أو حَالَ بَيْنَهُما شَجَرةٌ ونحوها» ثُمَّ ذكر هذا الحديث والذي بَعْدَهُ، وهما ما جاء في «الصحيحين» [(١)] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُريرة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ في حديث المُسيءِ صلاتَهُ أنَّهُ جاء فصلَّىٰ، ثمَّ جاء إلىٰ النَّبيِّ - ﷺ- فسلَّم عليه، فردَّ عليه السَّلامَ، فقَالَ: «**ارْجِعْ فصلِّ؛ فإنَّك لم تُصَلِّ**» ، فَرَجَعَ فصلَّىٰ، ثُمَّ جاء فَسلَّمَ علىٰ النبيِّ - ﷺ-، حتَّىٰ فَعَلَ ذَلِكَ ثلاثَ مرَّات.

وأخرج أبو داودَ بإسناد صحيح، صحَّحَهُ الألبانيُّ في تحقيق «رياض الصالحين» [(٢)] مِنْ حديث أَبِي هُريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**إذا لَقِيَ أَحَدُكُمْ أَخاه فَلْيُسَلِّمْ عليه، فإنْ حالتْ بَيْنَهُما شَجَرةٌ، أو جدارٌ أو حَجَرٌ، ثُمَّ لَقِيَهُ، فَلْيُسَلِّمْ عليه**» .

وَمِنْ أَخْطَاءِ النَّاسِ فِي السَّلام: تَرْكُ السَّلام عندَ الاستئذان، والسُّنَّةُ في الاستئذان أنْ يُسَلِّمَ المُستأذنُ علىٰ أهْلِ الدَّار، فيقفُ يمينَ الباب ـ أو شمالَهُ ـ ثمَّ يقولُ ـ بَعْدَ الدَّقِّ ـ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثلاثًا، فإنْ أُذِنَ له دَخَلَ، وإلا رَجَعَ.

فَفِي «سُنن أَبِي داودَ» بسند جيِّد قَالَه ابن حَجَر [(٣)] مِنْ حَدِيْث رِبْعيِّ بن خِراش قَالَ: حَدَّثَنَا رجُلٌ مِنْ بَنِي عامرٍ أنَّه استأذن علىٰ النَّبيِّ - ﷺ- وَهُوَ في بيتٍ، فقَالَ:

---

(١) البخاري (٢/ ٢٢٩) ، وَمُسْلم (٣٩٧) .
(٢) رَوَاهُ أبو داود (٥٢٠٠)، وصححه الألباني في «تحقيق رياض الصالحين» (ص٢٢٨).
(٣) أخرجه أبو داود (٥١٧٧) ، وقال ابن حجر في «الفتح» (١١/ ٣) : إِسْنَادُهُ جيدٌ .

أَأَلِجُ؟ فقالَ النبيُّ - ﷺ - لخَادِمه: «**اخْرُجْ إلىٰ هذا، فعلِّمْهُ الاستئذان، فقلْ له: قُلِ السَّلامُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُلُ؟** » فسمِعَهُ الرَّجُلُ، فقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُلُ؟ فأَذِنَ له النَّبيُّ - ﷺ -، فَدَخَلَ.

وَمِنْ أَخْطَاءِ النَّاسِ فِي السَّلامِ : تركُ السَّلام علىٰ الأَهْلِ عندَ دُخُولِ المَنْزِل، قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ ـ: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ ﴾ [النور:٦١].

وأخرج التِّرمذيُّ في «سُننه» ، وحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ في «المشكاة» [١] مِنْ حديث أَنَس ابن مالك ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ لي رسولُ الله - ﷺ -: «يا بُنَي، إذا دَخَلْتَ علىٰ أَهْلك فسلِّمْ؛ يَكُنْ بَرَكَةً عليك، وعلىٰ أَهْلِ بَيْتك» .

وَمِنْ أَخْطَاءِ النَّاسِ فِي السَّلامِ : ابتداءُ الكافرِ بالسَّلام، لقد ابتُلينا في هذا العَصْر بكَثْرة وُفُود الكُفَّار إلىٰ ديارنا، حتَّىٰ بلغ الحدُّ ببعض المُسْلمين إلىٰ التَّسوية بَيْنَ المُؤمنين والكافرين في التحيَّة، وقد نهىٰ النبيُّ - ﷺ - عَن ابتداء الكافر بالسلام، فَفِي «صَحِيْح مُسْلِم» [٢] مِنْ حَدِيْث أَبي هُريرة ـ رَضيَ الله عَنْهُ ـ أَنَّ رسولَ الله - ﷺ - قَالَ: «لا تبدءُوا اليَهُودَ ولا النَّصارىٰ بالسَّلام، فإذا لَقيتُمْ أحدَهم في طريق، فاضطَرُّوهُ إلىٰ أَضْيَقِه» .

لكن متىٰ سَلَّمَ علينا أَهْلُ الكتاب، يكون الردُّ بقولنا: وعَلَيْكُم، فَفِي «الصَّحِيْحَيْن» [٣] مِنْ حَدِيْث أنس بن مالك ـ رَضيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - ﷺ -: «**إذا سلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الكتاب، فقولوا: وعليكم** » .

نسأَلُ الله أَنْ يُصْلِحَ أحوالَ المُسْلمين، وأَنْ يَهْدِيَنا جميعًا سواءَ السبيلِ.

---

(١) رَوَاهُ الترمذي (٢٦٩٨)، وقال الألباني في «المشكاة» (٤٦٥٢): حسن بطرقِهِ .
(٢) رَوَاهُ مُسْلِم (٢١٦٧) .
(٣) البخاري (٦٢٥٨) ، ومُسْلم (٢١٦٣) .



٥٩ الأمر بحفظ اللسان إلا من الخير

الخطبة الأولى:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيْئَاتِ أَعْمَالنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْيِ هَدْيُ محمّد- ﷺ-، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أَمَّا بَعْدُ،

فحديثي مَعَكُمْ اليَوْمَ -أَيُّها النَّاسُ- عَنِ الأَمْرِ بِحفْظِ اللِّسَان إلاَّ مِنَ الخَيْرِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعالَى ـ منح الإنسان نِعمًا لا تُعَدُّ ولا تُحصى،

ومن أعظمها ـ بعد نعمة الهدىٰ والإيمان نعمةُ اللسان.

ومجاهدة اللسان أشدُّ من جهاد الأعداء؛ فالإنسان يَهُون عليه الاحترازُ من الزنىٰ، ويَصْعُبُ عليه الاحترازُ من حركاتِ لسانِه، فكم قُطِعتْ من أرحامٍ، وتَفرَّقت قلوب، بل وكم انْتُهِكَتْ من أعراض بسببِ اللِّسان!

فعلينا – عبادَ الله – أن نحفظَ ألسنتنا عن جميع الكلام، إلَّا كلامًا تظهر المصلحةُ فيه، فالسلامة لا يَعْدِلُها شيءٌ، كما قَالَ ذَلِكَ الإمام النوويُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ.

أَيُّهَا النَّاسُ، كم من الأدلة الدالَّة علىٰ حفظ اللسان في كتاب الله، وسُنَّة رَسُولُ الله – ﷺ –، وإن كانتْ مشهورةً معلومةً، لكن الذِّكْرىٰ تنفعُ المؤمنين. تنفعُ من كَانَ له قلب، تنفع من ألْقىٰ السَّمع وهو شهيدٌ.

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون:١ـ٣].

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ۝٧٢﴾ [الفرقان:٧٢].

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ق:١٨].

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦﴾ [الإسراء:٣٦].

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ۝١٢﴾ [الحجرات:١٢].

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٢٤﴾ [النور:٢٤].

وَفِي «الصَّحِيحَيْن» [١] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليوم الآخر، فلْيَقُلْ خيرًا أو ليَصمُتْ**».

قَالَ الإمام النوويُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ عند شرحه لهذا الحديث كما في «رياض الصالحين» [٢]: «وهذا صريح في أنه ينبغي أَلَا يتكلم، إلَّا إذا كَانَ الكلام خيرًا، وهو الذي ظهرتْ مصلحتُهُ، ومتىٰ شكَّ في ظُهورِ المَصْلَحة فلا يتكلَّمُ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْن» [٣] مِنْ حَدِيْث أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ، أيُّ المُسلمين أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**مَنْ سَلِمَ المُسلمون من لسَانِه ويَدِهِ**».

وأخرج التِّرمذيُّ في «سُننه» بِسَنَدٍ حَسَنٍ صحيح قَالَه الألباني في «صَحِيْح التَّرْغِيْب والتَّرْهِيْب» [٤] مِنْ حَدِيْث سُفيانَ بن عبدِ الله ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قُلْتُ: يا رسولَ الله، حدِّثني بأمرٍ أعتصمُ به قَالَ: «**قُلْ: ربِّيَ اللهُ، ثُمَّ استقِمْ**» قُلْتُ: يا رسولَ الله، ما أخوفُ ما تخافُ عليَّ؟ فأَخَذَ بلسانِ نَفْسِه، ثمَّ قَالَ: «هذا».

وأخرج الترمذيُّ ـ أيضًا ـ في «سُننه»، وقَالَ: حديث حسَنٌ صحيحٌ، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صَحِيْح التَّرْغِيْب والتَّرْهِيْب» [٥] مِنْ حَدِيْث مُعاذ بن جبل قَالَ: كنتُ مع النبيِّ ـ ﷺ ـ في سَفَرٍ، فأصبحتُ يومًا قريبًا منه، ونحن نَسيرُ، فقُلْتُ: يا رسولَ الله، أَخْبِرني بعملٍ يُدْخِلُني الجنَّة، ويُباعِدُني مِنَ النَّار، قَالَ: «لقدْ سألتَ عَنْ عظيم، وإنه ليسيرٌ علىٰ مَنْ يَسَّره الله ـ تَعَالَىٰ ـ عليه»، فعدَّ رسولُ الله ـ ﷺ ـ أبوابًا من الخير، قَالَ بَعْدَها: «ألا أُخْبِرُك بمِلاكِ ذَلِكَ كُلِّه؟» فقُلْتُ له:

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٤٧٥)، وَمُسْلم (٧٤).
(٢) «رياض الصالحين» (ص٥٢).
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١١) وَمُسْلم (٤٣).
(٤) رَوَاهُ الترمذي (٢٤١٠)، وحسن إسناده الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٦٢).
(٥) رَوَاهُ الترمذي (٢٤١٠)، وصححهُ إسناده الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٦٦).

بلىٰ يا رسولَ اللهِ، قَالَ: «**كُفَّ عليك هذا**» وأشار إلىٰ لسانه. فقُلْتُ: يا نبيَّ اللهِ، وإنَّا لمؤاخذون بما نتكلَّمُ به؟! قَالَ: «**ثَكلتْك أُمُّك، وهَلْ يَكُبُّ الناسَ في النَّارِ علىٰ وُجُوهِهِمْ ـ أو قَالَ: علىٰ مَناخِرِهِم ـ إلَّا حَصَائد ألسنتِهِمْ؟!**».

وزادَ الطَّبرانيُّ ـ كما في «صَحيْح التَّرْغيْب والتَّرْهِيْب»[1] ـ: «إنَّك لَنْ تَزَالَ سالمًا ما سكتَّ، فإذا تكلَّمتَ كُتِبَ عليك أو لك».

وفِي «صَحِيْح البخاري»[2] مِنْ حَدِيْثِ سَهْلِ بن سَعْد قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**مَنْ يَضْمَنْ لي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وما بَيْنَ رِجْلَيْهِ ـ أَضْمَن له الجنَّةَ**».

فقوله: «**ما بَيْنَ لَحْيَيْه**»: أي لسانه، واللَّحْيَانِ: هُما العَظْمانِ اللَّذَانِ يَنْبُتُ عليهما الأسنانُ. أو «ما بَيْنَ رجليه»: أي الفَرْج.

وَفِي «الصَّحِيْحَيْن»[3] مِنْ حَدِيْث أَبي هُريرة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ ـ ﷺ ـ يقولُ: «**إنَّ العَبْدَ ليتكلَّمُ بالكلمةِ ما يتبيَّنُ فِيْهَا، يَزِلُّ بها في النَّارِ أَبْعَدَ ممَّا بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِب**».

وفِي «صَحِيْح البخاريِّ»[4] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ قَالَ: «**إن العبدَ ليتكلمُ بالكلمة مِنْ رضوان اللهِ لا يُلْقِي لها بالاً يرْفَعُ اللهُ بها درجاتٍ، وإنَّ العبدَ ليتكلَّمُ بالكلمةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لا يُلقِي لها بالاً يهْوِي بها في جهنَّم**».

قَالَ ابن حَجَر ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «لا يلقي لها بالاً، أي: لا يتأَمَّلُها بخاطره، ولا يتفكَّر في عاقبتها، ولا يظنُّ أنها تُؤَثِّرُ شيئًا»[5].

---

(١) «صحيح الترغيب والترهيب»، و«فتح الباري» (١١/ ٣٠٩).
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٤٧٤).
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٤٧٧) وَمُسْلم (٢٩٨٨).
(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٤٧٨).
(٥) «فتح الباري» (١١/ ٣١١).

فيا عبدَ اللهِ، قَبْلَ أَنْ تخرجَ الكلمةُ من فِيكَ، أعطِ نَفْسَكَ فُرْصَةً للتفكير، هل ما ستقوله يُرضي اللهَ، أم يُغضبه؟ هل تكونُ عاقبتُهُ خيرًا أم شرًّا؟ يا عبد الله، الكلمة إذا لم تخرج مِنْ فِيْك فَأَنْتَ مَالكهَا، ومتىٰ خرجت فَأَنْتَ أَسيرُها.

فَفِي «سُنن التِّرمذيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيْح، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْح سُنن التِّرمذيِّ» [1] مِنْ حَدِيْث بلال بن الحارث ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «إِنَّ الرَّجُلَ يتكلَّمُ بالكلمةِ مِنْ رضوانِ الله ـ تَعَالَىٰ ـ، ما كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ ما بَلَغَتْ، يكتبُ اللهُ له بها رِضْوَانَهُ إِلىٰ يوم يَلْقَاهُ، وإِنَّ الرَّجُلَ ليتكلَّمُ بالكلمةِ من سخطِ اللهِ، ما كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ ما بلغتَ، يكتبُ اللهُ له بها سَخَطَهُ إلىٰ يوم يَلْقاهُ».

وأخرج الترمذي في «سُننه» بِسَنَد صَحِيْح، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْح سُنن ابن مَاجَهْ» [2]، مِنْ حَدِيْث أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: **«إِنَّ الرجلَ ليتكلَّمُ بالكلمة، لا يَرَىٰ بها بَأْسًا، يَهوي بها سبعين خريفًا في النار»**.

انظرْ ـ يا عبدَ اللهِ ـ الرجل منَّا قَدْ يُشارُ لهُ بالدِّينِ والزُّهْدِ والعبادةِ، وهو يتكلَّمُ بالكلمةِ، لا يُلقي لها بالاً، ولا يرىٰ بها بأسًا، تهوي به في النار سبعين سَنَة!.

وأخرج التِّرمذيُّ ـ أيضًا ـ في «سُننه»، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصحيحة» [3] مِنْ حَدِيْث عُقبة بن عامر ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ، ما النَّجاةُ؟ قَالَ: «أَمْلِكْ عليك لسانَكَ، ولْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وابْكِ علىٰ خَطيئتك».

وفي «سُنن التِّرمذيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ، صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صَحِيْح التَّرْغيْب

---

(١) رَوَاهُ الترمذي (٢/ ٣٥٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣٩٩٦).
(٢) رَوَاهُ الترمذي (٢٤٣٠)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١٨٨٤).
(٣) رَوَاهُ الترمذي (٢٤٠٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٩٠).

والتَّرْهِيْب »[١] مِنْ حَدِيْث عبد الله بن عَمْرو بن العاصِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ أنَّ رسولَ اللهِ - ﷺ - قَالَ: «**مَنْ صَمَتَ نَجَا** » .

فالنجاة النجاة ـ يا عبدَ الله ـ بحفظِ اللِّسانِ، ولُزُوم الصَّمْتِ إلَّا من الخير، فإنك لن تَنْدَمَ علىٰ الصَّمْت، بل سوفَ تندمُ علىٰ الكلَام، بل الصَّمْتُ يُكسبُكَ وَقارًا وبَهاءً وكمالاً، ويزيدُكَ جمالاً إلىٰ جمالك، وقد كَانَ نبيُّنا - ﷺ - طويلَ الصَّمْت، كما في «مُسْند أحمدَ» بِسَنَدٍ صَحِيْح، صحَّحَهُ الألبانيُّ في «المشكاة »[٢] مِنْ حَدِيْثِ جابر بن سَمُرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ «**كان رسولُ اللهِ - ﷺ - طويلَ الصَّمْتِ، قليلَ الضَّحِك** » .

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ الرجلَ بلسانِهِ، ولن تستقيم جوارحُهُ حتىٰ يستقيمَ لسانُهُ.

فقد أخرج التِّرمذيُّ في «سُننه » بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ في «صَحِيْح التَّرْغِيْب والتَّرْهِيْب»[٣] مِنْ حَدِيْث أَبي سعيد الخُدْرِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**إذا أَصبح ابْنُ آدمَ، فإنَّ الأعضاءَ كُلها تُكَفِّرُ اللِّسان، فتقولُ: اتَّقِ اللهَ فينا؛ فإنَّا نحنُ بكَ، فإن اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنا، وإن اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا** » .

وأخرج الإمام أحمدُ في مُسنده بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ في «صَحِيْح التَّرْغِيْب والتَّرْهِيْب»[٤] مِنْ حَدِيْثِ أَنس بن مالكٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**لَا يَسْتَقِيمُ إيمَانُ عَبْد حَتَّىٰ يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّىٰ يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ ، ولا يدخُلُ الجنَّةَ رجلٌ لا يأمَنُ جاره بوائِقَهُ** » .

عبادَ الله، ما أَحْوَجَنا إلىٰ حفظِ ألسنتنا، وتَرْكِ ما لا يَعْنينا أمرُهُ، ولا سيَّما عند حدوث الفتن، فقد أخرج ابنُ ماجةَ في «سُننه » بِسَنَدٍ صَحِيْح، صحَّحَهُ الألبانيُّ

(١) رَوَاهُ الترمذي (٢٦٣١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٣٦) .
(٢) رَوَاهُ أحمد ، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٥٨٢٦) .
(٣) رَوَاهُ الترمذي (٢٤٠٧)، وصححهُ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٧١)، (١٩١٢).
(٤) رَوَاهُ أحمد ، وحسن إسناده الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٦٥).

فِي «صَحِيْح سُنن ابن مَاجَهْ »[١] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ –: «**مِنْ حُسْنِ إسلام المَرْءِ تَرْكُهُ ما لا يَعْنيهِ** » .

ومعنىٰ ما لا يَعْنيه: أي ما لا يُفيدُهُ من الأقوال والأفعال.

أَيُّهَا النَّاسُ، استعيذوا بالله من شرِّ اللسان،

فقد أخرج التِّرمذيُّ في «سُننه » بسَنَد صَحِيْح، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْح سُنن التِّرمذيِّ » [٢] مِنْ حَدِيْث شَكَلِ بنِ حُمَيْدٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: أتيتُ النَّبيَّ – ﷺ – فقُلْتُ: يا رسولَ الله، علِّمْني تعوُّذًا أتعوَّذُ به، قَالَ: فأخذ بكفِّي فقَالَ: «**قُلْ: اللهُمَّ إني أعوذُ بك من شَرِ سَمْعي، ومِنْ شَرِّ بَصَري، ومن شرِّ لساني، ومِنْ شَرِّ قَلْبي، ومن شرِّ مَنيِّي** » .

وأستغفرُ اللهَ.

---

(١) رَوَاهُ ابن ماجه (٣٩٧٦)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٢١١) .

(٢) أخرجه النَّسَائِي (٣/ ١١٠٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن النَّسَائِي» (٥٠٣١).

الخطبة الثانية:

الأمر بحفظ اللسان إلا من الخير

الحمْد للهِ وَحْدَهُ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونتوبُ إلَيْهِ، ونُثْني عليه الخَيْرَ كُلَّه، نرجوه ولا نرجو أحدًا سِوَاهُ، ونشكرُهُ علىٰ نعمِهِ العظيمة، وآلائِهِ الجسيمة، والصلاة والسلام علىٰ عبدِهِ ورسوله- ﷺ-، وعلىٰ آله وصَحبه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ،

أَيُّهَا النَّاسُ، فتقدم الحديث مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ حولَ خُطورة اللِّسان، والآنَ نتحدَّثُ مَعَكُمْ حولَ أعظم آفَةٍ من آفات اللسان أَلَا وهي الغِيْبَةُ، والغِيْبَةُ هي: «ذِكْرُ العَيْب بظَهْرِ الغَيْبِ».

فَفِي «صَحِيْح مُسْلم» [1] مِنْ حَدِيْثِ أَبي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ- ﷺ-: «أتدرونَ ما الغيبةُ؟» قَالُوا: اللهُ ورسولُهُ أعلمُ، قَالَ: «ذِكْرُكَ أخاك بما يكْرَهُ»، قيل: أفَرَأَيْتَ إن كَانَ في أخي ما أقولُ؟ قَالَ: «إن كَانَ فيه ما تقولُ فقد اغتبتَهُ، وإن لم يكن فيه فقدْ بَهَتَّهُ»: أي افتريتَ عليه الكذبَ.

والغِيبةُ - عبادَ اللهِ - من كبائر الذنوب، قَالَ الإمام ابن حَجَر الهَيْتميُّ - رَحِمَهُ اللهُ -: «الذي دلت عليه الدلائلُ الكثيرة الصحيحةُ الظاهرةُ أَنَّها كبيرة، لكنها تختلف عِظَمًا وضِدَّهُ بحسب اختلافِ مفسدتِها» [2].

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِم (٤/ ٢٠٠٠).
(٢) «الزَّوَاجِر» (٣٧١).

وهي ـ أي الغيبةُ ـ محرَّمة بإجماع المُسْلِمين، وقد تظاهر علىٰ تحريمها الدلائلُ الصريحةُ من الكتاب، والسُّنَّة في، وإِجْمَاع الأُمة، كما قَالَ الإمام النوويُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ[1] .

ومن الأدلَّة الدَّالَّة على تحريم الغيبة ـ علىٰ سبيل المثال ـ قولُ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات:١٢].

وفي « صَحِيْح مُسْلِم »[2] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ: «**المُسْلِمُ أخو المُسْلِم: لا يَظْلِمُهُ، ولا يَحْقِرُهُ، ولا يَخْذُلُهُ، التَّقْوىٰ ها هُنا ـ ويشير إلىٰ صَدْرِه ثلاثَ مرَات ـ بِحَسْب امرئ من الشَّرِّ أنْ يَحْقِرَ أخاه المُسْلِمَ، كُلُّ المُسْلِم علىٰ المُسْلِم حرامٌ: دَمُهُ، ومالُهُ، وعِرْضُهُ** » .

وفي« سُنن أَبي داودَ »بِسَنَد صَحِيْح، صَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صَحِيْح الجَامع »[3] مِنْ حَدِيْث أَبي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**يا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بلسانِه، ولم يَدْخُلِ الإيمانُ قَلْبَهُ، لا تغتابوا المُسْلمين، ولا تتَّبعوا عوراتِهم؛ فإنه من اتبع عوراتِهم، يتَّبع اللهُ عَوْرَتَهُ، ومن يتَّبع اللهُ عَوْرتَه يَفْضَحه في بيتِه** » .

أَيُّها الناس، الحديث عن الغِيبَةِ ذو شُجُون، فهو بَحْرٌ لا ساحلَ له، والمؤمنُ يَكْفيه دليلٌ واحدٌ صحيحٌ صريحٌ يفهمُهُ، ويَعْملُ بِهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، قد سمعتم حكم الغِيبة، لكن ماذا يجبُ علينا إذا سمعنا غيبة

---

(١) «فتح الباري» (١٠/ ٤٧٣) .
(٢) رَوَاهُ مُسْلم (٤/ ١٩٨٤) .
(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٧٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥٤٩) .

أخينا المُسْلِم؟ إنه يجب علينا إذا سَمِعْنا غيبةَ أخينا المُسْلِم أن نردَّها، ونُنكر علىٰ قائلها بأن هذا لا يجوز، فإن لم يقبلِ المغتابُ النصيحة، وجب علينا أن نُفارقَ ذَلكَ المجلس، فإن فعلنا ذَلكَ فقد أدَّينا ما علينا من حقِّ أخينا، فإن سَكَتْنا فقد شاركْنا المُغتابَ في الإثم، وكنَّا أَهْلاً لخُذْلانِ اللهِ لنا، والعياذ بالله!.

فَفِي «سُنن أَبي داودَ» بسَنَد حَسَن، حسَّنه الألباني[1] من حَدِيْث جابر بن عبد الله وأَبِي طَلْحَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ـ قَالاَ: قَالَ رسول الله ـ ﷺ ـ: **«ما مِن امرئ يَخْذُلُ امرَأً مُسلمًا في موضع تُنْتَهَكُ فيه حُرْمَتُهُ، ويُنتقصُ فيه مِنْ عِرْضِه ـ إلَّا خَذَلَهُ اللهُ في موطن يُحبُّ فيه نُصْرتَهُ، وما مِن امرئ يَنْصُرُ مُسْلِمًا في موضع يُنتقَصُ فيه من عِرضِه، ويُنْتَهَكُ فيه من حُرْمَتِهِ ـ إلَّا نَصَرَهُ اللهُ في موطنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ»** .

وفي «مُسند الإمام أحمد» ،و«سُنن التِّرمذيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيْح، صحَّحه الألبانيُّ في «صَحِيْح الجَامع»[2] مِنْ حَدِيْث أَبِي الدَّرْدَاء ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ قَالَ: **«مَنْ ردَّ عَنْ عِرْض أخيه بالغيب، ردَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ القيامة»**.

وأخرج الإمامُ أحمدُ ـ أيضًا ـ في «مُسنده » بِسَنَد صَحِيْح، صحَّحَهُ الألبانيُّ في«صَحِيْح الجامع»[3] مِنْ حَدِيْث أسماءَ بنت يَزِيد الأنصاريّة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ عَنِ النبيِّ ـ ﷺ ـ قَالَ: **«مَنْ ذَبَّ عَنْ عِرْضِ أخيه بالغَيْبةِ، كَانَ حقًّا علىٰ اللهِ أنْ يُعتِقَهُ من النَّار»** .

وَفِي «الصَّحِيْحَيْن»[4] مِنْ حَدِيْث عِتْبانَ بن مالك الأنصاريِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ في حَدِيثه الطويل المشهور قَالَ: قام النبيُّ ـ ﷺ ـ يُصلِّي، فقَالوا: أَيْنَ مالكُ بنُ

(١) رَوَاهُ أبو داود ـ واللفظ له ـ (٤٨٨٤)، وأحمد (٤/ ٣٠)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢/ ٥٦٩٠) .
(٢) رَوَاهُ الترمذي (١٩٣١)، وأحمد(٦/ ٤٥٠)، وصححه الألباني في«صحيح الجامع» (٢/ ٦٢٦٢).
(٣) رَوَاهُ أحمد (٦/ ٤٦١) ، وصححه الألباني في«صحيح الجامع» (٢/ ٦٢٤٠).
(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٥)، ومُسْلم (٣٣) .

الدُّخَيْشِ ـ أو ابْنُ الدُّخْشِ ـ؟ ، فقَالَ بعضُهم: ذَلِكَ منافقٌ لا يُحبُّ اللهَ ورسولَهُ.

فقَالَ النبيُّ - ﷺ -: «**لا تَقُلْ ذَلِكَ؛ أَلَا تَراهُ قَدْ قَالَ: لَاَ إِلَهَ إِلَّا الله يُرِيدُ بذَلِكَ وَجْهَ اللهِ؟!**» .

قَالَ: قَالَوا: اللهُ ورسولُهُ أعلمُ. قَالَ: فإنَّما نرىٰ وَجْهَهُ ونصيحتَهُ للمنافقين قَالَ: فقَالَ رسولُ الله - ﷺ -: «**فإنَّ اللهَ قد حَرَّم علىٰ النارِ مَنْ قَالَ: لَاَ إِلَهَ إِلَّا الله يبتغي بذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**» .

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» [1] ـ أيضًا ـ عن كَعْبِ بنِ مالكٍ في حديثِهِ الطويلِ في قصَّةِ توبته قَالَ: قَالَ النبيُّ - ﷺ - وهو جالس في القومِ في تبُوكَ: «**ما فَعل كَعْبُ بنُ مالك؟**» . فقَالَ رجلٌ من بني سَلَمَةَ: يا رسولَ اللهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ والنَّظَرُ في عِطْفَيْهِ.

فقَالَ له معاذُ بن جَبَلٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: بئْسَ ما قُلْتَ! والله - يا رسولَ الله - ما عَلِمْنا عليه إلَّا خيرًا. فسكت رسولُ الله - ﷺ -.

جنَّبنا اللهُ وإيَّاكم مزالّ اللِّسانِ، ووقانا وإيَّاكم عَذَابَ النِّيرانِ.

---

(١) البخاري (٤٤٨٨) ، وَمُسْلم (٢٧٦٩) ، واللفظ له .



٦٠ خطب في المناسبات

خطبة عيد الفطر المبارك

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُه، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنا، ومنْ سَيِّئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده الله فَلَا مُضلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّد- ﷺ- ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالَةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ[1].

---

(١) خطبة العيد كسائر الخطب ، تُفتتح بالحمد والثناء علىٰ الله - عز وجل- ، قال ابن القيم في «زاد المعاد» (١/ ٤٤٧) : (وكان -ﷺ- يفتتح خطبه كلها بالحمد لله، ولم يحفظ عنه في حديث واحد أنه كَانَ يفتتح خطبتي العيدين بالتكبير» أ. هـ . ولم يثبت التكبير قبل الخطبتين لا في حديث مرفوع ولا موقف، وعمدة بعض الفقهاء الذين قالوا بذلك حديثان ضعيفان،ضَعفهُما الألباني في«إرواء العليل» برقم (٦٤٧) والثاني برقم (٦٤٨) .
ولم يصح في السُّنَّة أن للعيد خطبتين ، يُفصل بينهما بجلسة ، والوارد في ذلك حديث ضعيف، رَوَاهُ البزار في «مسنده» برقم (٥٣) ، عن سعد -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- « أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- وَكَانَ يَخْطُبُ خُطْبَتَيْنِ يَفْصِلُ بَيْنَهُمَا بِجِلْسَةٍ». وقد قال البخاري في سنده: «منكر الحديث» فتبقىٰ خطبة العيد واحدة علىٰ الأصل ، انظر:«أحكام العيدين» لعلي حسن الحلبي (ص٥٦)

أَمَّا بَعْدُ، فاحْمدُوا الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ أَيُّهَا النَّاسُ – واشْكُروه علىٰ ما أَنْعَم به عَلَيْكُمْ مِن إتمام صيام شَهْرِ رَمَضَانَ وقِيامِه، واسألوا الله مِنْ فَضْله أنْ يتقبَّلَ منكم صيامَ رَمَضَانَ، ويتجَاوزَ عمَّا حَصَلَ مِنَ التفريطِ والإهمال، فهو ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ غفَّارُ الذُّنوبِ، وقابلُ التَّوْب، أرحمُ الرَّاحمين، وأكرمُ الأكرمين.

أَيُّهَا النَّاسُ، اعْرفُوا نعْمةَ الله عَلَيْكُمْ بهذا العِيدِ السَّعيدِ، اليوم الذي توَّجَ اللهُ به شَهْرَ الصِّيام، فالعيدُ هو مَوسِمُ الفَرَحِ والسُّرور، وأفراحُ المؤمنين وسُرورُهم في الدُّنيا إنَّما هو بمولاهم، إذا فازوا بإكمالِ طاعتِه، وحازُوا ثوابَ أعمالِهم بوثوقِهم بوَعْدِه لهم عليها بفَضْلِه ومغفرتِه.

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس:٥٨].

قَالَ بَعْضُ العارفين: ما فَرِحَ أَحَدٌ بغيرِ الله إلَّا لغَفْلَتِه عنِ الله، فالغافلُ يَفْرَحُ بلَهْوَاهُ وهَوَاهُ، والعاقلُ يَفْرَحُ بَمَوْلاهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ: إنه يُستحبُّ التبكيرُ لصلاة العيدِ لقول الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [المائدة:٤٨]. والعِيدُ مِنْ أعظم الخيرات.

ويُستحب للرجال الاغتسالُ، والزِّينة، والتطيُّب، ولُبْسُ أَحْسَنِ الثِّيابِ للعِيدِ:

فَفِي «صحيح البخاريِّ»[1] مِنْ حديث عَبْد الله بن عُمَرَ ـ رَضيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: «أَخَذَ عُمَرُ جُبَّةً مِنْ إسْتَبْرَق، تُباعُ في السّوق، فَأَخَذها، فأتىٰ رسولَ الله –ﷺ–، فقَالَ: يا رسولَ الله، ابْتَعْ هذه، تجمَّلْ بها للعيْد والوُفُود» .

فالشاهدُ مِنْ قَوْلِ عُمَرَ «تجمَّلْ بها للعيد» ، منْهُ عُلِمَ أنَّ التَجمُّلَ يَوْمَ العيد كَانَ عادةً مُتقرَّرةً بَيْنَهُمْ، لم يُنْكِرْها النبيُّ –ﷺ–، فعُلِمَ بقاؤها، كما قَالَ الإمامُ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٩٤٨) ، وَمُسْلم (٢٠٦٨) .

النَّسائيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ. وعلينا أنْ نلبسَ اللِّباسَ الذي هو مِنْ لِباسِ أهْلِ العِلْمِ والصَّلاحِ، ونبتعدَ عَنْ لِباسِ أهْلِ المُجُونِ والفسادِ.

فأهلُ العِلْمِ والصَّلاحِ يلبسون الإزارَ والسَّراويلَ، وهذا معروفٌ لديْهم مِنْ لَدُنِ النَّبي -ﷺ- حتىٰ يوم الناس هذا، وكان أحبّ الثِّياب لرسول الله -ﷺ- القميص، كما روىٰ ذَلِكَ التِّرمذيُّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ[1] مِنْ حَدِيْثِ أُمِّ سَلَمَة ـ رَضِيَ الله عَنْهَا ـ.

والغالبُ على أهلِ الصَّلاحِ أنَّهم يلبسون البِيضَ مِنَ الثِّيابِ:

فَفِي «سُنن ابن ماجة» بِسَنَدٍ صَحِيْح، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي«صَحِيْح سُنَنِ ابن مَاجَهْ»[2] مِنْ حَدِيْثِ ابن عبَّاس ـ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**خَيْرُ ثيابِكمُ البَيَاضُ؛ فالْبَسُوها، وكَفِّنُوا فِيْهَا مَوْتاكُم**».

وأخرج ابْنُ ماجه بِسَنَد صَحِيْح،صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي«صَحِيْح سُنن ابن مَاجَهْ»[3] مِنْ حديث سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَب ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**الْبَسُوا ثيابَ البَيَاضِ؛ فإنَّها أَطْهَرُ وأَطْيَبُ**».

فقولُهُ: «فإنَّها أطْهَرُ وأَطْيَبُ»؛ لأنَّه يَلُوحُ فِيْهَا أدْنَىٰ وَسَخٍ فَيُزالُ، بخلافِ سائرِ الألْوانِ.

قَالَ الطِّيبيُّ: «لأنَّ البِيْضَ أكثرُ تأثيرًا مِنَ الثِّياب المُلَوَّنة، فتكونُ أكثرَ غسلاً؛ فتكونُ أَطْهَرَ. و«أَطْيَبُ»: أي أحْسَنُ طَبْعًا وشَرْعًا»[4].

---

(١) الترمذي (١٧٦٢).

(٢) رَوَاهُ ابن ماجه في «سننه» (٣٥٦٦)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٨٦٩).

(٣) رَوَاهُ ابن ماجه في «سننه» (٣٥٦٧)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٨٧٠).

(٤) «تحفة الأحوذي» (٨/ ٧٦)، (٨/ ٢٠٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣١٤).

فهذا ـ أيُّهَا النَّاسُ ـ لِباسُ أهلِ العِلْمِ والصَّلاحِ، فعلَيْنا أنْ نَحْذَرَ ونُحَذِّرَ مِنْ لِباسِ الكُفَّارِ.

فَفِي «صَحِيْح مُسْلِم»[1] مِنْ حديث عَبْدِ الله بن عَمْرو ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: رأى النبيُّ ـ ﷺ ـ عليَّ ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ، فقَالَ: «**إنَّ هذا منْ لباسِ الكُفَّار؛ فلا تَلْبَسْهَا**» وهذا الحديثُ عامٌّ في كُلِّ ما كَانَ مِنْ خَصَائص الكُفَّارِ وعاداتِهِم، ومِنْ خَصائصِ الكفَّارِ وعادتِهمُ اليومَ البِنْطالُ، والكرفتَّةُ، وتتبُّعُ المَوْضَة.

ومِنَ الظواهِرِ الخطيرةِ ـ أيُّهَا النَّاسُ ـ ما انتشر بَيْنَ الشَّبابِ والفتياتِ، فنجدُ الرَّجُلَ يتزينُ بحَلْقِ لِحْيتِهِ.

وهذا مخالفٌ لأَمْرِ النبيِّ ـ ﷺ ـ القائلِ ـ كما في «الصحيحين»[2] مِنْ حديثِ ابن عمر ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ: «**أَحْفوا الشَّوَارِبَ، وأَعْفُوا اللِّحَىٰ**».

ونجدُ الفتياتِ يتشبَّهْنَ بالرجال في كثير من الأُمورِ: كقَصِّ شعرِ الرَّأْس، وارتداءِ اللِّباسِ الضَّيِّقِ الذي يَصِفُ مفاتِنَ الجِسْمِ، ولُبْسِ البِنْطالِ الذي يُحدِّدُ أجزاءَ البَدَنِ الَّتِي يُحيطُ بها، مع ما في لُبْسِهِ مِنْ تشبُّهٍ بالرِّجالِ؛ لأنه من لباسِهِمْ.

فَفِي «صحيح البخاريِّ»[3] مِنْ حديثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عبّاس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: «**لَعَنَ رسولُ اللهِ ـ ﷺ ـ المُتشبِّهينَ مِنَ الرِّجالِ بالنِّساءِ، والمُتَشَبِّهاتِ مِنَ النِّساءِ بالرِّجالِ**».

أيُّهَا النَّاسُ، لقد كَانَ شَهْرُ رَمَضَانَ ميدانًا يتنافسُ فيه المتنافسون، ويتسابق فيه المتسابقون، حتَّىٰ إذا انتهىٰ مَوْسِمُ الصِّيامِ فتَرَتْ عَزَائِمُهم وأَخْلَدَتْ نُفُوسُهُمْ للرَّاحةِ.

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِم (٢٠٧٧).
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٨٩٣)، وَمُسْلم (٢٥٩).
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٨٨٥).

قيل لبِشْر ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: إنَّ قَوْمًا يتعبَّدون ويجتهدون في رَمَضَانَ، فقَالَ: «بِئْسَ القَومُ؛ لا يعرفون اللهَ حقًّا إلَّا في شَهْرِ رَمَضَانَ، إنَّ الصَّالح الذي يَتعبَّدُ ويَجْتَهِدُ السَّـنَّةَ كُلَّها» .

وسُئِلَ الشِّبليُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: أيُّما أفضلُ رَجَبُ أو شَعْبانُ؟ فقَالَ: «كُنْ ربانيًّا، ولا تكنْ شعبانيًّا، كَانَ النَّبيُّ - ﷺ - عَمَلُهُ دِيْمَة» .

فَفِي «الصَّحيْحَيْن» [1] مِنْ حديث عَلْقَمَةَ قَالَ: سألتُ أُمَّ المؤمنين عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -، قَالَ: قُلْتُ: يا أُمَّ المؤمنين، كَيْفَ كَانَ عَمَلُ رسول الله -ﷺ؟، هَلْ كَانَ يَخُصُّ شيئًا من الأيَّام؟ قَالَتْ: لا، كَانَ عَمَلُهُ دِيْمَةً. وأَيُّكُمْ يستطيعُ ما كَانَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - يستطيعُ؟! » .

وفِي « صَحِيْح مُسْلم » [2] مِنْ حديث عائشةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ أنَّ رسولَ اللهِ - ﷺ - سُئِلَ: أيُّ العَمَلِ أحَبُّ إلىٰ اللهِ؟ قَالَ: «**أدْوَمُهُ، وإنْ قَلَّ**» .

فعلينا ـ أيُّهَا النَّاسُ ـ بالمحافظةِ علىٰ الأعمالِ الصَّالحةِ، ومنها الصلاةُ في أوقاتها حيثُ يُنادَىٰ لها.

فإنَّ مِنْ صفاتِ عِبادِ الرَّحمن المُداومةَ علىٰ الأعمالِ الصَّالحةِ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [المعارج:٢٣].

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وتَعالَىٰ-: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [المؤمنون:٩].

أيُّهَا النَّاسُ، مَنْ أراد منكم أنْ يَصِلَهُ اللهُ في الدُّنيا والآخرة، ويَمُدَّهُ بالرَّحمةِ، ويُيَسِّرَ له الأُمورَ، ويُفَرِّج عنه الكُرُباتِ ـ فعليه أَنْ يَصِلَ رَحِمَهُ.

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٩٨٧) ، وَمُسْلم (٧٨٧) .
(٢) رَوَاهُ مُسْلِم (٧٨٢) .

فَفِي «سُنن أَبي داودَ» بِسَنَدٍ صَحِيْح، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْح الجَامع»[١] مِنْ حديث عَبْد الرَّحْمن بْن عَوْفٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ -ﷺ- يقولُ: «**قَالَ اللهُ ـ تَعَالَىٰ ـ: أنا الرَّحْمنُ، وهي الرَّحِمُ، شَقَقْتُ لها اسْمًا مِن اسْمي، مَنْ وَصَلَها وَصَلْتُه، ومَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّه**» أي: قَطَعْتُه.

وصِلَةُ الرِّحِمِ ـ أيُّهَا النَّاسُ ـ مِنْ أعظمِ أسبابِ دُخُولِ الجنَّةِ:

فَفِي «الصَّحيحين»[٢] مِنْ حَدِيْث أَبي أَيُّوبَ الأنصاريّ -رَضيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: جاء رجلٌ إلىٰ النبيِّ -ﷺ- فقَالَ: دُلَّني علىٰ عَمَل أعْمَلُه، يُدْنيني مِنَ الجنَّة، ويُباعِدُني مِنَ النَّار. قَالَ: «**تَعْبُدُ اللهَ لا تُشْرِكُ به شَيئًا، وتُقيمُ الصَّلاة، وتُؤْتي الزَّكاة، وتَصِلُ ذا رَحِمك**»، فلمَّا أدْبَرَ، قَالَ رسولُ اللهِ -ﷺ-: «**إنْ تَمَسَّكَ بما أُمِرَ بِه، دَخَلَ الجنَّةَ**».

والصَّدقةُ على ذي الرَّحمِ أعظمُ أَجرًا مِنَ الصَّدقةِ على المِسْكينِ:

فَفِي «سُنن التِّرْمذيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيْح، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْح الجامع»[٣] مِنْ حديثِ سَلْمانَ بْنِ عامرٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عن النَّبيِّ -ﷺ- قَالَ: «**إنَّ الصَّدَقة علىٰ المسكينِ صَدَقةٌ، وعلىٰ ذي الرَّحِم اثْنَتَانِ: صَدَقَةٌ، وصِلَةٌ**».

وَفِي «الصَّحِيْحَيْن»[٤] مِنْ حَدِيْث زَيْنَبَ امرأة عَبْدِ اللهِ قَالَتْ: سألتُ رسولَ اللهِ -ﷺ-: أَيُجزِئُ عنِّي مِنَ الصَّدقة النَّفَقةُ علىٰ زَوْجي، وأيتام في حجْري؟ فقَالَ رسولُ اللهِ -ﷺ-: «**نَعَمْ، ولها أَجْرانِ: أَجْرُ القرابةِ، وأَجْرُ الصَّدَقةِ**».

---

(١) رَوَاهُ أبو داود في «سننه» (١٦٩٤).
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٣٩٦)، ومُسْلم (١٣)، واللفظ له.
(٣) رَوَاهُ الترمذي (٦٥٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٨٥٨).
(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٤٦٦)، ومُسْلم (١٠٠٠).

وقطيعةُ الرَّحم - أيُّهَا النَّاسُ - مِنْ كبائر الذُّنوب. ففي «الصَّحيْحَيْن»[١] من حديث جُبيَرْ بْن مُطْعمٍ - رَضِيَ الله عَنْهُ - أَنَّ رسولَ الله - ﷺ - قَالَ: «**لا يدخل الجنَّةَ قاطعُ رَحِم**».

إنَّ قطيعةَ الرَّحمِ من أعجل المعصيةِ عُقوبةً:

فَفِي «سُنن أَبِي داودَ» بِسَنَد صَحِيْح، صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صَحِيْح الجَامع»[٢] مِنْ حَدِيْث أَبِي بَكْرَةَ - رَضِيَ الله عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - ﷺ -: «**ما مِنْ ذَنْب أَجْدَرُ أَنْ يُعجِّلَ الله - تعَالَىٰ - لصاحِبِهِ العُقوبَةَ في الدُّنيا - مَعَ ما يَدَّخِرُ له في الآخرةِ - مِثْلُ البَغْي، وقطيعة الرَّحم**».

فعلينا أَنْ نَصلَ أرْحامَنا بحدودِ ما نستطيعُ: مِنَ الإحسانِ إلَيْهم، وبَذْلِ الجاه، أو النَّفْع البَدَنيِّ، أو النَّفْع الماليِّ، بحَسَبِ ما تطلبُهُ قُوَّةُ القرابَةِ، فإنْ لم يتيَسَّرْ لنا ذَلكَ، نَصلُهم بالكلمة الطَّيِّبة: مِنْ بَسْطِ الوَجْهِ، ولِينِ الجانبِ، وكفِّ الأذىٰ، وخَفْضِ الجَنَاح، وبَذْلِ السَّلام.

إنَّ السَّلامَ أقلُّ ما تَحْصُلُ به الصِّلَةُ:

فقد أخرج وَكِيعٌ في الزُّهْدِ بِسَنَد صَحِيْح[٣]، صحَّحَهُ الألبانيُّ في الصحيحةِ مِنْ حديثِ سُوَيْدِ بنِ عامرٍ - رَضِيَ الله عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -: «**بُلُّوا أرحامَكم، ولو بالسَّلام**».

ومعنىٰ بُلُّوا: أي نَدُّوها بِصِلَتِها.

ومِنَ الكِبْر وسوءِ الأخلاق أنْ نعاملَ قرابتنا بالمِثْل، إنْ وَصَلُونا وَصَلْناهم، وإنْ قَطَعُونا قَطَعْناهُمْ، والذي يفعلُ ذَلِكَ لَيْسَ بواصلٍ علىٰ الحقيقةِ، بل هو

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٩٨٤)، وَمُسْلم (٢٥٥٦).
(٢) رَوَاهُ أبو داود (٤٩٠٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٠٤).
(٣) أخرجه وكيع في «الزهد» (٢/ ٧٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧٧٧).

مُكافِئٌ للمعروفِ بِمِثْلِهِ.

والرَّجُلُ الصَّالحُ هو مَنْ يَصِلُ قَرَابَتَهُ ابتغاءَ وَجْهِ اللهِ، ولا يُبالي سواءٌ أَوصَلوهُ أمْ لا.

فَفِي صحيح البخاريِّ(١) مِنْ حديثِ ابن عَمْرو ـ رَضيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ عَنِ النبيِّ ـ ﷺ ـ قَالَ: «**لَيْسَ الوَاصِلُ بالمُكافِئِ، ولكنِ الواصلُ الذي إذا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَها**».

وحثَّنا النبيُّ ـ ﷺ ـ علىٰ أداءِ حقِّ الرَّحم، وإنْ عاملُونا بالجَفْوةِ والغِلْظَةِ والشَّرِّ، في حينِ أنَّهُ يُطَمْئِنُنا علىٰ مُستقبلنا، ويُزِيحُ عَنْ قُلُوبنا اليَأْسَ.

فَفِي «صَحِيْح مُسْلِم»(٢) مِنْ حديثِ أَبي هُريرة ـ رَضيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ الله! إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ؟. فَقَالَ: «**لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ المَلَّ** (أي: تُطْعِمُهُم التُّربةَ المُحْماة)، **وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ**».

أَيُّهَا النَّاسُ، السَّلامُ أَمَانُ اللهِ في الأرض، وتحيَّةُ أَهْلِ الإسلام في الدُّنيا، وتحيَّةُ المؤمنين في الجنَّةِ، فهو اسْمٌ من أسماءِ اللهِ ـ تَعَالَىٰ ـ الحُسْنَىٰ.

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر:٢٣].

وفي «صَحِيْح البخاري»(٣) مِنْ حديثِ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ في حديثِ التشهُّدِ: «**إِنَّ اللهَ هُوَ السَّلامُ**».

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٩٩).
(٢) رَوَاهُ مُسْلِم (٢٥٥٨).
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٨٣١).

والسَّلامُ مَعْنَاهُ: التَّعْويذُ باللهِ، والتحصينُ به، وتقديرُهُ: اللهُ عليك حفيظٌ وكفيلٌ، كما يُقَالُ: الله معك (أي: بالحفظِ والمَعُونةِ واللُّطْفِ).

وقيل: مَعْنَاهُ السَّلامةُ (أي: سلامةُ الله مُلازمةٌ لك).

روى الطبرانيُّ في «الكبير» ، والبزارُ في «مُسندِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ، صحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصحيحة » [(١)] مِنْ حديثِ عبدِ اللهِ بن مسعودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أنَّ النبيَّ - ﷺ - قَالَ: «**السَّلامُ اسْمٌ مِنْ أسماءِ اللهِ، وَضَعَهُ اللهُ في الأرضِ، فأَفْشُوه بَيْنَكُمْ، فإنَّ الرَّجُلَ المُسلمَ إذا مَرَّ بقومٍ، فسلَّمَ عليهم، كَانَ له عليهم فَضْلُ دَرَجَةٍ بتذكيرِهِ إيَّاهُمُ السَّلامَ، فإنْ لم يردُّوا عليه، ردَّ عليه مَنْ هُوَ خَيرٌ منهمْ وأَطْيَبُ**» .

فعلينا بإفشاءِ السَّلام؛ فإنه مِنْ أعظم وسائلِ المودَّة والمحبَّةِ بَيْنَ المُؤمنين، مع ما في إفشاءِ السَّلامِ مِنَ الأجرِ العظيمِ، والثوابِ الجزيلِ.

فَفِي «صَحِيْح مُسْلِم» [(٢)] مِنْ حديث أَبِي هُريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**لا تدخلوا الجنَّةَ حتَّىٰ تُؤْمنوا، ولا تُؤمنوا حتَّىٰ تحابُّوا، أَوَلا أَدُلُّكُمْ علىٰ شيءٍ إذا فعلتُمُوهُ تحابَبْتُم؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ**» .

أَيُّهَا النَّاسُ، المُصافحةُ سُنَّةٌ، ومنَ الأعمالِ الصَّالحاتِ، الَّتِي تُكَفِّرُ الذُّنوبَ.

فَفِي «سُنن التِّرْمذيِّ » بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيْحِ الجَامِعِ» [(٣)] مِنْ حديثِ البَراءِ بنِ عَازبٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**ما مِنْ مُسْلِمين يَلْتقيانِ، فيتصافحانِ، إلَّا غفرَ لهما قَبْلَ أنْ يَتفرَّقا**» .

---

(١) رَوَاهُ الطبراني في «الكبير» (١٠٣٩١)، والبزار في «مسنده» (١٩٩٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٩٤) .

(٢) تَقَدَّمَ تَخْرِيْجه .

(٣) رَوَاهُ أبو داود (٥٢١٢)، والترمذي (٢٧٢٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٧٧)، و«الصحيحة» (٥٢٥) .

ومِمَّا يدلُّ علىٰ أنَّها سُنَّةٌ ما جاء فِي «صَحِيْح البُخاريِّ»[١] مِنْ حديث عَبْدِ الله ابن مسعودٍ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: «**عَلَّمَني النبيُّ** - ﷺ - **التَّشَهُّدَ، وكَفِّي بَيْنَ كَفَّيْه**».

ولننظرْ ـ أيُّهَا النَّاسُ ـ إلى آدابِ المُصافحة، كما علَّمنا ذلِكَ نبيُّنا - ﷺ -:

فَفِي «سُنن التِّرْمذيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْح الجَامع»[٢] مِنْ حديث أنس بن مالك ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رجل: يا رسولَ الله، أَحَدُنا يَلْقىٰ صَدِيْقَهُ، أَيَنْحَني له؟ قَالَ: «لا»، قَالَ: فَيَلْزَمُهُ ويُقَبِّلُهُ؟ قَالَ: «لا». قَالَ: فَيُصافِحُهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إنْ شَاءَ».

فهذا هو الأدبُ الذي أدَّبنا به نبيُّنا - ﷺ -، عَضُّوا عليه بالنَّواجذِ، ولا تغترُّوا بما يفعلُهُ بَعْضُ الناسِ مِنَ الإفراطِ في القُبَلِ علىٰ الخَدِّ، والأَيْدي، وأحيانًا علىٰ الأَرْجُلِ، فكُلُّ هذا خلافُ ما عليه السَّلَفُ المُقْتدىٰ بهم.

ومن الناس مَنْ يُصافحُ النِّساءَ، فإذا ما عُوتِبَ في ذَلِكَ، قَالَ: هذِهِ أُمِّي ـ إنْ كانت عَجُوزًا ـ أو أُختي ـ إن كانت شابةً ـ![٣].

ومصافحةُ النِّساءِ غَيْرِ المحارمِ مُحرَّمةٌ، فقد أخرج الطَّبرانيُّ في «الكبير»، وصحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْح الجَامع» و«الصحيحة»[٤] مِنْ حديث مَعْقل بن يَسَار ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - ﷺ -: «**لأَنْ يُطْعَنَ في رَأْسِ أَحَدِكُم بِمِخْيَطٍ مِنْ حديدٍ ـ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امرأةً، لا يَحِلُّ لَهُ**».

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ هنَّأَ أخاه في العِيدينِ بقولِهِ: تَقَبَّلَ الله مِنَّا ومِنْكُمْ ـ ويَرُدُّ عليه

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٢٦٥).
(٢) رَوَاهُ الترمذي (٢٧٨٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٨٨).
(٣) انظر: «طريقنا للقُلوب» للمؤلف (ص ٣٠-٣١).
(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٢١١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٠٤٥).

أخوه بمِثل ذَلِكَ ـ فلَهُ فِيْهِ سَلَفٌ ببعضِ الصحابةِ، فمَنْ دُونَهُمْ.

وقد سُئِل الإمامُ مالكٌ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: أَيُكْرَهُ للرَّجُلِ أنْ يقولَ لأخيه ـ إذا انصرف مِنَ العِيدِ ـ: تقبَّلَ اللهُ منَّا ومِنكَ، وغَفَرَ لنا ولَكَ، ويَرُدُّ عليه أخوه مِثْلَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «لا يُكْرَهُ»[٥].

وعن عليِّ بنِ ثابتٍ قَالَ: سألتُ مالكًا عَنْ قَولِ النَّاسِ في العِيدِ: تقبَّلَ اللهُ منَّا ومنك. فقَالَ: «ما زال الأَمْرُ عندَنا كذَلِكَ»[٦].

وقَالَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «التَّهْنئةُ يَوْمَ العِيدِ يقولُ بعضُهم لبعضٍ ـ إذا لَقِيَهُ بَعْدَ صلاةِ العِيدِ: تقبَّلَ اللهُ منَّا ومنْكُمْ، وأَحَالَهُ اللهُ عليك، ونَحْو ذَلِكَ ـ فهذا قد رُوِيَ عَنْ طائفة مِنَ الصَّحابةِ أنهم كانوا يفعلُونَهُ»[٧].

وسبحانَك اللهُمَّ وبحَمْدِكَ، أشهد أن لَاَ إِلَهَ إلَّا أَنْتَ، أستغفرُك وأتوبُ إليك.

---

(٥) «المُنْتَقَى» (١/ ٣٢٢).
(٦) «الحَاوي» للسُّيوطي (١/ ٨٢).
(٧) «الفَتَاوىٰ» (٢٤/ ٢٥٣).



٦١

خُطْبَةُ عيد الأضحى المبارك

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدَقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد- ﷺ-، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكل بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّارِ[1] .

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ العيدَ -أَيُّهَا النَّاسُ -، مُناسبةٌ سعيدةٌ، تُرَفْرِفُ معها القُلُوبُ في حدائقِ البَهْجة والسُّرورِ، فهو رَمْزُ الفَرَحِ والسُّرورِ، ويَحْلُو فيه ما لا يَحْلُو في

---

(١) تقدم الحديث في حاشية خطبة(عيد الفطر) أن خطبة العيد تُفتتح بالحمد والثناء علىٰ الله -تَعَالَىٰ- كسائر الخطب،وأن الافتتاح بالتكبير لم يثبت قبل الخطبة،لا في حديث مرفوع، ولا موقوف -وأيضًا- لم يصحَّ فِي السُّنَّة أن للعيد خُطبتين ، يفصل بينهما بجلسة.

غيرِهِ مِنْ بَسْطِ النَّفسِ، وترويح الخاطرِ.

ولِكُلِّ أُمَّةٍ أعيادُها الخاصَّةُ بها، ولَيْسَ في الإسلامِ سِوىٰ عِيدِ الأُسْبُوعِ ـ يوم الجُمُعةِ ـ وعيدين في السَّـنّةِ ـ عِيدِ الفِطْرِ، وعيدِ الأَضْحَىٰ.

فَفِي «سُنن ابن ماجة» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيْح سُنن ابن مَاجَهْ»[١] مِنْ حديثِ ابْنِ عبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**إنَّ هذا يومُ عِيدٍ، جَعَلَهُ اللهُ لِلْمُسْلمين؛ فمَنْ جاءَ إلىٰ الجُمعة فَلْيَغْتَسِلْ، وإنْ كَانَ طِيْبٌ فَلْيَمَسَّ منه، وعَلَيْكُمْ بالسِّواكِ**».

وفي مُسند أحمد وسُنن أَبِي داود والنَّسائِيِّ بسندٍ صحيحٍ، صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْح سُنن أَبِي داودَ»[٢] مِنْ حديثِ أَنَسْ بنِ مالكٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قدِمَ النَّبيُّ ـ ﷺ ـ ولأهْلِ المدينةِ يومان يَلْعبون فيهما في الجاهليَّة، هما: يومُ النيروز، ويومُ المهرجانِ، فقَالَ: «**قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ ولكم يومان تلعبونَ فيهما في الجاهليَّةِ، وقدْ أَبْدلَكُمُ اللهُ بهما خَيْرًا منهما: يَوْمَ النَّحْرِ، ويومَ الفِطْرِ**».

قَالَ الشيخُ أحمدُ البنا: «أي: لأنَّ يَوْمي الفِطْرِ والنَّحْرِ بتشريع الله ـ تَعَالَىٰ ـ واختياره لخَلْقِهِ، ولأنَّهما يعقبان أَدَاءَ رُكْنَيْن عظيمينِ مِنْ أركانِ الإسلام، وهما: الحَجُّ، والصيامُ، وفيهما يَغْفرُ اللهُ للحُجَّاج والصائمين، ويَنْشُرُ رحمتَهُ علىٰ جميع خَلْقِهِ الطَّائعين، أمَّا «النيروزُ والمهرجانُ» فإنَّهما باختيارِ حُكماءِ ذاكَ الزَّمانِ، لما فيهما مِن اعتدالِ الزَّمنِ والهواءِ، ونَحْوِ ذَلِكَ مِنَ المزايا الزَّائلةِ، فالفَرْقُ بَيْنَ المزيَّتينِ ظاهرٌ لِمَنْ تأَمَّلَ ذَلِكَ».

وفي زمانِنا هذا الأَعيادُ لا تكادُ تُحْصَرُ في كُلِّ بَلَدٍ مِنْ بلادِ الإسلام، فلا يجوزُ

---

(١) رَوَاهُ ابن ماجه (١٠٩٨)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٩٠١).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ١٠٣)، وأبو داود (١١٣٤)، والنَّسائِي (٣/ ١٧٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٠٠٤).

للمُسْلِمين التشبُّهُ بغيرهم مِنْ أَهْل المِلَلِ الأُخْرىٰ بالاحتفال، أَوِ المُشاركةِ، أو التَّهْنِئَةِ في أعيادِهم.

لما في «سُنن أَبي داودَ» بسندٍ حَسَنٍ، صحيح قَالَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيْح سُنن أَبِي داود»[1] منْ حديثِ ابنِ عُمَرَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «مَنْ تشبَّهَ بقوم فهو منهم».

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ يومَكُمْ هذا هو يومُ الحَجِّ الأكبر، وهو عيدُ الأَضْحَىٰ والنَّحْر، لأنَّ الناسَ يُضَحُّون فيه، ويَنْحَرُونَ هَدْيَهُمْ، والأُضْحِية للهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، وقرابَةٌ إِلَيْه ـ سبحانه تَعَالَىٰ ـ.

فهي سُنَّةُ أَبيكم إبراهيمَ، ونبيِّكم مُحمَّدٍ ـ عليهما الصلاةُ والسلامُ ـ.

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ علىٰ لسان إبرهيمَ الخليل ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠٠ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ۝١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٠٢ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ۝١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ۝١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ۝١٠٧﴾ [الصّافات: ١٠٠-١٠٧].

وممَّا جاء في تفسير هذه الآيات: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠٠﴾ أي: ولد صالح، ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ۝١٠١﴾ أي: إسماعيلَ، ﴿فَلَمَّا بَلَغَ﴾ الغُلامُ، ﴿مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ﴾ أي: بلغ سنًّا، قدع أقبلتْ معها منفعتُهُ، وذهبتْ مشقَّتُهُ ﴿قَالَ﴾ له إبراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ أي: قد رأيتُ في النَّوم ـ ورُؤيا الأنبياءِ وَحْيٌ ـ ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰ﴾ فإنَّ أَمْرَ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ

(١) رَوَاهُ أبو داود (٤٠٣١)، وبسند حسن صحيح، قاله الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٤٠١).

وَتَعَالَىٰ ـ لا بُدَّ مِنْ تنفيذه ﴿قَالَ﴾ أي: إسماعيلُ: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ أي: امْضِ لما أَمَرَكَ الله ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ علىٰ ذَلكَ ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾ خضعا وانقادا لأمر الله ـ تَعَالَىٰ ـ ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾ أي: أَضْجَعَهُ علىٰ وَجْهِهِ، لئلا ينظرَ إِلَيْهِ وقتَ الذَّبح.

﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾ في تلك الحال المزعجة، والأمرِ المُدْهِشِ: ﴿أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ أي: قَدْ فعلتَ ما أُمِرتَ به، ولم يَبْقَ إِلَّا إمرارُ السِّكِّينِ علىٰ حَلْقِهِ.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ في عبادتِنا، المُقدِّمين رضانا علىٰ شهواتِ أَنْفُسِهِم. ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذَّبْحَ المأمورَ به ﴿لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾﴾ أي: الواضحُ الذي تبيَّن به صفاءُ إبراهيمَ، وكمالُ محبَّته لربِّه، ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ﴾ بكبشٍ ﴿عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ أي: عظيم من جهتين: أَنَّه كَانَ فِداءً لإِسماعيلَ، ومِنْ جِهَةِ أَنَّهُ مِنْ جُملةِ العباداتِ العظيمةِ، فهو قُرْبانٌ وسُنَّةٌ إلىٰ يوم الدِّين.

وقدْ ضحَّىٰ نبيُّنا ـ محمَّدٌ ـ ﷺ ـ وضحَّىٰ المُسلمون منْ بَعْده.

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[(١)] مِنْ حديث أَنَس بن مالك ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: **«ضحَّىٰ النبيُّ ـ ﷺ ـ بكَبْشين أَمْلَحَيْنِ، فرأيْتَهُ واضِعًا قَدَمَهُ علىٰ صِفَاحِهِما، يُسمِّي ويُكَبِّرُ، فَذَبحهُما بيدِه»** .

وفي «صَحِيْح مُسْلِم»[(٢)] مِنْ حديث عائشة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ: أَنَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ أَمَرَ بكَبْشٍ أَقْرَنَ، يطأُ في سوادٍ، ويَبْرُكُ في سوادٍ، وينظرُ في سوادٍ، فَأُتِيَ به؛ ليُضَحِّي به، فقالَ لها: **«يا عائشةُ، هَلُمِّي المُدْيَةَ»** ثم قالَ: **«اشْحَذيها بَحجرٍ»** ففعلت ثمَّ أَخَذَها، وأخذ الكَبْشَ، فأَضْجَعَهُ، ثمَّ ذَبَحَهُ، ثمَّ قالَ: «باسْمِ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٥٥٨)، وَمُسْلم (١٩٦٦) .
(٢) رَوَاهُ مُسْلِم (١٩٦٧) .

اللهِ، اللَّهُمَّ تقبَّلْ مِنْ مُحمَّدٍ، وآلِ مُحمَّد، ومِنْ أُمَّةِ مُحمَّد » ثمَّ ضحَّىٰ به.

أيُّهَا النَّاسُ، إنَّه ممَّا لا خِلافَ في الأُضْحيَّةِ أنَّها من شرائع الدِّين وأنَّها سُنَّةٌ مُؤكَّدةٌ عندَ جُمهورِ عُلماءِ المُسْلِمين، يُكْرَهُ لمن قَدَرَ عليهَا أنْ يَتْرُكَها، وفي ذَبْحِها خَيْرٌ مِنَ التصدُّقِ بثمنها، ولا تُجزِئُ إلَّا ببهيمةِ الأنعامِ، وهي: الإبلُ، أو البَقَرُ، أو الضَّأنُ، أو المَعْزُ.

ولها ثلاثةُ شُرُوط:

الشَّرْطُ الأوَّلُ: أنْ تَبْلُغَ السِّنَّ المُعْتَبرةَ شَرْعًا:

لما في « صَحِيْح مُسْلِم » [(١)] مِنْ حَدِيْث جابر بن عَبْدِ اللهِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: « **لا تَذْبَحُوا إِلَّا مُسنَّةً، إِلَّا أنْ يعسر عَلَيْكُمْ، فتَذْبَحُوا جَذَعةً مِنَ الظَّأْنِ** » .

قَالَ العلماءُ: المسنَّةُ هي الثَّنِيَّةُ من كُلِّ شيءٍ: من الإبِلِ، والبَقرِ، والغَنَمِ، فما فَوْقَها[(٢)]

والثنيَّةُ: هي خَمْسُ سنواتٍ للأبل، وسَنتانِ في البَقرِ، وسَنَةٌ كاملةٌ في المَعْزِ، ونِصْفُ سنةٍ في الظأْنِ.

الشَّرْطُ الثَّاني: أنْ تكون سليمةً مِنَ العُيوبِ الَّتي تَمْنَعُ الإجْزَاءَ:

لما في «سُنن أَبي داودَ » بِسَنَد صَحِيْح، صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صَحِيْح سُنن أَبي داودَ » [(٣)] مِنْ حديث عُبَيْدِ بنِ فيروزٍ قَالَ: سألتُ البَرَاءَ بنَ عازبٍ: ما لا يجوزُ في الأَضَاحي؟ فقَالَ: قام فينا رسولُ اللهِ ـ ﷺ ـ، وأصابعي أقْصرُ مِنْ أَصابِعِه، وأناملي أقْصَرُ مِنْ أنَامِلِهِ، فقَالَ: «**أَرْبَعُ لا تَجُوزُ في الأَضَاحي: العَوْرَاءُ**

(١) رَوَاهُ مُسْلِم (١٩٦٣) .
(٢) « شرح صحيح مُسْلِم» للنووي (١٣/ ١١٧) .
(٣) رَوَاهُ أبو داود (٢٨٠٢)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٤٣١) .

بَيِّنٌ عَوَرُهَا، والمريضَةُ بَيِّنٌ مَرَضُّها، والعَرْجَاءُ بَيِّنٌ ضَلْعُهَا، والكَسيرةُ الَّتِي لا تُنقي» .

فَفِي هذا الحديث ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ بيَّن لنا رسولُ اللهِ -ﷺ- أربعةَ عُيُوبٍ، لا تُجْزِئُ الأُضْحِيَّةُ إذا كانتْ فِيْهَا إحدىٰ هذه العيوب:

العَيْبُ الأوَّلُ: العَوْراءُ البيِّنُ عَوَرُها، بأنْ تكونَ عيْنُها العَوْرَاءُ ناتئةً أو غائرةً، أمَّا إذا كانتْ لا تُبصرُ بها، لكن عَوَرُها غَيْرُ بيِّنٍ ـ فإنها تُجْزِئُ مع الكَرَاهَةِ.

والعَيْبُ الثاني: المريضةُ البَيِّنُ مَرَضُها، وهي الَّتِي ظَهَر عليها آثارُ المَرَض، إمَّا في أَكْلِها، أوْ مَشْيِها، أو غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أحوالِها، ومِنَ المَرَضِ البَيِّنِ الجَرَبُ.

والعَيْبُ الثَّالثُ: العَرْجَاءُ بَيِّنٌ ضَلْعُها، وهي لا تعانقُ الصحيحةَ في المَمْشَىٰ.

والعَيْبُ الرابعُ: الكَسيرةُ الَّتِي لا تُنْقِي، والكسيرة هي المُنْكَسرةُ الرِّجْلِ، الَّتِي لا تَقْدِر علىٰ المَشْيِ، والَّتِي لا تُنْقِي: أي التِّي لا نِقْيَ لها (أي: لا مُخَّ لهَا) لِضَعْفِها وهُزَّاليها .

قَالَ الإمامُ ابنُ عَبْدِ البَرِّ في التمهيد[1] : «أمَّا العُيُوبُ الأربعةُ المَذْكورةُ في هذا الحديثِ فمجتمعٌ عليها، لا أعلمُ خِلافًا بَيْنَ العُلماءِ فِيْهَا، ومعلومٌ أنَّ ما كَانَ في معناها داخلٌ فِيْهَا، ولا سيَّما إذا كانت العِلَّةُ أَبْيَن أَلَا تَرَىٰ أنَّ العَوْرَاءَ، إذا لم تَجُزْ، فالعَمْياءُ أَحْرَىٰ أَلَّا تَجُوزَ، وهذا كُلُّهُ واضحٌ، لا خِلافَ فيه -والحمدُ لله-.

وفي هذا الحديثِ دليلٌ علىٰ أنَّ المَرَضَ الخَفيفَ يَجُوزُ في الضَّحايا، والعَرَجَ الخفيفَ الَّتِي تَلْحَقُ به الشَّاةُ الغَنَمَ لقولِه -ﷺ-: «**البَيِّنُ مَرَضُها والبَيِّنُ ضَلْعُها**» وكذَلِكَ النُّقْطَةُ في العَيْنِ، إذا كانت يسيرةً، لقولِهِ: «**العَوْرَاءُ البَيِّنُ عَوَرُها**» . وكذَلِكَ المَهْزُولةُ، الَّتِي ليستْ بغايةٍ في الهزلِ لقولِهِ: «**والعَجْفَاءُ الَّتِي لا تُنْقي**»

---

(١) «التمهيد» لابن عبد البر (٢٠/ ١٦٨) .

يُرِيدُ الَّتِي لا شيءَ فِيْهَا مِنَ الشَّحْمِ... » .

الشَّرْطُ الثَّالثُ من شُرُوطِ الأُضْحِيَّةِ: أنْ تقعَ فِي الوَقْتِ المُحَدَّدِ:

وهو مِنَ الفَراغِ مِنْ صلاةِ العِيدِ، والأفضلُ أنْ يَنْتظرَ حتَّىٰ يَفْرُغَ الإمامُ من الخُطْبَةِ ، فَفِي «الصَّحِيْحَيْن » [1] مِنْ حديثِ أنسِ بنِ مالكٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ النبيُّ – ﷺ –: «مَنْ ذَبحَ قَبْلَ الصَّلاةِ، فإنَّما ذَبحَ لنفسِهِ، ومَنْ ذَبحَ بَعْدَ الصَّلاةِ فقدْ تَمَّ نُسُكُهُ، وأصابَ سُنَّةَ المُسْلِمين » .

أيُّها النَّاسُ، إنَّهُ من الأَحْوطِ للمُسلم أنْ يَذْبَحَ يَوْمَ النَّحْرِ مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ لفِعْلِ النَّبيِّ – ﷺ – خُرُوجًا من خِلافِ العُلماءِ، لأنَّهُ لم يَثْبُتْ دليلٌ صحيحٌ عَنْ نهايةِ الأُضْحيَّةِ.

وإنْ تعسَّرَ علىٰ المُضَحِّي أنْ يُضَحِّي في يومِ النَّحْرِ، فالجمهورُ يُجَوِّزُون له اليومَ الحادي عَشَرَ والثاني عَشَرَ.

ومَنْ كَانَ منكم يُحْسِنُ الذَّبْحِ، فَلْيَذْبَحْ أُضْحيَّتَهُ بيده لفِعْلِ رسول اللهِ – ﷺ – ذَلِكَ بيدِهِ كما تقدَّم، ومَنْ كَانَ لا يُحْسِنُ فَلْيَحْضُرْ ذَبْحَها، فإنَّ ذَلِكَ أفضلُ، ولْيَكُنِ الذي يتولَّىٰ ذَلِكَ رجلاً صالحًا فتاركُ الصلاةِ لا تجوزُ ذَبيحتُهُ، كما ذكر ذَلِكَ بَعْضُ أهلِ العلم.

ويُسمِّيها عندَ الذَّبْحِ، فيقولُ ـ إذا أَضْجَعَها: باسْمِ اللهِ، واللهُ أكبرُ، اللهُمَّ هذا منك ولك، اللهُمَّ هذا عني وعَن أهلِ بيتي، وإنْ نَسيَ فلا يضرُّهُ ولا يجوزُ البَيْعُ منَ الأُضحيَّةِ، كما لا يجوزُ أنْ يُعْطَىٰ الجَزَّارُ أَجْرَهُ منها، بل يُعْطَىٰ أَجْرَهُ مالاً، وأعْطُوهُ مِنَ الأُضْحيَّةِ ـ إنْ شِئْتُمْ ـ هديَّةً ـ إنْ كَانَ غنيًّا ـ أو صَدَقَةً ـ إنْ كَانَ فقيرًا ـ وكُلوا منها، وتصدَّقُوا، وادَّخِرُوا ـ إنْ شِئْتُم ـ.

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٥٤٦)، ومُسْلم (١٩٦٢) .

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾

[الحج:٣٤ـ٣٧].

أيُّهَا النَّاسُ، إنَّ من السُّنَّةِ أنْ تَخرُجَ المَرْأةُ إلىٰ صلاةِ العيدِ، لتَشْهَدَ هذه الشَّعيرةِ، وإنْ كانت حائضًا، وهذه سُنَّةٌ تكادُ تكُونُ ميتةً في كثيرٍ من بُلْدانِ العالمِ الإسلاميِّ، وها هو النَّبيُّ - ﷺ - يَأْمُرُ النِّساءَ العَواتِقَ، والحُيَّضَ، وذَواتِ الخُدُورِ أن يَخْرُجْنَ في الفِطرِ والأضْحَىٰ.

فَفي «الصَّحيحَيْن» [١] منْ حَديْث أُمِّ عطيَّةَ ـ رَضيَ الله عَنْهَا ـ قَالَتْ: أَمَرَنا رَسُولُ الله - ﷺ - أَنْ نُخرجَهُنَّ في الفطرِ والأضحَىٰ العَواتقَ، والحُيَّضَ، وذَواتِ الخُدُورِ، فأمَّا الحُيَّضُ فَيَعْتَزِلْنَ الصَّلاةَ، ويشْهَدْنَ الخَيْرَ ودَعْوَةَ المُسلمين، قُلْتُ: يا رسولَ الله، إحْدانا لا يَكُونُ لها جِلْبابٌ؟ قَالَ: «**لتُلْبِسْها أُخْتُها مِنْ جِلْبابِها**».

ويلزمُ المرأةَ ارْتداءُ الجِلْبابِ الذي يَسْتُرُ وَجْهها، وجميع بَدَنِها لأمرِه - ﷺ - عندَما ذَكَرْنَ المانع الذي يَمْنَعُهُنَّ من الخُروجِ، فبيَّنَ لهُنَّ النبيُّ - ﷺ - حَلَّ هذا الإشكالِ، بأنْ تُلبِسَها أُخْتُها منْ جِلْبابِها، ولم يَأْذَنْ لهُنَّ بالخروجِ بغيرِ جلْبابٍ [٢].

(١) تَقَدَّمَ تَخْرِيْجه .
(٢) انظر : «رسالة الحجاب» لابن عثيمين (ص١٦) .

وعلى المرأةِ أَن تَجتنبَ الطِّيبَ أو البَخُورَ عندَ خُرُوجِها:

لما في «سُنن النَّسائيِّ» بسَنَد حَسَن، حَسَّنَهُ الأَلْبَانيُّ في «صَحِيْح الجَامع»[1] مِنْ حديث أَبي مُوسَىٰ الأَشْعريِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «أَيُّمَا امرأةٍ اسْتَعْطَرَتْ، فَمَرَّتْ علىٰ قوم، ليجدُوا رِيْحَها، فهي زانيةٌ».

ومِنَ السُّنَّةِ أَنْ يَخرُجَ الرَّجُلُ إلى العِيد ماشيًا، ويَرْجِعَ ماشيًا:

لما في «سُنن ابن مَاجَهْ» بسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الأَلْبَانيُّ في «صَحِيْح سُنن ابن مَاجَهْ»[2] مِنْ حديثِ عبدِ الله بنِ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: «**كَان رسولُ اللهِ ـ ﷺ ـ يَخْرُجُ إلىٰ العِيدِ ماشيًا، ويَرْجِعُ ماشيًا**».

ومن السُّنَّةِ مُخالفةُ الطَّريقِ، فيذهبُ مِنْ طريقٍ، ويَرْجِعُ مِنْ آخَرَ:

لما في «صَحِيْح البخاريِّ»[3] مِنْ حديثِ جابرِ بنِ عَبْدِ اللهِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: «**كان النَّبيُّ ـ ﷺ ـ إذا كَانَ يَوْمُ عِيدٍ، خالَفَ الطَّرِيقَ**».

ومن السُّنَّة التكبيرُ في العِيدين:

قَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة:١٨٥].

والتكبير في الفِطْر عندَ الذَّهاب إلىٰ المُصَلَّىٰ، وأمَّا في عِيدِ الأَضْحَىٰ فَمِنْ فَجْرِ يَوْم عَرَفَةَ إلىٰ غُروب شَمْسِ آخرِ أيَّامِ التشريقِ وأيَّام التشريقِ ثلاثةُ أيَّامٍ بَعدَ يومنَا هذا (أي: بَعْدَ يَوْمِ النَّحْرِ).

وصفةُ التكبير ما رَوَىٰ ابنُ أَبي شَيْبةَ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ[4] إلىٰ ابن مسعودٍ أنَّه كَانَ

(١) رَوَاهُ النَّسَائِي (٤٧٣٧)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٧٠١).
(٢) رَوَاهُ ابن ماجه (١٢٩٥)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٠٧١).
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٨٦).
(٤) مصنف ابن أبي شيبة.

يقولُ: «اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لَاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، وللهِ الحَمْدُ» .

وروىٰ البيهقيُّ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ[1] إلىٰ ابن عبّاس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ أنه كَانَ يقولُ: «**اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، وللهِ الحَمْدُ، اللهُ أكبرُ، وأجَلُّ، اللهُ أكبرُ علىٰ ما هَدَانا**» .

والتكبيرُ الجماعيُّ بصوتٍ واحدٍ غيرُ مشروعٍ، كما قَالَ ذَلِكَ الألبانيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ، وكذَلِكَ التويجريُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ له رسالَةٌ مُفْرَدَةٌ في إنكارِ هذا التكبيرِ الجماعيِّ، وخيرُ الهَدْيِ هَدْيُ مُحمَّدٍ ـ ﷺ ـ.

أَيُّها الناسُ، قَبْلَ أَنْ أُوَدِّعَ مقامي هذا أحثُّ النِّساءَ علىٰ تقوىٰ اللهِ، وأن يتصدَّقْنَ، فإنَّ الصَّدقة تُثْمِرُ سعادة الدِّينِ والدُّنيا.

فَفِي «صَحِيْح مُسْلِم»[2] مِنْ حَدِيْثِ جابرِ بن عبد اللهِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: شَهِدْتُ مع رسولِ اللهِ ـ ﷺ ـ يومَ العِيدِ، فبدأ بالصلاةِ قَبْلَ الخُطبةِ بغيرِ أذانٍ ولا إقامةٍ، ثمَّ قام مُتوكِّئًا علىٰ بلالٍ، فأمر بتقوىٰ اللهِ، وحثَّ علىٰ طاعته ووَعَظَ الناسَ وذكَّرَهم، ثمَّ مَضَىٰ، حتَّىٰ أتىٰ النِّساء، فوَعَظَهُنَّ وذكَّرهُنَّ، فقَالَ: «**تَصدَّقْنَ؛ فإنَّ أكثرُكُنَ حَطَبُ جَهَنَمَ**» . فقامت امرأةٌ مِنْ سِطَةِ النِّساء، سَفْعَاءُ الخَدَّيْنِ، فقَالَتْ: لِمَ يا رسولَ اللهِ؟! قَالَ: «**لأنكُنَّ تُكْثِرْنَ الشَّكاة، وتَكْفُرْنَ العَشِيرَ**» .قَالَ: فَجَعَلْنَ يتصدَّقْنَ مِنْ حُلِيِّهِنَّ، يُلْقِينَ في ثوبِ بلالٍ مِنْ أقراطِهِنَّ وخَواتِمِهِنَّ.

وأذكرُهُنَّ بما جاء في «الصَّحيحين»[3] مِنْ حَدِيْثِ عَدِيِّ بن حاتمٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: ذكر رسولُ اللهِ ـ ﷺ ـ النَّارَ، فأَعْرَضَ وأَشَاحَ، ثمَّ قَالَ: «**اتَّقُوا النَّارَ**» . ثُمَّ أَعْرَضَ وأَشَاحَ، حتَّىٰ ظَنَنَّا أنَّه كأنَّما ينظرُ إِلَيْها، ثمَّ قَالَ: «**اتَّقُوا النَّار،**

---

(١) رَوَاهُ البيهقي (٣/ ٣١٥) .
(٢) رَوَاهُ مُسْلِم (٨٨٥) .
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٤١٣)، وَمُسْلم (١٠١٦) .

ولو بشِقِّ تَمْرَةٍ، فمن لم يَجدْ فبكلمةٍ طيِّبةٍ » .

وَفِي «الصَّحِيْحَيْن » [١] مِنْ حديثِ أَبِي هُريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رسولَ اللهِ – ﷺ – قَالَ: «**لا يتصدَّقُ أحدٌ بتَمْرةٍ مِنْ كَسْبٍ طيِّبٍ، إِلَّا أَخَذَها اللهُ بيَمينه، فَيُرَبِّيهَا كما يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أو قَلُوصَهُ (أي: النَاقةَ الفَتيَّة)، حتَّىٰ تكونَ مِثْلَ الجَبَلِ، أوْ أعْظَمَ** » .

وأُذكرُهُنَّ بعَدَمَ احتقارِ المعروفِ، واستقلالِهِ، واحتقارِ المَوْجُودِ من الصَّدقةِ عندَهُنَّ.

فَفِي «الصَّحِيْحَيْن » [٢] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ –: «**يا نساءَ المُسلماتِ، لا تَحْقِرَنَّ جارةٌ لجارتِها ولو فِرْسَن شَاةٍ** » .

وفِرْسن الشاةِ: هو ظِلْفُها، وقدْ تقدَّم أنَّ النبيَّ – ﷺ – قَالَ: «**اتَّقوا النَّارَ، ولو بِشِقِّ تَمْرةٍ** » ، والشاهدُ في ذَلِكَ عَدَمُ احتقارِ المَوْجُودِ من الصَّدقة.

وسبحانك اللهُمَّ وبحَمْدِك، أشهدُ أنْ لَا إِلَهَ إلَّا أَنْتَ، أستغفرُك وأتوبُ إليك.

---

(١) رَوَاهُ البخاي (١٤١٠)، وَمُسْلم (١٠١٤)، واللفظ له .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٥٦٦)، وَمُسْلم (١٠٣٠) .



٦٢ خطبة الكسوف والخسوف

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيِّئَات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدَقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّد- ﷺ-، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّارِ.

أَمَّا بَعْدُ،

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ هذا الكُسُوفَ يَحْدُثُ بأمرِ الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -، يُخَوِّفُ اللهُ به عبادَهُ، ليتوبوا إلَيْه، ويستغفرُوهُ، ويعبدوه ويُعظِّموه، ويَخْشَوْهُ، ويخافوُه.

فهو - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - نَصَبَ لهمُ الأدلَّةَ الدالَّةَ علىٰ كِبْريائِه؛ ليهابوه، ووصف لهم شدَّةَ عذابه، ودارَ عِقابِه الَّتي أَعَدَّها لمَنْ عصاه؛ لِيُسارِعوا إلىٰ امتثالِ ما يَأْمرُ به، ويُحِبُّهُ ويَرْضاهُ، واجتنابِ ما يَنْهَىٰ عنه، ويَكْرَهُهُ ويَأْبَاهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ يَغَارُ علىٰ أوامره أَنْ تُجْتَنَبَ، ومَحارمِهِ أَنْ تُرْتَكَبَ، وإِنَّه ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ شديدُ العِقابِ، لا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ القومِ المُجرمين.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الذُّنوبَ حِجَابٌ عَنِ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ، وهي تُوْرِثُ الذُّلَّ والهَوانَ علىٰ اللهِ أَوَّلاً، ثُمَّ علىٰ الخَلْق ثانيًا؛ فعلينا أَنْ نُبادرَ بالتوبةِ إِلىٰ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ؛ فَإِنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ يَمُدُّ يَدَهُ باللَّيلِ؛ ليتوبَ مُسيءُ النهارِ، ويَمُدُّ يَدَهُ بالنَّهارِ، ليتوبَ مُسيءُ اللَّيلِ.

كما فِي « صَحِيْح مُسْلِم »[1] مِنْ حديث أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ ـ تَعَالَىٰ ـ لَيَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ؛ لِيَتُوبَ مُسيءُ النَّهارِ، ويَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهارِ؛ لِيَتُوبَ مُسيءُ اللَّيْلِ، حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها**».

أَيُّهَا النَّاسُ، تُوبوا إِلىٰ اللهِ، واستغفروه، فإِنَّ اللهَ أَشَدُّ فَرَحًا بتوبةِ عَبْدِهِ حِينَ يتوبُ.

فَفِي «الصَّحِيْحَيْن »[2] مِنْ حديثِ أنس بن مالك ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**اللهُ أَفْرَحُ بتوبةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ، سَقَطَ عَلَىٰ بَعِيرِهِ وقدْ أَضَلَّهُ فِي أَرض فَلاة** » .

وفي روايةٍ لِمُسْلم: «**للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بتوبةِ عَبْدِهِ حينَ يَتُوبُ إِلَيْه، مِنْ أَحَدِكُمْ، كَانَ علىٰ راحِلَتِه بأَرْضِ فَلاة، فانْفَلَتَتْ مِنْهُ، وعليها طعامُهُ، وشرابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فأَتَىٰ شجرةً، فاضْطَجَعَ فِي ظِلِّها، وقدْ أَيِسَ من رَاحِلَتِه، فبينما هو كذلِكَ، إِذْ هُوَ بها قائمةً عِنْدَهُ، فأَخَذَ بخطامِهَا، ثمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ: اللهُمَّ أنت عَبْدي، وأنا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ** » .

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِم (٢٧٦٠) .
(٢) تَقَدَّمَ تَخْرِيْجه .

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ الشَّمْسَ والقَمَرَ آيتانِ مِنْ آياتِ اللهِ الدالَّةِ علىٰ كمالِ قُدْرتِه وحكمتِه ورَحْمتِه، وقد كَسَفَتِ الشَّمْسُ في عَهْدِ رسولِ اللهِ -ﷺ- فخرجَ فَزِعًا، يجرُّ رَداءَهُ حتَّىٰ أتىٰ المسجد ثمَّ نُودِيَ: الصَّلاةُ جامعةً، وصلَّىٰ بالنَّاسِ صلاةَ الكُسُوفِ، ثمَّ خَطَبَهُمْ ـ بَعْدَ ذَلِكَ ـ خُطبةً بليغةً، وجلَتْ منها القلوبُ، أَجِدُني مُضْطرًّا لذكرِها بتمامِها، كما استخلصها الألبانيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في كتابِه الماتع «كيف صلَّىٰ النبيُّ -ﷺ- صلاة الكُسوفِ؟» [1] .

أوَّلًا: كُسُوفُ الشَّمْسِ وَفزَعُهُ -ﷺ-:

رَكِبَ رسولُ اللهِ -ﷺ- غَدَاةَ يَوْمَ مات ابْنُهُ إبراهيمُ ـ عَلَيْهِمَا السَّلامُ ـ، وكان يومًا شديدَ الحرِّ، فَخسَفَتِ الشَّمْسُ، فأتىٰ رسولُ اللهِ -ﷺ- مِنْ مَرْكبِهِ سريعًا[2]، وذَلِكَ ضُحًىٰ[3]، فمرَّ رسولُ اللهِ -ﷺ- بَيْنَ ظَهْرَاني الحُجَرِ، فخرج فَزِعًا، فأخطأ[4] بدرعٍ، حتىٰ أدرك بردائِه، فخرج يَجُرُّ رداءَهُ؛ يَخْشَىٰ أَنْ تكونَ السَّاعةُ، فأتىٰ المسجد حتَّىٰ انتهىٰ إلىٰ مُصَلَّاهُ الذي كَانَ يُصلِّي فيه، وقَالَ الناسُ: إنَّما كَسَفَتِ الشَّمْسُ لموتِ إبراهيمَ! [5] فَبَعَثَ -ﷺ- مُناديًا، فنادىٰ: الصَّلاة جامعةً، وثابَ النَّاسُ إِلَيْهِ، واصْطَفُّوا وراءَه [6]، وخرجتْ نِسْوةٌ بَيْنَ ظَهْري الحُجرِ في المسجدِ، واجتمع إِلَيْهِنَّ نساءٌ [7] ، فصلَّىٰ رسولُ اللهِ -ﷺ- بأصحابِهِ.

---

(١) انظر : «كيف صلىٰ النبي -ﷺ- صَلَا الكُسُوف» (ص ١١٨-١٧٠) ز
(٢) البيهقي (٣/ ٣٢٤) .
(٣) البخاري (٢/ ٤٣٠) .
(٤) مُسْلِم (٣/ ٣٠) .
(٥) مُسْلِم (٣/ ٢٧) .
(٦) النَّسَائِي (١/ ٢١٦) .
(٧) أحمد (٦/ ٥٣) .

ثانيًا: ابتداءُ الصَّلاةِ:

بَدَأَ- ﷺ- فكبرَّ، وكبرَّ الناسُ [١]، ثمَّ افتتحَ القُرآنَ، فقرأ قراءةً طويلةً، فجهَر فيْهَا[٢]، وقام قِيامًا طويلاً جدًّا نَحْوًا مِن سُورةِ البقرةِ؛ حتَّىٰ قيلَ: لا يَرْكعُ، وجَعَلَ أَصحابُهُ يَخِرُّون.

وقَالَتْ أسماءُ: أتيتُ عائشةَ، فإذا الناسُ قِيامٌ، وإذا هي تُصلِّي، فقُلْتُ: ما شَأْنُ النَّاسِ يُصلُّون؟ فأشارتْ برَأْسِها إلىٰ السَّماء، فقُلْتُ: آيةٌ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فأطال رسولُ الله- ﷺ- القِيامَ جدًّا، حتَّىٰ تجلاني الغَشْيُ، فَأَخذْتُ قِرْبَةَ ماء إلىٰ جَنْبي، فجعلتُ أَصُبُّ علىٰ رَأسي مِن الماءِ، قُلْتُ: فأطالَ القِيامَ؛ حتَّىٰ رَأَيْتُني أُريدُ أنْ أَجلسَ، ثُمَّ أَلْتَفتُ إلىٰ المرأةِ الَّتي هي أكبرُ منِّي، والمرأةِ الَّتي هي أسْقَمُ منِّي، فأقولُ: أنا أحقُّ أَنْ أَصْبرَ علىٰ طُولِ القِيامِ منْك[٣] . ثمَّ رَكَعَ- ﷺ-مُكبرًّا، فأطالَ الرُّكوعَ جدًّا؛ حتىٰ قِيلَ: لا يَرْفعُ، ورَكَعَ نَحْوًا ممَّا قامَ.

ثمَّ رَفَعَ رأسه مِنَ الركوع، فقَالَ: «**سَمِعَ اللهُ لمَنْ حَمِده، ربَّنا ولك الحَمْدُ** »[٤] ولم يسجدْ، فأطالَ القيامَ جدًّا؛ حتىٰ قِيلَ: لا يَرْكَعُ، وهو دُونَ القِيامِ الأَوَّلِ، وقَرأ قراءةً طويلةً، هي أَدْنَىٰ مِنَ القراءة الأولىٰ، وأطَالَ؛ حتَّىٰ لو جاءَ إنسانٌ بَعْدَ ما رَكَعَ ـ لم يكنْ عَلِمَ أَنَّهُ رَكَعَ ـ ما حدَّثَ نَفْسَهُ أَنَّهُ رَكَعَ مِنْ طُولِ القيامِ.

ثُمَّ رَكَعَ مُكبرًّا، فأطالَ الرُّكوعَ جدًّا؛ حتَّىٰ قيلَ: لا يَرْفعُ، وهو دونَ الرُّكوعِ الأولِ.

ثمَّ رَفَعَ رأسه، فقَالَ: «سَمِعَ اللهُ لمَنْ حَمِدَه، ربَّنا ولك الحَمْدُ » [٥] .

---

(١) أبو عوانة (٢/ ٣٧٥) .
(٢) مُسْلِم (٣/ ٢٩) .
(٣) البخاري (١/ ١٤٨) .
(٤) البيهقي (٣/ ٣٢٥) .
(٥) البخاري (٢/ ٤٢٧) ، وَمُسْلم (٣/ ٢٩).

فأطال القيام؛ حتَّىٰ قيلَ: لا يَسْجُدُ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ، فجَعَلَ يُسبِّحُ، ويحمدُ، ويُهَلِّلُ ويُكَبِّرُ ويدعو [1] .

ثُمَّ كَبَّر- ﷺ-، فَسَجَد سُجودًا طويلاً مِثْلَ رُكُوعِه [2] ؛ حتَّىٰ قيلَ: لا يَرْفَعُ، وقَالَتْ عائشةُ: ما ركعتُ رُكُوعًا قَطُّ، ولا سَجَدْتُ سُجودًا قَطُّ، كَانَ أَطْولَ منه، ثمَّ كبَّرَ [3]، ورفَعَ رَأْسَهُ وجَلَسَ، فأَطالَ الجُلُوسَ، حتَّىٰ قيلَ: لا يَسْجُدُ [4] ، ثمَّ كبَّرَ [5] ، فَسَجَد، فأَطَالَ السُّجودَ، وهو دُونَ السُّجُودِ الأَوَّلِ.

ثمَّ كبَّرَ، ورفَعَ، فَقَامَ قِيامًا طويلاً، هُو دُونَ القيام الثَّاني مِنَ الركْعةِ الأُولىٰ، وقرأ قراءةً طويلةً، وهي أَدْنىٰ مِنَ القراءةِ في القيام الثَّاني.

ثمَّ كبّر [6] ، فَرَكعَ، فأطال الرُّكُوعَ، وهو دُونَ الرُّكُوع الأَوَّلِ.

ثمَّ كبَّر [7] فَرَفَعَ رأسه، فقَالَ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَه، ربَّنا ولك الحَمْدُ» ، فأَطالَ القِيامَ، وهو دُونَ القِيامِ الأَوَّلِ، ثمَّ قَرَأَ قِراءةً طويلةً، هي أَدنَىٰ من القراءةِ الأولَىٰ.

ثمَّ كَبَّرَ، فَرَكَعَ، فأَطالَ الرُّكُوعَ، وهو دُونَ الرُّكُوع الأَوَّلِ [8] .

ثمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فقَالَ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنا ولك الحَمْدُ» ، فأَطالَ القِيامَ؛ حتَّىٰ قِيلَ: لا يَسْجُدُ، ثمَّ تأَخَّرَ، وتَأَخَّرَتِ الصُّفوفِ خَلْفَهُ، حتَّىٰ انتهتْ إلىٰ النساءِ، ثمَّ تقدَّم وتقدَّمتِ الصُّفوفُ حتَّىٰ قَام في مَقامِهِ.

---

(١) أحمد (٥/ ٦١) .
(٢) النَّسَائِي (١/ ٢٢٠) .
(٣) النَّسَائِي (١/ ٢١٨) .
(٤) النَّسَائِي (١/ ٢١٩) .
(٥) النَّسَائِي (١/ ٢١٤) .
(٦) النَّسَائِي (١/ ٢١٤) .
(٧) النَّسَائِي (١/ ٢١٦) .
(٨) النَّسَائِي (١/ ٢١٦) .

ثمَّ كبَّر، فَسَجَدَ مِثْلَما سَجَدَ فِي الرَّكْعةِ الأولىٰ، إلَّا أنه أدْنَىٰ منه، وجَعَل يَبْكي في آخرِ سُجُودِه، ويَنفُخُ: أُفْ أُفْ، ويقولُ: «ربِّ، ألم تَعِدْني ألَا تُعذِّبَهُم وأنا فيهم؟ ربِّ ألم تَعِدْني ألَا تُعذِّبَهم وهُم يستغفرون، ونحنُ نستغفرُك؟ »[١] .

ثمَّ تشهَّدَ[٢] ، ثمَّ سلَّم[٣] ، ثمَّ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ، واستكملَ أَرْبَعَ ركعاتٍ في أَرْبَع سَجَداتِ.

ثالثًا: الخُطبةُ على المِنْبر:

فلَّما انصرف رَقِيَ المنْبَرَ[٤] ، فَخَطَبَ الناسَ؛ فَحَمِدَ اللهَ، وأَثْنَىٰ عليه، ثمَّ قَالَ: «أمَّا بَعْدُ، أيُّهَا النَّاسُ، إنَّ أَهْلَ الجاهليَّةِ، كانوا يقولون: إنَّ الشَّمْسَ والقَمَرَ لا يَخْسفَانِ إلَّا لموت عظيم، وإنَّهما آيتانِ مِنْ آيات الله، لا يَنْخَسفان لموت أَحَد، ولا لحياتِهِ؛ ولكنْ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عباده، فإذا رَأَيْتُمْ شيئًا مِنْ ذَلِكَ؛ فافْزَعُوا إلىٰ ذكْره، ودُعائِه، واستغفارِهِ، وإلىٰ الصَّدَقةِ والعَتاقةِ، والصَّلاةِ في المساجِدِ، حتَّىٰ تَنْجَلِي.

يا أُمَّةَ محمَّدٍ، إنْ مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ أنْ يَزْنِي عَبْدُهُ، أوْ تزْنِيَ أَمَتُهُ.

يا أُمَّةَ محمَّدٍ، واللهِ، لو تعلمون ما أعلمُ، لبكَيْتُم كثيرًا، ولَضَحِكْتُمْ قليلاً » .

ثمَّ رَفَعَ يَدَيهِ، فقَالَ: «ألا هَلْ بلَّغتُ؟! إنَّهُ عُرِضَ عليَّ كُلُّ شيءٍ تُوْلَجُونَهُ، فَعُرِضَتْ عليَّ الجنَّةُ وذَلكَ حِينَ رَأَيْتموني تقدَّمْتُ في مَقَامي، ولقدْ مَدَدْتُ يَدي، وأنا أُريدُ أن أتناولَ مِنْ ثَمَرها؛ لتنظروا إِلَيْهِ، ثمَّ بدا لي ألَا أَفْعَلَ، ولو أَخَذْتُهُ، لأكلتُمْ منه ما بَقِيتِ الدُّنيا.

---

(١) النَّسَائِي (١/ ٢١٧) .
(٢) النَّسَائِي (١/ ٢١٥) .
(٣) مُسْلِم (٣/ ٢٩) .
(٤) النَّسَائِي (١/ ٢١٥) .

ولقدْ عُرِضَتْ عليَّ النَّارُ، وذَلِكَ حينَ رأيتمُوني تَأَخَّرتُ مَخَافَةَ أَنْ يُصيبني مِنْ لَفْحِها، فجعلتُ أنفخُ خَشْيَةَ أَنْ يَغْشاكمُ حرُّها، ولقدْ رأَيتُ جَهَنَّمَ يحْطِمُ بَعْضُها بَعْضًا، فلم أَرَ مَنْظرًا كاليوم ـ قَطُّ ـ أَفْظَعَ[١] ورأيتُ أكثرَ أَهْلِها النِّساءَ » .

قَالَوا: لِمَ يا رسولَ اللهِ؟ قَالَ: « **بكُفْرِهِنَّ** » . قيل: أَيَكْفُرن باللهِ؟ قَالَ: « **يَكْفُرنَ العَشِيرَ، ويَكْفُرْنَ الإحسانَ، لو أحسَنْتَ إلىٰ إحداهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ، ثُمَّ رَأَتْ منك شيئًا؛ قَالَتْ: ما رأيتُ منك خيْرًا قَطُّ** » .

ورأيتُ فِيْهَا امرأةً مِنْ بني إسرائيل طويلةً سَوْدَاءَ[٢] ، تُعذَّبُ في هرَّةٍ لها رَبَطَتْها، فلم تُطْعِمْها، ولم تَسْقِها[٣] ، ولم تَدَعْها تأكلُ مِنْ خَشَاشِ الأرْضِ، حتَّىٰ ماتَتْ جُوعًا، فلقد رأيتُها تنهشُها إذا أَقْبَلَتْ، وإذا وَلَّتْ، تنهشُ أَلْيَتَها.

ورأيتُ فِيْهَا سارقَ بَدَنَتي رسولِ اللهِ ـ ﷺ ـ[٤] .

ورأيت صاحبَ المِحْجَنِ أبا ثمامةَ عَمْرو بنَ مالكِ بن لُحَي ـ وهو الذي سَيَّبَ السَّوائبَ[٥] ـ يجرُّ قصبه في النَّارِ، كَانَ يَسْرِقُ الحاجَّ، فإنْ فُطِنَ له، قَالَ: إنَّما تعلَّق بمحْجَني. وإن غُفِلَ عنه ذَهَبَ به.

وإنه قدْ أُوحيَ إليَّ أنَّكم تُفْتَنون في القُبُور كفِتْنةِ المَسيح الدَّجَّالِ، فيُؤْتَىٰ أَحَدُكُمْ، فيُقَالُ: ما عِلْمُكَ بهذا الرَّجُلِ؟ فأمَّا المُؤمنُ ـ أو المُوقنُ ـ فيقولُ: هو مُحَمَّدٌ، هُو رَسُولُ الله، جاءَنا بالبيِّناتِ والهُدَىٰ، فَأَجَبْنا وَأَطَعْنا (ثلاثَ مرار). فيُقَالُ لَهُ: نَمْ، قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أنَّك تُؤمنُ به؛ فَنَمْ صالحًا، هذا مَقْعَدُكَ مِنَ الجنَّة. وأمَّا المُنَافِقُ ـ أو المُرْتابُ ـ فيقولُ: لا أَدْري، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شيئًا

---

(١) أبو عوانة (٢/ ٣٧٩) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٣١٨)، وَمُسْلم (٢٦١٩) .
(٣) النَّسَائِي (١/ ٢٢٢) .
(٤) النَّسَائِي (١/ ٢٢٢) .
(٥) مُسْلم (٣/ ٣٥) .

فقُلْتُ، فيُقَالُ لهُ: أَجَلْ، علىٰ الشَّكِّ عِشْتَ وعليه مُتَّ؛ هذا مَقْعَدُكَ مِنَ النَّارِ » .

ثمَّ أَمَرَهُمْ - ﷺ - أنْ يتعوَّذُوا مِنْ عَذَابِ القَبْرِ[1] .

قَالَتْ عائشةُ: فكان رسولُ اللهِ - ﷺ - بَعْدَ ذَلكَ يتعوَّذُ مِنَ عذابِ القَبْرِ.

وسبحانك اللهُمَّ وبحمْدِكَ، أشهدُ أنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أستغفرُكَ وأتوبُ إليك.

(١) البخاري (١٠٥٠) .



٦٣ خطبة الاستسقاء

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا، ومِنْ سَيْئَاتِ أَعْمَالنا، مَنْ يَهْدِه الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّد- ﷺ-، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّارِ.

أَمَّا بَعْدُ،

أَيُّهَا النَّاسُ، إنه ما مِنْ بلاءٍ يَحلُّ بالمُسْلمين إلَّا بذنبٍ، وما رُفِعَ إلَّا بتوبةٍ.

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى:٣٠].

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنفال:٥٣].

أَيُّها الناس، إنَّ الذُّنوبَ تُحْدِثُ في الأرضِ أنواعًا من الفسادِ في المياهِ، والهَواءِ، والزُّروعِ، والثِّمارِ، والمساكنِ.

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم:٤١].

ومن آثارِ الذُّنوبِ حِرْمانُ الرِّزْقِ، وما اسْتُجْلِبَ رِزقٌ بمثلِ تقوى اللّهِ، واجتناب المعاصي، فتقوى اللّهِ سببُ الفلاحِ في الدُّنيا والآخرة:

أَيُّهَا النَّاسُ، علينا أنْ نَعُودَ إلىٰ اللهِ عَوْدةً صادقةً، ونتوبَ إلَيْهِ توبةً نَصُوحًا، فإنَّ التوبةَ سببٌ للمتاعِ الحَسَنِ، ونُزُولِ الأمطارِ، وزيادةِ القُوَّةِ، والإمدادِ بالأموالِ والبنين.

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود:٣].

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود:٥٢].

وقَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ على لسان هود: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح:١٠- ١٢].

أَيُّها الناسُ، علينا أنْ نتوبَ إلىٰ اللهِ مِنْ جميعِ الذُّنوبِ، وأنْ نُحسنَ الظَّنَّ باللهِ حينَ نَتُوبُ ، فإنَّ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ يقولُ في حديثِهِ القُدْسيِّ، كما في

«الصحيحين »[١] مِنْ حَدِيْث أَبِي هُريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ النبي ـ ﷺ ـ:
«يقول اللهـ عَزَّ وَجَلَّ ـ :أنا عندَ ظَنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذَكَرَني، فإنْ ذكرني في نَفْسِهِ، ذكرْتُهُ في نَفْسي، وإنْ ذَكَرني في مَلأ، ذكَرْتُه في ملأ خَيْرٍ منْهُم، وإنْ تقرَّبَ إليَّ شبرًا، تقرَّبْتُ إلَيْهِ ذِراعًا، وإن تقرَّب إليَّ ذراعًا تقربت إلَيْهِ بَاعًا، وإنْ أتاني يَمْشي، أَتَيْتُه هَرْوَلَةً».

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ مِنْ حِكَم الله في الابتلاءِ أنْ تَتَيَقَّظَ النفوسُ، وتَرِقَّ القُلُوبُ بَعْدَ طُولِ غَفْلَة، فتتوجه الخلائقُ إلىٰ ربِّها، يتضَّرعون إلَيْه، ويدعونه رغبًا ورهبًا، يرجون رحمَتَهُ، ويخافون عذابه، فيجدون في ظلِّ الضَّراعة، والمَسْكنة والإنابة إلىٰ الله ـ الطُّمَأْنينة والرَّاحةَ، والأَمَلَ في الفَرَج والوَعْدِ بالبُشْرىٰ. وكفىٰ بالتضرُّع دليلاً في الرُّجوع إلىٰ الله، وأَمَلاً في الفرَجِ مِنْ عِنْده، فلا يُرجَىٰ في الشَّدائد إلَّا الله، ولا يُقْصَدُ في المُلمَّاتِ سِوَاهُ، فلا يُلاذُ إلَّا بجَنَابه، ولا مَلْجَأ منْه إلَّا إلَيْه.

فهو ـ سُبْحَانَهُ وَتَعالَىٰ ـ يُجيبُ المُضطرَّ إذا دَعَاهُ، ولو كَانَ مُشْركًا، فكيف إذا كَانَ مُسْلمًا عاصيًا مُفرِّطًا في جَنْبِ الله؟!، بل كَيْفَ إذا كَانَ مُؤْمنًا بَرًّا تَقيًّا » ؟!

قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعالَىٰ ـ: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل:٦٢].

قَالَ القُرْطُبيُّ ـ رَحمَهُ اللهُ ـ: «ضَمِنَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ إجابةَ المُضْطَرِّ إذا دَعَاهُ، وأَخْبَرَ بذَلكَ عَنْ نَفْسه، والسَّبَبُ في ذَلكَ أنَّ الضَّرورةَ إلَيْه باللَّلجا ينشأُ عَن الإخلاص، وقَطْع القَلْب عمَّا سواهُ، والإخلاص عندَّه ـ سُبْحَانَهُ ـ موقعٌ وذِمَّةٌ، وُجِدَ مِنْ مُؤمن أَو كافر، طائع أَو فاجر »[٢] .

وسُبحانَك اللهُمَّ وبحَمدكَ، أشهد أن لَا إِلَهَ إلَّا أَنْتَ، أستغفرك وأتوبُ إليك.

---

(١) رَوَاهُ البُخَاريُّ (٧٤٠٥) ، ومُسْلم (٢٦٧٥) .
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٣/ ٢٢٣) .

فهرس

من أحدث اصدارات دار الإيمان

أوسمة حافظ القرآن

تأليف أبي عبد الله

فيصل بن عبده قائد الحاشدي

عفا الله عنه





من أحدث اصدارات دار الإيمان

فوائد

مدارج السالكين

بين منازل

إياك نعبد وإياك نستعين

للإمام العلامة ابن قيم الجوزية

تأليف أبي عبد الله

فيصل بن عبده قائد الحاشدي

عفا الله عنه



